مجلـــة
المـؤرخ العربـــي

مجلة علمية محكمة

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الثلاثين - اكتوبر ٢٠٢٢ م

-(المجلـد الأول)-

موقع المجلة على بنك المعرفة المصرى
https://hja.journals.ekb.eg/

المجلة معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "أرسيف Arcif" الدولية

تحت اشراف:
مكتب اليونيسكو، لجنة الأمم المتحدة، مكتبة الاسكندرية، عدة دول عربية وبريطانيا

جميع المراسلات ترسل باسم
الأستاذ الدكتور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة
مقر الإدارة : مدينة نصر- الحى الثامن- ١٠ شارع فؤاد بدواني – خلف مدرسة الصديق
تليفون: ٠٠٢-٠٢-٢٢٨٧٠٠٩٠ - فاكس: ٠٠٢-٠٢-٢٢٨٧٠٠٩١
Email : arabhistoryso@hotmail.com
مقر المؤتمرات: التجمع الأول – بعد سنترال التجمع - خلف مدرسة جرين هايتس
www.arabhistoryso.net

رقم الإيداع: (١٩٩٤/٦٥٤٩)
الترقيم الدولي للطباعة (2535-2288) (ISSN-P)
الترقيم الدولي الإلكتروني (2735-5144) (ISSN-O)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أي لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء الكترونية أو ميكانيكية أو غيرها من الوسائل دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من: إدارة اتحاد المؤرخين العرب.

شروط نشر البحوث فى مجلة المؤرخ العربي

١. أن يكون عضوا باتحاد المؤرخين العرب.
٢. عدد صفحات البحث (٣٠ ورقة) وما يزيد يتم دفع (رسوم إضافية عن كل ورقة).
٣. الخط: (Simplified Arabic) بنط (١٥)، والهوامش بنط (١٣).
٤. في بداية كل بحث يكتب **ملخص** للبحث (باللغة العربية والانجليزية) صفحة لكل منهما.
٥. يرسل البحث بعد ذلك على اللينك الخاص بالمجلة:
https://hja.journals.ekb.eg/
٦. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث الى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

شروط الاشتراك في عضوية الاتحاد

١. الحصول على الدكتوراه (فى التاريخ أو الآثار).
٢. ملئ استمارة العضوية، مع عدد (٢) صورة شخصية.
٣. سداد الرسوم المقررة.

مجلــة
المـؤرخ العربـــي
(مجلة علمية محكمة)
يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

رئيس مجلس الإدارة

أ.د.محمـد عيسى الحريري

رئيس اتحاد المؤرخين العرب

الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصورة

رئيس التحرير

أ.د.زبيـدة محمد عطا

مسئولة النشاط الثقافي باتحاد المؤرخين العرب

أستاذ بكلية الآداب - جامعة حلوان

هيئة التحرير

أ.د. عفيفي محمود إبراهيم — أمين عـام الاتحـــاد

أ.د. حـامـد زيـان غـانم — أمين الصندوق (السابق)

أ.د. عفـاف سيـــد صبرة — مسئولـة العلاقـات العامـة

سكرتارية التحرير

أ. عبدالعزيز همام

أ. محمـود يحيـى

الرؤيـــة

السعي لتحقيق الريادة في النشر العلمي المتميز في المحتوي والمضمون والتأثير والمرجعية في مجالات الوطن العربي وأقطاره.

الرسالـــة

نشر البحوث العلمية الأصلية والرصينة والمبتكرة في مجالات الوطن العربي وأقطاره في مجالات اختصاص المجلة وفق المعايير والقواعد المهنية العالمية المعمول بها في المجلات المحكمة دولياً.

الأهـــداف

- العمل على توثيق التعاون وتحقيق الترابط بين الدول العربية.
- إتاحة المجال أمام العلماء والباحثين في مجالات اختصاص المجلة في التاريخ، على المستوي المحلي والإقليمي والعالمي لنشر بحوثهم وإنتاجهم العلمي.
- نشر أبحاث كبار الأساتذة وأبحاث الترقية للسادة الأساتذة المساعدين والسادة المدرسين بمختلف الجامعات المصرية والعربية.
- تشجيع ونشر مختلف البحوث المتعلقة بالدراسات التاريخية والآثارية للوطن العربي.
- الإسهام في تنمية مجتمع المعرفة في مجالات اختصاص المجلة من خلال نشر البحوث العلمية الرصينة والمتميزة.
- اصدار مجلة المؤرخ العربي فى مجلدين (الأول والثاني).

الهيئة الاستشارية المصرية

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	أ.د.محمـد عيسى الحريـري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصـورة
٢	أ.د.عفيفي محمود إبراهيـم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكليـة الآداب – جامعـة بنهـا
٣	أ.د. حـامـد زيـان غـانم	أمين الصندوق (السابق) بالاتحاد أستـاذ بكلية الآداب – جامعة القاهرة
٤	أ.د.زبيـدة محمد عطـا	أمينة الصندوق ومسئولة النشاط الثقافى بالاتحاد أستـاذ بكلية الآداب - جامعة حلـوان
٥	أ.د.عفاف سيد محمد صبـرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٦	أ.د.رأفت غنيمي الشيـخ	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة الزقازيق
٧	أ.د.أشرف محمد مؤنـس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٨	أ.د.طارق منصور محمـد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة عين شمس
٩	أ.د. حمدى عبدالمنعم محمـد	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة كلية الآداب جامعة اسكندرية
١٠	أ.د.إيمان محمد عبدالمنعم عامر	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الهيئة الاستشارية الدولية

م	الاســـم	الجنسية	الوظيفـــة
١	أ.د.إسماعيل محمد البشرى	سعودى	نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب مديـــر جـامعـــة الجـــوف سابقا
٢	أ.د.أحمـد عمـــر الزيلعـي	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثار-جامعة الملك سعود
٣	أ.د.إبراهيم بن محمد المزيني	سعودى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية العلـوم الاجتماعيـــة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض
٤	أ.د.حياة ناصر سالم الحجـي	كويتية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الآداب – جامعة الكويـت
٥	أ.د.على منصور آل شهاب	بحريني	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب نائب رئيـس جامعـة البحريـــن
٦	أ.د.محمد بهجت القبيسي	سـورى	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ محاضر بجامعـة حلـب- سابقا
٧	أ.د.نبيلة عبدالشكـــور	جزائرية	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بجامعـة الجزائـر ٢.
٨	أ.د. عبدالله سعيد الغامدى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستاذ العصور الوسطى-كلية الشريعة- جامعة أم القرى
٩	أ.د. عبدالرحمن محمد الانصارى	سعودى	عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستاذ بكلية الآداب – جامعة الملك سعود

المحكمون

م	الاســـم	الوظيفـــة
١	أ.د. محمد عيسى الحريـري	رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة الأستاذ بكلية الآداب - جامعة المنصـورة
٢	أ.د. عفيفي محمود إبراهيم	أمين عام اتحاد المؤرخين العرب بالقاهـرة أستـاذ بكليـة الآداب – جامعـة بنهـا
٣	أ.د. زبيـدة محمد عطـا	مسئولة النشاط الثقافي باتحاد المؤرخين العرب أستـاذ بكلية الآداب - جامعة حلـوان
٤	أ.د. عفاف سيد محمد صبـرة	مسئولة العلاقات العامة باتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر
٥	أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي	عضو مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب أستاذ بكلية السياحة والآثـار-جامعة الملك سعود
٦	أ.د. أشرف محمد مؤنـس	مسئول المكتبات باتحاد المؤرخين العرب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس
٧	أ.د. محمد الشحات شاهين	رئيس قسم الآثار والحضارة كلية الآداب حلوان
٨	أ.د. سحر علي حنفي	رئيس قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة
٩	أ.د. محمد السيد عبد الغني	أستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية
١٠	أ.د. شلبي إبراهيم الجعيدي	أستاذ بكلية الآداب جامعة المنصورة
١١	أ.د. جلال أحمد أبو بكر	أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية كلية الآداب جامعة المنيا
١٢	أ.د. عادل عبد الحافظ حمزة	أستاذ بكلية الآداب جامعة المنيا
١٣	أ.د. أسامة فهمي صديق	أستاذ بكلية الآداب جامعة أسيوط
١٤	أ.د. سيد رشدي	أستاذ بكلية الآداب جامعة بنها

هـذه المجلــة

١. مجلة المؤرخ العربي مجلة تاريخية بحتة، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.
٢. تستهدف المجلة إظهار الحقيقة التاريخية لموضوعات محددة صافية نقية، بعيدة عن أي تيارات سياسية أو عقائدية.
٣. البحوث التي تنشر فيها محكمة، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عما يرد من آراء علمية.
٤. تصدر سنوياً في أكتوبر من كل عام، علي أن تصلها البحوث المقدمة للنشر في كل عدد في موعد غايته نهاية شهر يوليه من نفس العام.
٥. يشترط ألا يكون العمل المقدم قد سبق نشره، أو قدم للنشر في أية جهة أخري، ويكتب الباحث تعهداً بعدم تقديمه للنشر في أي جهة أخري بعد قبوله للنشر بالمجلة.
٦. لا يتم استرداد أصول الأعمال المقدمة للنشر سواء قبلت للنشر أو لم تقبــل.
٧. عنوان البحث في رأس الصفحة الأولي، متبوعاً باسم المؤلف مقروناً بوظيفته وجهة عمله.
٨. يراعي في إعداد قائمة المراجع ما يلي:

(أ) تسجيل أسماء المؤلفين أو المحققين أو المترجمين أو المراجعين، متبوعة بعنوان الكتاب ثم مكان النشر ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر، مع بيان الطبعة.

(ب) مقالاتالدوريات تبدأ باسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم الدورية، ثم رقم المجلد والعدد والمجلة وتاريخه، ثم أرقام الصفحات التي يقع فيها المقال.

(جـ) الرسائل الجامعية يتم تسجيل اسم صاحب الرسالة، وعنوانها، والجامعة التي أجازتها، واسم المشرف، وتاريخ الإجازة.

خطاب تهنئة بنجاح مجلة (المؤرخ العربي) الصادرة من اتحاد المؤرخين العرب في تحقيق معايير اعتماد معامل أرسيف (Arcif) المتوافقة مع المعايير العالمية لعام ٢٠٢٢م

Arcif Analytics
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
قاعدة البيانات العربية الرقمية
Arab Citation & Impact Factor
Arab Online Database
معرفة e-MAREFA

التاريخ: 2022/09/28

الرقم: L22/0845 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة المؤرخ العربي المحترم

اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مصر

تحية طيبة وبعد،،،

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد **أطلق التقرير السنوي السابع للمجلات للعام 2022**.

يخضع معامل التأثير "ارسيف Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب آسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "**ارسيف Arcif**" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن (**5100**) عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (**1400**) هيئة علمية أو بحثية في (**20**) دولة عربية (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (**1000**) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2022**.

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **مجلة المؤرخ العربي** الصادرة عن **اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مصر، قد نجحت في تحقيق معايير اعتماد معامل "ارسيف Arcif"** المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (**32**) **معياراً**، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي:
http://e-marefa.net/arcif/criteria/

وكان معامل "**ارسيف Arcif**" لمجلتكم لسنة 2022 (**لم نرصد أية استشهادات**).

ونأمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير عام 2023. وبإمكانكم الإعلان عن نجاحكم في الحصول على معايير اعتماد معامل "**ارسيف Arcif**" العالمية سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل **أرسيف Arcif** الخاص بمجلتكم.

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير " ارسيف Arcif"

+962 6 5548228 -9
+ 962 6 55 19 10 7
info@e-marefa.net
www.e-marefa.net
Amman - Jordan
2351 Amman, 11953 Jordan

المحتويـــات

م	الموضـــوع	الاســـم	ص
أ	**كلمة الافتتاح** (رئيس اتحاد المؤرخين العرب)	**أ.د. محمد عيسى الحريري**	١٠
ب	**كلمة التحرير** (رئيس تحرير مجلة الاتحاد)	**أ.د. زبيدة محمد عطـــا**	١٢
١	**السياسة الحيثية تجاه مملكة أمورو في عهد الملك تودخاليا الرابع (١٢٣٧-١٢٠٩ق.م.) في ضوء معاهدة التبعية**	**د/عـــزة علي أحمد جـــاد الله** أ.م. تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ	١٥
٢	**السكيثيون ومملكة البوسفور اليونانية في شمال البحر الأسود من القرن السابع إلى القرن الثاني ق.م**	**د/ شروق سمير منصور هيكل** مدرس التاريخ اليوناني والروماني كلية الآداب– جامعة المنصورة	٧٢
٣	**علاقة الدولة الساسانية بيثرب ومكة قبل الإسلام**	**د. نورة بنت عبد الله النعيم** أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك جامعة الملك سعود	٩٨
٤	**وظيفة البريفكت في مصر البيزنطية (٢٨٤ – ٦٤١م)**	**أ.م.د: هويدا سيد على محمد** أ.م. تاريخ العصور الوسطي كلية الآداب – جامعة حلوان	١٢٠
٥	**أبناء موسى بن نصير ودورهم في فتح بلاد المغرب والأندلس (٧٩هـ - ٦٩٨ م /١٠٢هـ - ٧٢١م)**	**د. محمود كامل محمد الكافي** مدرس التاريخ الإسلامي كلية التربية – جامعة مطروح	١٦٥
٦	**الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسيين خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م)**	**د. هدى محمد سعيد سندي** أ.م. كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – جامعة أم القرى	٢١٣
٧	**ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس منذ عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف (١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م)**	**د. أنـــور محمـــود زنـــاتي** الاستاذ المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس	٢٤٥

٨	**النظام القضائي في الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م)**	**د/محمد زين العابدين محمد** أ.م.د. تاريخ الحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة طنطا	٢٨٩
٩	**إيجارات أوقاف اليهود السُّكْنية بالفُسْطَاط في العصر الأيوبي مع دراسة عقد إيجار سَكَن في أوقاف اليهود الربانين ونشره مؤرخ في ٢ شعبان سنة ٦٢٦هـ/٢٥ يونيو ١٢٢٩م**	**د. عمر جمال محمد علي** أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد كلية الآداب–جامعة سوهاج	٣٧٧
١٠	**جبال المدينة المنورة وحراتُها في كتب الرحلة العربية خلال العصر العثماني ٩٢٣- ١٢١٣هـ / ١٥١٧- ١٨٠١م - (دراسة تاريخية)**	**أ.د/ سامح إبراهيم عبدالفتاح** أستاذ بقسم التاريخ – كلية الدعوة الجامعة الإسلامية	٤٢٥
١١	**البحر المتوسط في الصراع البريطاني الفرنسي إبان الحملة الفرنسية على مصر**	**أ.د أشرف محمد مؤنس** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ومدير مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس	٤٦٣
١٢	**انتحار هربرت نورمان عام ١٩٥٧م وأثره على العلاقات الكندية- الأمريكية**	**أ.د. شريف محمد أحمد عبد الجواد** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد كلية الآداب– جامعة المنيا	٤٩٦
١٣	**موقف غانا من سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا (أكتوبر ١٩٦٩- يناير ١٩٧٢م)**	**د. أحمد محمد عبد المعز محمد** مدرس التاريخ الحديث والمعاصر كلية الآداب– جامعة المنيا	٥٦٥ إلى ٦٥٩

كلمة الافتتاح

أ.د. محمد عيسى الحريـــري
رئيس اتحاد المؤرخين العرب

أعزائي وزملائي.... **وأصدقائي الأحباء..**

وتمضي الأيام.. ويتجدد اللقاء الذي ننتظره بلهفة واشتياق – عامًا بعد عام– لألتقي بكم عبر هذه السطور والكلمات المتواضعة في مجلتنا الكبيرة **مجلة المؤرخ العربي** التي نعتبرها جميعًا موسوعة ثقافية كبيرة .. وحاوية تاريخية عظيمة لما تحتويه من أبحاث علمية قيمة ومتنوعة تفوح منها رائحة الماضي وأصالة الحاضر وأريج المستقبل بعلم مزدهر وتاريخ متجدد وعطاء لا ينقطع.

وبصدور العدد الثلاثين من **مجلة المؤرخ العربي** يكون قد مر على اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة حتى الآن ثلاثون عامًا انقضت بالجهد والعرق والعطاء، لم يبخل أحد من أعضاءه بأي جهد أو عمل يُطلب منه. فالكل كان يعمل جنبًا إلي جنب بروح الأخوة والزمالة في ضوء حرية الفكر وجراءة الرأي بكل أصالة وصدق وسمو الأهداف وأدب النقاش.

كل عضو ساهم بكل ما يملك ابتداءً من السادة الأفاضل مؤسسي الاتحاد الأوائل حتى الأخوة الأعزاء أعضاء مجلس الإدارة الحالي الذين تسلموا الراية عالية مرفوعة ليكملوا مشوار العلم والحياة على طريق الحرية الذي رسمه علماؤنا الكبار من شوامخ المؤرخين العرب–منذ نشأته– على مبدأ علامة الأمة وإمام الأئمة **ابن خلدون** في مقدمته الخالدة: "**إن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية**". وهذا هو حال السابقين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم.

زملائي الأعزاء...

إننا الآن في سبيلنا ليتخذ **اتحاد المؤرخين العرب** –بمشيئة الله تعالى– وضعًا عالميًا بارزًا كأحد المنظمات العلمية الكبيرة على المستوى الإقليمي والدولي.

فالاتحاد بوضعه الحالي سيصبح **هيئة علمية عالمية عظيمة وكبيرة** يضم نخبة كبيرة من كبار مؤرخي العالم العربي بخبرتهم وعلمهم ورؤيتهم المستقبلية.

كما يضم الاتحاد أيضًا شبابًا مليئًا بالحيوية والنشاط يملكون طاقة علمية كبيرة وعقلًا متفتحًا منيرًا، وكلهم يحملون على عاتقهم تراث الأمة العربية بتاريخها العريق وحضارتها الأصيلة، وآن لنا أن نحتفل معهم جميعًا بالعيد الثلاثين لاتحاد المؤرخين العرب بما قدمه من إنجازات وأنشطة كثيرة وعلومًا وثقافات غزيرة على المستويين الإقليمي والدولي.

إن ثمة حقيقة ينبغي ألا تفوتنا أيضًا وهي: أن الاتحاد قد فتح أبوابه للباحثين والدارسين لنشر وتحكيم الأبحاث المتميزة والمتنوعة فكريًا وعلميًا بدءًا من العصر القديم مارًا بالعصور الوسطى والإسلامية حتى العصر الحديث والمعاصر، بل كثف الاتحاد أنشطته العلمية باللقاءات الثقافية من خلال .. إقامة المؤتمرات السنوية، والندوات العلمية والتي تعقد شهريًا، ويناقش من خلالها تاريخ الأمة العربية والإسلامية على مر العصور ويشارك فيها نخبة كبيرة من السادة علماء التاريخ والآثار في مراحل العصور الأربعة، سواءً كان حضوريًا بقاعة مؤتمرات الاتحاد، أو بالمشاركة عبر برنامج **(الزووم)** مما يتيح للحاضرين والمشاركين من الخارج فتح باب المناقشة العلمية وتبادل الآراء لتعم الفائدة على الجميع.

وأخيرًا .. أحبائي الكرام .. لا يسعني إلا ان اتوجه إليكم جميعًا بجزيل الشكر والعرفان على حسن تعاونكم وإسهاماتكم الفعالة ومشاركتكم في جميع الأنشطة العلمية والفكرية بفضل تجاوبكم الدائم معانا.

أشكركم مرة أخرى على أمل من الله تعالى أن نلتقي على خير دائم وعلم نافع سائلين المولى عز وجل لنا ولكم التوفيق والسداد..

أ.د. محمد عيسى الحريري

كلمة التحرير

رئيسة التحرير
أ.د. زبيدة محمد عطا
مسئولة النشاط الثقافي

لقد مضى على انتقال اتحادنا العربي أكثر من ثلاثين عامًا بعد انتقاله لمقره في القاهرة، شاهدت تطورات وإنجازات عديدة، أولها زيادة عدد الأعضاء والاقبال على المشاركة في عضويته وأنشطته، ولدينا مقران مجهزان بأفضل التقنيات، ومؤتمر شارك فيه غالبية الدول العربية، وندوات شهرية وأدت استعمال تقنيه الزووم إلى زيادة إعداد المشاركين فيها.

أما بالنسبة لمجلة المؤرخ العربي، فقد حصلت على أعلى تقدير من بنك المعرفة، ولقد ازداد الإقبال على النشر في المجلة من مصر ومختلف أنحاء العالم العربي، فلدينا أربعة وعشرون بحثًا علميًّا شارك فيه أعضاء من مصر والسعودية والكويت، وهي دراسات جادة محكمة من كبار الأساتذة وتطرقوا فيها بين التاريخ السياسي والحضاري، وأنتقلت عبر الفترات الزمنية المختلفة، من تاريخ العرب إلى تاريخ الغرب إلى الصلات والعلاقات السياسية والحضارية، فهناك أبحاث تناولت التاريخ القديم وتوغلت في القدم مثل سياسة الحيثيين تجاه مملكة أمورو في القرن الثالث عشر قبل الميلاد انتقالًا للفترة البيزنطية، حيث تناولت إحدى الوظائف في مصر البيزنطية، وبحث عن علاقة الدولة الساسانية بمكة قبل الإسلام، انتقالًا للفترة الإسلامية وبعضها تناول تاريخ المشرق والبعض تاريخ المغرب الإسلامي، وكنموذج لهذا أثر تطور العمارة الأموية والتأثيرات المشرقية على فنون العمارة الأندلسية، القضاء في العصر السامانى، ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس، أبناء موسى ودورهم في فتح بلاد المغرب والأندلس، انتقالًا للعصر الحديث، مثل البحر المتوسط في الصراع البريطاني العربي، ضم القنفذة تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود، انعكاسات ثورة يوليو على السياسية البريطانية تجاه أفريقيا، الطباعة في مكة المكرمة. إلخ...، وهي أبحاث تشكل موسوعة منوعة من الثقافة والعلم. **والله ولي التوفيق**

هيئة التحرير

أ.د. حامد زيان غانم أ.د. عفاف سيد صبرة أ.د. عفيفي محمود إبراهيم

السياسة الحيثية تجاه مملكة أمورو في عهد الملك تودخاليا الرابع (١٢٣٧-١٢٠٩ق.م.) في ضوء معاهدة التبعية

أ.م.د/عزة علي أحمد جاد الله
أستاذ مساعد تاريخ وحضارة
مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ

الملخص:

يتناول هذا البحث الحديث عن السياسة التي اتبعها الملوك الحيثيون تجاه مملكة أمورو من خلال معاهدات التبعية الحيثية، وبصفة خاصة معاهدة الملك الحيثي تودخاليا الرابع وملك أمورو شاوشجا– موا، تلك المعاهدة التي تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة معاهدات التبعية المبرمة ما بين حاتي ومملكة أمورو، فقد سبقها إبرام معاهدة ما بين الملك الحيثي شوبيلوليوما الأول والملك الأمورى عزيرو، ثم المعاهدة التي أبرمت ما بين الملك الحيثي خاتوشيلى الثالث والملك الأمورى بنتي– شينا. وقد تم اختيار هذه المعاهدة كونها تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة معاهدات التبعية هذه، كما أنها تقدم العديد من المعلومات التاريخية عن الوضع والأحداث السابقة لإبرامها سواءً داخل العرش الحيثي أو على مستوى مملكة أمورو.

وقد أدت دراسة هذا الموضوع إلى عدة نتائج لعل أهمها:

- كان الهدف الرئيس من توقيع معاهدات التبعية هو إحداث حالة الاستقرار، وذلك من أجل إحكام السيطرة على تلك الممالك، وضمان مساندتها في المعارك العسكرية.
- قدمت هذه المعاهدة ذكرًا للعديد من الواجبات التي تفرض على الملك التابع ما بين:

– مساندة الملك الحيثي وقت الحروب والمعارك العسكرية.
– أن يكون عدوًا لعدو الملك الحيثي التابع له، وصديقًا لصديق الملك أيضًا.
– يُحرم عليه الدخول في أية علاقات دون علم ومعرفة الملك الحيثي التابع له.
– إرجاع الهاربين لديه إلى الملك الحيثي.
– دعم الملك التابع لسلالة لملك الحيثي العظيم التابع له، أي يكون تابعًا أيضًا لأبنائه وأحفاده ومسانداً لهم.

الكلمات الدالة: – تودخاليا الرابع، مملكة أمورو، معاهدات التبعية، شاوشجا– موا

Abstract:

This research deals with the talk about the policy pursued by the Hittite kings towards the Amuru kingdom through the Hittite dependency treaties, in particular the treaty of the Hittite King Tudhaliy IV and the King of Amuru Šaušga-Muwa, that treaty which represents the last link in the series of dependency treaties concluded between Hati and the Amuru Kingdom. It was preceded by the conclusion of a treaty between the Hittite king Šuppiluliuma I and the Amorite king Aziru, and then the treaty concluded between the Hittite king Hattsili III and the Amorite King Bente-Shina. This treaty was chosen as it represents the last link in a series of these dependency treaties. It also provides many historical information about the situation and events prior to its conclusion, whether within the Hittite throne or at the level of the Amuru kingdom.

The study of this topic has led to several results, perhaps the most important of which are:

- The main objective of signing dependency treaties was to bring about a state of stability, in order to tighten control over those kingdoms, and to ensure their support in military battles.
- This treaty mentioned many of the duties imposed on the dependent monarch among:

- Supporting the Hittite king during wars and military battles.
- To be an enemy of the enemy of the Hittite king, who is a follower of him, and a friend of the king's friend as well.
- It is forbidden for him to enter into any relations without the knowledge and knowledge of the Hittite king who belongs to him.
- Returning his fugitives to the Hittite king.
- The support of the king belonging to the dynasty of the great Hittite king who is affiliated with him, that is, he is also subordinate to his children and grandchildren and supports them.

Key words: -Tudhaliy IV, Kingdom of Amuru, Dependency Treaties, Šaušga-Muwa

مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على السياسة التي اتبعها الحيثيون تجاه مملكة أمورو من خلال معاهدات التبعية الحيثية، وبصفة خاصة معاهدة الملك الحيثي تودخاليا الرابع وملك أمورو شاوشجا– موا، تلك المعاهدة التى تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة معاهدات التبعية المبرمة ما بين حاتي ومملكة أمورو، فقد سبقها إبرام معاهدة ما بين الملك الحيثي شوبيلوليوما الأول والملك الأمورى عزيرو، ثم المعاهدة التي أبرمت ما بين الملك الحيثي خاتوشيلى الثالث والملك الأمورى بنتي– شينا. ولعل توقيع مثل هذه المعاهدات مع مملكة أمورو إنما يعكس مدى ما تتمتع به تلك المملكة من مكانة كبيرة، فهي تمتلك حدودًا ساحلية تمتد ما بين مملكتي جبيل وأوجاريت، كما جاورت من الداخل العديد من الممالك الصغيرة مثل كنزا (كزا / قادش) وتونيب ونيا. الأمر الذي جعلها تحتل مكانة كبيرة على المسرح السياسي ومن ثم تنافست القوى العظمى في السيطرة عليها.

وقد جاء اختيار تلك المعاهدة للدراسة نظرًا لعدد من الأسباب منها:

– كونها تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة معاهدات التبعية هذه ومن ثم فهي تقدم العديد من المعلومات التاريخية عن الوضع والأحداث السابقة لإبرامها سواءً داخل العرش الحيثي أو على مستوى مملكة أمورو.

– أن كل معاهدات التبعية الحيثية السابقة لهذه المعاهدة تم ترجمتها إلى اللغة الأكادية حيث اللغة الرسمية المستخدمة في الاتفاقيات والمراسلات بين الملك الحيثي العظيم والحكام التابعين له في سوريا. ماعدا هذه المعاهدة فقد كتبت باللغة الحيثية؛ وذلك نظرًا لأن ملك أمورو شاوشجا– موا كان زوجًا لأخت الملك الحيثي تودخاليا الرابع.

– قدمت هذه المعاهدة العديد من المعلومات عن الحقوق والواجبات التي ينبغي على الملك التابع الالتزام بها وكذلك ما يجب على الملك الحيثي العظيم القيام به نحو تابعه. حيث قدمت نموذجين مختلفين من معاهدات التبعية، الأول الخضوع طواعية والذي تمثل في خضوع عزيرو للملك الحيثي شوبيلوليوما الأول، أما الثاني وهو

الخضوع بعد الهزيمة بقوة السلاح، والذي تمثل في نجاح الملك الحيثي مواتللى الثاني في السيطرة على أمورو. هذا، وقد جاء تناول هذه الدراسة على النحو التالي:

- مقدمة
- **أولاً:** تسمية أمورو وموقعها.
- **ثانيًا:** السياسة الحيثية تجاه مملكة أمورو قبل عصر الملك تودخاليا الرابع(١٢٣٧-١٢٠٩ق.م.).
- **ثالثًا:** سياسة الملك تودخاليا الرابع(١٢٣٧-١٢٠٩ق.م.) تجاه مملكة أمورو وحاكمها شاوشجا- موا.

وقد تم تذييل البحث بخاتمة تناولت أهم ما تم التوصل إليه من نتائج.

بتأمل الوضع السياسى العام في غرب آسيا خلال الـ ٣٠٠٠عام الأولى من تاريخ تلك المنطقة، فربما ندرك أن كل ألفية تُظهر النموذج المختلف والمميز الخاص بها، والتي كانت تتخذه فى النظام السياسي الإقليمي الذي يستخدم في إدارة شؤون البلاد داخليًا وخارجيًا. فخلال معظم فترات الألفية الثالثة قبل الميلاد كانت كل من العراق وسوريا والأناضول مقسمة إلى العديد من الدويلات الصغيرة، كل واحدة منهم لا تزيد عن حجم مدينة بالأراضي النائية الزراعية المحيطة بها، فمثلاً على الرغم من أن المدن السومرية كانت تتشارك في التحدث بنفس اللغة وتستخدم نفس أسلوب الكتابة، كما أظهرت ديانتها وثقافتها الكثير من التشابه، فمع ذلك لم يكن هناك سلطة سياسية مركزية في الأراضي السومرية. وإن تكونت قرب نهاية هذه الألفية في بلاد العراق وسوريا كيانات سياسية إقليمية بواسطة ملوك أكد وأسرة أور الثالثة، في حين كانت مصر خلال هذه الفترة من تطور الحضارة تتمتع بوحدة وكيان حكومي ثابت وقوي. وربما يعبر عن هذه الفترة الزمنية من غرب آسيا باسم عصر المدينة الدولة[١].

(1) G.Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition",in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus" – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten, Berlin, 2006, p.279.

وفي الواقع فقد شهدت منطقة الشرق الأدنى القديم في بداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد سيطرة وهيمنة عدد من القوى العظمى مثل مصر وبابل وميتانى وحاتي وأشور، تلك القوي التي تنافست فيما بينها لبسط سيطرتها وفرض سيادتها على العديد من الكيانات والدول (الممالك السياسية الصغيرة) الواقعة خارج سيطرتها؛ حيث اعتبر كلا من مصر وبابل من اللاعبين الأساسيين في تلك المنطقة. فقد كانت تطورات الموقف الجيو– سياسي تتحكم في ذلك من حيث الاتحاد مع الحوريين في ميتاني في شمال سوريا والعراق، وكذلك الاتحاد مع مملكة الحيثيين[١]، و الأشوريين؛ إذ كان التعامل بين هذه الكيانات السياسية سواءً الكبيرة أو الصغيرة يُحكم بواسطة نظام من العلاقات الدبلوماسية التي تشكل أفعالهم المتغيرة من التعاون أو التنافس [٢].

(١) شهدت بداية الألف الثاني قبل الميلاد توافد الحيثيين إلى الأناضول قادمين من شرق البحر الأسود، حيث سهول روسيا الجنوبية ثم استقرارهم في كانيش (كول تبة حاليًا) التي عُدت موطن استقرارهم الأول، ولم يعرفوا باسم حاتي إلا بعدما تمكنوا من فتح منطقة وسط أو قلب هضبة الأناضول عند منعطف نهر الهاليس تلك المنطقة التي كانت تعرف باسم حاتي أي بعدما تمكنوا من فتحها أطلقوا عليها نفس الاسم وعرفوا به كذلك. هذا، وقد عرفت كذلك في النصوص المصرية باسم خيتا، وفي المصادر المسمارية باسم خاتي، وما إن تمكنوا من السيطرة على قلب الهضبة حتى قاموا بتأسيس دولة كبرى لهم واتخذوا من مدينة كوسارا عاصمة لهم. للمزيد انظر: عدنان محمد مجلي: "مملكة يمخد حلب ودورها السياسي والاقتصادي في الألف الثانى قبل الميلاد"، مجلة آداب ذي قار، ع٢٠، كلية الآداب – جامعة ذي قار، (٢٠١٦م)، ص٣٣.

(2) G.Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition",*in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus'' – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten*,p.280;A.B.Knapp and S.W. Manning, "Crisis in Context:The End of the Late Bronze Age in the Eastern Mediterranean", *AJA* 120,No.1(2016),pp.100-101.

هذا، وتعد مراسلات العمارنة[١] أحد أهم المصادر الرئيسة التي يمكن من خلالها دراسة تاريخ بلاد الشام ؛حيث شهد القرن الرابع عشر قبل الميلاد إقامة العديد من علاقات الصداقة والدبلوماسية بين ما عرف باسم نادي القوى العظمى (مصر، بابل، حاتي، أشور، وميتانى)؛ حيث أفرزت هذه العلاقات خلال تلك الفترة عدد كبير من المراسلات بالإضافة إلى إعطاء لمحة عن الوضع السياسى والاجتماعي وكذا الاقتصادي لهذه الفترة ، ومع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد توقف معه النشاط بين تلك الدول، وأصبح وضع تلك القوى كالتالي إما الزوال لمملكتي حاتي وميتانى، وإما الدخول في حالة الصراع والفوضى مثل مملكة أشور[٢].

فتلك المراسلات تقدم تصورًا عن حالة الصراع والنزاع الدولي حول فرض السيادة والسيطرة على سوريا بين القوى الحيثية والمصرية و الميتانية، وكذا تبين حالة التفكك والتمزق التي كانت عليها العديد من الكيانات السياسية في سوريا مثل أمورو وقطنه (تل المشرفة Tell Mišrife شمال شرق حمص) [٣] ودمشق و الالاخ (تل

---

(١) يقع تل العمارنة على الضفة الشرقية للنيل في محافظة المنيا ،وقد عثر به على العديد من الألواح بلغت هذه نحو ٣٨٢ وثيقة منها ٣٥٠ وثيقة تم تبادلها بين القوى العظمى (مصر وحاتي وأشور وبابل، و ميتانى)، واستخدمت مبدأ المساواة ظهر ذلك من خلال استخدامها كلمة أخ، وكلمة أختي. أما باقي المراسلات فقد تمت بين الحكام المحليين في سوريا وفلسطين، وقد كتبت باللغة الأكادية والكتابة المسمارية. للمزيد انظر: صلاح رشيد الصالحى:" الدبلوماسية البابلية فى عصر العمارنة دراسة في رسائل العمارنة"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٦، ع٦، (٢٠٠٩م)، ص٣٦٢-٦٤؛ فاروق إسماعيل:" مملكة نخشى في المصادر الأكدية والمصرية القديمة"، مجلة دراسات تاريخية، ال عددان١١٥-١١٦، (٢٠١١م)، ص٣٢.

(٢) صلاح رشيد الصالحى : " العلاقات الأشورية الحثية في القرن الثالث عشر ق . م دراسة الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين الملكين"، مجلة دراسات تاريخية، ع ٢٢، بغداد، (٢٠٠٩م)، ص ٨-٢٧.

(3) A.Ahrens," A Journey's End – Two Egyptian Stone Vessels with Hieroglyphic Inscription from The Royal Tomb AT Tell Mišrify / Qatna", *Äg Lev* 16(2006) ,p.15.

العطشانة شمال منعطف نهر العاص اتجاه البحر المتوسط أي على بعد حوالي ٢٠كم إلى الشرق من مدينة إنطاكية) [١]وغيرها... تلك الكيانات التي لم تجد في نفسها القدرة علي مواجهة تلك القوى عسكريًا، ومن ثم، فقد لجأت إلى عقد المعاهدات والتحالفات معها الأمر الذي جعلها خاضعة وتابعة لتلك القوى[٢].

ولعل من أهم تلك الكيانات فى سوريا مملكة أمورو، وسوف يتم تناول ذلك على النحو التالي:

- **أولاً: تسمية أمورو وموقعها:**

في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد عُرفت بلاد أمورو باسم MAR.TU في السومرية، وبالاسم A-mur-ru في الأكادية؛ حيث قُصد بها الإشارة إلى الغرب أي المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات ، تلك التسمية التي تنطبق على معظم المنطقة التي تشغلها سوريا الحديثة[٣]. إلا إنه بحلول منتصف الألف الثانى قبل الميلاد أصبحت هذه التسمية تُطلق على منطقة جغرافية أخرى تقع تقريبًا ما بين سهل حمص وساحل البحر المتوسط، وقد حملت نفس الاسم "أمورو".أي إنه تم استخدام الاصطلاح الأكادي A-mur-ru بمفهوم واسع ليعطي معنى الغرب أو أرض الغرب، وفي الوقت نفسه يشير إلى إحدى الممالك الساحلية الصغيرة الواقعة فى لبنان [٤].

---

(١) جهان عزت محمد: " العلاقات بين حلب وألالاخ خلال الألف الثانى ق.م. "،مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٣،ع٦، جامعة طرطوس، (٢٠١٩م)، ص٥٠.

(٢) فاروق إسماعيل :" معاهدات الملك الحثى شوبيلوليوما الأول نحو ١٣٨٠–١٣٤٠ق.م. مع الممالك السورية"، مجلة السياحة والآثار، مج٢١، ع١، جامعة الملك سعود، (٢٠٠٩م)، ص٢.

(3) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History*, Oxford,2014,p.46.

(٤) جهان عزت محمد : أخبار مملكة أمورو فى النصوص الأكدية ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، ٢٠٠٩م، ص ١١ .

فمملكة أمورو (خريطة رقم١) تقع ما بين بيبلوس Byblos و أرواد Arwad ، كما إنها تمتلك حدودًا ساحلية تمتد ما بين مملكتي أوجاريت[١] و جبيل كما جاورت من الداخل العديد من الممالك الصغيرة مثل كنزا Kinza (كزا / قادش Qadesh على نهر العاص وتعرف باسم تل النبي مند Tell Nebi Mend) [٢]وتونيب Tunip (في منتصف وادى أورانتيس Orontes العاص) و نيا. ومنذ أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وإحداث حالة التفاهم والتوافق المصري – الميتانى فيما يتعلق بتقسيم مناطق السيادة والنفوذ في سوريا، فقد خضعت أمورو للنفوذ والسيطرة المصرية؛ حيث

(١) وردت أوجاريت Ugarit في مراسلات العمارنة بالصيغ التالية: U-ga-ri-ta / U-ga-ri-it / ga-ri-ti؛حيث برزت أوجاريت (أوغاريت) كمركز تجاري مهم نظرًا لما تمتعت به من موقع جغرافي متميز في شمال سوريا بالقرب من البحر المتوسط؛ حيث تقع بقاياها اليوم في تل رأس شمرة، وهو موقع أثرى يقع بالقرب من البحر المتوسط، وعلى مقربة من مدينة اللاذقية في سوريا، وقد جعلها موقعها المتميز أهم مركز تجاري وحضاري في سوريا خلال الألف الثاني قبل الميلاد. للمزيد انظر: هديب حياوى غزالة: "أوغاريت: مركز تجارة العالم القديم"، مجلة بابل – العلوم الإنسانية، مج ١٨، ع٤، جامعة بابل، (٢٠١٠م)، ص٩٨٧؛ وكذلك:

R. Westbrook," The Naptaru at Ugarit", JCS 60(2008), pp.53-5; L.Fisher," Double Attribution in aletter from Egypt to Ugarit (RS 88.2158)", JAOS 135,No.4(2010),pp.619-21.

(2) Y. Goren and (Others)," The Expansion of the Kingdom of Amurru According to the Petrographic Investigation of the Amarna Tablets", *BASOR* ,No.329 (2003) ,pp.1-11;A.R.Schulman," Some Observations on the Military Background of the Amarna Period ", *JARCE* 3 (1964),p.66.

أشرف على إدارة شؤونها مصري كان يقيم في صومر Sumur [١]، بالإضافة إلى العديد من الحكام المحليين الخاضعين لمصر[٢].

أخذت مملكة أمورو في الازدهار بشكل كبير في أواخر العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠–١٢٠٠ق.م.) [٣] (ملحق رقم ١) ؛ حيث ذكرها الملك الاشورى أشور– ناصر – ابلا الثانى Ashur –nasir –apli II (٨٨٣–٨٥٩ق.م.) [٤] خلال تسجيله لأسماء المدن الدول التي تسلم منها الجزية، والتي تقع فى نطاق أرض أمورو

---

(١) صومر Sumur /Simyra وهي تل غزال Tell Kazal الذي يقع على الساحل السوري، على بعد نحو ٣.٥كم من الساحل، وعلى بعد حوالي ٨كم شمال النهر الكبير الجنوبي nahr-al-kabir al –Ganubi وقديمًا كان يعرف باسم(Eleuthero) وعلى بعد أيضًا نحو ١٨كم جنوب طرطوس (Tartous)، وقد تمكن عبدى–أشرت(عشرتا) وابنه عزيرو من الاستيلاء عليها؛ نظرًا لمكانتها المتميزة، فهي المدينة المركزية في أمورو. للمزيد انظر:

L. Badre," Tell Kazel-Simyra:A Contribution to a Relative Chronological History in the Eastern Mediterranean during the Late Bronze Age", *BASOR* ,No.343(2006),p.65.

(٢) فاروق إسماعيل :" معاهدات الملك الحثى شوبيلوليوما الأول نحو ١٣٨٠–١٣٤٠ق.م.مع الممالك السورية"، ص٧.

(٣) تم تحديد الفترة التي يشغلها العصر البرونزي القديم(٣٠٠٠–٢٠٠٠ق.م.)، وجاء العصر البرونز الوسيط ليشغل الفترة (٢٠٠٠–١٥٥٠ق.م.)، أما العصر البرونزي المتأخر (الحديث) أو ما يعرف بالعصر الدولي فيشغل الفترة (١٥٥٠–١٢٠٠ق.م.) . للمزيد انظر: عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار:" طبيعة العلاقات التجارية بين أوغاريت والإمبراطورية الحثية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج ٤١، ع٢٣، جامعة الملك سعود، (٢٠١١م)، ص١٥٤.

(٤) خلف الملك أشور– ناصر –ابلا الثانى Ashur –nasir –apli II (٨٨٣–٨٥٩ق.م.) والده الملك توكلتى ننورتا الثانى (٨٩٠–٨٨٤ق.م.) على عرش أشور؛ حيث ورث عنه إمبراطورية واسعة مترامية الأطراف، ولعل أهم ما يميز عهد هذا الملك هو القدرة على الوصول إلى البحر المتوسط وإحكام السيطرة على شمال سوريا، وقد خلفه على العرش ابنه شلمانو– اشاريد الثالث(٨٥٨–٨٢٤ق.م.) .للمزيد انظر: معاذ حبش خضر العبادي: الحوليات الملكية في العصر الاشورى الحديث دراسة تحليلية ،رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠٠٦م)، ص٤٤–٥.

وهي : صور، صيدا، بيبلوس، ماخاتو Mahallatu ، ما–ى–زا ma-i-za ، أمورو، ومدينة أرواد(١).

ومن ثم، يمكن القول بأن مملكة أمورو كانت في البداية مجرد منطقة جبلية صغيرة تقع في منطقة الجبال في المنحدرات الغربية من جبل لبنان وبطول نهر الكبير Nahr-al-kabir، ثم حدث توسع تدريجي لتلك المملكة. وفي أوج توسعها وذروته كانت تغطي المقاطعة الواقعة بين طرابلس على الساحل اللبناني ومنطقة الاورانتيس " العاص" Orontes في غرب سوريا(٢).

حيث تتشكل هذه داخل مثلث تكون من خلال ثلاثة حصون ومعاقل مصرية أساسية تم إنشاؤها خلال الحملات العسكرية التى قام بها الملك المصري تحوتمس الثالث(١٥٠١–١٤٤٧ق.م.) على سوريا(٣) وهم : أولازا Ullaza (٤)، وصومر على السهل الساحلي، و تونيب، وفى الواقع، يبدو أن هذه المنطقة قد أخذت تعريفها الجيو– سياسي هذا على إثر تدعيم المصريين لممالكهم السورية ، عندما أصبحت

(1) R.R. Stieglitz ," The City of Amurru", *JNES* 50,No.1(1991),p.45.

(2) Y. Goren and (Others)," The Expansion of the Kingdom of Amurru According to the Petrographic Investigation of the Amarna Tablets", p.1.

(3) D.D. Luckenbill," The Hittites", AJT 18,No.1(1914),p.32.

(٤) تعد أولازا Ullaza أحد المواقع القديمة التي تم ذكرها في السجلات المصرية؛ حيث ورد ذكرها في عصر الدولة الوسطى في نقوش Khnumhotep III ، وفي عصر الدولة الحديثة في حوليات الملك تحوتمس الثالث وفي مراسلات العمارنة، وفى نصوص الملك سيتى الأول والملك رعمسيس الثاني، وفيما يتعلق بموقعها فقد اختلاف بشأنه؛ حيث أشار Bryce أنها تقع على الحد الجنوبي لامو رو، في حين ذكر Misler أنها تقع على بعد نحو ٤٠كم شمال Tripoli، بينما اقترح Sethe أنها تقع بالقرب من مدينة صور، وعلى أية حال تعد أولازا من المدن المهمة التي ورد ذكرها في المصادر المصرية ؛ حيث خضعت لسيطرة مصر وبصفة خاصة في عهد الدولة الحديثة. وللمزيد انظر:

M. Abo- Eleaz," The Egyptian Role in Ullaza during The Second Millennium B.C", EJARS 7(2017) ,pp. 27, 34; K.Kopetzky and (others), "Between Land and Sea", *ÄgLev* 29 (2019),p.116.

سوريا مقاطعة لهم في أقصى الشمال، وبالرغم من ذلك، فإن اسم أمورو نفسه لم يذكر في أي من المصادر المصرية قبل عصر العمارنة [١].

ومع سقوط الإمبراطورية الحيثية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد فقد لاقت أمورو نفس المصير، وكذلك جارتها الشمالية أوجاريت، وفي عام ١١٧٥ق.م. كانت سواحلها تستخدم كأرض للمعركة التى دارت بين الملك رعمسيس الثالث (١١٩٠-١١٥٩ق.م.) [٢] والحشود الغازية من شعوب البحر Sea Peoples[٣]، وقد ظهرت أمورو في نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولكن في هذه المرة في السجلات الأشورية ؛حيث قام الملك تجلات بلاسر الأول1 Tiglath- Pileser (١١١-١٠٧٧ق.م.) بإحدى الحملات العسكرية على أمورو، والتي كانت في تلك

(1) I. Singer," The " Land of Amurru" and the " Lands of Amurru" in the Šaušgamuwa Treaty", *Iraq* 53(1991),p.69.

(2) E. Thomas," Ramesses III :Notes and Queries", *JEA* 45,(1959),PP.101-102;.G.A.Gaballa,"Three Documents from the Reign of Ramesses III", *JEA* 59(1973),pp.109-113.

(٣) عُرف شعوب البحر بهذا الاسم لكونهم يشكلون مجموعة من شعوب البحر المتوسط التي قدمت إلى جنوب غرب آسيا الصغرى وشمال شرق الساحل الأفريقي من المنطقة الإيجية (آسيا الصغرى والبلقان) ، وقد ورد ذكر عدد من هذه الشعوب في المصادر والنقوش المصرية وهم البلست Pelest واللكيون– لوكا، الشيردان، الدانيوان Denyen ، وسيكول الشيكليش. حيث سجلت المصادر المصرية هجوم شعوب البحر على مصر وكان ذلك في بداية الأسرة التاسعة عشر، ففي عصر الملك رعمسيس الثانى |(١٢٨٠-١٢٢٤ق.م.) حدث تصادم ما بين المصريين ولوكا والشيردان ، فى حين شهد عصر الملك مرنبيتاح التعرف على شيكليش وتورشا والاكايوش. للمزيد انظر: الصديق بودوارة المغربي:" شعوب البحر بين الحلفاء الليبيين والمصادر المصرية "، المجلة الليبية العالمية، ع٣٣، كلية التربية بالمرج– جامعة بنغازي، (٢٠١٧م)، ص١-١١؛ سليمان حامد الحويلى:" شعوب البحر في المصادر النصية الأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع ١٦، القاهرة ،(٢٠١٥م)، ص١٩١-٢٢٩؛ محمد العلامى: "الزى العسكرى لرجال شعوب البحر في الرسومات المصرية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع٢٨، جامعة القدس المفتوحة، (٢٠١٢م)، ص٣٥٦ .

الفترة لا تحتوي فقط على أرواد و صومر على الساحل ، ولكنها كانت تحتوي أيضًا على تدمر Tadmor الواقعة في الصحراء السورية . وقد ورد ذلك في نصوص الملك تجلات بلاسر الأول كالتالي:

ولقد ذهبت إلي جبل لبنان، وقمت بقطع وإحضار أشجار الأرز لمعبد أنو وأدد، معبوداتي العظام. وفي أثناء عودتي من حملتي ضد أمورو. حيث تمكنت من إخضاع أمورو بكاملها. وحصلت على الجزية من جبيل، وصيدا، وأرواد. ثم عبرت في سفن أرواد من أرواد التي تقع على شاطئ البحر إلى صومر في أرض أمورو (١).

ويبدو أن أمورو قد عادت إلى مفهومها الجغرافي الواسع الذي يمثل وسط سوريا بأكملها؛ حيث تحدها أرض حاتي من الشمال حسب ما جاء في المصادر الأشورية. وهذا المعنى الواسع لأمورو يبدو أنه أصبح مفهومًا عامًّا في المصادر الأشورية اللاحقة عندما أصبح اسم أمورو يطلق على الغرب بصفة عامة(٢).

- **ثانيًا:السياسة الحيثية تجاه مملكة أمورو قبل عصر الملك تودخاليا الرابع(١٢٣٧-١٢٠٩ق.م.)** (٣)

شهدت بلاد أمورو حالة من الفوضى السياسية العامة التي اجتاحت تلك المنطقة بأكملها حتى تم الاستيلاء على السلطة بواسطة أحد أمراء الحرب المحليين ويسمى عبدى – عشراتا Abdi-Ashirta(٤)والذي اعترف اسميًّا بالسيادة والتبعية

(1) D.D. Luckenbil, Ancient Records of Assyria and Babylonia ,Vol.1, Chicago, 1929, p.98,No.302.

(2) I. Singer," The " Land of Amurru" and the " Lands of Amurru" in the Šaušgamuwa Treaty", p.70.

(٣) سوف يتم الحديث عنه فى موضع آخر من هذا البحث.

(٤) يعد عبدى – عشراتا Abdi-Ashirta الذي يعني اسمه عبد الإلهة عشتار أقدم حاكم لأمورو ورد ذكره في النصوص المسمارية ،كما يمكن القول بأنه ينتمي إلى تلك المجموعات شبه=

المصرية ، وأن الملك المصري هو سيده دلت على ذلك العديد من الرسائل منها التي أرسلها إلى الملك المصري أمنحوتب الثالث، والتي يؤكد فيها خضوعه وإخلاصه له، وقد جاء فيها:

(EA 60) من رسائل العمارنة

(١-٥) (إلى) الملك، إله الشمس، سيدي، يرسل إليك خادمك، عبدي – عشراتا Abdi-Ashirta؛ كالتراب تحت قدميك: أي عند قدم الملك، سيدي، فمن أجلك سجدت سبع مرات وسبع مرات أخرى.

(٦-١٣) انظر، أنا خادم الملك، وكلب منزله، أقوم بحماية أرض أمورو من أجل الملك،سيدي[١].

(EA 61) من رسائل العمارنة، والتي أشارت إلى نفس المعنى

(١-٥)(إلى الملك)، إله الشمس،سيدي ؛ يرسل إليك ، عبدى – عشراتا Abdi-Ashirta، خادمك (و) كطين(التراب) عند قدمك، كلب الملك، سيدي: عند قدميك اسجد سبع مرات، وسبع مرات من أجلك[٢].

وقد تكرر نفس النص فى العديد من الرسائل منه:(EA 63-65) وكون عبدي – عشراتا Abdi-Ashirta مؤسسًا لسلالة أمورو، فقد نجح في السيطرة على صومر[٣]

=الرعوية التي عرفت باسم خبيرو Habiru ، والتي كانت موجودة هناك . وتُظهر الرسائل أيضًا بأنه كان معاصرًا للملكين أمنحوتب الثالث والرابع في مصر وعدد من حكام بعض المدن في بلاد الشام، ويبدو أنه توفي في عهد أمنحوتب الرابع ١٣٤٥ق.م. للمزيد انظر: جهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكدية، ص١٠٣-٤.

(1) A.F .Rainey, *The El-Amarna Correspondence A New Edition of the Cuneiform Letter from the Site of El-Amarna based on Collations of all Extant Tablets, Vol.1, Edited by W.M.Schniedewind*, Leiden-Boston, 2015, p.417.

(2) A.F .Rainey, *The El-Amarna Correspondence A New Edition of the Cuneiform Letter from the Site of El-Amarna based on Collations of all Extant Tablets ,Vol.1,Edited by W.M. Schniedewind*, p.420.

(٣) تمكن من الاستيلاء على صومر، إلا إنها بعد وفاته عادت لمصر وللسيادة المصرية. وبتولي ابنه عزيرو حكم أمورو، نجح فى السيطرة على صومر وقام بتدمير حصونها، وقتل ربعدى=

حيث مقر إقامة باهناتا Pahhanata (أو بخناتى أي خادم الإله) [١]الحاكم المصري، مستغلاً غياب التواجد المصرى، ومستعينًا في ذلك بمجموعات محلية شبه رعوية تسمى خبيرو Habiru[٢]؛ حيث شكل منهم قوة عسكرية محاربة قوية ومؤثرة جدًّا [٣] قامت بترويع ونهب الدول المجاورة لها حتى تم القبض على قائدها وربما تم إعدامه بواسطة السلطات المصرية[٤].

ورث عزيــرو Aziru (١٣٤٥–١٣١٤ق.م.) (اســم ســامي غربــي بمعنــى المساعد أو المعين أو بمساعدة اسم الإله) نفس الدور الذي قام به والده عبدي – عشراتا Abdi–Ashirta، أي إنه وافق من الناحية الاسمية بالسيادة المصرية، ومن ثم

=والاستيلاء على جبيل. للمزيد انظر: طالب عبد الله الصمادي:" الإدارة المصرية في بلاد الشام خلال حكم الدولة الفرعونية الحديثة حوالي ١٥٥٠–١٢٠٠ق.م."، مؤتة للبحوث والدراسات –سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٣، ع٦، جامعة مؤتة، (٢٠٠٨م)، ص١٦٠–٦٢.

(١) فاروق إسماعيل: مراسلات العمارنة الدولية وثائق مسمارية من القرن ١٤ق.م.، ط١، إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م، ص٢٠٦.

(٢) الخبيرو ha-bi-ru، لا يوجد هناك اتفاق بين الباحثين حول المعنى الدقيق لكلمة خبيرو؛ حيث حدث جدل حول أصلهم وكذا اشتقاق اسمهم وصلاتهم بالعبرانيين، وقد ورد ذكرهم في القرن الثامن عشر في سجلات ماري وأوجاريت وكذا في مراسلات العمارنة ،ومن خلال ورود الكلمة في كل تلك المراسلات، كان يتم تفسيرها بمعنى غزاة أو بدو، ولكن ظهورهم كمرتزقة في العديد من المعارك الحربية والعسكرية جعلت النصوص السومرية تشير إليهم على أنهم عصابة. للمزيد انظر: أحمد قدري: المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية ١٥٧٠ق.م–١٠٨٧ق.م.، ط١، ترجمة /مختار السويفى ومحمد العزب موسى، مراجعة د/محمد جمال الدين مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٣٦٥؛ وكذلك:

S.D.Waterhouse," Who are the Habiru of the Amarna Letters ?",*JATS* 12/1(2001),pp.31-42.

(3) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.47.

(4) G.E. Mendenhall," The Message of Abdi-Ashirta to the Warriors,EA74", *JNES* 6,No.2(1947),pp.123-4;M.Liverani," Implicazioni Sociali Nella Politica di Abdi- Ashirta di Amurru", *Rivista degli Studi Orientali* 40,Fasc.4 (1965), pp.267-77.

قام بإرسال عدد من الرسائل المعبرة عن ذلك والتي جاء بها:(EA 156) من رسائل العمارنة[١].

(١-٣) إلى الملك، سيدي، إلهي، إله الشمس، يرسل إليك عزيرو Aziru،

خادمك؛ الذي سجد سبع مرات وسبع مرات عند قدميك من أجل حماية سيدي... [٢].

بينما قام بسلب ونهب المقاطعات المجاورة له.وبالفعل فقد أدرك أن اهتماماته وتطلعاته يمكن تحقيقها من خلال التحالفات والانضمام للحيثيين الذين كانوا قد أصبحوا قوة ذات حضور واسع ومؤثر فى المنطقة، ويبدو أن عبدى – عشراتا Abdi-Ashirta رغم ميله إلى التعاون مع الحيثيين إلا إنه ظل طوال عهده متأرجحًا بين مصر وحاتي، ولم يتخذ على الأرجح موقفًا حاسمًا، ولم يبرم معاهدة [٣] أو تحالف مع الحيثيين. وربما

---

(١) وقد تكرر ذلك فى العديد من الرسائل (EA 159l)، و(EA 157)، و(EA 160)، و (EA 161)، و(EA 165)، (EA 168) .للمزيد انظر:

A.F .Rainey, *The El-Amarna Correspondence A New Edition of the Cuneiform Letter from the Site of El-Amarna based on Collations of all Extant Tablets ,Vol.1,Edited by W.M.Schniedewind,* pp.781-827.

(2) A.F .Rainey, *The El-Amarna Correspondence A New Edition of the Cuneiform Letter from the Site of El-Amarna based on Collations of all Extant Tablets ,Vol.1,Edited by W.M. Schniedewind,* p.781.

(٣) فالمعاهدة عبارة عن اتفاق بين بلدين أو أكثر، وتهدف إلى تنظيم العلاقة فيما بينهم، بحيث تلتزم الأطراف الموقعة لها بتنفيذ ما جاء بها، وتختلف أنواع المعاهدات ما بين معاهدات متكافئة في المنزلة والمكانة سواء العسكرية أو السياسية، وأخرى تعبر عن التبعية أي أن شروطها يتم فرضها من قبل البلدان القوية ويلتزم الطرف الأضعف بتطبيقها أي أنها تعكس رؤية الدول القوية فقط. ومن ثم يكون على الملك التابع تقديم كل فروض الولاء والطاعة، وكانت الآلهة هي من تشرف على تنفيذ هذه المعاهدة وتنزل اللعنات على من يقوم بنقضها. للمزيد انظر: أحمد عبد الرحمن عابدين محمد حسان: المعاهدات الدولية دراسة في تاريخ العراق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق؛٢٠٠٦م، ص١٨٦، ١٩٤.

يعبر موقفه هذا عن رغبته القوية فى التوسع تحت مظلة تلك القوى، وهذا ما اتبعه ابنه وخليفته عزيرو Aziru فى بداية الأمر[١].

وبالرغم من استمرار عزيرو في التأرجح ما بين الولاء والتبعية للملك المصري والتبعية للمك الحيثي، ولكن في الأخير اضطر إلى الاعتراف بالولاء والخضوع للملك الحيثي؛ حيث عقد معاهدة تبعية[٢] وخضوع مع الملك الحيثي شوبيليوليوما الأول Suppiluliuma 1 (١٣٧٠–١٣٤٠ق.م.) [٣]، ويبدو أنه قبل هذه المعاهدة من منطلق خوفه على ممتلكاته [٤]، وقد جاء فى مقدمة هذه المعاهدة:

---

(١) هاجر محمد على: الملك شوبيلوليوما الأول دوره ومكانته في المملكة الحثية (١٣٧٠–١٣٤٠ق.م.)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٨م، ص١١٢.

(٢) عُرفت هذه المعاهدات باسم معاهدات التبعية للملوك الحيثيين، وهى معاهدات دولية تتناول العديد من الجوانب التي يتضمنها القانون الدولي كالأسرى، والحدود، والتعاون العسكري وغيرها...ويستخدم فى صياغتها أسلوب الأمر سواءً في فرض الشروط أو في التحذيرات من عدم الالتزام بما ورد في بنودها، وكان على الطرف الأضعف الانصياع لما ورد بها؛ لأن ذلك سوف يضمن له الاستمرار على رأس الحكم والمساعدات العسكرية وكذا الاقتصادية، وفي نهاية المعاهدة تكون الآلهة شاهدة على تنفيذ ما جاء بها. للمزيد انظر: فاروق إسماعيل:" معاهدات الملك الحثى شوبيلوليوما الأول نحو ١٣٨٠–١٣٤٠ق.م. مع الممالك السورية"، ص١.

(٣) ورد اسم الحيثي شوبيليوليوما الأول Suppiluliu1 بثلاث صيغ هم: شوبيلوليوماش وشوبيلوليوما، وسوبيلوليوما، وهو اسم حيثي مركب يعطي معنى الطالع أو الناشيئ من نبع مقدس، ويمثل اعتلاؤه للعرش بداية عصر جديد للمملكة؛ حيث تحولت من حالة الدفاع إلى الهجوم، وذلك على حساب العديد من القوى العظمى في تلك الفترة. فقد استهل عهده بالقضاء على أخيه الأكبر منه تودخاليا الثالث، والذي شغل منصب ولاية العهد؛ حيث استغل رصيده ومكانته الكبيرة لدى قادة الجيش والفرسان والنبلاء، الأمر الذي مكنه من التخلص من أخيه ليعتلي هو عرش حاتي. للمزيد انظر: صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، بغداد، ٢٠١٠م، ص٧٥؛ أوسام بحر جرك: تأثير فنون بلاد وادي الرافدين على الفنون الحثية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب– جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص١١، وكذلك:
A. Goetze," The Predecessors of Suppiluliumas of Hatti and the Chronogy of the Ancient Near East", *JCunStud* 22, No.2(1968), pp.46-50.

(4) J.Berman," Histories Twice Told: Deuteronomy 1-3 and the Hittite=

لقد أصبح كل من ملك مصر،ملك موكيش (شمال أوجاريت) ، ملك كركميش، وملك حلب أعداء لي، ولكن عزيرو ملك أمورو أصبح تابعًا لجلالتي، فقد ركع عند قدم جلالتي، وعليه فقد أخذت عزيرو وجعلته ملكًا (١).

وبهذا ظلت أمورو تابعة للحيثيين حتى قام الملك سيتى الأول Seti1 (١٢٩٤-١٢٧٩ق.م.) (٢) بانتزاعها من نظيره الملك الحيثي مووتللى الثاني Muwattalli 11 (١٢٩٥-١٢٧٢ ق.م.) (٣) في معركة قادش الأولى حوالي عام ١٢٩٠ق.م. (٤) ثم عادت لاحقًا إلى سيطرة وسلطة الحيثيين بعد انخراطه في معركة قادش الثانية

=Treaty Prologue Tradition", *JBL* 132,No (2013),p.237.

(١) هاجر محمد على: الملك شوبيلوليوما الأول دوره ومكانته في المملكة الحثية (١٣٧٠-١٣٤٠ق.م.)، ص١٢٠-٢١.

(٢) تمكن الملك سيتي الأول خلال حملته الثانية والتي هاجم فيها أرض أمورو وقادش من الاستيلاء على العديد من المدن الآمورية، وخلال حملته الرابعة والتي شهدت حروبه في ليبيا والتي حقق فيها انتصارًا كبيرًا وتمكن من الاستيلاء على قادش ؛حيث خلد هذا الانتصار بإقامة لوحة تذكارية كرسها للمعبودات المصرية ست وآمون ومونتو في قادش نفسها. للمزيد انظر: سمر عصام صلاح الدين :" العلاقات بين مصر وخيتا في عهد رمسيس الثاني "، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع١٨،ج٢،كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس،(٢٠١٧م)، ص٤٤٦-٤٧.

(٣) خلف مووتللي الثاني (١٢٩٥-١٢٧٢ق.م.) والده الملك الحيثي مورسيلى الثاني (١٣٢١-١٢٩٥ق.م.) علي العرش، وقد عرف عنه حنكته وخبرته العسكرية ؛ حيث نجح في إنهاء التمرد الذي قامت به مملكة أخياوا Ahhiyawa، وعمل كذلك على إصلاح الأمور الداخلية؛ حيث قام بنقل العاصمة من مدينة خاتوشا إلى تارخونتاششا Tarhuntaššа، و اعتمد في تهيئة الظروف الداخلية للبلاد على أخيه خاتوشيلى الثالث Hattušili 111 (١٢٦٧-١٢٣٧ق.م.)، الذي منحه المنطقة الشمالية وجعل عاصمتها حاكبيس Hakpissa، وبذلك أصبح هناك مملكتان واحدة في الشمال وعاصمتها حاكبيس، والأخرى في الجنوب وعاصمتها تارخونتاششا. للمزيد انظر: صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، ص٧٧-٨.

(4) J. Garstang," Hittite Military Roads in Asia Minor: A Study in Imperial Strategy with a map", *AJA* 47, No.1(1943), p.43.

عام(١٢٧٤ق.م.) بين مـــوواتللى الثانى Muwattalli11 (١٢٩٥-١٢٧١ ق.م.)[١] وخليفة سيتي الأول على العرش الملك رعمسيس الثانى (١٢٧٩-١٢١٣ق.م.)، ويمكن القول بأنه بالنسبة لمووا تللى الثانى، فقد كان الاستحواذ على مملكة أمورو يعد واحدًا من أهم الآثار المترتبة على مواجهته العسكرية الحاسمة مع رعمسيس الثاني، فالسيطرة عليها يمثل مفتاح تأمين المقاطعات الحيثية في شمال سوريا . كما إن استيلاء سيتي الأول عليها في معركة قادش الأولى ١٢٩٠ق.م. كان قد وضع كل الأراضي السورية الحيثية في وضع خطير جدًّا؛ حيث أن استعادتها مرة أخرى كان من الأمور المهمة لدى مووا تللي الثاني؛ وهو ما تحقق له في معركة قادش الثانية عام١٢٧٤ق.م. [٢].

وفي أعقاب معركة قادش الأولى ١٢٩٠ق.م.تم إلقاء اللوم و المسؤولية على بنتـــى– شـــينا Bente-shina (١٢٩٠/١٢٨٠-١٢٧٥ق.م.،١٢٦٤-١٢٣٥ق.م.) (ويعنى اسمه الأخ العادل) وهو ابن دوبى – تيشوب Duppi-Teshub والذي كان يشغل منصب حاكم أمورو؛ حيث تم تحميله مسؤولية فقدان هذه المملكة لصالح السيادة المصرية ، ويبدو أن هذا الأمر كان غير عادل، فهو بالفعل عبر بجيشه لمقابلة الملك سيتي الأول ، ولكن ذلك لم يشفع له عند مووا تللى الثاني الذي قام بعد المعركة مباشرة بالقبض عليه وترحيله إلى حاتي بعدما تمكن الملك سيتي الأول في معركة قادش الأولى ١٢٩٠ق.م. من الاستيلاء على أمورو وتحميل مووا تللى الثاني المسؤولية لـ بنتى– شينا، الذي تم أسره ونفيه إلى خاكبيس Hakpissa أو حاكبيس الواقعة شمال الأناضول وجعل على أمورو حاكمًا آخر وهو شابيلى Shapili [٣].

(1) F.C. Woudhuizen ,"Kuruntas: A Recollection of the Relevant Data ", *HSF* 128 (2015),p.299.

(2) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.80.

(3) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.80.

حظي بنتى– شينا عندما وصل إلى حاتي بدعم من خاتوشيلى الثالث [١] الذي أخذ في إقناع أخيه بأن هذا الحاكم كان ضحية قوات عسكرية قوية تفوق قدراته بكثير، ومن ثم لم يستطع أن يواجهها ؛حيث قام خاتوشيلى الثالث بتعيينه مسئولاً شخصيًّا عن أعماله في حاكبيس Hakpissa عاصمة الجزء الشمالي من الأراضي الحيثية، والتي كان يحكم بها خاتوشيلى الثالث بعد تعيين أخيه له هناك. حيث عاش بنتى– شينا حياة مميزة ملؤها الراحة والرفاهية لفترة من الوقت، وبعد وفاة مواتللي الثاني، وربما خلال الجزء الأول من فترة حكم أورخى– تيشوب Urhi–Teššub (١٢٧٢–١٢٦٧ق.م.) (مورشيلى الثالث Mursili III) [٢]، وقبل أن تتدهور العلاقات بين الملك وعمه خاتوشيلى الثالث، تمت إعادته مرة أخرى إلى عرش أمورو، ومن ثم أصبح يدين بالفضل فى رجوعه إلى عرش أمورو إلى خاتوشيلى الثالث الذي رأى فيه الحليف المهم له ومصدر معلوماته في المنطقة السورية، فمن غير المعروف ماذا

---

(١) اعتمد الملك مواتللى الثاني في إدارة شئون دولته على أخيه خاتوشيلى الثالث ؛ حيث أسند إليه خلال فترة حكمه عددًا من المناصب منها: حاكم المناطق المرتفعة، والكاهن الأعظم للمعبودة عشتار، وملك مملكة الشمال والتي كانت عاصمتها "حاكبيس"، هذا وقد تزوج خاتوشيلى الثالث من بودوخيبا ، تلك الملكة التي كانت تحتل مكانة كبيرة ؛ فقد كانت كاهنة المعبودة عشتار في لاوازنتيا Lawazantiya، كما أثبتت الرسائل المتبادلة بينها وبين الملك رعمسيس الثانى مدى ما تتمتع به من مكانة كبيرة؛ فقد كانت هذه الرسائل لا تعبر عن الإخاء والود فقط ، وإنما كانت للتشاور في كثير من الأمور السياسية .للمزيد انظر: صلاح رشيد الصالحي: " العلاقات الأشورية الحثية في القرن الثالث عشر ق . م دراسة الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين المملكتين"، مجلة دراسات تاريخية، ع ٢٢، بغداد، (٢٠٠٩م)، ص ٣٤؛ فايزة محمود صقر: " العلاقات المصرية الخيتية فى عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠–١٠٦٩ق.م.) بحث مرجعي"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٥، الرسالة ٢٣١، جامعة الكويت، (٢٠٠٥م)، ص ٩٠.

(2) B .J. Collins," Hattusili I, The Lion King", *JCunStud* 50(1998), p.17; T.Bryce, The World of The Neo- Hittite Kingdoms Apolitical and Military History,Oxford,2012,p.18.

حدث لحاكم أمورو شابيلى Shapili، يبدو أنه تم التخلص منه من قبل التابعين لخاتوشيلى الثالث حتى يمهد الطريق لعودة بنتى– شينا[١].

وبعد فترة قصيرة من انقلابه ضد أورخى – تيشوب Urhi–Teššub، وفي إطار سعيه لاكتساب تأييد ودعم كل من الحكام الأجانب والمحليين التابعين له، فقد قام خاتوشيلى الثالث بتقوية وتعزيز علاقته مع بنتى– شينا من خلال عقد معاهدة تبعية[٢] معه وتتويج هذه المعاهدة بالزواج أو المصاهرة، حيث تزوج من ابنة خاتوشيلى الثالث گاشولاويا Gaššuliyawiya[٣]، في حين تزوج الابن الأكبر للملك خاتوشيلى الثالث نيركايلى Nerikkaili [٤]من ابنة بنتى– شينًا وكذلك تم تزويج إحدى بنات خاتوشيلى الثالث في عهد ولى عهده وخليفته على العرش تودخاليا الرابع لابن الملك بنتى– شينا وولى عهده شاوشجا–موا كما سيتضح ذلك من خلال المعاهدة الموقعة بينهما. وتعد هذه الحالات من الزواج الدبلوماسي إحدى الوسائل المستخدمة لوقت طويل من أجل توطيد وتقوية التحالفات والعلاقات بين الأسر والعائلات الملكية

---

(1) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.80.

(٢) محي الدين النادي أبو العز:" الهروب والنفي في سوريا خلال الألف الثاني ق.م."، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٤، القاهرة، (٢٠١٦م)، ص٣٤–٥.

(٣) محي الدين النادي أبو العز:" المصاهرات السياسية وشروطها الإلزامية في سوريا إبان السيادة الحيثية من (١٣٥٠–١٢٠٠ق.م.) أمورو و أوجاريت نموذجًا "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٨٨، ع٢، جامعة المنيا،(٢٠١٩م)، ص٦٠٥.

(٤) يعد نيركايلى Nerikkaili هو الابن الأكبر للملك خاتوشيلى الثالث، وقد شغل منصب ولى العهد في عهد أبيه، ويتركب اسمه من مقطعين هما: (نيريك) وهو اسم لمدينة مقدسة مركز لعبادة معبود العاصمة وتقع في شمال خاتوشا، والمقطع الثاني (كايلى) والتي تفيد معنى حامي، ومن ثم يكون معنى اسمه (حامي المدينة)، هذا، وقد تم إزاحته من منصبه لصالح تودخاليا الرابع أخيه الأصغر ، وقد ورد اسمه ضمن قائمة الشهود على المعاهدة الموقعة ما بين تودخاليا الرابع و الأمير كورونتا حاكم تارخونتاشا.للمزيد انظر: صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، ص٣٠٣،حاشية(١)؛ وكذلك:

F.C. Woudhuizen ,"Kuruntas: A Recollection of the Relevant Data ", p. 301.

المختلفة، ولكن تلك الحالات التي حدثت في عهد الملك خاتوشيلى الثالث لها أهمية خاصة لأنها ساعدت فى تدعيم وترسيخ منزلة هذا الحاكم وخاصة بعدما نجح في الإطاحة بأورخى – تيشوب Urhi–Teššub وأصبح ملك الحيثيين.

- **ثالثًا: سياسة الملك تودخاليا الرابع (١٢٣٧–١٢٠٩ق.م.) [١] تجاه مملكة أمورو وحاكمها شاوشجا– موا**

لم يقتصر الملوك الحيثيون على القوة العسكرية فقط في تحقيق طموحاتهم سواء داخل الأناضول أو خارجها، بل تم اتباع العديد من الطرق السياسية التي من شأنها تمكينهم من تحقيق تلك الطموحات، ولعل من أبرز الطرق والوسائل الدبلوماسية التي عهد الملوك الحيثيون إلى اتباعها هي إبرام المعاهدات مع الممالك السورية بما يضمن تبعيتهم وخضوعهم، وتختلف بنود المعاهدات وأساليبها تبعًا لمكانة كل مملكة وما تتمتع به من أهمية[٢].

ولعل معظم النماذج الدبلوماسية الخاصة بالملك الحيثي كانت أدنى في المكانة والمنزلة من تلك التي تم عقدها بين الملوك المتساويين والمتكافئين في المنزلة، وكنتيجة لذلك، كانت معاهدات التبعية والخضوع هي النوع الأكثر شيوعًا في الوثائق الدبلوماسية في السجلات الحيثية. ومثل هذه المعاهدات كانت تكتب بواسطة كتبة الملك الحيثي ثم يتم عرضها بعد ذلك على الملك التابع، الذي يجب عليه أن يؤدى يمين القسم أمام معبودات حاتي وأمام شعبه بأنه سوف يلتزم ويتعهد بتنفيذ بنود وشروط تلك المعاهدة. وعلى الرغم من أن الملك الحيثي العظيم كان ملتزمًا هو الاخر بيمين قسم إلا إن التزاماته تقتصر على ضمان بقاء الملك التابع في منصبه كحاكم، وكذا تولية وريث العرش الذي يختاره الملك التابع. أي ضمان العرش له ولمن يختاره في خلافته لعرشه. وبالطبع فإن، إساءة التصرف أو عدم الولاء والإخلاص من جانب

---

(1)T .Bryce ,*The World of The Neo- Hittite Kingdoms Apolitical and Military History*, p.19.

(٢) هاجر محمد علي: الملك شوبيلوليوما الأول دوره ومكانته فى المملكة الحثية (١٣٧٠–١٣٤٠ق.م.)، ص١٣٢.

الملك التابع يعني توقف الملك الحيثي عن الالتزام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه تجاه هذا الملك[١].

هذا، وتعد معاهدة التبعية التي بصدد الحديث عنها هي المعاهدة الأخيرة من سلسلة المعاهدات[٢] التي تم إبرامها بين حاتي وأمورو، فالملك شاوشجا–موا Šaušgamuwa حاكم أمورو كان هو الطرف الأضعف فيها، وهو زوج أخت[٣] الملك تودخاليا الرابع Tudhaliy IV[١] الذي اعتلى العرش خلفًا لوالده

(1) G. Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition",*in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus" – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten*,p.283.

(٢) بدأت هذه المعاهدات بتلك التي أبرمت ما بين الملك الحيثي شوبيلوليوما الأول (١٣٧٠–١٣٤٠ق.م.) وعزيرو Aziru (١٣٤٥–١٣١٤ق.م.)، ثم المعاهدة التي أُبرمت ما بين الملك الحيثي خاتوشيلى الثالث HattusiliIII(١٢٦٧– ١٢٣٧ق.م.) والملك الأمورى بنتى– شينا Benteshina ((١٢٩٠/١٢٨٠–١٢٧٥ق.م.،١٢٦٤–١٢٣٥ق.م.)، ومعاهدة بين الملك الحيثي تودخاليا الرابع (١٢٣٧–١٢٠٩ق.م.) وابن بنتى– شينا وخليفته على العرش شاوشجا– موا (١٢٣٥–١٢٠٠ق.م.) للمزيد انظر:

G. Beckman and (Others), *The Ahhiyawa Texts*, Atlanta,2011, pp.66-70.

(٣) لا شك في أن العلاقات السلمية بين الدول والقوى السياسية كانت تتخذ العديد من الأشكال منها إبرام الاتفاقيات والمعاهدات فضلا عن المصاهرات السياسية التي كانت تتويجًا لتلك الاتفاقيات، فقد كانت وسيلة لدعم وتقوية الروابط السياسية ودعم المملكة الحيثية والحفاظ على استقرارها. فقد تزوج بنتى– شينا الملك الأمورى من جاشولياويا Gashuliyawiya ابنه الحيثي خاتوشيلى الثالث Hattusili III (١٢٦٧– ١٢٣٧ق.م.) من زوجته بودوخيبا ثم زوج الملك بنتى– شينا الملك الأمورى ابنته لابن الملك خاتوشيلى الثالث نيركايلى، وكذلك زواج الملك شاوشجا– موا من أخت الملك الحيثي تودخاليا الرابع، وبذلك يكون هذا الزواج هو الثالث بين حاتي وأمورو؛ حيث وردت الإشارة إلى هذا الزواج فى معاهدة الملك الحيثي خاتوشيلى الثالث مع بنتى– شينا حول زواج الأمير نيركايلى، وقد عبر عن ذلك النص التالى:

[...] ابنى نيركايلى*[اتخذ]* زوجته وهى ابنة بنتى– شينا ؛ حيث أرض أمورو،*[* بينما أنا *]* ،سأتزوج الاميرة=

خاتوشيلى الثالث(١٢٦٧-١٢٣٧ق.م.) وذلك بمساعدة والدته بودوخيبا Puduhepa، وفي هذا الوقت شهد العرش الحيثي حالة من عدم الاستقرار؛ فبعدما قام الملك خاتوشيلى الثالث بإزاحة ابنه نيريكالى من ولاية العهد[٢] ليحل محله ابنه تودخاليا الرابع، وربما يكون إقدام الملك خاتوشيلى الثالث على القيام بهذه الخطوة نابعًا من تقديره لحجم المشاكل وعدم استقرار الأمور، خاصة بعدما استولى على الحكم من أورخى – تيشوب Urhi-Teššub (مورشيلى الثالث Mursili III) ، وخوفه من حدوث نزاعات داخل الأسرة تؤدى إلى تدخل ابن أخيه أورخى – تيشوب Urhi-Teššub، ومن ثم تفقد عائلته الحكم. والواقع، كان الملك تودخاليا الرابع مُدركًا منذ البداية كم

=(الحيثية) جاشولياويا Gashuliyawiya إلى أرض أمورو.؛حيث البيت الملكي لـ بنتى– شينا زوجها"
للمزيد انظر: محي الدين النادي أبو العز:" المصاهرات السياسية وشروطها الإلزامية فى سوريا إبان السيادة الحيثية من (١٣٥٠-١٢٠٠ق.م.) أمورو و أوجاريت نموذجًا، ص٦٠٥-٦؛ وكذلك:
G. Beckman," Mesopotamians and Mesopotamian Learning at Hattusa", *JCunStud* 35, No.1(1983), pp.109-10.

(١) قام الملك تودخاليا الرابع بعقد عدد من معاهدات التبعية، والتى جاءت كالتالي:
- تودخاليا الرابع مع كورنتا Kurunta فى تارخونتاشا Tarhuntašša
- تودخاليا الرابع مع شاوشجا–موا فى أمورو
- تودخاليا الرابع مع تالمى – تيشوب Talmi-Teššup فـي كركميش Carchemish، وكانت المعبودات هي التي تشرف على تنفيذ هذه المعاهدات، وتنزيل اللعنات على من يقوم بعدم الالتزام بها. للمزيد انظر:
O.R. Gurney," The Treaty with Ulmi-Tešub", Anatolian Studies 43(1993), pp.13-28; A.T.Cohen," Biblical Covenant and Hittite išhiul Reexamined ",VetTest 61,Fasc.3(2011),p.475.

(٢) كان الملك الحيثي هو وحده من يقرر ويحدد من سيخلفه على العرش، فلم تكن وراثة العرش مقتصرة على الابن الأكبر فحسب، كما أن الملك كانت لديه إمكانية التراجع فى هذا الاختيار وتغييره خلال فترة حياته، وهذا ما قام به الملك خاتوشيلى الثالث عندما أزاح ابنه نيريكالى وجعل تودخاليا الرابع بدلا منه. للمزيد انظر: محي الدين النادي أبو العز: " دور الأمير كورنتا في مشكلة وراثة العرش الحيثي من ١٢٧٢- ١٢٢٧قبل الميلاد "، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب (دراسات في آثار الوطن العربي)، مج٢٠، ع٢٠، (٢٠١٧م)، ص٤٢٢-٢٣.

التحديات التى سوف تواجهه. فقد قام منذ البداية باتخاذ مجموعة من الأمور تمثلت في إعادة أخيه نيركالى كولي للعهد، وكذلك التفاوض مع أبناء أورخى– تيشوب. أي أن الملك تودخاليا الرابع عمل على إظهار حسن نيته رغبة منه في كسب دعم أسرته وتأييدها [١].

وفيما يتعلق بالمعاهدة، فلا شك أن معاهدات التبعية الحيثية ساهمت بشكل كبير في إعطاء صورة كاملة عن حقوق وواجبات الملوك التابعين تجاه أسيادهم الحيثيين والعكس بالعكس، وتكشف أيضًا عن الاختلافات المهمة بين الملوك التابعين فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، مما يوحى بوجود مستويات مختلفة من التبعية. وبالرغم من ذلك لا تزال هناك بعض الثغرات أو الفجوات التي لا تسمح باكتمال هذه الصورة، بالإضافة إلى وجود العديد من الأسئلة المتعلقة بالاختلافات في الوضع القانوني لهذه البلدان وعدم وجود إجابة لهذه الأسئلة؛ إما بسبب عدم وجود حالات كافية ذات صلة بموضوع تلك المعاهدات أو بسبب أن جميع المعاهدات المتاحة تقريبًا هي عبارة عن نسخ تم نسخها على ألواح طينية وصلت إلينا بمستويات مختلفة من حيث الحفظ ما بين محفوظة بشكل جيد أو مفتتة وما إلى ذلك[٢].

هذا، وتأتى معاهدة التبعية بين الملك الحيثي تودخاليا الرابع وملك أمورو شاوشجا–موا (ملحق رقم ٢) [٣] لتمثل الحلقة الأخيرة المعروفة من سلسلة المعاهدات

---

(١) محي الدين النادي أبو العز: " دور الأمير كورنتا في مشكلة وراثة العرش الحيثي من ١٢٧٢–١٢٢٧قبل الميلاد "، ص٤٢٣–٢٤؛ وكذلك:

O.R.Gurney," The Hittite Title Tuhkanti", *AnatStud* 33(1983),p.98.

(2) A. Altman," Rethinking the Hittite System of System of Subordinate Countries from the Legal Point of View", *JAOS* 123, No.4(2003),p.741.

(٣) عاصر الملك شاوشجا–موا كل من إني تيشوب ملك كركميش و أميشتمرو الثاني Ammistamru II ملك أوجاريت، وتوكلتى –ننورتا الأول Tukulti-Ninurta I ملك أشور. للمزيد انظر:

G. Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*, edited by H.A.Hoffner,Jr.,Atlanta,Georgia,1996, p. xv

التى تم إبرامها وتوقيعها بين خاتى و أمورو[١]، وقد تم العثور عليها في العاصمة الحيثية خاتوشا. حيث كان شاوشجا– موا هو الطرف الأضعف فيها، وهو زوجًا لأخت الملك تودخاليا الرابع، فربما لم تكن هناك ضرورة لترجمة هذه الاتفاقية إلى اللغة الأكادية، وهى اللغة الرسمية المستخدمة في الاتفاقيات والمراسلات بين الملك الحيثي العظيم والحكام التابعين له في سوريا[٢].

وعلى أية حال، فكل من نسختي المعاهدة قد كتب باللغة الحيثية[٣]؛ حيث مثل النص(أ) والذي يبدو أنه كان المشروع التقريبي (المسودة) من خلال عمليات الحذف والمحو العديدة والإضافات وعدم الاهتمام بموضع النص على اللوح، والنص (ب) وهو مفتت تمامًا. حيث تتعامل البنود المحفوظة من النص بصورة خاصة مع الولاء والإخلاص الذى يطلبه تودخاليا الرابع من شاوشجا–موا لنفسه ضد المنافسين المحتملين له على العرش الحيثي، وكذلك الولاء لحاتي ضد القوى الكبرى الأخرى في ذلك الوقت، ومن اللافت للنظر أن تودخاليا الرابع يقوم بتحذير شاوشجا– موا بألا يتصرف كما فعل الحاكم التابع السابق، والذي أدى عدم ولائه وإخلاصه تجاه أورخى

(1)E. Cline, "A Possible Hittite Embargo against the Mycenaeans", *Historia (W)* 40,H.1(1991),p.6.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.50.

(٣) أمكن من خلال العديد من النصوص المسمارية التي تم اكتشافها في العاصمة بوغازكوى التمييز بين ثماني لغات متنوعة ومختلفة فيما بينهم ،وربما يرجع وجود هذا العدد من اللغات إلى ما اتسمت به الإمبراطورية الحيثية من تعدد فى اللغات ،ولكن تلك اللغات لم تكن على نفس القدر من المساواة سواء في التحدث أو الاستخدام، ولكن كانت هناك لغات أكثر استخدامًا من الأخرى، فالحيثية والأكادية تم استخدامها في الوثائق الرسمية، و اللغة الخورية التي كتبت بها بعض الوثائق من حين لأخر بالإضافة إلى ثلاث لغات أخرى كان يتم استخدامهم في بعض النواحي الفنية والأمور الدينية. وهم الحاتية أو ما قبل الحيثية، اللوفية، البالية، في حين تأتى اللغة السومرية لتمثل اللغة الثامنة والتي تم استخدامها من قبل الكتاب الحيثيين؛ حيث استخدموها في أمورهم الخاصة. للمزيد انظر: أ.ر.جرنى: الحيثيون، ترجمة د/محمد عبد القادر محمد، مراجعة د/فيصل الوائلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٧م، ص١٤٧.

– تيشوب Urhi–Teššub إلى مساعدة خاتوشيلى الثالث والد تودخاليا الرابع فى الاستيلاء على عرش خاتى، كما أن هناك عددًا من القيود الملفتة للانتباه، والتي يسعى الملك الحيثي العظيم إلى فرضها على التجارة الخاصة بعدوه الأشوري(١).

حيث تبدأ المعاهدة كغيرها من معاهدات التبعية الحيثية بتعريف الملك الحيثي بنفسه والتباهي بأجداده، وقد جاء ذلك على النحو التالي:

– الفقرة (١) (Ai) – الأسطر من (١–٧)

[يقول Tabarna تابارنا(٢) ،تودخاليا] ،الملك العظيم،[ملك] حاتي، البطل، المحبوب و المفضل لدى معبودة الشمس أرينا Arinna(٣) [ابن خاتوشيلى،الملك العظيم، ملك] خاتى، البطل؛[حفيد] مورسيلىMursili ، [الملك] العظيم ؛ملك خاتي، البطل،[المنحدر] من تودخاليا،[الملك العظيم، ملك] خاتى ،البطل:

– الفقرة (٢) (Ai)

– الأسطر من (٨–١٢)

---

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.50.

(٢) حمل لقبTabarna تابارنا الأحياء من الملوك الحيثيين، ويبدو أن هذا اللقب ما هو الا اسم للملك Labarnas لابارناس فى صورة أخرى ؛حيث اعتبر كل واحد منهم مجسدًا لمؤسسي تلك الأسرة الملكية. ولعل استخدام الملوك الحيثيين للقب الملك العظيم، وذلك في إشارة منهم إلى أنهم يمثلون إحدى القوى العظمى في تلك الفترة. للمزيد انظر: أ.ر.جرنى: الحيثيون،ص٩٠.

(٣) لعل العثور على العديد من الدمى الأنثوية ما يشير إلى تقديس المعبودات المؤنثة في بلاد الأناضول وذلك منذ فترة العصر الحجرى الحديث ثم استمر ذلك إلى الفترات التاريخية التالية، ومن بين هذه المعبودات تأتى معبودة الشمس آرينا، وهي التي عُرفت عند الحوريين باسم خيبات، وعند الحاتين باسم وروشيمو، وبالاسم كوبابا عند الحيثيين في فترة العصور المتأخرة. وقد احتلت مكانة كبيرة ومرموقة وخاصة في مركز عبادتها الموجود في مدينة أرينا، تلك المدينة التي تقع بالقرب من حاتوشا؛ حيث قلب المملكة الحيثية خلال فترة العصر الإمبراطوري. للمزيد انظر: خلف زيدان خلف سلطان الحديدي: الديانة الحيثية في بلاد الأناضول، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠١٢م، ص٤٤–٤٥.

قمت أنا بجلالتي،[بأخذك أنت]، يا شاوشجا- موا من يدك،[وجعلتك]زوج أختي. وأنت [لن تقوم بتغيير كلمات الاتفاقية واللوح المكتوبة عليه، وهى الاتفاقية التى [أبرمتها] لأجلك أنت(١).

واستنادًا إلى معاهدات التبعية الحيثية المتاحة والوثائق المتعلقة بها، وبالاستناد أيضًا إلى ما هو معروف عن ظروف إخضاعهم فيمكن تصنيف البلدان التابعة للحيثيين إلى فئتين أو نوعين رئيسين هما:

- أولاً : بلدان خاضعة ذاتيًّا(باختيارها) (٢).
- ثانيًا: بلدان محتلة، ويمكن تقسيم هذا النوع إلى ثلاث مجموعات فرعية وهي:

أ- البلدان التي تم ضمها وتحولت إلى مقاطعات يحكمها المسئولون الملكيون كجزء من الأراضي الحيثية.

ب-البلدان الممنوحة

ج- البلدان المتمردة التي أعيد إخضاعها بالقوة (التي أُعيد إخضاعها بالقوة مرة أخرى).

---

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.51-3

(٢) البلاد أو الممالك الخاضعة ذاتيًّا: هي تلك التي يقوم ملكها بمبادرة منه أي من تلقاء نفسه بمناشدة ملك عظيم على أن يقبله تابعًا له، وكان ذلك يتم عادة في مقابل توفير الحماية والمساعدات العسكرية. والحقوق التي اكتسبها الملك العظيم في هذه الحالة هي حقوق شخصية أو ذاتية فقط. وهذا يعنى أن العلاقات القانونية للملك العظيم مع الخاضع ذاتيًّا هي علاقة تعاقدية (حسب العقود المبرمة بينهما)، وللملك العظيم الحق في أن يقوم بفرض التزامات معينة على الملك الخاضع ذاتيًّا، وبما في ذلك دفع جزية سنوية والتقليل من قدرة الملك الخاضع ذاتيًّا من التصرف بحرية في الشؤون الخارجية. وعلى الجانب الآخر، كان على الملك العظيم بعض الالتزامات تجاه الملك الخاضع ذاتيًا له كحماية الملك التابع وحماية بلده وتأمين وصول عرش الملك الخاضع لوريثه المعين. ويتم إبرام قسم بذلك وبعد أداء القسم تكون هذه الصفقة تحت مقصلة العقاب الإلهي. للمزيد انظر:

A. Altman," Rethinking the Hittite System of System of Subordinate Countries from the Legal Point of View", p.748.

وتكمن الاختلافات الموجودة في طريقة إخضاع البلدان الخاضعة ذاتيًا في الطريقة أو الأسلوب الذي تم به عرض ظروف إخضاعها، وقد تم عرض ذلك في مقدمة معاهدات التبعية الخاصة بها، وتشير أيضًا هذه الاختلافات إلى مزيد من التمايز أو الاختلاف داخل هذه المجموعة من الدول الخاضعة ذاتيًا. ويبدو أن الحيثيين قاموا بالتمييز بين البلدان التى كانت تتمتع بالسيادة الكاملة قبل الخضوع لهم، والبلدان التي كانت تخضع في السابق لسيد آخر[١].

وفي الواقع، فقد ميز الحيثيون بين البلدان الخاضعة ذاتيًا والبلدان المحتلة؛ حيث ظهر ذلك بشكل واضح في مقدمة تلك المعاهدات [٢]. وذلك حين يبدأ الملك الحيثي تودخاليا الرابع باستعراض العلاقات التاريخية بادئًا بذكر جذور السيادة الحيثية على أمورو والتي تمتد لقبل ذلك بأربعة أجيال، وقد جاء ذلك على النحو التالي:

- *الفقرة (٣) (Ai)*
- *الأسطر من (١٣-٢٧)*

---

(1) A. Altman," Rethinking the Hittite System of System of Subordinate Countries from the Legal Point of View",p.742.

(٢) في الجزء الخاص بالمقدمة التاريخية من المعاهدة يشير الملك الحيثي إلى مسار العلاقات القديمة بين حاتي وأمورو، ويؤكد على تفاعل شخص الملك الحيثي مع الملك التابع له بصورة شخصية. ولعل الهدف من وضع المقدمة التاريخية في بداية المعاهدة هو التشجيع على الولاء والإخلاص لحاتي من جانب الملك التابع تعبيرًا عن الامتنان والشكر على أن أموره ومستقبله أصبحت في يد او تحت تصرف الملك الحيثي العظيم، وربما يكون هذا الملك التابع مفضلا لدى الملك الحيثي العظيم ومن ثم يتلقى منه دعمًا عسكريًا، أو يتم منحه مقاطعة إضافية تضاف إلى مملكته. للمزيد انظر:

G.Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition*",in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus" – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten*,p.284.

[سابقا] ، لم تكن أرض أمورو قد تعرضت للهزيمة[على] أيدي جيش حاتي وعندما جاء [عزيرو] إلى جد جلالتي الأكبر للشمس [شوبيلوليوما] في حاتي كانت أراضي أمورو The Land of Amurru (١) ، مازالت [في حالة عداء] وكانوا خاضعين لملك حوري Hurri وكان عزيرو أيضًا خاضعًا لملك حوري وكان مازال مخلصًا وموالِيًا له ، وعلى الرغم من أنه لم يُهزم بقوة السلاح، إلا أن عزيرو [جدك الأكبر] قام بحماية شوبيلوليوما بصفته سيده الأعلى الذى يقوم بحماية التابعين له ، وقام أيضا بحماية أرض حاتي ، ولم يشن أى هجوم على أرض حاتي(٢).

ويتضح من هذا التأكيد القاطع بأن أمورو لم يتم قهرها وإخضاعها باستخدام القوة العسكرية قبل تمرد بنتى– شينا Benteshina والد شاوشجا– موا؛ كما أكدت على الخضوع التطوعي أو الاختياري، من قبل عزيرو للملك شوبيلوليوما الأول، أي أن أمورو لم يتم هزيمتهما بالسلاح ولكن تم الخضوع للملك الحيثي طواعية.

وعلى أية حال، ظل عزيرو بعد إعلان خضوعه للملك شوبيلوليوما الأول موالِيًا له ولابنه مورشيلى الثاني، وموالِيًا كذلك لحاتي. والهدف من هذا التأكيد هو توضيح أن عزيرو كان لفترة طويلة مخلصًا في ولائه وخضوعه لحاتي، وقد شكلت هذه الحقيقة واقعًا يتمثل في عدم قدرة شاوشجا– موا على الاحتجاج أو الاعتراض سواء هو أو أحفاده على السيادة الحيثية، ومن ثم البقاء على ولائه لحاتي. ثم تنتقل المعاهدة بعد ذلك إلى الحديث عن بنتى– شينا حفيد عزيرو ووالد شاوشجا– موا، حيث جاء النص كالتالي:

– الفقرة (٤) (Ai)

---

(١) ورد فى هذا النص ما يشير إلى أن اسم أمورو كان يعبر في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد عن سوريا بصفة عامة، يساند ذلك ويدعمه ورود عبارة ارض أمورو (KUR.URU Amurru)، وأراضي أمورو (KUR.KURHI.AURU-Amurru) للمزيد انظر:

I. Singer," The " Land of Amurru" and the " Lands of Amurru" in the Šaušgamuwa Treaty", p.71.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.51-3; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.99.

– الأسطر من (٢٨–٣٩)

ولكن عندما أصبح موواتللى|Muwattalli ، عم جلالتي ملكًا، فقد أخطأ سكان أمورو ضده، وأخبروه الآتى :"بكل حب وبشكل تطوعي اختياري ، فقد أصبحنا خاضعين لحاتي، ولكننا الآن لم نعد من أتباعك ولا خاضعين لك. واتجهوا بعد ذلك إلى ملك مصر. حيث وقع نزاع بين عم جلالتي موواتللى، وبين ملك مصر من أجل السيطرة على شعب أمورو؛ حيث تمكن موواتللى من هزيمته، وتدمير أرض أمورو بقوة السلاح وقام بإخضاعها، وجعل شابيلى Shapili ملكًا على أرض أمورو (١).

ولعل هذه الفقرة من المعاهدة من شأنها إظهار التناقض الواضح بين المرحلة السابقة من علاقة أمورو و حاتي (وقت عزيرو)، وهذه المرحلة من العلاقات بينهما، فإلي وقت حدوث التمرد فى عهد بنتى– شينا كانت أمورو تعتبر بلدًا خاضعًا ذاتيًّا، وبعد أن قام أهلها بالتمرد وتم إخضاعها بقوة السلاح و تم اعتبارها بلدًا محتلاً ، كما أن استبدال الملك بنتى– شينا المتمرد بالملك شابيلى (الذي ليس من أفراد العائلة الملكية السابقة) ما يشير بوضوح إلى السلطة المطلقة التي كان يتمتع بها الملك الحيثي في أمورو بعد الغزو (٢).

ومن ثم يمكن القول بأن دور ما يسمى بالمقدمة التاريخية التي يتم ذكرها في معاهدات التبعية الحيثية هو تجميع الأسانيد والمبررات التي من شأنها تبرير بنود وشروط التبعية المنصوص عليها في الجزء الخاص بالشروط. ولا شك أن سبب عرض هاتين المرحلتين من تاريخ أمورو إنما يقدم مبررًا على ما تمتعت به أمورو قبل التمرد كونها كانت خاضعة ذاتيًّا، والذي حدث في الشروط بعد إعلانها التمرد

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.51-3; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.99.

(2) A. Altman," Rethinking the Hittite System of System of Subordinate Countries from the Legal Point of View",p.743.

وإخضاعها بقوة السلاح ،فلم يكن لشاوشجا– موا الحق في المطالبة بأكثر من ذلك في المستقبل(١).

والأمر الأكثر أهمية هو حالة أمورو بعد تمردها ضد موواتللي الثاني، وقيام الملك العظيم بإزاحة بنتى– شينا من على عرش أمورو، وربما قام بتخفيض منزلة أمورو. ومع ذلك، قام خاتوشيلى الثالث ولأسباب سياسية بإعادة بنتى– شينا مرة ثانية ملكًا متوجًا على عرش أمورو واستردت أمورو مكانتها السابقة، ومن الملاحظ أنه لم يتم إعطاء ومنح بنتى– شينا الشروط الخاصة بجده عزيرو فقط ، بل تم وعده بانتقال عرشه إلى أبنائه وأحفاده، في حين عمل تودخاليا الرابع على إعادة تخفيض مكانة ومنزلة أمورو مرة أخرى، كما هو واضح في معاهدته مع شاوشجا– موا؛ حيث اقتصر وعده للملك الأمورى على أن يحافظ على السلطة له هو فقط دون وعده بانتقالها إلى أبنائه أو أحفاده من بعده ، وقد جاء ذلك على النحو التالي:

– الفقرة (٥) (Ai)

– الأسطر من (٢٨–٣٩)

ولكن عندما أصبح موواتللى، عم جلالتي معبود (إله) (مات/توفى (٢))، و أصبح خاتوشيلى، والد جلالتي ملكًا. وقام بإقصاء وخلع شابيلى عن العرش وجعل والدك بنتى– شينا ملكًا على ارض أمورو. وكان مواليًا لوالد جلالتي، ومواليًا لحاتي. ولم يرتكب أية جريمة او إساءة ضد حاتي(٣).

– الفقرة (٦) (Ai)

---

(1) A. Altman," Rethinking the Hittite System of System of Subordinate Countries from the Legal Point of View",p.744.

(٢) استخدم الملوك الحيثيون عبارة (أصبح الملك إلهاً أو مات الملك)؛ وذلك نظرًا لوجود عبادة أرواح السابقين من الملوك الحيثيين؛ حيث إنهم لم يعرفوا على الإطلاق تأليه الملك في حياته. للمزيد انظر: أ.ر.جرني: الحيثيون،ص٩٠.

(3) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.55; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.100.

- الأسطر من (١-٦)

[و] قمت أنا الملك العظيم ، بالأخذ بيدك أنت يا شاوشجا-موا ، وبجلالتي جعلتك زوج أختي ووهبتك أختي لتتزوجها وجعلتك ملكًا على أرض أمورو. فيجب عليك أن تكون مواليًا ومخلصًا لجلالتي فيما يتعلق بموضوع السلطة والسيادة. وبعد ذلك، يجب أن تكون مخلصًا ومواليًا لأبنائي وأحفادي، وذرية (سلالة) جلالتي فيما يتعلق بالسيادة والسلطة. ولا يجب عليك أن تطمع فى المزيد من السلطة لنفسك. ودع تلك المسالة (الموضوع) يكون حسب ما جاء فى قسم (يمين) الولاء والطاعة بالنسبة لك[1].

- *(A ii)*

- الأسطر من (٨-١٩)

لأنك يا شاوشجا- موا زوجًا لأختي، يجب عليك أن تكون مواليًا ومخلصًا لي (لجلالتي)، وبخاصة فيما يتعلق بالسلطة والسيادة. وفيما بعد يجب أن تكون مواليًا ومخلصًا لأبنائي وأحفادي وذريتي، وبخاصة ما يتعلق بالسلطة والسيادة، ويجب عليك ألا تسعى نحو المزيد من السلطة من أولئك الأفراد من الإخوة الشرعيين لجلالتي، وأبناء محظيات والد جلالتي، وحتى من أفراد السلالة الملكية الآخرين، الذين يجب أن (تعتبرهم) أولاد زنا. ويجب ألا تتصرف مثل ماستورى Masturi[2] : فقد أخذ مووتللى ماستورى الذى كان ملكًا على أرض نهر

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.55; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.100.

(٢) ماستورى Masturi أو مشتورى ملك بلاد نهر سيخاseha وصهر الملك الحيثي مووتللى الثاني، وقد انضم للملك الحيثي خاتوشيلى الثالث فى صراعه ضد ابن أخيه والوريث الشرعي للعرش أورخى – تيشوب بن مووتللى الثاني. للمزيد انظر: جهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو فى النصوص الاكدية،٣٠٨.

سيخاSeha ،وجعله زوجًا لأخته، واهبًا إياه أخته ماسانوزى Massanuzzi كزوجة له. وجعل منه ملكًا على أرض نهر سيخاSeha(١).

ولعل هذه الفقرة من المعاهدة إنما تشير إلى حالة عدم الاستقرار في الحكومة الملكية الحيثية، تلك الحالة من عدم الاستقرار كانت هي الإرث الذى ورثه تودخاليا الرابع من والده، وذلك بالتوازي مع وراثته للعرش منه، فالملك خاتوشيلى الثالث قد اغتصب العرش من وارثه الشرعي أورخى– تيشوب Urhi-Teshshup(مورشيلى الثالث)، وكان هذا الملك وعائلته يسعون بشكل متواصل لاستعادة العرش المسلوب منهم، وقد حاولوا الاستعانة بمساعدة الحكام والملوك الأجانب خلال تلك المحاولات التي قاموا بها لاستعادة العرش. وبعبارة واضحة، قام تودخاليا الرابع بإجبار شاوشجا– موا على التعامل مع المخاطر التي يواجهها بصورة مستمرة من المطالبين بحقهم في تولى عرش البلاد الذي يجلس عليه، وهؤلاء المطالبون بتولي العرش بدلاً منه هم أفراد من فروع جانبية من أسرته تغير ولائهم الآن وأصبحوا مصدرًا من مصادر التهديدات والمؤامرات التى تحاك وتدبر ضده (٢).

كما أن التحذير المحدد والواضح لـ شاوشجا– موا بالا يسير على نفس خطى ماستورى، فهو شيء ساخر ومضحك؛ لأنه وبسبب خيانة ماستورى تمكن الملك الحيثي خاتوشيلى الثالث والد تودخاليا الرابع من الوصول إلى سُدة الحكم. وبهذا يكون لدى الملك حالة سابقة من الخيانة وتحول منصب الملك من شخص لآخر كان هو شخصيًا مستفيدًا منها، ولذلك فقد كان هذا الأمر مقلقًا بالنسبة له، ويخشى حدوثه في المستقبل. أي أن تودخاليا الرابع كان يخشى تدبير المكائد والمؤامرات التي من شأنها الإطاحة به من العرش. ولعل زواج أخته من شاوشجا– موا كانت محاولة منه

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p57; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.100.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.67.

للحصول على الدعم والمساندة من تابعه السوري ضد التهديدات بالانقلاب ضده كالانقلاب الذي أطاح بأورخى – تيشوب وعانى منه كثيرًا(١).

ومن الملاحظ أن الملك تودخاليا الرابع شدد على مسألة الإخلاص والولاء. خاصة وأن جلوسه على العرش كان نتيجة اغتصاب والده له. فمسألة الإخلاص تعد من أهم المسائل التي ركز عليها. وقد ورد ذلك على النحو التالي:

– الفقرة (٩) (A ii)

– الأسطر من (Aii39–iii5)

يجب أن تكون مخلصًا ووفيًا لجلالتي وخاصة في موضوع السيادة والسلطة.[و] وبعد ذلك يجب أن تسعى وترغب فى أن تكون مخلصًا ووفيًا لسلالة وذرية[جلالتي] فيما يتعلق بالسلطة والسيادة ، ويجب ألا تسعى وترغب فى أن تكون مخلصًا ووفيًا لأي شخص أخر يتمتع بالسلطة . وإذا اندلعت أية مؤامرة[فى حاتي...] وبعد ذلك لا تكون أنت [وجيشك وشعبك جميعكم..][جلالتي] ...] لجلالتي ...

(الأسطر الستة التاليين مفقودين بصورة كلية)

دع هذا الموضوع يوضع موضع القسم بالنسبة لك(٢).

– الفقرة (١٠) (A iii)

– الأسطر من (٦–١٨)

[...] أصبح منخرطًا مع الحيثيين] ...] وإذا قام] بعض [الحيثيين بربط نفسه بك – سواء كان أخو (شقيق) الملك أمير، ورجلاً نبيلاً ، أو رجلاً من منزلة أدنى أو أعلى – وأعلن عن بعض الوشايات والافتراءات عن جلالتي أو قام بتعريض جلالتي للأذى والحقد عن تعمد أمامك (في حضورك) فلا يجب أن

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.67.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.59; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.101.

تخفى هذا الأمر عن جـــلالتي ويجـــب أن تخـــبر جلالتي به! دع هذا الأمر موضع القسم (بالنسبة لك) [١] .

وفى الأجزاء الأخيرة من المعاهدة، تحول تودخاليا الرابع من الحديث عن الأمور الداخلية إلى الأمور الخارجية. وكذلك الإشارة إلى الملوك الذين يتساوون معه فى المنزلة والمكانة، موضحًا مدى عداوته لأشور وكذلك ذاكرًا ملك أخياوا[٢] فى القائمة الأصلية ولكن تم حذف هذا الاسم لاحقًا، وقد تسبب هذا الحذف للاسم في كثير من المناقشات والخلافات، فمن الواضح أن الكاتب قد ارتكب خطأ ما في تضمين وكتابة الاسم في المكان الأول، ولم يتم ذكر اسم ملك أخياوا في الإشارات اللاحقة في المعاهدة فيما يتعلق بالملوك المتساوين مع الملك تودخاليا الرابع في المكانة، ولكن ذلك يدعو إلى التساؤل حول لماذا حدث الخطأ فى ذكر ملك أخياوا فى المكان الأول (المسودة)، وربما تكون الإجابة المحتملة أن ملك أخياوا كان يتمتع بالفعل بمنزلة متساوية مع الملوك العظام في العصر البرونزي الحديث، على الأقل من الناحية الدبلوماسية الحيثية، ولكنه فقد هذه المنزلة لاحقًا. وأن الكاتب الذي قام

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.59; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.101.

(٢) شهد العصر البرونزي المتأخر تكوين عدد من الممالك غرب الأناضول، كانت مملكة أخياوا Ahhiyawa واحدة من أهم تلك الممالك ؛ حيث تشير النصوص الحيثية السياسية والعسكرية وكذلك التجارية إلى انخراط مملكة أخياوا في شئون منطقة غرب الأناضول بالفعل في بالفعل فى بداية القرن الخامس عشر وبصورة أكثر وضوحا في القرن الثالث عشر، وقد أدت رغبة أخياوا في مد نفوذها وسيطرتها على غرب الأناضول إلى إحداث توتر كبير بينها وبين الحيثيين . للمزيد انظر:

T.Bryce and (others), The Routledge Hand Book of the People and Places of Ancient Western Asia the Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Presian Empire ,London and New York ,2009,p.11; T.Bryce, Atlas of the Ancient Near East from Prehistoric Times to the Roman Imperial Period, New York and London, 2016, p.145.

بصياغة هذه النسخة من المعاهدة ربما يكون قد قام بنسخ قائمة الملوك العظام في البداية من المسودة القديمة. وقد جاء ذلك في نص المعاهدة كالتالي:

الفقرة (١٢) (A iii)

- الأسطر من (٣٨-٤٥)

... إذا كان] ملك [مصر] صديقا]لجلالتي فإنه يجب أن يكون صديقك أنت الأخر. ولكن إذا كان عدوا لجلالتي، فإنه يجب أن يكون عدوا لك أيضًا.

- الفقرة (١٣) (Aiv)

- الأسطر من (١-١٨)

والملوك الذين يتساوون معي فى المنزلة هم ملك مصر، وملك بابل، وملك آشور، وملك أخياوا [١] وإذا كان ملك مصر صديقًا لجلالتي، فيجب ان يكون صديقًا كذلك . ولكن إذا كان عدوًا لجلالتي، فانه يجب أن يكون عدوًا لك كذلك. وإذا كان ملك بابل صديقًا لجلالتي فيجب أن يكون صديقًا لك كذلك. ولكن إذا كان عدواً لجلالتي ، فإنه يجب أن يكون عدوًا لك بالمثل[٢] .

ورث الملك الحيثي تودخاليا الرابع إرثاً مستقرًا إلى حد كبير مع كل من مصر وبابل، ففيما يتعلق بمصر فقد كان لوالده الملك خاتوشيلى الثالث علاقات

---

(١) تحتوى معاهدة شاوشجا– موا على الإشارة إلى ملك أخياوا بأنه ملك عظيم، وتلك الفقرة كانت موضع جدل وخلاف كبير، فالملوك المذكورون والمتساوون في المكانة مع الملك الحيثي تودخليا الرابع هم ملوك مصر وبابل وآشور وأيضًا ملك أخياوا، وقد تم محو الإشارة إلى الملك أخياوا، ولكن من الملاحظ ان هذا اللوح كان مليئًا بالمحو والإزالة والإضافة ، ويبدو أنها كانت مجرد مسودة للمعاهدة فقط وليست المعاهدة نفسها . ولكن حتى لو كان اسم أخياوا قد تمت إضافته في الأصل خطأ في قائمة الملوك العظام، فمثل هذا الخطأ لم يكن ليقع بالتأكيد إذا كانت أخياوا لم تتمتع بمكانة كبيرة في تلك الفترة. للمزيد انظر:

R.H. Simpson, "The Dodecanese and the Ahhiyawa Question ",*ABSA* 98 (2003),p.222.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.59; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.101.

مستقرة مع الملك المصري رعمسيس الثانى وخاصة بعد توقيع معاهدة السلام بينهما[١]، وكذلك الرسائل المتبادلة ما بين والدته بودوخيبا والملك رعمسيس الثاني، وربما كان للعلاقات المستقرة مع مصر ما دفع الملك تودخاليا الرابع بالحديث عن مساواة ملك مصر له في المنزلة والمكانة. أما فيما يتعلق ببابل والتي تعد من أشهر مدن بلاد العراق القديم ورودًا في المدونات والوثائق الحيثية، فعسكريًّا قام الملك الحيثي مورشيلى الأول (١٦٢٠– ١٥٩٠ق .م) بحملة عسكرية ضد بابل عقب وفاة الملك البابلي حمورابي، نجحت في إنهاء حكم أسرة بابل الأولى، خاصة بعد تولى العرش البابلي عدد من الملوك الضعاف؛ حيث تمكن من تحطيم حلب وتدمير بابل، بل وإفساح المجال للاحتلال الكاشى الذي دام لأكثر من أربعة قرون (١٥٩٥– ١١٦٢ق.م)، وسياسيًّا اتسمت العلاقات بين بابل والحيثيين وخاصة بعد الاحتلال الكاشي بالعلاقات السلمية والمصاهرات وتبادل المبعوثين والسفارات ما بين البلاطين، كما ساهمت بابل ثقافيًّا في إثراء خاتوشا في العديد من التخصصات كالكهانة والطب وغير ذلك[٢] .

كما تزوج تودخاليا الرابع (١٢٣٧–١٢٠٩ق. م.) من أميرة بابلية[٣]، ولم يذكر اسمها، ولكن يعتقد أنها ابنة الملك كدور–انليل (١٢٥٤–١٢٤٦ق.م.) الذي عُرف بعدم دبلوماسيته مع مصر، ومن ثم جاء الاعتراض من قبل الملك المصري رعمسيس الثاني على هذا الزواج، أي أن سياسة تودخاليا الرابع تجاه بابل اتسمت بالاستقرار[٤].

---

(1) J.M. Grintz," The Treaty of Joshua with The Gibeonites", *JAOS* 86, No.2 (1966), p.115.

(٢) هاني عبد الغنى عبد الله: "بابل في المدونات الحثية" ،مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج٣، ع٤، جامعة الموصل – العراق، (٢٠١٦م)، ص ١٧١–٧٢.

(٣) صلاح رشيد الصالحى: "الخيانة الزوجية في الشرق الأدنى القديم من وجهة نظر الأعراف والتقاليد والقوانين القديمة"، مجلة كلية التربية للبنات، مج ٢٠، ع ٢١، (٢٠٠٩ م)، ص ٢٨٢.

(٤) صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية، ص٨٢.

أما فيما يتعلق بأشور، فقد كانت هناك حالة من التوتر وعدم الاستقرار؛ وذلك نظرًا لعملية التوسع الإقليمي التي شهدتها أشور والتي بلغت ذروتها في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ أي مع بدايات حكم الملك آشور– أوباليط الأول ur-Aššuballit (١٣٥٣– ١٣١٨ ق.م.). ففي الغرب، حين انهارت ميتانى باغتيال الملك توشراتا Tušratta في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد، تدخل الملك أشور – أوباليط بشكل كبير في شؤون خانيجلبات التي تعتبر مركز أرض ميتانى الواقعة في قلب مثلث الخابور، وكان هذا التدخل بالطرق الدبلوماسية في البداية ثم بعد ذلك صار عسكريًا. وفي القرن التالي، واصل الملك أدد–نيرارى الأول (١٢٩٥– ١٢٦٤ق.م.) وابنه شلمنصر الأول (١٢٦٣–١٢٣٤ق.م.) الجهود الرامية إلى غزو تلك المنطقة وحكمها؛ حيث تقاتلا مع خانيجلبات، وهي المملكة التي قامت على أنقاض ميتانى. ففي بداية حكمه، تمكن شلمنصر الأول من هزيمة شاتورا الثانيII Sattuara وهو آخر الملوك المعروفين الذين حكموا هذه الدولة الحورية المستقلة ، وفى الأخير، تمكن من ضمها للأراضي الأشورية ؛ حيث أقام شلمنصر مملكة هناك عين عليها شقيقه Ibassi–ili إيباشى – إيل ابن الملك أدد نيرارى الأول، كمؤسس للسلالة الملكية هناك، وكانت عاصمتها تعرف باسم (Dur-katlimmu) (تل شيخ حماد Tell shehammad) الواقعة عند مصب نهر الخابور وكان حكام تلك المملكة يحملون الألقاب الآتية (الوزير الكبير Sukkallu rabi'u)، وكذا (ملك أرض خانيجلبات) (Šar màt Hanigalbat)؛ وبسبب التوسعات التي قام بها الملك شلمنصر الأول، فقد ورث توكلتى – ننورتا الأول (١٢٣٣– ١١٩٧ق.م.) إمبراطورية مترامية الأطراف [1].

ويبدو أن الهجوم الأشوري كان وشيكاً على الممالك السورية الخاضعة لتودخاليا الرابع، وعندئذ وصلت أخبار وفاة شلمنصر الأول، وتنصيب ابنه توكلتى – ننورتا

(1) M.Yamada," The Second Military Conflict between Assyria and Hatti in The Reign of Tukulti- Ninurta I ", *RAAO* 105 (2011) p.199.

الأول I Tukulti-Ninurta (١٢٣٣-١١٩٧ق. م.)[١] خلفًا له على العرش الأشوري[٢].

كان وصول الملك الآشوري توكلتى – ننورتا الأول إلى سُدة الحكم مصدر سعادة للملك تودخاليا الرابع في بداية الأمر، وذلك لاعتقاده بتحسن العلاقات بين آشور وحاتي عن ذي قبل، ولذلك، فقد أرسل إلى الملك الأشوري توكلتى ننورتا الأول رسالة مليئة بعبارات الود مهنئًا إياه باعتلائه للعرش وممتدحًا مآثر والده الراحل، ولعل ذلك يحمل في طياته نوعًا من المجاملة أو الدبلوماسية، وقدم عرضًا واضحًا لعقد صداقة مع الملك الجديد،الذى كتب بدوره رسالة دافئة ردا على هذه الرسالة معبرًا عن رغبته الشخصية في عقد هذه الصداقة بين آشور وحاتي[٣]، ولكن قيام الملك توكلتى ننورتا الأول بحملة ضد مدن Paphi بابخى، والتى تعرف في الأشورية باسم Papanhi بابانخى، وكذلك السيطرة على بابل واقتياد الملك البابلي كاشتلياش الرابع Kashtiliashu IV (١٢٣٢– ١٢٢٥ق. م) أسيرًا، وكذلك قيامه بالهجوم على العديد من المدن المجاورة الواقعة في شمال بلاد العراق القديم . كل هذه الأمور كانت مفزعة بالنسبة للملك تودخاليا الرابع. لأن أي غزو أشورى في المنطقة سوف يعطى لتوكلتى ننورتا الأول السيطرة على الطرق الرئيسة التي تؤدي عبر نهر الفرات إلى الأناضول بل وزيادة رغبة الملك الأشوري في السيطرة على سوريا، ولعل ذلك كان نذيرًا بتوقف الدبلوماسية بينهما؛ حيث أعلن تودخاليا الرابع بأن الملك الأشوري عدوا له، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في معاهدته مع الملك الأمورى شاوشجا–موا [٤]، والتي جاء على النحو التالي:

– *الفقرة (١٣)* *(Aiv)*

(1) A. Tsukimoto," Ein Neuestwr Text Im Hana-Stil in Mittel Assyrischer Schrift", *ARRO* 105(2011),p.85.

(2) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.83.

(3) T. Bryce, Ancient *Syria A Three Thousand Year History*, p.84.

(4) T. Bryce, Ancient *Syria A Three Thousand Year History*, p.84.

يجب على التجار التابعين لك ألا يذهبوا بتجارتهم الى آشور، ويجب الأ تسمح للتجار من آشور أن يأتوا إلى بلادك، ويجب الا يمر (يعبر) هذا الملك بأراضيك. ولكن إذا جاء هذا الملك إلى أراضيك يجب عليك أن تقبض عليه، وتقوم بإرساله لجلالتي. دع هذا الأمر يقع تحت مظلة أو منزلة القسم بالنسبة لك(١) .

– الفقرة (١٤) (Aiv)

– الأسطر من (١٩–٢٢)

لان جلالتي بدأ بالأعمال القتالية العدائية مع ملك أشور ، ولأن جلالتي قمت بتشكيل الجيش وفرقة من العربات الحربية لنفسي، ولأنها مسألة ملحة وعاجلة... بالنسبة لجلالتي، اجعلها تبدو كما لو كانت مسألة عاجلة وملحة... بالنسبة لك(٢).

وأمام موقف الملكين الحيثي والأشوري كانت المواجهة العسكرية حتمية ولا مفر منها، وقد وقعت هذه المواجهة في منطقة نهريا Nihriya الواقعة في شمال شرق بلاد العراق القديم، وربما تقع شمال أو شمال شرق ديار بكر الحديثةDiyarbaker(٣). وفى أحد رسائله إلى ملك أوجاريت، قام توكلتى –ننورتا الأول بوصف هذا الصراع وتنصل من أية مسؤولية عن بداية التسبب في هذا الصراع، وقد جاءت هذه الرسالة كالتالى:

[... خلال فترة حكمى]، قاموا بارتكاب الأخطاء [...] ضد أرض أخي[...] – إيلى صديق أخي[...] لقد قاموا بنهب أرضك مرارًا وتكرارًا[...] وقاموا بنهب أرضك مرات عديدة .ولكن هذه المرة ،لم يرتكب أحد خطأ ضد أرضك.و لم يأخذ أحد منها حتى ولو حزمة من القش أو قطعة من الخشب من

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.61; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.101.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.61; G .Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*,p.101.

(٣) صلاح رشيد الصالحى:" العلاقات الأشورية الحثية: معركة نهاريا ونهاية المملكة الحثية"، المورد، مج٤٤، ع٣، ٤، وزارة الثقافة – دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (٢٠١٧م)، ص١١٨–١٩.

المنطقة الحدودية لأراضيك . وقد قام] أخي]بإرسال]...]هذه الرسالة. وكان أبى الملك (شلمنصر الأول) هو عدوك [...و] لكنى صديق أخـي [...] فهل قمت بتغيير رأيك؟[...] ولماذا أرسلت لي رسالة مثل هذه ؟ (١).

فلم تكن لدية أية رغبة في حدوث حرب بينه وبين حاتي، كما أعلن في تلك الرسالة، حيث اتجهت حملته العسكرية مباشرة إلى منطقة تسمى أرض نائيرى Na'iri، والتي لم تكن في وسعها أن تفعل شيئًا مع الحيثيين، وكان تودخاليا الرابع يرى الأمور بصورة مختلفة. فتلك الحملة العسكرية لم تكن سوى مرحلة من مراحل التوسع المستمر للإمبراطورية الأشورية التي كانت تمثل تهديدًا للحيثيين بصورة مستمرة، واتخذ قراره بأن يواجه القوات الأشورية هناك، وخارج المقاطعة الحيثية وبدعم من الملوك المحليين الذين كانوا هم هدف هذا الهجوم الأشوري (٢).

أرسل الملك الأشوري توكلتى ننورتا الأول إنذارًا أخيرًا إلى تودخاليا الرابع، بأن يتراجع وينسحب من نهاريا، وعندما تجاهل تودخاليا الرابع هذا الإنذار بالانسحاب واستمر في تقدمه بجيشه، أصدر توكلتى ننورتا الأول أوامره إلى قواته العسكرية ببدء الهجوم عليهم، حيث تمكن من إلحاق هزيمة كبيرة بالجيش الحيثي، وتم القبض على نحو ٢٨.٨٠٠من الجنود الحيثيين، عبر نهر الفرات، وإن كان هذا الرقم يحمل بعض المبالغة، ومع هذا الهجوم شعر تودخاليا الرابع بالقلق والخوف، ولكن وصلت الأنباء إليه بأن الملك الأشوري توكلتى ننورتا الأول قد غير وجهته واتجاهه بدلاً من الغرب (غرب نهر الفرات) اتجه نحو الجنوب، حيث بابل، وقضى الجزء الباقي من حياته منحصرًا في صراعاته وحروبه مع البابليين(٣).

---

(1) M.Yamada," The Second Military Conflict between Assyria and Hatti in The Reign of Tukulti- Ninurta I ", p.209.

(2) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.84.

(3) T. Bryce ,*Ancient Syria A Three Thousand Year History* ,p.85;T.Bryce, *The World of the Neo- Hittite Kingdom*, p.54

ويمكن أن نلخص العلاقات بين توكلتى – ننورتا الأول وتودخاليا الرابع على النحو التالي:

- علاقات ودية بينهما في بداية وصول الملك توكلتى – ننورتا الأول إلى سُدة الحكم.
- الصراع العسكرى الأول: معركة نهاريا التي انتهت بانتصار الأشوريين في بداية حكم توكلتى – ننورتا الأول.
- عقد معاهدة سلام في كوماخ Kumahu بعد مرور عدة سنوات من بداية فترة حكم توكلتى – ننورتا الأول.
- تدهور العلاقات بينهما بعد مرور عدة سنوات على تولى توكلتى – ننورتا الأول.
- الصراع العسكرى الثاني غزو المدن الواقعة في منطقة الفرات الأوسط العليا بواسطة خانيجلبات الأشورية ثم إجراء المفاوضات ثم إعادة المدن بواسطة توكلتى – ننورتا الأول إلى ملك كركميش ، وربما تم إبرام معاهدة جديدة بينهما أو التأكيد على معاهدة السلام القديمة بينهما [١] .

وبعد استعراض الموقف العدائي مع آشور، ورغبة الملك تودخاليا الرابع في فرض نوع من العقوبات الاقتصادية على آشور، وذلك من خلال عدم السماح لأية سفينة من أخياوا الإبحار إلى أشور، وقد جاء ذكر ذلك على النحو التالي:

- الفقرة (١٥) (Aiv) - الأسطر من(٢٦-٢٦)

[يجب ألا تسمح لأية سفينة من أخياوا أن تذهب إليه (تذهب إلى ملك آشور) *[...]* وعندما يرسل (؟) *[...]* فإن الإله الـراعي في أراضيـك *[...]* القصر *[...]* [٢].

(1) M.Yamada," The Second Military Conflict between Assyria and Hatti in The Reign of Tukulti- Ninurta I ", p.213.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*, p.63.

تقدم تلك الفقرة من المعاهدة بعض المعلومات على نشاط الأسطول التابع لأخياوا أو على الأقل إمكانياته أو تهديده في منطقة الشاطئ الشرقي من البحر المتوسط، خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبسبب توقع الملك تودخاليا الرابع لنشوب حرب بينه وبين أشور، فقد قام بفرض حظر أو منع على سفن أخياوا (ربما كان الحظر مفروضًا على شحنات هذه السفن) المتجهة إلى آشور عبر أمورو. وبالرغم من أن هذا الحظر تم تفسيره بأنه كان حظرًا تجاريًّا على التجارة والتجار من أخياوا ، إلا إنه يمكن القول بأن هذا الحظر ربما كان يقصد به الترتيبات العسكرية استعدادًا للحرب ،ولعل هذا ربما يكون هو الاحتمال الأكبر وراء فرض الحظر على سفن أخياوا التي كانت تستخدم في نقل الجنود المرتزقة إلى أشور عبر موانئ ساحل أمورو(١).

هذا، ومن بين البنود التي تفرض على الملك التابع أن يقوم بتقديم المساعدات العسكرية وقت الحاجة إليها سواءً عندما تتأهب القوات الخاصة بالإمبراطورية للقيام بإحدى الغزوات في المناطق المجاورة لها. وفي الحالة القصوى الأخرى عندما يتعرض الحاكم الحيثي نفسه لتمرد وثورة داخلية. كما يجب أن يتخلى الملك التابع عن كل الاتفاقيات الدبلوماسية الأجنبية المستقلة ويمنع علية الاشتراك في أية حرب أو أعمال خاصة بالحرب مع ملوك آخرين تابعين للسيادة والهيمنة الحيثية، وكذا يتعهد الملك التابع بأن يقوم بتسليم أية هاربين من الحيثيين الذين من الممكن أن يدخلوا إلى أراضى مملكته. وهذا الأمر لا ينطبق فقط على الأفراد الساخطين من أفراد الطبقة الحاكمة، ولكنه ينطبق أيضًا على الفلاحين والحرفيين، أي أصحاب المهن الحرفية العاديين الهاربين إلى أراضيه والذين تهربوا من مسئولياتهم والتزاماتهم. وبدون استثناء

(1) T. Bryce ," The Land of Hiyawa (Que) revisited", *Anatolian Studies* 66(2016),p.70..

، فإنه يجب على الحاكم التابع أن يقوم بضمان وتأمين ولاية العرش وصعود ولى العهد المعين من قبل الملك العظيم لعرش الحيثيين(١).

وقد تم التعبير عن ذلك في المعاهدة على النحو التالي:

- *الفقرة (١٧) (Aiv)* هذه الفقرة بها العديد من المحو والفجوات
- *الأسطر من (٣٦-٤٧).*

الملوك] ...] يجب ألا ترغب في] ...خدمتي (؟) الذين ... إلى أرض حاتي[...]وأماكن أخرى إلى [...]وعادوا إلى ... وليس إلينا ، فى أرض ... يجب الا تخفيه (تخبأه) ، ولكن يجب ان تقبض عليه وعلى زوجته وابنه وترسله إلى جلالتي. وهذا الأمر يوضع بمثابة يمين القسم بالنسبة لك. [الـ... الذى] قمت بتحصينه وحمايته بصورة مستمرة فى *مواجهة العدو [القادم إلى خاتوشا ! ويجب أن يوضع ذلك بمثابة يمين القسم بالنسبة لك]*(٢).

ومن المعروف أن نص معاهدة التبعية كان يتم صياغته بالشكل المسماري على أحد الألواح المعدنية (أحيانا تكون مصنوعة من الفضة ، وفي الغالب يتم صناعتها من البرونز)، ويتم تقديمها إلى الملك التابع، وإن كان معظم المتاح من تلك المعاهدات كان مقتصرًا على المسودات الأساسية لهذه المعاهدات المكتوبة على الطين والتي يتم حفظها في خزانة المعبد، الخاص بكبير المعبودات في أرض الملك التابع؛ حيث تكون في حفظ ورعاية المعبودات، ومن حين لآخر كان يتم قراءتها

(1) G. Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition", *in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus'' – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten* , p.285.

(2) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.63.

بصوت مرتفع أمام الملك التابع ، ولعل الهدف من ذلك هو ان يظل متذكرًا لكل الالتزامات المطلوبة منه، وأن تكون حاضرة بشكل دائم في عقله(١).

ثم يأتي في نهاية المعاهدة ذكر لقائمة الشهود الملكيين أي سوف يطلب من جميع المعبودات الموجودة في أرض الملك العظيم والملك التابع أن يكونوا شهودًا على بنود الاتفاقية، وأن يكونوا كذلك الضامنين لتنفيذ يمين القسم بالولاء والإخلاص، ولعل القوائم الكبيرة من المعبودات الموجودة في تلك المعاهدة لعبت دورًا كبيرًا في فهم الكثير عن الديانة الحيثية في الألف الثاني قبل الميلاد (٢).

وقد ورد ذلك في المعاهدة على النحو التالي:

- *الفقرة (٢٠) (Brev)*
- *الأسطر من (٨-٢٥).*

[...] معبود العواصف في السوق [...، معبود العواصف] في هبسساسابا [Hissassapa...] في حاتي،[...] في حاتي[...] ايا Ea، الاتوم Allatum، [...]، اسكاسيبا Askasepa،[...، شاوشگا Shaushga(٣) في Hatagga،[... ، معبود الحرب في

(1) G.Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition",*in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus'' – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten* ,p.286.

(2) G.Beckman, "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition",*in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus'' – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten* ,p.286.

(٣) عبدت المعبودة عشتار في بلاد الأناضول بمسمى عشتار نينوى، وإن كان ورودها في النصوص الحيثية بالاسم الحورى شاوشگا؛ حيث انتشرت عبادتها في العديد من المواقع في منطقة ساموحا و لواوزنتانا. للمزيد عن الديانة الحيثية انظر: خلف زيدان خلف سلطان الحديدي: الديانة=

ايلا Ellaya] ، معبود الحرب فى ارزايا Arziya، [...]، فى Hatagga هاتاجا فى انكوا Ankuwa ، [...] ، Huwassanna فى هويسنا Hupisna، [... فى ايشوبيتا Ishupitta، معبودة الأرض ،[Kuniyawani فى أراضى جبل لبنان ، وجبل Sarissiya وجبل Pisaisa] ، والمعبودات القاطنة فى الجبال ، [والمعبودة اريشكيجال Ereshkigal، كل المعبودات من الذكور والإناث الموجودة فى أرض حاتي ، كل المعبودات القاطنة[... فى أرض أمورو ، نارا Aara، نابسارا Napsara، مونكى Munki، توحوسى Tuhusi] ، [...Ammizzadu،الالو Alalu،أنتو Antu أنو Anu ، Apandu أباندو] ،انليل Enlil ننليل Ninlil ،[الجبال والأنهار والعيون المائية والبحر العظيم – كل هؤلاء سيكونون شهودًا على يمين القسم.وإذا قمت أنت بتغيير كلمات ذلك اللوح فإن هذه المعبودات ستدمرك بشكل تام ونهائي(١).

وهكذا تضمنت هذه المعاهدة سلسلة طويلة من الشروط التى تبين السيادة والسلطة المطلقة، والتي يمثلها الملك الحيثي والتابع الذي عليه الالتزام بما يمليه عليه الملك الحيثي من شروط وما يفرضه عليه من التزامات.

=الحيثية في بلاد الأناضول، ص٥٣.

(1) G .Beckman, and (Others),*The Ahhiyawa Texts*,p.65.

- **خاتمة الدراسة**: -

- مما سبق يمكن القول بأن الهدف الرئيس من توقيع معاهدات التبعية هو إحداث حالة من الاستقرار، وذلك من أجل إحكام السيطرة على تلك الممالك، وضمان مساندتها في المعارك العسكرية.
- قدمت هذه المعاهدة ذكرًا للعديد من الواجبات التي تفرض على الملك التابع ما بين:

– مساندة الملك الحيثي وقت الحروب والمعارك العسكرية.
– أن يكون عدوًا لعدو الملك الحيثي التابع له، وصديقًا لصديق الملك أيضاً.
– يحرم عليه الدخول في أية علاقات دون علم ومعرفة الملك الحيثي التابع له.
– إرجاع الهاربين لديه إلى الملك الحيثي.
– دعم الملك التابع لسلالة لملك الحيثي العظيم التابع له، أي يكون تابعًا أيضًا لأبنائه وأحفاده ومسانداً لهم.

- أعطت هذه المعاهدة أيضًا العديد من المعلومات، وخاصة في مقدمتها التاريخية والتي يتم فيها استعراض العلاقات ما بين أمورو وحاتي، وأوضحت مدى ما تتمتع به الممالك الخاضعة سواء تلك المحتلة أو تلك التي تم إخضاعها بقوة السلاح من حقوق من قبل الملك الحيثي.
- قدمت هذه المعاهدة ذكرًا لعدد كبير من المعبودات سواءً في حاتي وأمورو الأمر الذي من شأنه إعطاء تفصيل كبير عن الديانة السائدة في بلاد الأناضول.
- أبرزت هذه المعاهدة سلمية العلاقات ما بين مصر وبابل والملك الحيثي تودخاليا الرابع، في حين أظهرت مدى العداوة والصراع الكبير بينه وبين أشور، جاء ذلك من خلال تحذيره لشاوشجا–موا بعدم السماح بمرور أخياوا إلى أشور عبر أمورو.

▪ قائمة الاختصارات: -

ABSA: *Annual of the British School of Athens* .Inst.of Class.Stud.)Londres).

ÄgLev :Ägypten und Levante (Vienne, Autr.)

AJA : *American Journal of Archaeology.Archaeol*.Inst.of Amer.(New York, Baltimore, Puis Norwood).

AJT *: American Journal of Theology(Chicago, Illin).*

AnatStud : *Anatolian Studies*. Journ. of the Brit. Of Archaeol .at Ankara(Londres).

ARAB : Luckenbill, D.D. , Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. 1-II, University of Chicago, 1926/1927.

BASOR : *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* in Jerusalem and Baghdad (Ann Arbor ,Mich. ,Haven).

EJARS : *Egyptian Journal of Archaeological and Restoration Studies*

Historia(W): Historia.Zeitschr.fur alte Gesch.(Wiesbaden)

HSF : Historische Sprachforschung (Göttingen)

JAOS : *Journal of the American Oriental Society*, New Haven.

JARCE : *Journal of the American* Research Center in Egypt (Boston, NewYork)

JATS : *Journal of the Adventist theological Society*.

JBL : *Journal of* Biblical Literature. Soc .of Bibl. Lit.(Chico,Calif.).

JCS : Journal of Cuneiform Studies , New Haven.

JC unStud : Journal of Cuneiform Studies(Ann Arbor, Mich., New Haven, Conn.).

JEA: Journal of Egyptian Archaeology. Egypt Explor. Soc. (Londres).

Continue AREEF.

JNES : Journal of Near Eastern Studies , Continuing the American Journal of Semitic Languages and Literatures the University of Chicago press Illinois U.S.A. (1946 , ..

Iraq : British School of Archaeology in Iraq , London

RAAO : Revue d'assyriologie et d'archeologie Orientale(Paris).

Vet Test : Vetus Testamentum .Quart. publ.by the Internat. Organiz. of Old Test. Scholars (Leyde).

❖ المراجع: -

▪ أولاً: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد عبد الرحمن عابدين محمد حسان: المعاهدات الدولية دراسة فى تاريخ العراق القديم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، جامعة الزقازيق؛٢٠٠٦م.
- أحمد قدري: المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية ١٥٧٠ق.م–١٠٨٧ق.م.، ط١، ترجمة /مختار السويفى ومحمد العزب موسى، مراجعة د/محمد جمال الدين مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،٢٠١٤م.
- أ.ر. جرنى: الحيثيون،ترجمة د/محمد عبد القادر محمد،مراجعة د/فيصل الوائلى،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٧م.
- أوسام بحر جرك: تأثير فنون بلاد وادي الرافدين على الفنون الحثية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب– جامعة بغداد،٢٠٠٤م.
- جهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكدية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، ٢٠٠٩م.
- .....: " العلاقات بين حلب وألالاخ خلال الألف الثاني ق.م."، مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٣، ع ٦، جامعة طرطوس (٢٠١٩م).

- خلف زيدان خلف سلطان الحديدي: الديانة الحيثية في بلاد الأناضول، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل،٢٠١٢م.
- سليمان حامد الحويلى:" شعوب البحر فى المصادر النصية الأثرية ومظاهر الخلط فى تمثيلهم في النقوش المصرية"، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع ١٦، القاهرة، (٢٠١٥م).
- سمر عصام صلاح الدين: "العلاقات بين مصر وخيتا فى عهد رمسيس الثانى"، مجلة البحث العلمي في الآداب، ع١٨، ج٢، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية – جامعة عين شمس،(٢٠١٧م).
- الصديق بودوارة المغربي:" شعوب البحر بين الحلفاء الليبيين والمصادر المصرية"، المجلة الليبية العالمية، ع٣٣، كلية التربية بالمرج– جامعة بنغازي، (٢٠١٧م).
- صلاح رشيد الصالحى:" الدبلوماسية البابلية فى عصر العمارنة دراسة فى رسائل العمارنة"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج١٦، ع٦، (٢٠٠٩م).
- ..... : " العلاقات الأشورية الحثية فى القرن الثالث عشر ق . م دراسة الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين المملكتين"، مجلة دراسات تاريخية، ع ٢٢، بغداد، (٢٠٠٩م).
- ..... :" الخيانة الزوجية فى الشرق الأدنى القديم من وجهة نظر الأعراف والتقاليد والقوانين القديمة "، مجلة كلية التربية للبنات، مج ٢٠، ع ٢١، (٢٠٠٩م).
- .....: القوانين الحثية تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، بغداد،٢٠١٠ م.
- ..... :" العلاقات الأشورية الحثية: معركة نهاريا ونهاية المملكة الحثية"، المورد، مج٤٤، ع٣،٤، وزارة الثقافة – دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (٢٠١٧م).

- عبد الله الصمادي:" الإدارة المصرية في بلاد الشام خلال حكم الدولة الفرعونية الحديثة حوالي ١٥٥٠-١٢٠٠ق.م."، مؤتة للبحوث والدراسات –سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢٣، ع٦، جامعة مؤتة، (٢٠٠٨م).
- عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار:" طبيعة العلاقات التجارية بين أوغاريت والإمبراطورية الحثية"، مجلة جامعة الملك سعود، مج ٤١، ع٢٣، جامعة الملك سعود، (٢٠١١م).
- عدنان محمد مجلي:"مملكة يمخد حلب ودورها السياسى والاقتصادي فى الألف الثاني قبل الميلاد"، مجلة آداب ذي قار، ع٢٠، كلية الآداب – جامعة ذي قار، (٢٠١٦م).
- فاروق إسماعيل:" معاهدات الملك الحثى شوبيلوليوما الأول نحو ١٣٨٠-١٣٤٠ق.م. مع الممالك السورية"، مجلة السياحة والآثار، مج٢١، ع١، جامعة الملك سعود، (٢٠٠٩م).
- .....: مراسلات العمارنة الدولية وثائق مسمارية من القرن ١٤ق.م.، ط١، إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م.
- .....:" مملكة نخشى في المصادر الأكدية والمصرية القديمة"، مجلة دراسات تاريخية، العددان١١٥ -١١٦، (٢٠١١م).
- فايزة محمود صقر: " العلاقات المصرية الخيتية فى عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠-١٠٦٩ق.م.) بحث مرجعي"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية ٢٥، الرسالة ٢٣١، جامعة الكويت(٢٠٠٥م).
- محمد العلامى:" الزي العسكري لرجال شعوب البحر فى الرسومات المصرية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، ع٢٨، جامعة القدس المفتوحة، (٢٠١٢م).
- محي الدين النادي أبو العز:" الهروب والنفي فى سوريا خلال الألف الثانى ق.م." مجلة المؤرخ العربي، ع٢٤، القاهرة، (٢٠١٦م).

- .....: " دور الأمير كورنتا فى مشكلة وراثة العرش الحيثي من ١٢٧٢– ١٢٢٧قبل الميلاد "، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب (دراسات فى أثار الوطن العربى)، مج٢٠، ع٢٠، (٢٠١٧م).
- .....:" المصاهرات السياسية وشروطها الإلزامية فى سوريا إبان السيادة الحيثية من (١٣٥٠–١٢٠٠ق.م.) أمورو وأوجاريت نموذجًا "، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج٨٨، ع٢، جامعة المنيا، (٢٠١٩م).
- معاذ حبش خضر العبادي: الحوليات الملكية في العصر الاشورى الحديث دراسة تحليلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، (٢٠٠٦م).
- هاجر محمد على: الملك شوبيلوليوما الأول دوره ومكانته في المملكة الحثية (١٣٧٠–١٣٤٠ق.م.)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد،٢٠١٨م.
- هاني عبد الغنى عبد الله: "بابل في المدونات الحثية"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج٣، ع٤، جامعة الموصل – العراق، (٢٠١٦م).
- هديب حياوى غزالة:" أوغاريت: مركز تجارة العالم القديم"، مجلة بابل –العلوم الإنسانية، مج ١٨، ع٤، جامعة بابل، (٢٠١٠ م).

▪ ثانياً: المراجع الأجنبية: -

- Abo- Eleaz, M., "The Egyptian Role in Ullaza during The Second Millennium B.C", EJARS 7(2017).
- Ahrens, A.," A Journey's End – Two Egyptian Stone Vessels with Hieroglyphic Inscription from The Royal Tomb AT Tell Mišrify / Qatna", *Äg Lev* 16(2006).
- Altman, A.," Rethinking the Hittite System of Subordinate Countries from the Legal Point of View", *JAOS* 123, No.4(2003).
- Badre, L.," Tell Kazel-Simyra:A Contribution to a Relative Chronological History in the Eastern Mediterranean during the Late Bronze Age", BASOR ,No.343(2006).

- Beckman, G.," Mesopotamians and Mesopotamian Learning at Hattusa ", *JCunStud* 35, No.1(1983).
-……., *Hittite Diplomatic Texts*, edited by H.A.Hoffner, Jr., Atlanta, Georgia,1996.
- ……., "Hittite Treaties and the Development of the Cuneiform Treaty Tradition*", in Markus Witte, Konrad Schmid (eds) ,Die Deuteronomistischen Geschichtswerke: Redaktions-und Religionsge Schichtliche Perspektivenzur,, Deuteronomismus'' – Diskussion in Tora und Vorderen Propheten*, Berlin,2006.
- Berman, J., " Histories Twice Told: Deuteronomy 1-3 and the Hittite Treaty Prologue Tradition", *JBL* 132, No (2013).
-Bryce, T., and (others), The Routledge Hand Book of the People and Places of Ancient Western Asia the Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Presian Empire, London and New York ,2009.
-Bryce, T., *The World of The Neo- Hittite Kingdoms Apolitical and Military History*, Oxford,2012.
-…….. , *Ancient Syria A Three Thousand Year History*, Oxford,2014.
-……., Atlas of the Ancient Near East from Prehistoric Times to the Roman Imperial Period, New York and London,2016.
-……," The Land of Hiyawa (Que) revisited", *Anatolian Studies* 66(2016).
- Cline, E. , "A Possible Hittite Embargo against the Mycenaeans", *Historia (W)* 40,H.1(1991).
- Cohen, A.T.," Biblical Covenant and Hittite išhiul Reexamined ",VetTest 61,Fasc.3(2011).
-Collins, B .J ," Hattusili I , The Lion King*", JCunStud* 50(1998).
- Fisher, L.," Double Attribution in aletter from Egypt to Ugarit (RS 88.2158)", JAOS 135,No.4(2010).
-Gaballa, G.A.,"Three Documents from the Reign of Ramesses III", *JEA* 59(1973).
-Garstang, J.," Hittite Military Roads in Asia Minor: A Study in Imperial Strategy with a map", *AJA* 47 ,No.1(1943).
-Goetze, A., " The Predecessors of Suppiluliumas of Hatti and the Chronogy of the Ancient Near East", *JCunStud* 22,No.2(1968).
- Goren, Y.,and (Others)," The Expansion of the Kingdom of Amurru According to the Petrographic Investigation of the Amarna Tablets", BASOR ,No.329 (2003).
- Gregory, M.M," The History of the Hittites", *BA* 52,No.2/3(1989).

- Gurney, O.R.," The Hittite Title Tuhkanti", *AnatStud* 33(1983).
- ……..," The Treaty with Ulmi-Tešub", Anatolian Studies 43(1993).
- Grintz, J.M. " The Treaty of Joshua with The Gibeonites", *JAOS* 86, No.2 (1966).
- Knapp, A.B and Manning, S.W., "Crisis in Context:The End of the Late Bronze Age in the Eastern Mediterranean", *AJA* 120,No.1(2016).
- Kopetzky, K.and (others),"Between Land and Sea", *ÄgLev* 29(2019).
-Liverani, M .," Implicazioni Sociali Nella Politica di Abdi- Ashirta di Amurru", *Rivista degli Studi Orientali* 40,Fasc.4(1965).
- Luckenbill, D.D.," The Hittites", AJT 18,No.1(1914).
-Luckenbil ,D.D ,Ancient Records of Assyria and Babylonia ,Vol.1,Chicago,1929.
-Mendenhall, G.E. " The Message of Abdi-Ashirta to the Warriors, EA74", *JNES* 6,No.2(1947).
-Rainey, A.F ., *The El-Amarna Correspondence A New Edition of the Cuneiform Letter from the Site of El-Amarna based on Collations of all Extant Tablets ,Vol.1,Edited by W.M.Schniedewind*,Leiden-Boston,2015.
- Schulman, A.R.," Some Observations on the Military Background of the Amarna Period ", *JARCE* 3(1964),
-Simpson, R.H. "The Dodecanese and the Ahhiyawa Question ",*ABSA* 98(2003).
-Singer, I.," The " Land of Amurru" and the " Lands of Amurru" in the Šaušgamuwa Treaty", *Iraq* 53(1991),
Stieglitz ,R.R.," The City of Amurru", *JNES* 50,No.1(1991),-
Thomas, E.," Ramesses III :Notes and Queries", *JEA* 45,(1959).-
-Tsukimoto, A., " Ein Neuestwr Text Im Hana-Stil in Mittel Assyrischer Schrift", *ARRO* 105(2011).
-Waterhouse, S.D.," Who are the Habiru of the Amarna Letters ?",*JATS* 12/1(2001).
Westbrook, R.," The Naptaru at Ugarit", *JCS* 60(2008).-
-Woudhuizen , C. ,"Kuruntas: A Recollection of the Relevant Data ", HSF 128 (2015),
- Yamada, M." The Second Military Conflict between Assyria and Hatti in The Reign of Tukulti- Ninurta I ", RAAO 105 (2011).

الأشكال واللوحات

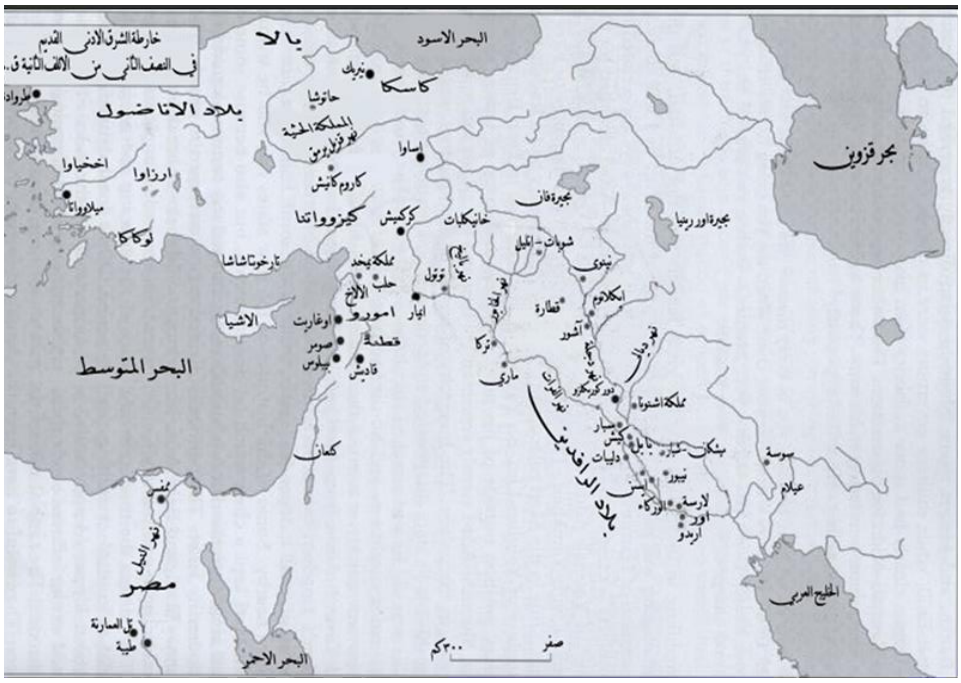

خريطة (رقم ١)

توضح موقع مملكة أمورو وبعض الأماكن الواردة بالبحث

صلاح رشيد الصالحي: القوانين الحثية تأثير الشرائع العراقية القديمة على قوانين بلاد الأناضول، بغداد ،٢٠١٠م، ص٧.

أسماء الملوك	سني حكمهم
تودخاليا الأول/الثاني Tudhaliya I/II	١٤٠٠–١٣٥٠ق.م.
أرنووانداالأول Arnuwanda I	
خاتوشيلى الثاني Hattusili II	
تودخاليا الثالث Tudhaliya III	
شوبيليوليوما الأول Suppiluliuma 1	١٣٥٠–١٣٢٢ق.م.
أرنووانداالثاني Arnuwanda II (ابن شوبيليوليوما الأول Suppiluliuma 1)	١٣٢٢–١٣٢١ق.م.
مورشيلى الثاني Mursili II (ابن شوبيليوليوما الأول Suppiluliuma 1)	١٣٢١–١٢٩٥ق.م.
مووتللى الثاني Muwat(t)alli I (ابن مورشيلى الثاني Mursili II)	١٢٩٥–١٢٧٢ق.م.
أروخى – تيشوب Urhi–Teššub (مورشيلى الثالث Mursili III) (ابن مووتللى الثاني Muwat(t)alli II)	١٢٧٢–١٢٦٧ق.م.
خاتوشيلى الثالث Hattusili III (ابن مورشيلى الثاني)	١٢٦٧–١٢٣٧ق.م.
تودخاليا الرابع Tudhaliya IV (ابن خاتوشيلى الثالث Hattusili III)	١٢٣٧–١٢٠٩ق.م.
أرنووانداالثالث Arnuwanda (ابن تودخاليا الرابع Tudhaliya IV)	١٢٠٩–١٢٠٧ق.م.
شوبيليوليوما الثانى Suppiluliuma II (ابن تودخاليا الرابع Tudhaliya IV)	١٢٠٧ق.م–؟.

ملحق رقم (١) ملوك العصر البرونزي المتأخر فى حاتي المملكة الحيثية الحديثة

T. Bryce, *The World of the Neo- Hittite Kingdoms Apolitical and Military History*, Oxford,2012, p.210; M.M. Gregory," The History of the Hittites", *BA* 52, No.2/3(1989), p.64.

بابل	أشور	مصر	أمورو	أوجاريت
		أمنحوتب الثالث Amenhotep III		أمايستامرو الأول Ammi tamrul
	أشور – أوباليط الاول Assur–uballit I	أخناتون Akhenaten	عزيرو Aziru	نيقمادو الثانى Niqmaddu II
			أرى– تيشوب Ari– Teshshup	أر– هاليا Ar–Halba
		حور محب Horemhab	دوبى– تيشوب Tuppi–Teshshup	نيقميبا Niqmepa
	أدد–نيرارى الأول Adad–nirari I	سيتى الأول Seti I	بنتى – شينا Benteshina	
كادشيمان–تورجو Kadashman–Turgu		رعمسيس الثانى Ramses II	شابيلى Shapili	
كادشمان–انليل الثانى Kadashman–Enlil II	شلمنصر الثالث Ramses II		بنتى – شينا Benteshina	
	توكلتى– ننورتا الأول Tukulti– Ninurta I	مرنبتاح Merneptah	شاوشجا– موا أخر ملوك أشور Shaushga–muwa	أمايستامو الثانى Ammistamru II

ملحق (٢)

أسماء بعض الملوك في أمورو، وما يقابلهم في كل من بابل وأشور ومصر وأوجاريت.

G. Beckman, *Hittite Diplomatic Texts*, edited by

H.A.Hoffner,Jr.,Atlanta,Georgia,1996,p.XV.

السكيثيون ومملكة البوسفور اليونانية في شمال البحر الأسود من القرن السابع إلى القرن الثاني ق.م

د/ شروق سمير هيكل

مدرس التاريخ اليوناني والروماني

كلية الآداب– جامعة المنصورة

الملخص:

اخترقت قبائل بدو السكيثيين سلامة وبساطة الوجود اليوناني على طول الساحل الشمالي للبحر الأسود من القرن السابع ق.م، إذ إنه لم تكن هناك أية عوائق أو عراقيل أو حدود تحد من تَرَحُّل السكيثيين المتاخمين في أراضي اليونانيين بالطرق السلمية أو بالطرق غير السلمية لعشرات السنين. وهذا الأمر تولَّد عنه تكوين مملكة البوسفور اليونانية في القرن الخامس ق.م لضم كل الإغريق في كيانٍ واحدٍ؛ وذلك للاعتماد على التنظيم والاقتصاد في مجابهة خطر بعثرة وسُعَار الرحَّل السكيثيين على كياناتهم الريفية. وقد أفضى ذلك إلى فاعلية وحيوية على الصعيدين السكيثي واليوناني بشكلٍ كبيرٍ. تسعى هذه الدراسة من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي إلى كَشْف أطوار ومدى صلة التهديد السكيثي لإغريق البوسفور حتى القرن الثاني ق.م في ساحة شمال البحر الأسود.

الكلمات الدالة: سكيثيا، السكيثيون، مملكة البوسفور، البوسبوران، شمال البحر الأسود

The Scythians and the Greek kingdom of the Bosporus in the Northern Black Sea from the seventh century to the second century BC.

Abstract:

Scythians nomadic tribes penetrated the integrity and simplicity of the Greek presence along the northern coast of the Black Sea from the seventh century BC. For there were no obstacles, hindrances, or borders limiting the movement of the Scythians in the lands of the Greeks by peaceful or non-peaceful means for tens of years, which is what gave birth to the formation of the Greek Kingdom of the Bosporus in the fifth century to include all the Greeks in one entity. This is to rely on organization and economy in the face of the danger of scattering and frenzy of the Scythian nomads on their rural entities. This led to the effectiveness and vitality of the Scythian and Greek levels to a large extent. This study seeks, through the analytical inductive method, to reveal the phases and the extent of the relationship of the Scythian threat to the Bosporan Greeks until the second century BC in the northern Black Sea square.

Key words: Scythia, Scythians, Bosporus kingdom, Bosporan, Northern Black Sea

مقدمة:

كان شمال البحر الأسود "بحر اليوكسين Εὔξεινος πόντος" لمدة ستة قرون مسرح حياة قبائل البدو السكيثيين والإغريق المستقرين على سواحله، أيضًا بات ساحة مداهمة أهل البادية لأهل الحضر للحصول على مقومات حياتهم التي يفتقرونها؛ فقد حَوَى الوجود اليوناني رَغَدَ العَيش في المكان وهو ما ظلَّ يُغري الرُحَّل السكيثيين الشرسين الذين حددوا مجالهم الطبيعي ورقعتهم من الأرض التي لهم وحدهم حق الارتحال فيها واستخدامها على نطاقٍ جماعي بكافة الطرق والأشكال حسب تطور حالة ووضع الإغريق هناك.

السكيثيون هم قبائل البدو الرحَّل من الشعوب الهندو أوروبية في السهوب والصحاري الأوراسية. أسست تلك القبائل البدوية مملكة سكوثيا/ سكيثيا Σκυθία القوية في القرن الثامن ق.م في منطقة شمال البحر الأسود بين شرق أوروبا وآسيا الوسطى(١). ويصفهم المؤرخون فيقول هيرودوتس(٢): "يشرب السكيثي دماء الضحية

(1) Anatoly M. Khazanov (2014), Nomads as agents of cultural change: 3. The Scythians and their Neighbors , pp.32-49, University of Hawaii Press, p.32.

السكيثيون من الأقوام الهندو أوروبية التي استوطنت مناطق روسيا وشبه جزيرة القرم (أوكرانيا حاليًا) في حدود القرن الثامن ق.م، كانوا يعملون في أرمينيا كحلفاء للملك الكيميري ماثان ضد الملك الآشوري سرجون الثاني. أُنظر:

E. V. Cernenko (1983), The Scythians 700-300 BC: Men at war series, London: Osprey Publishing Ltd, p. 3,5; Renate Rolle (1989), The World of the Scythians, University of Callifornia Press, p. 7.

(2) Hdt. IV. 64:

Ἐπεὰν τὸν πρῶτον ἄνδρα καταβάλῃ ἀνὴρ Σκύθης, τοῦ αἵματος ἐμπίνει. Ὅσους δ' ἂν φονεύσῃ ἐν τῇ μάχῃ, τούτων τὰς κεφαλὰς ἀποφέρει τῷ βασιλέϊ· ἀπενείκας μὲν γὰρ κεφαλὴν τῆς ληίης μεταλαμβάνει τὴν ἂν λάβωσι, μὴ ἐνείκας δὲ οὔ. Ἀποδείρει δὲ αὐτὴν τρόπῳ τοιῷδε·=

الأولى، وهو يحمل لملكه رءوس كل من قتلهم في المعركة؛ لأنه يأخذ نصيبًا من الغنيمة إذا أتى برأس، ولا يأخذ من غير ذلك. يسلخ فروة الرأس عن طريق إجراء قطع حولها من الأذنين، ثم يمسك بفروة الرأس ويهز الرأس للخارج، ثم يكشط اللحم بضلع ثورٍ، ويعجن الجلد بيديه ليجعله لينًا. ويحتفظ به كمنديلٍ يثبته بلجام الحصان الذي يركبه ويفتخر به.. وأيضًا الكثير (منهم) يسلخ الجلد من الجسم كله ويحمله على ظهر حصان ويعُلقه على إطارٍ خشبي". ويُضيف جوسيفوس(١): "السكيثيون يسعدون بقتل الناس؛ وهم أفضل قليلًا من الوحوش البرية". بل يُعرِّفهم على أنهم قوم مأجوج: "خلَّفَ مأجوج من سموا منه مأجوجيون، وهم من أُطلق عليهم السكيثيون". أما جوستينوس(٢)

=εριταμὼν κύκλῳ περὶ τὰ ὦτα καὶ λαβόμενος τῆς κεφαλῆς ἐκσείει, μετὰ δὲ σαρκίσας βοὸς πλευρῇ δέψει τῇσι χερσί, ὀργάσας δὲ αὐτὸ ἄτε χειρώμακτρον ἔκτηται, ἐκ δὲ τῶν χαλινῶν τοῦ ἵππου τὸν αὐτὸς ἐλαύνει, ἐκ τούτου ἐξάπτει καὶ ἀγάλλεται.. Πολλοὶ δὲ καὶ ὅλους ἄνδρας ἐκδείραντες καὶ διατείναντες ἐπὶ ξύλων ἐπ' ἵππων περιφέρουσι.

يتناول الكتاب الرابع لهيرودوتس أحداثًا تاريخية عن السكيثيين وسكيثيا التي زارها.

(1) Josep. Against Apion II. 269:

Σκύθαι δὲ φόνοις χαίροντες ἀνθρώπων καὶ βραχὺ τῶν θηρίων διαφέροντες

Josep. Antiqu. I. 6. 123:

Μαγώγης δὲ τοὺς ἀπ' αὐτοῦ Μαγώγας ὀνομασθέντας ὤκισεν, Σκύθας δὲ ὑπ' αὐτῶν προσαγορευομένους.

(2) Justin. Epit. II. 2:

Hominibus inter se nulli fines. Neque enim agrum exercent, nec domus illis ulla aut tectum aut sedes est, armenta et pecora se,per pascentibus et per incultas solitudines errarebsolitis. Uxores liberosque secum in plaustris uehunt, quibus coriis imbrium hiemisque causa tectis pro domibus utuntur.. lacte et melle uescuntur; lanae his usus ac uestium ignotus, et quamquam continuis frigoribus urantur, pellibus tamen ferinis ac murinis utuntur. Haec continentia illis morum quoque iustitiam dedit, nihil alienum=

الذي جمَّع مقتطفات نقلها عن هيرودوتس فيقول عن السكيثيين "أنهم بدو ليس لهم حدود؛ فهم لا يزرعون الأرض ولا بيتًا لهم ولا مسكنًا ولا محل إقامة، لكنهم دائمًا ما ينشغلون بإطعام قطعان الماشية والتجول في الصحاري غير المزروعة، إنهم يحملون زوجاتهم وأطفالهم معهم في عرباتٍ، حيث يستخدمونها بدلًا من المنازل؛ لأنها مغطاة بالجلود ضد المطر والبرد.. إنهم يعيشون على الحليب والعسل. استخدام الصوف والملابس غير معروف بينهم على الرغم من أنهم يعانون من البرد الدائم، وهم يرتدون جلود الحيوانات البرية كبيرة كانت أم صغيرة. إنه فقط حيثما تكون الثروة تسود الرغبة فيهم، يحبون الاعتدال في خيرهم والتحرر في خيرات الآخرين"!

أما بالنسبة إلى **وجود الإغريق في البوسفور*** فإن ترددهم على المنطقة يرجع إلى فترة سابقة لوجود السكيثيين؛ إذ كانت سواحل البحر الأسود مفتوحة على نطاقٍ واسعٍ للشعوب الساحلية(١)، ولكن بدأت حركة الاستيطان على السواحل في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م، واستمرت لعقودٍ عديدةٍ تالية(٢). وتشير الدلائل الأثرية أن البدو الشماليين لم يتمكنوا في القرن السابع ق.م من توحيد ذواتهم بالكامل في المكان

=concupiscentibus; quippe ibi diuitiarum cupido est, ubi et usus qtaue utinam reliquis mortalius similis moderatio abstinentiaque alieni foret! See also: Hdt. IV. 46-64.

Cf. Pliny N.H. X. 73; XXX 6; Amm. Marc. XXXI. 2.

* المقصود بالبوسفور هنا هي البقاع الشمالية من البحر الأسود وليس مضيق البوسفور عند المدخل الجنوبي للبحر الأسود.

(1) Xen. An. VII. 3. 16; Ath. 353C.

(2) Jonn Hind (1994), 9f: "The Bosporan kingdom in: Regional Surveys II: The west and north", pp.467-511, in: Cambridge ancient history, p. 482-483; Grougiou Christina (2015), Greeks and Locals in the Bosporan Kingdom: Cultural interactions, Supervisor: M. Manoledakis, International Hellenic University, p. 7.

الذي يضم سكانًا إغريقًا مستقرين ومنظمين (بشكل ريفي بسيط). ويبدو أن السكيثيين في أوائل فترة تواجدهم لم يكونوا عازمين على اجتياح السكان المستقرين، لذلك تمت عملية المعايشة بشكلٍ سلمي في البداية وإن كانت مصحوبة بتلاشي تدريجي. وعلى الصعيد اليوناني لم تكن هناك معارضة للعناصر البدوية الجديدة من جانب الإغريق، مما يشير إلى استقرار نسبي في علاقات التعايش هناك[١]. وليس أدل على ذلك تاريخيًّا من استمرار تأسيس مستوطنات يونانية كبيرة دون عداء خارجي خلال القرنين السابع والسادس ق.م مثل أولبيا (٦٤٧ ق.م) وبانتيكابايوم (أوائل القرن السادس ق.م) وآخرون[٢]. **(أُنظر الخريطة التالية)**

خريطة الساحل الشمالي للبحر الأسود[٣]

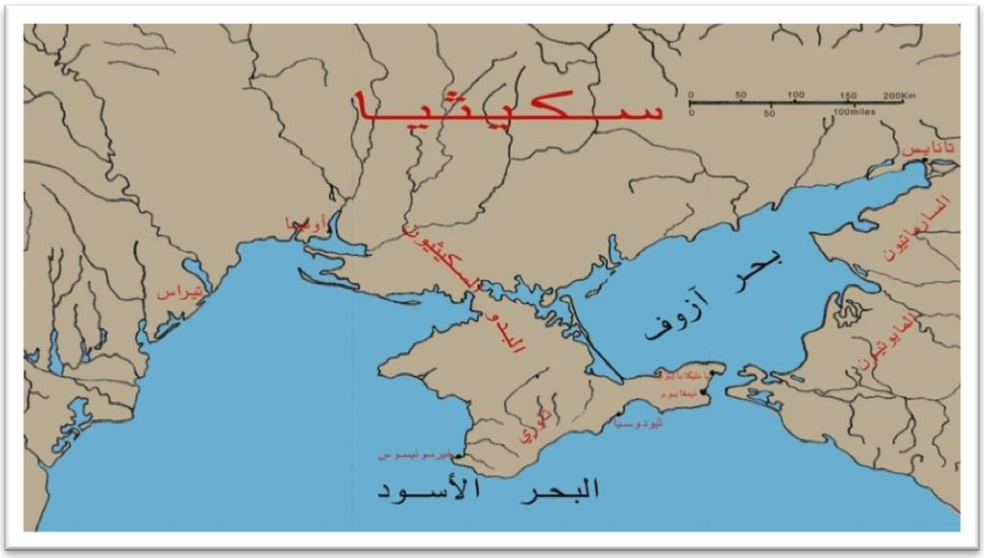

(1) K. Marčenko & Y. Vinogradov (1989), "The Scythians period in the northern Black sea region (750-250 B.C)", Antiquity 63, pp. 803-813, p.806.

(2) Pliny N.H. IV. 86; Strabo VII. 4. 5.

(٣) خريطة من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

Hind (1994), p. 478; Rolle (1989), p.12.

بدأ **العدوان السكيثي في منطقة البحر الأسود** في منتصف القرن السابع ق.م فكما يذكر هيرودوتس[١]: أن السكيثيين "قد غزوا آسيا بعد أن طردوا الكيميريين* من أوروبا.. هناك التقى الميديون بالسكيثيين الذين ضايقوهم في المعركة وحرموهم من حكمهم وجعلوا أنفسهم أسيادًا لكل آسيا (العليا)". ومن هناك، حوَّل السكيثيون أنظارهم إلى مصر، وعندما كانوا في مكان يعتبر جزءًا من سوريا يُدعى فلسطين التقى بهم ملك مصر بسماتيخوس (بسماتيك) Ψαμμήτιχος وأقنعهم بالهدايا ألا يأتوا أبعد من ذلك، فرجعوا إلى الوراء. حكم السكيثيون آسيا لمدة ثمانية وعشرين عامًا أهدروا فيها خيرات الأرض بسبب عنفهم/ همجيتهم حتى قام الملك الميدي كياكساريس Κυαξάρης (٦٥٣–٥٨٥ ق.م) والميديون بتدبير مؤامرة قُتل فيها عدد كبير منهم. وهكذا استعاد الميديون إمبراطوريتهم وكل ما كانوا يمتلكون سابقًا.

وقبل نهاية القرن السادس ق.م، في حوالي عام ٥١٣/٥١٢ق.م حيث كان الملك الفارسي داريوس الأول قد تمكن من تأسيس إمبراطورية امتدت من مصر إلى الهند، ولحماية إمبراطوريته الكبيرة التالية لإمبراطورية الميديين كان لابد من كسر شوكة خطر السكيثيين الذي يهدد أملاكه في آسيا، ولذلك وجه داريوس حملة عسكرية كبيرة ضد مملكة سكيثيا. فيذكر المؤرخون[٢] عبر داريوس نهر الدانوب بقواته (عدد المشاة كان أكبر بكثير من الفرسان) ونزل على مناطق السكيثيين الذين تمكنوا من التصدي لهجوم داريوس بعددٍ كبيرٍ من الفرسان لمدة شهرين. وبعد إنهاك قوى داريوس أرسل

---

(1) Hdt. I. 103-106.

* الكيميريون: قبائل في شبه جزيرة القرم هيمنت على منطقة القوقاز والسهول الشمالية للبحر الأسود، وبعد مجيء السكيثيين عبروا القوقاز وانتشروا في بلدان غرب آسيا. أُنظر:

Cernenko (1983), p. 5.

(2) Hdt. IV. 1-136.

يذكر هيرودوتس أن حملة داريوس تكونت من سبعمائة ألف جندي، وستمائة سفينة

Cf. Cetisias Persia 16-17; Strabo VII. 3. 14; Justin. Epit. II. 5.

رسالة لملك السكيثيين إيدانثورسوس Ἰδάνθυρσος فحواها ضرورة الاستسلام له، لكن رد الأخير برسالة* قوية مفادها أنهم ليس لديهم ما يخافون عليه أن يُسلب، لا مدن ولا أرض مزروعة. وبعدها ظل داريوس يخسر في المناوشات العسكرية مع السكيثيين والتي اضطرته إلى التقهقر عائدًا نحو سفنه الراسية في نهر الدانوب وترك جرحى وقتلى جيشه خلفه. عاد داريوس مهزومًا ليترك بتلك الهزيمة النكراء أمام السكيثيين انطباعًا سائدًا مُفاده أن السكيثيين قبائل لا تُقهر، فيقول عن ذلك هيرودوتس(١) "وهكذا هرب الفرس (سريعًا) ولم يلحق بهم السكيثيون الذين جزموا أن الأيونيين (القوات الأيونية التي كانت تشكل عماد الجيش الفارسي) إذا كانوا رجالًا أحرارًا، فإنهم الأسوأ لجبنهم، وإذا كانوا عبيدًا، فلن يفضلهم أسيادهم لميلهم للهروب. هكذا سخر السكيثيون من الفرس"!

وبعد انتصار السكيثيين على الفرس وازدياد قوتهم في المنطقة بدأ **النشاط الهجومي السكيثي على إغريق البوسفور** في أواخر القرن السادس ق.م؛ فقد شهدت

---

* ورد عند هيرودوتس أن الملك السكيثي أرسل إلى داريوس طائر وفأر وضفدع وخمسة سهام:
..καὶ οἱ Σκυθέων βασιλέες μαθόντες τοῦτο ἔπεμπον κήρυκα δῶρα Δαρείῳ φέροντα ὄρνιθά τε καὶ μῦν καὶ βάτραχον καὶ ὀϊστοὺς πέντε. (Hdt. IV. 131).

ويذكر كيرنيكو أن التفسير الصحيح للرسالة عُرف لاحقًا؛ فقد قصد الملك السكيثي أن الفرس إذا لم يرحلوا مثل الطير أو اختبئوا داخل الجحور مثل الفئران أو قفزوا إلى البحيرة مثل الضفادع فإنهم لن يروا بيوتهم وأهلهم مرة أخرى، اُنظر:

Cernenko (1983), p. 20.

(1) Hdt. IV. 142:

Πέρσαι μὲν ὧν οὕτω ἐκφεύγουσι. Σκύθαι δὲ διζήμενοι καὶ τὸ δεύτερον ἥμαρτον τῶν Περσέων, καὶ τοῦτο μέν, ὡς ἐόντας Ἴωνας ἐλευθέρους, κακίστους τε καὶ ἀνανδροτάτους κρίνουσι εἶναι ἀπάντων ἀνθρώπων, τοῦτο δέ, ὡς δούλων Ἰώνων τὸν λόγον ποιεύμενοι, ἀνδράποδα φιλοδέσποτά φασι εἶναι καὶ ἄδρηστα μάλιστα· ταῦτα μὲν δὴ Σκύθῃσι ἐς Ἴωνας ἀπέρριπται.

أرض منطقة المستوطنات الشمالية آثار تدمير واضح نتيجة التعرض لحرائق واسعة النطاق خلال فترة النصف الثاني من القرن السادس ق.م. ذلك فضلًا عن بقايا التحصينات البدائية المبكرة في تلك الفترة. وفي العقود الأولى من القرن الخامس ق.م ظهرت منشآت دفاعية في عدد من المستوطنات اليونانية، وتم العثور على مقابر للإغريق قُتلوا برءوس سهام من الطراز السكيثي(١). ويذكر استرابون(٢) أن منطقة المستوطنات كان "يسيطر عليها حكام البوسفور على الرغم من تدميرها بالكامل بسبب الحروب المستمرة"

ἔχουσι δ' αὐτὴν οἱ τοῦ Βοσπόρου δυνάσται κεκακωμένην πᾶσαν ὑπὸ τῶν συνεχῶν πολέμων.

ولا يجب أن يغيب عن الذهن أن الظروف التاريخية في النصف الأول من القرن الخامس ق.م قد ساعدت السكيثيين على زيادة وطأتهم في البحر الأسود، فالفرس العدو القريب من السكيثيين انشغلوا عن الانتقام/ الثأر من هزيمة داريوس بأحداث عديدة بداية من ثورة المدن اليونانية على ساحل آسيا الصغرى (٤٩٩–٤٩٤ق.م) وتدمير ميليتوس، والحرب الفارسية على بلاد اليونان عام ٤٩٠ ق.م وثورة المصريين ضد حكمهم في مصر (٤٨٦–٤٨٥ ق.م). وإذا أضفت إلى ذلك ما ورد في الدراسات الحديثة(٣) من زيادة عدد المهاجرين الإغريق جراء حروب الفرس مع الإغريق إلى ساحل البحر الأسود الشمالي سواء من مدن آسيا الصغرى أو المدن اليونانية الأوروبية لتم الإدراك وجود أزمة اقتصادية متزايدة وواضحة في المستوطنات اليونانية

(1) Jurij A. Vinogradoul (2008), "Rhythms of Eurasia and the main historical stages of the Kimmerian Bosporos in Pre-Roman times", in: Meeting of cultures in the Black sea region, pp.13-27, edip. G. Bilde and J. H. Petersen, Aarhus University Press, p. 14-15.

(2) Strabo VII. 4. 5.

(3) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 808; Hind (1994), p.989; Christina (2015), p. 11.

فضلًا عن الشواهد الأثرية التي تشير إلى حدوث انخفاض كبير في النشاط الزراعي والرعوي إلى جانب انخفاض مستوى المعيشة. جدير بالذكر هنا أنه لا توجد أي إشارة إلى أن الفرس حاولوا إخضاع إغريق البوسفور مباشرة، ومع ذلك، فإن تهديد قوتهم التوسعية لم يكن بالأمر الهين ومن المحتمل أن يكون الفرس قد مارسوا نوعًا من الضغط السياسي عليهم أو ربما استخدموا المرتزقة ضدهم.

أما **تكوين مملكة البوسفور اليونانية:** فمن الواضح أن غارات السكيثيين المدمرة على أراضي إغريق البوسفور من أواخر القرن السادس إلى العقدين الأولين من القرن الخامس ق.م كانت هي سبب تأسيس التكتُّل أو الرابطة اليونانية بين إغريق مستوطنات شمال البحر الأسود بقيادة العاصمة بانتيكابايوم للدفاع عنهم ضد هجمات السكيثيين العنيفة فتشكلت المملكة بحكم أسرة أرخاياناكس Ἀρχαιανακτίδαι (٤٨٠ – ٤٣٨ق.م)[١]. وتتابعت أسرات: سبارتوكوس Σπάρτακος وليوكون Λεύκων وساتوروس Σάτυρος وباريساديس Παιρισάδης[٢] لمدة ثلاثمائة وثلاثين عامًا. وأطلق الحاكم على نفسه لقب "أرخون البوسفور وثيودوسيا" وأحيانًا "ملك كل المايوتيين". كانت تلك المملكة تتألف منذ أوائل القرن الرابع ق.م من الجزء الشرقي من شبه جزيرة القرم (شبه جزيرة كيرتش) والجزء المقابل من شمال القوقاز (شبه جزيرة تامان)، يفصل بينهما تيارٌ بحري يتدفق عبر مضيق البوسفور الكيميري (مضيق كيرتش). على الجانب الآسيوي من تامان كانت هناك مدنٌ في دلتا نهر

(1) Diod. XII. 31. 1:
..κατὰ δὲ τὴν Ἀσίαν οἱ τοῦ Κιμμερίου Βοσπόρου βασιλεύσαντες, ὀνομασθέντες δὲ Ἀρχαιανακτίδαι, ἦρξαν ἔτη δύο πρὸς τοῖς τετταράκοντα· διεδέξατο δὲ τὴν ἀρχὴν Σπάρτακος,
(2) Strabo VII. 4. 4, 5:
ἐμοναρχεῖτο δὲ πολὺν χρόνον ὑπὸ δυναστῶν τῶν περὶ Λεύκωνα καὶ Σάτυρον καὶ Παιρισάδην

الدون (شمال شرق بحر آزوف) مثل: تانايس. كانت مدن المملكة الرئيسة، في شبه جزيرة القرم: بانتيكابايوم ونيمفايوم وثيودوسيا وخيرسونيسوس. وشبه جزيرة تامان: فاناجوريا وهيرموناسا وجورجيبيا. والمدن النائية: أولبيا وبوريستنيتيس. وعمومًا بلغت مساحة مملكة البوسفور في القرن الرابع خمسة آلاف كيلو متر مربع ووصل عدد مدنها إلى ثلاثين مدينة كبيرة وصغيرة(١). ويذكر استرابون(٢) "كل البشر الذين يخضعون لحكام مملكة البوسفور يطلق عليهم بوسفوريون؛ وتكون بانتيكابايوم عاصمة البوسفوريين الأوروبيين، بينما تكون فاناجوريا هي عاصمة البوسفوريين الآسيويين".

τοῖς δὲ τοῦ Βοσπόρου δυνάσταις ὑπήκοοι ὄντες ἅπαντες Βοσποranοὶ καλοῦνται· καὶ ἔστι τῶν μὲν Εὐρωπαίων Βοσπορανῶν μητρόπολις τὸ Παντικάπαιον, τῶν δ' Ἀσιανῶν τὸ Φαναγόρειον (καλεῖται γὰρ καὶ οὕτως ἡ πόλις)

(أُنظر الخريطة التالية)

خريطة أهم مدن مملكة البوسفور اليونانية(٣)

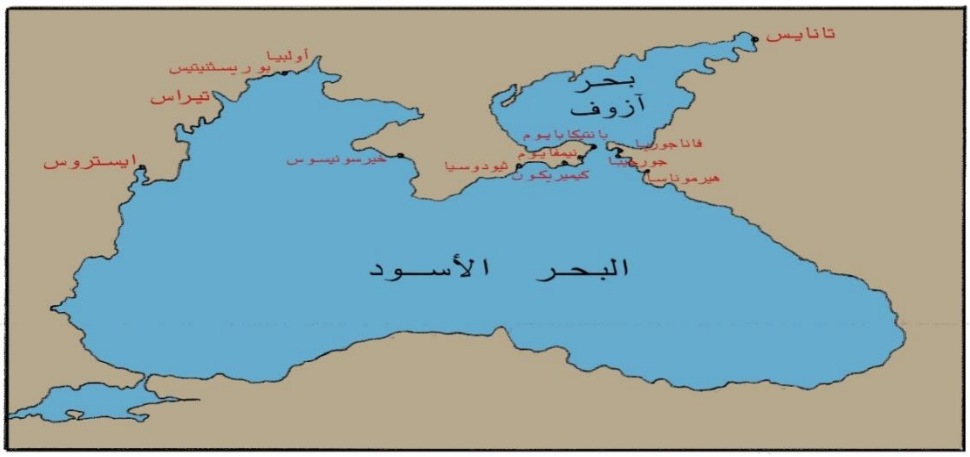

(1) Strabo VII. 4. 5-6.
See also: Hind (1994), p. 467.
(2) Strabo XI. 2. 10.

(٣) خريطة من إعداد الباحثة بالاعتماد على:

Christina (2015), p. 7.

بعد تكوين الرابطة اليونانية أصبحت **طبيعة العلاقات بين السكوثيين ومملكة البسفور** تقوم على نوع من التعايش السلمي يُسوي فيه ما بين الطرفين من كل من: أولًا: تفاوت القوة: قوة البدو الشماليين أمام ضعف الإغريق الذين تكتلوا لحماية أنفسهم. وثانيًا: التناقض: رعاة رحلّ (بدو) ومزارعون مستقرون الذين وفروا بهدوء احتياجات السكيثيين. فكما يذكر هيرودوتس(١) "أرض البدو الرحل السكيثيين الذين لا يزرعون شيئًا ولا يحرثون أرضًا، وجميع تلك الأراضي باستثناء الغابات خالية من الأشجار". ويذكر استرابون(٢) "كانت تعاني منطقة سكيثيا من رداءة نوعية الأرض؛ لأن الجزء الأكبر منها مستنقعات، أما أرض مدن المملكة، فكانت مستوية وخصبة ومنتجة للحبوب بشكل كبير، فهي تنتج ثلاثين ضعفًا.. بالإضافة إلى مدينة نيمافايوم والتي تمتلك ميناءً جيدًا". أما جوستينوس(٣) فيذكر "إشارة إلى قسوة مناخهم وعُقم أرضهم والتي بعيدًا عن إثراء السكيثيين بالثروة، بالكاد توفر لهم القوت".

وهكذا، بعد أن شعر السكيثيون بقوة اتحاد مملكة إغريق البوسفور وبحاجتهم إلى العلاقات معهم بدأت مرحلة جديدة من الاستغلال المعيشي الودي، فيحبرنا هيرودوتس(٤) أن الملك السكيثي سكوليس/ سكيليس (في منتصف القرن الخامس

---

(1) Hdt. IV. 19:
νομάδες ἤδη Σκύθαι νέμονται, οὔτε τι σπείροντες οὐδὲν οὔτε ἀροῦντες· ψιλὴ δὲ δενδρέων ἡ πᾶσα αὕτη πλὴν τῆς Ὑλαίης·
(2) Strabo VII 4. 4-6:
4: κώμας ἔχουσα καὶ πόλιν εὐλίμενον τὸ Νύμφαιον καλούμενον.
5: τὰ δὲ τῇ κακίᾳ τῆς χώρας· ἑλώδης γάρ ἐστιν ἡ πολλὴ αὐτῆς.
6: ἥ γε ἄλλη πεδιὰς καὶ εὔγεώς ἐστι πᾶσα, σίτῳ δὲ καὶ σφόδρα εὐτυχής, τριακοντάχουν ἀποδιδοῦσα διὰ τοῦ τυχόντος ὀρυκτοῦ σχιζομένη.
(3) Justin. Epit. IX. 2.
(4) Hdt. IV. 78-79:
78: ἐς τούτους ὅκως ἔλθοι ὁ Σκύλης, τὴν μὲν στρατιὴν καταλίπεσκε ἐν τῷ προαστείῳ, αὐτὸς δὲ ὅκως ἔλθοι ἐς τὸ τεῖχος καὶ τὰς πύλας=

ق.م) كان يقيم في مدينة بوريستثينيتيس اليونانية، بينما يترك قواته خارج أسوارها، وكان هو بنفسه بعد ما يدخل يُغلق البوابات ويخلع ملابسه السكيثية ويرتدي لباسًا يونانيًّا، ويتحرك مع رجال المدينة دون سلاح أو حرس.. وبكل الطرق، اتبع أسلوب الحياة اليونانية وعبد الآلهة اليونانية، ثم بعد أن يمضي شهرًا أو أكثر يرتدي ثوبًا سكيثيًّا ويغادر المدينة. كان يفعل ذلك في كثيرٍ من الأحيان. وبني له منزلًا وتزوج بامرأةٍ من نساء المدينة.. كان منزله واسعًا وكبيرًا وفخمًا، فهو محاطٌ بمجموعة من تماثيل أبي الهول وغرفتين من الحجر الأبيض..". ويثبت رجل الدولة الأثيني وأحد الخطباء العشر: أيسخينيس[1] ما جاء عند هيرودوتس عندما يروي أن والدة الخطيب الأثيني ديموستثيس كانت يونانية من البوسفور، وهي من مدينة كيبوس: مستوطنة ميليتوس بالقرب من فاناجوريا وسكيثية الأصل. مما يؤكد على أنه ربما كانت هناك درجة من الاختلاط الاجتماعي بين السكيثيين وإغريق البوسفور.

=ἐγκληίσειε, τὴν στολὴν ἀποθέμενος τὴν Σκυθικὴν λάβεσκε ἂν Ἑλληνίδα ἐσθῆτα, ἔχων δ' ἂν ταύτην ἀγόραζε οὔτε δορυφόρων ἐπομένων οὔτε ἄλλου οὐδενός (τὰς δὲ πύλας ἐφύλασσον, μή τίς μιν Σκυθέων ἴδοι ἔχοντα ταύτην τὴν ἐποίεε κατὰ νόμους τοὺς Ἑλλήνων· ὅτε δὲ διατρίψειε μῆνα ἢ πλέον τούτου, ἀπαλλάσσετο ἐνδὺς τὴν Σκυθικὴν στολήν. Ταῦτα ποιέεσκε πολλάκις, καὶ οἰκία τε ἐδείματο ἐν Βορυσθένεϊ καὶ γυναῖκα ἔγημε ἐς αὐτὰ ἐπιχωρίην. 79: Ἦν οἱ ἐν Βορυσθενεϊτέων τῇ πόλι οἰκίης μεγάλης καὶ πολυτελέος περιβολή, τῆς καὶ ὀλίγῳ τι πρότερον τούτων μνήμην εἶχον, τὴν πέριξ λευκοῦ λίθου σφίγγες τε καὶ γρῦπες ἔστασαν·

(1) Aeschines Against Ctesiphon 171.10 – 172.1-3:

Κήπους, καὶ γαμεῖ γυναῖκα πλουσίαν μὲν νὴ Δία καὶ χρυσίον ἐπιφερομένην πολύ, Σκύθιν δὲ τὸ γένος, ἐξ ἧς αὐτῷ γίγνονται θυγατέρες δύο

ويبدو أن حالة الأمن مع السكيثيين التي كانت تعيشها المملكة هي التي كانت وراء إرسال بيريكليس بعثة استكشافية إلى منطقة البحر الأسود (حوالي ٤٣٦ق.م): "أبحر لبونتوس بأسطول كبير وقوي وأنجز ما طلبته منه المدن اليونانية، وأقام علاقات ودية معهم، لكن بالنسبة للقبائل البربرية المجاورة (السكيثيون) وملوكهم وسلالتهم فلم يُعيرهم انتباه، وأظهر عظمة القوة الأثينية وثقتهم وجرأتهم في الإبحار أينما أرادوا"(١). كما سمحت الحالة للإغريق بإعادة استيطان الأراضي الزراعية في شمال غرب البحر الأسود، والمناطق النائية في السهوب التي أصبحت تعيش بها قبائل مثل: ألازونيس Ἀλαζῶνες وكاللیبيداي Καλλιπίδαι على دورها التجاري مع السكيثيين لمنتجات البوسفور خاصة الأسماك مثل سمك الحفش ἀντἄκαῖος المتوفر في بوريستنيتيس وأولبيا(٢). وبذلك وصلت المملكة إلى ذروة اتساعها في القرن الرابع ق.م وهو ما تم وصفه بأنه عصرٌ مباركٌ لإغريق البوسفور(٣).

أدى **توسع مملكة البوسفور** المتزايد لحدوث أزمة في الرزق البدوي السكيثي، وربما تخطت المملكة مرحلة الاستغلال الاقتصادي السكيثي بعد زيادة نشاطها وبدأت مرحلة جديدة وهي الهيمنة الاقتصادية اليونانية في منطقة البحر الأسود؛ فمن جهة: انشغل إغريق المملكة عن توفير احتياجات السكيثيين بتوسعاتهم وحيويتهم الاقتصادية. ومن جهة أخرى: سيطروا على مناطق السهوب وحرموا السكيثيين

---

(1) Plut. Perc. 20:
Εἰς δὲ τὸν Πόντον εἰσπλεύσας στόλῳ μεγάλῳ καὶ κεκοσμημένῳ λαμπρῶς, ταῖς μὲν Ἑλληνίσι πόλεσιν ὧν ἐδέοντο διεπράξατο καὶ προσηνέχθη φιλανθρώπως, τοῖς δὲ περιοικοῦσι βαρβάροις ἔθνεσι καὶ βασιλεῦσιν αὐτῶν καὶ δυνάσταις ἐπεδείξατο μὲν τῆς δυνάμεως τὸ μέγεθος καὶ τὴν ἄδειαν καὶ τὸ θάρσος, ᾗ βούλοιντο πλεόντων καὶ πᾶσαν ὑφ' αὑτοῖς πεποιημένων τὴν θάλασσαν, ...
(2) Hdt. IV. 17-18, 53.
(3) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 809.

خيراتها. وليس أدل على ذلك من ما ذكره استرابون[١]: "(بينما) أرسل ليكيو مرة واحدة من مدينة ثيودوسيا إلى أثينا مليوني ومائة ألف ميديمنوس (أي ما يعادل حوالي 108,864,000 لترًا) كان البدو يعيشون على لحوم الخيل، وكذلك على الجبن المصنوع من حليب الفرس: حليب الفرس الطازج وحليب الفرس الحامض والذي يعتبر بعد تحضيره بطريقة معينة جيدًا لهم".

Λεύκωνα δέ φασιν έκ τῆς Θεοδοσίας Ἀθηναίοις πέμψαι μυριάδας μεδίμνων διακοσίας καὶ δέκα. οἱ δ' αὐτοὶ οὗτοι καὶ γεωργοὶ ἐκαλοῦντο ἰδίως διὰ τὸ τοὺς ὑπερκειμένους νομάδας εἶναι, τρεφομένους κρέασιν ἄλλοις τε καὶ ἱππείοις, ἱππείῳ δὲ καὶ τυρῷ καὶ γάλακτι καὶ ὀξυγάλακτι (τοῦτο δὲ καὶ ὄψημά ἐστιν αὐτοῖς κατασκευασθέν πως)·

ويُعلق مترجم اللويب أن ليكيو اعتاد على إرسال أربعمائة ألف ميديمنوس سنويًّا (حوالي 20,073,600 لترًا) إلى أثينا، ولكن في عام المجاعة الكبرى عام ٣٦٠ق.م أرسل ليس فقط ما يكفي لأثينا ولكن أيضًا فائضًا باعه الأثينيون بربح خمسة عشر تالنتًا.

ولعل تلك الأزمة هي ما دعت السكيثيين في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م إلى **تأسيس محطة سكيثية تجارية في شمال البحر الأسود** وهي إليزاڤيتوڤكا Elizavetovka (في دلتا دون) كمركز تجاري على الحدود الشرقية لهم. وقد لعبت تلك المحطة السكيثية دورًا تجاريًّا مع مملكة البوسفور في البحر الأسود. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مكان إليزاڤيتوڤكا عند الروافد الدنيا من نهر الدون، حيث كان الوجود اليوناني قليلًا، وهو ما يشير إلى حاجة السكيثيين إلى مواصلة التجارة مع الإغريق الذين اتسعت دائرة نشاطهم الاقتصادي بعيدًا عنهم، وقد لعبت إليزاڤيتوڤكا دور الوسيط الرئيس في التجارة بين الإغريق والممالك النائية البربرية في تلك

(1) Strabo VII. 4. 6.

المنطقة[١]. والمُدهش أنه لم يقف دور السكيثيين التجاري (الجديد) عند شمال البحر الأسود فقط بل اتسعت الدائرة ليلعبوا دور الوسيط التجاري بين اليونان وإغريق البوسفور، حيث تمكن السكيثيون تحت زعامة الملك أثياس الذي وحد جميع قبائل سكيثيا تحت سلطته الشخصية من احتكار توريد الذرة لمدن البوسفور؛ إذ تبنت الأرستقراطية السكيثية (وردت عند ديودورس الصقلي واسترابون باسم قبيلة تاوريك السكيثية*) دور الوساطة في إمداد مدن مملكة البوسفور بالذرة وتصدير القمح لليونان. تم جني فوائد هائلة من تلك التجارة التي أصبحت مسئولة عن استقرار البدو جزئيًّا خلال تلك الفترة[٢] (النصف الثاني من القرن الرابع ق.م).

وعلى الصعيد السياسي، بدأ السكيثيون قبل نهاية القرن الرابع ق.م في الاحتكاك مع إغريق شمال البحر الأسود عن طريق **التدخل السكيثي العسكري في النزاع الأسري على عرش مملكة البوسفور** الذي تَفجَّر بين أبناء باريساديس، مما أتاح الفرصة أمامهم للقيام بدور حماة العرش اليوناني خاصة من بعض القبائل التي تحالفت مع أحدهم، واستغلال ذلك لتحقيق أهدافهم ومصالحهم وتغلغل نفوذهم في مملكة البوسفور، فيذكر ديودورس الصقلي[٣] أن ملك مملكة البوسفور ساتوروس قد

---

(1) Marčenko & Vinogradov (1989), p. 810.

* في جنوب شبه جزيرة القرم. أُنظر:

Diod. IV. 11, 12; Strabo VII. 4. 5.

(2) Strabo VII. 3. 18, 4. 5.

See also: A. I. Melyukova and Crookenden Julia (1990), "The Scythians and Sarmatians", in: The Cambridge history of early Inner Asia, pp. 97-117, p. 105.

(3) Diod. XX. 22-24.

22: Περὶ γὰρ τοὺς αὐτοὺς καιροὺς ἐν τῷ Πόντῳ μετὰ τὴν Παρυσάδου τελευτήν ،ὃς ἦν βασιλεὺς τοῦ Κιμμερικοῦ Βοσπόρου ،διετέλουν οἱ παῖδες αὐτοῦ διαπολεμοῦντες πρὸς ἀλλήλους ὑπὲρ τῆς ἡγεμονίας, Εὔμηλός τε καὶ Σάτυρος καὶ Πρύτανις .τούτων δὲ ὁ μὲν Σάτυρος ὢν=

تحالَف مع السكيثيين عام ٣١٠ق.م لمساعدته ضد أخيه الذي كون جيشًا للإطاحة به، فيروي: "بعد موت ملك البوسفور باريساديس (الأول) نشأ صراع بين أبنائه الثلاث: ساتوروس وإيميليوس وبريتانيس. كان ساتوروس الابن الأكبر قد استلم العرش من والده الذي كان ملكًا لمدة ثمانية وثلاثين عامًا، لكن إيميلوس أقام معاهدة صداقة مع بعض البرابرة الذين عاشوا بالقرب منهم وجمع جيشًا قويًّا، وطالب بالعرش. عندما علم ساتوروس انطلق ضده بجيشٍ قوي كونه للمعركة من ألفي إغريقي وعددٍ مساوٍ من التراقيين والباقيين من السكيثيين.. وأخذ مكانه في وسط الكتائب متبعًا بذلك استراتيجية السكيثيين.. وبعد أن سقط الكثير من الجانبين، انتصرت قوات (ساتوروس) وهُزم ملك البرابرة". ويضيف ديودورس الصقلي أن ساتوروس أراد أن يؤدب البربر على مساعدتهم لإيميلوس، فتعقبهم ولكن بينما كان يهاجم العدو، أُصيب بحربة في أعلى ذراعه، وعاد إلى المخيم منهكًا بشدة بسبب الجرح، وعندما حلَّ الليل، توفي بعد تسعة أشهر فقط من وفاة والده. استولى بريتانيس على الجيش والسلطة الملكية. عندئذ، أرسل إيميلوس مبعوثين لمناقشة تقسيم المملكة، لكن بريتانيس لم يلتفت إليه وهو ما أدى إلى اشتعال الصراع بين الأخوين والذي انتهى بموت بريتانيس. لم يتبقَ أمام إيميلوس سوى باريساديس الطفل صغير السن ابن ساتوروس الذي هرب على

=πρεσβύτερος παρὰ τοῦ πατρὸς παρειλήφει τὴν ἀρχήν, βεβασιλευκότος ἔτη τριάκοντα ὁκτώ· ὁ δ 'Εὔμηλος φιλίαν συντεθειμένος πρός τινας τῶν πλησιοχώρων βαρβάρων καὶ δύναμιν ἀδρὰν ἡθροικὼς ἡμφισβήτει τῆς βασιλείας .ἃ δὴ πυθόμενος ὁ Σάτυρος ἀνέζευξεν ἐπ 'αὐτὸν μετὰ δυνάμεως ἀδρᾶς καὶ διαβὰς τὸν Θάτην ποταμόν،.. συνεστρατεύοντο δ 'αὐτῷ μισθοφόροι μὲν Ἕλληνες οὐ πλείους δισχιλίων καὶ Θρᾷκες ἴσοι τούτοις ،οἱ δὲ λοιποὶ πάντες ὑπῆρχον σύμμαχοι Σκύθαι ،πλείους τῶν δισμυρίων ،ἱππεῖς δὲ οὐκ ἐλάττους μυρίων.. καὶ πολλῶν παρ 'ἀμφοτέροις πεσόντων τέλος ἐκβιασάμενος ἐτρέψατο τὸν βασιλέα τῶν βαρβάρων.

ظهر خيل ولجأ إلى أجاروس ملك السكيثيين للاحتماء عندهم. "بعد وفاة أخوي إيميلوس، أراد أن يثبِّت سلطته بشكل آمن، فقتل أصدقاء ساتوروس وبريتانيس، وكذلك زوجاتهم وأطفالهم، الوحيد الذي تمكن من الهرب منه هو باريساديس بن ساتوروس، الذي كان صغيرًا جدًّا، فركب من المدينة على ظهر خيلٍ ولجأ إلى الملك السكيثي أجاروس".

Εὔμηλος δὲ μετὰ τὸν τῶν ἀδελφῶν θάνατον βουλόμενος ἀσφαλῶς θέσθαι τὰ κατὰ τὴν ἀρχὴν ἀνεῖλε τούς τε φίλους τῶν περὶ τὸν Σάτυρον καὶ Πρύτανιν, ἔτι δὲ τὰς γυναῖκας καὶ τὰ τέκνα. μόνος δὲ διέφυγεν αὐτὸν ὁ παῖς ὁ Σατύρου Παρυσάδης, νέος ὢν παντελῶς τὴν ἡλικίαν· ἐξιππεύσας γὰρ ἐκ τῆς πόλεως κατέφυγε πρὸς Ἄγαρον τὸν βασιλέα τῶν Σκυδῶν. (XX. 24. 3).

جاءت حماية الملك السكيثي أجاروس لابن ساتوروس الطفل من أجل مساعدته في استرداد عرش أبيه تحت وصايته، خاصة أن وضع أجاروس كان يسمح له بتعبئة قوة كبيرة في ذلك الوقت (تحالَف مع ساتوروس بثلاثين ألف جندي ضد جيش إيميلوس*) الذي كان يعيش فيه حالة النشوة بعد انتصار السكيثيين الساحق في عهد الملك السكيثي أثياس على الإسكندر الأكبر. فوفقًا لما ورد ذكره عند جوستينوس(١)

* تكون جيش ساتوروس من أربعة آلاف من الإغريق والتراقيين وثلاثين ألفًا من السكيثيين. أُنظر:
Askold I. Ivantchikl (2019), "The Scythians kingdom in the Crimea in the 2nd Century BC and its relathions with the Greeks states in the north Pontic region", Ancient Civilizations from Scythia to Siberia 25, pp. 220 – 254, p. 226.

(1) Justin. Epit. XII. 1:
bellum, Alexandri, regis Epiri, in Italia, bellum, Zopyrionis praefecti eius in Scythia continebature. Quibus uarie adfectus plus tamen laetitiae cognitis mortibus duorum aemulorum regum quam doloris amissi cum Zopyrione exercitus cepit.

دَحر السكيثيون بالكامل جيش الإسكندر الذي تكون من ثلاثين ألف جندي بقيادة زوبيرون Ζωπυρίων (قائد الإسكندر الخاص) الذي لقي حتفه هو الآخر أمامهم* عام ٣٣١ق.م. كانت حملة الإسكندر ضد السكيثيين الذين خدعوا أباه فيليب بن أمينتاس؛ ففي عام ٣٣٩ق.م احتال أثياس السكيثي على فيليب المقدوني(١).

ويبدو أن التحركات العسكرية والسياسية التالية تؤكد **فرض وصاية السكيثيين على مملكة البوسفور**، ويمكن أن أرصدها في أربعة شواهد، أولا: في أراضي المملكة وبالقرب من مدينة خيرسونيسوس اليونانية(٢) تمكن السكيثيون من تأسيس نيابوليس Νεάπολις كعاصمة جديدة لهم في منتصف القرن الثاني ق.م على الطراز الهيللينستي وتم بناء قصرٍ ملكي وأسوارٍ عالية تحمي الأكروبوليس. كان ذلك بعد أن تعرضت المملكة السكيثية في أوائل القرن الثالث ق.م في سهول منطقة البحر الأسود الشمالية بما في ذلك شبه جزيرة القرم لضغوط من موجات جديدة من البدو: السارماتيون الذين أتوا من الشرق، والكلتيون والتراقيون من الغرب. وقد تسببت تلك الضغوط من العدو خاصة السارماتيين في سقوط مملكة السكيثيين "سكيثيا العظمى"

* يُقال أن الإسكندر الأكبر بنى سدًا في القوقاز ليمنع قبائل السكيثيين من غزو البلاد في الجنوب وذلك على أساس أن تلك القبائل هي قوم مأجوج. شاعت قصص بناء ذلك السد في كتاب رومانسية الإسكندر الذي كُتب في القرن الثالث الميلادي. أُنظر:
W. W. Tarn, "Alexander: The conquest of the Far East", CAH 6 (1927), pp. 387-437, p. 435; A. R. Anderson, "Alexander at the Caspian Gates", TAPA 59 (1928), pp. 130-163, p. 130.

(١) أقام أثياس تحالُفًا مع فيليب في حروبه مع قبائل الإيستيريين مقابل وراثة العرش، لكن توفي ملك الإيستيريين وانتهت الحرب، لذلك طلب أثياس مغادرة المقدونيين بعيدًا وأرسل رسالة إلى فيليب مفادها: "أنه لم يطلب مساعدته ولم يقترح التحالف؛ لأن السكيثيين لم يحتاجوا مساعدة من المقدونيين لكونهم متفوقين عليهم في ميدان المعركة، ولم يكن هو نفسه يريد وريثًا؛ لأنه كان لديه ابن يعيش". فطلب فيليب من أثياس نفقات الحملة ولكنه تملص باستهزاء فقتله فيليب. أُنظر:
Just. Epit. IX. 2.See also: Polyaenus stra. VII. 44. Cf. Strabo VII. 3. 18.
(2) Strabo VII. 7. 7.

في جزءٍ كبيرٍ من الإقليم في منطقة شمال بونتوس ودُمرت إليزاڤيتوڤكا، وكانت الأراضي الوحيدة التي استطاع السكيثيون الاحتفاظ بها هي مناطق في سهوب القرم والروافد السفلية لنهر دنيبر ودنيستر، والتي أصبحت تُعرف بما يسمى سكيثيا الصغرى.(١)

ثانيًا: مارست مدن مملكة البوسفور اليونانية خلال القرنين الثالث والثاني ق.م (العصر الهيللينستي) نشاطًا تجاريًّا حرًّا بعيدًا عن أي معوقاتٍ (سكيثية) بل ربما باستحواذ فعلي غير مرئي، فوفقًا لما ورد عند المؤرخين(٢) أصبحت كل من العاصمتين اليونانيتين: بانتيكابايوم وفاناجوريا سوقًا تجاريًّا كبيرًا؛ فكانت بانتيكابايوم هي المركز الكبير للبضائع القادمة من البحر الأسود، وفاناجوريا مع وادي نهر كوبان والشواطئ الشرقية لبحر آزوف. ويذكر أيسخينيس(٣) أن كيبوس المدينة الرئيسة على الجانب الآسيوي (شبه جزيرة تامان) كانت على علاقات تجارية مع سيراكيوز في جزيرة صقلية. ويضيف ديودورس الصقلي(٤) ثم استرابون في كتابيه السابع والثاني عشر(٥) أن مملكة البوسفور تزاول نشاطًا تجاريًّا من مكان وجود قبيلة تاوريك السكيثية الذي أصبح يُطلق عليه تاوروبولوس بالقرب من العاصمة السكيثية نيابوليس.

(1) Melyukona and Crookenden (1990), p. 107; Ivantchik (2019), pp. 222, 223.
Cf. Hind (1994), p. 479.
(2) Strabo XI. 2. 10.
See also: Appian Mith. XII. 107:
καὶ Παντικάπαιον ،ἐμπόριον Εὐρωπαῖον ἐπὶ τῆς ἐκβολῆς τοῦ Πόντου
(3) Aeschines 171. 9.
(4) Diod. IV. 44.
(5) Strabo VII. 4. 5:
.... Παντικαπαίῳ μέχρι Θεοδοσίας τῶν Βοσπορίων τύραννοι ،τὴν δὲ πλείστην μέχρι τοῦ ἰσθμοῦ καὶ τοῦ κόλπου τοῦ Καρκινίτου Ταῦροι ،=

ثالثًا: قبل نهاية القرن الثاني ق.م يُخبرنا استرابون[١] أن في عام ١٠٧ق.م سلَّم ملك البوسفور باريساديس مملكته لملك مملكة بونتوس: ميثريداتس السادس يوباتور بعد أن أصبح غير قادرٍ على الصمود أمام السكيثيين، فيقول: "حمل آخر ملوك المملكة اسم باريساديس، لكنه لم يكن قادرًا على الصمود أمام البرابرة الذين أصبحوا أكثر سطوة من ذي قبل، ولذلك أعطى السلطة لميثريداتس".

Παιρισάδης δὲ καὶ θεὸς νενόμισται· τούτῳ δὲ ὁμώνυμος καὶ ὁ ὕστατος ‹ὃς οὐχ οἷός τε ὢν ἀντέχειν πρὸς τοὺς βαρβάρους φόρον πραττομένους μείζω τοῦ πρότερον Μιθριδάτῃ τῷ Εὐπάτορι παρέδωκε τὴν ἀρχήν·

رابعًا: دراسة إيڤانتشيك[٢] التي تؤكد وجود استمرارية تاريخية وسياسية بين السكيثيين في القرن الرابع ق.م والسكيثيين المتأخرين في شبه جزيرة القرم في القرن الثاني ق.م؛ فتذكر أن ملك البوسفور الذي سلَّم مملكته هو باريساديس الخامس الحفيد (الثالث) للأمير ابن ساتوروس بن باريساديس الأول الذي لجأ إلى الملك السكيثي أجاروس على ظهر خيلٍ عام ٣١٠ق.م. وهو ما يؤكد على عودة سليل ساتوروس لحكم المملكة بجيش سكيثي وولاية السكيثيين عليهم.

وفي الختام، كان السكيثيون المنكمشون وسط مملكة البوسفور اليونانية في القرن الثاني ق.م هم بقايا أحفاد السكيثيين الذين داهموا دَهْمَاء شمال البحر الأسود في القرن السابع ق.م؛ ولذلك فَطِن باريساديس الخامس إلى جدوى التسليم في ذلك التوقيت إلى ملكٍ قوي وذلك للخلاص لأول مرة من غلبة السكيثيين المؤذية على كافة أشكالها. كان ميثريداتس السادس ملكَ مملكة بونتوس التي تطل على النصف الشرقي

=Σκυθικὸν ἔθνος· καὶ ἐκαλεῖτο ἡ χώρα πᾶσα αὕτη ‹σχεδὸν δέ τι καὶ ἡ ἔξω τοῦ ἰσθμοῦ μέχρι Βορυσθένους ‹μικρὰ Σκυθία·

XII. 2. 3:

.... τὰ δὲ ἱερὰ ταῦτα δοκεῖ Ὀρέστης μετὰ τῆς ἀδελφῆς Ἰφιγενείας κομίσαι δεῦρο ἀπὸ τῆς Ταυρικῆς Σκυθίας ‹τὰ τῆς Ταυροπόλου Ἀρτέμιδος›

(1) Strabo VII. 4. 4.

(2) Ivantchik (2019), pp. 226.

للشاطئ الجنوبي للبحر الأسود ابتداء من نهر هالوس/ هاليس (كان النهر هو الحد بين آسيا الصغرى وباقي آسيا)، وتمتد إلى مسافاتٍ متفاوتة داخل آسيا الصغرى، وقد كان ذلك الملك شديد الطموح، وعندما واتته الفرصة لوضع قدمه في منطقة شمال البحر الأسود مما يمكن أن يسمح بمد نفوذ رقعة مملكته دون المجازفة بالاصطدام مع الرومان –الذين أوغروا صدره عام ١١٦ق.م بضم إقليم فريجيا الكبرى– لم يتردد في انتهاز تلك الفرصة وهبَّ إلى نجدة مملكة البوسفور في البحر الأسود، وتابع من هناك فتوحاته حولها شمالًا وشرقًا(١). فكما يذكر أبيان(٢): "ذهب ميثريداتس، بعد عودته إلى بونتوس في حرب مع (مملكة) كولخيس (شرق البحر الأسود) والقبائل حول مضيق البوسفور الذين ثاروا منه" إذ لم تلبث قوات غوث مملكة البوسفور الميثريداتية ضد السكيثيين أن مدت سيطرة ميثريداتس على منطقة الشاطئ الشمالي للبحر الأسود، وأقامت ابنه نائبًا للملك هناك. ويروي أبيان أن ثوار كولخيس هم من طلبوا ابن ميثريداتس حاكمًا لهم، وعندما عينه ميثريداتس هدأوا وعادوا إلى الفور إلى ولائهم. وهو ما جعل ميثريداتس يشتبه في تورط ابنه في اشتعال تلك الثورات من أجل طموحه في الملَكية. ولذلك أودى ميثريداتس بحياة ابنه على الرغم من خدمته المشرفة معه في المعارك في آسيا الصغرى. وهكذا سيطر ميثريداتس على السكيثيين ومملكة اليونان قبل نهاية القرن الثاني ق.م(٣).

---

(١) إبراهيم نصحي (١٩٧٣)، تاريخ الرومان: ١٣٣ – ٤٤ق.م، ج٢، ليبيا: منشورات الجامعة الليبي، ص ٢٩٣ – ٢٩٥.

(2) Appian Mith. XII. 64:

.... Μιθριδάτης δ 'ές τὸν Πόντον ἐσπλεύσας Κόλχοις καὶ Βοσποριανοῖς ἀφισταμένοις ἐπολέμει .ὧν Κόλχοι τὸν υἱὸν παρ 'αὐτοῦ ،Μιθριδάτην ، βασιλέα σφίσιν ᾑτοῦντο δοθῆναι καὶ λαβόντες αὐτίκα ὑπήκουσαν . ὑποπτεύσας δ 'ὸ βασιλεὺς τόδε πρὸς τοῦ παιδὸς αὐτοῦ βασιλείας ἐπιθυμοῦντος γενέσθαι ،καλέσας αὐτὸν ἔδησεν ἐν πέδαις χρυσαῖς καὶ μετ 'οὐ πολὺ ἀπέκτεινε ،πολλὰ χρήσιμόν οἱ περὶ τὴν Ἀσίαν ἐν τοῖς πρὸς Φιμβρίαν ἀγῶσι γενόμενον .

(٣) لمزيد من المعلومات عن مدن البوسفور اليونانية خلال حكم ميثريداتس. أُنظر:

Molev e. A. (2009), "Bosporos under the rule of Mithridates VI Eupator", in: Mithridates VI and the Pontic kingdom", pp. 321 – 328.

خاتمة:

عسى هذا العرض يكون قد سلط بعضًا من الضوء على تحوَّل شكل اجتياح أهماج الشمال الأوراسيين الرِعاع لإغريق البوسفور في منطقة السواحل الشمالية للبحر الأسود بدايةً من فترة المساكنة في المكان (القرن السابع والنصف الأول من القرن السادس ق.م)، ثم فترة الاعتداء/ الغارات السكيثية (النصف الثاني من القرن السادس إلى أوائل القرن الخامس ق.م)، ثم فترة تكتُّل إغريق البوسفور والتسخير والانتفاع السكيثي الودي (الربع الأول من القرن الخامس ق.م إلى أواخر القرن الرابع ق.م)، ثم فترة سلطة الوصاية السكيثية على عالم إغريق البوسفور (القرنين الثالث والثاني ق.م). ومن خلال ذلك يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

- ائتلاف الإغريق على اختلاف أصولهم (مدنهم الأم) لأول مرة في تاريخهم بعيدًا عن تفرقة المنازعات والأحقاد في مملكة واحدة في البوسفور تحت زعامة ملك واحد وعاصمة واحدة، وذلك لمواجهة هجمات السكيثيين الهمجية على أراضيهم. وقد ساعد ذلك الاندماج اليوناني على نشر طاقة حماية جماعية حققت سلمية الاستثمار السكيثي في معيشتهم لفترة وصلت لحوالي قرنين من الزمان.
- تأثر أهل البادية السكيثيين بحياة الاستقرار في مملكة اليونان؛ فاحتكاك البدو المباشر بسكان المناطق الريفية والتجارية على ساحل البحر الأسود جعلهم يشعرون بمدى تفوق المستقرين عليهم في مستويات المعيشة، فأصبحوا يميلون إلى الاستقرار هربًا من شظف العيش في قلب الصحراء. وكان السكيثيون قد أقاموا محطات تجارية مثل: إليزاڤيتوڤكا في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م وبالتالي أخذوا في تقليص عدد المواشي التي يربونها وفي إنشاء مخازن الحبوب، وفي الإقامة بالقرب من المخازن لحمايتها، وإذا تمكنوا من زراعة مساحات صغيرة حول هذه المخازن، فإن ذلك يشجعهم على الاستقرار في حياة شبه زراعية. وهذا ما حدث بالنسبة إلى بدو شمال البحر الأسود: السكيثيون إذ أقاموا تجمعات مبعثرة

وتأخذ شكل القرى الصغيرة، وكان سكان هذه التجمعات من أشباه البدو قد بدأوا يتلقون الضربات من بدو السارماتيين الذين كانوا يهاجمون مناطقهم في القرن الثالث ق.م ونتج عن ذلك هجرة السكيثيين واستقرارهم (سكيثيا الصغرى) في قلب مناطق مملكة الإغريق في شبه جزيرة القرم.

- وقف بدو السكيثيين حائلًا أمام قوة الفرس ثم المقدونيين في المنطقة، فلم يتمكن داريوس الأول في القرن السادس ق.م وبعده الإسكندر الأكبر في القرن الرابع ق.م من اختراق/ اقتحام عالم السكيثيين ومجالهم الحيوي اليوناني في السواحل الشمالية للبحر الأسود في الوقت الذي لم يخلُ فيه محيطهم من سيادة الإمبراطورية الفارسية ثم إمبراطورية الإسكندر المقدوني.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- Aeschines, Against Ctesiphon, ed. By Rufus B. Richardson, Boston, U.S.A., and London: 1889.
- Ammianus Marcellinus, LCL, III, eng. trans.: John C. Rolfe, Harverd university press, 1986. 3vols.
- Appian, Roman History, LCL, I, eng. trans.: H. White, M.A., LL.D, London: William Heinemann Ltd. 1972. 4vols.
- Ctesias, History of Persia, trans. by: Lloyd L. Jones and Robson, London and New York: Routledge: 2010.
- Diodorus Sicilus, Bibliotheca Historica, LCL, II, IV, X, eng. trans. by C. H. Oldfather, Russel M. Geer, Ph.D., London: 1953, 1956, 1954, 12 vols.
- Herodtus, The Persian War, LCL, I, II, eng. trans. by A. D. Godly, London: 1920, 1921, 4vols.
- Josephus, The life and Against Apion, LCL, I, eng. trans. by H. St. Thackeray, M.A., London: 1926, 8vols.
- _____, Jewish Antiquities, LCL, I, eng. trans. by H. St. Thackeray, M.A., London: 1930, 9vols.
- Justinus M.J., Epitome of the Philippic history of Pompeius Trogus, LCL, eng. trans. by Rev. John Selby Waston, London: 1853.
- Pliny, Natural Histoy, LCL, I, eng. trans. by H. Rackham, M. A., London: 1850, 10 vols.
- Polyaenus, Stratagems of wars, VII, Chicago, 1992.
- Strabo, The Geography of Strabo, LCL, III, V, eng. trans. by Horace L. Jones, London: 1954, 1961, 8vols.
- Xenephone, Anabasis, LCL, eng. trans. by W. R. Harper, Ph. D., D. D., and J. Wallace, London: 1921.

المراجع الأجنبية:

- Cernenko E. V. (1983), The Scythians 700-300B.C: Men at war series, London: Osprey Publishing Ltd.
- Christina G. (2015), Greeks and Locals in the Bosporan Kingdom: Cultural interactions, Supervisor: M. Manoledakis, International Hellenic University.
- Hind J. (1994), 9f: "The Bosporan kingdom in: Regional Surveys II: The west and north", in: Cambridge ancient history, pp.467-511.
- Ivantchikl A. I. (2019), "The Scythians kingdom in the Crimea in the 2nd Century BC and its relathions with the Greeks states in the north Pontic region", Ancient Civilizations from Scythia to Siberia 25, pp. 220 – 254.
- Khazanov A. K. (2014), Nomads as agents of cultural change: 3. The Scythians and their Neighbors , pp.32-49, University of Hawaii Press.
- Marčenko K. & Vinogradov Y. (1989), "The Scythians period in the northern Black sea region (750-250 B.C)", Antiquity 63, pp. 803-813.
- Melyukova A. I. and Julia C. (1990), "The Scythians and Sarmatians", in: The Cambridge history of early Inner Asia, pp. 97-117.
- Rolle R. (1989), The World of the Scythians, University of Callifornia Press.
- Vinogradoul J. A. (2008), "Rhythms of Eurasia and the main historical stages of the Kimmerian Bosporos in Pre-Roman times", in: Meeting of cultures in the Black sea region, pp.13-27, edip. G. Bilde and J. H. Petersen, Aarhus University Press.

المراجع العربية:

- إبراهيم نصحي (١٩٧٣)، تاريخ الرومان: ١٣٣ – ٤٤ق.م، ج٢، ليبيا: منشورات الجامعة الليبية.

علاقة الدولة الساسانية بيثرب ومكة قبل الإسلام(*)

د. نورة بنت عبد الله النعيم
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
جامعة الملك سعود

يُعد هذا البحث استكمالًا لمجموعة من البحوث التي سبق لي نشرها، والتي تناولت فيها علاقة الدولة الساسانية بالعرب داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها(١).

يهدف هذا البحث إلى معرفة طبيعة علاقة الدولة الساسانية بمدن الحجاز المهمة: يثرب ومكة، التي اختلفت بعض الشيء عن علاقة الدولة الساسانية بمناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى؛ وذلك لأسباب تميزت بها كلتا المدينتين، فيثرب سكنتها جماعات يهودية جمعها مع الدولة الساسانية عداؤهما للرومان مما ساعدها على إيجاد نوع من النفوذ غير المباشر عليها بالتعاون مع تلك الجماعات اليهودية.

أما تميز مكة عن مناطق شبه الجزيرة العربية الأخرى، فترجع لمكانتها الدينية والاقتصادية، حيث أدرك زعماء قريش مكانة بلادهم وأهميتها فنئوا بأنفسهم عن الانخراط في النزاعات سواءً في الداخل بين القبائل العربية أو في الخارج بين دولة الفرس الروم، وقد أدى هذا إلى اقتصار علاقتها بالدولة الساسانية على ما يعزز تجارتها الخارجية.

الكلمات الافتتاحية:
الدولة الساسانية – علاقات – يثرب – مكة –تاريخ –تجارة

Abstract

This research aims to identify the nature of the relationship between the Sasanian in the cities of Hejaz Yathrib and Mecca, which differed somewhat from the relationship between the Sasanian and other parts of the Arabian Peninsula for reasons that characterized Both cities, Yathrib which were inhabited by Jewish groups that shared with the Sasanian their hostility towards the Romans, which helped to find some kind of indirect influence on the city, by cooperating with those Jewish groups. Makkah was distinguished from other parts of the Arabian Peninsula for its religious and Economic status; where the leaders of Quraysh realized the status of their city and their importance they distanced themselves from engaging in internal tendencies among the Arab tribes or the Conflict between the Persians and Byzantium, this has led to a limited relationship with the Sasanian to Economic terms

العوامل المؤثرة في العلاقات الفارسية مع يثرب ومكة :

أثر في علاقة الفرس مع يثرب ومكة عاملان مهمان ارتبط أحدهما بالآخر:

العامل الأول: التجارة، حيث أصبحت مدن الحجاز في القرنين الخامس والسادس الميلاديين مراكز تجارية على الطريق التجاري القادم من جنوب شبه الجزيرة والمتجه شمالها؛ إذ يتفرع الطريق من الحجاز إلى عدة اتجاهات منها طريق يستمر شمالاً إلى بلاد الشام، وطريق يتجه نحو وسط الجزيرة ثم شرقها، وطريق آخر يتجه نحو وسط شبه الجزيرة ثم شمالها عبر وادي السرحان، ثم حران ويتفرع منه طريق يتجه نحو وادي الرافدين، وآخر نحو أعالي الفرات[٢] .

(شكل ١).

ومما ساعد على ازدهار يثرب ومكة كمراكز تجارية في الحجاز الصراع الدولي بين الدولتين الساسانية والبيزنطية المستمر الذي أدى إلى تعطل طرق التجارة بين الدولتين. لذا ازدهرت الطرق التجارية الواقعة بعيدًا نسبيًا عن مناطق الصراع ومنها الطرق السالفة الذكر.

العامل الثاني: يتمثل في التنافس الشديد على غرب شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وعلى مدن الحجاز بصفة خاصة بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، ومحاولات كل منهما إيجاد نفوذ لها في المنطقة، خاصة بيزنطة التي فقدت الاستفادة من الطرق البرية القادمة من أواسط آسيا؛ نظرًا لسيطرة الفرس الساسانيين عليها.

كما فقدت تجارة الخليج العربي للأسباب نفسها، وكانت التجارة البحرية القادمة من شرق آسيا ومن شرق أفريقيا بيد عرب الجنوب، وعلى الرغم من محاولات الرومان الوصول إلى السواحل الهندية وإلى شرق أفريقيا مباشرة إلا إن العرب ظلوا يسيطرون على قدر كبير من التجارة، مما حدا بالبيزنطيين إلى إيجاد مناطق نفوذ لهم في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وفي شرق إفريقيا خاصة بعد نشرهم للديانة المسيحية في أكسوم التي أصبحت قوة استخدمتها بيزنطة في السيطرة على الطرق التجارية عبر البحر الأحمر.

لذا، كان حرص الفرس الساسانيين على الحد من النفوذ الروماني خاصة في الحجاز وجنوب الجزيرة عن طريق عرب الحيرة التابعين لهم [٣].

ومن المحتمل أن محاولات الفرس الساسانيين إيجاد نفوذ لهم في الحجاز جاء في وقت مبكر من عهد مؤسس الدولة أردشير الأول(٢٢٤-٢٤١م) الذي حرص على تأمين حدود دولته بضم المناطق المحيطة بها، إذ ورد في أحد المصادر " أنه سار بجنوده إلى أرض ما بين عُمَان والبَحْرين واليمامة وهَجَر، وبلغ وصوله إلى من كان فيها من ملوك العرب، فكتبوا إلى أسعد بن عمرو ملك اليمن يعلمونه مسير أردشير نحوهم، فسار إليهم في زهاء مائة ألف رجلن واجتمع إليه سكان تهامة والملوك الذين كانوا بها من ولد نزار بن معد بن فهر بن ملك والقلمس بن عامر بن الظراب، ووافاهم أردشير في جموعه وعساكره، فاقتتلوا اقتتالًا شديدًا، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة، فقتل شُطرو ملك البحرين ،وعمرو ابن واقد الحميري ملك عمان. فأرسل أردشير إلى أسعد بن عمرو ملك اليمن يسأله المصالحة على أن يسوغ له أرض اليمن، ولا يعرض له شيء منها، وجرت بينهما السفراء على الصلح في ذلك، فاصطلحا، واستأمن ملوك الحجاز وتهامة الثلاثة فأمنهم أردشير، وأقرهم على ما كانوا عليه من الرئاسة على قومهم، ثم انصرف راجعًا نحو فارس" [4]، هذه الرواية التي ذكرت اتصال أردشير بن بابك بملوك الحجاز، لم يرد ذكرها سوى لدى مؤلف **نهاية الأرب**. ولم يرد في مصادر أخرى مثل الطبري الذي يُعتبر مصدرًا لتاريخ الدولة الساسانية، كما لم تذكره المصادر الفارسية ومنها: **فارس نامه**، ومما يضعف هذه الرواية كون المصادر الأخرى لم تشر إلى وجود ملوك في الحجاز في تلك الفترة، كما أن من الصعوبة بمكان أن يتمكن أردشير من الوصول إلى داخل شبه الجزيرة العربية عابرًا لصحاريها ومفازاتها مارًا بأراضي قبائل عربية غير معتادة على رؤية جيوش نظامية، كما لم يُعرف على مر العصور دخول قوات نظامية إلى داخل شبه الجزيرة العربية إلا برفقة قوات عربية على علم بطرقها، كما حدث فيما بعد، حين كان يرافق قوات الحيرة فرق فارسية، وبعد عقد الفرس محالفات مع عدد من القبائل المقيمة في شبه الجزيرة العربية، كما أن أردشير كان في بداية تكوينه لدولته، فقد كان عليه إرساء قواعدها ،وحملة كهذه تتطلب عددًا كبيرًا من القوات ،وفترة زمنية تتطلب منه

الغياب عن دولته مما قد يؤدي إلى تفكك هذه الدولة التي لم يحكم القبضة عليها بعد والأرجح أن أقصى ما وصل إليه أردشير هو البحرين كما ورد لدى الطبري[5].

وبعد أردشير مرت الدولة الساسانية بفترة انشغل بها خليفته وابنه "شابور" بتوطيد حكمهم ومواجهة البيزنطيين في الهلال الخصيب وبلاد الشام.

ثم دخلت الدولة بفترة من الضعف امتدت من الفترة (٢٧٢–٣١٠م) حكم فيها عدد من الملوك الضعاف، إذ لم يحدث خلالها أي محاولات من قبل ملوك تلك الفترة لمد نفوذهم على عرب شبه الجزيرة العربية، بل ما حدث هو أن القبائل العربية – وبعد تعرض أراضي جزيرتهم للقحط – أخذت بمهاجمة أراضي الدولة الساسانية، وعبر بعضها الخليج، وعاثوا –كما يقول الطبري – فسادًا في إقليم فارس مستغلين فترة الضعف التي عانت منها الدولة [6].

ظل الحال إلى أن تولى شابور الثاني (٣١٠–٣٧٩م) الذي قاد حملة كبيرة إلى شرق شبه الجزيرة العربية لمعاقبة القبائل العربية التي تجرأت على أراضي الدولة الساسانية في فترة الضعف السالفة الذكر.

وعلى الرغم من أن المصادر ذكرت أنه وصل بحملته إلى اليمامة إلا إنها لم تشر إلى محاولاته للوصول إلى الحجاز، أو الاتصال بسكانه في هذه المرحلة.

كما إن امرؤ القيس بن عمرو ملك الحيرة (٢٨٨–٣٢٨م) الذي قاد حملة على وسط وغرب شبه الجزيرة العربية والتي كانت متزامنة مع حملة شابور الثاني على شرق الجزيرة العربية، ووصل في حملته إلى مدينة نجران في جنوب شبه الجزيرة العربية كما ورد في النقش الذي سجله عن حملته هذه والمعروف بنقش النمارة الذي ذكر فيه إخضاعه لعدد من قبائل وسط الجزيرة العربية إلا إنه لم يذكر أنه حارب أهل الحجاز [٧].

وهكذا على ما يبدو أن الحجاز بقي خارج النفوذ الساساني المباشر، لكن هذا لا يعني عدم وجود اتصال بين الطرفين قائم على التجارة؛ إذ كانت قوافل الحيرة والفرس تصل إلى مكة وتباع سلعهم في أسواق الحجاز، ومنها: سوق عكاظ، ويتبضعون من السلع التي تباع في هذه الأسواق.

لكن العلاقة بين الفرس والحجاز خلال القرنيين الخامس والسادس الميلاديين اختلفت من مدينة إلى أخرى من مدن هذا الإقليم.

حرصت الدولة الساسانية منذ عهد كسرى أنو شروان (٥٣٢-٥٧٩م) على إيجاد نفوذ لها داخل مناطق شبه الجزيرة العربية ؛لذا تشير المصادر إلى توليته للمنذر الثالث (٥٠٥-٥٥٤م) بلاد العرب دون تحديد ما هي بلاد العرب [٨]والأرجح أنها المناطق التي كانت تحت الحكم الساساني في شرق شبه الجزيرة العربية، والأراضي التي عاشت فيها القبائل العربية الموالية لهم في جنوب الرافدين وغرب الفرات.

ولعل تبدل السلطة بين القبائل العربية داخل شبه الجزيرة العربية شجعت ملوك الدولة الساسانية في فرض سيطرتهم غير المباشرة على الحجاز؛ لذا لا يستبعد أن ضعف تميم بعد أحداث يوم الصفقة [٩]، الذي خسرت فيه تميم العديد من أفرادها بسبب خدعة المكعبر [١٠] حاكم المشقر بالتعاون مع هوذة الحنفي [١١] للانتقام من تميم بسبب سلبها لقافلة كسرى القادمة من اليمن، وعلو شأن غطفان كان بسبب تدخل الفرس بواسطة آل لخم حتى يتسنى لهم إيصال نفوذهم إلى المنطقة.

ومن خلال هذا البحث، سوف يتم تناول ثلاث فقرات، الأولى نتناول فيها العلاقات مع يَثْرِبُ، والثانية العلاقات مع مكة، وأما الثالثة، فنتناول فيها: التأثيرات الفارسية في مدن الحجاز:

أولا: العلاقات مع يَثْرِبُ:

كانت السيادة في يثرب في أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين لقبائل بنو النضير وبنو قريظة اليهودية[١٢] على الرغم من وجود عرب الأوس والخزرج فيها[١٣]، ولعل اشتراك الفرس الساسانيين مع اليهود في عدائهم للبيزنطيين شجعهم على الاعتماد على تلك القبائل اليهودية في مد نفوذهم على يثرب، ولعل يهود يثرب وجدوا في قوة الدولة الساسانية سنداً لهم ضد الأوس والخزرج في يثرب، ومما يؤكد هذا التعاون ما أشارت إليه المصادر أن الفرس الساسانيين نصبوا من اليهود ملوكاً على من فيها من العرب، وكانوا يجمعون الضرائب للدولة الساسانية، ورواية **ابن خرداذبة** الآتية تؤكد ذلك: "المدينة...ويقال لها يثرب أيضًا، وكان عليها وعلى تهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان البادية يجبي خراجها،

وكانت قريظة والنضير ملوكاً (ملكهم الساسانيون) على المدينة على الأوس والخزرج، وفي ذلك قال بعضهم :

" نُؤدي الخَرْجَ بعد خَراج كسرى

وخَرْجِ من قريظة والنضير " (١٤)

وهناك من يعتقد أن مرزبان البادية هو المنذر الثالث، وهو الذي نصب عاملاً في يثرب لجمع الضرائب، إلى جانب ما يجمعه الملك اليهودي، وقد ورد في العديد من المصادر إشارات إلى مثل هذه الرواية لكن مع بعض الاختلاف ،فمثلاً ياقوت الحموي قال: "وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزَّارَةُ(١٥) يجبي خراجها، وكانت قريظة والنضير اليهود ملوكاً حتى أخرجهم منها الأوس والخزرج من الأنصار(*)، كما ذكرناه في مأرب، وكانت الأنصار من قبل تؤدي خراجًا إلى اليهود" ثم أورد بيت الشعر السابق (١٦)؛ ويفهم من الروايات السابقة أن يثرب كان فيها عامل عينه مرزبان الزَّارَةُ التي هي مدينة في شرق شبه الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي، وقد ورد اسم مرزبان الزَّارَةُ المكعبِر في قائمة عمال كسرى الذين ترسل لهم برود كسرى، ويشير هذا إلى أن المرزبان لم يحكم تهامة ويثرب مباشرة بل عن طريق تعيين عامل ربما من قريظة أو من بني النضير، يقيم في يثرب أو بالقرب منها، ويقوم بجمع الضرائب كما كان الملك اليهودي المشار إليه في الروايات يجمعها بالنيابة عن الفرس الساسانيين.

يُستنتج من رواية (leaker) أن سيطرة الساسانيين استمرت في القرن السادس الميلادي (١٧).

وبعد النزاع الذي دار بين اليهود وعرب الأوس والخزرج، وتمكُن الأوس والخزرج من الانتصار على اليهود، أصبحت السلطة في يثرب في أيدي العرب، لكن هؤلاء العرب تنازعوا على السلطة، ولم يتفقوا على من يحكمهم(١٨).

وكان النعمان بن المنذر الثالث(٥٠٥–٥٥٤م) قد خَلَف والده في حكم الحيرة، ومناطق واسعة من شبه الجزيرة التي كان والده عاملاً عليها نيابة عن كسرى أنو شروان(١٩)،. لذا، لجأ إليه عمر بن الإطنابة من الخزرج ليحل الخلاف الواقع بين قومه والأوس على السلطة في يثرب فعينه النعمان ملكاً على يثرب وفي رواية ملكاً على الحجاز(٢٠)، ويمكن تحديد تاريخ هذا الحدث بالربع الأخير من القرن السادس

الميلادي، ويدل هذا على استمرار النفوذ الفارسي غير المباشر على يثرب وتهامة حتى الجزء الأخير من القرن السادس الميلادي، لكن في هذه المرحلة لم تكن المنطقة تحكم من قبل المرزبان في شرق شبه الجزيرة العربية، بل من الحيرة مباشرة، وأصبح اليهود يدفعون الضريبة بعد أن كانوا يجمعونها من غيرهم(٢١)

ثم تلاشت سلطة الفرس وعربهم من آل لخم على يثرب بعد عهد كسرى الثاني(٥٩٠-٦٣٨م)، خاصة بعد إزالته لحكم آل لخم من الحيرة.

أما بالنسبة ليثرب، فتذكر المصادر أن الخزرج غلبت الأوس في يوم بُعاث عند ظهور الإسلام، وكانوا بصدد تتويج عبدالله بن أُبي بن سلول الخزرجي ملكاً عليهم، لكن ذلك لم يكن بسبب بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وميل الأوس والخزرج إلى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الأولى والثانية في ٦٢١-٦٢٢م فبطل ملكه(٢٢) .

ثانيًا: العلاقات مع مكة:

تميزت مكة بمكانتها الدينية منذ العهد السابق للإسلام ، وكانت محط أنظار عرب شبه الجزيرة العربية من بادية وحاضرة، وقام اقتصادها على التجارة؛ نظرًا لأحوالها الجغرافية التي أدت إلى ضعف مواردها الاقتصادية القائمة على الزراعة، وساعدها وقوعها على الطريق التجاري القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت قبيلة قريش قد سادت فيها، وعمل أفرادها على ازدهارها بوصفها مركزًا تجاريًّا(٢٣)، لكن في البداية كانت تجارها لا يتجاوزون حدودها، حيث كان التجار يقصدونها ويبيعون سلعهم ثم يبيعها تجار مكة على سكان المدينة وعلى البادية المحيطة بها، إلى أن قرر زعماؤها توسيع دائرة تجارتها إلى مناطق داخل وخارج شبه الجزيرة العربية، وذلك عن طريق عقد معاهدات تجارية مع زعماء القوى السياسية، وأخرى مع مشايخ القبائل التي تمر بأراضيها قوافل مكة التجارية، لذا اتجه الإخوة أبناء عبد مناف لإتمام هذا الأمر، فاتجه هاشم بن عبد مناف إلى بلاد الشام، وأخذ العهد من قيصر الروم والمقصود بذلك السماح لتجار مكة بالقدوم للشام للتجارة، وإعطائهم الأمان لهم ولسلعهم(٢٤)، وهو في طريق عودته اتصل بزعماء القبائل العربية القاطنة على الطريق التجاري بين الشام ومكة، وعقد معهم الإيلاف الذي يضمن الأمن للقوافل التجارية وبالمقابل تحمل سلعهم ويدفع لهم قيمتها وأرباحها(٢٥)، وذهب المطلب بن

عبد مناف إلى اليمن واتفق مع حكام اليمن كما فعل هاشم مع قيصر، وعقد الإيلاف مع القبائل القاطنة على الطريق التجاري[٢٦].

كما ذهب نوفل بن عبد مناف الأخ الثالث إلى كسرى فارس، فأخذ عهدًا منه لتجار قريش، كما عقد الإيلاف مع القبائل التي على طرق التجارة [٢٧] وفعل الشيء نفسه الأخ الرابع عبد شمس بن عبد مناف مع النجاشي ملك الحبشة[٢٨]. وهكذا ارتبطت مكة مع المناطق التي تتاجر معها بمعاهدات وأحلاف ضمنت لتجارتها الأمن ، وحققت قريش ثروة من هذه التجارة وساعدها أيضًا اضطراب أحوال جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الخامس الميلادي، ثم وقوع هذه المنطقة تحت الحكم الحبشي(٥٢٣–٥٢٥م) بتحريض من الدولة البيزنطية لإيجاد نفوذ لهم في شبه الجزيرة مستغلين أحداث القرن السادس الميلادي [٢٩]، والصراع الفارسي البيزنطي الذي عطل الطرق التجارية العالمية القادمة من شرق آسيا عبر إيران والعراق إلى بلاد الشام.

كما تميزت مكة بتركيبتها السكانية؛ حيث سادت فيها قبيلة واحدة هي قبيلة قريش، في تلك المرحلة التاريخية، مع وجود عناصر سكانية أخرى لكنها تأتي في مراتب أدنى من قريش، لكنّ قريشًا تمكنت من لم شمل سكان المدينة تحت سيادتها على يد زعيمها قصي الذي توارث أبناؤه وأحفاده السلطة فيها [٣٠]، وساعدها هذا أن تبقى خارج نفوذ أي سلطة أخرى من داخل الجزيرة أو خارجها.

كانت قريش من القبائل التي سميت لقاح، وهي القبائل الذين لا يدينون للملوك؛ إذ لم تدن لملوك كندة، وهي القبيلة التي أخضعت معظم قبائل شبه الجزيرة العربية، بل بلغت سلطتهم في بعض الفترات فلسطين والحيرة، خاصة في عهد ملوكها الأقوياء، ولم يرد في المصادر محاولات من قبل هؤلاء الملوك في السيطرة على الحجاز بصفة عامة، ومكة بصفة خاصة كما لم تذكر تلك المصادر تدخلاً من قبلهم في شؤون مكة، وفي ذلك دلالة على أن الملك الساساني قباذة (٤٩٨– ٥٣١م) لما اعتنق المزدكية[٣١] عرضها على المنذر الثالث فرفضها ثم عرضها على الحارث الكندي(٤٩٠–٥٢٨م)، وطلب منه فرض المذهب على العرب في نجد وتهامة، فوصلت أخبار هذا المذهب إلى مكة، ورفضه جماعة من سكانها منهم عبد مناف الذي رفض ترك ديانته، ولما علم قباذة أمر الحارث بالإسراع إلى مكة وتدمير الكعبة،

وقتل عبد مناف، وتدمير سلطة بني قصي[٣٢]، لكن الحارث لم يكن مستعدًا لخوض مثل هذه المعركة خوفاً على سلطته من العرب الذين سيقفون مع قريش، ولعلمه أنه سيخوض معركة خاسرة وهذا بحده مؤشر على أن الحارث لم يكن له سلطة على مكة.

لتلك الميزات التي اختصت بها مكة اختلفت علاقتها بالفرس وآل لخم عن غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية؛ إذ لم يكن لهم نفوذ سياسي عليها، على الرغم من أن المصادر تذكر وصول شابور الثاني إلى المناطق المجاورة ليثرب [٣٣]، وأن الفرس كان لهم عامل في يثرب وتهامة، شاملاً مكة [٣٤]، ويقال إن قريشاً وجدت منحوتات نذريه في بئر زمزم وضعها ملك فارسي [٣٥]، لكن الأرجح أن مكة لم تدخل ضمن هذا النفوذ، ولم يرد في المصادر ما يؤكد ذلك ولو كان زارها ملك فارسي لتركت زيارته صدى في مصادر تلك الفترة [٣٦].

ولعل إدراك زعماء قريش لمكانة مدينتهم وأهمية دورها الاقتصادي والديني جعلها تبتعد عن النزاعات التي دارت بين القبائل، ولم يشاركوا في الصراع الدولي بين فارس وبيزنطة.

كل ما سبق ذكره لا يعني عدم وجود علاقة بين مكة والفرس، لكنها علاقة قائمة بين قوى متساوية على الرغم من أن قريشاً لم تمتلك جيشاً كالدولة الفارسية أو إمارة الحيرة، لكنها تملك القوة الاقتصادية والمكانة الدينية، لذا قامت العلاقة بين الطرفين على أسس اقتصادية؛ إذ كان الفرس وآل لخم يرسلون (اللطائم) قوافلهم التجارية إلى أسواق الحجاز خاصة عكاظ معتمدين على القبائل الموالية لهم أو المتحالفة معهم، كما كان يصل إليها تجار الفرس بسفنهم ليشتروا ما يجدونه من بضائع، ولجعل هذا النشاط التجاري متبادلاً بين الطرفين.

ذهب نوفل بن عبد مناف إلى زيارة كسرى فارس، وعقد معه اتفاقًا تجاريًا ليسهل على تجار مكة القدوم إلى العراق – التي كانت مقرًا للعاصمة الساسانية طيفسون (المدائن) آنذاك – والمتاجرة مع الفرس والعرب فيها كما سبق وأشرنا.

وتردد تجار مكة على العراق، وكانوا من أصحاب رؤوس أموال يبعثون قوافلهم متى شاءوا أو يذهبون بها بأنفسهم مثل أبو سفيان[٣٧] الذي قاد قافلة لقريش وثقيف إلى العراق[٣٨]، وكان يفد على كسرى ويقدم له الهدايا من الخيل والأدم تقربًا

له، ويتلقى من كسرى هدايا بديلة لما قدم[39]، كما تحدثت المصادر عن متاجرة مسافر بن أبي عمرو بن أمية[٤٠] مع الفرس والحيرة، وكان له صلات قوية مع ملوك الحيرة[٤١] والحكم بن العاص[٤٢] الذي ذهب إلى العراق للمتاجرة بالعطور، وظل تجار مكة يفدون على المدائن، ويتصلون بديوان كسرى ويشتغلون بالبيع والشراء، وكان في الحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة قريش في تجارتهم، مثل كعب بن عدي التنوخي[٤٣]، وكانت له شراكة في الجاهلية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تجارة البز[٤٤]. كما كان لرجال قريش أهداف أخرى من الذهاب إلى بلاد العراق، ومنهم الحارث بن كلدة [٤٥] الذي يقال إنه درس الطب هناك [٤٦] كما ذهب النضر بن الحارث من بني عبد الدار[٤٧] إلى فارس للتجارة، وكان يشترى القصص الفارسية، ثم يعود إلى مكة، ويقصها على قريش في مكة، وقيل هو أول من غنى بالعود بالحان فارسية[٤٨]، وذكر **الأصفهاني** أن الشاعر مسافر بن أبي عمرو بن أمية وفد على النعمان يستعينه على أمره وهو الحصول على أموال[٤٩]؛ لكي يتمكن من الزواج من هند بنت عتبة [٥٠]، واستمر تردد رجال قريش على أراضي الدولة الفارسية، بل تذكر بعض المصادر أن عددًا منهم زار بلاط كسرى، ومنهم عبد الله بن جدعان[٥١] الذي وفد على كسرى، وأكل عنده الفالوذج* فأعجبه فاشترى غلامًا يعرف صنع الفالوذج، وأخذه إلى مكة، وأصبح يصنع الفالوذج، ويدعو الناس إلى موائده بالأبطح* [٥٢]، كما وفد أبو سفيان إلى كسرى الثاني، وتبادل معه الهدايا[٥٣]،وكانت تجارة فارس تصل إلى أسواق الحجاز ومنها عُكَاظ الذي كان يعقد في شهر شوال، بينما يرى الأكثرية أنها تبدأ من أول ذي القعدة وحتى العشرين منه، إذ تبدأ بعده سوق مَجَنَّة وذو المَجَاز[٥٤].

وعرف تجار مكة قانون التجارة والنظم والقواعد التجارية التي لم تكن معروفة لديهم من الفرس[٥٥]، ويقال: إن كسرى يبعث في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة، يعرضها للبيع على سيد من سادات العرب، وكان آخر من اشتراها حرب بن أمية، وبهذا يتعرف كسرى على سادة العرب ليعتمد عليهم في أمور العرب، فيكونوا عونًا له على إعزاز ملكه وحمايته من العرب[٥٦]، كما تذكر المصادر أن عبدالله بن جدعان ورجالاً من قريش ذهبوا إلى كسرى لرفع شكوى ضد تصرف عامله في اليمن باذام قائلين: "باذام... تعبث بأهل مكة في شيء التمسوه منه"[٥٧]، والأرجح أن الشكوى بسبب عشور طلبها منهم مرزبان اليمن. وقد كتب كسرى خطاباً

لابن جدعان ليسلمه إلى المرزبان في اليمن، وبعد ظهور الإسلام ومكاتبة الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم للملوك، كتب كسرى لمرزبانه في اليمن أن يحضر له محمد صلى الله عليه وسلم[٥٨]، وعمل تجار الحيرة كوكلاء للفرس في مكة ؛ حيث تردد تجار الحيرة على مكة ولهم مع تجار مكة عقود وجوار وتحالف عدد منهم مع عدد من شخصيات مكة وتجارها، وكانوا ينزلون عندهم، وكانوا يتعهدون بحماية قوافل التجارة الفارسية مقابل جُعل يأخذونها من الفرس[٥٩]. وكما استفاد الفرس من عرب الحيرة في تجارتهم مع مكة، تمكنت قريش من الاستفادة من قبيلة تميم ،تلك القبيلة التي انتشرت فروعها في وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها، وحازت على مكانة خاصة لدى الفرس وآل لخم، وسيطرتها على بعض أسواق التجارة في شبه الجزيرة العربية ومنها سوق المشقر في شرق شبه الجزيرة العربية[٦٠]؛ حيث كان سادة السوق هم بنو عبدالله بن زيد من تميم يديرونه لصالح ملوك الفرس وآل لخم [٦١]وبحمايتها لطرق التجارة وللقوافل التجارية القادمة من بلاد فارس والعراق إلى سوق عكاظ، كما مارس بنو تميم أنفسهم التجارة؛ لذا ارتاد تجارهم أسواق شبه الجزيرة العربية، وبدأت قريش بالتقرب من هذه القبيلة بمنحها صلاحيات خاصة، إما عن طريق الحُمْسُ لمن استقروا في مكة حيث سمح لأفرادها بالتزوج من النساء القرشيات، منهم بنو أُسيد الذين أصبحوا حلفاء واستقروا في مكة، وحققوا ثراءً واسعًا، وتزوجوا من علية الأسر فيها[٦٢]، وتزوج رجال من قريش بنساء من تميم، منهم هشام بن المغيرة الذي تزوج من دارم[٦٣] أو عن طريق الإيلاف لفروع تميم القاطنة على طرق التجارة المارة بوسط شبه الجزيرة وشرقها، وفي جنوب وادي الرافدين، أو في حراسة مكة في المواسم، حيث كانت جماعة منهم تقوم بحماية مكة أيام الحج، وفي الأشهر الحرم على الرغم من أنه لا يسمح بحمل السلاح لمن أراد دخول مكة في هذه الأشهر، لكن هذه الجماعة التي كانت من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد بن تميم كان يسمح لها بحمل السلاح لحماية الناس والمقدسات [٦٤] أو حصولها على وظيفة القضاء في سوق عكاظ، وحصلت تميم على حق الإجازة في الحج، وهي الأمر بالإفاضة، وقد ورثتها من صوفه، وهذا شرف ديني نالته هذه القبيلة، وجمع بعض أفرادها بين الوظيفتين القضاء والإجازة وعدد **ابن حبيب** رجال تميم الذين جمعوا بينهما[٦٥]، وكان آخر من

تولى القضاء عند ظهور الإسلام هو الأقرع بن حابس، وآخر من تولى الإجازة هو كرب بن صفوان وكلاهما من تميم.

كل هذه الإشارات تدل على أن علاقة الفرس وعرب الحيرة بمكة كانت قائمة على تبادل المنافع؛ إذ لم يحدث بين تلك الأطراف مواجهات حربية مباشرة، لكن هذا لا يعني عدم حدوث مشاركة أحد هذه الأطراف في مواجهات حربية مع طرف آخر بطريقة غير مباشرة عن طريق مساعدة حليف لها، كما حدث عندما أرسل النعمان بن المنذر قوة لمحاربة عامر بن صعصعة بعد انتهاء الأشهر الحرم، ولما علمت قريش بنوايا قوة النعمان أرسلوا لعامر بن صعصعة تحذيرًا، وكان الذي حذرهم عبدالله بن جدعان، وعندما أراد كسرى حضور عبدالله بن جدعان إليه أرسل عامله على اليمامة إلى مكة ليحضره(٦٦)، هذه المكانة التي حققتها تميم في مكة سواء عن طريق المصاهرة أم الوظائف التي تولاها أفرادها ساعدت على تقوية أصر العلاقة مع قريش التي أيضًا استفادت منها في تقوية مكانة مكة بين المجتمعات القبلية في الجزيرة العربية وخارجها، وساعدتها على حماية القوافل التجارية القادمة إلى مكة مما عزز مكانة مكة التجارية.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا حرصت قريش على هذه الصلة؟ ولماذا حرصت تميم على الحصول على هذه المكانة في مكة؟ لعل تميمًا الواقعة تحت النفوذ الفارسي وأتباعهم العرب كانت مدفوعة من قبل تلك القوى للتقرب إلى مكة، وبهذا يكون الملك الفارسي وملك الحيرة على معرفة بأحوال مكة وما يدور فيها؛ وقد يكون السبب هو إحساس العرب بالضعف الذي أصاب الحيرة في أواخر القرن السادس، حيث تمكنت القبائل البدوية من هزم قوات الحيرة عدة مرات، والهجوم على مخيمات النعمان، لذا أخذت القبائل بالابتعاد عن الحيرة والبحث عن قوة أخرى يستندون إليها، وكانت مكة تؤدي لهم هذا المطلب حيث كانت قوتها وسلطتها في الظهور. أما بالنسبة لقريش، فقد رأت الاستفادة من قوة تميم لمكانتها لدى عرب الحيرة والفرس، وتكون وسيطاً بينهما، وربما كان هدف قريش هو إبعاد تميم من نفوذ الفرس وجذبها إليها والاستفادة من خدماتها، وفي الحقيقة أن قريشاً بإدراكها توتر العلاقة بين الحيرة والفرس، رغبت في سحب البساط من تحت أقدام الحيرة في السيطرة على تجارة الجزيرة العربية؛ ولذا يرجح أن "حروب الفجار" (٥٨٥-٥٩٠م) ماهي إلا انتصار

لإرادة مكة على الحيرة مما كان له انعكاسه على العلاقات بين الطرفين، لاسيما وأن قريشًا كانت قد حرضت على هذه الحروب خاصة حرب الفجار الثانية، والتي كان من أبرز أسبابها ما حدث في بلاط النعمان حول من يجير لطيمة النعمان إلى عكاظ، فتولاها عروة الرحال، فعارضه البراض الكناني، الذي تمكن من الغدر بعروة وقتله والفرار بالقافلة إلى خبير[٦٧] وقد حاول بعضهم التقليل من أهمية هذا الانتصار، وجعله ذا أهداف اقتصادية وسياسية، كما يرجح أن أسبابها الخفية هو قيام الحيرة بإرسال قوافلها إلى اليمن عبر الطائف كي تتجنب المرور بمكة عندئذ حدثت حرب الفجار والتي من بعدها أحكمت مكة سيطرتها على سوق عكاظ سيطرة تامة بعد أن كانت هوازن تسيطر عليه، وتسمح فقط لقريش بالمتاجرة فيه.

ثم سيطرة قريش على سوقي مجنة وذي المجاز، مما يدل على سيادة قريش على تجارة شبه الجزيرة العربية، وإبعادها لنفوذ الفرس والحيرة.

ليس ذلك فحسب، بل أصبح لها شأن في أسواق بعيدة مثل دومة الجندل، حيث كانت قوافلها آمنه فيه بفضل الأحلاف، وتأتي أهمية هذا السوق أنه عقدة المواصلات بين مكة والحيرة، وبين الخليج وبصرى، وكان لها الخفارة في سوق المشقر أكبر أسواق الخليج، وسوق الرابية في حضرموت وكانت خفارته لبني آكل المرار حلفاء قريش، وهذا يدل على أن قريشًا أمسكت بزمام تجارة شبه الجزيرة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي[٦٨].

في نفس الوقت ألذي أفل نجم الحيرة، وذهبت هيبتها لدى قبائل شبه الجزيرة.

ثالثاً: **التأثيرات الفارسية في مدن الحجاز:**

كان نتيجة لتعامل أهل الحجاز مع الفرس انتقال بعض المؤثرات الحضارية، ففي النواحي الاجتماعية تعرف المجتمع الحجازي على الغناء، حيث ذكر أن عبدالله بن جدعان حين زار بلاد الفرس سمع الغناء واستحسنه لذا اشترى عدد من القيان[٦٩] ،كما تعرف المجتمع المكي على أنواع من الأطعمة الفارسية منها الفالوذج،[٧٠] ، واستخدموا أواني الشرب المصنوعة من الزجاج والبلور ومن الذهب والفضة ،وتشير المصادر إلى أن أبا سفيان الذي تردد على بلاد الفرس، وزار كسرى، ورجع ومعه ثمانمائة إناء من فضة وذهب استخدمها هو وأشراف مكة في الشرب.[٧١] كما فعل عبد الله بن جدعان حتى أنه لقب ب(حاسي الذهب)[٧٢] ،وبالنسبة للتأثير الديني

أشارت المصادر إلى أن قريشًا أخذت الزندقة من الحيرة، ولا يُعتقد أن المقصود بزندقة قريش الثانوية[٧٣] وهو مذهب ماني الفارسي وانتقالها من الحيرة للحجاز كون الحيرة تابعة للفرس، ولابد أن هذا المذهب انتشر في بعض طبقات المجتمع في الحيرة ، ولا يرجح أن المزدكية وجدت في المجتمعات الحجازية على الرغم من أن قباذة حاول عن طريق الحارث بن عمرو الكندي نشرها في الحجاز، إلا إن الحارث رفض لعمله أن قريشًا لن تقبل بهذا الدين الذي ينادي بشيوعة المال والنساء بين الناس. وكذلك المجوسية لم تنتشر مثل ما كانت علية في المجتمعات التي وجد فيها نفوذ فارسي مباشر مثل شرق الجزيرة والبحرين[٧٤].

نخلص من كل ما سبق ذكره :

أن للتنافس والصراع القائم بين القوتين الساسانية والبيزنطية على السيطرة على طرق التجارة ومنافذها داخل الجزيرة العربية، خاصة مدن الحجاز التي أصبحت منذ القرن الخامس الميلادي مراكز تجارية مهمة في تلك الفترة، يشير لذلك محاولات كلتا القوتين مد نفوذهما على الحجاز، إذ اعتمدت بيزنطة على أتباعها من عرب الشام من جهة، والأحباش بعد سيطرتهم على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية من جهة أخرى، فشجعت أبرهة على إرسال حملات عسكرية إلى وسط شبه الجزيرة وغربها ومنها حملته على قبائل معد، وحملته على مكة.

كما أن الدولة الساسانية وإن لم ترسل حملات عسكرية مباشرة إلا إنها استخدمت نفوذها على العرب الموالين لها للوصول للحجاز، فأسندت الأمر لملوك الحيرة ومنهم المنذر الثالث.

وبعد ضعف الحيرة اعتمدت على القبائل العربية لاسيما تميم التي لا يستبعد أن وصولها للحجاز وحصولها على مكانة خاصة في مكة كان بدافع من أيدي خفية من قبل الدولة الساسانية، وأما قريش فبحنكتهم السياسية، وخبرتهم التجارية ظلوا سادة الموقف، ولم يميلوا إلى معسكر دون الآخر، بل كانت سياستهم متوازنة بعقدهم المعاهدات التجارية مع الطرفين إلى أن ظهر الإسلام، وسدد لأطماع تلك القوتين الضربة القاضية، وكانت نهاية أطماع الدولتين الساسانية والبيزنطية على يدى العرب الذين انطلقوا من الحجاز.

الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع:

(*) ملحوظة: هذا البحث كتبته الدكتورة نورة (رحمها الله) في حياتها، وحكمته **مجلة الخليج للتاريخ والآثار** التي تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وقبلته للنشر، وفي الوقت نفسه قرأه أ.د. سليمان الذييب أستاذ الكتابات القديمة بقسم الآثار بجامعة الملك سعود وأ.د. إلهام أحمد البابطين الأستاذة بقسم التاريخ جامعة الملك سعود فأجازاه . **ورأى بعض الزملاء والزميلات ان من الأفضل لهذا البحث أن ينشر في مجلة المؤرخ العربي التي تصدر عن طريق اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة تكريمًا لها بوصفها من أعضاء الاتحاد المميزين**

١ – من هذه الأبحاث:

- علاقة الدولة الساسانية بالإمارات العربية في جنوب وادي الرافدين والهلال الخصيب، **مجلة التاريخ والآثار**، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، الرياض ٢٠١٤م، م١٣ ص ٤٧ – ١٠٦.
- علاقة الدولة الساسانية بجنوب الجزيرة العربية منذ القرن الثالث حتى القرن السابع الميلاديين ٢٠٠–٧٠٠م، **مجلة التاريخ والآثار**، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي ، الرياض ٢٠١٦م، م ١١ ص ١ – ٥٠.

2– Potts, Daniel, "Trans–Arabian Routes of Pre Islamic Period" ,**Seminaries de Recherche** 1985–1986, vol 16, p136 & Shahid, I., "The Arabs in the Pease Treaty of 561A.D",_**Byzantium and the Semitic Orient before the Rise of Islam**, V11, London, Varioum Repreints,1988 p191–192

٣– سحاب، فكتور: **إيلاف قريش**، بيروت ، المركز الثقافي العربي ،١٩٩٢، ص١٥٨

& Smith, S," events in Arabia in the 6th A.D.", **Bulletin of School of Oriental and African Studies**, 16, part 3,1954 p 442

٤– مؤلف مجهول: **نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب**، تحقيق محمد تقي دانش ثروة، طهران، مجمع التراث والمآثر الثقافية، ١٣٧٥، ص١٨٢–١٨٣

٥ – الطبري، محمد بن جرير **(ت٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك تحقيق** محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت دار سويدان، ج٢، ص٤١.

٦ – الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٥ .

٧ – عن حملة أمرؤ القيس انظر: – شهيد، عرفان "حملة أمرئي القيس على نجران": **دراسات تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الأول مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج١، الرياض، مطابع جامعة الرياض، ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٩م .

٨– الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٠٣ .

٩– يوم الصفقة (المشقر) وهومن أيام العرب وسببه أن تميم استولت على قافلة لكسرى فأوعز كسرى لهوذه الحنفي وعامله على البحرين المكعبِر بالانتقام من تميم ودارت أحداث هذا اليوم في حصن المشقر لذا عرف بهذا الاسم، كما عرف بالصفقة لإصفاق باب الحصن عن أحداث هذا اليوم انظر: – التميمي أبو عبيدة معمر بن المثنى، **(ت٢٠٩هـ)، أيام العرب قبل الإسلام** تحقيق عادل جاسم البياتي، بيروت عالم الكتب،١٩٨٧، ج٢، ص٢٤٠.

١٠– المكعبر: بكسر الباء عامل فارسي على البحرين وأسمه أزادفيروز (والعرب تسميه المكعبر لأنه يقطع الأيدي والأرجل)، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٥،ج٨،ص١٠٢

١١– هوذة الحنفي: بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة من بكر بن وائل، صاحب اليمامة كان على علاقة حسنة بكسرى، والبسه التاج، الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص١٠٢.

١٢– يهود يثرب: – جماعات يهودية اختلفت الرويات في زمن استقرارها في يثرب، لكن الأرجح أنهم نزلوا يثرب بعد الغزو الروماني لفلسطين في القرن الأول الميلادي، حول هذه الأراء انظر: غضبان، ياسين، **مدينة يثرب قبل الإسلام**، عمان، دار البشير للنشر، ١٩٩٣، ص ص ٧٢–٧٩.

١٣– الأوس: – من الأزد القحطانية وهم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عامر مزيقياء، هاجروا ليثرب وعاشوا فيها مع الخزرج والقبائل اليهودية.

والخزرج: من الأزد القحطانية وهم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول ابن عامر بن مزيقياء، سكنوا يثرب إلى جانب الأوس ويهود يثرب، كحالة، عمر رضا، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، دمشق المكتبة الهامشية، ١٩٤٩م، ج١، ص ص ٣٤٢،٥٠.

١٤– ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله(ت٣٠٠هـ) **المسالك والممالك**، بغداد، مكتبة المثنى،١٣٨١هـ، ص١٢٨ .

١٥– عن الزَّارَةُ انظر: الحموي، ياقوت (ت٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، بيروت دار صادر، ج٥، ص ٨٣.

١٦– الحموي، معجم، ج٥ ص٨٣ .

17– Leaker,."، Were Customs dues levied at the time of the Prophet Muhammad" **Al–Qanṭara**, 22, 2001, Madrid, Instituto Miguel Asin, p114.

١٨– الأندلسي، ابن سعيد، (ت٦٨٥هـ) **نشوة الطرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٨٢، ج١، ص١٨٩.

١٩– الطبري، **تاريخ، ج٢**، ص١٤٩.

٢٠– الأصفهاني، أبو الفرج، (ت٣٥٦هـ) ، **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه عبدا علي المهنا، بيروت دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٢، ج١١، ص١١٥.

٢١ الأندلسي، **نشوة الطرب**، ج١، ص١٩٠ .

٢٢– المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ)، **التنبيه والإشراف**، صححه عبد الله إسماعيل الصاوي، مصر مكتبة الشرق الإسلامية ،١٣٥٧، ص٢٣٧.

23– Peters, F.E., **Mecca: Literary history of the Muslim Holy Land**, Princeton University, New Jersy,1994, p13, &

الحليسي، نواف صالح، **قريش ومنهجها التجاري**، (د.ت)،(د.ن)،١٩٩٣، ص ٧٩.

٢٤– ابن هشام، ابو محمد عبد الملك (ت٢١٣هـ) ،**السيرة النبوية**، بيروت، دار بن حزم، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٧ & البلاذري أحمد بن يحي (ت٢٧٩هـ) ،**جمل من انساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار& رياض زركلي بيروت، دار الفكر١٤١٧،ج١، ص٦٦ الطبري، **تاريخ**، ج٢، ص٢٥٢.

25 –Simon, R., **Meccan Trade and Islam**, Budapest, Akademiai Kiado,1989, p65.

٢٦– ابن حبيب، ابي جعفر محمد (ت٢٤٥هـ)، **المنمق في أخبار قريش**، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فارق، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥، ص٤٤& سحاب، **إيلاف قريش**، ص٢١٥، Simon,R., **Meccan Trade and Islam**, p66&

٢٧– سحاب، **إيلاف قريش**، ص٢٢٠، & علي، جواد، **المفصل**، ج٤، ص٢٠٨

٢٨– علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت دار العلم للملايين، ط، ١٩٨٠، ج٤، ص٧٠

30 – Smith,S,"events in Arabia in the 6th A.D."p448–

الحليسي ، **قريش** ، ص ١٣٢–١٣٣&

٣٠– ألأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد(ت٢٤٠) ،**أخبار مكة**،تحقيق رشدي الصالح ملحسن، مكة، مكتب الثقافة، ١٩٩٥ ، ط٧ ج١، ص ١٠٧.

٣١– المزدكية ديانة فارسية ظهرت أيام الملك الفارسي قباذة، وتنسب إلى مزدك الذي دعى إلى شيوعة المال بين الناس، انظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن **عبدالكريم (ت٥٤٨هـ)**: **الملل والنحل**، صححه أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب، ط٢، ١٩٩٢، ص٢٧٥ .

32– Bosworth, C.E. "IRAN and the ARABS before Islam" The Cambridge History of Iran, ed E. Yarshater, Cambridge, Cambridge University Pres ,1983 vol 3 (1,) ،P 600& Zahran, Y, The Lakhmids of Hira, London, Stacey International, 2009, p30

٣٣– الطبري، **تاريخ**، ج٢، ص٥٧ .

٣٤– الحموي، **معجم** ،ج٣،ص١٤٧ .

٣٥– بئر زَمْزَمُ: هي البئر المباركة في مكة عنها انظر الحموي، معجم، ج٣، ص١٤٧.

36 – Crone,P., **Mccan Trade and the rise of Islam**, Oxford – ، Basil Blakwell,1987 ,P49.

٣٧– صخر بن حرب بن أمية، ويكنى – أبا سفيان، البلاذري، جمل من **انساب الأشراف، ج**٧، ص .

٣٨– الأصفهاني، أبو الفرج، **(ت٣٥٦هـ)، الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه عبدا علي المهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠٠٢، ج١٣، ص٢٢٩، على، جواد، **المفصل**، ج٧، ص٢٢٩ .

٣٩– الأدم: هو نوع من الجلود المذهبة ومن أرقى الأنواع التي حرص الأغنياء على شرائه، ابن عبد ربه، أبو عُمر شهابُ الدين أحمدُ بنُ محمّدِ القرطبي الأندلسي(ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، شرحه وضبطه وصححه: أحمد امين ومن معه، دار الكتاب العربي ،١٩٨٣، ج٢، ص٢٠.

٤٠– مسافر بن أبي عمرو بن أمية: من فتيان قريش وأكثرهم جمالاً وشعراً ، الكلبي، أبو المنذر بن هشام بن محمد السائب (ت٢٠٤هـ)، **جمهرة النسب**، تح ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب ،١٩٨١هـ،ج١، ص٥١ .

٤١– ابن بكار الزبير، (ت٢٥٦هـ) **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تح محمود شاكر القاهرة، دار العروبة، ١٣٨١هـ، ج١ ص١٣٥، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، بيروت، دارالملايين،٢٠٠٢، ج٧، ص٢١٣.

٤٢– الحكم بن العاص بن أمية يكنى أبا مروان ممن أسلم يوم الفتح ومات في سنة إحدى وثلاثين هـ، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص١٠٨.

٤٣– كَعبٌ بن عدي بن ثعلبه العبادي التنوخي، من أهل الحيرة، الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق(ت٤٣٠هـ): **الإصابة في معرفة الصحابة**، تح عادل يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن، ١٤١٩هـ انظر ترجمته.

٤٤– البَزّ: ضرب من الثياب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم **(ت٧١١هـ)**، **لسان العرب**، بيروت دار صادر ،١٣٠٠هـ، ج٥، ص٣١١.

٤٥– الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج طبيب العرب المشهور، الكلبيى، **جمهرة**، ص٣٨٩.

٤٦– الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٣، ص٢٢٩. الروبي، آمال محمد، **تجارة مكة وظهور الإسلام**، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص٢١٩ .

٤٧ – النضر بن الحارث هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، هو أول من غنى في مكة من قريش، الكلبي، **جمهرة النسب** ، ص٦٧.

٤٨– الكلبي، المصدر السابق، ص٦٧.

٤٩– الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، (ت٤٥٦هـ): **جمهرة أنساب العرب**، راجعه عبدالمنعم خليل إبراهيم بيروت، دار الكتاب العلمية، **٢٠٠٩**، ص١١٧.

٥٠– هنُد بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف صحابية جليلة زوجة أبو سفيان وأم الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد **(ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار بن حزم، ١٤٣٣، ص١٥٩٣.

٥١– عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة سيد بني تيم، وهو ابن عم والد أبي بكر الصديق رضي الله. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر **(ت٧٧٤هـ)** : **البداية والنهاية**، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، هجر للطباعة والتوزيع، ١٤١٧هـ، ج٣، ص ٢٦٥.

٥٢– الأصفهاني، **الأغاني**، ج٩، ص٦٢٨.

٥٣– الأصفهاني، **الأغاني**، ج٨، ص٣٤٣.

*–الفالوذج:– من المأكولات الفارسية، الجواليقي، ابو منصور موهوب بن أحمد محمد بن الخضر(ت٥٤٠هـ)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**،_تحقيق أجمد مجمد شاكر، القاهرة دار الكتب المصرية،١٩٦٦، ص١٣٨

٥٤– اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وسُمي عكاظ؛ لأن العرب تجتمع فيه، وكانت السوق تقام في موضع يسمى الاثيداء، ياقوت الحموي، **معجم**، ج٤، ص١٤٢.

٥٥– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٢١

٥٦– الأفغاني، سعيد، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، دمشق، ١٩٦٠، ص٢٨١

٥٧– على جواد، **المفصل**، ج٧، ص٢٣٠

٥٨– أبو شارب، مصطفى فتحي، **العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر_الجاهلي**، الرياض، دار عالم الكتب، ط١ ١٤١٧هـ، ص١٥٣

٥٩– ابن هشام، **السيرة**، ص ٣٦–٣٧

٦٠– سوق المُشَقَّرُ هو سوق في داخل حصن في البحرين لعبد القيس ، الحموي، **معجم**، ج٥، ١٣٤

٦١– على جواد، **المفصل**، ج٧، ٢٩٩–٣١٨

٦٢– المصدر السابق ص، ٣٦–٣٧

64–Kister, M., “Mecca and Tamem” **Journal of Economic and Social History of the Orient,** Vol, 8, 1967, p158

٦٤– ابن حبيب، ابوجعفر محمد(**ت٢٤٥هـ**)، **المحبر**، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، بيروت (د.ت)،٢٦٥ – **الحُمْسُ**: قريش؛ لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم، وقيل هم أهل الحرم للمزيد عن الحمس انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (**ت٧١١هـ**)، **لسان العرب**، بيروت دار صادر، ١٣٠٠هـ، ج٦، ص٥٧ وما بعدها.

65– Kister, M., “Mecca and Tamem” **Journal of Economic and Social History of the Orient,** Vol,8,1967، p158

66– Kister, M., PO CIT, p.p, 143,157

٦٧– ابن حبيب، **المحبر**، ص١٨١

٦٨– البلاذري **انساب الأشراف**، ج٥، ص ص٢٢١–٢٢٢

٦٩ – التميمي أبو عبيدة معمر بن المثنى، (ت٢٠٩هـ)، أيام **العرب قبل الإسلام** تحقيق عادل جاسم البياتي، بيروت عالم الكتب،١٩٨٧، ج٢، ص ٥٠

٧٠– الروبي، ص٢٥١

٧١ الأسد، ناصر الدين، **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، القاهرة، دار المعارف ط٢، ١٩٦٨م، ص٨٣

٧٢–ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٢١

٧٣– الألوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، شرح وتصحيح محمد بهجت الأثري القاهرة، دار الكتاب المصري، ط٢، ص٨٧

٧٤– بوشارب، مصطفى، **العلاقة بين العرب والفرس**، ص٢٦١.

وظيفة البريفكت في مصر البيزنطية (٢٨٤ – ٦٤١م)

أ.م.د: هويدا سيد على محمد
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطي
كلية الآداب – جامعة حلوان

الملخص:

منذ جاء الإسكندر إلى مصر ونظامها الإداري شبه ثابت لفترات زمنية طويلة، فطوال العصر البطلمي، استمرت النظم الإدارية المصرية مع تغيرات طفيفة، لاسيما في الإدارة العليا بالإسكندرية والتي كان الملك البطلمي على رأسها.

كانت مصر من أهم الولايات الرومانية، واستمر هذا الوضع في العصر البيزنطي، وترتب على ذلك أهمية وضع حاكمها لدى الإمبراطور، حيث قام بوضع أحد القادة العسكريين كحاكم لمصر وكان يسمى البريفكت.

ويبدو أن وظيفة البريفكت ظهرت حتى تتلاءم مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور أغسطس(٢٧ ق.م: ١٤م) في فترة حكمه لمصر. خاصة أن الإمبراطور ملك أجنبي غير متواجد في مصر ولابد من وجود حاكم يمارس جميع سلطات الملك.

وقد تمتع البريفكت في مصر في العصر البيزنطي بكل السلطات وكان خاضعًا مباشرة للإمبراطور الذي كان هو فقط من يستطيع تعيينه أو عزله. وكان يقيم بالإسكندرية، ولا يغادرها إلا لعقد المحاكمات العليا مرة بالوجه البحري وأخرى بالوجه القبلي. وكان من حقه تعيين كافة موظفي الإدارة المركزية في مصر.

ومن هنا تأتى أهمية توضيح وظيفة البريفكت ومهامه المكلف بها في جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والإدارية والقضائية، مما يجعل لدينا صورة أوضح عن تاريخ مصر في تلك الفترة الزمنية المهمة.

Abstract:

Since Alexander came to Egypt and its administrative system was almost fixed for long periods of time, throughout the Ptolemaic era, the Egyptian administrative systems continued with slight changes, especially in the upper administration in Alexandria, which was headed by the Ptolemaic king.

While Egypt was one of the most important Roman states, and this situation continued in the Byzantine era, and this resulted in the importance of placing its ruler with the Emperor, as he placed one of the military leaders as ruler of Egypt and was called the Prefect.

It seems that the function of the prefect appeared to be compatible with the administrative reforms that took place during the reign of Emperor Augustus during his reign in Egypt. Especially since the emperor is a foreign king who is not present in Egypt and there must be a ruler who exercises all the powers of the king.

The Prefect in Egypt in the Byzantine era enjoyed all the powers and was directly subordinate to the emperor, who could only appoint or dismiss him. He used to reside in Alexandria, and he did not leave it except to hold high trials, once in Lower Egypt and another in Upper Egypt. He had the right to appoint all employees of the central administration in Egypt.

Hence the importance of clarifying the function of the Prefect and its assigned tasks in all military, economic, administrative and judicial aspects, which makes us have a clearer picture of the history of Egypt in that important time period.

الكلمات المفتاحية: البريفكت، الوالي الأوغسطال، مصر البيزنطية.

مقدمة :

عندما دخلت مصر في حوزة الإمبراطورية الرومانية، ظلت نظمها الإدارية البطلمية سارية المفعول مع تغيرات أساسية، من وضع نائب للإمبراطور يكون مقره العاصمة الإسكندرية، وجعله الحاكم المتصرف في كل شيء بها، ووضع تحت إمرته مجموعة من المساعدين والخبراء في كل الإدارات.

وظل نظام أغسطس الإداري معمولا به في مصر والإسكندرية، حتى طرأ عليه عدة تغيرات في القرن الثالث وكان أهمها ما قام به الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤–٣٠٥م)، والذي يعد عصره بداية حقيقية للعصر البيزنطي في مصر والذي ساده نظام إداري اختلف بشكل كبير عن النظام الإداري في العصر الروماني.

ولذلك تمتع البريفكت بكل السلطات، وكان خاضعًا مباشرة للإمبراطور الذي كان هو فقط من يستطيع عزله أو تعيينه، ويعتبر ذلك البريفكت مسئولا أمامه وحده، وتظهر أهمية تلك الوظيفة لما كان لصاحبها من سلطات واسعة في كل الإدارات، فهو رئيس جميع الإدارات خاصة الجيش والمالية والقضاء وتنفيذ سياسة الإمبراطور الدينية.

تمهيد:

عمد البطالمة بعد مجيئهم لمصر على أغرقة الحكم ونظام الإدارة ثم التطوير بما يناسب الظروف الجديدة، وقد تم لهم ذلك عن طريق مركز الحكم من نقراطيس[١] إلي الإسكندرية. وتعيين أعداد كبيرة من الإغريق في القصر الملكي، وفي أقسام الإدارة المختلفة، وتدريجيًّا، أصبحت الإغريقية هي اللغة الرسمية.[٢]

وكانت القاعدة الأساسية للتنظيم الإداري في مصر في جميع العصور السابقة كان نظام الأقاليم أو الوحدات الإدارية ، والتي اختلف عددها وحجمها من وقت لآخر، وكان تقسيمها في العصر البطلمي على أساس البنية الفوقية – حكم المنطقة – التي يمكن أن توضع عليها.[٣]

وحافظ الرومان على النظام البطلمي في إدارة مصر، ولم يدخلوا تعديلات على تلك الإدارة، إلا لموائمة الحكم الجديد تحت إمرتهم، فبقيت الإدارة المحلية في أيدي الإغريق، ولم يعين من الرومان غير كبار الموظفين. كالحاكم العام الذي كان يمثل السلطة الجديدة، حيث إنه منذ الحكم الفارسي لمصر، ولم يعتد المصريون على عدم وجود الملك الفعلي للبلاد داخلها، بالإضافة لكبار مساعدي ذلك الحاكم وحكام الأقاليم.[٤] ولذلك أجرى الرومان تغييرًا في الإدارة، ليس في الشكل بل في المضمون.

وظل النظام الإداري الذي وضعه أغسطس سائدًا ومسايرًا للأحداث إلا إنه منذ منتصف القرن الثاني الميلادي، كان من الضروري إحداث بعض التغيرات به، حتى

---

[١]– نقراطيس: كانت المدينة الأولى في عهد البطالمة حتى نقل مركز الحكم للإسكندرية، انظر: (محمد أحمد حسين، مكتبة الإسكندرية في العالم القديم، القاهرة، ١٩٤٣، ص ١–٢ .

[٢]– مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٩ – ١٢٠.

[3]– A. Bouche – Leclerq, Histoire De La Gides , Paris , 1906 , p . 126 .

[4]– Milne (J.G), History of Egypt Under Roman rule , London , 1898 , p.2.

وانظر أيضًا: رستوفترف (م)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، (ت): زكي علي محمد سليم سالم ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، ص ٣٦٧

يواكب تطور الأحداث، ومن هنا، حاول بعض أباطرة القرن الثالث الميلادي إصلاح بعض عيوب النظام الإداري التي ظهرت في ذلك الوقت.

ولذلك، ظهرت وظيفة البريفكت "Praefectus"[١] عندما حرص الإمبراطور أغسطس علي تأمين الإسكندرية التي اشتهر أهلها بالشغب والثورة من الوقوع في أيدي المنافسين، ولذلك أقام واليا (حاكمًا عامًا) عرف باسم البريفكت .

ويبدو أن وظيفة البريفكت ظهرت حتى تتلاءم مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور أغسطس في فترة حكمه لمصر . خاصة أن الإمبراطور ملك أجنبي غير متواجد في مصر[٢] ولابد من وجود حاكم يمارس جميع سلطات الملك.[٣]

ولأهمية هذه الوظيفة لم يقم أغسطس علي تأمين مصر بوالي من هيئة السناتو، لعدم اطمئنانه لهم.[٤] فلم يكن يسمح لأعضاء السناتو زيارة مصر إلا بموافقة الإمبراطور، ولذلك ظلت مصر تحتفظ بوضع خاص وإدارة خاصة؛ وذلك حتى لا يستبد أحد منهم بحكمها.[٥] بل أقام عليها واليا من هيئة الفرسان.[٦]، ذلك الحاكم الذي امتلك في يديه كل السلطات، حيث كان القائد الأعلى للجيش، ورئيسًا للإدارة المدنية، ومديرًا الشئون المالية،

---

[١]- البريفكت: اشتهرت الإسكندرية بميل أهلها للشغب والثورة ، فحرص الأغسطس على تأمينها، فأقام عليها واليا من هيئة الفرسان، وهي في الأصل هيئة من رجال الأعمال الذين اكتسبوا من ممارسة التجارة والالتزام بجباية الضرائب خبرة بالشئون المالية والإدارية . انظر: عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٩٢، ص ٥٤، وكان البريفكت في يديه جميع السلطات .

Ammianus Marcellinus, History , with an English translation by: John C.Rolfe, Philadelphia, 1930, vol 2, p. 298.

[٢]- جونيفيفهوسون، دومنيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر، ت: فؤاد الدهان، دار الفكر، ١٩٩٥، ص٢١٨ .

[٣]- مصطفي العبادى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .

[٤]- عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية ، ص ٥٣ – ٥٤ .

[5]- Milne (J.G), Catalogue of Alexandrian Coins, oxford, 1933, p. XV.

[٦]- عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص ٥٤ .

والمسئول الأول عن القضاء.[١] علي أن جمع السلطتين العسكرية والمدنية في يد حاكم واحد للأقاليم، إنما يقابله تحمل الوالي مسئوليات ضخمة.[٢]

ولقب حاكم مصر (البريفكت) بعدة ألقاب منها الوالي الأوجستال Praefectus Augustalis؛ ولأن مصر كانت جزءًا من أبرشية الشرق حتى حوالي ٣٨٠ – ٣٨٢م، عندما أصبحت أبرشية مميزة وحصل بريفكت مصر على لقب PraefectusAegypti، ويبدو أنه كان مثل[٣]praeses محافظ مصر.[٤] وأطلق عليه أحد الأسماء الآتية Epitropes, Eparchos , Hegemon.[٥] وأحيانًا سمي Praefectus Alexandria et Aegypti أي والي الإسكندرية ومصر.[٦]

أما لقب فاليروس (Valerius)، فسنلاحظ أنه خلال القرن الرابع الميلادي، حمل عدد كبير من ولاة مصر هذا اللقب، وكذلك بعض الموظفين الحكوميين بمستوياتهم

---

[1]– Ammianus Marcellinus : History, vol 2 , p.298.

[2]– Rouillard (G.) , Administration civile de l'Egypt Byzantine , Paris, 1928 ,p. 28 .

[٣]– Praeses: عندما قسم الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤–٣٠٥م) مصر لثلاثة أقسام وهم طيبة وهراقليا ومصر جوفيا، تولي إدارة كل من القسمين الأولين حاكم يحمل لقب مدير إقليم وهو البريسز Praeses، وكان تحت إمرة وإشراف كونت الشرق Comes Orients ، انظر:

Lindsay (J),Daily Life in the Roman Egypt, London, 1963, p. XIX, & Bury (J. B), History of the Later Roman Empire, vol 1 London, 1923, p.25.

ولكن مرسوم الإمبراطور جستنيان (٥٢٧–٥٦٥م) قلل من شأن البريسز وجعله تابع للدوق الأوغسطال بعد ذلك, Rouillard (G), Administration, p ٤٥

[4]– Bury (J.B) , History of the Later Roman Empire , vol 1, London,1923 ,p. 27 .

[٥]– زكي علي، مقتنة الاديولوجوس، ١٩٩٨، ص ٣ .

[٦]– جونيفيف هوسون: دومنيتيك فالبيل، الدولة والمؤسسات، ص ٢١٨ .

المختلفة وبعض أعضاء الجيش ، وقد انتهي العمل باسم فاليروس Valerius في حوالي عام ٣٢٤ أو ٣٢٥ م.[١]

في عام ٤٦٨– ٤٦٩م، أصبح البريفكت الأوجستال يحمل لقب دوق الحدود المصرية ومن المفترض أنه أعطى هذا اللقب للحفاظ على الإسكندرية وسائر مصر.[٢] فكان للإسكندرية هيئة شرطة خاصة تحت الحكومة المركزية،[٣] حتى إن والي مصر البريفكت لم يكن له أن ينحي عن ولايته وسلطته قبل أن يدخل خلفه إلى مصر فقط بل للإسكندرية نفسها. فكان منصب والي مصر Praefectus Aegypti كان في أول الأمر أعلي منصب في سلك وظائف الفرسان.[٤]

ولذلك تمتع البريفكت بكل السلطات ، وكان خاضعًا مباشرة للإمبراطور الذي كان هو فقط يستطيع عزله أو تعيينه ، ويعتبر ذلك البريفكت مسئولا أمامه وحده. لذلك عمل البريفكت علي إرضاء الإمبراطور، وقد تراوحت مدة شغله للمنصب سنة إلى ثلاث سنوات، وقلما ارتفعت لتتراوح بين أربع وخمس سنوات . وفي الحالات النادرة تصل إلى ست سنوات مثلما حدث في حالة الوالي المشهور المسمي أفيليوس فلاكوس (Avilius Flaccus) الذي خلد ذكره الفيلسوف اليهودي فيلون السكندري (philon)، وكان يقيم في الإسكندرية ويغادرها مرة واحدة كل عام ليقوم برحلة لمدة أربعة أو خمسة شهور لزيارة مدينتين أحداهما في الدلتا والأخرى في مصر العليا، حيث يعقد المحاكمات الجنائية

---

[1]– Keenan (J.) , The name of Flavius and Aurelius as a status of de assignation in Later Roman Egypt , ZPE , vol 11 , p . 44 – 46 .

[2]– Johnson (A.ch) , West (L.C) , Byzantine Egypt Economic studies , Princeton, 1949 , p . 210 .

[3]– Lindsay (J) : Daily Life in The Roman Egypt , London, 1963, p . 125 . & Bell (H.T) , Anti – Semitism in Alexandria in the (J.R.S), volxxxl, London, 1941 , p . 6 . & Milne (J.G) : History of Egypt Under Roman rule, London, 1898 , p.2.

[٤]– عبد اللطيف أحمد علي: مصر والإمبراطورية الرومانية، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

الكبرى، ويستلم التماسات السكان، ويفحص حسابات إجراءات موظفي الإدارة المحلية، أما القضايا المدنية والجنائية الأقل شأنا في مختلف الأقاليم، كان يفوض فيها الموظفون الأقل منه، كما يبحث في أعمال الشرطة، ومدى فعاليتها في مختلف الأقاليم، كما كان مسئولا عن التعداد، سواء كان للأفراد أو الممتلكات.[١] بالإضافة لتعينه الموظفين في جميع الإدارات والأقاليم.[٢] فكان موظفو الإدارة المركزية مسئولين مباشرة أمام البريفكت.[٣] الذى كان لديه بلاط خاص به لمكانته، فهو مثل الإمبراطور في مصر،[٤] وكان راتبه يصل إلى ٢٨٨٠ صولد.[٥] بالإضافة للهدايا السنوية والزيادات الطبيعية، وكان مستشاروه وخاصة القانونيين يتقاضون ٣٦٠ صولد وإدارته – مكتبة – ٦٠٠ صولد والتي زادت إلى ١٠٠٠ بعد دمج السيادة المدنية والعسكرية في يديه وكان في إدارته عدد كبير من الموظفين.[٦]

---

[1]– p. Oxy :3820 (340 AD) & Milne (J.G),History of Egypt Under Roman rule ,London , 1898 , p.3-4.

[٢]– صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧، ص ٢٤ .

[3]– Winter (J.G), Life and Letter in The Papyri, Michigan press, 1933, p.3.

منيرة الهمشرى: النظام الإداري والاقتصادي في مصر حتى عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٦ .

[٤]– منيرة الهمشرى، النظام الإداري ، ص ٧١ .

[٥]– صولد: Soldes عملة ذهبية كانت أساس العملة والتعامل، في كل أرجاء الإمبراطورية وكان الصولد يساوي ٧٠ دينار زمن الإمبراطور دقلديانوس، والصولد ينقسم إلي ٢٤ قيراط . انظر: زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، ص ١٩٢. إلا أن قيمة الصولد انخفضت وأصبح وزنه في عهد الإمبراطور قسطنطين(324– 337م) ٤ جرام . ٣٣٩٩ :Oxy. P.

[6]– Johnson (A.Ch) : Egypt and The Roman Empire, University of Michigan press , 1951 , p .150-151.

ولكن بتولي الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) الحكم، أصبح للدوق مكانة مهمة في الإمبراطورية، وأصبح له سلطة قوية.[١] وبهذا أضعفت سلطة البريفكت بسبب حرمانه من السلطة العسكرية[٢] ولم يكن للدوق علي البريفكت سوي رفع تقرير بسوء أعماله لحاكم عام الشرق.[٣]

كان البريفكت في حاجة لمجموعة من الموظفين لمساعدته في إنجاز مسئولياته مثل اللوجستوس Logistes[٤] والذي كان بمثابة رئيس المدينة، ومسئولاً عن ميزانيتها وتقدير الضرائب، فكان مسئولًا عن حسابات المدينة، وكان يقدم كشوف حسابات البريفكت.[٥]

وكان يساعده أيضًا مجموعة من الموظفين على رأسهم "Procurators " للإشراف على إدارات فرعية معينة، ومن أهم هؤلاء الموظفين بروكراتور مخازن الغلال بالإسكندرية والإشراف على الغلال لنقلها إلى روما.[٦] وأيضًا كان نواب البلدية " Curiales " مسئولين مع اللوجستوس عن جمع الضرائب.[٧]

---

[1]– Rouillard (G): Administration,p.28.

[2]– Book (E.R) & Dunlap (J.E), Two studies in Later Roman and Byzantine Administration , New York , 1924 , p. 30-31 .

[3]– Johnson (R.C) & West (L.C) , Egypt and The Roman Empire, p.148 .

[٤]– اللوجستوس: منذ القرن الرابع الميلادي وهو أحد موظفي المدينة – وهو بمثابة رئيس المدينة وله سلطات متعددة. تشمل اختصاصات الاستراتيجوس القديم، ومعه معاونون إداريون مسئولون عن المدينة ومنها تقدير الضرائب بها . وأول ذكر له في سنة ٣٠٤م.: ٨٩٦ ،٢٦٦٦، ٢٦٦٧ p. Oxy. وأيضًا انظر: منيرة الهمشري، النظام الإداري، ص ١٠٣. ؛مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر، ص ٣١٥. وعن اللوجستوس انظر أيضًا ٢٥٧٠ ,٣٦٢٤ : p. Oxy

[5]– p. Oxy , 2666 , 2667 .

[6]– p . Oxy , 2114 .

[7]– Rouillard (G): Administration , p.6.

ومن مساعدي البريفكت أيضا الأديولوجوس "Idioslogos " وكان يراعي في اختياره أن يكون من بين طبقة الفرسان.[١] وأوكل إليه الإشراف علي الحسابات الخاصة وجميع موارد الدخل والغرامات والمصادرات، والاستحواذ علي ما ليس له صاحب من ملكيات، وكان المسئول عن تنفيذ أوامر الإمبراطور الخاصة بالضرائب،[٢] بالإضافة لإشرافه علي المعابد ماليًّا بعد أن أصبح الكاهن الأكبر للمعابد.[٣]

وأيضًا ساعد البريفكت الرئيس القضائي "Juridicus" وهو أيضًا من طبقة الفرسان الذين لهم خبرة بالشئون القانونية، فهو بمثابة مستشار قانوني للبريفكت،[٤] وأيضًا قاضي القضاة "Archidicasteso" وكان في البداية مستشار قانوني للبريفكت، لاسيما في القضايا المحلية، لكنه تحول إلى الإشراف على دار المحفوظات الرسمية بالإسكندرية، وكان يتقلد هذا المنصب أحد السكندريين.[٥]

كما ساعده موظف يسمي السكرتير العام "Hypomnematographos" هيبومينماتوجرافوس، وتلك الوظيفة من مناصب الإدارة المركزية بالإسكندرية، ومن الممكن أن ينيبه في تقرير بعض الأمور الإدارية ، وغالبا ما كان يتولى هذه الوظيفة سكندري وكان يماثل الكاتب الملكي في العصر البطلمي، لكنه هنا كاتب المدينة.[٦]

كما أن من بين مساعدي البريفكت الإبستراتيجوس Epistrategos وهو حاكم إقليم بعد أن قسم أغسطس مصر لثلاثة أقسام كبري،[٧] وكان يعد حلقة الوصل بين الإدارة

---

[١]– زكي علي، مقتنة الأيدلوجوس، ص ٤

[2]– Milne (J.G) , History of Egypt , p.9 & Lindsay (J.), Daily Life , p.17.

[٣]– فرانسوازدونان – كرستيان زيفي سكوش، الآلهة والناس في مصر، ت، فريد بوري، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٢٨.

[4]– p. Oxy , 3015 , 3820 .

[5]– p. Oxy , 705 , 4438 .

[6]– Milne (J.G):History of Egypt, p.11, وانظر أيضًا: منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص٧١

[7]– Ammianus Marcellinus, History, vol 2, p . 297 .

المركزية بالإسكندرية، والإدارة المحلية وكان يتولاها مواطنون رومان وكان يساعد البريفكت في ترشيح الموظفين للاختيار منهم لتعيينهم، وأيضًا يقوم بالتحقيقات الإدارية،[١] وأيضًا كان مسئولاً عن جمع الضرائب، والتعداد، وكانت مدة وجوده في الوظيفة ثلاث سنوات، وأحيانًا تشذ القاعدة حتى أن شخص يدعي هيراقليدسHeraclides تولاها لمدة ثلاثة عشر عامًا، ويجب على من يتولاها يكون من أغنياء الإقليم وكبار ملاكه.[٢]

ظل النظام الإداري الذي وضعه أغسطس سائدا إلا إنه منذ منتصف القرن الثاني الميلادي، كان من الضروري إحداث بعض التغيرات به ولذلك أعاد دقلديانوس تنظيم ولاية مصر، وألغي ما بها من امتيازات خاصة، حيث فقدت مصر نظامها الإداري الشامل، كما فصل الجيش عن الهيئة المدنية، حيث حرم البريفكت من موقعه كنائب للملك، وذلك بفصله بين السلطتين المدنية والعسكرية،[٣] حتى لا يستطيع أن يستولي على مصر في أي وقت.[٤]

مثلما حدث سنة ٢٦٠م إعلان استقلال مصر على يد البريفكت إيميليانوس Emelianus كإمبراطور(٢٦٠: ٢٦١م)، وقد ظل يحكم مصر لعدة أشهر، وأيضًا عند وفاة الإمبراطور أورليانوس Aurlianus (٢٧٠ : ٢٧٥م)، قام نائبه في مصر البريفكت Probus بالاستقلال بها عن الإمبراطورية، وأصبح حاكمًا مستقلًا لمصر لمده ستة أعوام (٢٧٦ – ٢٨٢م)، لكنه قتل على يد الجنود، حتى تولى الحكم الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤: ٣٠٥م)، وأيضًا ثار عليه البريفكت ليكيوس دومتيوس دومنتيانوس Lecius Domitius Domentianus والذي يعرف باسم أخيليوس واستقل بمصر عام ٢٩٦م واتخذ من الإسكندرية مركزًا له وقمع دقلديانوس هذا التمرد بنفسه.[٥]

---

[1]– p. Oxy, 2107 & p.Michigan, 531 .

[2]– Milne (J.G), History of Egypt, p. 5-6 & Jones (A.H.M), The Later Roman Empire (284 – 602 A.D), vol 2, Oxford, 1964, p.728 & Bagnall (R.S) , Egypt in late Antiquity, p.157.

[3]– Kamil (J.), Coptic Egypt, History and Guide, Copy right, 1987, p.25.

[4]– Book (E.R): Two studies, p.30.

[5]– Hardy (E.R): Christian Egypt , Church and people, New York, 1952, p.40.

كما قسم دقلديانوس مصر إلى ثلاثة أقسام، وأصبح القسم الثالث وهو مصر جوفيا[١] وهي غرب الدلتا وتشمل الإسكندرية تحت حكم بريفكت مصر، وأصبحت القوى العسكرية في يد الدوق أو دوق مصر Dux Aegypti.[٢]

فعلي الرغم من تقسيم مصر لثلاث ولايات، إلا إن بريفكت مصر أو الحاكم العام للإسكندرية، كانت له اليد العليا على مصر كلها من الناحية النظرية والفعلية ماليًّا وقضائيًّا، فكان البريفكت على رأس النظام المالي ولديه الخزانة العامة ، بالإضافة إلى أن لديه المحكمة العليا بالإسكندرية .

فقد ظلت مصر على تقسيم دقلديانوس حتى عام ٣٨٢م، حيث أعادها الإمبراطور ثيودسيوس الأول(٣٧٩ – ٣٩٥م) لمرتبة الدوقية فعادت لها وحدتها الإدارية،[٣] وأصبحت تدار من خلال نائب الإمبراطور فيها، وهو البريفكت الذي منح لقب أوجستال Augustalis ، لكن ظلت نظريات دقلديانوس بفصل السلطة المدنية عن العسكرية،[٤] ولم تحدث تغيرات جوهرية في المناصب العليا .

وعندما تولى جستنيان الحكم جعل فى يد الدوق قوة، حتى يستطيع قمع الثورات وتأمين شحنة القمح[٥] وإخضاع الناس للإدارة البيزنطية، وكان للدوق مجموعة من الموظفين المساعدين له،[٦] فأدمج جستنيان المكاتب المدنية والعسكرية في الإسكندرية تحت سلطة الدوق الأوجستال.[٧]

١- جوفيا: نسبة إلى دقلديانوس الذي اتخذ لنفسه لقب Juvius، انظر: منيرة الهمشرى: النظام الإداري والاقتصادي في مصر، ص ٧٠.

2- Bury(J.B): History of The Later Roman Empire, vol 1, London, 1923, p.25 & Lindsay(J.), Daily Life, p. xix.

3- Bury(J.B): History of The Later Roman Empire, vol 2, p.338.

4- Lindsay(J.), Daily Life, p .xix .

٥- شحنة القمح: انظر ص١٩

6- Johnson (A.C) & West (L.C): Egypt and Roman Empire, U.S.A, 1951, p.155 & Vasilive (A.A), History of The Byzantine Empire, 324-1453, Madison, 1952, p.p. 160-161.

7- Johnson, Egypt and Roman Empire, p.155.

ولكن لهذا النظام الإداري الخاص بالإمبراطور جستنيان العديد من الأضرار فلم تأت تقسيماته الإدارية بفائدة ، خاصة بالنسبة للسكندريين والمصريين، فنجد هذا النظام قد أنهي صفة نائب الإمبراطور، حيث أصبح جميع الموظفين خاضعين لإمرة حاكم الشرق Comes Orientis، مما أدى إلى تفتيت وحدة مصر، ولجعله السلطة العسكرية والمدنية في أيدي كل دوق حتى يستتب الأمن كما إن جستنيان جعل الدوقات يستغلون الموقف لصالحهم، وأخذ كل منهم يعمل منفردًا عن الحكومة الإمبراطورية مما جعل مهمة العرب أسهل في دخول مصر وفتحها.[١]

بالإضافة إلى خلق نوع من البطء والتعقيد الشديد بين الموظفين،[٢] وبين تعيينهم لكل دوق متفردًا،[٣] مما أدى للتراخي والضعف في السيطرة على الموظفين لبعد الحكومة المركزية عن الإسكندرية، مما أدى إلى الفساد الذي أصاب الوظائف في مصر،[٤] مع تطبيق نظام الإلزام (ليتورجيا)، Leitourgia [٥] في القرن السادس،[٦] وهذا أضر بالنظام الإداري في مصر؛ بسبب تنكر كبار الملاك وأصحاب السلطة والأغنياء لحق الفقراء

---

[١]– بن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩، ص ٧–٨ .

[2]– Johnson (A.Ch) & West (L.C): Egypt and Roman Empire, p.149. Vasilive (A.A), History of The Byzantine Empire, 324–1453.

[3]– Vasilive (A.A), History of The Byzantine Empire, p.161.

[4]– Rouillard (G): Administration, p.189.

[٥]– ليتورجيا: لقد كان التأثير الأكثر سوءا من العصر الروماني ثم العصر البيزنطي هو استنزاف موارد مصر بضرائب كثيرة وكبيرة وهي تجمع بشكل ظالم حيث كانت الإدارة تطبق نظام الالتزام Liturgical System على القرى والذي يجعل هناك مسئولية جماعية على أهل القرية من المزارعين لدفع مبلغ الضرائب إجمالياً عن القرية ويقسم المبلغ على فلاحي القرية وإن هرب احدهم يدفع الباقون المبلغ كاملا وهو ما عرف بنظام Tax quota .

Bell (H.I), An Egyptian village in The Age of Justinian, 1944, p.23. & Johnson (A.C), Byzantine Egypt, Economic Studies, Princeton, 1949, p.94.

[٦]– زبيدة عطا، الإلزام في المجتمع البيزنطي في القرون الثلاثة الأولي من الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٤٦

وأيضًا رشوة أو إرهاب مسئولي الضرائب من كبار الملاك، وأصبح المكلف بجمع الضرائب، هو الآخر عليه ضغط إن فشل في جمع الضرائب .[١]

مهام ومسئوليات البريفكت:

١- البريفكت والجيش(المسئوليات العسكرية):

كان للبريفكت دور مهم في الجيش، ففي عهد أغسطس جعل قيادة القوات يتولاها من قبل البريفكت أحد من تلقبوا بلقب قائد مائه وتدرج في الخدمة العسكرية في سلاح الفرسان الرتبة الأعلى، وكان القائد الأعلى للقوات في مصر بالطبع هو البريفكت الحاكم،[٢] وذلك لجمع السلطتين العسكرية والمدنية في يده.[٣]

ولذلك كان على البريفكت بعض المسئوليات الخاصة بالجيش والتي لابد أن يكون القرار فيها له، ومن هنا كان من حق البريفكت التأكد من مرض الجنود إذا طلبوا أجازه، ولذلك نجده يرسل اثنين من الأطباء للكشف على ضابط ووجدوا أنه مريض بالحمى فعلا وكان الوالي يعتقد أنه يتمارض كي يهرب من الخدمة والتزاماتها.[٤]

بالإضافة إلى وثيقة نجد فيها البريفكت يصدر إعفاء من التجنيد لشاب لوجود عيب في نظره،[٥] ومن هذا نستنتج من هذه الوثيقة أن الشخص إن كان يعاني من إصابة أو عاهة أو غير قادر بدنيًّا، لا يتم تجنيده ، ومن هنا يصدق على الإعفاءات البريفكت. ثم بعد ذلك أصبح الدوق هو المسئول العسكري من عهد دقلديانوس ثم الدوق في دوقيته منذ عهد جستنيان .

نجد خطاب من أم تطلب إعفاء ابنها من الواجب العسكري لمرضها وأنها ليس لها أقارب سواه،[٦] كما أننا نجد أن الانتقال من فرقة إلى أخرى داخل الجيش أو من سلاح

---

[1]- Bell (H.I), Egypt and Byzantine Empire, Oxford, 1957, p.335.

[2]- Bell (H.I), Egypt under early Participate, London, 1934, p.286.

[3]- Rouillard (G): L' Administration, p.3.

[٤]- زبيدة محمد عطا، إقليم المنيا في العصر البيزنطي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٧٢-٧٣ .

[5]- p. Oxy, xxxix .

[6]- p. Oxy, 3754 .

إلى سلاح آخر ممكنا، ولكن بموافقة القائد العام " البريفكت "، ومن خلال أحد البرديات، نجد أن ابن كاتب الخطاب التحق بفرقة المشاة ثم قرر أن يتركها ليلتحق بالفرسان، فذهب والده إلى الإسكندرية لعرض الأمر على المسئولين، وأخيرًا بعد محاولات استطاع الحصول على موافقة البريفكت الذي قرر نقله بناء على رغبة والده.[١]

ومن خلال خطاب آخر نجد أحد الجنود يراسل أمه ويبلغها أنه سوف يقوم بزيارتها عندما يأتي مع المجموعة العسكرية التي ستذهب إلى البريفكت بالإسكندرية لتسليم وتسلم المراسلات الرسمية ولكي يكون من ضمن هذه المجموعة المطلوبة لهذه المهمة سوف يدفع مبلغاً من المال كرشوة لأحد الضباط حتى يتمكن من رؤيتها.[٢]

كان للجنود أيضًا ملابس خاصة بهم تصنع من الصوف السميك،[٣] ولكنها ممكن أن تتغير في سمكها ولونها طبقًا لمكان وزمان المهمة الموكلة لكل واحد، مثلما حدث وأرسلت بناء على أوامر بريفكت مصر ملابس عسكرية بيضاء.[٤] حتى أنه فرضت على النقابات المهنية ضرائب لصالح الجيش، مثل قيام نقابة الصناع Febri بإمداد الجيش بالملابس.[٥] كما نجد الأديرة والكنائس تدفع هذه الضريبة لدعم القوات العسكرية الموجودة بجوار الدير التي أقرها الإمبراطور فالنز(٣٦٤-٣٧٨م) لصالح ملابس الجنود.[٦]

فكان من المعروف أن الجندي في الجيش البيزنطي يتقاضى نوعين من الرواتب: مرتبًا نقديًا وعينيا، وهو ما عرف بمؤونة الجيش البيزنطي في مصر ، وتكفلت كل منطقة حربية بتموين الجند المرابطين بها، فكان يؤخذ جزء من القمح للجند، وهو المعروف بالميرة العسكرية أو الأنونا العسكرية Annonn Militaris ليعيش عليها الجند.[٧] فنجد أنه

---

[1]– p. Oxy, 1666 .

[2]– p. Mich, 203 .

[3]– p. Oxy, 4434 .

[4]– B.G.U, 1564–1565 .

[٥]– انظر: زبيدة عطا، إقليم المنيا في العصر البيزنطي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٦٧ .

[6]– Milne (J.G) , History of Egypt, p.126.

[7]– p. Oxy, 3426 (4th C) &=

وردت مدفوعات عن طريق مسئول البنك لفرقة حربية تعسكر في إكسرنخوس (البهنسا بمحافظة المنيا) تضمنت تسليم ٥٠ صولد وضرائب عينيه،[١] ونجد وثيقة ثانية وهي رسالة من اورليوس امونيوسAurilus Amanus وكيل الإسكندرية إلى أنيوس ديوجينيس (Anuios Dyognis) وكيل هيبتانوميا(مصر الوسطى والفيوم) بخصوص الأنونة الحربية.[٢] كما نجد أن القرى والمدن قد فرضت عليها ضرائب لصالح الأنونة العسكرية ، فنجد وثيقة تذكر تسلم مدفوعات قرية كرانيس (كوم أوشيم بالفيوم) لصالح الأنونة العسكرية.[٣]

ومن وثيقة ثالثة، نجد خطابًا مرسلاً من قبل هيرمياس Hermias استراتيجيوس اكسرنخوس إلى مجلس مدنية اكسرنخوس من خلال رئيسه (رئيس المجلس) ايوتربيوسEutropius يقرر بأن اللحم قد تم تجهيزه وإرساله إلى نيكوبوليسNkopolis طبقًا لطلب البريفكت سابنيانوس Sabinianus للقوات المرابطة فيها تحت قيادة فاليرنانوس[٤].Valerianus وبذلك زخرت الوثائق التاريخية بكثير من التقارير الرسمية بخصوص الأنونا الحربية ، في العصر البيزنطي، فنجد وثيقة بها تقرير مقدم للبريفكت بما تم جمعه من ضرائب لصالح الأنونا العسكرية.[٥]

أيضًا، نجد خطاباً يعود للقرن الرابع الميلادي، وهو عبارة عن تقرير رسمي كتبه بعض الضباط العسكريين لبريفكت مصر الذي فقد اسمه، وهذا التقرير بخصوص استلام الضباط لكميات من الموارد والأموال من ملاك إكسرنخوس حيث من المفروض أن بعض القوات أو الكتائب ستقيم في إكسرنخوس لإنجاز مهمة من المهام، وسينضم إليهم

=رأفت عبد الحميد، طارق منصور: مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤ – ٦٤١م، دار مصر العربية، ط٣، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٢–٢٤٣.

[1]– p. Oxy, 1256 & زبيدة عطا، الحياة الاقتصادية، ص ١٩٠

[2]– p. Oxy, 3031 (302 A.D)

[3]– p.Columbia, 127 , 128 (363 A.D) .

[4]– p. Oxy, Lx (323 A.D)

[5]– p. Oxy, 1253 (4^{th} C) & p. Oxy, 4348 (4^{th} C) .

ضباط وجند آخرون، وكتب الضباط للبريفكت بذلك.[١] ومن ذلك، نجد أن البريفكت كان مسئولا عن التموين العسكري للجنود ولابد من إعلامه بكل ما يخص ذلك من الموظفين المسئولين ، وكانت الضريبة التموينية العسكرية Annonn Militaris ضريبة متغيرة تجبي في أوقات غير محدده فقام دقلديانوس بتنظيمها، حيث فرضها على كل الولايات ولم يثبت مقدارها بل كان يصدر في عهده مرسوم خاص بها كل عام وفقاً لاحتياجات كل ولاية.[٢] ومن ذلك نجد أن البريفكت كان مسئولاً عن التموين العسكري للجنود ولابد من إعلامه بكل ما يخص ذلك من الموظفين المسئولين لصالح الأنونا العسكرية.[٣]

ولوضع البريفكت المهم داخل الجيش، كان له تأثير كبير عليهم، فنجد في بعض الأوقات يشترك الجيش في مساندة البريفكت ضد الإمبراطور من خلال الثورة ضده . مثلما حدث ضد الإمبراطور دقلديانوس في ثوره لكيوس دوميتيوس دومنتيانوس Lecius Domilius Domentianus بريفكت مصر،[٤] والذي عرف باسم أخيليوس Akhilius وقد ثار على الإمبراطور واستطاع أن يستقل بمصر عام٢٩٦م واتخذ من الإسكندرية مركزًا له.[٥]

٢- البريفكت والشحنة السعيدة:

حرص الحكام الذين استولوا على مصر في الأزمنة السابقة على أن يستغلوا موارد البلاد إلى أقصى حد، وأن يلزموا الفلاحين المصريين على أن يملئوا شون أو مخازن

---

[1]- p. Oxy, 1253, (4th C) .

[٢]- زبيدة عطا: الحياة الاقتصادية، ص ٥٣ .

[3]- p. Oxy, 1253 (4th C) .

[4]- p. Mich, 214, 219 .

[5]- Hardy (E.R), Christian Egypt, Church and people, New York, 1952,. P.40. & Milne (J.G), History of Egypt, p.77-78. & Book (E.R) & James (E), Two studies in The Later Roman Empire, vol 11, London, 1923, p.30.

الحكومة بالحبوب باسم Annona Civica أو الشحنة السعيدة، وهي عبارة عن القمح الذي يرسل إلى القسطنطينية لإطعام أهلها، وإلى الإسكندرية لإطعام أهلها أيضًا.[١]

ولذلك اعتمدت القسطنطينية في خبزها على مصر، حيث كانت مصر مستودع الغلال الرئيس لإطعام شعبها، حتى إنه إذا تأخرت أنونة القمح عن ميعادها تحدث مجاعة في المدينة وحدث ذلك بالفعل في عام ٤٠٨م، ولذلك فقد وضع أغسطس في مصر من الفرق العسكرية Legiones والقوات المساعدة Auxilia أكثر مما تستلزمه حاجه الدفاع عن هذه الشحنة،[٢] حتى يضمن تمامًا عدم وقوعها في أيدي الأعداء .

ولقد اشترك وتحمل مسئولية نقل هذه الشحنة الضخمة التي بلغت في زمن جستنيان ٨ مليون إردب، عدد من الموظفين بدءًا من (البريفكت) بالإسكندرية وحكام الأقاليم وتنتهي عند مسئولي الأهراء والجباة وموظفي البنوك والملاحظين وأعضاء السناتو ونقابات النقل المختلفة مثل أصحاب السفن والملاحظين ورابطة أصحاب دواب الحمل.[٣] وبذلك أصبح المسئول المباشر لنقل القمح إلى القسطنطينية هو البريفكت (والي مصر) منذ العصر الروماني.[٤]

ونجد أيضًا أن البريفكت كان المسئول لإمداد الإسكندرية بالخبز، ولذلك نجد خطاب من أحد مسئولي إكسرنخوس إلى بريفكت مصر يتضح لنا أن الدعم الأساسي (الطعام الأساسي) لإطعام المدن ودعم الأسواق كان الخبز، وليس هناك شك في أن أغلب المدن

---

[1]– Rouillard (G) ,Administration, p.117.

[2]– Bury, History of The Later Roman Empire, vol 7, p.213.

وأيضًا انظر: رأفت عبد الحميد، طارق منصور: مصر في العصر البيزنطي، ص ٢٢٥–٢٢٦ .

[3]– Rouillard (G), Administration, p.120. وانظر أيضًا زبيدة عطا، الحياة الاقتصادية، ص١٥١.

[٤]– زبيدة عطا: الحياة الاقتصادية، ص ١٥٢ .

والجيش أيضًا كان لديهم خبازون عموميين يتم دعمهم بالقمح والعمال ، وربما كان في الجيش كخدمة إلزامية من الجنود.[١]

وهناك أيضًا وثيقة، وهي عبارة عن مراسلة بين البريفكت وابيستراتيجيوس (هبتانوميا والواحة الصغرى (واحة الداخلة) بشأن شحن الغلال إلى الإسكندرية لأجل متطلباتها وأجزاء أخرى من الإمبراطورية.[٢]

ولذلك، اهتموا بأمر إمداد المدن بالقمح، فنجد وثيقة يأمر فيها رئيس المائة نائب الاستراتيجيوس في إقليم اكسرنخوس بأن يرسل العديد من الأشخاص المشتبه باشتراكهم في اختلاس شحنة القمح،[٣] وذلك لعدم وجود أي مانع لإرسال الشحنة .

٣- البريفكت والاحتفالات :

كان هناك عدد كبير من المهرجانات العامة وبعضها للاحتفالات الخاصة فمنها الإمبراطوري والأعياد الدينية وغيرها من الأعياد في الإسكندرية التي كان بها أكبر عدد من المهرجانات والاحتفالات تليها انطونيوبولس (الشيخ عبادة) واكسرنخوس، حيث كان بالإسكندرية أكبر المسارح والنوادي الرياضية.[٤]

فنجد خطابًا من البريفكت يحوى أوامر لقادة المائة في أقاليم هيبتانوميا وارسنوى بالذهاب للإسكندرية ليشاركوا في احتفال الإمبراطور،[٥] وهناك احتفالات غير دورية مثل الاحتفال بنصر الجيش أو زيارة موظف كبير،[٦] فكان للبريفكت دور في الاحتفالات في الإسكندرية .

---

[1]- p. Oxy, 1252 (288-295 A.D) & Bagnall (R.S), Egypt in Late Antiquity, Princeton unive press , 1933 , p.24.

[٢]- منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص ٧٠ .

[3]- p. Oxy, 62 (242 A.D)

[4]- Lindsay (J.), Daily Life, p.160.

[5]- p. Oxy, 1185, (200 A.D)

[6]- Lindsay (J.), Daily Life, p.160.

٤- البريفكت والجانب الديني :

كان البريفكت يقع في مشاكل كبيرة بسبب الديانة أو المذهب المختلف عن مذهب العاصمة القسطنطينية مع أهل مصر تنفيذا لرغبة أباطرة الدولة البيزنطية ، فنجد قصة الشهيدة بولونيا التي تحدت البريفكت البيزنطي ووقفت تلومه على ظلمه وبشاعته أمام جمع من الناس، رغم تهديد الوالي لها بالموت ولكنها ضربت بتهديده عرض الحائط وأخذت تبشر بالمسيحية جهرًا دون خوف أو وجل ، وانجذب إليها الكثيرون، فقام الوالى بتعذيبها، وبتر أعضائها وتكسير أسنانها، ولكنها لم تتراجع وانتهى أمرها بأن أمر البريفكت بإلقائها في حفرة مضرمة بالنار.[١]

وأيضًا الشهيدة Herai، وكانت بالغة الجمال، وقد أخذت مع مجموعة من البنات اللآتي تنصرن من قرية طما " Tammah " "بمصر الوسطي" ، وقد أخذن بالمركب إلى انطونيوبوليس إلى البريفكت " Culcianus " الذي أعجب بجمالها وأراد أن يأخذها لنفسه ويحميها من القتل والتعذيب فرغبها بتقديم القرابين للآلهة، لكنها رفضت، فأراد أن يأخذها لنفسه فرفضت فهددها وعذبها حتى ماتت.[٢]

كما حاول بريفكت مصر أوريستوس Orestes هو وقواته في عام ٤١٥ م بمحاولة إنقاذ اليهود من أيدي المسيحيين، الذين طردوهم من الإسكندرية، وقتلهم لهيباشيا الفيلسوفة الوثنية الشهيرة، إلا إنه لم ينجح في ذلك، بالإضافة لمساعدة الجيش للمسيحيين وبطريرك الإسكندرية.[٣]

ونجد الإمبراطور جستنيان أراد تطبيق مبدأ " دولة واحدة "، "قانون واحد"، "كنيسة واحده" وكل شيء في الدولة يخضع لسلطة الإمبراطور فقام بإرسال أبولوناريوس

---

[١]- سهير محمد إبراهيم نعينع، دور المرأة في مصر البيزنطية، أبحاث مؤتمر دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٣ .

[2]- Atiya (A.S), Hilaria Saint , in The Coptic Encyclopedia, vol 4 , p.1221.

[3]- Rouilland (G.), Administration , p.183.

"Apollinarius" وجعله في منصب البطريرك وبريفكت المدنية في نفس الوقت وتحت إمرته قوات هائلة، لفرض مذهب خلقدونية[١] بالقوة .[٢]

وفي عام ٦٣١م، عين الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) قيرس "المعروف باسم المقوقس" بطريرك الإسكندرية، وفي الوقت نفسه أوجستال بريفكت على مصر، وأراد منه أن ينشر مذهب المونوثلثية Monothylite [٣] أو مذهب الإرادة الواحدة بالعنف.[٤]

٥– البريفكت والقضاء :

كان لمصر منذ العصر البطلمي وعاصمتها الإسكندرية ، نظام قضائي علي رأسه موظف يدعي " Archidicast " قاضي القضاة وهو بمثابة وزير العدل ، وكان مستشارًا قانونيًّا للبريفكت،[٥] وصار يطبق نوعين من القوانين المصرية والإغريقية، وذلك حسب العقد أو القضية المكتوبة أو المتخاصمين فيها.[٦]

فكانت اللغة الإغريقية هي اللغة الرئيسة في المحاكم لكن المحاضر الرئيسة للقضايا تصدر في إطار لاتيني، بالإضافة لملاحظات وأحكام القضاة،[٧] فكان الحكم الصادر يكون باللاتينية.[٨]

---

[١]– مذهب خلقدونية: هو مذهب يؤمن بأن للمسيح طبيعتين إلهية وبشرية Dyophysite كاملتين مستقلتين غير منفصلتين وقد نادى بهذا المذهب كنيسة روما والقسطنطينية، بينما كنيسة الإسكندرية سارت على نهج مخالف، وهو مذهب الطبيعة الواحدة Monophysite وهى الطبيعة الإلهية. رأفت عبد الحميد: الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٢٥٠.

[2]– Bell (H.I), Egypt, Oxford, 1948, p.131.

[٣]– مذهب المونوثليثية Monothylite هو مذهب ينادى بطبيعتين في المسيح ومشيئة واحدة (الإرادة الواحدة)، رأفت عبد الحميد: الفكر المصري في العصر المسيحي، ص٢٥٠.

[4]– p. Oxy, 705-4438 .

[5]– Atiya (A.S), The Copts and Christian Civilization, Salt lake city, Unit , 1979 , p.27.

[6]– p.Tebt , 5 .

[7]– Antinoopolis, p.35.

[8]– p. Oxy, 4381. (375 A.D).

أما في العصر الروماني، كان القضاء أكثر مركزية، وأصبح هناك محاكم متنقلة بمجلس "Conventus" أو محكمة عليا تعقد دوريًّا على فترات وللبريفكت رئاسة هذه المحكمة التي كان مقرها الإسكندرية،[١] فقد أمر أغسطس بأن يكون للفرسان الذين يحكمون مصر (البريفكت) سلطة الفصل في القضايا وأن تعتبر أحكامهم كأنها صدرت عن الحكام الرومان،[٢] ولذلك أصبحت محكمة الإسكندرية محكمة عليا.[٣]

ودخل القضاء ضمن الأعمال والوظائف الإدارية في مطلع العصر البيزنطي ، فقد كان القضاء المدني يختص به الحاكم العام (البريفكت) ممثل الإمبراطور في مصر.[٤] فكان البريفكت قاضيًّا استئنافيًّا أعلى في القضايا التي عرضت على محكمته من محكمة أدني،[٥] ولكن بعد تقسيم جستنيان مصر إلى دوقيات على رأس كل منها دوق وجميعهم متساوون في الحقوق والواجبات القضائية، أصبح الدوق الأوجستال قاضيًا في دوقيته فقط، لذا، فقد أصبحت محكمة الدوق الأوجستال هي المحكمة العليا، وأصبح هناك محاكم فرعية في دوقيته يتولاها مندوبون عنه[٦]، وأحيانًا يكون هذا المندوب هو الباجارك.[٧]

---

[1]- Lindsay (J.) , Daily Life , p. 39 . &

بل (هـ . أ)، الهلينية في مصر، ت: زكي علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨ ، ص ٩٣ .

[٢]- عبد اللطيف أحمد علي ، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص ١٧٥-١٧٦ .

[3]- p. Oxy, ccix .

[٤]- صبري أبو الخير، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ص ٧٨ .

[5]- Bury, History, vol 7, p. 28.

[6]- p. Oxy, 4381, (375 A.D)& Johnson (A.C)& West (L.C): Egypt and Roman Empire, University of Michigan press, 1951, p.148.

[٧]- الباجارك: ظهرت وظيفة الباجارك في عهد الإمبراطور ليو الأول (٤٥٧-٤٧٤م) وهي تطابق الإقليم القديم وتشمل كل ما يحيط بالمدينة من قري وما يتبعها في أرض المدينة، وما يحيط بها يعد وحدة إدارية تخضع للباجارك ويخضع هو للدوق حاكم الإقليم وكان اختياره في البداية للإمبراطور. ثم أصبح يختارهم الوالي من كبار الملاك المحليين وفي القرن السادس الميلادي أصبحت سلطة الباجاركات محددة بالأرض المحيطة بالمدينة. وكان مسئولا عن جباية الضرائب من سائر الجهات الخاضعة له والتي لا تتمتع بالجباية الذاتية.

. Johnson (A.Ch) & West (L.C), Egypt and Roman Empire, p.148.

وأخيرًا كانت هناك محكمة الإمبراطور بالقسطنطينية، لمن أراد أن يستأنف ضد أي حكم صادر، بعد أن كانت محكمة البريفكت ومن بعده أوجستال الإسكندرية حتى عام ٥٣٦م هي التي تحكم في القضايا المستأنفة والتي لا يزيد قيمة الدعوى فيها على ٥٠٠ صولد.[١]

وقد كان نظام القضاء يخضع لنظام المحلفين سواء كانت بالإسكندرية أو بالمدن الأخرى، وقد حدد البريفكت مدة عشرة أيام يقوم فيها المحلف بالبت في القضية وتقديم ما لديه للقاضي قبل المحاكمة حتي لا يتعرض لأي عقوبات.[٢]

كانت الشرطة أيضاً تعتبر هيئة تنفيذية للأحكام الصادرة عن القضاء، والتي كان رؤساؤها يعينون من قبل البريفكت مباشرة،[٣] وهم مطالبون بتنفيذ المراسيم الصادرة من الإمبراطور أو البريفكت أو الدوق في دوقيته أو الحاكم في إقليمه، فنجد بردية تعود لأواخر القرن الثالث الميلادي، ذكر لصائدي اللصوص أو الشرطة السرية (المخبرين) لكي ينضموا إلى موظفي القرية، لكي يبحثوا عن الأشرار والمجرمين المطلوبين، وإذا أهملوا ذلك، يرسلون ليمثلوا أمام البريفكت،[٤] ويبدو أن الأمر قد أقره دقلديانوس الذي دعم نظامه الإداري في مصر بجهاز من الشرطة السرية.[٥]

وأيضا كان هناك وظيفة مهمة في سلك القضاء وهو المفسر أو(المراجع) القانوني والذي يرجع إليه البريفكت في القضايا قبل الفصل فيها إذ كان يحكم بقانون مختلف كالمصري المحلي.[٦]

---

[١]– العريني، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٢٤ .

[2]– p. Oxy , 3017 (176–177 A.D) .

[3]– Rouillard (G.), Administration, p.204.

[4]– p.Sel , 231 .

[٥]– نورمان – ف– كانتور، العصور الوسطي الباكرة، ت: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣، ص ٤١ .

[6]– p. Oxy , 3015 .

ولذلك نجد نوعين من المحاكم أحدهما قضاته من المصريين للفصل في قضايا أهل البلاد، والآخر قضاته من الإغريق للفصل في قضايا الإغريق ، وكانت هناك محاكم مختلطة ، للفصل في قضايا بين المتخاصمين من أجناس مختلفة.[١]

البريفكت والشكاوى :

استمر النظام القضائي في العصر البيزنطي علي نفس نمطه سواء بالإسكندرية أو بالمدن الأخرى، حيث ظل البريفكت هو القاضي الأول في الإسكندرية وكل مصر وكانت ترفع إليه المظالم من كل أنحائها،[٢] وترسل للبريفكت مباشرة،[٣] فأصبح من حق البريفكت القضاء وحل المنازعات في الأقاليم الأخرى بعد تقسيم مصر.[٤]

وقبل أن تصل هذه الالتماسات والقضايا إلى البريفكت ترجع إلى الشرطة،[٥] فكان رئيس الشرطة المدنية هو المختص بالتحقيق في الجرائم ، وعمل تقارير قبل رفعها لمحكمة البريفكت،[٦] فلابد من التحقق من صحة الواقعة المذكورة في الشكوى من عدمه،[٧] ولذلك كان من الضروري وجود تقارير رسمية حتى ترفع الالتماسات والقضايا للبريفكت.[٨]

ومع قدوم جستنيان للحكم وتعديله لنظم الإدارة في مصر. فإنه جعل هناك إدارة للمظالم في ديوان كل دوق من دوقات مصر لتلقي الشكاوى والمظالم.[٩]

---

[1]- Bagnal (R.S), Egypt in Late Antiquity, Princeton Unive Press, 1933, p.7.

[2]- p. Oxy, 2713 .

[٣]- منيرة الهمشري، النظام الإداري، ص ١٢٧ .

[4]- p. Oxy, 4376 (368 A.D), 4377 (369 A.D) .

[5]- p. Oxy, 4377 .

[6]- p. Oxy, 3620 , p.Mich, 525 (119-124 A.D), p. Oslo, 46 (3C).

[7]- p. Mich, 31., p. Tebt, 730 .

[8]- p. Oxy, 3620 .

[9]- Rouillard, Administration , p.40-41.

أنواع القضايا والالتماسات المقدمة للبريفكت :

تنوعت القضايا والالتماسات المقدمة للبريفكت منها التي تخص قضايا الدين ، فنجد وثيقة تشتكي فيها امرأة من أن ابنها أجبر قهراً للعمل كعبد لتسديد دين عليهم.[١] وهناك بردية ثانية تعود لعام ٤٧٢م تسجل بعض الإجراءات القانونية لقضية دين تنظر أمام محكمة البريفكت بين اثنين من التجار.[٢] وبردية ثالثة تعود لعام ٤٩٤-٥٠٠م وهي عبارة عن قرض يجب دفعة بفوائده وعندما عجز المدين رهن بستانين وقدمت الشكاوى إلي محكمة البريفكت.[٣] وأحيانًا نجد الشكاوى مقدمة للبريفكت؛ بسبب اعتداء رجال الشرطة علي مقدمة الشكوى. التي اعتدى عليها رجال الشرطة والشخص الذي طلبت منه الدين بالضرب حتى كادوا يقتلوها.[٤] ومن المفروض أن رجال الشرطة هم الذين يقومون بحماية الناس، ولكننا نجدهم هم الذين يساعدون علي انتشار الظلم ويصبحون أداة للقهر لسوء الإدارة وإهمال رجال الشرطة في تأخر تنفيذ الأحكام.[٥]

وأيضًا قدمت لمحكمة البريفكت قضايا تخص الضرائب والشكاوى من جامعي الضرائب وقسوتهم في جمع الضرائب. فنجد وثيقة مقدمة للبريفكت من امرأة تشكو من قسوة جامعي الضرائب في تحصيل الضرائب التي ليس لها علاقة بها.[٦]

وهناك التماسات لها علاقة بالسرقة، فنجد التماسًا مقدمًا إلى البريفكت من امرأة تشكو من تعرضها للعنف والسرقة هي وطفليها من أخوي زوجها بعد وفاته، وأنها أحضرت رئيس الشرطة بالقرية إلى البيت ليكتب تقريرًا تقدمه للبريفكت،[٧] وشكوى من

---

[1]- p. Oxy, 3033 .

[2]- p. Oxy, 1880 .

[3]- p. Oxy, 4394 .

[4]- p. Abinn, 51 .

[5]- Rouillard (G.), Administration, p.202.

[6]- p. Oxy, 3302 (300-301 A.D) & Bagnall (R.S), Egypt in late Antiquity, p.95.

[7]- p. Mich, 525 .

شخص تعرض لسرقة منزله وطلب تقريرًا رسميًّا ليرفعه لمحكمة البريفكت في الإسكندرية،[١] وهناك شكوى مقدمة للبريفكت أيضًا من أرملة سرقت من مديري أعمالها،[٢] ونتيجة لتدهور الإدارة المحلية والقضاء وانتشار الرشوة والفساد سادت حالة من القهر والمعاناة انعكست آثارها على أفراد المجتمع من انتشار الفوضى والسرقات والذي أصبح أمرًا مألوفًا في القرنين السادس والسابع الميلاديين.[٣]

وهناك التماسات تخص الميراث وترفع إلى محكمة البريفكت، فنجد وثيقة تعود لعام٢٧٩م شكوى مرفوعة إلى البريفكت من فتاة وقع عليها ظلم من اثنين من أخوالها استولوا على جزء من ميراثها من أمها،[٤] وهناك شكوى أيضًا مقدمة للبريفكت تعود للقرن الثالث الميلادي من أحد الأشخاص يتهم فيها أخوه بالاستيلاء على ميراثه من أخيهم الثالث،[٥] وبالنسبة لقضايا الوصايا الخاصة بالميراث فنجد اشترط البريفكت أن يكون الموصي في كامل قواه العقلية،[٦] ولذلك رفعت إليه العديد من القضايا الخاصة بالوصايا فنجد وثيقة تعود لعام ٢٦٣م، نجد امرأة تطلب من البريفكت أن تستقل بتصرفاتها دون وصى عليها وعلى أبنائها، وأن تكون الوصاية لها،[٧] ففي الفترة الرومانية لم تظهر وصاية الأم بشكل قانوني، أما في الفترة البيزنطية، فنجد الأباطرة البيزنطين مثل ثيودسيوس الأول(٣٧٩ : ٣٩٥م) وأركاديوس (٣٩٥ : ٤٠٨م) اعترفوا بالأم كوصي قانوني، إذا لم يكن موجود وصي آخر على الأبناء، ثم نجد الإمبراطور جستنيان أكد على وصاية الأم

---

[1]– p. Oxy, 3620 .

[2]– p. Oxy, Lxxi .

[3]– CPR: 23 .

[4]– p. Oxy, 2713 & Rowlandson (J.), Women and Society in Greek and Roman Egypt, Cambridge, 1998, p.94-95 & Lindsay (J.), Daily Life, p.31.

[5]– p. Antinoopolis, 35 .

[6]– p. Oxy, 3015 .

[7]– p. Oxy, 1467 .

القانونية لتشمل الجدة،[١] وبالتالي وصاية الأم على الأطفال القاصرين لم تكن محرمة في تلك الفترة،[٢] ولذلك طالبت امرأة من البريفكت عدم تعيين وصي لأبنائها الثلاثة ، حيث إنها متعلمة وتستطيع الاضطلاع بمهام أولادها ، فأعطاها البريفكت موافقته بذلك.[٣]

كما تدرجت العقوبات في القضايا ما بين المالية أو السجن أو الجلد، وهي العقوبة العامة في ذلك الوقت، إلا إن عقوبة الصلب أقرتها الكنيسة لمن يقتل شخصًا، بينما في محكمة البريفكت كنوع من تخفيف الحكم لعقوبة القتل لبعض الأشخاص اعتبار المتهم مصاباً بالجنون.[٤]

البريفكت والخدمات العامة وتسجيل المواليد والتعداد :

كان أيضًا من مهام البريفكت الاهتمام بالخدمات العامة ومراقبتها، فنجد طلبًا مقدمًا إلى لوجستوس إوكسرنخوس للجمنازيارخ Gmnasiarchos[٥] يطلب منه أن يعطي أمرًا ليدفعوا له من الاعتماد المخصص من المبالغ العامة، وذلك لصرفه على الحمامات العامة بالمدينة، وذلك طبقًا لخطابات البريفكت كلوديوس كولكيانوس Claudius Colcyanus (٣٠٣: ٣٠٦ م) وبالفعل تم صرف المبلغ.[٦]

وبذلك أصبح هناك إدماج في الإدارة ويتضح ذلك في العلاقة بين الإدارة المدنية وممثل السلطة المركزية، وأن نفقات المدينة وميزانيتها تصدر بها أوامر من البريفكت عن طريق اللوجستوس، فنجد أن العائلات المقيمة في مصر، كان يجب عندما يولد لهذه

---

[1]- Taubenschlage (R.), The Law of Greco – Roman Egypt in The Light of The Papyri, Warsow, 1955 , p.155-156.

[2]- Taubenschlage (R.), Customary Law and Custom in The Papyri, Warsow, 1952, p.42.

[3]- p. Oxy, 1467 .

[4]- Lindsay (J.), Daily Life, p.102. & Vasilieve (A.A), History of The Byzantine Empire 324-1453, Madison, 1952 ,p.53.

[٥]- الجمنازيوم Gymnasium هو معهد للتربية والرياضة وكانت توجد فى عواصم النومات، زبيدة محمد عطا: قبطى في عصر مسيحى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م، ص ١٨٦.

[٦]- منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص ٩٦ .

العائلات ولد أو بنت، كان يجب تسجيله لدى البريفكت في مدة أقصاها ثلاثون يوما من الولادة،[١] ونجد أمثلة كثيرة لتسجيل المواليد ففي وثيقة تعود لعام ٢٩٢ م نجد أحد مواطني اكسرنخوس يطلب تسجيل أولاده وهم ولدان وبنتان.[٢]

ويبدو أن تسجيل المواليد كان في الغالب سببًا عسكريًّا أكثر منه مالي،[٣] ففي نهاية القرن الثالث الميلادي، نجد تقريرًا مقدمًّا إلى الاستراتيجوس من السستاتيس Cystates بناء على أمر من بريفكت مصر، وواضح من الخطاب أن مهمة السستاتيس هي تسجيل المواليد بأمر من البريفكت،[٤] كما اهتم البريفكت بعمل التعداد وهو إجراء بإحصاء شامل لكل السكان.[٥]

البريفكت والنظام المالي والضرائبي :

ولما كانت الضرائب مصدرًا أساسيًّا للدخل الإمبراطوري في العصر البيزنطي، حيث كانت الإدارة المالية أثناء فترة الحكم الروماني ثم البيزنطي تركز على استغلال خيرات البلاد واستنزافها، وكانت الضرائب هي أهم تلك النظم التي ارتكزت عليها الإدارة في تعيين الموظفين .

ولذلك كان الإمبراطور يحدد قيمة الضرائب المطلوبة من ولاية مصر ، وليس أدل على ذلك من مرسوم البريفكت تيبيريوس يوليوس الكسندر Tiberius Julius Alexander (٣٩٠م) أن الإمبراطور هو المسئول عن الإدارة المالية في مصر وموظفوه

---

[1]– Winter (J.G), Life and Letters in The Papyri, Michigan press, 1933, p.53.

[2]– p. Oxy, 3136 & p.Corn, 18 .

[3]– Lindsay (J.), Daily Life, p.42.

[٤]– منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص ٨٠ .

[5]– Johnson (A.Ch) & West (L.C), Byzantine Egypt, p.259.

عبارة عن مساعدين ومنفذين لسياسته، فهو الذي يقرر الضريبة أو الإعفاء منها ، أو زيادتها أو إنقاصها.[١]

وكان اللوجستوس Logistes مسئولا عن الميزانية وتقدير الضرائب باعتباره رئيس المدنية، وكان يجب عليه أن يقدم كشوف حسابات المدينة للبريفكت،[٢] فكان من مهامه الإشراف علي النواحي المالية وهو حلقة الوصل بين الإدارة المركزية في العاصمة ورؤساء القرى.[٣]

وكان تحت إدارة اللوجستوس مجموعة من الموظفين لجمع الضرائب وتقديرها وتحصيلها مثل نواب البلدية، Curiales [٤] وقد ساد هذا النظام في القرن الرابع ، إلا إنه لم يؤت ثماره لشدة الموظفين في جباية الضرائب ، وتحمل دافعي الضرائب ما يزيد علي ما هو مقرر عليهم من الضرائب. والوثائق تزخر بأدلة كثيرة على مدى قسوة وظلم جامعي الضرائب مثل شكوى إلى البريفكت كلاوديوس كليوباتروس Claudius Cleopatros؛ بسبب قسوة جامعي الضرائب.[٥] وشكوى أخرى من امرأة لتعسف جامعي الضرائب. وتطلب إنقاذها من ظلمهم.[٦] ونجد في فترة ليبانيوس Libanius بريفكت مصر تضاءل عدد نواب بلدية الإسكندرية للحد الأدنى.[٧]

---

[1]- Wallace(S.L), Taxation in Egypt from Augusts to Diocletian, Princeton, 1938, p.31 .& Bell (H.I), Egypt under the Early participate, Cambridge unive press, 1934 , p. 302 .

[2]- p. Oxy, 2666-2667 .

[٣]- منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص ٩٢ .

[٤]- مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر، ص ٣١٥ .

[5]- P. Oxy, 3302 (300-301 A.D) .

[6]- Bagnall (R.S), & Cribiore (R), Women's Latter from ancient Egypt (300 BC- AD 800), University of Michigan press, 2006, p. 209.

[7]- Rouillard (G.), Administration, p.6.& Milne (J.G), History of the under Roman rule, London , 1898, p. 95.

فنجد وثيقة أحد الموظفين يعلم موظفًا آخر بتعيين شخص ليكون مسئولا عن جمع ضريبة Anabolicum [١] ونجد أن هذا التعيين وغيره من التعيينات (نوع من الأعمال الإجبارية)، فكانت الإدارة تتأكد من ثروة المرشح لأحد الوظائف الإلزامية وبمجرد إعلان تعيين شخص في إحدى الوظائف الإلزامية كانت ممتلكاته توضع تحت إشراف الدولة كان عليه أن يؤدي قسما بأنه سوف يقوم بمهام وظيفته على أكمل وجه.[٢] ولذلك كان البريفكت يتابع الأمور المالية، فنجد رسالة من لوجستوس اكسرنخوس لأحد أسلافه الذي كان مسئولا عن قرض قد دفع من الأموال البلدية خلال مدة توليه المنصب إلي أخت وأخيها وقد صودرت أموال المدينين والموظف المالي الذي صادر الأموال ولا يريد دفع الدين، لذلك يرسل اللوجستوس خطابين أحدهما للبريفكت يعلمه بذلك والآخر للوجستوس السابق.[٣]

ومن خلال ذلك، نجد أن أهم واجبات البريفكت الإشراف على الناحية المالية للولاية، وخاصة جمع الضرائب وإرسالها إلى القسطنطينية.[٤] والجدير بالذكر أن الضرائب العامة المقررة على مصر والتي يفرضها الإمبراطور. كانت في الغالب تجمع مالاً ، وذلك لسهولة نقلها بينما في الأوقات التي تقل فيها قيمة العملة أو يحدث تضخم فتجمع عيناً.

وكان البريفكت مسئولًا أيضًا عن الضرائب الخاصة بالأراضي، ووجد البريفكت أن الأباطرة قد علموا مدى الظلم في جباية الضرائب بحيث أعفى بعض الأشخاص أو عملوا برفق بينما أثقل البعض الآخر، وبناء على ذلك قرر الأباطرة محو هذا الظلم، وأصبح من الممكن معرفة مقدار الضريبة التي تجبي على كل أرورة[٥] تبعا لنوع الأرض،[٦] وبذلك

---

[١]- Anabolicum هي ضريبة على الملابس وكانت تجمع كل ١٥ سنة
p. Oxy , 4345 (343 A.D) & 2107 (262 A.D)

[2]- Lewis (N.) , Life in Egypt under Roman Rule, Oxford, 1983, p.179.

[3]- p. Oxy, 2666 (308-309 A.D).

[٤]- مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر، ص ٢٢٤ .

[٥]- الأرورة: تعادل فدان، زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية، هامش ٢، ص ٢٢

[6]- Bury (J.B), History of the Later Roman, vol 1, p. 47.

يعفي كل فرد من العبء الكبير، ولذلك نجد أن البريفكت أوضح أن الضرائب سوف تجبي بشكل عادل وأمر أوبتاتوس Optatous البريفكت أن هذا المنشور يرسل صورة منه إلى كل قرية أو مكان أو جهة مع صورة من القانون الإمبراطوري، كذلك جدول الضرائب، وقد هدد البريفكت في منشورة هذا جامعي كل نوع من الضرائب أن يعملوا بدقة، وإذا ضبط أي منهم منتهكا، فسوف يتعرض لعقوبة الموت.[١] فقام البريفكت بإجراء إحصاء لكل السكان المشتغلين بالزراعة، حيث نجد إقرارات الأرض المؤرخة بعد إصدار منشور البريفكت مما يوحي بوجود إحصاء شامل، وفقًا لقانون الإمبراطور دقلديانوس.[٢] ولذلك كان لابد من ظهور وظيفة الحامي "[٣]" Defensor Civitatis فيما بعد والذي كان ترشيحه وتعيينه من قبل البريفكت ويتم الموافقة عليه من الإمبراطور. لحماية المزارعين من جشع جامعي الضرائب.

أيضًا كان البريفكت مسئولًا عن الضرائب الخاصة بالجيش، ولذلك فرضت ضرائب على الأفراد لصالح الفرق العسكرية،[٤] فنجد وثيقة بها أمر من الوالي يأمره بأن يجمع ضرائب الخمر عينا أو ما يعادلها من المال من أجل الأنونا الحربية.[٥]

---

[١]- منيرة الهمشرى، النظام الإداري، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

[2]-Johnson (A.Ch) & West (L.C), Byzantine Egypt, Economic Studies Princeton, 1949, p.259.

[٣]- الحامي: ظهرت في مصر في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي ولم تظهر في باقي أجزاء الإمبراطورية قبل عام ٣٦٤م، عندما ظهرت في إليريا Illyria . وكان الحامي يتم ترشيحه من قبل البريفكت، ثم تحولت لوظيفة محلية ومن اختيار الإدارة المحلية ويقوم بحماية المزارعين ضد طلبات الضرائب غير الشرعية أو الزائدة والانتهاكات الأخرى. وأشرف على تنقيح قوائم الضرائب وجبايتها من ملاك الأرض الأصغر .

Abbott (F.F) & Johnson (A. Ch), Municipal Administration in the Roman Empire, Princeton, 1926, p. 92-93 .

[4]- p.Masp, 67279, 67057 وأيضا أنظر: زبيدة عطا، الحياة الاقتصادية، ص٦١ .

[5]- p. Oxy, 2112 (316 A.D)

ففي اكسرنخوس فرضت في القرنيين الرابع والخامس الميلاديين عدد من الضرائب خاصة بالجيش وانتقالاته. كما أن ملابس الجنود ودعمهم بمتطلبات أخرى والتي كانت تعد ضرائب غير دائمة ثم أصبحت ضرائب دائمة . وقد سجلت كثير من الوثائق ضرائب لصالح الجنود.[١] وأيضا ذكرت دواب ونقل للإسكندرية وحسابات لقارب الوالي وعمال المناجم وملابس وتقديرات مالية للنقل إلى قفط والإسكندرية والمواني الأخرى وكميات شعير للأنونا العسكرية.[٢]

فلم تكن الضرائب والمدفوعات المنتظمة والدائمة هي العبء الوحيد على كاهل دافعي الضرائب؛ بسبب وجود متطلبات وأعباء أخرى، منها ما كان يدفع لصالح الزيارات الخاصة بالإمبراطور وجولات البريفكت وكبار المسئولين بالدولة.[٣] فنجد عند زيارة أي مسئول كبير مثل الإمبراطور يفرض ضريبة على بعض القرى والمدن الأخرى تجاه الإسكندرية، لسد تكاليف تلك الزيارة.[٤]

أيضا كانت تجبي ضرائب من النقابات غالبًا ما تكون عينية استثنائية في حالة انتقال الفرق العسكرية أو زيارة البريفكت،[٥] فكان على البريفكت أن يتابع هذا الأمر من خلال موظفيه وهناك حسابات للضرائب تخص الميراث فنجد وثيقة تعود لعام٢٩٨م عبارة عن شكوى من أختين ضد عمهما مقدمة للاستراتيجوس من أجل حسابات الضرائب المرتبطة بمقدار الثروة التي ورثتاها من أبيهما.[٦]

وأيضًا من مهام البريفكت من الناحية المالية هو الواردات والمصروفات فنجد وثيقة وهي عبارة عن خطاب من اثنين من كومارخ قرية Tampeti إلي اللوجستوس Aurelius

---

[1]– P. Oxy, 3424 , 4348.

[٢]– زبيدة عطا: الحياة الاقتصادية، ص ٥٥ .

[3]– Bell (H.I), Egypt under the early Participate , Cambridge Unive press, 1934, p. 304.

[4]– p. Oxy, 3090 .

[٥]– زبيدة عطا، الحياة الاقتصادية، ص ١٦٧ .

[6]– p. Cairo. Isid, 64 (298 A.D) .

Seuths في اكسرنخوس ويذكر أن للرد على طلبكم وطبقًا لأوامر البريفكت Cloudius Culcianus بالنسبة لمدفوعات قريتنا لشهري برمودة وباؤونه فإن أسعار البردي (خام الكتابة) ..... ، والسعر للبردي الخام ..... لعام واحد والإجمالي ..... درخمة،[١] ويبدو أن مدفوعات القرية كانت عينية عبارة عن خامات ورق البردي فإن المركزية الصارمة كانت لا تزال سارية حتى أن حسابات القرية اليومية البسيطة تطلب لأجل تقديمها للوجستوس ثم ترسل التقارير للبريفكت لمتابعة الأمور المالية، وبذلك فإن نفقات المدينة وميزانيتها تصدر بأمر من البريفكت.[٢] ومن ذلك نستنتج سيطرة الإدارة المالية بالإسكندرية علي مصر كلها.[٣]

وبذلك تمتع البريفكت بكل السلطات، وتركزت السلطة العليا في يده، حيث احتضنت مهام البريفكت مجالًا واسعًا، فكان يمثل الإمبراطور في ولايته، والقائد الأعلى للجيش، فكان لديه خزائن خاصة به، وأوكلت إليه المدفوعات والإمدادات الغذائية للجيش،[٤] ورئيسا للإدارة المدنية، والمسئول عن سيادة العدالة والقضاء، ومسئولًا عن التعداد، والخدمات العامة، ومديرًا للشئون المالية، فهو المسئول أمام الإمبراطور عن جمع الضرائب وإرسالها إلي العاصمة، وتبعًا لذلك كان يختص بالرقابة عليه جباية الضرائب، وعلى كل طوائف الموظفين التابعين له ومساعديه في العمل.[٥]

وفي النهاية يمكن القول إن مصر كانت بالفعل في عهد البطالمة، وظلت في العصر الروماني سيطرة عليها الفكرة البائسة التي تلقي بظلالها في العصر البيزنطي على الإمبراطورية بأكملها، وهي أن الفرد موجود للدولة وليس الدولة للفرد.[٦]

---

[1]- p. Oxy, 895 (305 A.D) .

[٢]- منيرة الهمشرى، النظام الإداري ، ص ٩٦ .

[3]- p. Princ, 21 (236-237 A.D).

[4]- Bury , History of The Later Roman, vol 1 , p.28.

[5]- Milne (J.G), History of Egypt under Roman Rule, London, 1898, p.3-4.
وانظر أيضًا: السيد الباز العريني، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٨٢.

[6]-Jones (A.H.M), Egypt and Roman, oxford, 1942, p. 299 .

الخاتمة

كانت وظيفة البريفكت هي أهم الوظائف في مصر في العصر البيزنطي (٢٨٤: ٦٤١م)؛ وذلك لأنه كان نائب الإمبراطور والمتحكم في الولاية كلها ولا يمكن عزله إلا بأمر الإمبراطور في القسطنطينية ومن هنا، فقد كانت له سلطات واسعة وتحت إمرته مجموعة من الموظفين في الجهاز الإداري للولاية، بالإضافة لسيطرته على الجيش حيث إن معظم فترات مصر البيزنطية كان هو القائد العام للجيش بالولاية، وهو ما جعل بعض الولاة (البريفكت) يحاولون الاستقلال بها.

وكان من أهم وظائف البريفكت التي أظهرتها المصادر الأثرية والتاريخية المختلفة :

- الجيش بوصفه قائداً له .
- مسئوليته عن شحنة القمح المرسلة للقسطنطينية.
- الاحتفالات العامة.
- تطبيق المذهب الرسمى للدولة (مذهب كنيسة القسطنطينية) وهو ما كان يعد أصعب أمر تولاه البريفكت بسبب الخلاف بين الكنيسة المصرية وكنيستا القسطنطينية وروما.
- مسئوليته عن القضاء خاصة المحكمة العليا.
- مسئوليته عن النظام المالى لجمع الضرائب والالتزامات المالية لصالح الدولة.

الملاحق

خريطة رقم (١) مصر البيزنطية
(رسم الباحثة)

الولاة (البريفكت) فى مصر فى العصر البيزنطى

- ماركوس أورليوس ٢٨٤م.
- ديوجين ٢٨٦م.
- فلافيوسفاليروس ٢٨٧ – ٢٨٩م.
- إيميليوسروستيكيانوس (نائب الوالى) ٢٩٨م.
- إيليوسبوبليوس ٢٩٩م.
- كلوديوسكولكانوس ٣٠٣ – ٣٠٦م.
- أمونيوس ٣١٢م.
- أنطونيوس جريجوريوس ٣١٤م.
- أورليوس أنطونيوس ٣١٦م.
- كونيوسايير ٣٢٢م.
- سانبيانوس ٣٢٣م.
- يوليوس يوليانوس ٣٢٨م.
- سبتميوس زينون ٣٢٩م.
- ماجنتيانوس ٣٣٠ م.
- فلورنتيوس ٣٣١م.
- هيجينوس ٣٣٢م.
- باتريوس ٣٣٣م.
- فلافيوسفيلاجريوس ٣٣٤ – ٣٣٧م.
- فلافيوس أنطونيوس ٣٣٧ – ٣٣٨م.
- تيودوروس م .
- فلافيوسفيلاجريوس ٣٣٨ – ٣٤٠م.
- لونجينيوس ٣٤١ – ٣٤٣م.
- بالاديوس ٣٤٤م.
- نسطوريوس ٣٤٥– ٣٥٢م.

- سيباستيانوس ٣٥٢ – ٣٥٤م.
- ماكسيموس ٣٥٥ – ٣٥٦م.
- كاتافرونيوس ٣٥٦ – ٣٥٧م.
- هيرموجنيسبارناسيوس ٣٥٧ – ٣٥٩م.
- ايتاليكيانوس ٣٥٩م.
- فاوستينوس ٣٥٩ – ٣٦١م.
- جيرونتيوس ٣٦١ – ٣٦٢م.
- ايكديكيوسأوليمبوس ٣٦٢ – ٣٦٣م.
- هيريوس ٣٦٤م.
- فلافيانوس ٣٦٤ – ٣٦٦م.
- بروكولنيانوس ٣٦٦– ٣٦٧م.
- فلافيوسايتوليميوس ٣٦٧ – ٣٧٠م.
- أوليمبيوسبالاديوس ٣٧٠ – ٣٧١م.
- اثيليوسبالاديوس ٣٧١ – ٣٧٤م.
- هادريانوس ٣٧٩ – ٣٨٠م.
- يوليوس بوليانوس ٣٨٠م.
- بالاديوس ٣٨٢م.
- هيباتيوس ٣٨٣م.
- أنطونيوس ٣٨٣م.
- أوبتاتوس ٣٨٤م.
- فلورنتيوس ٣٨٤ – ٣٨٦م.
- يوزبيوس ٣٨٦م.
- باولينوس ٣٨٦ – ٣٨٧م.
- فلافيوسأولبيوسأريثريوس ٣٨٨م.
- تيبريوس يوليوس اسكندر ٣٩٠م.

- إيفاجريوس ٣٩٠ – ٣٩١م.
- هيباتيوس ٣٩٢م.
- بوتاميوس ٣٩٢م.
- ايفاجريوس ٣٩٣م.
- جينياديوس ٣٩٦م.
- ريميجيوس ٣٩٦م.
- ارخيلاس ٣٩٧م.
- بنتاديوس ٤٠٣ – ٤٠٤م.
- يوثاليوس ٤٠٤ – ٤٠٥م.
- أورستوس ٤١٥م.
- كالستوس ٤٢٢م.
- كليوباتر ٤٣٥م.
- كارموسينوس ٤٤٣م.
- تيودوروس ٤٥١م.
- فلورس ٤٥٢م.
- اسكندر ٤٦٨ – ٤٦٩م.
- بؤيثوس ٤٧٦م.
- انتيميوس ٤٧٧م.
- ثيوكتستوس ٤٧٧ – ٤٧٨م.
- ثيوجنوستوس ٤٧٩ – ٤٨٢م.
- بيرجاميوس ٤٨٢م.
- أبولونيوس ٤٨٢م.
- أرسينيوس ٤٨٧م.
- يوستاتيوس ٥٠١م.
- ثيودوسيوس ٥١٦م.

- ديودوسيوس ٥٣٥م.
- رودون ٥٣٨م.
- ليبريوس ٥٣٩ – ٥٤٢م.
- يوحنا لاكساريون ٥٤٢م.
- هيفاثيستوس ٥٤٢م.
- جرمانوسجستينوس ٥٦٦م.
- يوحنا ٥٨٢م.
- باولوس ٥٨٢م.
- يوحنا (للمرة الثانية) ٥٨٢م.
- قسطنطيوس ٥٨٢م.
- ميناس ٦٠٠م.
- بتروس جستينوس ٦٠٢ – ٦٠٣م.
- يوحنا ٦٠٩ م.
- نيكتاس ٦١٠م.
- كيرس ٦٣١ – ٦٤٠م.
- ثيودوروس ٦٤١م.

مراد كامل : مصر في العصر القبطي ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٤٠، ص ، ٢٢٦ : ٢٣٣.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر البردية:

1 - B.G.U :

Aegyptische Urkundenaus den konig Lichen, Museum Zu Berlin, I–XVII, 1895–2000.

2 - C. P. R

Corpus PapyrotumRauneri, Vienna 18 Vols.

3 - P. Abinn :

The AbinnaeusArchieve; Paper of Roman officer in the reign of Constantius II, ed H. I. Bell, Oxford, 1962.

4 - P. Amh, :

The Amherst papyri of lord Amherst of Hackney, by Grenfell (B.) & Hunt (A.S.), London, 1900 – 1991–2.

5 – P. Antino

The Antinoopolis Papyri, ed J.W.B. Barns & C. H. Roberts in 3 Vols.

6 - P.Cairo – Isid: The Archive of Aurelius Isidorus in the Egyptian Museum Cairo , and the University of Michigan.

7 - P. Columbia :

Columbia papyri, fourth century document from Karanis ,Transcribed by Roger S. Bagnall and Naphtali Lewis, Ed with translation and comment by Roger S. Bagnall , Scholars press , 1979

8 - P .Corn :

Greek papyri in the Library of Cornell university, ed Western (W.L.), New York , 1926 .

9 - P. Masp

Catalogue general Antiquites Egyptiennes, Papyrus Grecsd' epoque Byzantine, ed M. J. Maspero, Le Caire , 1911.

10 – P. Mich

Michigan Papyri, 19 Vols, 1931 – 1999.

11 -P. Oslo

Papyri Osloenses by S. Eltrem& L. Amundsen, 3 Vols, 1931 – 1936.

12 -P. Oxy :

Oxyrhnchus Papyri , ed Grenfell (B.) & Hunt (A.S.) and others , 67 Vols , 1898 – 2001.

13 -P. Princ

Papyri in the Princeton University Collections, ed A. C. Johnson, in 3Vols, 1931.

14 -P. Sakaon : the archive of Aurelius Sakaon, Papers of an Egyptian farmer in the last century of Theadelphia, 2011.

15 - P.Sel :

Select papyri , ed Hunt (A .S.) & Edgar , London , 1932.

16 - P .Teb :

The Tebtunis papyri, edGrenfel (B.) & Hunt (A.S.) And others in 4 Vols, London 1902.

ثانياً : المصادر الأجنبية :

AmmianusMarcellinus : History , with an English translation by John C.Rolfe , philadphia , vol 2 ,1930 .

ثالثاً : المصادر العربية :

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٢٩م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1- **Abbott (F.F.) & Johnson (A.C.) :** Municipal Administration in the Roman Empire , Princeton , 1926.
2- **Atiya (A.S)** , Hilaria Saint , in The Coptic Encyclopedia , vol 4.
3- **Atiya (A.S)** , The Coptsand Christian Civilization, Salt lake city , Unit , 1979 .
4- **Bagnall (R.S)** , Egypt in late Antiquity; Princeton, 1933 .
5- **Bagnall (R.S), &Cribiore (R)**, Women's Latter from ancient Egypt (300 BC– AD 800), University of Michigan press, 2006.
6- **Bell (H.I)**, An Egyptian village in The Age of Justinion, 1944, p.23.
7- **Bell (H.I)** , Egypt ,Oxford , 1948 .
8- **Bell (H.I)** , Egypt and Byzantine Empire , 1957 .
9- **Bell (H.I)** , Egypt under early Participate , London , 1934 .
10- **Bell (H.I)** , Anti – Semitism in Alexandria in the (J.R.S) , volxxxl , London , 1941 .
11- **Book (E.R) & Dunlap (J.E)**, Two studies in Later Roman and Byzantine Administration , New York , 1924 .
12- **Bouche – Leclerq :** Histoire De La Gides, Paris, 1906 .

13- **Bury** (**J. B**), History of the Later Roman Empire, vol 1 , London .

14- **Hardy** (**E.R**) : Christian Egypt, Church and people , New York , 1952 .

15- **Johnson** (**A.ch**) , West (L.C), Byzantine Egypt Economic studies , Princeton , 1949 .

16- **Johnson** (**R.C**) **& West** (**L.C**), Egypt and The Roman Empire , University of Michigan press , 1951 .

17- **Jones** (**A.H.M**) , The Later Roman Empire (284 – 602 A.D), vol 2 , Oxford , 1964 .

18- **Kamil** (**J.**) , Coptic Egypt , History and Guide , Copy right , 1987 .

19- **Keenan** (**J.**) , The name of Flavius and Aurelius as a status of de assignation in Later Roman Egypt , ZPE , vol 11 .

20- **Lewis** (**N.**) , Life in Egypt under Roman Rule , Oxford , 1983.

21- **Lindsay** (**J**), Daily Life in the Roman Egypt, London, 1963 .

22- **Milne** (**J.G**) : History of Egypt Under Roman rule , London , 1898 .

23- **Rouillard** (**G.**) , Administration civile de l'Egypt Byzantine, Paris , 1928.

24- **Rowlandson** (**J.**) , Women and Society in Greek and Roman Egypt , Cambridge , 1998 .

25- **Taubenschlage** (**R.**) , Customary Law and Custum in The Papyri , Warsow , 1952 .

26- **Taubenschlage (R.)** , The Law of Greco – Roman Egypt in The Light of The Papyri , Warsaw , 1955 .

27- **Vasilive (A.A)**, History of The Byzantine Empire ,324–1453 , Madison , 1952.

28- **Wallace(S.L)**, Taxation in Egypt from Augsts to Diocletian, princeton , 1938 .

29- **Winter (J.G)** , Life and Letter in The Papyri , Michigan press , 1933 .

خامساً: المراجع الأجنبية المترجمة :

١-بل (هـ . أ) ، الهلينية في مصر، ت : زكي علي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨.

٢-جونيفيف هوسون: دومنيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر، ت: فؤاد الدهان، دار الفكر، ١٩٩٥ .

٣-رستوفترف (م)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، (ت): زكي على محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧ .

٤-فرانسوازدونان – كرستيان زيفيسكوش، الآلهة والناس في مصر، ت، فريد بوري، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٥-نورمان – ف– كانتور، العصور الوسطي الباكرة، ت: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣.

سادساً: المراجع العربية :

١-رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

٢-رأفت عبد الحميد، طارق منصور: مصر في العصر البيزنطي ٢٨٤ –٦٤١م، دار مصر العربية، ط ٣، ٢٠٠٣ .

٣-زبيدة محمد عطا، الإلزام في المجتمع البيزنطي في القرون الثلاثة الأولي من الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٢
٤-زبيدة محمد عطا، إقليم المنيا في العصر البيزنطي، القاهرة، ١٩٨٢
٥-زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، دار الأمين، ١٩٩٤م.
٦-زكي علي، مقننة الاديولوجوس، ١٩٩٨ .
٧-سهير محمد إبراهيم نعينع، دور المرأة في مصر البيزنطية، أبحاث مؤتمر دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور، القاهرة ، ٢٠٠٢.
٨-السيد الباز العريني، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١ .
٩-صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٧ .
١٠-عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٣ .
١١-الفونس توما بسطس، المقاومة الوطنية في مصر البيزنطية، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ١٩٧٥ .
١٢-محمد أحمد حسن: مكتبة الإسكندرية في العالم القديم، القاهرة، ١٩٤٣م.
١٣-مراد كامل: مصر في العصر القبطي، مطبعة العالم العربي، القاهرة، ١٩٤٠.
١٤-مصطفي العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٩٢ .
١٥-منيرة الهمشري: النظام الإداري والاقتصادي في مصر حتى عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٩ .

أبناء موسى بن نصير ودورهم فى فتح بلاد المغرب والأندلس
(٧٩هـ - ٦٩٨ م /١٠٢هـ - ٧٢١م)

د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي[١]

ملخص البحث:

جر الزمان أذيال النسيان على قادة كثيرين، على الرغم من دورهم المؤثر في تاريخ المغرب والأندلس. ومن أبرز هؤلاء أبناء موسى بن نصير، الذين اعتمد عليهم في مسيرته الحربية، وفتوحاته، ورفع راية الإسلام في أرجاء تلك الأقاليم، وتعريف أهلها بمبادئه السمحة. ويهدف هذا البحث إلى إبراز دور بعض أبناء موسى بن نصير المجهولين، الذين لم تتحدث عنهم معظم المصادر والمراجع، على الرغم من دورهم الفعال في فتوح بلاد المغرب والأندلس، وأعني بهم: عبد الله، وعبد الرحمن، ومروان،وعبد العزيز، وعبد الملك، وعبد الأعلى الذين صحبوا أباهم موسى منذ البداية؛ وكان موسى حريصًا على إشراك أبنائه في معارك الجهاد، فلا يخرج لمعركة إلا وهم معه! وعلى رأس أهداف الدراسة الراهنة،تتبع أبعاد دور أبناء موسى في فتوح بلاد المغرب، وجهاد البربر والبيزنطيين، سواء على الساحل الإفريقي أم في الأصقاع المتاخمة للقيروان، مثل: زغوان، وسجومة، وطنجة، وبلاد السوس الأدنى والأقصى، وغيرها. ولم يغفل موسى وأولاده الجهاد البحري، فاهتموا بعمران مدينة تونس، وتوسيع دار صناعتها؛ لصد هجمات البيزنطين على طول سواحل المغرب. كما تستهدف الدراسة استعراض بعض الغارات الدفاعية، كالتي وجهت ضد جزيرتي صقلية وسردينيا،. وستعرض الدراسة للجزر التي افتتحها أبناء موسى، بعد أن كانت قواعد مهمة للروم والقوط، كجزيرتي ميورقة ومنورقة.

[١] مدرس التاريخ الإسلامي – كلية التربية – جامعة مطروح

والمعارك التي خاضها أبناء موسى في بلاد الأندلس من أجل نشر الإسلام. ثم يكون الحديث عن رجوع موسى إلى المشرق، تاركًا على المغرب والأندلس أبناءه، يعاونهم بعض أقربائه، ومعهم حامية عربية من أكفأ الرجال المسلمين. وتحاول الدراسة كذلك إماطة اللثام عن إشكالية مقتل ولدي موسى عبد الله وعبد العزيز، والدوافع وراء مقتليهما.

Abstract

Time dragged many leaders into oblivion, despite their influential role in the history of Morocco and Andalusia. Among the most prominent of these are the sons of Musa bin Nusair, whom he relied on in his military career, his conquests, and raising the banner of Islam throughout those regions, and introducing its people to its tolerant principles. This research aims to highlight the role of some of the unknown sons of Musa bin Naseer, whom most sources and references did not talk about, despite their effective role in the conquests of the Maghreb and Andalusia, and by them I mean: Abdullah, Abd al-Rahman, Marwan, Abd al-Aziz, Abd al-Malik, Abd The supreme who accompanied their father Moses from the beginning; Moses was keen to involve his sons in the battles of jihad, so he would not go out to battle unless they were with him! On top of the objectives of the current study, it follows the dimensions of the role of the sons of Musa in the conquests of the Maghreb, and the jihad of the Berbers and the

Byzantines, whether on the African coast or in the areas adjacent to Kairouan, such as: Zaghouan, Sojoum, Tangier, and the countries of Lower and Far Sus, and others. Moses and his sons did not neglect the naval jihad, so they took care of the urbanization of the city of Tunis, and the expansion of its industrial house; To repel the Byzantine attacks along the coasts of Morocco. The study also aims to review some defensive raids, such as those directed against the islands of Sicily and Sardinia. The study will present the islands opened by the sons of Moses, after they were important bases for the Romans and Goths, such as the islands of Mallorca and Menorca. And the battles that the sons of Moses fought in Andalusia in order to spread Islam. The talk is about Moses' return to the East, leaving his sons to the Maghreb and Andalusia, assisted by some of his relatives, with an Arab garrison among the most efficient Muslim men.

مقدمة:

أثار فتح المسلمين للمغرب والأندلس اهتمام المؤرخين، فشرعوا في تدوين أخبار هذا الفتح، وصنفت حوله مئات الكتب والأبحاث، غير أن جانبًا مهمًّا جديرًا بالدراسة تمخضت عنه تلك الفتوحات العربية الإسلامية أغفلته– أو كادت – كل المصنفات، هو بزوغ نجم طائفة من القادة البارزين الذين خلدتهم تضحياتهم لخدمة الإسلام، حين انسابوا في مشارق الأرض ومغاربها، تحدوهم الرغبة في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة. برز من هؤلاء في المشرق قتيبة بن مسلم، ويزيد بن المهلب، ومحمد بن القاسم، وفي المغرب والأندلس ذاع صيت عقبة بن نافع، وأبي المهاجر دينار، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، وغيرهم .

ومن أبرز قادة المغرب هؤلاء الذين لم يخلدهم التاريخ، أبناء موسى بن نصير: عبد الله،وعبد الرحمن، ومروان، وعبد الملك، وعبد العزيز، وعبد الأعلى، الذين اعتمد عليهم أبوهم في مسيرته الحربية، وفي تحقيق أهدافه. ويتضح لنا دورهم ما دار في اللقاء بين موسى بن نصير والخليفة سليمان بن عبد الملك، بعد عودته من الجهاد في بلاد المغرب والأندلس، عندما سأله الخليفة: من خلفت يا موسى على الأندلس؟ فقال: عبد العزيز بن موسى، قال: ومن خلفت على إفريقية وطنجة والسوس[1]؟ قال: عبد الله ابني، فقال له

---

(١) بلاد السوس منها بلاد السوس الأدنى(درعة) والأقصى التي تقع في أقصى بلاد المغرب، وقاعدة بلاد السوس مدينة أَيْجَلىَ، ويشقها نهر عظيم يسمى وادي ماست، يجري من الشمال إلى الجنوب كجري نيل مصر، ومن مدن السوس تارودنت، وتوبوين، وتامدلت، ونول لمطة. الإدريسي (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٢٧–٢٢٨، مؤلفم جهول (كان حيًّا في القرن السادس الهجري/١٢م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ص٢١١ : ٢١٣، الحميري(ت٧٢٧هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٢٩–٣٣٠.

الخليفة سليمان: لقد أنجبت يا موسى! فقال موسى: ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين؟ إن ابني عبد العزيز أتى بملك الأندلس، وابني عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية، وإن ابني مروان أتى بملك السوس الأقصى، فهم متفرقون في الأمصار. فأغضب الخليفة كلامه هذا، وقال: ولا أمير المؤمنين بأنجب منك؟! فتدارك موسى الموقف، وقال إن شأن أمير المؤمنين ليس فوقه شأن، وكل شأن وإن عظم دونه؛ لأنه على يديه وبأمره [١] ويؤكد المقري ما نقول، بقوله إن موسى لما عاد إلى بلاد المشرق ترك بلاد المغرب والأندلس جميعها بيد أولاده[٢]

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير الذي أبداه الباحثون المحدثون بأخبار القادة والولاة المشهورين، ممن كان لهم دور في فتوح المغرب والأندلس، لم ينل أبناء موسى بن نصير حقهم من الدراسة، خاصة فيما يتعلق بدورهم العسكري الفعال، سواء في المعارك البرية أم البحرية، فكان هذا من الدوافع لهذا البحث. ومما دفعني إليه أيضًا أهمية موضوع الدراسة، مع خلو المكتبة العربية من دراسة مماثلة فيه، ناهيك عن أن الدراسات السابقة لم تسد هذه النقطة بما يكفي؛ إذ اكتفت بالحديث عن دور موسى بن نصير[٣] دون التعمق في

---

[١] ابن قتيبة (ت٢٧٠هـ) الإمامة والسياسة، مطبعة الفتوح الأدبية، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٧٢.

[٢] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م،ج١، ص٢٧٩

[٣] ومن أبرز هذه الدراسات :

- عبد الواحد طه ذنون ،موسى بن نصير،نوابغ الفكر العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م
- بسام العسيلي، موسى بن نصير، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٠م
- يحيى شامي، موسى بن نصير القائد الذي لم تهزم له راية، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥م
- جروس برس، فاتح المغرب موسى بن نصير،ط١، لبنان، ١٩٩٢م
- محمد عبد الغني حسن، موسى بن نصير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م =

البحث عن أولئك الجنود المجهولين الذين حملوا على عاتقهم – بإصرار وعزيمة– تحقيق أهدافهم الفتح الإسلامي كاملة لبلاد المغرب والأندلس، كما قامت أغلب هذه الراسات بذكر بعض المعلومات الاجتهادية عن أبناء موسى دون التوثيق أوالرجوع للمصادر والمراجع المعنية بذلك.

وفي ذلك السياق، تُسلط الدراسة الضوء على صفحة منسية من صفحات التاريخ الإسلامي. وستكشف الدراسة عن إبراز دور بعض أبناء موسى بن نصير المجهولين، وارتكزت الدراسة على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل، والاستقراء، والاستنباط، والمقارنة، والمصادر الأولية التي ذكرت في تاريخ وأحداث المغرب والأندلس السياسية والحضارية .

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة، ودراسة تمهيدية، وخمسة عناصر.وتتضمنت المقدمة موضوع الدراسة، وأهميتها ومنهجها وأهم مصادرها. وأفردت العنصر الأول فى دور أبناء موسى فى المغرب، وخصصت العنصر الثانى فى الحديث عن أبناء موسى والحملات البحرية، وأشرت فى العنصر الثالث إلى أبناء موسى فى الأندلس ،ثم تحدثت فى العنصر الرابع عن رجوع موسى إلى المشرق وتركه أبناءه فى بلاد المغرب الأندلس. وعرضت فى العنصر الخامس إشكالية وفاة عبد الله وعبد العزيز ابنى موسى بن نصير وختمت الدراسة بخاتمة تُجمل أغراضها واستنتاجاتها، ثم أوردت بعض الخرائط للمغرب الأقصى والأندلس.

=

- حازم جيران حسين، موسى بن نصير دراسة حضارية، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات الماجستير في التاريخ الإسلامي كلية التربية – جامعة بغداد،٢٠٠٢م
- محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ط٧، دار الفكر للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٤م

التمهيد:

تولية موسى بن نصير على إفريقية:

رجع حسان بن النعمان إلى بلاد المشرق ليقدم تقريرًا للخليفة عبد الملك بن مروان بما قام به في إفريقية، ووضع بين يدي الخليفة الأموال والغنائم، فشكره الخليفة على ذلك، وأجزل له العطاء، وعينه من جديد واليًا على إفريقية. ولما سمع عبد العزيز بن مروان والي مصر نبأ تعيين حسان واليًا على إفريقية، استدعاه، وجرى بينهما نقاش حاد، أبدى خلاله حسان تصلبًا وعنادًا، وتصرف عبد العزيز – معتمدًا على قرابته من الخليفة تصرفًا لا يليق بأكبر قادة الفتح في إفريقية، وانتهى اللقاء بين الرجلين بتمزيق والي مصر عقد توليه حسان، وعين موسى بن نصير خلفًا له، فرجع حسان إلى دمشق، فلم يرد الخليفة رأي أخيه على الرغم من حبه لحسان وكرهيته لموسى، وأوصى أخاه عبد العزيز به خيرًا[١]

---

[١] ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ج١، ص٢٠٣، الرقيق القيرواني (ت بعد ٤١٧هـ) تاريخ إفريقية والمغرب،ط١، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م،ص٥٠-٥١، ابن عذارى (كان حيًا ٧١٣هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تحقيق ج. س. كولان، أ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٤٨م، ج١، ص٣٨-٣٩، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٦٤: ١٦٦، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف ،الإسكندرية ،١٩٩٣م،ج١، ص٢٣٥-٢٣٦، موسى لقبال، المغرب الإسلامي،ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٩٨١م، ص٨١

والمصادر التاريخية تختلف في نسب موسى اختلافًا شديدًا؛ فالبلاذري ينسبه إلى أسرى عين التمر[١]، ثم يورد روايتين، ينسبه في إحداهما إلى لخم[٢] ملوك حمير، وفي الأخرى الى فرع إراشة[٣] من قبيلة بلي[٤] ويتردد ابن عذارى بين نسبته إلى لخم من عرب

---

[١] عين التمر: قريبة من الأنبار غرب الكوفة، افتتحها خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق– رضي الله عنهما– . الواقدي (ت٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، تحقيق مارسون جونس، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٦م؛ ج١، ص١٦٥؛ الحموي (ت٢٢٦هـ)، معجم البلدان ،ط١،تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٦م، ج٦، ص١٥٦، عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨م، ص٢٣٢-٢٣٣.

[٢] لخم: من القبائل القحطانية، وجدهم لخم أخو جذام عم كندة، وسمي لخمًا، لأنه لخم أخاه جذامًا،أي لطمه. وأولاد لخم جديلة ونمارة، ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) العقد الفريد، ط٣، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٣، ص٣٤٩-٣٥٠؛ القرطبي (ت٤٦٣هـ) القصد والأمم،المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦م، ص١٠٩-١١٠، ابن الاثير(ت٥٥٥هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج١، ص١٧٠، القلقشندي (ت٨٢١هـ)، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، القسم الأول، ص١٧٨، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٣٥، السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان،د.ت، ص١٦٢

[٣] البلاذري (ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان،ط١، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٩٠١م، ص٢٣٨

[٤] قبيلة بلي من قضاعة (من قبائل العرب القحطانية أو اليمنية)، ونسبتها إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، وكانت ديارها قرب ديار جهينة وديار جذام، وتاريخها قبل الإسلام مجهول، لكن منها بعده عدد من الصحابة منهم: كعب بن عميرة، وأبو الهيثم بن التيهان حليفا الأنصار، وغيرهما، السمعاني(ت٥٦٢هـ)، الأنساب،ط١، تعليق عبد الله عمر البارودي ،مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٣٩٥-٣٩٦، ابن الاثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص١٧٧، علي جواد، تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٤م، ج١، ص١٧٥، عبد الواحد طه ذنون، دراسات في التاريخ الأندلسي، ط١، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل،١٩٨٧م، ص١٣

الجنوب، ونسبته إلى بكر بن وائل[١] من عرب الشمال[٢]

على أية حال، ذاع نبأ وصول موسى إلى بلاد المغرب، وكان واضحًا عند جميع من سمعه أن موسى جاء ليتم الفتح الإسلامي، ويستكمل ما قام به السابقون من الولاة، فدبت الحمية في نفوس المسلمين، ووفدوا عليه في القيروان من كل حدب وصوب، ووقف فيهم خطيبًا، فحمد الله، وأثنى عليه، مبررًا لهم إبعاد حسان بكفره بالنعمة، وتطاوله على أولي الأمر. وقال إن أخا الخليفة، وشريكه وصنوه، قد أسند إليه الأمر بعد تأمل واجتهاد،وأنه بشر يخطئ ويصيب،ويسألهم أن يعينوه، وأن يعرضوا عليه مشكلاتهم. وأنبأهم أن والي مصر أمر بصرف رواتبهم مضاعفة ثلاث مرات[٣]

بهذا رسم موسى خريطة طريق جديدة، وأعرب عن عزمه استكمال فتح بلاد المغرب، وجدَّ في استطلاع أحوال تلك البلاد: طبيعتها، وقلاعها، وأهلها، والقبائل المرتدة ومدى قوتها. ثم وحد صفوف العرب، وأثار فيهم روح الحماس. وبعد أن تجمعت لديه المعلومات التي كان يريد، أخذ يعد العدة، ويخطط بعزم أكيد، وحذر، ووعي؛ لاستكمال فتح إفريقية والمغرب الأقصى[٤]

أما عن سنة تولية موسى بن نصير علي إفريقية، فهناك خلاف واضح بين المؤرخين

---

[١] بنو بكر قبيلة عدنانية مضرية، تنتسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن عدنان، وأولاده هم: علي، ويشكر، وبدن، وزوجته هي هند بنت تميم بن مر، التي يقال لها أم القبائل، الكلبي(ت٢٠٤هـ) جمهرة النسب، ط١، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٨٦

[٢] ابن عذارى، المصدر السابق،ج١، ص٣٤

[٣] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج٢، ص٥٠، موسى مقبال، المغرب الإسلامي، ص٨٤

[٤] ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٠٥، جروس برس، فاتح المغرب موسى بن نصير، ط١، لبنان، ١٩٩٢م، ص٤١، ٤٢

حولها، فيقول ابن الأثير في أحداث سنة تسع وثمانين هجرية إن موسى وصل إلى إفريقية، وكان بها صالح[١] الذي استخلفه حسان عليها، والبربر طامعون في استردادها بعدما سار عنها حسان، فلما وصل إليها موسى عزل صالحًا، وتصدى لخطر الخارجين عن الطاعة[٢]، وتشير مصادر أخرى إلى أن ولاية موسى كانت سنة ٨٨هـ[٣]، وفي رواية ابن العماد– وهو يؤرخ لسنة أربع وثمانين– نجد ما يناقض الروايات السابقة؛ اذ يقول في أحداث تلك السنة إن موسى بن نصير غزا أوربة(من بطون قبائل البربر البرانس) من المغرب، وبلغ عدد السبي خمسين ألفا[٤]. أما ابن خلكان فيذكر أن توليته على إفريقية والمغرب كانت سنة ٧٧هـ[٥] بينما يذكر خليفة بن خياط وغيره أن موسى بن نصير سار

---

(١) صالح بن منصور الحميري من أهل اليمن، عمل على نشر الإسلام، وتأسيس إمارة نكور في بلاد الريف، انطلاقًا من تمسامان، واسلم على يده بربر تلك المنطقة، وبدأت طموحاته تتزامن مع حملة عقبة بن نافع على المغرب الإقصى، وقد قوى أمره في ولاية حسان بن النعمان، حيث اعتمد عليه حسان حينما ارتحل لبلاد المشرق وتركه نائبا عنه. اليعقوبي(ت٢٩٢هـ)، كتاب البلدان، نشر دي خويه، ليدن، ١٩٦٧م، ص٣٢٣–٣٢٤، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٦٢، ٨٤، البكري (ت٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، ط١، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٧٣، ابن الخطيب(ت٧٧٦هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ق٣، ص١٧١، أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد نكور، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص٢١

(٢) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ج٤، ص٢٠ : ٢٢

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق،ج١، ص٤٦، ابن أبي دينار(ت بعد سنة ١١١٠هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط١،المطبعة الدولية التونسية،١٢٨٦هـ، ص٣٣

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص٣٤٢

(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م،ج٥، ص٣١٨–٣١٩، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ص٢٣٩، السلاوي=

إلى بلاد المغرب سنة ٧٩هـ، فأخذ سفيان بن مالك الفهري وأبا صالح الفهري، فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار، وبعث بهما إلى الخليفة عبد الملك مقيدين في الحديد[١] وهذه الرواية فضلناها على غيرها من الروايات المتضاربة في تحديد ذلك التاريخ، للأسباب التي ذكرناها في تولية عبد العزيز بن مروان لموسى بن نصير على إفريقية في نفس التاريخ خلال خلافة عبد الملك بن مروان.

١- أبناء موسى في المغرب:

اصطحب موسى بن نصير منذ البداية أبناءه عبد الله وعبد الرحمن ومروان وعبد العزيز وعبد الملك وعبد الأعلى، كما رافقه أبناء الشهيد عقبة بن نافع:عياض وعثمان وأبو عبيدة وموسى،وولى على كتائب الجيش أكفأ القادة فكان لهم دور عظيم في فتوحاته[٢]، أمثال: زرعة بن أبي مدرك[٣] وعياش بن أخيل[٤]، والمغيرة بن أبي بردة[٥]

=(ت١٣١٥هـ) كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ،ومحمد الناصري ،دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٥٤، ج١، ص٩٥

[١] تاريخ خليفة بن خياط، ط١، مراجعة مصطفى نجيب فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٥م، ص١٨٩، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٥١

[٢] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤

[٣] زرعة بن أبي مدرك أحد قادة موسى بن نصير، ممن كان لهم دور بارز في حرب قبائل صنهاجة في وادي الملوية، وقتال أهل سجوما، ولذلك كرمه والي مصر عبد العزيز بن مروان. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٥٤، ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص ٤١..

[٤] عياش بن أخيل الرعيني، قائد بحري يماني مصري،ولي شرطة موسى بن نصير، ودخل معه الأندلس، كما ولي البحر في العصر الأموي، وقدم بالسفن إلى إفريقية سنة ١٠٠هـ وانقطع خبره بعد ذلك.الزركلي، خير الدين، الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، م٥، ص٩٩

[٥] المغيرة بن عبد الله بن أبي بردة القرشي، حليف بني عبد الدار،من التابعين، وغزا مع موسى المغرب والأندلس، وولي البحر لسليمان بن عبد الملك سنة ٩٨هـ ، وغزا القسطنطينية ثم إلى إفريقية عام مائة، فاستوطنها. وكان بعض نسله فيها ايام محمد بن سحنون(ت٢٥٦هـ). ابن حجر=

وغيرهم.

ورغب موسى بن نصير في إشراك أبنائه في معارك الجهاد، وكان لا يخرج لمعركة إلا وهم معه، يستعين بهم في أغلب فتوحاته، ويؤكد ذلك ما تحدثت به مولاة ابنه عبد الله بن موسى(أكبر أبنائه)[١]– وكانت من أهل الصلاح– إذ تقول إن موسى حاصر حصنها الذي كانت تعيش فيه، وكان أمامه حصن آخر، قالت: فأقام لنا محاصرًا حينًا ومعه أهله وولده،وكان لا يغزو إلا بهم لما يرجو في ذلك من الثواب[٢]

ومن أهم فتوحات موسى بن نصير في بلاد المغرب، وشارك فيها أبناؤه، فتح قلعة جبل زغوان[٣] من قلاع البربر الحصينة وكانت شمالي القيروان، ويسكنها قوم من قبيلة عبدوه البربرية، ويتزعمهم أمير يقال له ورقطان، وكان هؤلاء البربر من سكان جبل زغوان يشكلون خطرًا على القيروان؛ إذ كانوا يغيرون على مراعي المسلمين ومواشيهم بين الحين والآخر، فينهبون ويغنمون، وكانوا أيضًا حلفاء للروم (البيزنطيين)، ينقلون إليهم أخبار

=(ت٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٢٠٥، الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٧٦

[١] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٤، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤١

[٢] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٨١، ابن الشباط (ت ٦٨١هـ) قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٧–١٩٦٨م، المجلد الرابع عشر، ص١٣١

[٣] زغوان: مدينة تقع بين القيروان وتونس، وبها جبل عالٍ جدًا، وأكثر الجبال ماء، تسير إليه المراكب إذ يستدل به المسافرون فيرى على مسيرة أيام كثيرة، وزغوان فيها قرى آهلة، كثيرة المياه والتمر والبساتين، كما ان بها قومًا من الزهاد المنقطعين للعبادة، وأول من غزا زغوان حسان بن النعمان، وصالح أهلها. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٩٤، الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٤

المسلمين[١]. لذلك أرسل إليهم موسى بن نصير سرية من خمسمائة فارس، بقيادة عبد الملك الخشيني، فقاتلهم، وقتل زعيمهم ورقطان، وفتح بلادهم. وبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس[٢]، ويعلق على ذلك ابن قتيبة بقوله: "فكان ذلك السبي أول سبي دخل الحاضرة القيروان"[٣]

وتذكر إحدى الروايات أن موسى في أثناء فتح زغوان وجه ولديه عبد الرحمن[٤]– وقيل عبد الله بن موسى[٥]– إلى بعض نواحي زغوان، فأتى بمائة ألف رأس من السبى. والآخر ويدعى مروان[٦]– وقيل(هارون) أتى بمثلها–وكانوا جميعًا من المتمردين على الدولة[٧] فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس من السبي، ولم يذكر أحد أنه سمع بسبي أعظم منه [٨]

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠، عبد الواحد طه ذنون، موسى بن نصير، ص٥١

[٢] ابن عذارى،المصدر السابق،ج١، ص٤٠، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣

[٣] الإمامة والسياسة، ج٢، ص٥٢، ابن عذارى، المصدر السابق ،ج١، ص٤٠

[٤] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢

[٥] ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠

[٦] يشير ابن الأثير إلى أن موسى بن نصير وجه ابنًا له يقال له هارون لا مروان، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢١، ولم نسمع عن اسم هارون في أي مصدر آخر غير ابن الأثير، والواضح أنه مروان لا هارون، فقد اجمعت الروايات التي تحدثت عن هذه المعركة بأن موسى وجه ابنه مروان إلى هؤلاء البربر الخارجين عن الطاعة. ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٩، الوزير السراج، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، ط١، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٨٧هـ، ص٣٠٧

[٧] ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣، المقري، المصدر السابق ج١، ص٢٣٩

[٨] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٢

وكتب موسى إلى والي مصر عبد العزيز بن مروان يعلمه بالفتح، ويُخبره أن الخُمس من الغنائم بلغ ثلاثين ألفاً– وكان ذلك وهمًا من الكاتب؛ إذ كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً– فلما قرأ عبد العزيز بن مروان الكتاب، وأن الخُمس من السبى ثلاثون ألفاً، استكثر ذلك، وكتب إلى موسى يقول له: " إنه بلغني كتابك، تذكر أن خمس ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس، فاستكثرت ذلك، وظننته وهمًا من الكاتب، فاكتب بالحقيقة"، فكتب موسى: " قد كان ذلك وهمًا من الكاتب على ما ظنه الأمير، والخمس أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتاً بلا وهم"، فلما بلغه الكتاب، عجب كل العجب، وامتلأ سروراً، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز: "قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتولية موسى، وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية من وليت"، فكتب عبد العزيز إلى أخيه يعلمه بالفتح وبكتاب موسى[١]

ومن الواضح، أن هناك مبالغة شديدة في عدد الأسرى في هذه الرواية؛ فابن الأثير يذكر أن تعداد سبي عبد الرحمن، بلغ ألف رأس[٢] فقط، وهذا عدد يبدو منطقيًّا، وإذا كان تعداد سبي مروان ألف رأس أيضاً، وتعداد سبي موسى في زغوان مثل هذا العدد، يكون مجموع السبي ثلاثة آلاف رأس، ويكون الخمس من هذا السبي ستمائة رأس، لا ستين ألفاً، ويبدو أن الكاتب أخطأ في عدد الأصفار .

وعلى أية حال، استطاع موسى بن نصير بمساعدة ولديه عبد الله ومروان الانتصار في أول معركة في إفريقية، وإخضاع قبائل البربر الخارجين على الطاعة في إقليم زغوان،

---

[١] ابن قتيبة، نفسه ، ج٢، ص٥٢، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠

[٢] ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١

بعد عودة حسان بن النعمان إلى بلاد المشرق. كما اتخذ موسى من القيروان قاعدة ينطلق منها بجيوشه لفتح بقية مناطق المغرب العربي وهو آمن على خطوط مواصلاته، وتوغل في المغربين الأوسط والأقصى [١]

أما في المغرب الأوسط فقد شمل نشاط موسى بن نصير وأولاده بعض قبائل البربر ومنهم هوارة[٢] وزناتة[٣] وكتامة[٤] وصنهاجة[٥] التي أعلنت تمردها ضد الدولة العربية الإسلامية، ومن أجل إخضاعهم وأرسل موسى لإخضاعها حملة كبيرة يقودها عياش بن أخيل، فأكثر من السبي حتى اضطرت تلك القبائل إلى الصلح[٦]

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، استمد موسى بن نصير عساكر المسلمين الذين في مصر، عندما أراد غزو قلعة سَقْيُوما–أو سجومة–[٧] التي ارتبط اسمها بمأساة تهودة، واستشهاد عقبة بن نافع. وحين وصلت الإمدادات من مصر بقيادة ابنه عبد الله، استخلف

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤١، ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ص٢٣٢

[٢] هوارة قبيلة من البربر نزلت إطرابلس، وكانت للروم، فجلت عنها إلى صقلية، ابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ١٨٨٩م، ص٩١

[٣] زناتة البربرية، من قبائل البتر التي كانت تسكن الجبال المغربية. ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٩١

[٤] كتامة من قبائل البربر التي وفدت إلى المغرب من فلسطين،فارة، بعدما قتل داود–عليه السلام– ملكها جالوت، وانتشر أبناؤها في السوسين الأدنى والأقصى، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ٩١

[٥] صنهاجة من قبائل البربر البرانس،ذات العدد والعتاد، والقوة والمراس، وديارها في وادي الملوية. تسببت تحركات هذه القبيلة، وأعمالها العدائية إلى الصدام مع جيوش المسلمين، بسام العسلي، موسى بن نصير، ص ١٤

[٦] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣–٥٤

[٧] سقيوما(أو سجومة) منطقة تقع في شمال المغرب الأقصى بالقرب من فاس، البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٣٠١–٣٠٢، الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٨

عبد الله على القيروان، وخرج هو وأولاده علاوة على أبناء الشهيد عقبة بن نافع، في عشرة آلاف من المسلمين، وكان على مقدمة العسكر عياض بن عقبة بن نافع[١]، وعلى ساقة الجيش نجدة بن مقسم[٢]، أما اللواء فأعطاه موسى لابنه مروان[٣] وكانت الغاية كسر شوكة البربر حلفاء البيزنطيين، علاوة على الانتقام والثأر لما كان في معركة تهودة[٤]

وسار موسى بهذا الجيش المنظم عدة أيام حتى إذا ما وصل إلى موضع يعرف بسجن الملوك، ترك هناك القائد عمرو بن أوس على رأس ألف من المقاتلة، وزحف بمن معه حتى وصل إلى نهر يقال له ملوية (القريب من سجلماسة)، فوجده زاخرًا،وكره الانتظارعليه،وخشي نفاد الطعام، وأن يصل العدو مكانه، فأحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع، فلما أجاز منها عند سجوما فوجيء بالعدو وقد أعد العدة لملاقاته ومن معه[٥]، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة، اقتتلوا خلالها قتالاً شديدًا عند سفح جبل منيع بهذا الموضع، واستمر القتال ثلاثة أيام حتى أنهك الطرفان. وخرج رجل من قادتهم، فوقف والناس مصطفون، فنادى

---

[١] عياض بن عقبة بن نافع،كان من جملة التابعين، سكن إفريقية، ثم انتقل منها إلى مصر، واستوطنها، توفي سنة١٠٠هـ/ ٧١٨م ابن سعد (ت٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٤، ص٢١٤؛ ابن حزم(ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر،١٩٦٢م، ص١٢٥، ابن الاثير(ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ج٣، ص٤٢٠

[٢] نجدة بن مقسم من كبار القادة الذين أبلوا في الجهاد بلاء حسنًا، فكان نعم السند لموسى في حروب إفريقية والمغرب العربي، لا سيما في حملته على مدينة سجوما. ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤–٥٥، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٥٤–٥٥، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤١

[٣] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤، محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧١م، مج٩، ص٥٦٩

[٤] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٤–٥٥، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤١

[٥] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤؛ محمد فريد وجدي، المرجع السابق، مج٩، ص٥٦٩

بالمبارزة، فخرج إليه مروان بن موسى، وأعطى اللواء إلى أخيه عبد العزيز. فلما رآه ضحك، وقال: ارجع، فإني أكره أن أُعدم منك أباك–وكان مروان حديث السن– فحمل عليه مروان حملة صاعقة ردته على أعقابه إلى حضن الجبل الذي كان يتحصن فيه، لكن سرعان ما أخذ هذا البربري مرزاقًا (رُمْحًا)، وطعن به مروان فتلقاه مروان بيده، وأخذه، ثم حمل عليه، وتمكن من طعنه في جنبه، وسقط عن دابته. واشتبك الفريقان فاقتتلوا قتالًا شديدًا، حتى انجلت معركة سجوما بالنصر المؤزر للمسلمين والفتح المبين[١]

انجلت معركة سجوما عن قتل ملك البربر ويدعى كسيلة[٢] وفرار العدو، ووقوع الكثير منهم في الأسر، أما السبي فبلغ مائتي ألف رأس،منهم بنات كسيلة وأعيانهم[٣] وخيرة قوادهم، وكن أجمل النسوة، ممن لا يقدرن بثمن[٤] وتضيف الرواية أن بنات الملوك وقفن بين يدي موسى، وطلب موسى من ابنه مروان أن يختار احداهن فاختار ابنة كسيلة وتسرى بها وأنجبت له ابنه عبد الملك بن مروان بن موسى[٥]

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥؛محمد فريد وجدي، المرجع السابق، مج ٩، ص٥٦٩– ٥٧٠.

[٢] ويبدو أنه كسيلة آخر غير قاتل عقبة زعيم قبيلة أوربة،الذي أسلم ثم تمرد على عقبة وغدر بفرقة المسلمين في تهوده، وقتل في ولاية زهير بن قيس البلوي سنة ٦٩هـ. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج١، ص٢٦٧–٢٦٨، النويري (ت٧٣٣هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، تحقيق، عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢٤، ص١٧–١٨

[٣] عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشره ليفي بروفنسال، وعلق عليه حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٥٤م، العدد الثاني، ص٢٢٤

[٤] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠؛ محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص٥٦٩– ٥٧٠.

[٥] كان عبد الملك بن مروان بن موسى فصيحًا خطيبًا عادلاً كبير القدر، ولي مصر أيام مروان بن محمد ،وكان حسن السيرة، ثم ولاه المنصور العباسي إقليم فارس بعد عام ١٣٣هـ/ بعد ٧٥١م. وكان من ذريته رجل يقال له أبو معاوية ،جمع أخبار موسى وأخبار حروبه ومعاركه. ولم تشر المصادر التاريخية إلى نهايته، وكيف كانت وفاته وعامها ، الحميدي(ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس=

وأمر موسى أولاد عقبة بن نافع:عياضًا وعثمان وأبا عبيدة أن يثأروا لأبيهم من قتلته[١]، فقتلوا أعدادًا كبيرة من أولئك المسئولين عن مذبحة تهودة، إلا إن موسى كبح جماحهم، ولم يسمح لهم بالتمادي في القتل، وأمرهم بالتوقف واذعنوا لأمره [٢].

ولعل فتوحات المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي أعظم، وأشهر ،من تلك التي قام بها موسى بن نصير وأولاده في بلاد المغرب، لكن السبي الذي كان يبعث موسى به إلى الخليفة عبد الملك بن مروان والأموال التي كان يرسلها إليه تفوق كثيرًا ما كان يرسله إليه فاتحو بلاد الشرق، فتذكر المصادر التاريخية أن موسى كتب الى الخليفة الوليد بن عبد الملك[٣](ويبدو أنه عبد الملك بن مروان) " إنه سار إليك من سبي سقوما مائة ألف رأس، فكتب اليه الخليفة: ويحك! أظنها بعض كذباتك، فإن كنت صادقًا فهذا محشر الأمم"[٤]

= في ذكر ولاة الأندلس، ط١، تحقيق بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م، ص٤٩٩، الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تهذيب سير أعلام النبلاء، ط١، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م،ج١،ص٢٠٩، ابن كثير(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ج٩، ص١٨٤

(١) عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، ص٢٢٤

(٢) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٤–٥٥، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤١ .

(٣) خلط كل من ابن قتيبة والرقيق القيرواني بين خلافة الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد ابنه، فيشير ابن قتيبة إلى فتح سجومة أنه كانت في خلافة عبد الملك بن مروان، بينما يذكر الرقيق القيرواني انه في فترة الوليد بن عبد الملك. ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤–٥٥، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٥

(٤) الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٥، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق، عادل بن سعد، منشورات دار الكتب العلمية، ج٤، ص١١٣–١١٤، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٤

كما بعث موسى إلى سيده عبد العزيز بن مروان والي مصر بالفتح وما ملأت سباياه الأجناد وتوافد الجند وتزاحمهم عليه رغبة فيما لديه[١] لدرجة أن الخليفة عبد الملك كثيرًا ما كان يقول :(وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا)، في إشارة منه إلى أنه كان كارهًا تولية موسى بن نصير في باديء الأمر.

وكافأ عبد الملك بن مروان موسى وأولاده ومن معهم من الموالي، ففرض لكل واحد من ولد موسى فيء مائة، أي مائة ألف دينار ،مما أفاء الله عليه من أموال الروم والبربر المحاربين، كما فرض لموسى نفسه مائتي ألف دينار ،وفعل مثل هذا في مواليه وأهل النجدة والبلاء[٢]

واستأنف موسى بن نصير المعارك ضد قبائل السوس الأقصى والمصامدة حينما تمردوا على حكم الإسلام، وجهز حملتين كبيرتين إلى السوس الأقصى عام ٨٩هـ/٧٠٧م، الأولى بقيادة ابنه مروان[٣]، والثانية بقيادة زرعة بن أبي مدرك[٤]، ووجه موسى ابنه مروان وكلفه بهذه المهمة، وعقد له الراية، وسار في خمسة آلاف من الجنود المقيدين في ديوان الدولة هذا عدا المتطوعة من المسلمين، فلما وصلوا الى السوس وكان عليها ملك اسمه مرذانة الأسواري، نازله مروان بنفسه وبيمينه القناة وبيسراه الترس، ففر من وجهه لكن جماعته ثبتوا في الميدان، فاقتتلوا هم والمسلمون قتالاً شديدًا كانت خاتمته النصر للمسلمين والهزيمة للبربر وحلفائهم من الروم والبربر، وكان السبي – على ما جاء في

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥

[٢] ابن قتيبة، نفسه، ج٢، ص٥٦

[٣] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣، عبيد الله بن صالح، نص جديد، ص٢٢٤

[٤] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧

بعض المصادر– أربعين ألف رأس، هذا فضلاً عما غنموه من مال وحرث[١]

وتحدثنا بعض المصادر أن موسى بن نصير وأولاده ساروا نحو المدن التي على شاطئ المحيط الأطلسي، وقصدوا طنجة –عاصمة المغرب وكبرى مدنه وأكثرها حضارة،ولم تكن فتحت من قبل– سنة ٨٩هـ/٧٠٧م[٢]، وكان بها من البربر من بقي بمعزل عن السيادة الإسلامية، ويخضع خضوعًا مباشرًا منذ أيام عقبة وقبلها لحاكم المدينة المسيحي، الذي تسميه مصادر الفتح يوليان، وكان تابعًا للبيزنطيين (الروم)، لكنه ارتبط بالأندلس بعد تقلص نفوذ البيزنطيين وزوال هيمنتهم عن البحر المتوسط[٣]

وتمكن موسى وأولاده من فتح طنجة،ودخل صاحبها في الطاعة، فترك موسى فيها قبل عودته إلى القيروان حامية عسكرية بلغ عدد أفرادها سبعة وعشرين رجلاً من العرب، وألفًا وسبعمائة مقاتل، وكان أميرها مروان بن موسى[٤] وفي رواية أخرى أنه أنزل معهم سبعة وعشرين ألفًا من العرب واثني عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يقوموا بتعليم البربر القرآن والفقه [٥] بينما تذكر بعض الروايات أن موسى بن نصير ترك لطارق بن زياد تسعة عشر ألفا من أشد الفرسان البربر مع أسلحتهم، كما ترك بعض العرب الفصحاء

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨، ابن العماد، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٧، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٧١

[٢] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٧٦، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٦٩، ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٤

[٣] بسام العسيلي، المرجع السابق، ص١٦–١٧

[٤] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٥٢، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٠

[٥] السلاوي، المصدر السابق، ج١، ص٩٦

ليعلموا البربر القرآن والفرائض وفقه الإسلام[١]

وأيًّا ما كان الأمر،فقد ساعد طارق بن زياد مولاه مروان بن موسى في طنجة منذ البداية،وحين لم يتحمل مروان بن موسى مشاق الرباط والرهائن البربرية التي اصطحبها معه من بلاد السوس من المصامدة وغيرهم إلى طنجة، وسئم، وانسحب الى القيروان،عين موسى طارق بن زياد على الحامية وطنجة [٢]

٢- أبناء موسى والحملات البحرية:

تمكن أبناء موسى من إخضاع البيزنطيين (الروم) والبربر في البر؛ لقوة جيوشهم، وكثرة جندهم من رجال القبائل وأبناء القادة المتحمسين للجهاد، إلا إن العرب كانوا يدركون أن الأسطول البيزنطي لازال يشكل خطرًا عليهم بعد أن أولته الإمبراطورية البيزنطية عنايتها، واهتموا بعملياته، وأدركوا ضرورة تكوين قوة بحرية تقيهم خطر أولئك الخصوم المتربصين، وتحفظ بلادهم، فاهتم موسى وأولاده بتعمير مدينة تُونس، وتوسيع دار صناعتها، وشق قنواتها فصارت تونس مشتى للمراكب إذا هبّت الأنواء وعصفت الرياح، ثم أمر بصناعة مائة مركب[٣] لصد هجمات البيزنطيين على طول سواحل المغرب.

وبعد أن أتم موسى بن نصير استعادة المغرب الأوسط، وفتح المغرب الأقصى،

---

[١] ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ابن خلكان، المصدر السابق، ج٥، ص٣٢٠، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٩

[٢] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٧٥، السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٩٦، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٦٣، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٤-٢٤٥

[٣] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٦، البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٣، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٦

وطنجَة، أصبحت السواحل المغربية المواجهة لجزر البحر المتوسط وللأندلس، معرضة لهجمات البيزنطيين، الطامحين إلى إعادة تلك المناطق مرة أخرى.

واتبع موسى بن نصير– ومن جاء بعده من ولاة إفريقية والمغرب– سياسة تقوم على الضغط المتواصل على صقلية، بهدف شغل البيزنطيين بالدفاع عنها وعن أنفسهم بدلاً من التفكير في شن هجمات على السواحل المغربية. وكانت أولى الحملات الموجهة من قاعدة تونس نحو صقلية، حملة الأشراف سنة ٨٥هـ/٧٠٤م بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير التي ضمت كبار رجال المسلمين وأشراف العرب حيث أمر موسى بن نصير بالتأهب لركوب البحر، وحث الناس على الجهاد فسارعوا إليه، وركبوا معه، وأعطى موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله[١]، وجعله أميرًا على رجالها. وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره، أن يركب أهل الجلد والنكاية والشرف، فسميت هذه الغزوة بغزوة الأشراف[٢].. وسار عبد الله بحملته هذه من تونس إلى جزيرة صقلية، وكانت أول غزوة للمسلمين في بحر إفريقية، وكانوا ما بين التسعمائة والألف. فأصاب عبد الله في غزوته تلك صقلية، وافتتح مدينة فيها، ونال منها غنائم كثيرة، حتى بلغ سهم الرجل مائة دينار. وعندما صار الوليد بن عبد الملك خليفة للمسلمين بعث موسى إليه بالبيعة، وبفتح عبد الله، وما أفاء الله عليه [٣]

ويفهم من النصوص التي تحدثت عن تلك الغزوة أنها كانت غارة دفاعية، ولم تكن

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج١، ص٢٤٦، محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧م، ص١١١، السامرائي (خليل إبراهيم) وآخرون، تاريخ المغرب العربي، مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٨م، ص ٩٥

[٢] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧؛ السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص ١٥

[٣] ابن قتيبة، نفسه، ج٢، ص٥٧، محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب، ص٢٣٨

فتحًا؛ فقد شعر المسلمون أن الروم اتخذوا من جزيرة صقلية قاعدة هجومية، ينطلقون منها للغارة على سواحل إفريقية التي فتحها المسلمون، ومع هذا كانت تلك ضرورة حتمية اقتضتها طبيعة الصراع الإسلامي البيزنطي آنذاك.

وفي سنة ٨٧هـ/٧٠٥م، أرسل موسى بن نصير ابنه عبد الله أيضًا إلى سردينيا[١]، فافتتح إحدى مدنها المسماة بقِوَلة، وعاد سالماً غانماً[٢] وهذه الحملة أيضًا كانت من الحملات التأديبية لحماية مناطق ساحل إفريقية من الغارات البحرية البيزنطية.

ومن جزر البحر أيضًا التي اتخذها الروم والقوط قواعد مهمة لهم جزيرتا ميورقة

---

(١) سَرْدَانية: من الجزر الكبيرة في بحر المغرب، إلى الشمال الغربي من جزيرة صقلية،وليس بعد صقلية وإقريطش (كريت) أكبر منها، وكانت أولى الحملات على سردينيا سنة ٨٤هـ/٧٠٣م في عهد موسى بن نصير، واشترك فيها الأسطول المصري والأسطول المغربي؛ إذ أرسل أمير مصر عبد العزيز بن مروان، قائده عطاء بن رافع الهذلي على رأس الأسطول المصري، فأرسى في مدينة سوسة، وهناك أمر موسى بن نصير بتزويده بما يحتاج إليه من مؤن وأرزاق وأسلحة، لكنه في الوقت نفسه حذره من ركوب البحر، لأن موسمه قد فات وأنه سوف–إن فعل– يواجه متاعب وأخطارًا بسبب سوء الأحوال الجوية ،لكن القائد الهذلي لم يأخذ بنصيحة موسى بن نصير، وشحن سفنه متوجهًا إلى جزيرة سردينيا، ونزل عند مدينة (سلسلة)، وافتحها، وعاد محملا بغنائم كثيرة،لكن في طريق العودة اعترضته عاصفة شديدة حطمت معظم سفنه، وغرق هو وعدد من جنوده. وعندما علم موسى بن نصير بما حدث أرسل حملة تفتيشية إلى السواحل بقيادة يزيد بن مسروق للبحث عمن نجوا من الغرق، ثم أمر موسى بإدخال السفن المتضررة إلى دار صناعة السفن بتونس لاصلاحها وإعدادها ثانية لحملات بحرية كبيرة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٤، الحميري، الروض المعطار، ص٣١٤– ٣١٥، البغدادي (ت٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للنشر، بيروت، ١٩٥٤م، ص٧٠٦.

(٢) ابن خياط، المصدر السابق، ص١٩٠، ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق جمال الدين الشيال، محمد فهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ج١، ص٢١٦، ابن العماد، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٣

ومنورقة[١]، بين صقلية والأندلس من الساحل الشرقي لإسبانيا[٢]، وتمكن عبد الله بن موسى من فتحهما سنة ٨٩هـ/٧٠٧م، وغنم منهما ما لا يحصى[٣]، ثم انصرف راجعًا إلى إفريقية[٤]

---

[١] ميورقة ومنورقة جزيرتان في الحوض الغربي المتوسط، طول الأولى من الشرق إلى الغرب سبعون ميلاً، وعرضها من الشمال إلى الجنوب خمسون ميلاً، وتحدها من ناحية الجنوب برشلونة (بلاد أرغون) ومن الناحية الشرقية، جزيرتا منورقة وسردانية،وقد عرّب المسلمون الأسماء اللاتنية لهذه الجزر، فاطلقوا على جزيرة مجوركة Majorca اسم ميورقة أو ميرقة، أما منوركة Minorca ، فقد أطلق عليها العرب اسم منرقة أو منورقة، وكانت هذه الجزر خاضعة مبدئيًا للسلطة البيزنطية، ولكنها كانت مستقلة من الناحية الفعلية عندما انطلقت عمليات الفتح الإسلامي للأندلس، وقد شن عليها المسلمون سلسلة من الغارات، نظرًا لقربها من الساحل الإفريقي، وكانت أهم تلك الغارات غارة سنة ٨٩هـ التي انتهت بإبرام أول معاهدة بين المسلمين وحكام جزيرتي ميورقة ومنورقة، وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى سنة ١٦٠هـ، حيث نقض حكام الجزيرتين العهد، مستغلين الخلاف الدائر في المشرق الإسلامي.ابن حيان(٤٦٩هـ) المقتبس من انباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، منشورات لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة،١٩٩٤م، ص١٤٤، المخزومي (ت٦٥٨هـ) تاريخ ميورقة، ط١، تحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٦–٢٧، الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧–٥٦٨، ابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ)، المغرب في حلي المغرب، ط٤، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ج٢، ص٤٦٩، عصام سالم سيسالم، جزر الاندلس المنسية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٨: ٢٥

[٢] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٨، ابن الأثير، المصدر السابق ج٤، ص٢١، ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٣، ١٨٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٩٦

[٣] ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ابن العماد ، المصدر السابق ،ج١، ص٣٥٧

[٤] وقد خلط كل من ابن خياط وابن تغري بردي بين هذه الحملة وحملة الأشراف سنة ٨٥هـ، التي قام بها عبد الله بن موسى، ابن خياط، المصدر السابق، ص١٩٢، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٢١، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١، ص٢١٦، السلاوي، الاستقصا، ج١، ص٩٦، وجدير بالذكر هنا، أنه لما قدم موسى الأندلس قال له أسقف من أساقفتها: إنا لنجدك في كتب الحدثان عن دنيال، يصفك بأنك صياد بشبكتين: رجل لك في البر، ورجل لك في البحر، فتضرب بها هناك فتصيد وتضرب بها هنا فتصيد، فسر بذلك موسى وأعجبه. ابن الشباط، المصدر السابق ،المجلد الرابع عشر، ص١٣١.

وبفتح هذه الجزر المهمة في البحر المتوسط وبالسيطرة على مياهها بالأسطول والمجاهدين، تمكنت الأساطيل العربية من ردع البيزنطيين،وحماية السواحل من خطرهم ،كما أن الواضح من هذه الروايات أن تلك الغارات البحرية شجعت على القيام بالمغامرة الكبرى وهي فتح بلاد الأندلس. ويمكن أن نستنتج مما تقدم أيضًا أن بناء قاعدة تونس جعلها بمثابة رباط لحماية القيروان من هجمات الروم (البيزنطيين) المفاجئة، فقد أحالت بينهم وبين إفريقية، التي لم يعد بمقدورهم الوصول إليها، وأصبحت في الوقت نفسه قاعدة لانطلاق الحملات البحرية المستمرة ضد قواعد الروم في غربي البحر المتوسط.

٣- أبناء موسى في الأندلس:

وكانت أولى مشاركات أبناء موسى في فتح بلاد الأندلس على يدي مروان بن موسى، وذلك عندما أرسل موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد على رأس حملة لفتح الأندلس عام ٩٢هـ، ويبدو أن مروان كان ممن ذهب مع طارق؛ إذ تروي بعض الروايات أنه عندما علم ملك الأندلس لذريق بمجيء طارق بن زياد وجيش المسلمين إلى بلاده، قفل راجعًا بعد أن قضى على ثورة البشكنسlos vascos في شمال إسبانيا[١]، ودارت المعركة الفاصلة بين المسلمين والقوط (معركة شذونة) جنوب غرب الأندلس، واقتتلوا قتالاً شديدًا، وانتصر فيها المسلمون ، وقتل ملك أسبانيا لذريق كما قتل العديد من جنده ،وبعث طارق برأس لذريق إلى موسى بإفريقية مع ابنه مروان، فأرسل موسى ولده مروان إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، وأوفد معه رجالاً من أهل إفريقية، ففرض الوليد لمروان في أهل الشرف، وأجاز كل من كان معه،ورد مروان لأبيه [٢]

---

(1) Manuel Torres: Espana Visigoda (Historia de Espana (T.III) Madrid, 1963, pp.76-250

[٢] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٦٠، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧

وفي عام ٩٣هـ/٧١٢م، ظل طارق بن زياد يواصل سياسة الفتح واوغل بعيدًا في بلاد الأندلس ونتيجة للاجهاد الذي تعرض له، كتب إلى موسى بالقيروان كتابًا يذكر فيه أن الأمم قد تداعت عليه وعلى المسلمين الفاتحين من كل جانب،ويستغيث، ويطلب أن تنجده جيوش موسى المرابطة في المغرب. فنادى موسى في الناس بإنجاد طارق ومن معه، وخرج بمن اجتمع له يوم الخميس أول النهار، بعد أن استخلف ابنه الأكبر عبد الله على إفريقية وطنجة والسوس[١] أما ولده الآخر مروان، فبعث إليه موسى –بعد عودته من بلاد المشرق– يأمره بالمسير إلى طارق مرة أخرى، فاجتاز ومن معه من الجند مضيق جبل طارق فسبق أباه موسى إلى هذا الشرف العظيم[٢]

وثمة رواية أخرى تذكر أن موسى بن نصير وصل الأندلس سنة ٩٣هـ/٧١٢م، وذلك لما سمع بما فتح الله–عز وجل– على يد طارق بن زياد، وأحب أن يكون شريكًا فى شرف الفتح، فاستخلف ابنه عبد الله على إفريقية، وأقبل إلى الأندلس وبصحبته ابنيه عبد العزيز وعبد الأعلى[٣] وهو في عشرة آلاف فيهم وجوه الناس من قريش والعرب [٤]

وأدرك موسى خطورة انتشار جيش المسلمين في الأندلس بهذا الشكل السريع والنطاق الواسع، فاضطر إلى تجريد حملة جديدة على الأندلس، ولحق على رأسها

---

[١] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٠، ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٢٧، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٣، السلاوي، المصدر السابق، ج١، ص٩٨–٩٩

[٢] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٦٠–٦١، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٢٦–١٢٧

[٣] ابن الشباط ، نفسه، ص١١٦

[٤] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٠، الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص٥٤، ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤١، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٦، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٣

بطارق ليسهم إسهامًا فاعلاً في هذا الجهاد العظيم، وتألفت تلك الحملة من ثمانية عشر ألفًا من المقاتلين العرب [١] فوافى بحر الزقاق، وأجاز منه إلى الأندلس. وتخبرنا الروايات بأن موسى خرج من القيروان بعشرة آلاف مقاتل، ثم مع تتابع الإمدادات عليه بلغ تعداد جيشه ثمانية عشر ألفًا [٢]

وحقق طارق بن زياد في الأندلس عدة انتصارات، وكتب بذلك إلى موسى[٣] فكتب موسى بها إلى الخليفة، وكتب إلى طارق يأمره ألا يجاوز مكانه حتى يلحق به خوفًا على أرواح المسلمين[٤]

وبعد أن عبر موسى وولديه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى الساحل الأندلسي، ووصل إلى الجزيرة الخضراء، عقد مجلسًا للحرب ليضع خطة سير المعارك التالية، واجتمعت هناك الرايات، وأقام موسى بهذا الموضع مسجدًا أطلق عليه مسجد الرايات[٥] ثم طلب موسى دليلاً من العجم (أي النصارى الأسبان) وقال له: سر بي إلى مدائن لم يفتحها

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها والحروب الواقعة بها بينهم، مطبعة ريدنير، مجريط، ١٨٦٧م، ص١٥؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٤، الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٠

(٢) ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٦١، chejne,Anwar,Muslm Spain its history and culture(Minneapolis):1973)p.12

(٣) ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٧٩–٢٨٠، ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٣٩

(٤) ابن عبد الحكم، نفسه، ص٢٨٠، البلاذري، المصدر السابق، ص ٢٣٢، الضبي (ت٥٩٩هـ) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط١، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٤٢٣

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٣٩–٥٤٠، عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م، ص٧٣

طارق، ولم يدخلها، وأثيبك على ذلك وأحسن اليك[١]، فأخذ به إلى بلاد منها لبلة[٢] وباجة[٣]، ويشير ابن الأثير إلى ذلك بأنه عُرِضَ على موسى أن يسلك طريق طارق، فرفض، وطلب من الأدلاء أن يرشدوه إلى طريق أشرف من طريق طارق، ومدائن لم تفتح بعد[٤]

خاض موسى وأولاده عدة معارك في الأندلس من أجل استكمال الفتوحات ونشر الإسلام، في شذونة، وقرمونة[٥]، وإشبيلية التي حاصرها أشهر حتى فتحها،وهرب سكانها

---

(١) ابن الشباط، المصدر السابق، ص١١٧

(٢) لبلة Niebla: كان اسمها القديم Ilipla ،وتقع في جنوب غرب الأندلس، في مقاطعة ولبة Huelva ،ومن مدنها مدينة جبل العيون، وبينها وبين البحر المحيط حوالي ١٢كم، وكانت مدينة جامعة لفوائد الكور حتى قيل إن جباية كورة لبلة في عهد الأمير الحكم بن هشام(المعروف بالربضي) كانت خمسة عشر ألفًا وستمائة، وكانت تعرف بالحمراء. العذري (ت٤٧٨هـ)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق د. عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥، ص١١٠، ابن غالب (من أهل القرن السادس الهجري) نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع،مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، ١٩٥٥م، ص٢٩١، ابن الشباط، المصدر السابق،ص ١١٧، الحميري، المصدر السابق، ص٥٠٧– ٥٠٨

(٣) باجة Beja تقع غرب قرطبة، وهي من أقدم مدن الأندلس، وموقعها الآن بالتحديد جنوب البرتغال، في منتصف الطريق بين يابرة Evora والفارو Faro، وتسمى هذه المدينة بباجة الأندلس وباجة الزيت؛ تمييزًا لها عن باجة إفريقية وتونس التي تسمى أيضًا باجة القمح، ابن الشباط، قطعة في وصف الأندلس وصقلية، المجلد الرابع عشر، ص ١١٨، الحميري، الروض المعطار، ص٧٥، محمد الفاسي، الاعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البينة، السنة الأولي، العدد الثالث، المغرب ١٩٦٢م، ص٢١

(٤) الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤١، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٣، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٩، الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٠

(٥) قرمونة Carmona تقع في سفح جبل، بين قرطبة وإشبيلية، على الضفة اليمني لنهر الوادي الكبير، إلى الشرق من إشبيلية، بينهما عشرون ميلا، أي حوالي أربعين كيلو مترًا، وبينها وبين إستجه خمسة وأربعين ميلاً، أي حوالي ٩٠ كم، ومن اشهر مدنها مرشانة، الإدريسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٢، ابن غالب، المصدر السابق، ص٢٩٢، الحميرى، المصدر السابق، ص٤٦١

إلى مدينة باجة [١]، فأنزل موسى فيها اليهود، وضمهم إلى قصبتها(أي قلعتها)، ثم مضى إلى لقنت[٢]، وماردة، وسرقسطة وما يليها من حصون وقلاع [٣]

ووجه موسى بن نصير ابنه عبد العزيز إلى إشبيلية مرة أخرى، بعد أن تمرد أهلها، وتشير بعض المصادر إلى وصول موسى وأولاده بالقرب من ماردة. وعندما علم سكان مدينة إشبيلية وما حولها بأن المسلمين يحاصرون مدينة ماردة، تمردوا على عاملهم وحاميتهم، وقتلوا نحو ثمانين من المسلمين [٤] واجتمع إلى أهل إشبيلية بعض سكان باجة ولبلة[٥]. وعندما علم موسى بهذا، وجه إليهم حملة بقيادة ابنه عبد العزيز سنة ٩٤هـ/٧١٣م لفتح مدينة إشبيلية للمرة الثانية، وإخضاع أهلها[٦] وبعد أن انتهى عبد العزيز بن موسى من استعادة إشبيلية وفتحها مرة أخرى توجه إلى لبلة وباجة فافتتحهما،واستقامت

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٤

[٢] لقنت Alicante من مدن شرق الأندلس (من أعمال كورة مرسية)، وهي مدينة صغيرة عامرة، تقع على مسافة تبعد عن دانية بنحو سبعين ميلا وخليجها يطل على ساحل البحر المتوسط، واشتهرت لقنت في العصر الإسلامي بازدهارها الاقتصادي، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٥٨، الحميري، المصدر السابق، ص٣٤٠-٤٨٥-٥١١-٥٣٩، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، ط٢، دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٤٨-١٥٠

[٣] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ٦٠-٦١، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣، محمد فريد وجدي، المرجع السابق، ص٥٧٥

[٤] مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٥، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧١

[٥] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٥، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧١، عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص ٧٨

[٦] ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤٢، مؤلف مجهول، اخبار المجموعة، ص١٨، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٥، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧١

الأمور هناك وعلت راية الإسلام، وأقام عبد العزيز بإشبيلية[١]

ووجه موسى ابنه الآخر عبد الأعلى إلى مدينة تدمير[٢] فافتتحها، ثم سار إلى مدينة البيرة (غرناطة)– وضم العديد من اليهود بها– وكورة رية (مالقة)، فتمكن من فتحها جميعًا[٣]. وقيل إنه لما حاصر مالقة، كان ملكها قليل التحفظ، وكان من عادته الخروج إلى الحدائق القريبة من المدينة طلبا للراحة، دون أن يكون معه أحد من حراسه، فلما علم عبد الأعلى بهذا نصب له كمينًا بالقرب من مكان تواجده، وتَرَصَّدوه ليلاً ،وتمكنوا من القبض عليه، وأخذ المسلمون مقاطعته بالقوة [٤]

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن موسى ومولاه طارق التقيا في طلبيرة[٥]– وكان طارق مرابطًا في أقصى الشرق الشمالي– واتجها معا إلى مدينة سرقسطة الواقعة على نهر إبرو بمنطقة شمال شرق الأندلس، فهاجماها بجيشهما الموحد، وبعد حصار

---

[١] مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٨، ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٥

[٢] ويشير العذري (وهو الأصوب) أن كورة تدمير وقاعدتها أوريولة خضعت صلحا على يد عبد العزيز بن موسى وعقد مع حاكمها القوطي ثيوديمير معاهدة اوريولة والتي سمحت للقوطيين بممارسة الشعائر الدينية، ما داموا مخلصين للمسلمين. نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار، ص٤–٥

[٣] ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣، ص٥٢٩، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٥

[٤] المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٥، ابن عسكر، أعلام مالقة، ط١، تقديم وتعليق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩، ص٢٦٢

[٥] طلبيرة Talavera أقصى ثغور المسلمين وتقع غرب طليطلة، على نهر التاجه في جنوبي غرب مجريط، ولها قلعة حصينة بينها وبين طليطلة سبعون ميلا، وطلبيرة باب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض النصارى الإسبان في الشمال. البكري، المصدر السابق، ص٣٩٥، الإدريسي، المصدر السابق ، ج٢، ص٥٦٥، الحميري، المصدر السابق، ص٣٩٥

لساعات قليلة سقطت. ثم افترقا، فأما موسى فسار شرقًا إلى أن بلغ مدينة طركونة[١] الواقعة على شاطيء البحر المتوسط جنوب برشلونة، فهاجمها فسقطت في الحال، وكان على رأس الحملة التي دخلت المدينة ابنه عبد العزيز[٢]. وواصل موسى سيره إلى ما وراء سرقسطة، حتى وصل إلى مدينة على البحر لها أربعة أبواب، فحاصرها،وفي أثناء حصاره لها قال له صاحب شرطته عياش بن أخيل إنه فرق الجند أقسامًا، وجعل على كل باب من أبواب المدينة طائفة منهم، وقد بقي الباب الأقصى ليس عليه أحد، فقال له موسى: دع ذلك الباب الأقصى؛ فإننا سننظر فيه إن شاء الله. ودعا موسى ربه–وقد علم قلة زاد المسلمين الذين معه–: اللهم أخرجهم من ذلك الباب، فأصبحوا وقد خرجوا منه! فدخلها موسى ووجه ابنه مروان لمطاردة الفارين، حتى أدركهم، وشرع يقتل فيهم، وأصاب مما كان معهم، وعاد ومن معه إلى المدينة فوجدوا فيها الخير العظيم[٣]

ولم يفتح المسلمون أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية جميعها؛ فقد بقيت مناطق لم تصل إليها جيوشهم؛ إذ إن عبد العزيز انطلق على رأس جيش لاستكمال فتح غرب الأندلس، ويرجع سافدرا [٤] أنه فعل ذلك قبل رحيل أبيه إلى دمشق، قائلاً: " يبدو لي أنه بينما كان

---

[١] طركونة Tarragona في الشمال الشرقي للأنداس، وهي من المدن الساحلية، وكانت الحد الفاصل بين المسلمين والنصارى الإسبان، وهي قريبة من مدينة لاردة، ابن غالب، المصدر السابق ،ص٢٨٦، الحميري، المصدر السابق، ص٣٩٢

[٢] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨، محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٠٦

[٣] ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٣٠

[4]Saavedra,Eduardo : Estudio sobre La Invasion de Los Arabes en Espana, (Madrid 1882) apendice.p. 127),

السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، د.ت، ص١٠٩–١١٠

موسى وطارق يفتحان البلاد من سرقسطة عبر قشتالة، لم يكن عبد العزيز الذي وصل إلى باجة عاطلاً؛ بل إنه زحف نحو يابرة[١] وشنترين[٢] وقلمرية[٣]، واستمر هكذا حتى وصل إلى مدينة أستُرقة (شمال إسبانيا)[٤] حتى لم تبق في الأندلس بلدة إلا ودخلها المسلمون بسيوفهم، وصارت ملكاً لهم[٥]

٤– رجوع موسى إلى المشرق وتركه أبناءه:

انتهى موسى في فتوحه إلى هذا الحد، وكان عليه أن يعود إلى دمشق الحاضرة

---

(١) يابرة Evora بمنطة غرب الأندلس، من كور باجة أي من البرتغال، وترجع إلى العصر الروماني، وتقع شمالي باجة وجنوب شرقي لشبونة، وهي مدينة قديمة، الحميري، الروض المعطار، ص٦١٥، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية، ص٤١١–٤١٤

(٢) شنترين Santarem من كور باجة وهي مدينة عظيمة على جبل عال جدًا ولها الكثير من القرى يشرب أهلها من نهر آنة ولها اسوار عظيمة وأبراج منبعة لا تدرك بقتال. الإدريسي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥٠، الحميري، المصدر السابق، ص٣٤٦، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوبايه، دار الكتب العلمية،٢٠٠٩م، ص٩٩–١٠٠

(٣) قلمرية Coimbra مدينة حصينة تقع بالقرب من قورية وهي على جبل مستدير وتطل على نهر منديق ولها أرحاء كثيرة، الإدريسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤٧، الحميري ،المصدر السابق، ص٤٧١

(٤) ابن القوطية (ت٣٦٧هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، ط٢، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي ودار الكتاب اللبناني، بيروت، القاهرة، ١٩٨٩، ص٣٦، chejne,Anwar,Muslm Spain its history and culture (Madrid):1980)p.20

(٥) والجدير بالذكر، إن موسى وأولاده لما أوغلوا في البلاد، وجاوزوا سرقسطة، اشتد ذلك على الناس، وقالوا لموسى: أين تذهب بنا ؟ حسبنا ما بأيدينا. وذكَّره حنش الصنعاني بأنه سمعه يقول عن عقبة بن نافع– وقد توغل عقبة في إفريقية– لقد كان غرر بنفسه حين أوغل والعدو عن يمينه وشماله وأمامه وخلفه، أما كان معه رجل رشيد؟! قال: أيها الأمير، سمعتك تذكر عقبة، وتقول: لقد غرَّر بنفسه وبمن معه وما كان معه رجل رشيد وأنا رشيد اليوم، فأين تذهب؟ إني أسمع من الناس ما لا تسمع،وإنهم قد ملوا وأحبوا الدعة، فضحك موسى، وقال: أرشدك الله وكثر في المسلمين مثلك، ثم انصرف قافلاً إلى الأندلس، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٣١–١٣٢

الأموية فقد كان مغيث الرومي رسول الخليفة يتعجله للعودة؛ وعندما استبطأ عودته الخليفة الوليد بعث إليه برسول آخر أتاه وهو في مدينة لك[١] بإقليم جليقية [٢]

خرج موسى من الأندلس عام ٩٥هـ/٧١٤م تاركًا ابنه عبد العزيز في قرطبة واليًا على البلاد[٣]، وفي رواية أخرى وهي الأرجح أنه استخلف عبد العزيز على إشبيلية، بعد أن اختارها عاصمة للأندلس؛ لاتصالها بالبحر والمضيق، كما اتخذها قاعدة بريّة بحرية للمسلمين في الأندلس[٤] واصطحب موسى معه مولاه طارق بن زياد،وحملت الأموال والذهب والفضة والجواهر في المراكب إلى طنجة على عجلات، فكانت " وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة "[٥] أما السبايا فبلغن من الكثرة حدًّا جعل ابن عذاري نقلًا عن الليث بن سعيد يقول: لم يُسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام[٦] ويضيف السلاوي أن من جملة ما ساق موسى ثلاثين ألف رأس من السبي[٧]

وحين غادر موسى الأندلس ترك مع ابنه عبد العزيز حامية عسكرية من أكفأ جند المسلمين مع أبناء قبائلهم، ليساعدوه ويدافعوا عن الأندلس، ووزعهم على ثغورها، كما

---

[١] لُك أو لكه Lugo بضم اللام وتسديد الكاف وهي قاعدة نصارى جليقية، تقع شمال غرب إسبانيا في منطقة جليقية واسمها القديم locus Augusti . ابن الشباط ، المصدر السابق، ص١٢٣، Madoz: Diccionario Geograafico de Espana, tomo, 11.p.631

[٢] المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٥، حسين مؤنس، فجر الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ط١، دار المناهل، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٠٦

[٣] الضبي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٢–٥٠٣، ابن الشباط، المصدر السابق، ص١٢٣–١٢٤

[٤] مجهول، اخبار مجموعة، ص١٩، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٦، وابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٥٦٦

[٥] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٨٢، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٣

[٦] البيان المغرب، ج١، ص٤٣

[٧] الاستقصا، ج١، ص٩٩

ترك معه بعض أقربائه، مثل ابن أخته أيوب بن حبيب اللخمي[١]، وأحفاد عقبة بن نافع[٢]

وغادر موسى إشبيلية إلى طنجة، ولما علم مروان بن موسى بمجيء أبيه إلى المغرب، قدم عليه من بلاد السوس ومعه ناس كثيرون–وهذا يدل على أن مروان عاد للمغرب قبل وصول والده– ولما التقيا أمر مروان بوصيف أو وصيفة لكل من خرج مع والده، ولما علم موسى بذلك أمر بمثل ذلك لرجال مروان فرجع الناس كلهم بوصيف أو وصيفة[٣]

وغادر موسى بن نصير بلاد المغرب وأقر ابنه عبد الملك على طنجة[٤]، وترك ابنه عبد الله على ولاية إفريقية[٥]، واصطحب معه إلى المشرق ابنيه مروان وعبد الأعلى، وغيرهما من أشراف العرب ووجوه البربر، وبني كُسيلة بن لمزم، ومزدانة ملك السوس، وملك ميورقة ومنورقة، وأبناء الكاهنة، حتى وصل بهم جميعًا إلى مصر[٦]

وفي هذا الصدد، يذكر ابن قتيبة أن الخليفة سليمان بن عبد الملك قال له عندما رآه: من خلفت على الأندلس؟ فأجاب:عبد العزيز. قال: ومن خلفت على إفريقية وطنجة

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٧٨

[٢] مجهول، اخبار مجموعة، ص١٩، ابن الاثير، المصدر السابق، ج٤، ص٥٥٦، ابن عذارى المصدر السابق، ج١، ص٢٧١

[٣] ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص١٩–٢٠

[٤] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٥٨، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص ٤٤، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٩

[٥] ابن خياط، المصدر السابق، ص١٩٦، ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٤، ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦، مؤلف مجهول، اخبار المجموعة، ص١٩؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤

[٦] ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤–٤٥، عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص١٩٦–١٩٧

والسوس؟ فقال له: عبد الله ابني، فقال له الخليفة: لقد أنجبت يا موسى! فقال موسى: ومن أنجب مني يا أمير المؤمنين؟ إن ابني عبد العزيز أتى بملك الأندلس وابني عبد الله أتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية، وإن ابني مروان أتى بملك السوس الأقصى، فهم متفرقون في الأمصار. فغضب سليمان وقال: ولا أمير المؤمنين؟! فقال موسى: شأن أمير المؤمنين ليس فوقه شأن، وكل شأن وإن عظم دونه ، وعلى يديه وبأمره [١]

٥- إشكالية وفاة عبد الله وعبد العزيز ابني موسى بن نصير:

أ – مقتل عبد الله بن موسى:

استخلف موسى بن نصير ابنه عبد الله على إفريقية والمغرب سنة ٩٣هـ/٧١٢م، حين عبر لفتح بلاد الأندلس[٢] فتولى عبد الله هذا حتى سنة ٩٧هـ/٧١٥م[٣] وفي طريق عودة موسى بن نصير إلى دمشق استخلف ابنه عبد الله على إفريقية أيضًا[٤]، ورحل موسى ومعه ابناه عبد الأعلى ومروان وأشراف الناس إلى دمشق.

لم يكن استدعاء موسى من الأندلس إلى دمشق أمرًا عاديًّا، وبعد وصوله إلى دمشق كان الخليفة آنذاك هو سليمان بن عبد الملك، وتسامع الناس باضطهاده، وأن مصيره ومصير أولاده أصبح في خطر؛ بعد أن أصبح موسى–وهم له تبع– من المغضوب عليهم من الخليفة.وبالفعل لم يطل بقاء عبد الله في القيادة، فقد عزله الخليفة سليمان بن عبد الملك

---

[١] الإمامة والسياسة، ج٢، ص٧٢

[٢] ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص٤٣، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٣

[٣] ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣، المقري، نفسه، ج١، ص٢٣٣

[٤] ابن خياط، مصدر سابق، ص١٩٦، ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٤، ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦

(٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م) عن إفريقية والمغرب، وولى مكانه محمد بن يزيد[١] (٩٧هـ – ١٠٠هـ/٧١٦ –٧١٩م)، وتشير المصادر التاريخية الى الخليفة سليمان بن عبد الملك سأل رجاء بن حَيْوَة [٢] أنه يريد رجلاً صاحب فضل وصلاح لكي يوليه أمر إفريقية، وبعد أن غاب عدة أيام رشح رجاء بن حيوة لولاية إفريقية محمد بن يزيد مولى قريش، الذي التقى بالخليفة الذي أوصاه بأن يتقي الله، ويتبع في الولاية الحق والعدل[٣]

وقد اختلفت المصادر التاريخية حول مقتل عبد الله بن موسى؛ فيشير بعضها إلى أنه بعد أن استتب الأمر للوالي الجديد محمد بن يزيد بإفريقية سنة ٩٧هـ وصلت إليه أوامر من قبل الخليفة سليمان بالقبض على عبد الله بن موسى بن نصير، وتعذيبه، واستئصال أموال بني موسى وأن يأخذ آل موسى بن نصير وكل من اتصل بهم حتى يوفوا ثلاثمائة ألف دينار، ولا يرفع العذاب عنهم، فقبض الوالي محمد بن يزيد على عبد الله بن موسى، وأودعه السجن، ثم جاء خطاب آخر من الخليفة يأمره بقتله، فتولى ضرب عنقه خالد بن

---

[١] محمد بن يزيد والي المغرب بعد أفول نجم آل موسى بن نصير. اختاره الخليفة سليمان بمشورة رجاء بن حيوة وفي عهده ساد الأمن والسلم؛ لاتباعه سياسة المساواة بين البربر، إلا إنه كان عنيفًا مع أبناء موسى بن نصير. عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز،وأشهر، وأحل محله إسماعيل بن عبد الله بن مهاجر. انظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ٥٩-٦٠، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص ٤٧-٤٨

[٢] رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني، وهو من التابعين، كان قاضيًا ومن أشهر الفقهاء الشاميين، كما اشتهر بكثرة العلم، وتوفي سنة١١٢هـ. ابن سعد(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبيرة، ط١، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٩، ص٤٥٧، العسقلان (ت٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، د.ت، ج٣،ص٢٦٥-٢٦٦

[٣] ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧

حبيب القرشي[١] وفي رواية أخرى أن الذي تولى قتله هو عبيد الله بن خالد بن صابي [٢]

في حين يذكر ابن عبد الحكم أن مقتل عبد الله بن موسى كان في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢هـ[٣] وولاية بشر بن صفوان لا محمد بن يزيد؛ إذ اتهم عبد الله بن موسى بدس السم ليزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي، فكتب بشر بن صفوان إلى الخليفة يزيد يعلمه بالأمر، فأرسل الخليفة لبشر يأمره بمقتل عبد الله بن موسى، لكن بشرًا تلكأ في تنفيذ الأمر أيامًا، حتى نصحه بعض القادة بتعجيل قتل عبد الله بن موسى قبل أن يعدل الخليفة عن رأيه، وهنا تدخلت ابنة موسى بن نصير(زوجة الربيع) صاحب خاتم الخليفة يزيد بن عبد الملك، الذي كلم الخليفة في أن يعفو عن عبد الله بن موسى، فوافق الخليفة يزيد وأمر بالعفو عنه، وجعلت أخت عبد الله بن موسى للرسول ثلاثة آلاف دينار إن هو أدرك بشر بن صفوان، قبل أن يقتل عبد الله بن موسى، لكن الرسول وصل في اليوم الذي قتل فيه عبد الله بن موسى، وبُعث رأس القتيل إلى

---

[١] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ٩٣–٩٤، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧، ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٥؛ سعد زغلول، المرجع السابق، ج١، ص٢٥٩، الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٤١

[٢] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٥

[٣] يزيد بن عبد الملك (١٠١–١٠٥هـ) خليفة أموي. أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.تولى بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ، فعزل عمال عمر، وكتب إلى عدي بن أرطأة يأمره بأخذ يزيد بن المهلب فحاربه في البصرة وأخذه أسيرًا. وولى يزيد عمر بن هبيرة العراق، وجعل ولاية العهد من بعده لهشام بن عبد الملك. ثم بدا له أن يسند ولاية العهد لابنه الوليد . توفي سنة ١٠٥هـ وكانت مدة خلافته أربع سنوات، وهو ابن سبعة وثلاثين عامًا. اليعقوبي (٢٩٢هـ) تاريخ اليعقوبي، قدم له وعلق عليه العلامة محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية وطبعتها، النجف، ١٩٦٤م، ج٣، ص٥٣ :٥٥

الخليفة يزيد بالشام[١]

ولعل مما يضاعف الشك في صحة ما نسب إلى محمد بن زيد من تعذيب وقتل عبد الله بن موسى، ما ذكره بعض المؤرخين أن عبد الله كان حيًّا في القيروان، بعد عزل محمد بن يزيد عن ولاية إفريقية والمغرب[٢] ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز، ولى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم سنة ١٠٠هـ، فكان حسن السيرة، ودعا البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقيتهم على يديه [٣]

أما يزيد بن أبي مسلم–الذي وصل إلى إفريقية سنة ١٠٢هـ واليًا عليها ليزيد بن عبد الملك– فكان ظلومًا غشومًا،و يبدو أنه الذي تولى قتل عبد الله بن موسى بن نصير، وكان البربر يحرسونه، فقام على المنبر خطيبًا قائلاً:" إني رأيت أن أرسم اسم حَرَسِي على أيديهم، كما تصنع ملوك الرّوم بحرسها، فأرسم في يمين الرّجل اسمه، وفي يساره ليُعْرَفوا بذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد، أسرع لِمَا أمرتُ به"، فلما سمعوا ذلك منه، اتفقوا على قتله، وقالوا :جعلنا بمنزلة النصارى"، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب، قتلوه في مصلاه [٤]، ويذكر ابن خياط أن الجند وثبت على يزيد بن أبي مسلم فقتلوه[٥] ويذكر ابن الأثير أن سبب قتله أنه عزم على أن يسير فيهم بسيرة الحجاج[٦]

---

[١] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٧–٢٩٠، ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧، حازم جيران حسين، موسى بن نصير دراسة حضارية، ص٣٦

[٢] البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٣٩–٣٤٠

[٣] ابن خياط، المصدر السابق، ص٢٠٧ ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٨

[٤] ابن عذارى، المصدر السابق، ج١، ص٤٨

[٥] تاريخ ابن خياط، ص٢٠٩

[٦] ابن الاثير، المصدر السابق،ج٤،ص١٤٦

ب– مقتل عبد العزيزبن موسى:

تكمن أهمية عبد العزيز في أنه كان الحاكم الفعلي للأندلس بعد مغادرة والده وطارق إلى الشام؛ فقد علا شأنه بعد استكمال فتوحات المدن الأندلسية شرقًا وغربًا

واختلفت المصادر التاريخية حول العام الذي قتل فيه عبد العزيز بن موسى؛ ففى الوقت الذي ذكرت فيه بعض المصادر أن السنة التى قتل فيها عبد العزيز هى سنة (٩٧هـ٧١٥م)(١٣٥)، نجد مصادر أخرى أشارت إلى أن مقتله كان سنة (٩٨هـ٧١٦م)[١]، وهناك فريق ثالث ذكر أن الاغتيال كان سنة (٩٩هـ/٧١٧م)[٢] والأقرب إلى الصحة أنه عام (٩٧هـ/٧١٥م)؛ لأنه العام نفسه الذي عرض فيه الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦–٩٩هـ/٧١٤–٧١٧م) برأس عبد العزيز على أبيه موسى بن نصير الذي كان فى الشام [٣]

وتمت عملية الاغتيال فى وقت السحر(قبل الفجر) بمسجد ربينة الذي كان بجوار الكنيسة التى سكنها عبد العزيز بن موسى فى مدينة إشبيلية [٤] ويبدو أن القتلة قد قاموا بهذا العمل بعيدا عن اعين الناس، وحتى لا يشعر به أحد من الحراس فأمروا مؤذنه أن يؤذن قبل وقت صلاة الفجر لكى يخرج إلى الصلاة، فخرج عبد العزيز إلى المسجد وتقدم للصلاة[٥] وقرأ سورة الفاتحة وبعدها الواقعة [٦]، فأرادوا ضربه وهو في المحراب، فشعر

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢،ص٧٩، مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨، ابن القوطية، المصدر السابق، ص٣١

[٢] الضبي، بغية الملتمس، ج٢، ص٥٠٢، النويري، المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٩

[٣] ابن قتيبة، المصدر السابق،ج٢، ص٧٩

[٤] ابن القوطية، المصدر السابق، ص٣٦، عبد الواحد طه ذنون، الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس، ط٨، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص٢٨٨

[٥] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٦

[٦] ذكرت روايات أخرى أن عبد العزيز قرأ سورتي الفاتحة والحاقة قبل ضربه بالسيف. ابن الفرضي(ت٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، ط١، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، ص٢٥١، مجهول، فتح الأندلس، ص٤٢، النويري، المصدر السابق، ج٢٤، ص٣٠

بهم وتولى هاربًا[١] حتى وصل إلى بيته، واختبأ تحت شجرة [٢]، وبالرغم من ذلك، فقد أصر القتلة على جريمتهم وتبعوه إلى داره لقتله . فرآه احدهم فأراد عبد العزيز إغرائه بما يريد من المال مقابل نجاته، لكن القاتل رفض وقال لعبد العزيز: لا تذوق الحياة بعدها، فأجهر على عبد العزيز، واحتز رأسه[٣]، وخرج القتلة برأسه، وقرروا اسناد حكم الأندلس إلى أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى بن نصير، ومروا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى فلم يعترضهم، ثم واصلوا سيرهم حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزيز فوضعوه بين يديه[٤]

اشترك مع حبيب بن أبى عبيدة فى عملية اغتيال عبد العزيز عدد من القادة والزعماء العرب، وكان تنفيذ الاغتيال قد تم على يد زياد بن النابغة التميمى[٥]، فهو من قام بملاحقة عبد العزيز إلى داره بعدما هرب منهم من المسجد، كما أن هناك رواية أخرى تشير إلى أن القاتل لعبد العزيز هو زياد بن عذرة البلوي[٦] وتضيف الروايات اشتراك ابن أخت موسى بن نصير– وهو أيوب بن حبيب– فى قتل عبد العزيز بن موسى، وأنه كان ملازمًا لعبد العزيز فى الأندلس؛ إذ اتفق أفراد المؤامرة على أنه لو أنه انضم إليهم هذا الرجل(ابن أخت موسى) في هذه المؤامرة سوف يستقيم لهم الأمر دون أي عائق؛ لأنهم

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٧٨، ابن القوطية، المصدر السابق، ص٣٦

[٢] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٦

[٣] ابن عبد الحكم، نفسه، ص٢٨٦

[٤] ابن عبد الحكم ، نفسه، ص٢٨٦

[٥] زياد بن النابغة التميمي من وجوه العرب في الأندلس، ومن الذين دخلوه برفقة موسى بن نصير، وبقي في الأندلس بينما خرج موسى للشام. وتنسب بعض الروايات إلى زياد اغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير بيده عام ٩٧هـ/٧١٥م الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣١٤، الضبي، بغية الملتمس، ج١، ص٣٧٣

[٦] زياد بن عذرة البلوي من الذين دخلوا مع موسى بن نصير الأندلس أثناء الفتح، وأحد أبرز المنفذين لاغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير، حسب الروايات التي ذكرت قوله لعبد العزيز عندما أراد قتله في داره:" قد حقت عليك يابن الفاعلة" مجهول، فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا، د. ط، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٤م، ص٤٣، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٥١

كانوا يخشونه في بداية الأمر وبانضمامه إليهم سوف يؤمن لهم الطريق بعد تنفيذ عملية الاغتيال فعرض عليه هؤلاء القادة أنه لو تم مقتل عبد العزيز فسيكون مكانه في الولاية، فقبل أيوب بن حبيب هذا الأمر، وانضم إليهم[١]

أما عن أسباب مقتل عبد العزيز أو الدافع وراء اغتياله،فترجعه بعض الروايات إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك؛ إذ تشير إلى أن الوليد بن عبد الملك كان مريضًا، وأنه كتب إلى موسى يأمره بالتأنى فى سيره رجاء أن يصل بعد وفاة الوليد فتكون غنائم المغرب والأندلس كلها له، لكن موسى استجاب لرغبة الخليفة وجدَّ في سيره حتى قدم دمشق والوليد ما يزال حيًا، فسلم له الأخماس والمغانم، والتحف والذخائر، فأوغر ذلك صدر الخليفة سليمان على موسى وأبنائه؛ لأنهم كانوا موالين للوليد أكثر من سليمان الخليفة المقبل [٢]

وتضيف بعض الروايات أن موسى وصل إلى دمشق بعد وفاة الوليد، فقدم على سليمان حين استخلف وكان منحرفًا عليه؛ إذ كان طارق ومغيث قد سبقاه إليه، ورمياه بالتهم عند سليمان، فعزله سليمان عن عمله، وأقصاه، وحبسه، وغرمه غرمًا عظيمًا[٣] وذكر ابن عذارى أن سليمان أمر به فأوقف فى الشمس فى يوم شديد الحر، وكان موسى بادنًا فلم يتحمل حرارة الشمس، فسقط مغشيًا عليه، وأن سليمان أغرمه ثلاثمائة ألف دينار، وأمر بتعذيبه، وعزم على قتله، فاستجار موسى بيزيد بن المهلب وكانت له عند سليمان حظوة، فاستوهبه منه[٤]. ويكمل ابن عذارى فى موضع آخر أن عبد العزيز خلع دعوة بني مروان، واستبد بأمره لما بلغه ما نزل بأبيه وأخيه عبد الله وأهل بيته[٥]

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٧٨

[٢] المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٠–٢٨١

[٣] مجهول، اخبار مجموعة ص ٢٠، المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٠

[٤] البيان المعرب، ج١، ص٤١–٤٢

[٥] ابن عذاري، نفسه، ج١، ص٤٧

وتأتي هنا رواية ابن قتيبة لتؤكد أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أرسل إلى عبد الله بن موسى بإفريقية يأمره أن يقرب بعض الرجال إلى أخيه عبد العزيز بن نصير في الأندلس من أهل الشجاعة والقوة، وهم: ابن وعلة التميمى، وسعد بن عثمان بن ياسر، وعمر بن زياد اليحصبى، وعمر بن كثير، وعمرو بن شرحبيل، وذلك لحاجة عبد العزيز إليهم فى الأيام القادمة فى عمليات الجهاد ضد الأعداء[١] وطلب منه أيضًا أن يوليهم الثغور المواجهة للأعداء (النصارى الإسبان)[٢]، وفى الوقت نفسه،كتب الخليفة سليمان إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير يخبره بمجيء بعض الرجال الأكفاء من إفريقية لإعانته فى المعارك الجهادية، وأوصاه بأن يجعلهم من أهل خاصته، كما كتب الخليفة سليمان إلى هؤلاء القادة بأن يغتالوا الوالى عبد العزيز؛مبررًا ذلك بما وصل إليه من أن عبد العزيز بن موسى قد تكلم فى حق الخليفة فى أثناء أزمته مع أبيه[٣] ووعدهم بأن من قتل عبد العزيز كانت ولاية الأندلس من نصيبه[٤] فيما ذكرت رواية أخرى أن كتاب الخليفة وصل إلى حبيب بن أبي عبيدة ووجوه العرب الذين كانوا بالأندلس، ولم تحدد الرواية أعدادهم [٥]

والحقيقة أننا نستبعد صحة هذه الروايات؛ فليس من اليسير أن يعذب الخليفة سليمان تابعيًّا جليلاً مثل موسى بن نصير، لمجرد وشاية فى حقه من خصومه، وأيضًا لم يكن للخليفة يد فى مقتل عبد العزيز بن موسى،على الرغم مما زعمه المؤرخون من أنه دس عليه من يقتله؛ فلو أن سليمان هو المدبر لجريمة قتل عبد العزيز لبادر بتنصيب وال مكانه، ولما مكث أهل الأندلس شهورًا لا يجمعهم والٍ حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب

---

[١] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٧٧
[٢] ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص٢٥١
[٣] ابن عذارى، المصد السابق، ج١، ص٤٧
[٤] ابن قتيبة، المصدر السابق،ج٢، ص٧٧–٧٨
[٥] النويري، المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٩

اللخمي[١]، وتضيف المصادر أن الخليفة شق عليه نبأ مقتله ،وأمر والي إفريقية عبد الله بن يزيد بأن يحقق فيما حدث، والقبض على القتلة وإرسالهم إليه بمركز الخلافة بدمشق[٢]

ويبدو أن عبد العزيز بن موسى لقى مصرعه على أيدي كبار الجند؛ لزواجه من امرأة لذريق[٣] –أوابنته حسب رواية أخرى[٤]– التى يقال لها أم عاصم[٥]، واسمها أيلة أو إخيلونا Ejlona (في الإسبانية) [٦]، وكانت قد اشترطت عليه أن تبقى على دين النصرانية[٧]، وتذكر الروايات أنها غلبت عليه، وأغرته بأن يلبس تاجًا من ذهب، قائلة له:" إن الملوك إذا لم يتوجوا فلا ملك لهم، فهل أعمل لك مما بقي عندي من الجواهر والذهب تاجًا؟"، ورفض عبد العزيز ذلك فى بادئ الأمر، إلا أنها ألحت عليه، فرضخ، ولبس التاج حينًا من الدهر، ثم دخلت عليهم امرأة، ورأت التاج على رأس عبد العزيز، فأخبرت زوجها، وشاع بين الناس أن عبد العزيز تنصر بتأثير زوجته [٨]

غير أن مثل هذه الروايات يصعب القبول بها؛ إذ المصادر تشير إلى أن عبد العزيز كان رجلاً صالحًا، ومثل هذا العمل أي التنصرلا يقوم به رجل له دين وفيه خير ،ومما يؤكد ذلك قول والده فيه بعد اغتياله وقدوم رأسه إلى الشام وتقديمه لأبيه، قال:" فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صوامًا وليله إلا قوامًا، شديد الحب لله ولرسوله[٩] وفى رواية أخرى، عندما حضر موسى بعد وصول رأس ابنه عند الخليفة ،قال له سليمان: أتعرف

---

[١] ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢–٣٣
[٢] مجهول، اخبار مجموعة، ص٢٢
[٣] النويري، المصدر السابق،ج٢٤، ص٢٩، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص١٨٩
[٤] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٥
[٥] مجهول، اخبار مجموعة، ص٢٧، مجهول، فتح الأندلس، ص٤٢
[٦] ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣
[٧] المقري، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤
[٨] مجهول، اخبار مجموعة، ص٢٨، النويري، المصدر السابق، ج٢٤، ص٢٩
[٩] ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٢، ص٧٩

هذا ؟ قال: نعم، أعرفه صوامًا قوامًا فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيرًا منه[١]

ويبدو أن مصرعه كان بسبب أنه أظهر غضبًا من موقف الخليفة سليمان من أبيه بعد كل ما قام به موسى من خدمات للدولة الأموية، وتكلم عبد العزيز فى حق الخليفة بكلام خفيف أساء له فيه، وتناقله الناس محرفًا ومشوهًا، ومحروفًا عن وجهه، فوصل إلى رؤساء الجند، وعلى رأسهم حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة، الذي كان موسى قد أقامه وزيرًا لابنه، وأيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى، وغيرهما، فأجمعوا على قتله غيرة على الخلافة الأموية، ثم أبلغوا الخليفة بأنهم قتلوه لخلعه بيعة بني مروان، واستبداده بالأمر؛ بعدما بلغه ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته [٢]، وقد يكونون قتلوه بدافع الغيرة والحسد لما صار إليه بنو موسى من علو الذكر، واختلقوا هذه التهم كذبًا.

---

[١] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص٢٨٦

[٢] ابن عذارى، المصدر السابق، ج٢، ص٤٤، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٢٠٠-٢٠١

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الدراسة المفصلة لأبناء موسى بن نصير ودورهم في بلاد المغرب والأندلس نخلص إلى عدد من النتائج نجملها فيما يلي:

– في ضوء ما تقدم من البحث الراهن،يمكن أن يُقال إن الخصال العسكرية التي ربى عليها موسى بن نصير أبناءه آتت أكلها،فجنى ثمارها مما أفاء الله عليه وعلى أولاده وعلى المسلمين، وصار ذا مكانة مرموقة عند الخلفاء في الشام،وأصبح نتيجة هذا ذا مكانة مرموقة عند الخلافة الأموية في الشام خصوصًا في عهد الوليد بن عبد الملك

– كانت لأبناء موسى بصمتهم المميزة في فتوح المغرب والأندلس، فكانوا نعم السند، والعضد القوية التي اعتمد عليها أبوهم مطمئنًا في تحقيق منجزاته العسكرية، وفتوحاته في بلاد المغرب والأندلس

– المواهب العسكرية الفذة التي تمتع بها موسى، كان بمثابة مدرسة ،تخرج فيها أبناؤه فكانوا قادة لا يشق لهم غبار في الفتوحات العربية الإسلامية.

– لقد أثبت موسى بن نصير عمليًّا –للخلافة وللتاريخ– أنه قائد عسكري فذ ،من الطراز الأول، من الذين تفزع إليهم الدولة في الحالات الحرجة والمواقف الفاصلة في حياة الدولة العربية الإسلامية ..

– على الرغم من أن فتوحات المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي كانت أعظم، وأشهر، من تلك التي قام بها موسى بن نصير وأولاده في بلاد المغرب، إلا إن السبي الذي كان يبعث موسى به إلى الخليفة عبد الملك بن مروان والأموال التي كان يرسلها إليه تفوق كثيرًا ما كان يرسله إليه فاتحو بلاد الشرق

– على الرغم من تلك الأعمال العسكرية التي اتسمت بالعنف أحياناً والتى قام بها

موسى بن نصير وأولاده إلا إن استمراريتهم على سياسة حسان بن النعمان في ضم البربر إلى الجيش الإسلامي وتعليمهم مباديء الإسلام ،ساعدت على دخول البربر في الإسلام، فوجدوا البربر في دولتهم ميدانًا رحبًا ملائمًا للعمل، وبعد أن كانوا قبائل تعيش على هامش التاريخ، اسهموا مع العرب في الفتوحات الإسلامية في الأندلس

– إن السيادة الحكيمة التي اتبعها موسى وأولاده نحو البربر أثمرت عن ظهور قادة عظام من البربر قاموا بدور ملموس في فتح الأندلس من أمثال طارق بن زياد والذي كان يثق فيه موسى وأسند له حكم طنجة وقام بحصار سبته التي كان يحكمها يوليان الخاضعة اسميًّا للروم.

الخرائط :

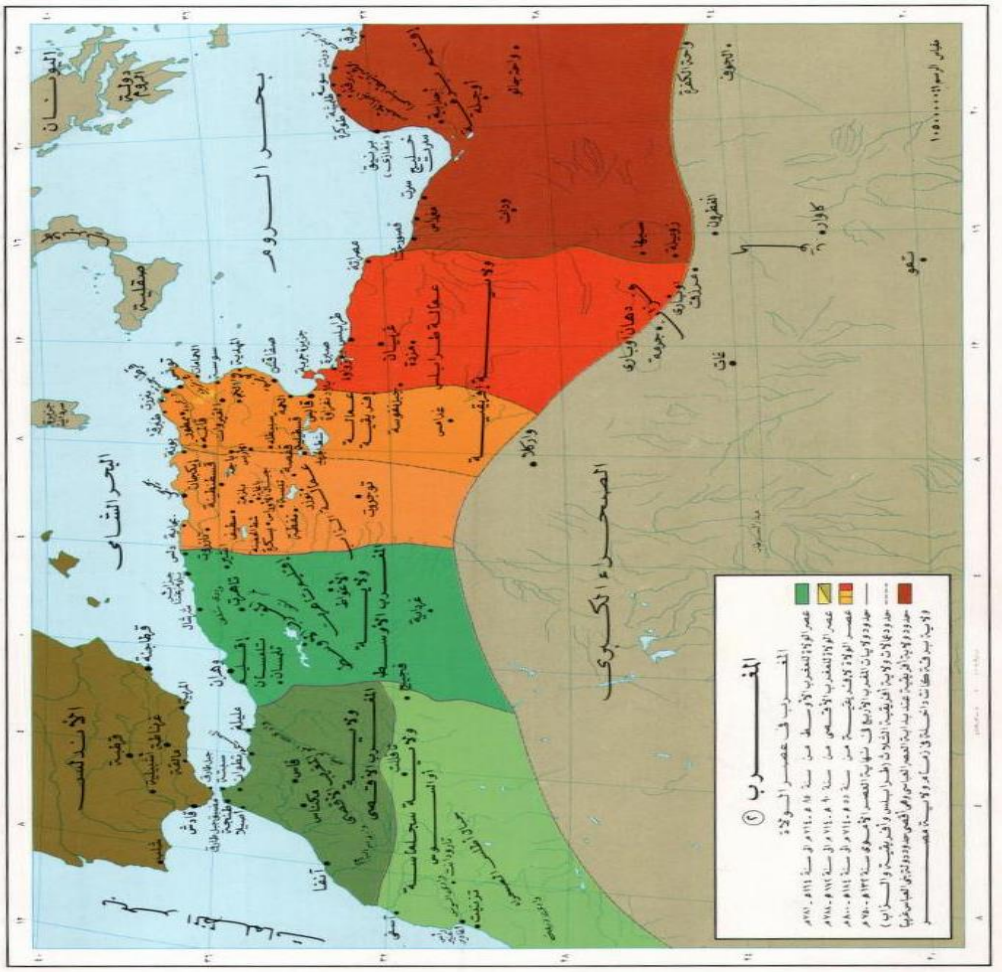

خريطة(٨٧) عن المغرب في عصر الولاة نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام د.حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٥٨

خريطة (٧٠) عن فتح مدن الأندلس نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام د.حسين مؤنس، ص١٢٣.

الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسيين خلال العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م)

أ.م.د. هدى محمد سعيد سندي
أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية
جامعة أم القرى

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على تفاصيل ذلك الصراع السياسي والعسكري الذي خاضه العلويون ضد خصومهم العباسيين منذ قيام دولتهم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وإلى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، وهي الفترة التي اصطُلح عليها بالعصر العباسي الأول، وكان هذا الصراع طويل ومعقّد، شهد كثير من القلاقل السياسية والحوادث الدامية التي ترجمتْ شدّة الخلاف الذي كان بين الطرفين بسبب ادّعاء العلويين حقّهم في الخلافة وأنهم الأقرب إلى الميراث النبوي. وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تزيل الغبار عن فترة زمنية بالغة الأهمية من التاريخ العباسي، حيث ظهر التنافس بين البيت الهاشمي حول الخلافة واستُخدمتْ فيه وسائل سياسية وعسكرية كان الغلبة فيه للعباسيين الذين استطاعوا أن يوظفوا كامل قُدرات الدولة المادية والمعنوية في إخماد ثورات خصومه. وقد اتّبع البحث منهج الوصفي التاريخي بالوقوف على أبرز الحوادث التاريخية السياسية والعسكرية التي شهدها هذا الصراع، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية والمراجع المساعدة، كما استخدم البحث المنهج التحليلي الذي يقارن بين هذه الحوادث ويحلّلها ليستخلص منها النتائج المرجوة. وأما من حيث النتائج، فقد توصّل البحث إلى جُملة من النتائج المهمة، منها أن العباسيين كانوا ينظرون إلى العلويين على أنهم مصدر خطر حقيقي على دولتهم؛ بسبب الشعبية الواسعة التي كان يتمتّع بها العلويون منذ نضالهم المشترك مع العباسيين ضد السلطة الأموية. ومنها أن العباسيين استخدموا في صراعهم مع العلويين سياسة الترغيب والترهيب؛ فكانوا يصلونهم بالهبات والأموال في حالة الرّضا عليهم، وكانوا يهاجمونهم بالقوة والعنف عند ثورة العلويين ضدهم.

الكلمات المفتاحية:

الصراع السياسي والعسكري– العباسيون– العلويون– الثورات– العصر العباسي الأول.

Abstract

This research aims to identify the details of that political and military struggle that the Alawites waged against their Abbasid opponents since the establishment of their state in the year 132 AH/749 AD until the year 232 AH/847AD, It is the period that was called the first Abbasid era, this conflict was long and complex, and witnessed many political unrest and bloody incidents which showed the severity of the disagreement that was between the two parties due to the Alawites claiming their right to the caliphate and that they are the closest to the Prophet's inheritance. The importance of this study lies in the fact that it removes dust from a very important period of Abbasid history, where competition emerged between the Hashemite family over the caliphate, and political and military means were used in it, in which the Abbasids prevailed, who were able to employ the full financial and moral capabilities of the state to put down the revolutions of its opponents. The research followed the historical descriptive approach by identifying the most prominent political and military historical incidents that this conflict witnessed, by referring to the original sources and auxiliary references, the research also used the analytical method that compares these incidents and analyzes them to derive the desired results. In terms of results, the research reached a number of important results, including that the Abbasids viewed the Alawites as a source of real danger to their state, because of the wide popularity that the Alawites had enjoyed since their joint struggle with the Abbasids against the Umayyad authority. Including that the Abbasids used, in their conflict with the Alawites, a policy of enticement and intimidation; they used to connect them with gifts and money when they were satisfied with them, and they would attack them with force and violence when the Alawites revolted against them.

key words:

political and military conflict – Abbasids – Alawites – revolutions – The first Abbasid period.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وبعد:

فلقد غطّى التنافس السياسي المحتدم والصراع العسكري الدّامي الذي كان بين فرعي بني هاشم(١) من العلويين(٢) والعباسيين(٣) كثير من فترات ما اصطُلح عليه

(١) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المكي. الجد الثاني للنبيّ ﷺ وأحد سادة قريش في الجاهلية. كان اسمه عمرو، ثم عُرف بهاشم؛ لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في مجاعة أصابتهم، وهو صاحب حلف الإيلاف الذي نظّم تجارة قريش بين الشام واليمن، وكان أحد الأجواد الذين ضُرب بهم المثل في الكرم. توفي بغزة قبل البعثة النبوية بما يقرب من القرن من الزمن. انظر عنه: ابن سعد: محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، (٦٧/١)؛ الطبري: محمد بن جرير الشافعي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، (١٩٦/٢).

(٢) العلويون: ينتسب هذا الفرع من بني هاشم القرشيين المكيين إلى ابن عمّ النبيّ ﷺ وهو الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب القرشي ﷺ، وصارت كلمة "علوي" تُطلق على كلّ من وافق عليّ بن أبي طالب وسار في نهجه، ثم صار يطلق على ذريته فقط، ثم تحوّل العلويون – كقادة وأنصار – بعد عقود من الزمن إلى طائفة دينية شيعية يقدسون الإمام علي بن أبي طالب الذي يعتبر بنظرهم أول إمام للمدرسة الإثني عشرية، إلى جانب القسم الآخر من الشيعة وهم الإسماعيلية، ثم صار يُطلق عليهم "النصيرية" ابتداء من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، نسبةً إلى ابن نصير النميري أحد تلاميذ ونواب الإمام العاشر من أئمة الإمامية الإثنا عشرية وهو علي الهادي ثم ابنه حسن العسكري من بعده. انظر: رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد، حلب، (د.ط)، ٢٠٠١م، (١٠٨/٨)؛ فيليب حتّي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مراجعة وتحرير: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، (١٤٣/٢)؛ وانظر: Cosman, M. P., & Jones, L. G. (2009). Handbook to Life in the Medieval World, 3-Volume Set. Infobase Publishing.

(٣) العباسيون: ينتسب هذا الفرع من بني هاشم القرشيين إلى عمّ النبيّ ﷺ العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وكان العباس سيّد بني هاشم في الإسلام، ثم ظهر في بنيه – وكانوا تسعة بنين – ابنه عبد الله بن العباس الذي ينحدر من نسله الخلفاء العباسيين، فكان خلف والده في السقاية والرفادة منذ سنة ٣٢هـ/٦٥٢م. وقد انحدر نسل بني العباس من عليّ بن عبد الله بن العباس المعروف بالسجاد، وتحديدًا من ابنه محمد بن عليّ. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى،=

بالعصر العباسي الأول، وهو العصر الذهبي للخلافة، العباسية حيث امتازتْ هذه الدولة بالقوة والمهابة، وحقّقتْ كثير من الإنجازات في مختلف المجالات الحضارية[١]، وقد بدأ هذا العصر بسيطرة العباسيين على عرش الخلافة بعد الإنهاء الدموي لدولة خصومهم الأمويين سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م[٢]، ليستمرّ إلى عهد الخليفة العباسي التاسع الواثق بالله[٣] الذي حكم بين سنوات ٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م، وهي فترة – أي فترة العصر الأول – تقدّر بقرن من الزمان تقريبًا.

وبالرغم من قرابة الدّم الوثيقة التي كانت بين العلويين والعباسيين، والتي قدّرها الطرفان أثناء وجودهما في خندق واحد أثناء النضال المشترك ضد الأمويين، إلا إن ألاعيب السياسة وشهوة الحُكم قد أنستْ الطرفين ما بينهما من صلة رحم، فعمل العباسيون منذ تسنّمهم عرش الخلافة على إقصاء العلويين بعد إدراكهم لرغبة ونشاط العلويين في اعتلاء ذلك العرش باعتبارهم الأقرب إلى النبيّ ﷺ والأحق في ميراثه، وأن لهم شيعة وأنصارًا في جميع الأمصار يرغبون في حُكمهم ويحنّون إلى عهدهم، ولهذا، فقد تسلّط الخوف على العباسيين من العلويين كخصم قويّ يُمكن أن يقلب

=(١١/٥)؛ البلاذري: أحمد بن يحيى البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف (المعروف بالقرابة وتاريخ الأشراف)، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، (٥٧/١)؛ ابن عبد البرّ: يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٣٤٦/٢).

(١) محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٤٠٥/٦).

(٣) هو الواثق بالله ابن المعتصم بالله ابن الرشيد العباسي الهاشمي القرشي البغدادي. بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ/٨٤١ م. كان كريمًا عارفًا بالآداب والأنساب، مولعًا بحب النساء، يميل إلى السماع، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، غير أنه امتحن الناس بمسألة خلق القرآن فسجن جماعة وقتل لأجل ذلك أحمد بن نصر الخزاعي بيده سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م. توفي بسامراء بعلة الاستسقاء في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م، وكان له من العُمر ٣٨ سنة. انظر عنه: ابن العمراني: محمد بن عليّ الحنبلي (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١١١؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص٢٩٦.

عليهم الوضع فينتهي مصيرهم على أيديهم إلى ما انتهى إليه الأمويون قبلهم، فاستخدموا معهم سياسة اللين[١] تارة، وسياسة العنف تارات أخرى، وظلّ الصراع بين الطرفين قائمًا سياسيًّا وعسكريًّا على الأقل إلى منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

الجذور التاريخية للصراع العلوي العباسي:

كان الهاشميون بفرعيهما العلوي والعباسي متّحدين في صراعهما ومعارضتهما السياسية للحُكم الأموي، وهو صراع قديم ترجع جذوره إلى ما قبل ظهور الإسلام نفسه؛ حيث ظهر جليًّا منذ أن وقع الخصام بين جدّ النبي ﷺ هاشم بن عبد مناف مع ابن أخيه أمية[٢] بن عبد شمس، حيث نجح هاشم في نفيه إلى الشام لعشر سنوات.

(١) ومن أمثلة تلك السياسة التودّدية التي أبداها العباسيون للعلويين؛ أن أبا العباس السفاح وصل العلويين بألف ألف درهم (مليون درهم)، وهو أول خليفة يصل بهذا المبلغ، وأن أبا جعفر المنصور حجّ سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م وفرّق أموال كبيرة على العلويين، وكان يستضيف العلويين ويُؤاكلهم كلما حج، وكذلك فعل ابنه محمد المهدي ثم حفيده موسى الهادي، ثم كان المأمون أكثر من تودّد إلى العلويين حتى أنه جعل سنة ٢٠١هـ/٨١٦م عليّ الرضا بن موسى الكاظم العلوي وليّ عهده، وسمّاه الرضا من آل محمد. وقد اعتبر المؤرخون الشيعة هذا التنصيب بأنه "شائعة الوريث التي نشرها المأمون عن الإمام". انظر: اليعقوبي: أحمد بن إسحاق الكاتب (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخه، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، (٣٦١/٢)؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥٢٢/٧)؛ مسكويه: أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٢٩م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٣٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٤٣٦؛ السيوطي: أخبار الخلفاء، ص٣٠٧. بهاء الدين محمد اسفنديار: تاريخ طبرستان، تعريب: أحمد بن محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٠٣.

(٢) هو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي المكي. الجدّ الجامع للأمويين. كان من سادة قريش، وكانت له قيادة الحرب في قريش بعد أبيه، وكان من أثرياء قريش بسبب ازدهار تجارته مع الحبشة. كان ضمن الوفد المكي الذي وفد على سيف بن ذي يزن في قصره غمدان بصنعاء لتهنئته بانتصاره على الحبشة في اليمن. انظر عنه: الأزرقي: محمد بن عبد الله المكي (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، مكة، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (٦٦/١)؛ ابن عبد ربه: أحمد بن محمد القرطبي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، درا الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص٢٠.

وعند بزوغ فجر الإسلام، كان التنافس شديدًا بين بني هاشم وبين بني أمية، حيث عارض بنو أمية الدعوة المحمدية بمكة على خلفية خلافهم مع البيت الهاشمي، وقالوا قولتهم الشهيرة: "أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنّا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى نُدرك هذه"(١).

وقد استقر الوضع على الوئام بين الأسرتين القرشيتين طيلة عهد النبوة وخلال كامل عصر الخلفاء الراشدين، ثم برز مرة أخرى على مسرح الحوادث عندما وقع الخلاف حول من له الأحقية في الخلافة بين عليّ(٢) ابن أبي طالب ﷺ ومعاوية(٣) أبن أبي سفيان ﷺ(٤)، وكان لهذا الخلاف أبعاده المؤثرة في مستقبل تاريخ الأمة

(١) المقريزي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٤٥هـ/١٤٦١م): إمتاع الأسماع بما للنبيّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠/١٩٩٩م، (٣٤٥/٤).

(٢) هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي المكي ثم المدني ثم الكوفي. كان من أوائل الناس إسلامًا، تربّى في حجر النبيّ ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك، وكان من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، ومناقبه كثيرة فلم ينقل لأحد من الصحابة ما نُقل لعليّ ﷺ من المناقب. قُتل ﷺ بالكوفة غيلة على يديّ الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي وذلك في رمضان سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، وكان له من العُمر ٦٣ سنة. انظر عنه: ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١٠٨٩/٣)؛ ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م): الاصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، (٥٦٤/٤).

(٣) هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي القرشي المكي. أسلم هو وأبوه وأمه هند يوم فتح مكة، وشهد مع رسول الله ﷺ حُنينًا وولاّه أبو بكر ﷺ قيادة جيش الشام ثم ولاّه عمر ﷺ على الأردن ثم دمشق، وفي عهد عثمان ﷺ وُلّي على الديار الشامية كلها، ثم نشبت الفتنة بينه وبين عليّ ﷺ بعد مقتل عثمان ﷺ وانتهى الأمر بإمامة معاوية في الشام وإمامة عليّ في العراق ثم قُتل عليّ ﷺ وبويع بعد ابنه الحسن فسلّم الخلافة إلى معاوية عام الجماعة سنة ٤١هـ/٦٦١م. توفي بدمشق سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وكان له من العُمر ٨٠ سنة. انظر عنه: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٣٢/٣)؛ ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١١٥٤/٣).

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٢٥٧/٣).

الإسلامية؛ فبالرغم من انتهاء الخلاف بمقتل عليّ ﷺ ثم تنازل ابنه الحسن[١] بن عليّ لمعاوية عن الخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١م في ما عُرف تاريخيًّا بعام الجماعة[٢]، إلا إن الصراع السياسي ظلّ محتدمًا في الخفاء بسبب اعتزاز العلويين بمكانتهم بين المسلمين[٣]، ولكن كفّة القوة بدأت تميل لصالح الأمويين في دمشق لاسيما بعد تولي يزيد[٤] بن معاوية الخلافة ومقتل الحسين[٥] ابن عليّ في كربلاء[٦].

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني. الإمام سيد شباب أهل الجنة. كان شديد الشبه بجده رسول الله ﷺ، وكان عاقلاً حليمًا محبًّا للخير، فصيحًا من أحسن الناس منطقًا وبديهة. قال عنه النبيّ ﷺ: "اللهم إني أحبه فأحبه وأحبَّ من يُحبه". توفي بالمدينة النبوية سنة ٤٩هـ/٦٦٨م، وكان له من العُمر ٤٧ سنة. انظر عنه: ابن الأثير: عليّ بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٩/٢)؛ ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، (٣٢٨/١).

(٢) ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م، (١٦٢/٦).

(٣) أبو حنيفة: أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص٢٢٠.

(٤) هو أبو خالد يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان صخر الأموي القرشي الدمشقي. نشأ بدمشق ووُلّي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠هـ/٦٧٩م. وفي أيامه وقعت فتن كبيرة منها مقتل الحسين ﷺ سنة ٦١هـ/٦٨٠م، ومنها مذبحة وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م، غير أنه تمّ في عهده فتح العديد من الأمصار شرقًا وغربًا. توفي بحوارين بحمص في ربيع الأول سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وكان له من العُمر ٣٩ سنة، وكانت مدته خلافة ثلاث سنوات وتسعة أشهر. انظر عنه: ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٤٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٨٢.

(٥) هو أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني الشهيد. أحد سيّدي شباب أهل الجنة. كانت له العديد من الألقاب منها الرشيد والطيّب والزّكي والمبارك والسّبط وغيرها. تخلّف عن مبايعة يزيد بن معاوية ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه فأقام فيها أشهرًا ثم دعاه إلى الكوفة أشياعه على أن يبايعوه بالخلافة، فأجابهم وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو ثمانين من رجاله، فاعترضهم الجيش الأموي بكربلاء فقُتل الحسين ﷺ في المحرم سنة ٦١هـ/٦٨٠م، وكان له من العُمر ٥٧ سنة، وأُرسل مَن نجى مِن أسرته إلى دمشق. انظر عنه: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (١٨/٢)؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٣٣١/١).

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٤١٤/٥).

وكان لتنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة لصالح الأمويين ثم لمقتل أخيه الحسين ابن عليّ على أيدي بني أمية سنة ٦١هـ/٦٨٠م قد حوّل ثقل التواجد العلوي من الكوفة[١] وعموم العراق[٢] إلى إقليم الحجاز وتحديدًا المدينة المنورة[٣]، ولكن خسارة العلويين وأنصارهم كانت كبيرة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م عندما استباح الجيش الأموي المدينة المنورة وقتل عددًا كبيرًا من أهلها في وقعة الحرّة[٤] الشهيرة، ثم هدأ عنف الأمويين ضد العلويين بعد استقرار السلطة الأموية في دمشق بمقتل الصحابي – المعارض

(١) الكوفة: سُمّيت كذلك لاستدارتها، وقيل لاجتماع الناس بها حيث قال أمير الناس سعد بن أبي وقاص ﷺ عندما أمر ببناء المدينة: "تكوّفوا في هذه المكان"، وقيل إنما سُمّيت كذلك لرمالها الحمراء والحصى الذي يختلط برمالها، وكانت تسمّى أحد العراقيْن. اختُطّت على يدي سعد بن أبي وقاص سنة ١٨هـ/٦٣٨م بعد اختطاط البصرة، ونزلها الجند الفاتحين من اليمنيين والنّزاريين في أكواخ من قصب، ثم اتّسعت في العهد الأموي وبُنيت بالآجر. وقد اشتهرت الكوفة بأنها مدينة العلم والعلماء، وبها قبر عليّ بن أبي طالب ﷺ الذي اتخذه الشيعة الإمامية مزارًا وبنوا عليه قبة كبيرة. انظر: ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (٤/٤٩٠)؛ عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، مكة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٦٧؛ وداد حسين عبد طوفان: مدينة الكوفة: عمارتها، نشأتها، تطوُّرها، منشورات جامعة القادسيّة، بغداد، ط١، ٢٠١٧م، ص١٦.

(٢) ما بقي في الكوفة وبعض مناطق العراق خلال هذه الفترة هو تواجد علوي شيعي بدأ يأخذ طابع التمذهب العَقَدي لاسيما بعد ظهور المختار الثقفي ثم ظهور فرقتي الإمامية والكيسانية. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥/١٥٩)؛ الأشعري: عليّ بن إسماعيل البصري (ت٣٢٤هـ/٩٣٦م): مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، فيسبادن، (د.ط)، (د.ت)، (١/٨٨).

(٣) طه حسين: الفتنة الكبرى: عليّ وبنوه، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٦م، ص١٨٩.

(٤) وقعة الحرّة: أو وقعة حرّة واقم؛ وهي المعركة التي وقعت في ذي الحجة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م بين بين أهل المدينة وجيش أهل الشام الأموي بالقرب من إحدى الحرار التي بالمدينة النبوية، وكان سببها هو خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية ومبايعتهم لعبد الله بن الزبير، فقاتلهم القائد الأموي مسلم بن عقبة المرّي فقتل كثيراً منهم في المعركة والباقي قتلهم صبرًا. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، (٢/١٨٣).

للأمويين – عبد الله[١] بن الزبير بمكة، حيث تحقّق للأمويين بمقتله إنهاء آخر معاقل المعارضة الهاشمية في الحجاز، غير أن الأمر كان مختلفًا بعد ذلك بسنوات عندما ثار زيد[٢] بن عليّ العلوي سنة ١٢١هـ/٧٣٨م بالكوفة ضد الخليفة الأموي هشام[٣] بن عبد الملك، فاستطاع الأخير قتله وإجهاض دعوته[٤].

(١) هو أبو بكر وأبو خبيب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي المكي ثم المدني. الصحابي ابن الصحابي، وابن عمة رسول الله ﷺ وأول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة. بويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ/٦٨٣م عقب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام وجعل قاعدته المدينة المنورة. كانت له مع الأمويين وقائع كبيرة حتى سيروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي فنشبت بينهما حروب لأشهر انتهت بمقتل عبد الله بمكة في ذي الحجة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وكان له من العُمر ابن ٧٣ سنة، وكانت مدة خلافته تسع سنين. انظر عنه: ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٩٠٥/٣)؛ ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، (٨٩/٤).

(٢) هو أبو الحسين زيد ابن عليّ زين العابدين ابن الحسين الشهيد ابن أبي طالب العلوي الكوفي، المعروف بزيد الشهيد. ظهر بالكوفة سنة ١٢١هـ/٧٣٨م في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولما خرج جاءته طائفة كثيرة من أهل الكوفة الروافض وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نبايعك فأبى، فقالوا إذن نرفضك. وأما أنصاره المعروفون بالزيدية فقالوا: لا نتولاهما ونتبرأ ممّن تبرأ منهما. قال أبو حنيفة: "ما رأيتُ في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولاً". قُتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، وكان له من العُمر ٤٣ سنة. انظر عنه: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٣٢٥/٥)؛ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٥٨.

(٣) هو أبو الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي الدمشقي. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م. كان حسن السياسة، يقظًا في أمره، يباشر الأعمال بنفسه، جمّاعًا للمال. توفي بالرصافة بالقرب من مدينة الرقة في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، وكان له من العُمر ٥٣ سنة. انظر عنه: ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٩؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٣.

(٤) الأصفهاني: علي بن الحسين الأموي (ت٣٥٦هـ /٩٦٧م): مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص١٣٣.

وفي خضمّ جميع هذه الحوادث التي توالتْ على العلويين عبر السنوات؛ كان العباسيون جزءًا من زمرة "آل البيت العلوي"(١)، ولكنهم لم يجاهروا بالعداء لبني أمية بعد تنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة عام الجماعة، وكانوا يرون أن في رقبهم بيعة أموية لا يجوز الانفكاك عنها، ولهذا لم يناصروا الحسين ابن عليّ عند خروجه إلى العراق(٢)، كما أن الأمويين أغدقوا الصلات لبعض بني العباس إكرامًا للبيت الهاشمي(٣)، لاسيما بعد وقوفهم إلى جانب الخليفة الأموي عبد الملك(٤) بن مروان في صراعه ضد منافسه على الخلافة عبد الله بن الزبير في الحجاز، كما إن العباسيين التزموا الحياد وعدم التدخل في جميع الثورات التي خاضها العلويون ضد الأمويين(٥). ولكن عندما ضعُف أمر بني أمية أظهر العباسيون نصرتهم للعلويين كستار خفيّ

(١) يدلّ على ذلك شواهد تاريخية كثيرة؛ فأبي جعفر المنصور لما كان داعية للبيت العلوي ضمن الزمرة العباسية قُبيل سقوط الخلافة الأموية، كان من أبرز رواة حديث "غدير خُم" الشهير الذي يعتزّ به العلويون وعموم الشيعة. انظر: Muharrami, G. H., Limba, M. L., & al-Mahdi, I. (2010). History of Shi'ism: From the Advent of Islam up to the End of Minor Occultation.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٣٨٤/٥)؛ المسعودي: عليّ بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨م، (١٤/٢).

(٣) ومثال ذلك إكرام معاوية بن أبي سفيان ﷺ لعبد الله بن العباس ﷺ الذي كان يقدّر بني أمية وهو القائل في حقهم: "إذا ذهب بنو حرب (وحرب هو جدّ معاوية) ذهب حكماء قريش". مجهول (من أبناء القرن ٣هـ/٩م): أخبار الدولة العباسية: وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص٤٤.

(٤) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي. كان فقيهًا واسع العلم، متعبدًا ناسكًا. ولّاه الخليفة معاوية ﷺ على المدينة المنورة وهو ابن ستّة عشرة سنة، ثم انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ/٦٨٤م فضبط أمورها واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجّاج بن يوسف الثقفي. توفي بدمشق في شوال سنة ٨٦هـ/٧٠٤م، وكان له من العُمر ٦٠ سنة. انظر عنه: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (٢٣٣/٥)؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٢٣٩/٥).

(٥) مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص٢٣١؛ ابن الأثير: عليّ بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، (٢٥٩/٤).

للوصول إلى عرش الخلافة، فرفعوا شعار "الرضا لآل محمد" لكسب مزيد من جمهور العلويين، وجعلوا أمر البيعة للخليفة الجديد مجهولاً إمعانًا في الغموض والتستّر حتى لا يثيروا الأمويين والعلويين على حدٍّ سواء[١]، ولكن بسقوط الخلافة الأموية ونجاح الثورة ضد الأمويين، استأثروا بالحكم دون العلويين، وأرسل أول خليفة عباسي – وهو عبد الله السفاح[٢] – إلى شيخ العلويين محمد النفس الزكية[٣] طالبًا منه ومن أتباعه البيعة للخليفة الجديد[٤].

عوامل تفاقم الخلاف السياسي بين العلويين والعباسيين:

وهي عوامل متنوعة بعضها يُكمّل البعض الآخر وإن كان ظاهريًّا تبدو منفصلة، وقد تراكمت هذه العوامل مع الزمان واشتدّتْ مع تطور هذا الصراع لتبلغ مداها كلما اقتربنا من نهاية فترة العصر العباسي الأول، ولعل من أبرز هذه العوامل:

١– كان بداية الخلاف بين الطرفين عندما شعر قائد العلويين محمد النفس الزكية بغدر العباسيين بعد تحويل أمر الخلافة إلى فرعهم[٥]، لاسيما وأن العلويين كان لهم تاريخ طويل من النضال ضد بني أمية وقاسوا بسببه القتل والفقر والتّشريد[٦]،

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٥٧م، (١١/٢).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عليّ القرشي الهاشمي العباسي المدني، المعروف بالسّفاح وبالمرتضى وبالقائم. أول خلفاء بني العباس وأحد جبابرة الملوك الدهاة. بويع بالخلافة جهرًا في الكفّة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وكان كثير الحياء، حسن الأخلاق، عظيم الانتقام حيث تتبّع بقايا الأمويين من الأمراء وغيرهم بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والهاربين إلى الأندلس. توفي بالهاشمية بالأنبار سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، وكان له من العُمر ٣٢ سنة، ودام حُكمه أقلّ من خمس سنوات. انظر عنه: اليعقوبي: تاريخه، (٨٦/٣)؛ ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٦١.

(٣) ستأتي ترجمته المفصلة عند عرض أبرز الثورات العلوية ضد العباسيين في العصر العباسي الأول.

(٤) ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (٦٣/١٠).

(٥) وقد ذكر الأصفهاني أن أبا العباس السفاح وأخاه أبا جعفر المنصور كانت عليهما في أعناقهما أعناقهما بيعة لمحمد النفس الزكية قبل سقوط الدولة الأموية. مقاتل الطالبيين، ص٢٥١. وانظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥١٧/٧).

والتّشريد[١]، كما كان لهم فخرٌ كبير واعتزاز عريض بأصالة منبتهم وكرم محتداهم على جميع بطون قريش، ولهذا نجد النفس الزكية يرفض مبايعة العباسيين ويختفي عن الأنظار، ثم قام بإرسال دعاته السريين إلى الأمصار طالبًا البيعة لنفسه[٢]، وهذا عودًا على بدء في استمرار معارضته للحُكم القائم كما كان في العهد الأموي.

٢- كان من أسباب تعميق الخلاف العلوي العباسي وزيادة حدّة الأحقاد بين الطرفين، أن ثاني خلفاء بني العباس وهو أبو جعفر المنصور[٣] – وكان قائدًا سياسيًّا محنّكًا، شديد الجدّية، بعيدًا عن اللهو والعبث[٤] – قام ببناء عاصمة دولته في بغداد دون الكوفة أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة ابتعادًا منه عن مراكز أنصار العلويين النشطة والتي من الممكن أن تخرج منها ثورات تهدّد كيان الدولة الجديدة الناشئة، وقد ذكر السيوطي أن أبا جعفر المنصور "هو أول من أوقع الفُرقة بين ولد العباس وولد عليّ، وكان قبل ذلك أمرهم واحدًا"[٥].

٣- استأثر العباسيون عند قيام دولتهم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م بالمناصب العُليا في الدولة دون تمكين منافسيهم من العلويين ولو باليسير منها؛ فقد أسند الخلفاء العباسيون الولايات والوزارات لأبناء البيت العباسي[٦] ومن كان على ولائهم المطلق

---

(١) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٨م، ص٣٢٧.

(٢) اليعقوبي: تاريخه، (٣٥٣/٢).

(٣) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن عليّ بن العباس القرشي الهاشمي البغدادي، المعروف بالمنصور والملقب بأبي الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق (صغار العُملة). وُلّي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م. كان عارفًا بالفقه والأدب والفلسفة والفلك، محبًّا للعلماء، بعيدًا عن اللهو والعبث. توفي ببئر ميمون بالقرب من مكة محرمًا بالحج سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م، وكان له من العُمر ٦٣ سنة، وكانت مدة خلافته ٢٢ سنة. انظر عنه: ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٦٢؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٧٠/٨).

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٩.

(٦) ومن ذلك إسناد ولاية الشام إلى عبد الله بن علي العباسي، وإسناد ولاية الكوفة إلى عيسى بن موسى العباسي، وإسناد ولاية الحجاز ونجد واليمن إلى داود بن عليّ العباسي، وقد انتقلت هذه المناصب إلى أبنائهم من بعدهم. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٤٦٣/٧) وما بعدها.

من الموالي[١] الأعاجم، ومن أمثلة ذلك إسناد ولاية خُراسان[٢] والجبال للقائد العسكري أبي مسلم الخُراساني[٣]، وإسناد الوزارة للقائد السياسي أبي سلمة الخلال[٤].

٤- رفع العباسيون بعد تسنّمهم السلطة من وتيرة الدعاية لأنفسهم على أنهم من آل البيت المحمدي وأنهم الأحقّ في ميراث الخلافة النبوية لأنهم الأقرب إلى عترته

(١) الموالي: جمع مولى؛ وهذه الكلمة لها مواضع في كلام العرب؛ فلها معنى المالك، من وَليهُ ولايةً إذا ملكه، ولها معنى العبد، ولها معنى المعتق وهو مولى النعمة حيث أنعم على عبده بعتقه، ولها معنى الصاحب، ولها معنى القريب كابن العمّ ونحوه، ولها معنى الجار والحليف، وغيرها من المعاني الكثيرة. انظر: الزبيدي: محمد بن محمد المرتضى اليمني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد الفرّاج، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، (٢٤٢/٤٠)، مادة "ولي".

(٢) خُراسان: بلاد واسعة أول حدودها ممّا يلي العراق أزاذوار وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة، وتشتمل على أمهات المدن منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وقد فُتحت أكثر هذه البلاد عنوةً وصلحًا في عهد عثمان ﷺ. انظر: الإصطخري: إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٠هـ/٩٥٢م): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، (د.ت)، ص١٤٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٣٥٠/٢).

(٣) هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم – وقيل عبد الرحمن بن عثمان بن يسار – الفارسي الخراساني. أحد كبار قادة الدعوة العباسية. كان راوية للشعر، عارفًا بالأمور، قاسي القلب، لم يُر ضاحكًا ولا مازحًا إلا في وقته، تأتيه الانتصارات فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يُرى مكتئبًا. بدأ نشاطه بخراسان عندما اتصل بإبراهيم العباسي ثم بعد تسعة أعوام تحرك بالجيوش وهزم الأمويين في عدة مواقع حتى زالت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. قتله الخليفة أبو جعفر المنصور لعداوة مستترة كانت بينهما سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م، وكان له من العُمر يوم مقتله ٣٧ سنة. انظر عنه: ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م، ص١٨٥؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، (٤٠٥/٦).

(٤) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الهمذاني السبيعي مولاهم الكوفي، المعروف بالخلاّل لسكناه بدرب الخلالين بالكوفة، والمعروف كذلك بوزير آل محمد. كان داعية العباسيين حيث كان يحمل كتب إبراهيم الإمام إلى النقباء في خراسان، وقد أنفق أموالاً كثيرة في سبيل ذلك لأنه كان صيرفيًا ثريًا. ولما استقام الأمر للسفاح استوزره وجعله نديمه لما في حديثه من إمتاع وأدب، ولما كان عليه من علم بالسياسة والتدبير. اغتيل بالأنبار في رجب سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وذلك بعد أربعة أشهر من وزارته، وقيل أن السفاح توهم فيه الميل للعلويين فسلّط عليه أبا مسلم الخراساني فاغتاله. انظر عنه: الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، (٣٤٢/٤)؛ ابن خلكان: أحمد بن محمد البرمكي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، (د.ت)، (١٦٣/١).

ﷺ، واستعانوا في الوصول إلى تلك الغاية بأحاديث منتحلة مصنوعة موضوعة[١] للتدليل على أقوالهم[٢]، وكانت هذه الدعاية تتغذّى من مهاجمة خصومهم العلويين واستنقاصهم.

٥- قابل العباسيون الثوار ومن شكّوا في إمكانية الخروج على سلطتهم بالعنف والشدّة المفرطة، فاشتهر بعضٌ من ولاّة العباسيين وقادتهم العسكريين بما يُعرف في وقتنا الحضر بـ "جرائم الحرب"، وقد أعاد بعضهم بجرائمه سيرة الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي[٣] في شدّته على الخارجين والمعارضين للسلطة الأموية.

٦- استغلّ العباسيون سوء سيرة بعض الثوار العلويين، بسبب اعتدائهم على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم[٤]، فزادوا من حدّة الدعاية ضدهم لاسيما بعد قيام

(١) ومن هذه الأحاديث: قوله ﷺ: "العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا"، وقوله: "العباس عمّي وصنو أبي، فمن شاء فلْيُباه بعمّه"، وقوله: "استوصوا بعمي العباس خيرًا فإنه بقية آبائي، وإنما عم الرجل صنو أبيه"، وقوله: "ليوكنن في ولد العباس ملوك يلون أمر أمتي، يُعزّ الله تعالى بهم الدين". انظر: الطبراني: سليمان بن أحمد الشامي (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، (٢٩٢/٩)؛ المتقي الهندي: عليّ بن حسام الدين البرهان فوري (ت٩٧٥هـ/١٥٥٠م): كنز العمال، تحقيق: الشيخ بكري حياتي، تصحيح وفهرسة: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ، (٥١١/١٣)، (٢٦٤/١٤).

(2) Giv, A. L. (2016). The Effective Reasons for the Rise and fall of Abbasids State. Mediterranean Journal of Social Sciences, 7(3 S1), P. 449-449.

(٣) هو أبو محمد الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي. ولد ونشأ في الطائف، وكان في بدايته معلّمًا للقرآن، ثم انتقل إلى الشام، فعمل بالشرطة ، ثم ما زال يظهر حتى قلّده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عسكره وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فحاصره بمكة وقتله بعد أن هدم جزءً من الكعبة. ولّي بعدها مكة والمدينة والطائف، ثم أضيف إليه العراق فأخمد ثورته، وظلّ على الإمارة عشرين سنة إلى وفاته سنة ٩٥هـ/٧١٣م. كان ظالماً جلفًا سفّاكًا، ومن ضحاياه التابعي سعيد بن جبير رحمه الله. انظر عنه: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (١٢٣/١)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٢٢٢/٤).

(٤) الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، (١٩٥/٨). ومن أمثلة ذلك سوء السيرة مع أهل مكة التي قام بها الحسين بن الحسن الأفطس العلوي، وكان نائب أبي السرايا خلال ثورة ابن طباطبا على العباسيين سنة ١٩٩هـ/٨١٥م. ومنها ما وقع سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م عندما قام أحد العلويين بمهاجمة قافلة الحج التي تحمل كسوة الكعبة المعظمة فسلبها وسلب الحجاج المرافقين لها فدخلوا مكة في أسوأ حال. انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، (٣٦/٨)؛ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (٢٢٦/١).

بعض العلويين باقتحام بعض المدن (كالكوفة) وإخراج أنصار العباسيين ومواليهم وهدم دورهم ونهب أموالهم[١]. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن العباسيين قد نظموا جهاز الدعاية ونقل الأخبار عن المعارضين لهم بإتقان شديد، واستعملوا في ذلك جهاز البريد، "وكان نقل الأخبار في تلك الدولة المترامية الأطراف منظمًا أحسن تنظيم"[٢].

٧– اتّخذ العباسيون اللون الأسود شعارًا لهم إمعانًا في مخالفة العلويين الذين كان شعارهم اللون الأبيض[٣]، وقيل بل كان شعار العلويين هو اللون الأخضر[٤]. ومع مرور الزمن تحوّل العلويون بدورهم إلى فرقة دينية أساسها المذهب الشيعي، وهو ما عمّق الصراع الفكري ثم العسكري بين الطرفين، وقد خرجتْ الإسماعيلية[٥] الباطنية – التي أقامتْ الدولة العُبيدية[٦] (الفاطمية) لاحقًا – من رحم العلويين كفرقة دينية وليست سياسية.

---

(١) الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، (٨/٥٣١).
(٢) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص٥٣١.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٧/٣٠٨).
(٤) اليعقوبي: تاريخه، (٣/١٧٦).
(٥) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (ت١٤٣هـ/٧٦٠م)، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت ولكن حقيقتها هدم عقائد الإسلام. وعُرفوا بالباطنية لزعمهم أن لظواهر النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنة بواطن خفية وأسرار تخالف الظاهر. انظر: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، (١/١٩٢)؛ ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ، (١/١٦٤).
(٦) الدولة العُبيدية: أو الفاطمية؛ نسبةً إلى مؤسّسها عبيد الله المهدي الإسماعيلي، وهي دولة أعلنت الخلافة الإسلامية بالمهدية بتونس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م ثم انتقلت إلى مصر واتخذت من القاهرة عاصمة لها، وهي الدولة الوحيدة التي اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا رسميًّا لها. أنهى وجود هذه الدولة السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وأعلن الولاء للخليفة العباسي في بغداد. انظر: ابن شدّاد: يوسف بن رافع الموصلي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (١٢/٢٢٦).

٨– زاد اعتماد العباسيين التّدريجي على العناصر غير العربية في إدارة شؤون الدولة إمعانًا منهم في إبعاد العنصر العلوي عن الساحة العملية، لاسيما بعد المناصرة الكبيرة التي وجدتها الثورات العلوية من طرف بعض العرب الساخطين على السياسة العباسية(١)، وهي سياسة عملتْ على ترجيح كفّة الموالي الأعاجم على العرب والرّفع من منزلتهم(٢)، ولا أوضح من ذلك من المكانة الكبيرة التي وصل إليها البرامكة(٣) في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(٤)، بالرغم من النكبة التي حلّتْ بهم لاحقًا لأسباب لأسباب ما يزال الخلاف عليها قائمًا(٥).

(١) محمد الطيب النجار: الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص١٣٣.

(٢) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار المعلمين العالية، بغداد، ط١، ١٩٤٥م، ص٢٠٥.

(٣) البرامكة: هم أسرة من الفرس رأسها يحيى بن خالد بن برمك البغدادي، وكانوا مقرّبين إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد بعد أن تولّى أحد أبنائها – وهو جعفر بن يحيى – الوزارة لهارون الرشيد. وقد بلغ البرامكة من الجاه والرفعة والثراء مداه إلى أن نكبهم هارون الرشيد نفسه فقُتلوا جميعًا في ما عُرف بنكبة البرامكة، وذلك في صفر سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م. انظر: الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (٩٩/١٩)؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (٢١٩/١١).

(٤) هو أبو جعفر هارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور الهاشمي القرشي العباسي. تولّى الخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وهو ابن ٢٢ سنة. كان شجاعًا كثير الحج والغزو، حجّ في خلافته ثماني حجج وغزا ثماني غزوات، ولم يحجّ خليفة بعده. توفي بطوس في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م، وكان له من العُمر ٤٦ سنة، وكانت مدة خلافته٢٣ سنة وشهرين. انظر عنه: المرزباني: محمد بن عمران الخراساني (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م): معجم الشعراء، تحقيق: د. ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٤٦٢؛ الشابُشتي: عليّ بن محمد المصري (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م): كتاب الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص١٤٤.

(٥) محمود محمد زيادة: دراسات في التاريخ الإسلامي؛ من العصر العباسي إلى قُبيل العصر الحاضر، دار التأليف، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨هـ، ص١٣٣.

٩- امتدّ الخلاف العلوي والعباسي إلى خارج الحدود الجغرافية للمشرق الإسلامي، فانتقل إلى المغرب الإسلامي حين أنشأ العباسيون دولة الأغالبة[١] في المغرب الأدنى (تونس) لتمنع تمدّد الدولة الإدريسية[٢] في المغرب الأقصى (فاس).

(١) الدولة الأغلبية: أو الأغالبة؛ نسبةً إلى الأغلب بن سالم التميمي (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) جدّ الأغالبة ملوك تونس الموالين للخلافة العباسية، حيث قامت مملكتهم سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م واتخذت القيروان عاصمة لها، ثم اتخذ الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م رقّادة بتونس عاصمة بديلة للدولة الأغلبية. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٢١٧/٥)؛ السّلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت بعد ١٣١٦هـ/١٨٩٨م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، إشراف: محمد حجي وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، (٥٧/١).

(٢) الدولة الإدريسية: نسبة إلى مؤسّسها العلوي إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى (ت١٧٧هـ/٧٩٣م) المعروف بإدريس الأول، وكان قد هرب إلى بلاد المغرب الأقصى بعد فشل ثورة النفس الزكية بموقعة فخ بمكة، فعرّف بنفسه بين قبائل البربر ونجح في حدود سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م في إقامة دولة بسطت نفوذها في منطقة فاس خاصة، ودامت قرنين من الزمان حتى زالت في حدود سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م. وكان هذه الدولة هي أول دولة علوية قامت منذ تنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان. انظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٦٥/٤)؛ السّلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (٧٣/١).

أهم ثورات العلويين ضد الخلافة العباسية خلال العصر العباسي الأول:

كان من أسباب ضعف الخلافة العباسية ثم سقوطها لاحقًا هو كثرة الخارجين عليها من علويين وخوارج[١] وقرامطة[٢] وزنج[٣]، ولم ينجح العباسيون بعد استحواذهم على الخلافة منْ لمِّ شمل البيت الهاشمي، بسبب ظهور معارضة سياسية وعسكرية قوية من العلويين – الفرع الهاشمي الآخر – لحُكمهم، وكان الصراع العلوي العباسي طويلًا ومعقدًا ومتداخلاً طيلة مائة عام من قيام الدولة العباسية، وكان جانبًا كبيرًا منه اتخذ أسلوب المواجهة العسكرية في ما عُرف تاريخيًّا بالثورات العلوية، ولعلّ من أبرز هذه الثورات بحسب تسلسل وقوعها التاريخي:

(١) الخوارج: فرقة إسلامية أصلها جماعة الحروريّة الذين خرجوا على الخليفة عليّ ﷺ بحروراء بالقرب من مدينة الكوفة، ثم صارت الكلمة تُطلق على كل من خرج على الإمام الذي اتفقت عليه جماعة المسلمين. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص١١٤؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م، ص٣٢ .

(٢) القرامطة: فرقة من الباطنية يُنسبون إلى حمدان بن الأشعث المعروف بحمدان قرمط، وقد عُرف بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه، وكان حمدان قد ظهر بسواد الكوفة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م وقد سمي أتباعه باسمه، ثم ظهر بعده في الدعوة إلى هذه الفرقة أبو سعيد الجنابي الذي تغلب على ناحية البحرين وغيرها وعثا في الأرض فسادًا حتى قتله خادم له سنة ٣٠١هـ/٩١٣م. انظر: الإسفراييني: عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص٢٦٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (٦١/١١).

(٣) الزنج: هم العبيد السود الفارين من أسيادهم والذين ثاروا على الخلافة العباسية جنوب مدينة البصرة بزعامة قائدهم عليّ البرقعي، وكانت دعوته قد لقيت قبولاً بين أهالي هَجَر والبحرين والعراق، ووصل تعداد أتباعه إلى خمسة عشر ألف غلام، فعظُم شأنه وقويت شوكته، وامتدّت ثورته من سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م إلى سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م، حيث تمّ القضاء عليها عندما لجأ الخليفة المعتمد إلى أخيه الموفق ووضع في يده مقاليد الأمور، فسار الموفق إلى صاحب الزنج وقاتله ثلاث سنوات حتى استطاع قتله وإنهاء هذه الثورة. انظر: الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، (٤١٠/٩)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٢٠٤/٧)؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ/١٩٩١م، (٦٩/٢) وما بعدها.

١– ثورة محمد النفس الزكية[١]: وهي أولى ثورات العلويين ضد العباسيين بعد قيام دولتهم، وقد خرج النفس الزكية ثائرًا في رجب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بعد أن توفي والده محبوسًا في سجن العباسيين في العراق[٢]، فاستولى على المدينة وسجن واليها العباسي وأعلن نفسه أميرًا للمؤمنين وتلقّب بالمهدي[٣]، ولما تحرّك ضده جيش العباسيين حفر حول المدينة خندقًا تأسّيًا بما فعله النبيّ ﷺ في معركة الأحزاب[٤]، غير أن النصر كان حليفًا للعباسيين الذين قاموا بقتاله داخل أزقة المدينة فقتلوه في رمضان من نفس العام وقطعوا رأسه وأرسلوا به إلى الخليفة ببغداد[٥]، ولم تُفلح كذلك الثورات التي حاول النفس الزكية تفجيرها في ولايات عباسية أخرى بالموازاة مع قيام ثورته في المدينة، فقد قُتل أخوه إبراهيم بن عبد الله خلال ثورته في البصرة[٦]، وقُبض على ابنه عليّ بن محمد خلال محاولته الثورة في مصر[٧]، وكان أخوه إبراهيم قد خرج من البصرة لقتال الجيش الأموي، فقُتل بسهم غارب في ذي الحجة من نفس العام[٨]، وأما ابنه، عليّ فلم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل عن هذه المحاولة.

٢– ثورة الحسين بن عليّ بن الحسن[٩]: وهي الثورة الثانية من ثورات العلويين ضد العباسيين، وكان السبب المباشر لثورته ضد العباسيين سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م – أي بعد ربع قرن من

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن القرشي المدني، الملقّب بالنفس الزكية لزهده وتنسُّكه، ولقّب كذلك بالأرقط وبالمهدي وبالكامل وبصريح قريش. كان أحد الأمراء الأشراف من العلويين، وكان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وجود. هرب من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي سجن والده وبعض قرابته حتى توفوا بسجن الكوفة، فثار على السلطة العباسية بالمدينة المنورة والبصرة فقاتله العباسيون بالمدينة حتى قُتل في رمضان سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وكان له من العُمر يوم مقتله ٥٢ سنة. انظر عنه: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥١٧/٧)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤٤٠/٥).

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥٤٨/٧).

(٣) المصدر نفسه، (٥٥٤/٧).

(٤) معركة الأحزاب: أو غزوة الخندق، وكانت بين المسلمين والكفار سنة ٥هـ/٦٢٦م، وكان سلمان الفارسي ﷺ هو من أشار على النبيّ ﷺ بحفر الخندق حول المدينة. انظر: ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (٦٤١/٢).

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٤٤١/٥).

(٦) خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخه، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٢٤٩.

(٧) الكندي: محمد بن يوسف المصري (ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٥م): ولاّة مصر، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص١٣٦.

(٨) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٣١٥.

(٩) هو أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب العلوي المدني، المعروف بالحسين بصاحب فخ. كان من الشجعان أهل الجود، وكان مقربًا من=

ثورة سلفه النفس الزكية – هو ما قام به والي المدينة المنورة العباسي من التضييق على العلويين وضرب بعضهم ومحاولة إهانتهم[١]، غير أن هذا الفعل من الوالي كان السبب المباشر فحسب، وإلاّ فإن نار الغضب والانتقام كانت تسري في دماء العلويين منذ ثورة النفس الزكية، بسبب ما حدث فيها من قتل وتشريد وتغريب لأهل البيت العلوي. وقد سيطر الحسين بن عليّ على المدينة بعد قتال من فيها من العباسيين في خلال أقلّ من شهر[٢]، ثم خرج في نحو ثلاثمائة من أصحابه وأهل بيته فقصد مكة المكرمة، وقد تبعه ناس من الأعراب – لأجل الغنائم المرتقبة – من جهينة[٣] ومزينة[٤] وغفار[٥] وغيرهم، ونزل بفخ[٦] خارج مكة في ذي القعدة من نفس العام،

=الخليفة العباسي المهدي الذي كان يجزل له الصلات، ثم ثار بالمدينة على السلطة العباسية في عهد الخليفة الهادي بسبب ظلم والي المدينة العباسي للعلويين، فقاتله العباسيون في الحجاز ثم قتلوه بمكة في منطقة فخ (الزاهر) في ذي الحجة سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م وحُمل رأسه إلى بغداد، وكان له من العمر يوم مقتله ٤١ سنة. انظر عنه: الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٢٨٨؛ ابن خلدون: كتاب العبر، (٢١٥/٣).

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٢٩٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (١٩٥/٨).

(٣) جُهينة: واحده جُهني؛ وهي قبيلة عربية حجازية قضاعية عدنانية تُنسب إلى جهينة بن زيد بن ثابت بن ليث بن سور بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، وهي من أقدم القبائل التي سكنت في الجهات الغربية للمدينة المنورة، حيث بعد خروج كثير من القبائل الحجازية مع الفتوحات الإسلامية انحاز من بقي من قبائل جهينة باتجاه الغرب على الضفاف الغربية لوادي ينبع. انظر: محمد بن نايف العرفي: جهينة ماضيها وحاضرها، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٧هـ، ص٢٢؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ، (٢١٤/١).

(٤) مزينة: واحده مزيني؛ وهم بنو أد بن طابخة بن إلياس، من مضر، من العدنانية، ومزينة – وهي بنت كلب بن وبرة – هي أمهم وقد نُسبوا إليها وبها يعرفون. من فروع قبيلة مزينة الجرسي والهذمي والثعلبي وغيرهم. ومن مزينة الصحابي الجليل النعمان بن مقرن، والشاعر الشهير زهير بن أبي سلمى. انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، (٦٥/٤)؛ السمعاني: عبد الكريم بن محمد التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (٤٤/٢).

(٥) غفار: واحده غفاري؛ وهم بنو غفار بن مليل بن ضمْرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، من مضر، من العدنانية. وهم بطن كبير، من فروعهم النعيلي والحاجبي وغيرهما. ومن غفار الصحابي الجليل جندب بن جنادة أبي ذر الغفاري. وقد ورد ذكر غفار في أحاديث عدة من دعاء النبيّ ﷺ لهم وثنائه عليهم. انظر: ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م): جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (١٨٦/١)؛ السمعاني: الأنساب، (٣٠٤/٤).

(٦) فخّ: هو وادي فخ أو وادي سرف المعروف بوادي مكة الأعظم، وقد عُرف في ما بعد بوادي الزاهر. يقع شمال شرق الحرم المكي باتجاه الغرب، بين عُمرة التنعيم والمسجد الحرام، على بُعد ١٣ كلم منه. وهو من روافد وادي مرّ الظهران. انظر: الزمخشري: محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م): الجبال والأمكنة=

فقاتل جيش العباسيين حتى قُتل بها ومن معه يوم التروية من ذي الحجة، وحُمل رأسه إلى بغداد[١]. وما يلاحظ على هذه الثورة أن العلويين أصبحوا بعد ربع قرن من ثورة النفس الزكية أضعف قوّة وأقلّ أنصارًا مقابلة بقوة خصومهم العباسيين الذين كانت هيبتهم تملأ الآفاق بسبب قوة الخلفاء في بغداد ونفاذ كلمتهم في الرعية.

٣- ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن[٢]: وكان أحد الناجين من معركة فخ مع ابن عمّه النفس الزكية سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م، وقد ألجأه هروبه من العباسيين إلى عدّة بلدان حتى استقرّ في بلاد الديلم[٣]، ثم أخذ سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م يدعو الناس إلى نفسه، فتجمّع حوله أنصار العلويين وقويت شوكته ونزع إليه الناس من الأمصار[٤]، فتحرّك ضده الجيش العباسي بقيادة أحد البرامكة المقربين من الخليفة العباسي هارون الرشيد، وهو الفضل بن يحيى البرمكي (ت١٩٣هـ/٨٠٨م)، ثم بذل القائد البُرمكي الأمان والمال ليحيى مقابل تسليم نفسه ورضا الخليفة عليه[٥]، فخاف يحيى من غدر ملك الديلم (لم تذكر المصادر التاريخية اسمه) به مقابل المال[٦]، فسلّم نفسه إلى

=والمياه، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٢م، ص٦٤؛ عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص٢٣٤.

(١) ابن خلدون: كتاب العبر، (٢١٦/٣).

(٢) هو أبو الحسن يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب العلوي المدني، المعروف بيحيى صاحب الديلم. كان شهمًا جوادًا، مقدّمًا في أهل بيته، شديد الاعتزاز بنفسه، تخرّج في العلم على يدي مالك بن أنس في المدينة، وكان راويًا للفقه والحديث. توفي في نحو سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، وكان له من العُمر ٦٥ سنة. انظر عنه: الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٢٨٨؛ ابن فندمه: عليّ بن زيد البيهقي (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م): لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مركز الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، قم، ط٢، ٢٠٠٧م، (٤١٢/١).

(٣) الديلم: منطقة جبيلة يحدها من الجنوب قزوين والطّرم وجزء من أذربيجان والري، ومن الشرق بقية الري وطبرستان، ومن الشمال بحر الخزر، ومن الغرب جزء من أذربيجان والرّان، وهي قسمان: قسم سهلي وقسم جبلي. انظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٢١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٢٤٢/٨).

(٥) ابن عنبة: أحمد بن عليّ الحسيني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص٢٥٣.

(٦) ابن خلدون: كتاب العبر، (٢١٨/٣).

العباسيين وعاش ببغداد مكرّمًا مع سبعين من أصحابه الثوار لفترة من الزمن[١]، وهذا قبل أن يشكّ فيه هارون الرشيد بأنه يُدبّر سرًّا لثورة علوية أخرى[٢]، فقام الخليفة بسجنه وظلّ بمحبسه إلى أن مات مريضًا وقيل مسمومًا[٣]، وقيل بل أُطلق من سجنه ومات بعد ذلك بشهر[٤].

٤– ثورة محمد بن إبراهيم ابن طَبَاطِبَا[٥]: كان محمدٌ هذا مقيمًا بالمدينة المنورة، وقد استغلّ اضطراب أمر العباسيين بسبب الفتنة السياسية التي وقعت بين الأخوين محمد الأمين[٦] وعبد الله المأمون[٧] في العراق، فخرج على العباسيين بمساعدة أحد

(١) الخطيب: أحمد بن عليّ البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (١٤/١١٠).
(٢) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٤٦٧.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٨/٢٥١)؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (٥/٢١).
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٣/٥٨٢).
(٥) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب العلوي الزيدي المدني، المعروف بابن طَبَاطِبَا. لم تُشر المصادر إلى معلومات عن تفاصيل حياته ما عدا ما ذُكر عن ثورته القصيرة. توفي بالكوفة في الأول من شعبان سنة ١٩٩هـ/٨١٥م، وكان له من العُمر ٢٦ سنة. انظر عنه: الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، (١/٢٥٦)؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (١٠/٢٦٦).
(٦) هو أبو عبد الله – ويقال أبو موسى – محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي القرشي البغدادي. لم يكن في الخلفاء هاشميّ الأبوين غير عليّ بن أبي طالب ﷺ والأمين. تولى الخلافة بعد موت والده الرشيد سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م واستمر عليها أربع سنين وسبعة أشهر، منها الأشهر الأخيرة التي كان فيها مخلوعًا مطاردًا إلى أن قُتل ببغداد سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، وكان له من العُمر ٢٨ سنة، وذلك بعد الفتنة التي جرت بينه وبين أخيه عبد الله المأمون، بعد خلع الأمين لأخيه من ولاية العهد وتوليتها ابنه موسى الطفل الصغير. انظر عنه: الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، (٥/٢٦)؛ ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٨٩.
(٧) هو أبو العباس عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد ابن محمد المهدي العباسي القرشي البغدادي. برع في الفقه والعربية والتاريخ وعني بالفلسفة وعلوم الأوائل وشهر فيها وكان هذا سببًا لميله إلى القول بفتنة خلق القرآن. توفي ببغداد سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م، وكان له من العُمر ٤٨ سنة. انظر عنه: الذهبي: تاريخ الإسلام، (١٥/٢٢٥)؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (١٠/٢١٨).

الثوار – الخارجين سلفًا عل العباسيين – وهو السّري بن منصور[١]، وأعلن ثورته في الكوفة في جمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ/٨١٥م[٢]، ولكنه لم يلبث أن توفي بمرض الجنب، وقيل بل قُتل مسمومًا من طرف السّري بن منصور نفسه؛ لأنه لم يُنصفه في قسمة الغنائم[٣]، وكان ذلك بعد شهرين من إعلان ثورته. وبالرغم من أن ابن طَبَاطِبَا قد عهد قبل موته إلى أحد أفراد البيت العلوي بأن يخلفه[٤]، إلا إن جيوش العباسيين قضتْ بشكل كامل وفي مدة وجيزة على خلفه[٥] بالرغم من المكاسب الميدانية التي حقّقها لبعض الوقت[٦]، فانتهى أمر هذه الثورة كسابقتها بالفشل الذريع.

وما يمكن قوله حول جميع هذه الثورات العلوية التي اندلعتْ شرارتها في العصر العباسي الأول، هو أنها لم توفّق في المضيّ قُدمًا نحو السيطرة على عرش الخلافة العباسية بالرغم من الحاضنة الشعبية القوية التي تمتّع بها العلويون – في ظروف معينة وليس على إطلاقها – في مختلف المناطق المشرقية والمغربية على حدٍّ سواء، وهذا لأصالة محتذاهم وقربهم من الفرع النبوي الطاهر، ولكن قوة خصومهم العباسيين خلال المائة عام الأولى من قيام دولتهم جعلتهم يقضون على هذه الثورات في مهدها، حيث استخدموا سياسة القوة واللّين معًا، واستعملوا منهج الترغيب والترهيب جميعًا

(١) هو أبو السرايا السّري بن منصور الشيباني العلوي. كان في أول أمره يكري الحمير، ثم قوي حاله وصار يقطع الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بأرمينية فجعله في القواد فاشتهر بالشجاعة. ولما وقعت فتنة الأمين والمأمون انتقل إلى معسكر القائد العباسي هرثمة بن أعين وصار يُلقّب بالأمير، ثم خالف هرثمة وتمرّد واستولى على المناطق فكثُر جمعه، ثم تحالف مع ابن طَبَاطِبَا العلوي وتولى قيادة جنده، فعظُم أمره واستفحل إلى أن تتالتْ جيوش العباسيين لحربه فقُتل سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م وأُرسل رأسه إلى الخليفة المأمون في بغداد. انظر عنه: الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص٣٣٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، (١٤٤/٣).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخه، ص١٤٠.

(٣) الذهبي: العبر في خبر من غبر، (٢٥٦/١).

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، (٣١/٤).

(٥) وهو العلوي محمد بن محمد بن زيد بن عليّ، وكان منقادًا للقائد العسكري العلوي أبي السرايا بخلاف ابن طباطبا. انظر: مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ص٤٢٠.

(٦) اليعقوبي: تاريخه، (٤٤٥/٢).

لتخويف خصومهم أو لجلبهم إلى جانبهم[١]، كما أن العلويين بدورهم تسبّبوا في إخفاق ثوراتهم بسبب تفرّقهم وتشرذمهم من جهة[٢]، وبسبب ضُعف إمكانياتهم المالية والمادية من جهة أخرى، غير أن الثورات العلوية لم تنته بانتهاء ثورة ابن طَبَاطِبَا سنة ١٩٩هـ/٨١٥م، بل استمرّت ثورات العلويين متتالية لقرون أخرى من الزمان، وأوضح مثال على ذلك ما وقع سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م – أي بعد أشهر قليلة من ثورة ابن طَبَاطِبَا – عندما قام أحد العلويين بالهجوم على قافلة الحج التي تحمل كسوة الكعبة المعظمة وطيبها فسلبها وجعل الحجاج يذهبون إلى مكة في أسوأ حال وأقبح منظر وهم عُراة منهوبين[٣].

(١) ومن ذلك تمكّن الخليفة أبو جعفر المنصور من استمالة أحد كبار شيوخ العلويين وهو الحسن بن زيد إلى صفّ العباسيين بالرغم من وقوف ولديه عليّ وزيد مع محمد النفس الزكية في ثورته الأولى على العباسيين، وبلغ الأمر بالحسن بن زيد أن كان ينقل أخبار المعارضين العلويين إلى أبي جعفر المنصور. وقد كافأ العباسيون الحسن بن زيد ونصّبوه أميرًا على المدينة المنورة، وظل على ولائه لهم إلى وفاته سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، (٥١٨/٧، ٥٢٢)؛ ابن خلكان: وفات الأعيان، (٨٤/٥).

(٢) حيث انتهت هذه الثورات بانقسام البيت العلوي إلى فرعين: فرع زيدي دعا إلى ضرورة الثورة على الظلم واستمرّ في ذلك لبعض الوقت، وفرع إمامي (رافضي) اختار الاستكانة والبُعد عن العمل السياسي واستخدام التُّقية.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (٢٢٦/١)؛ الفاسي: محمد بن أحمد المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (١٨٣/٢).

الخاتمة

وبعد؛ فمن خلال سوْق أبرز حوادث الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسيين في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٧م)، فإنه يمكننا في ما يلي الوصول إلى أهمّ النتائج المرجوّة من هذه الدراسة، وهي كالتالي:

– تعوذ الجذور التاريخية للصراع العلوي العباسي ضمن البيت الهاشمي الواحد إلى ما قبل الإسلام عندما وقع الخصام بين جدّ النبيّ ﷺ هاشم بن عبد مناف مع ابن أخيه أمية بن عبد شمس، ثم اشتدّ عند البعثة النبوية بعد معارضة بنو أمية للدعوة المحمدية بمكة.

– رفع العباسيون قبل قيام دولتهم الشعار العلوي وهو "الرّضا من آل محمد"، واستخدموه في حشد الأنصار، كما استخدموا المراكز الدعوية العلوية الرئيسة في الكوفة وخراسان والحجاز مواضع لهم لكسب مزيد من المؤيّدين.

– التزم العباسيون الحياد وعدم التدخل في جميع الثورات التي خاضها العلويون ضد الأمويين، غير أنهم أظهروا نصرتهم للعلويين بعد ضعف الأمويين كستار خفيّ للوصول إلى عرش الخلافة.

– استخدم العباسيون الحاضنة الشعبية العلوية أثناء صراعهم المرير ضد الأمويين، وكانوا خلال ذلك يوهمون قادة العلويين بأنهم هم من سيتولّى سدّة الحُكم بعد إنهاء الدولة الأموية.

– أحسن العباسيون استغلال المخلصين من الدعاة والقادة العسكريين من الأعاجم ووظّفوهم في نجاح ثورتهم ضد الأمويين أولاً ثم في مجابهة أعدائهم من الثوار العلويين آخرًا، وكان بعض هؤلاء الدعاة والقادة – كأبي مسلم الخراساني – من المتشيّعين للعلويين، ولكن الدهاء السياسي العباسي تمكّن من تسخير هذا الرجل للوصول إلى عرش الخلافة ثم القضاء عليه بعد انتهاء مهمته.

– نظر العباسيون دائمًا إلى العلويين على أنهم مصدر خطر حقيقي على سُلطتهم بسبب الولاء العريض والحاضنة الشعبية الواسعة التي تمتع بها العلويون منذ نضالهم المشترك مع العباسيين ضد السلطة الأموية.

– أصرّ العلويون على مجابهة العباسيين بعد قيام دولتهم لاعتقادهم الراسخ بأنهم الأحق بعرش الخلافة باعتبارهم الأقرب إلى النبيّ ﷺ والأحق في ميراثه، وباعتبار أنهم الأكثر شعبية من حيث شيعتهم وأنصارهم المتواجدون في مختلف بلدان الدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

– كان ممّا عمّق الخلاف بين العباسيين والعلويين بعد قيام الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م هو استئثار العباسيين بالمناصب العُليا في الدولة من ولايات ووزارات دون تمكين العلويين منها، وفضّلوا تمكينها للأعاجم والموالي المخلصين للبيت العباسي.

– كان الصراع العلوي العباسي طويلًا ومعقدًا ومتداخلاً طيلة مائة عام الأولى من قيام الدولة العباسية، وكان جانبًا كبيرًا منه قد اتخذ أسلوب المواجهة العسكرية في ما عُرف تاريخيًّا بالثورات العلوية.

– استخدم العباسيون مع خصومهم العلويين سياسة الترغيب والترهيب؛ فكانوا يصلونهم بالعطايا والهبات والأموال في حالات السلم والرّضا، وكانوا يهاجمونهم بالجيوش فيقتلون منهم ويشرّدون في حالة ثورة العلويين ضدهم.

– وصل العباسيون في سياستهم التودّدية لكسب قلوب وولاء العلويين أن أشركوهم في جوانب من الحُكم بتوليتهم بعض الولايات، بل وجعل الخليفة المأمون وليّ عهده من البيت العلوي ولو لبعض حين.

– استعان العباسيون بأحاديث موضوعة للتدليل على حقّهم في الخلافة دون البيت العلوي، واستعانوا في ذلك بأدعياء العلم ممّن رضي بهذا العمل مقابل المال الجزيل.

– أحسن العباسيون استغلال موارد الدولة المالية، وإمكانياتها البشرية (من آل العباس أنفسهم ومن الأعاجم)، ووسائل الدعاية الإعلامية، ووظّفوا جميع ذلك في مجابهة العلويين وغيرهم من الخارجين على سلطانهم.

– كان من نتائج ثورات العلويين ضد الخلافة العباسية أن جلبتْ تلك الثورات على آل عليّ ﷺ الويلات والمآسي، فنشأ عن ذلك – مع مرور الزمان – غلوٌّ مفرط في التشيّع لآل البيت العلوي، ويظهر في الفرق الشيعية المختلفة التي دوّنتْ كُتب التاريخ والعقائد أخبارها ومبادئها، ولا يزال بعضها معروفًا إلى وقتنا الحاضر.

– انتقل الصراع العلوي والعباسي إلى خارج الحدود الجغرافية للمشرق الإسلامي وتحديدًا في المغرب الإسلامي عندما أقام العباسيون دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس) لمجابهة تمدّد الدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى.

– بسبب الفشل الذريع لثورات العلويين؛ وبسبب الانتقام السريع من خصومهم العباسيين، فإن العلويين قد اتّخذوا – بعد العصر العباسي الأول – في معارضتهم للعباسيين نهجًا مغايرًا تمامًا عمّا سبق، عندما استخدموا السّرية والتُّقية في تحرّكاتهم، كما نقلوا ميدان الصراع من العراق والحجاز إلى المناطق النائية من العالم الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير: عليّ بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣- ابن حجر: أحمد بن عليّ العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عليّ محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن حزم: عليّ بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٧٢م):

٤- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ.

٦- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٧- ابن خلكان: أحمد بن محمد البرمكي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، (د.ت).

٨- ابن سعد: محمد بن سعد البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٩- ابن شدّاد: يوسف بن رافع الموصلي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٠- ابن عبد البرّ: يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١١- ابن عبد ربه: أحمد بن محمد القرطبي (ت٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، درا الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

١٢– ابن العمراني: محمد بن عليّ الحنبلي (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٣– ابن عنبة: أحمد بن عليّ الحسيني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، عني بتصحيحه: محمد حسن آل الطالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف، (د.ط)، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٤– ابن فندمه: عليّ بن زيد البيهقي (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م): لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مركز الدراسات لتحقيق أنساب الأشراف، قم، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٥– ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

١٦– ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٧– ابن منظور: محمد بن مكرم الإفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م): مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

١٨– أبو حنيفة: أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

١٩– الأزرقي: محمد بن عبد الله المكي (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الثقافة، مكة، ط٤، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٠– الإسفراييني: عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٢١– الأشعري: عليّ بن إسماعيل البصري (ت٣٢٤هـ/٩٣٦م): مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، فيسبادن، (د.ط)، (د.ت).

٢٢– الإصطخري: إبراهيم بن محمد الفارسي (ت٣٤٠هـ/٩٥٢م): المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١، (د.ت).

٢٣– الأصفهاني: علي بن الحسين الأموي (ت٣٥٦هـ /٩٦٧م): مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٢٤– البلاذري: أحمد بن يحيى البغدادي (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): أنساب الأشراف (المعروف بالقرابة وتاريخ الأشراف)، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م.
٢٥– الخطيب: أحمد بن عليّ البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م):
٢٦– تاريخه، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم ومؤسسة الرسالة، دمشق – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.
٢٧– الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
٢٨– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٩– العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
٣٠– الزبيدي: محمد بن محمد المرتضى اليمني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد الفرّاج، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.
٣١– الزمخشري: محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/١١٤٤م): الجبال والأمكنة والمياه، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٢م.
٣٢– السّلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت بعد ١٣١٦هـ/١٨٩٨م): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، إشراف: محمد حجي وآخرون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٣٣– السمعاني: عبد الكريم بن محمد التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣٤– السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
٣٥– الشابُشتي: عليّ بن محمد المصري (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م): كتاب الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
٣٦– الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، بيروت، ط١ ، ١٤٠٤هـ.
٣٧– الطبراني: سليمان بن أحمد الشامي (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣٨– الطبري: محمد بن جرير الشافعي (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
٣٩– الفاسي: محمد بن أحمد المكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٤٠– الكندي: محمد بن يوسف المصري (ت بعد ٣٥٥هـ/٩٦٥م): ولاّة مصر، تحقيق: حسين نصار، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٤١– المتقي الهندي: عليّ بن حسام الدين البرهان فوري (ت٩٧٥هـ/١٥٥٠م): كنز العمال، تحقيق: الشيخ بكري حياتي، تصحيح وفهرسة: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
٤٢– مجهول: (من أبناء القرن ٣هـ/٩م): أخبار الدولة العباسية: وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
٤٣– المرزباني: محمد بن عمران الخراساني (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م): معجم الشعراء، تحقيق: د. ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٤٤– المسعودي: عليّ بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨م.
٤٥– مسكويه: أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٢٩م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ١٣٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٦– المقريزي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٤٥هـ/١٤٦١م): إمتاع الأسماع بما للنبيّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠/١٩٩٩م.

٤٧– ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٨– اليعقوبي: أحمد بن إسحاق الكاتب (ت٢٩٢هـ/٩٠٥م): تاريخه، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ثانيا: المراجع العربية:

١– البلادي: عاتق بن غيث: معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، دار مكة، مكة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢– حتّي: فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مراجعة وتحرير: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٣– حسن: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٥٧م.

٤– حسين: طه: الفتنة الكبرى: عليّ وبنوه، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٦م.

٥– الدوري: عبد العزيز: العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار المعلمين العالية، بغداد، ط١، ١٩٤٥م.

٦– دوزي: رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الرشيد، حلب، (د.ط)، ٢٠٠١م.

٧– زيادة: محمود محمد: دراسات في التاريخ الإسلامي؛ من العصر العباسي إلى قُبيل العصر الحاضر، دار التأليف، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨٨هـ.

٨– اسْفنديار: بهاء الدين محمد: تاريخ طبرستان، تعريب: أحمد بن محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٩– شاكر: محمود: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٠– طقوش: محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١– طوفان: وداد حسين عبد: مدينة الكوفة: عمارتها، نشأتها، تطوُّرها، منشورات جامعة القادسيّة، بغداد، ط١، ٢٠١٧م.
١٢– عبد الرزاق: محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.
١٣– العرفي: محمد بن نايف: جهينة ماضيها وحاضرها، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، ١٤٢٧هـ.
١٤– فلهوزن: يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٨م.
١٥– كحالة: عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ.
١٦– النجار: محمد الطيب: الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ثالثا: المراجع العربية:

1- Cosman, M. P., & Jones, L. G. Handbook to Life in the Medieval World, (2009), 3-Volume Set. Infobase Publishing.
2- Giv, A. L. (2016). The Effective Reasons for the Rise and fall of Abbasids State. Mediterranean Journal of Social Sciences, 7(3 S1).
3- Muharrami, G. H., Limba, M. L., & al-Mahdi, I. (2010), History of Shi'ism: From the Advent of Islam up to the End of Minor Occultation.

ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس
منذ عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف
(١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م)

أ.م.د. أنـــور محمود زنـاتي
الأستاذ المساعد بكلية التربية
جامعة عين شمس

الملخص:

يتناول البحث ظاهرة العزوف عن الزواج كنموذج من نماذج الأزمات الاجتماعية في الأندلس، ودراسة أسباب هذه الظاهرة ونتائجها.

ورغم أهمية الظاهرة وعمقها الاجتماعي المؤثر، إلا إنها لم تحظ باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين، ومن هنا جاءت أهمية البحث الذي يعمل على دراسة تلك الظاهرة، وتم ضرب أمثلة عبر الوجود الإسلامي في الأندلس خاصة في الفترة من ١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م، وطول الفترة الزمنية مطلوب في البحث؛ لأن طبيعة الموضوع وندرته تحتاج ذلك؛ ليتسنى لنا تتبع الفكرة بين ثنايا المصادر عبر العصور التارخية في الأندلس؛ ولذا احتاج البحث إلى الدرس والفحص بين ثنايا المصادر منها كتب التاريخ والأدب والفتاوى والنوازل والمناقب والوَثَائِق والعقود والتصوف والكرامات والأمثال، إلخ؛ نظرًا لأن العزوف عن الزواج في حد ذاته لم يتناوله مؤلف بعينه ومن هنا جاءت أهمية البحث.

أهداف الدراسة:

١- رصد ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس كنموذج من نماذج الأزمات الاجتماعية.

٢- دراسة الأسباب التي أدت لوجود ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس.

٣- الإسهام بقراءة نقدية لظاهرة كانت لها نتائج اجتماعية مؤثرة في بلاد الأندلس.

خطة الدراسة:

هذا، وقد قسَّمتُ الدراسة إلى **مقدمة** وثلاثة محاور أساسية، وخاتمة وملاحق: تضمن المحور الأول: **العزوف عن الزواج في الأندلس (الأسباب).**

وتناول المحور الثاني: **العزوف عن الزواج في الأندلس (النتائج).**

وجاء المحور الثالث ليتناول(**العازفون عن الزواج) الشخصيات.**

ثم جاءت الخاتمة وملاحق الدراسة وقائمة المصادر والمراجع.

المنهج المتبع:

قمت بالاعتماد على المنهج التاريخي كما تطلب البحث أحيانا استخدام الأسلوب التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظواهر واستقرائها.

الكلمات المفتاحية:

الزواج في الأندلس– العزوف عن الزواج في الأندلس– المجتمع الأندلسي– الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي.

Summary

The phenomenon of reluctance to marry in Andalusia From the era of the Umayyad Emirate until the end of the era of sects (138-483 AH / 755-1090 AD) (Causes-Effects-Persons)

The research deals with the phenomenon of reluctance to marry as a model of social crises in Andalusia, and studies the causes and consequences of this phenomenon. Despite the importance of the phenomenon and its influential social depth, it did not receive the attention of ancient and modern historians, hence the importance of the research that studies this phenomenon. In the research, because the nature of the subject and its rarity need that in order to be able to trace the idea between the folds of the sources through the historical ages in Andalusia; Therefore, the research needed to study and examine between the folds of the sources, including history books, literature, fatwas, calamities, virtues, documents, contracts, mysticism, dignity, proverbs, etc., given that the reluctance to marry in itself was not addressed by a specific author, hence the importance of the research.

Objectives of the study:

1- Monitoring the phenomenon of reluctance to marry in Andalusia as a model of social crises.

2- Studying the reasons that led to the phenomenon of reluctance to marry in Andalusia.

3- Contributing to a critical reading of a phenomenon that had influential social consequences in the country of Andalusia.

Study plan:

The study was divided into an introduction, three chapters, a conclusion and appendices: The first topic included: the reluctance to marry in Andalusia (the reasons). The second topic: Reluctance to marry in Andalusia (results). The third topic deals with those who are distracted from marriage (characters). Then came the conclusion and appendices of the study and a list of sources and references.

Approach:

I relied on the historical method, as the research sometimes required the use of the analytical method, as well as the descriptive method, which is based on describing and extrapolating phenomena.

key words: Marriage in Andalusia – Reluctance to marry in Andalusia – Andalusian society – Social life in the Islamic West.

تقديم الموضوع وأهميته:

يتناول البحث ظاهرة العزوف عن الزواج كنموذج من نماذج الأزمات الاجتماعية في الأندلس، ودراسة أسباب هذه الظاهرة ونتائجها.

ورغم أهمية الظاهرة وعمقها الاجتماعي المؤثر، إلا إنها لم تحظ باهتمام المؤرخين القدامى والمحدثين، ومن هنا جاءت أهمية البحث الذي يعمل على دراسة تلك الظاهرة، وتم ضرب أمثلة عبر الوجود الإسلامي في الأندلس خاصة في الفترة من ١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م، وطول الفترة الزمنية مطلوب في البحث؛ لأن طبيعة الموضوع وندرته تحتاج ذلك؛ ليتسنى لنا تتبع الفكرة بين ثنايا المصادر عبر العصور التارخية في الأندلس؛ ولذا احتاج البحث إلى الدرس والفحص بين ثنايا المصادر، منها كتب التاريخ والأدب والفتاوى والنوازل والمناقب والوَثَائِق والعقود والتصوف والكرامات والأمثال إلخ؛ نظرًا لأن العزوف عن الزواج في حد ذاته لم يتناوله مؤلف بعينه، ومن هنا جاءت أهمية البحث.

كما تكتسب دراسة تلك الظاهرة أهميتها من أنها ترصد الظاهرة وأسبابها ونتائجها المتعددة لتعطي إضاءات حول الحياة الاجتماعية في دولة الإسلام في الأندلس.

بطبيعة الحال لرصد أي ظاهرة بعينها بدقة، لابد أن تمتد عبر فترة زمنية طويلة لتصلح أن يُطلق عليها ظاهرة اجتماعية، وشملت الدراسة العزوف عن الزواج سواء الرجال أم السيدات.

أهداف الدراسة:

١- رصد ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس كنموذج من نماذج الأزمات الاجتماعية.

٢- دراسة الأسباب التي أدت لوجود ظاهرة العزوف عن الزواج في الأندلس.

٣- الإسهام بقراءة نقدية لظاهرة كانت لها نتائج اجتماعية مؤثرة في بلاد الأندلس.

خطة الدراسة:

هذا وقد قسَّمتُ الدراسة إلى **مقدمة** وثلاثة محاور وخاتمة وملاحق:

تضمن المحور الأول: **العزوف عن الزواج في الأندلس (الأسباب)**.

وتناول المحور الثاني: **العزوف عن الزواج في الأندلس (النتائج)**.

وجاء المحور الثالث ليتناول "**العازفون عن الزواج**" **(الشخصيات)**.

ثم جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج ثم توصيات وملاحق الدراسة وقائمة المصادر والمراجع.

المنهج المتبع:

قمت بالاعتماد على المنهج التاريخي كما تطلب البحث أحيانا استخدام الأسبوب التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظواهر واستقرائها.

العزوف عن الزواج في الأندلس
(الأسباب)

الزواج سنة من سنن الله في الكون، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (١). والزواج في الشريعة الإسلامية أمر مرغوب فيه، ومحضوض عليه. وقد أمر الشرع الحنيف به أمرًا أكيدًا لمن خشي العنت والزنا، وجعل الإسلام للزواج أهمية كبرى في حياة العباد، أفرادًا وجماعات، فجعل التزاوج قاعدة لجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ (٢).

العزوف لغةً:

من مصدر عَزَفَ، أي ابتعد، والعُزُوفٌ عَنِ اللَّهْوِ: زُهْدٌ فِي اللَّهْوِ، الانْصِرَافُ عَنْهُ يُقال: رجلٌ عَزُوف عَن اللَّهْو إذا لم يشتهِ، وعَزُوفٌ عَن النِّسَاء إذا لم يَصْبُ إليهنّ(٣). وقيل: عَزَفَتْ نَفْسِي عنه تَعْزِفُ عُزُوفاً: زَهِدَتْ فيه، وانْصَرَفَتْ عنه، أَو مَلَّتْه، فهو عَزُوفٌ عنه (٤).

العزوف اصطلاحاً:

العزوف اصطلاحًا: هو ترك الشيء والامتناع عنه، ومنه امتناع الشاب أو الفتاة عن الزواج أو على أقل تقدير تأخيره. والعزوف عن الزواج هو عملية إحجام ورفض أو انصراف عن الزواج كفكرة، أو مشروع، وكدور اجتماعي.

---

(١) سورة الروم: آية: ٢١.

(٢) سورة الذرايات: آية: ٤٩.

(٣) ابن منظور، جمال الدين أبو الفَضْل مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م، ج٩، ص٢٤٤؛ أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج٢، ص٨٦.

(٤) الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ج١، ص٨٣٧.

أولاً: أسباب العزوف عن الزواج في الأندلس:

تعددت أسباب العزوف عن الزواج في الأندلس ما بين أسباب اجتماعية واقتصادية أو التفرغ لتحصيل العلم أو لأسباب نفسيه نرصد ذلك فيما يلي:

١- الأسباب الاقتصادية:

من أهم أسباب العزوف عن الزواج الحالة الاقتصادية، وتخوفًا مما يفرضه الزواج من مسؤوليات وواجبات والتزامات مادية جسيمة. وقد أعطىَ الشرع الحق بترك الزواج للضرورة القصوى متى فقدت مقوماته، كالقدرة المالية على تأمين متطلبات الزواج، ومنها: المهر والنفقة وغيره، وأرشدهُ الشرع إلى عبادة الصوم قال صلى الله عليه وسلم " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" مُتَّفَقٌ عَلَيْه"(١).

ويفهم من الأمثال العامية الأندلسية مواقف وخطابات متنوعة تجاهه، فقد نظروا إليه أحيانًا "كشبح"؛ بسبب تكاليفه الباهظة التي تؤدي أحيانًا إلى الفقر والإملاق(٢) لإسراف النساء في مطالبهن، ولذا يقول المثل الأندلسي «حليني وإلا خليني»(٣). وقالوا كذلك: «بع كساك وعمل كذاك» (٤)، ولإسراف النساء في مطالبهن، قالت أمثال العامة: «ما أطيب العرس لولا النفقة» وقالوا أيضًا: «من زوج حوج»(٥). و«زوجني واضمن لي بخت».

(١) البِرْماوي، أبو عبد الله شمس الدين، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، دمشق، ٢٠١٢م، ج١٣، ص ١٦٦.

(٢) بوتشيش، إبراهيم القادري، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة، مجلة دراسات أندلسية، ع ٩، ١٩٩٣م، ص ٩.

(٣) الزجالي: أبو يحيى عبيد الله، ري الأوام ومرعى السوام في نكث الخواص والعوام. نشره وحققه وعلق عليه : محمد بن شريفة تحت عنوان: «أمثال العوام في الأندلس». طبعة فاس بوليوز ١٩٧٥، ج٢، مثل رقم ٨١٦.

(٤) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج٢، مثل رقم ٥٨٩.

(٥) المصدر السابق، ج٢ ص ٢٤٢. مثل رقم ١٠٣٥.

ومن ثم، اتخذ بعضهم موقفًا سلبيًا منه. فنجد ابن قزمان[١] في أزجاله يقول:

صرت عازب وكان لعمري صواب

لس تزوج حتى يشيب الغراب

أنا تايب يالس نقول بزواج

ولا حلو ولا عرس بتاج

وقوله أيضًا[٢] : **أنفقت في زواجي وارفهت**

إذ ريت من هم ما ريت".

فوضح ابن قزمان بذلك ما لقيه من صعوبات وتكاليف جعلته يعاهد نفسه بعدم الزواج مرة أخرى. ويعد هذا سببًا من أسباب العزوف عن الزواج داخل المجتمع الأندلسي. فتراجم الحقبة المرابطية تكشف عن أسماء عدد من الرجال الذين أحجموا عن الزواج تحت ضغوط مادية[٣].

كما كان الفقر سببًا مهمًا من أسباب العزوف عن الزواج، فنجد على سبيل المثال النحوي والأديب علي بن محمد بن ديسم من أهل مرسية بالأندلس (ت٦٢٤هـ)، كان صبورًا على الفقر معروفًا بذلك عفيف يعيش ما يكتب بخطه، مات ولم يتزوج قط[٤] .

٢- الأسباب الاجتماعية:

تعددت الأسباب المجتمعية والاجتماعية التي أدت إلى العزوف عن الزواج في الأندلس منها: غلاء المهور، وتكاليف الزواج الباهظة، ثم الخلافات الزوجية ومشاكل الطلاق التي انتشرت في تلك الفترة، أدت بطبيعة الحال إلى انتشار ظاهرة العزوف عن الزواج.

---

(١) ابن قزمان، أبو بكر محمد بن عيسى، ديوان ابن قزمان، تحقيق كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، طبعة مدريد ١٩٨٠م، ص ١٨.

(٢) ابن قزمان: المصدر السابق، ص ١٢٦، انظر أيضًا المثل: «زوجوه، حوجوه». الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج٢، مثل رقم ١٠٣٥، ص ٢٣٥.

(٣) بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية، ص ١٠.

(٤) ابن الأَبَّار، أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أبي بَكْر الْقُضَاعِي، التكملة لكتاب الصلة، نشرة عزّت العطّار الْحُسَيني، مكتبة الخانجي الْقَاهِرَة ١٩٥٦م، ج٥، ص١٦٧.

أ- المغالاة في المهور (السياقة والنحلة):

اشتط أهل الأندلس وغالوا كثيرًا في مسألة مهور الزواج وعُرِف في الأندلس ما يسمى بالسياقة والنحلة، والسياقة مال أو عقار زائد عن الصداق[١]، وهي العرف الملزم وتعني أن الزوج يقدم عند عقد الزواج، لزوجته هدية من العقار غالباً، وفي مقابلها يجهز الأب ابنته بما يساوي قيسمة السياقة أو ما يفوقها. يقول ابن رشد الجد: " وعادتهم في مناكحهم هذه :أن يسوق الرجل منهم لامرأته جزءا من أملاكه، والعرف عندهم والعادة أن من ساق منهم لامرأته ذلك الجزء من أملاكه، فإنه لابد لوالد الزوجة أن يبرزلها إلى زوجها من مال نفسه عطية لها بما يفي بالمقدار الذي ساقه لها زوجها، وبما يربي يعليه. هذه العادة عندهم ثابتة قديمة، متوارثة مستمرة لا تتخلف"[٢].

وجدنا البعض يسوق للزوجة جزءًا من أملاكه[٣]، بل نصفها[٤]، ووصل الحد ببعضهم إلى ما يمكن أن نقول عليه مبالغة، فعلاوة عن الكسوة، وبعض الحلي ساق معهما بستانًا وإحدى العقارات[٥]، وساق بعضهم أيضًا قيمة مالية كبيرة قدرت بخمسة وعشرين دينارًا ذهبيًا[٦]، وفاق بعضهم ذلك اعتبارًا لانتمائه الاجتماعي أن ساق لزوجته نصف قرية من قراه[٧].

---

(١) ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد، القوانين الفقهية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، دار الرشاد، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٦.

(٢) ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد، مسائل ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص ١٢٦٠– ١٢٦١.

(٣) ابن سلمون، أبو محمد عبد الله الكناني، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام– موجود بهامش تبصرة الحكام لابن فرحون، المطبعة الشرفية، القاهرة ١٨٨٤م، ج١، ص١٠.

(٤) ابن الحاج: أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد، نوازل ابن الحاج، تحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٣٩٢، ٣٩٣.

(٥) الونشريسي: أبو الْعَبَّاس أَحْمَدُ بن يحيى، المِعْيَارُ المُعْرِب والجامع الْمُغْرِب عن فتاوي علماء إِفْرِيقْيَةَ والأَنْدَلُس والْمَغْرِب، أشرف على تَحْقِيقه: مُحَمَّد حجّي، دار الغرب الإسْلامي، بَيْرُوت ٨١–١٩٨٣م، ج٣، ص١٢٩.

(٦) المصدر السابق، ج٣، ص ١٤٧.

(٧) ابن الحاج: نوازل ابن الحاج، ج٢، ص ٣٩٢، ٣٩٣.

وهناك من حمل لزوجته في السياقة أراضٍ ومواشي[١] . ومنهم من قَدَّم بقرطبة سياقة عبارة عن عقارات وأراضٍ[٢] . وساق آخر لزوجته "نصف بقعة محدودة على أن يبنيها بنيانا تواصفاه"[٣] . وسجل آخر لزوجته أراض وأملاكا متعددة في صداقها[٤].

كما وجدنا على الطرف الآخر تحملت المرأة أيضًا أعباء باهظة للزواج بحكم العرف والتقاليد الأندلسية، فكان ينص في بعض عقود الزواج على "النحلة" التي ينحلها أهل الزوجة[٥].. فقد بلغت نحلة إحدى الزوجات أحيانًا في دار يهبها الأب لابنته[٦] ، بل كانت النحلة تشمل أحيانًا أملاكًا واسعة[٧]

كما وجدنا الزوج الذي يطالب والد العروس أو الوصي عليها بتجهيزها بجهاز أو شوار[٨] يتناسب وقيمة سياقته[٩] ، وكان الوالد مطالبًا في بعض الأحيان بتجهيز بتجهيز ابنته بشوار بقدر الصداق[١٠] ، وكان الشوار يحتوي كل ما تحتاجه الفتاة في

(١) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن، مسائل ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٠٨.
(٢) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص٢٩٧.
(٣) ابن رشد، مسائل ابن رشد، ج.١، ص.٢٢٤.
(٤) ابن الحاج، نوازل ابن الحاج، ج٢، ص ٣٥٩.
(٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٩٤، ٣٩٥.
(٦) ابن رشد: مسائل ابن رشد، ص ٦-٧-٣١٠
(٧) عطوي، غنية، تحقيق مخطوط الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من نوازل غمارة، للزياتي، أبي أبي فارس عبد العزيز، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، ٢٠١٣م، ص ١٣٧.
(٨) الشوار هو متاع البيت، وهو ما تحمله المرأة لبيت الزوجية عند الزواج، يحي بن عمر، أحكام السوق، تَحْقِيق: مَحْمُود عَلِيّ مَكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسْلامية، مدريد، ١٩٥٦م، العدد ١-٢، ص ٨٤، ولا زالت موجودة الكلمة في اللغة الاسبانية باسم Ajuar.
(٩) ابن رشد، محمد بن أحمد بن أحمد، فتاوي ابن رُشْد، تَحْقِيق: المُخْتَار بن الطَاهِر التّلِيلي، دار الغرب الإسْلامي، بَيْرُوت ١٩٨٧م، ج٣، ص١٤١٨-١٤١٩.
(١٠) الجيدي، عمر، العرف والعمل في المذهب المالكي، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٢م، ٤٣٢.

بيتها الجديد من لباس وفراش، كما كان على أهل العروس تهيئ شوار يناسب قيمة الهدية أو السياقة التي حملها الزوج، والتي بلغت قيمتها حسب إحدى النوازل ألفاً وأربعمائة دينار، الأمر الذي لم يكن في استطاعة كل أب توفيره مما كان يخلق له بعض المشاكل مع زوج ابنته، وقد يتطور الخلاف حول هذه المسألة فيرفع الأمر إلى القضاء[١] . وكان الوالدان يُجَهِّزان ابنتهما أحياناً بشوار ذي قيمة كبيرة ثم يطالبانها به أو بنصفه بعد الذهاب إلى بيت زوجها على أساس أنه قُدِّم لها على سبيل العارية منه[٢] ، وكان ابن عتاب يمنع ذلك[٣] . وكانت الأعراف ببعض المناطق تحتم وضع بعض الملابس كهدايا للزوج يلبسها بعد البناء، من ذلك: الغفارة، والمحشر، والقميص، والسراويل[٤] .

ولذا كانت البنات مصدر هم للآباء في الحياة وبعد الممات، وخاصة إذا كثر عددهن، وقد تعرضت الأمثال الأندلسية لهم البنات وحرص الآباء على تزويجهن في حياتهم والاطمئنان عليهم يقول المثل الأندلسى: «هم البنات للممات»[٥] و«وي على من مات وخلى سبع بنات»[٦] و"مَنْ عِندَه وَليَّه عِنده بَليَّه"[٧] وبهذا نراهم يفكرون في تزويج البنت منذ صغرها ويفضلون تزويجها لأول خاطب. فيقول المقل، " إن رفعت

(١) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص.١٢٢-١٢٥-١٥٢.
(٢) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٣، ص ١٤٢١.
(٣) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص ٤٠٥.
(٤) المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٢و٣٤٦.
(٥) الزجالي: أمثال العوام، مثال رقم (٧٧٩)، ورقم (١٩٦٥)، (١٠٠٧)، ص٢١١.
(٦) المصدر السابق، مثال رقم (١٠٠٧)، ص٢٧، مارية ج فيغيرا: أصلح المعالي (عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، بيروت، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٠٠٥.
(٧) الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ج٢، مثل رقم ١٢٥٤، ص.٢٢٧.

القدح لفمها، تحتاج ما تحتاج أمها"[١] وقولهم أيضًا: "زوج من عود خير من قعود"[٢].

ويتضح من الوثائق الأندلسية أن بعض الآباء، كانوا يقومون بحبس الجنان أو البساتين والعقارات علي بناتهم لتوفير حياة كريمة لهن بعد وفاتهم ويستعن بعائدها علي المعيشة أو تجهيز أنفسهن بها عند الزواج[٣] . ومن هنا ووِفق المثل الشعبي القائل: "بع كساك وعمل كذاك"[٤] وهو مثل عامي يوضح مدى التضحية والتكلفة من أجل الزواج لدرجة تصل لبيع الانسان لملابسه

ووصل الأمر إلى المبالغة في تجهيز لدرجة اضطرت إحداهنَّ إلى بيع ما تملك لتجهيز ابنتها كما باع رجل آخر لجاما محلى كان يملكه لسد نفقات عرس ابنته[٥] ، كما جاء في إحدى التراجم أن أحد أصدقاء الطبيب أبي بكر بن زهر اعتراه هم وحزن بسبب احتياجه إلى ثلاثمائة دينار لتجهيز ابنته[٦] . بينما لم تجد العائلات الفقيرة ما تجهز به بناتها، لذلك كان بعض المحسنين يتطوعون "لتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن"[٧] .

وفي السياق نفسه يذكر المقري: أن محمد بن أفلح، غلام الحكم المستنصر، ضاق بجهاز ابنته، وحمل مالا يطيق، حتى لم يبق معه سوى لجام محلي بالذهب، فذهب به إلى المنصور بن أبي عامر، وكان صاحب دار ضرب العملة في ذلك

(١) المصدر السابق ، ج٢، ص ٢١١.
(٢) ابن هشام اللخمي، محمد بن أحمد، المدخل إلي تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، عمان، ٢٠٠٣م، ج٢، ص ٤١٤.
(٣) مسعد، سامية مصطفي، صور من المجتمع الأندلسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٧٨.
(٤) الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ج.٢، مثل رقم ٥٨٩، ص.١٣٤.
(٥) المقري، شهاب الدين أبو العباس أَحْمَدُ بن مُحَمَّد، نَفْح الطِّيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب، تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دار صادر بَيْرُوت ١٩٦٨م، ج٣، ص٨٨.
(٦) ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد، عيون الأنباء في طبقة الأطباء، تحقيق: نزار نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٣ مج ١ ص ١١١.
(٧) ابن عبد الملك: أبو عَبْد الله بن مُحَمَّد الأنصاري، الذّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصِّلَة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثَّقافة، بَيْرُوت، ١٩٦٤م، ج ٨ ق ١، ص ٢٦٦.

الوقت، وأعلمه بحاجته، فأعطاه دراهم وزن اللجام بحديده وسيوره، ففرح فرحًا عظيمًا، وكاد لا يصدق ما حدث له، من كرم المنصور معه، حتى أنه قال عنه، لو حملني على خلع طاعة مولاي الحكم لفعلت[١] .

كل ذلك أدى إلى انتشار ظاهرة العزوف عن الزواج. ونتيجة تلك الأعباء جعل الرجال يتخوفون من مسؤولياتها، ومتاعب الأسرة فيما بعد.

ب–بعض شروط عقود الزواج المجحفة:

عند الاطلاع على كتب النوازل والعقود، نجد أن بعضها تضمن عددًا من الشروط المجحفة التي نفرت الرجال من الزواج، منها: اشترطته بعض النساء مثل عدم الزواج بغيرها أو تسريه بالسرايا، فإن فعل شيئاً من ذلك فأمرها بيدها[٢] . وقد وقع مثل ذلك لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) حينما تزوج وهو فقير في مقتبل عمره– من امرأة موسرة، ولما أراد أن يتسرى بعد مضي سنين على زواجه، أشفق أن يخبر زوجته أو أن يستأذنها في الأمر «... فتسري على زوجة هذه دون علمها، وحبس معها جارية في داره البرانية خفية..»[٣] .

ومن ضمن الشروط أيضًا ألا يتخذ أم ولد[٤] ، أو يغيب الغيبة الطويلة التي تتجاوز ستة شهور باستثناء فترات الحج[٥] . على أن يوفر لها قبل سفره نفقتها وكسوتها وسكناها، وفي حالة تأخره فأمرها بيدها بعد أن تخلف في بيتها بمحضر شاهدى عدل يعرفانها بأن الزوج غاب عنها أكثر مما شرطه لها[٦] .

---

(١) المقري: نفح الطيب، ج٣، ص٨٨.

(٢) ابن العطار، مُحَمَّد بن أَحْمَدُ الأموي، الوثائق والسجلات، نشر بيدرو شالمتيا وكورينطي، مدريد، ١٩٨٣م، ص ٧، ٨.

(٣) الرشاطي، أبي محمد عبد الله بن علي، اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة الصحابة ورواة الآثار، وضع حواشيه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٦٦.

(٤) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٨.

(٥) ابن الحاج، نوازل ابن الحاج، ج٣، ص ٦٣٦.

(٦) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٧–٨، الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص ١٧.

كما ينص فيه على عدم حرمان الزوجة من زيارة أهلها، وذوي محارمها من الرجال، وعدم الانتقال بها من مكان إلى آخر دون موافقتها ورضاها[١] فكان يكتب في بنود العقد شروطًا من هذا القبيل، فإن وفي بها الزوج فذاك، وإلا فأمر الزوجة بيدها[٢] . ويمكنها أن تطلق نفسها [٣] .

كما كان ينص العقد أحيانًا علي ألا يرحل الزوج زوجته على دارها إلا بإذنها ورضاها وإن رحلها مكره فأمرها بيدها، وألا يمنعها عن زيارة جميع أهلها من النساء وذوي محارمها من الرجال، ألا يمنعهم من زيارتها وأن يعاملها بالمعروف كما أمره الله تعالى[٤] .

كما يتعهد الزوج بجلب خادمة لزوجته في بيتها[٥] تساعدها في القيام بأعباء الشئوون المنزلية[٦] .

ج- ارتفاع تكاليف حفلات الأعراس والعزوف:

كانت تقام احتفالات العرس بعد انتهاء مدة الخطبة المتفق عليها، والتي عادة ما تتميز بالنفقات الكثيرة التي تصاحب دعوة الأهل والأصدقاء. وعن المصاريف التي تكلف إقامة وليمة العرس، يقول مثلهم الشعبي:" ما أطيب العرس لولا النفاقة"[٧].

---

(١) الجزيري، علي بن يحيى بن القاسم، المقصد المحمود في تلخيص العقود، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولى، مدريد،١٩٩٨، ص ٣١٢.

(٢) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٨.

(٣) الجزيري، المقصد المحمود، ص ١٥.

(٤) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٨، الجزيري، المقصد المحمود، ص ١٥، الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٨.

(٦) أبو مصطفي، كمال، مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف "القرن الخامس الهجرى – الحادى عشر الميلادى" دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص ٦٢.

(٧) ابن عاصم الغرناطي، محمد بن محمد بن محمد أبو بكر، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تحقيق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣١٦.

وكانت الوليمة تتميز عادة بكرم أصحاب العرس حيث يبالغون في تقديم المأكولات المتنوعة، ويوفرون جو المرح والاستمتاع بفضل فرق المغنيين والعازفين الذين ينشطون الحفل "فيسمع فيه ضرب بوق أو ضرب كَبَر[١] أو ضرب مَزهر، أو ضرب عود أو طنبور"[٢] ، ورقص الراقصات اللاتي يمنعهن المحتسب عن كشف رؤوسهن[٣] . وبدون ذلك، لا يعتبر عرسًا عبروا عن ذلك بالمثل القائل: "إذا انطارب انطارب الزمار طاب العرس"[٤] . وكثيرًا ما يجعلون ضمن هذه الولائم الشراب المسكر، وهو من العادات التي تعودت عليها بعض الفئات وكانت محل رفض الفقهاء[٥] .

د– ارتفاع تكاليف حفلات الأعراس:

طلبًا للمباهاة والمفاخرة[٦] ، وفي يوم الزفاف، يسعى الزوج بمشاركة ذويه وجيرانه وأصدقائه، إلى شراء الجزور والدهن والصبغ والحطب والتوابل وغيرها مما يحتاج للطبيخ، لإعداد وليمة العرس[٧] .

هـ– المشاكل الأسرية سبب من أسباب العزوف عن الزواج:

تكشف عقود الزواج عن جانب من المشكلات الأسرية التي مع ازيادها، كانت بلا شك سببًا من أسباب العزوف عن الزواج في الأندلس سواء للرجل أو المرأة والتي

---

(١) وهو الدف ويختلف عن الدف العربي الذي يشبه الغربال، ابن عبد الرؤوف، أَحْمَدُ بن عَبْد الله، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تَحْقِيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشَرْقية، الْقَاهِرَة، ١٩٥٥م، ص.٨٣.

(٢) الونشريسي، المعيار المعرب، ج.٦، ص.٤١٧.

(٣) ابن عبدون، مُحَمَّد بن أَحْمَدُ التِّجِيبي، رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة، نشرها: ليفي بروفنسال، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسيّة في آداب الْحِسْبَة والمُحْتَسِب، المعَهْد العلمي الفرنسي، الْقَاهِرَة ١٩٥٥م ص.٥١.

(٤) ابن عاصم، حدائق الأزاهر، ص.٢٩٤.

(٥) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص.٥٤.

(٦) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، الحوادث والبدع، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق– بيروت، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، ١٩٩١م، ص١١٩.

(٧) الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص٦٥.

امتلأت بها كتب النوازل والأحكام والوثائق في الأندلس[١] ، كأن يعمد الزوج مثلًا إلى قطع صلة زوجته بأهلها وأقربائها، فلا تزور ولا تزار[٢] . أو يكرها على الخروج من دارها، أو أن يتركها في غيبة متصلة تمتد لأشهر أو سنين دون نفقة[٣] .

وكانت الخسائر التي تعود على الرجل والمرأة جراء الطلاق سببًا في بعض الأحيان إلى العزوف عن الزواج[٤] ".

وصورت لنا كتب الأمثال الوضع وتصوير الحياة الزوجية ومتاعبها، وقد وصفها ابن قزمان بالفاشلة، واعتبر سبب ذلك في الزوجة ذات المساوئ المتعددة[٥] ، التي لا يمكن البقاء معها طويلًا، والتي سببها رفض الزواج مرة أخرى[٦] .

و– تجارة الجواري سبب من أسباب العزوف:

كما كان لتجارة الجواري تأثير سلبي على المجتمع الأندلسي، حيث أدت تلك التجارة إلى اكتظاظ الأسواق بهن، فعز الأزواج وكثرت العوانس[٧]. ففي أيام المنصور المنصور بن أبي عامر (٣٦٧-٣٩٢هـ/ ٩٧٧-١٠٠١م) الذي ملأ الأندلس من السبي، حتى كان الناس ينعتونه بـ"الجلاب"[٨] ، وأدى ذلك إلى إقبال الشباب على التسري بالسبايا لرخص أثمانهن، إذ لم تكن إحداهن تتجاوز في ثمنها العشرين

---

(١) البكر، خالد، تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس من عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف، ١٣٨ – ٤٨٣هـ / ٧٥٥ – ١٠٩٠م، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س ٤، ع ٧، ٢٠٠٣م، ص ٦٤.

(٢) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٨.

(٣) المصدر السابق، ص٨.

(٤) بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، مج٢، ج ١، ص٣٤٦– ٣٤٧.

(٥) ابن قزمان: ديوان ابن قزمان، ص١٢٦.

(٦) العناني، مريامة، الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٢م، ص ٩٠.

(٧) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، نزهة الجلساء من أشعار النساء، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٨٧ ترجمة رقم ٣٠، وكذلك ص ١٠٤ ترجمة ولادة بن المستكفي.

(٨) ابن عذاري، أبو الْعَبَّاس، أَحْمَدُ بن مُحَمَّد المَرَّاكُشي، البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والْمَغْرِب، تَحْقِيق: كولان وبروفنسال، دار الثّقافة، بَيْرُوت ١٩٨٣، ج٣، ص١٣.

دينارًا[١]. ولذا انخفضت نسبة تعدد الزوجات في الأندلس لا سيما في أوساط العامة من الناس[٢] .

وكان الرجل الأندلسي يفضل التسري على الزواج؛ نظراً لوفرة الإماء والجواري. ففي أيام المنصور بن أبي عامر، تغالى الناس في مهور بناتهم، وما يجهزونهم به من الثياب والحلي والدور، فعزف الناس عن الزواج بالتسري[٣] .

ولهذا الشأن توفر في الأسواق سواء بمملكة قرطبة[٤] أو غرناطة[٥] معرض خصص لعرض الجواري المجلوبات للبيع، حيث يتم استعراضها على المشتري، وقد ميزوا بين أنواع الجواري وحددوا لكل منهن نوع المهمة التي من أجلها ستتخذ جارية، " فالخادم البربرية للذة، والرومية لحيطة المال والخزانة، والتركية لإنجاب الولد، والزنجية للرضاع، والمكية للغناء، والمدنية للشكل، والعراقية للطرب والانكسار "[٦] .

ثالثاً: الجهاد سبب من أسباب العزوف عن الزواج:

كما كان الجهاد سببًا من أسباب العزوف عن الزواج في الأندلس، خاصة أنها كانت أرض جهاد ومقاومة وصراع طوال تاريخها مع نصارى الشمال، ووصل حب الجهاد عند البعض إلى أنه وهب حياته للجهاد ورفض الزواج، ومن هنا شارك العديد

(١) المراكشي، عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م، ص٨٤.

(٢) سالم، سحر السيد عبد العزيز، «الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس»– الأندلس»– في كتاب ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى–، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥م، ص٧٥.

(٣) العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢٥٠.

(٤) ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى، وثائق في الطب الإسلامي، مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى للقاضي أبي الاصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَة، ١٩٨٣م، ص٦٩.

(٥) السقطي، أبوعَبْد الله مُحَمَّد المالقي الأَنْدَلُسي، في آداب الحسبة، تَحْقِيق ومراجعة: حسن الزين، الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بَيْرُوت ١٩٨٧م، ص٤٨.

(٦) السقطي، في آداب الحسبة، ص ٤٩.

من أهل الأندلس في تلك الحروب التي امتد بعضها لسنوات[١] ، ويؤكد ذلك المقري بقوله: "لما تقلص الإسلام بالجزيرة واسترد الكفار أكثر أمصارها وقراها على وجه العنوة والصلح والاستسلام، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء، يحركون حميات ذوي الأبصار والبصائر، ويستنهضون عزائمهم في كل الأمصار[٢] ".

رابعًا: العزوف عن الزواج بسبب التفرغ للعلم:

هناك الكثير ممن فضلوا حياة العزوبة قصد التفرغ لطلب العلم والتحصيل[٣] خاصة مع وجود من يشجع على ذلك، فوجدنا الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع الأخلاق الراوي وآداب السامع»: يقول: "ويستحب للطالب أن يكون عزبًا ما أمكنه، لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجية وطلب المعيشة عن إكمال الطلب. وقال سفيان الثوري: من تزوج، فقد ركب البحر، فإن ولد له ولد، فقد كسر به –المركب– وبالجملة: فترك التزوج لغير المحتاج إليه أو القادر عليه، ولا سيما للطالب الذي رأس ماله جمع الخاطر، وإجمام القلب، واشتغال الفكر –أولى–»[٤] .

خامسًا: الأسباب النفسية:

كما كان العامل النفسي سببًا أيضًا للعزوف عن الزواج في الأندلس ففي الأندلس كانت أغلب الفتيات خاصة في الطبقة الفقيرة والمتوسطة لا تستطيع إبداء رأيها في من تقدم للزواج منها، فكانت غالبًا ما تقبل بمن اختاره أهلها زوجا لها وإن تسبب لها إذعانها دون رضاها في آثار نفسية وخيمة كفقدان العقل، ونادرًا ما تتحدث المصادر عن رفض فتاة لمن يخطبها مثل الفتاة التي لجأت إلى افتضاض بكارتها؛ تعبيرًا منها

(١) ابن الخطيب: لسان الدين أبو عَبْد الله مُحَمَّد التلمساني، الإِحَاطَة فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَة، تَحْقِيق: مُحَمَّد عَبْد الله عنان، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَة، ٢٠٠١م، ج١، ص٢٨٧، ج٣، ص٢٥٢،٢٣٣؛ ج٤، ص ٣١، ٢٣٩– نفح الطيب، ج٤، ص٤٠٤–٤٤٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ٤٤٥.

(٣) مؤلف مجهول: مفاخر البربر. نشره ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤م، ص ٧٠.

(٤) ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار البشائر الإسلامية، الإسلامية، عمان، ٢٠١٧م، ص ٧٢.

عن عدم رغبتها في الزواج بمن تقدم لخطبتها، فكان ذلك سببًا في إحجام البعض عن الزواج من الأساس، وقد ذكر ابن الأبار[١] أن الشاعرة نزهون بنت القليعي رفضت رجلًا قبيح الوجه جاء يطلب يدها. كما كان لزواج الرجل للمرة الثانية تعتبر أكبر ضرر نفسي على المرأة التي قد تمثلتها العامة بقولها: «مشيه للحفرة ولا مشيه لبيت أخرى»، رغم أن الدين الإسلامي يجيز ذلك[٢] .

كما كانت العزلة سببًا نفسيًا للإحجام عن الزواج، وقد تناول المؤرخ الأندلسي ابن الأبار سيرة أحد شيوخه الذين عزفوا عن الزواج، بسبب حب العزلة وهو يوسف بن محمد بن علي بن خليفة (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) من أهل أندة[٣] قائلا: "وكان عدلا خيارًا شديد الانقباض والاعتزال للناس مقبلا على ما يعنيه صرورة[٤] لم يتزوج قط ولا داخل أبناء الدنيا"[٥] .

ونستشف من سيرة الشاعر الكبير ابن خفاجة وهو من أعلام الشعراء الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين أن عزوفه عن الزواج ربما بسبب أزمة نفسية عانى منها رغم غناه، فكان والده من أعيان المدينة، وعاش في سعة من العيش. وكانت أشهر قصائده شهرة قصيدة (وصف الجبل)، وهي تنم عن رؤيته التشاؤمية للموت والحياة، ويصور من خلالها كيف أن الجبل يحس السأم لطول بقائه ويتمنى

(١) المقتضب من كتاب تحفة القادم. تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشرد دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢١٦.

(٢) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ق٢، ص٣٥٠.

(٣) أندة: مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس، كثيرة المياه والرساتيق والشجر، نسب إليها الكثير من العلماء، ياقوت الحموي، أبو عَبْد الله بن عَبْد الله الرُّوْمِي، مُعْجَم الْبِلْدان، دار صادر، بَيْرُوت ١٩٧٧م، ج١، ص٢٦٤.

(٤) الصرورة أو الصارورة أو الصارور: تطلق على من لم يتزوج ومن لم يحج. وهو الذي لم يأت النساء وكأنه أصر على تركهن لذا سمى بالصارورة من هذا المنطلق. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٢١٣؛ ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج٨، ص٨٦٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٥٣.

(٥) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٤، ص٢٢٣.

الموت والفناء، على حين أن الإنسان يخشى الموت ويتمنى الخلود والبقاء، ويخلص إلى أن لا سبيل إلى تحقيق الأمنيتين"[١] .

أما الغرور وحب الذات كمرض نفسي والذي أدى إلى العزوف عن الزواج، فتجلى في أكبر صوره بالأندلس في شخصية الشاعرة والأديبة عائشة القرطبية (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وكان يتمازج في أسلوبها الجرأة والقساوة والفضاضة، فقد قيل عنها (لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علمًا وفهمًا وأدبًا وشعرًا وفصاحة)[٢] وزد على ذلك غروراً وثقة بالنفس في أشعارها، فقد ردت على بعض ممن خطبها، ولم ترض بهم جميعًا لجمالها وغرورها بنفسها [٣] :

ولو أنني أختار ذلك لم أُجبْ كلباً وكم غلقتُ سمعي عن أسد

سادسًا: العزوف عن الزواج انشغالًا بالعبادة والتصوف:

كان للبيئة الأندلسية التي عرفت بتحررها، وإقبالها النهم على ملاذ الدنيا ومباهج الحياة أثر بالغ في اندفاع موجة الزهد [٤]، ووجدنا الانشغال بالعبادة كان في بعض الأحيان عوضًا عن الزواج في الأندلس، وقد ظهر في تلك الفترة العباد والزهاد والمتصوفة، وقد أدى النزوع إلى التصوف والتعبد أحيانًا إلى الشطط والمغالاة لحد الامتناع عن الزواج، وهو أشبه بنظام الرهبنة المسيحي الذي حذر منه الشرع، وهذا قول عامة الصحابة والتابعين[٥] والفقهاء رضي الله عنهم جميعًا [٦].

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٨.

(٤) يرى أبو البركات البلفيقي أن الزهد الأندلسي نتاج دوافع فردية واجتماعية بالأساس، يقول:

لا بارك الله في الزهاد إنهم لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم يسايروها، فملوا ثقل حملهم
وعظم الناس منهم تركها فغدوا من غبطة الترك في حرص لأجلهم

ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٦٣.

(٥) أبو حفص الحنفي سراج الدين، عمر بن إسحق، الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص١٢٦.

(٦) ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م ج١، ص٤٥٤.

ووجدنا عددًا من المتصوفة يرى المرأة مرادفًا للدنيا ومتاعها[١] ومن ثم كان يأتي رفض الزواج باعتباره تصرفًا يتعارض والتصوف. بأنه «ترك الدنيا مع القدرة عليها»[٢] وردد البعض أن "الفكرة في أمر الآخرة تقطع حب الدنيا وتذهب شهوانها... ومن طلب الدنيا فليتهيأ للذل.." [٣] وكان أحدهم[٤] "إذا لقى امرأة في طريق يرد وجهه إلى الحائط حتى تبعد عنه[٥]، وهذا أبو زكريا يحيى الصنهاجي[٦] «أقام مدة في بيته بيته بأغمات، لم يخرج منه فقيل له في ذلك. فقال: لقيت في الطريق امرأة متزينة فرأيت الحور في الدنيا فكرهت أن أخرج لئلا أرى مثل ما رأيت»[٧]. أما أبو الطيب[٨]، الطيب[٨]، فقد برر تفرده بقوله: «ما رغبت عن التزويج عجزًا، وإني لفحل وقوي الجماع وإي أخاف ألا أقدر على معاشرة الزوجة بالمعروف»[٩].

وقريب من هذه المواقف، ما يسوقه الولي من تبريرات لإقدامه على الطلاق. كما في حالة أبي زكريا يحيى التادلي[١٠] حين يقول: «أخاف الفتنة من بقائي مع هذه المرأة فإنها جميلة الصورة وأرى أن الدنيا قد أقبلت علي»[١١].

أما في حالة الحلو بالأجنبية، فإننا نصادف صورًا لأولياء تعتريهم حالات الإغماء[١]. أو تصدر عن بعضهم الآخر تصرفات منكرة، تكاد المرأة –وقد خلت به– به– تصرع من جرائها[٢].

---

(١) التادلي، أبو يَعْقُوب يُوسُف بن يحيى، التّشوّف إلى رجال التّصوّف، تَحْقِيق: أَحْمَدُ التُوفِّيق، منشورات كلّيّة الْآدَاب والعلوم الإنسانيّة، الرِّبَاط، ١٩٨٤م، ص١٣٧– ٢٤٦.

(٢) ابن عبد البر النمري القرطبي، أبي عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله في روايته وحمله، الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٢، ص١٦.

(٣) ابن خلكان، شمس الدين أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر، وَفَيَات الأَعْيَان وأنباء أبناء الزَّمَان، تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دار صادر، بَيْرُوت ١٩٧٨م، ج١، ص٢٧٥.

(٤) التادلي، التشوف، ص٢٥٨.

(٥) المصدر السابق ، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٦) المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٧) التادلي، التشوف، ص٢٣٠.

(٨) المصدر السابق، ص١٦١.

(٩) المصدر السابق ، ص١٦١.

(١٠) المصدر السابق ، ص٢٤٥.

(١١) المصدر السابق، ص٢٤٦.

العزوف عن الزواج في الأندلس

(النتائج)

من نتائج العزوف عن الزواج في الأندلس هو ضرب أول نظام اجتماعي تشريعي إسلامي، حيث تم أول عقد زواج في الجنة، حيث قال تعالى لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٣]، كما تضرب الظاهرة أيضاً فكرة ترسيخ الروابط الأسرية في المجتمع الأندلسي والتي انعكست آثارها على ظهور مفاسد وموبقات بعيدة كل البعد عن المجتمع الأندلسي المسلم مثل الزنا والبغاء واللواط والسحاق، كما يؤدي اختيار طريق العزوبة اكتفاء بالعلاقات غير المشروعة إلى قتل الوازع الديني، وإضعاف الحس الإيماني، وإذهاب بشاشة العفة والطهر من القلب والوجه[٤].

وقد نظر المجتمع الإسلامي الأندلسي إلى الزواج نظرة تقديس حتى مع الضغوط المصاحبة له، فتقول الأمثال الشعبية الأندلسية: "الزواج والموت هم لا يفوت"[٥] وكذلك قولهم: «ازوج يفتح الله عليك»[٦] فجاء العزوف عن الزواج ليزلزل هذا الرباط المقدس في الأندلس، حيث نتج عن تلك الظاهرة انتشار البغاء والزنا والموبقات مثل اللواط ونتناول تلك النتائج فيما يلي:

أولًا : انتشار البغاء:

ترتب على العزوف عن الزواج العديد من المشكلات التي تصل إلى العلاقات الجنسية غير المشروعة، وجدت بعض النسوة اللائي اتخذن من بيع أجسادهنّ مهنة يتكسبنّ منها، اصطلحت عليهنّ العامة لفظ الخراجيات[٧].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص١٥٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٥.
(٤) عقله، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ٢٠٠٢م، ج١، ص١٠٠.
(٥) زمامه، عبد القادر، الأمثال المغربية. مجلة البينة ع. ٦ سنة ١٩٦٢ م، ص ١١٣-١١٤.
(٦) الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ق٢، ص٢٤.
(٧) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص٥٧.

ورغم استنكار العامة لظاهرة الزنا، فقد كانت شائعة، يفوق فيها العَرض الطلب، عبر عن ذلك أمثالهم الشعبية[١]. بل هناك من المدن ما اشتهر بما يتواجد بها من ملاهي وراقصات مميزة مثل مدينة أبدة التي كان بها من " أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة، فإنهن أحدق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك [٢]". وفي الأمثال الشعبية[٣] ما يؤكد انتشار الظاهرة وتفشيها وتفشيها ليس بين الأقليات الدينية فقط، بل بين المسلمين كذلك.

ونجد انتشاراً لآفة الزنا في النوازل الفقهية، منها ما أورده ابن رشد عن امرأة حملت من زنا مرتين وقتلت ما ولدت، إلى جانب وجود علاقات محرّمة اتخذت من الشرع ستارًا لها كزواج المتعة الذي عارضه ابن رشد وعدّه من أشكالها أيضًا[٤].

ثانياً: المثلية الجنسية نتيجة من نتائج العزوف عن الزواج:

المثلية الجنسية أعدى أعداء فكرة الزواج، بل هي دافع ومشجع رئيس للعزف عن الزواج، حيث أن الزواج يقوم على فكرة الغيرية الجنسية، أي الممارسة الجنسية المشروعة بين ذكر وأنثى.. لذا خلق الله حواء «وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى»، «وليس الذكر كالأنثى»، ثم إن عملية التكاثر والإنسال البشري الهدف الأسمى للزواج لا يتحقق إلا من خلال ممارسة جنسية غيرية مشروعة، فلا تحقق المثلية الجنسية مقاصد الزواج.

ويقصد بالمثلية الجنسية.. الاتجاه نحو إشباع مريض محرم للدافع الجنسي مع طرف آخر مماثل من نفس الجنس. ويطلق على الممارسات المثلية الجنسية التي تقع بين ذكرين (اللواط)، والتي تقع بين أنثيين (السحاق).

---

(١) حين قالوا: " قحاب شَرْشَر، اطلب وحْدَ تَجدْ عشْرَ" انظر: الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ق.٢، مثل ١٨٢٤، ص.٤١٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج.٣، ص.٢١٧.

(٣) حيث قالوا: " فندق بن راغو: نصارا ويهود ومسلمين أن لطاف" انظر: الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، ق.٢، ص.٤٠٦.

(٤) جاء على لسان العامة انجبرت الخرجير بصاطل، ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص٣١٠، الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١، ص٢٦٠

ولذا، نظر المجتمع الأندلسي إلى كل من تخلى عنه نظرة الارتياب والشك في سلوكه الاجتماعي، وقد عبرت العامة عن ذلك في المثل الآتي: «عازب ومتفتق، ثلثي قطيم يفتي فيه» [١].

ثالثاً: اللواط وعشق الغلمان (القطم):

أصبحت ظاهرة القطم[٢] واللواط وعشق الغلمان مشهورة[٣]، وخاصة بقرطبة فابن سعيد يقول: " ليس بالأندلس بلد قد شهر بكثرة القطماء مثل قرطبة وخاصة منه درب ابن زيدون"[٤].

وهذه الظاهرة الناتجة أحياناً عن عدم الزواج الطبيعي هي من أخطر الأمراض الأخلاقية الاجتماعية والتي عرفها المجتمع الأندلسي. فقد اعتبرت هذه الظاهرة في كل الأوساط الاجتماعية، وخاصة في الوسط الأرستقراطي ظاهرة عادية ضاربين بعرض الحائط كل الأخلاقيات والشرائع الدينية. بل كانت مدعاة للفخر والتباهي عند بعضهم، ومن الشعراء من نظموا العديد من القصائد والأشعار جعلوا مواضيعها التغزُّل بالفتى والوجه الجميل[٥].

استنكر هذه الظاهرة المؤرخ ابن عذاري بقوله: "كان شرب الخمر ظاهر والزنا مباح واللواط غير مستور ولا ترى إلا مجاهرا بمعصية"[٦].

ولم تقتصر عادة تعشق الغلمان على الأغنياء المالكين للصقالبة الخصيان، بل تعدتها إلى أمراء وخلفاء من المفروض الحرص على تصرفاتهم أكثر من أي

---

(١)الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، ج١ ص ٢٤٣.

(٢) القطم والقطيم. مصطلح أندلسي استعمل للتعبير عن المخنث

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٦٤.

(٤) ابن سعيد، علي بن مُوْسَى، المُغْرِب في حلي الْمَغْرِب، تَحْقِيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الْقَاهِرَة ١٩٩٥م، ج١، ص.١٧٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج.٣، ص.٢٨٧ و٣١٦-٣١٧.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج.٣، ص.٩٨.

شخص آخر، وهي حالة الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار أحد خلفاء الفتنة بقرطبة، الذي كان ينام بين مُخَنَّثين(١).

ولم يتنزه عن المعاصي وارتكاب مثل هذه المحرمات الفئات الأخرى من المجتمع، ومنهم العلماء ذوو مراكز اجتماعية وفكرية مميزة، وكان بعضهم يهيم بفتيان وإن لم يكونوا في ملكهم، وابن حزم معاصر الفترة قيد الدراسة أكبر شاهد على أحوال هذه الفئة من الناس، فهو يحدثنا عن رجل من أصحابه كان من " أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النساك وسلوك مذاهب المتصوفين"(٢) اشتهر بميله للغلمان. وأن "إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة، مع علو طبقته عشق فتى نصراني(٣).

ومنهم من يتغلب عليه شيطانه لدرجة يهون عليه عِرْضَ عائلته في سبيل تحقيق نزواته، وتلك كانت حالة " عبيد الله بن يحي الأزدي المعروف بابن الجزيري، فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعًا في الحصول على بغيته من فتى كان علقه"(٤).

لقد أدهش المؤرخ ابن حزم ما أصبح عليه المجتمع القرطبي من التفسخ الاجتماعي والانحلال الأخلاقي لدرجة استنكره نَظْما، فهو يروي لنا ما شاهده عيانا خلال إحدى السهرات دُعِي إليها من طرف رب المنزل، وكان قد لاحظ

---

(١) حتى قيل فيه:

أمير الناس سخنة كل عين يبيت الليل بين مخنثين
يجشم ذا ويلثم خذ هذا ويسكر كل يوم سكرتين

انظر. ابن عذاري، البيان المغرب، ج.٣، ص.١٠٦.

(٢) ابن حزم، أبو مُحَمَّد علي بن أَحْمَدُ بن سَعِيد، طوق الحمامة، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص.١٢٩.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٠.

حركات الغمز، وبعض الخلوات بين المدعوين وأهل صاحب المجلس، فنبه هذا الأخير إلى ذلك ببَيْتَيْن شعريين(١).

إلا إن صاحب البيت لم يكترث له، ذلك أن مثل هذه التصرفات والأعمال المنكرة التي يحرمها الدين الإسلامي كانت قد أصبحت من الأمور العادية خلال هذه المرحلة لدى فئة كبيرة من الناس.

وقد وجدت علاقة مماثلة لها بين النساء و(السحاق)، فنجد إشارات ذكرها بعض المؤرخين منهم ابن حبيب (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م) ، كما نوهت بعض كتب الفقه والنوازل اليها، وأكدت ضرورة تأديب النسوة اللائي يمارسنها؛ فقد ذهب ابن جزي للقول بجلد كل امرأتين متساحقتين بمائة جلدة(٢).

---

(١) قال فيهما:

إن إخوانه المقيمين بالأم س أتوا للزنا لا للغناء
قطعوا أمرهم وأنت حمار موقر من بلادة وغباء.

انظر: ابن حزم، طوق الحمامة، ص.١٣٢.

(٢) الونشريسي: المعيار المعرب، ج٤، ٤٥٩.

العازفون عن الزواج

(العلماء-الأدباء- المتصوفة)

اشترك في العزوف عن الزواج في الأندلس كافة طوائف الشعب من والأدباء، والشعراء، والزهاد والمتصوفة، والعلماء.

أولاً: الأدباء والشعراء:

وهناك الشاعرة عائشة القرطبية (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) "لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علمًا وفهمًا وأدبًا وشعرًا وفصاحة"(١) ومن وَصْف ابن حيان صاحب "المُقتبس" لعائشة قوله: "لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس مَنْ يَعْدِلُها علمًا وفهمًا وأدبًا وشعرًا وفصاحةً، تمدحُ ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يَعْرِض لها من حاجة، وكانت حسنة الخَطّ، تكتب المَصاحف"(٢).

ويُستخلص من أخبار عائشة القرطبية وشعرها الباقي أنها كانت أديبة مُتقنةً تعتني بفنون من العلم، وشاعرة بارعة تنافس الشعراء: جودة شعر، وقدرة على النظم بداهةً، وكاتبة مترسّلة على رسائلها علامات الجودة والفصاحة والبيان، وحسنة الخط تكتب المصاحف، وتَنسَخُ الكتب النفيسة، وكانت تَجمَعُ الكتب (تشتريها لخزانتها الخاصة)، فصيحة بليغة. قال في الصلة: كانت "تبلغ ببيانها ما لا يبلُغه كثير من أدباء وقتها..". ومن الناحية الاجتماعية، كانت تفِدُ على الحكام وذوي الشأن؛ تمدح، أو تقضي مصالح وشؤونًا لها ولغيرها، وكانت غنية ذات ثروة، وكانت تعين ذوي الحاجات من مالها، وكانت متمكِّنةً في شخصيّتها، تخاطب من تشاء مشافهةً أو مراسلةً(٣).

ومن الأديبات وجدنا فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب المعروف "بالشبلاري". وكانت كاتبة جزلة، وخطاطة ماهرة، ويبدو من اسم والدها "الكاتب" أنها ورثت منه

---

(١) نفح الطيب، ج ٥، ص ٢٠٢.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٤. و ص ٦٥٤. نفح الطيب، ج٦، ص ٧٠.

(٣) ابن بشكوال، المصدر السابق، ج٢، ص٦٩٤. و ص ٦٥٤. نفح الطيب، ج٦، ص ٧٠.

هذه المهنة، وتوفيت سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٧م) ودفنت بمقبرة أم سلمة، وماتت بكر لم تتزوج قط [١].

وكان عبد الله بن سليمان المعافري (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) من أهل العلم والفضل والخير، الأغلب عليه الحديث والقراءات، كثير الكتب جلها بخط يده ويلتزم بيته ولا يخرج منه إلا في يوم الجمعة لصلاته، صرورة لم يتزوج قط[٢].

أما أشهر الأديبات والشاعرات والأميرات على الإطلاق كانت ولادة بنت المستكفي (ت ٤٨٤هـ/١٠٩١م) فقد عمّرت ولادة طويلا وبلغت قرابة الثمانين عامًا ولم تتزوج[٣]. وولادة هي بنت المستكفي بالله خليفة المسلمين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وهي من أشهر نساء الأندلس لارتباطها بالسلطة من جهة ولشاعريتها من جهة أخرى ولكونها أحدى طرفي أشهر قصة حب عرفتها الأندلس مع ابن زيدون الشاعر المعروف من جهة ثالثة[٤].

ولولادة مع ابن زيدون مساجلات وحواريات ومطارحات شعرية تخرج به حتى من حصن العفاف وتخدش الحياء، وهذا ما يدهش في شعر ولادة؛ لأنها كما قلنا تمثل أفق السلطة وتدنيها ونسقها الديني، لذلك صارت ولادة علامة فارقة في محيا أدب أهل الأندلس الثقافي[٥].

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٩٤.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص٢٧٩.

(٣) نفح الطيب، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٤) لديها أشهر قصة حب في الاندلس مع ابن زيدون ولها مواقف طريفة ذكرتها شعرًا وقد ذكرها ابن زيدون في شعره ورسائله النثرية. المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ٢٠٦. وكذلك سرح العيون في شرح رسائل ابن زيدون: جمال الدين بن نباته المصري، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة د.ت، ص ٢٣.

(٥) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي: التطور والتجديد، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢، ص ٨٥.

ومنهن حسانة التميمية بنت أبي المخشى الشاعر. تأدبت وتعلمت الشعر، فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج[١]:

إني إليك أبا العاصي موجعة أبا المخشى سقته الواكف الديم
قد كنت أرتع في نعماه عاكفة فاليوم آوي إلى نعماك يا حكم
أنت الإمام الذي انقاد الأنام له وملكته مقاليد النهى الأمم
لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً آوي إليه ولا يعروني العدم
لا زلت بالعزة القعساء مرتديًا حتى تذل إليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه، وأمر لها بإجراء مرتب[٢].

وهناك قسمونة بنت إسماعيل بن نغرالة اليهودي شاعرة أندلسية من شاعرات القرن الخامس الهجري بغرناطة وأن أباها شاعرٌ واعتنى بتأديبها، فأخذت عنه نظم الشعر[٣]، واشتهر عنها أنها عزفت عن الزواج حتى اللحد، لتفرغها للعلم نظرت ذات يوم في المرآة، فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج ولم تتزوج، فقالت[٤]:

أرى روضةً قد حان منها قطافها... ولست أرى جانٍ يمدّ لها يدا
فوا أسفا يمضي الشّباب مضيّعاً... ويبقى الّذي ماإن أسمّيه مفردا

وهناك الشاعر إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري (ت٥٣٣هـ/١١٣٨م) من أهل جزيرة شقر[٥] عاش دون زواج، وهو من أعلام الشعراء الشعراء الأندلسيين، في القرنين الخامس والسادس الهجريين وصفه صاحب كتاب التكملة بأنه: أحد الأدباء البلغاء متقدمًا في الكتابة والشعر، وكان نزيها لا يتكسب

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ١٦٧.
(٢) المصدر السابق، ج٤، ص ١٦٧.
(٣) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ٤٤٢، المقري، نفح الطيب، ج ٥، ص٧٣.
(٤) المقري، نفح الطيب ج٣، ص ٥٣٠.
(٥) شقر: جزيرة تقع شرقي الأندلس، وهي من أكثر البلاد خضرة وشجرًا وماء، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٤.

بالشعر ولا يمتدح أحدًا معتمدًا على ضيعته وما تدره عليه، وله ديوان شعر مشهور(١).

وهناك يُوسُف بْن مُحَمَّد بْن عَلِيّ بن خَلِيفَة الْقُضَاعِي (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) من أَهْل أندة وَسكن بلنسِيَّة يكنى أَبَا الْحجَّاج وَأخذ الْعَرَبِيَّة عَنْ أبي ذَر الْخُشَنِي وَأبي بكر بن زَيْدَانَ وَأبي عَليّ الشلوبيني، وَأَجَازَ لَهُ أَبُو بكر النيار وقفل إِلَى بَلَده فَقعدَ بداره لإقراء الْعَرَبِيَّة والآداب حَيَاته كلهَا، وَهِي كَانَت بضاعته، وَقد حدث بِيَسِير وَكَانَ عدلا خيارًا شَدِيد الانقباض والاعتزال للنَّاس مُقبلا على مَا يعنيه صرورة لم يتَزَوَّج قطّ وَلَا دَاخل أَبنَاء الدُّنْيَا توفي بأندة فِي نَحْو سنة سبع وَخمسين وَخَمْسمِائَة(٢).

والشاعر المشهور محمد بن غالب الرفاء الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) لم يتزوج طوال حياته، ذكر صاحب كتاب التكملة بعض أخباره، ولعل فيها ما يوضح لنا عزوفه عن الزواج، إذ خرج وهو صغير من موطنه محلة الرصافة بمدينة بلنسية الأندلسية، مغتربًا فكان يكثر الحنين إليه بل كتب أكثر شعره في الحنين إلى وطنه(٣)، وكان عصاميًا معتمدًا على نفسه ورشته من خلال صنعة الرفو، ولم يقبل الخوض في أي وظيفة رسمية، ولا حاول الانتفاع من شعره عن طريق مدح الأمراء والحكام، وكانت تروى عنه أخبار عجيبة في رفضه عطايا الحكام(٤)، له ديوان ومطبوع بتحقيق إحسان عباس(٥)، فلعل ضيق ذات يده يقف وراء عزوفه عن الزواج. الزواج.

وهناك الأديب والنحوي والشاعر الأندلسي الأشبيلي علي بن محمد بن علي المشهور بأن خروف الأندلسي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، فقد كان إمامًا في العربية محققًا مدققًا ماهرًا مشاركًا في الأصول، شرح كتاب سيبويه وأهداه إلى صاحب المغرب

(١) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص١٢٤، ١٢٥.
(٢) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٢٣.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٤٧.
(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٤٧.
(٥) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٣٢٤.

الناصر بن عبد المؤمن أعطاه ألف دينار[١]، مما يعني أنه لم يكن فقيرًا فيقف ذلك دون زواجه، كما شرح كتاب الجمل للزجاج وله كتاب آخر في الفرائض، وانتهت حياته حينما وقع ليلا في جب فمات في السنة المثبتة أعلاه، إذ قال بعض مترجميه أنه اختل في آخر عمره حتى أخذ يمشي في الأسواق مكشوف الرأس[٢]، وهذا العالم لم يتزوج، وقال عنه ابن الساعي أنه كان يتنقل في البلاد ولا يسكن إلا في الحانات ولم يتزوج قط ولا تسري[٣].

وكان يقول: والله ما حللت مئزري على حلال أو حرام قط، وكان مشهورة بالصدق والأمانة، عمل تاجر في أواني الخشب بين البلدان، لكن أسلوب حياته اليومية جعله بعيد عن الإقدام على تأسيس عائلة يركن إليها؛ إذ ذكر بعض مترجميه أنه يسكن إلا في الحانات[٤]، لعدم اتخاذه منزلًا معينًا على الرغم من مقدرته على ذلك، وعلق ابن كثير على طريقة عيشه تلك بقوله: "لذلك علة تغلب على طباع الأراذل"[٥]، ويعد ابن خروف هذا من المعمرين؛ إذ مات بعد أن عاش خمسًا وثمانين سنة[٦]، والواقع، إن ما قاله ابن كثير في حق هذا العالم يمثل رأيه الشخصي، الذي قد لا يكون صوابًا، إذ قد يجد بعض الناس راحتهم وسعادتهم في نمط معين من العيش لا يراه غيرهم مناسبًا.

وهناك النحوي والأديب عَليّ بن مُحَمَّد بن ديسم (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) من أهل مرسية يكنى أَبَا الْحسن روى عَنْ أبي القَاسِم بْن حُبَيْش وَأبي عَبْد اللَّه بْن حميد وَأخذ الْعَرَبيَّة عَن أَبِي الْحسن بن الشَّرِيك قَدِيما وأقرأ الْقُرْآن وَعلم النَّحْو والآداب، وَكَانَ صبورًا عَليّ الإقلال مَعْرُوفا بِالِاحْتِمَالِ صُورَة لم يتَزَوَّج قطّ عفيفا مرضِي الْجُمْلَة وَرُبمَا يعِيش مِمَّا يكْتب بِخَطِّهِ وَكَانَ أنيق الوراقة بديع الْخط[٧].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٣٥
(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٢٠٣
(٣)الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٣٠
(٤)المرجع السابق، ج٤، ص٣٣٠
(٥) البداية والنهاية، ج٣، ص٥٣
(٦) السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٢٠٣
(٧) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص ٢٣٤.

ثانياً: المتصوفة:

من الزهاد نجد أَبُو هَارُون الزَّاهِد (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م): أندلسي سكن إفريقية كَانَ بقصر لمطة من عمل المهدية متعبدًا، وَكَانَ القَاضِي حماس بن مَرْوَان يعظمه وَيرْفَع بِهِ وَسَأَلَهُ ابْنه عَنهُ، فَقَالَ: هُوَ حجاب الدعْوَة من الأبدال ترجي بركَة دُعَائِهِ يروي عَنهُ سعيد الْمُؤَدب الْفَقِيه وَحكى أَبُو بَكْر عَتيق بْن خَلَف القيرواني فِي تَارِيخه المسمى بِكِتَاب الافتخار قَالَ: سَمِعت أَبَا الْقَاسِم عَبْد الرَّحْمَن بْن عَبْد اللَّه الْجَوْهَرِي يحدث عَن أبي هَارُون هَذَا أَنه مَا اغْتسل من جَنَابَة، وَأَنه كَانَ حصورًا حج وَتُوفِّي بِالْمَدِينَةِ سنة إِحْدَى وَتِسْعين وَمِائَتَيْنِ وَدفن بِالبَقِيعِ[١].

وهناك أبو الأصبغ بن مؤمل البلنسي الزاهد المقرئ المشهور (ت ٥٧٣ هـ/١١٧٧م) الذي كان مقدمّا على غيره في علم القراءات صوامًا قوّاما، لكنه لم يتزوج قط[٢]، ويشاركه في ذلك عبيد الله بن عبد الرحمن بن عيشون المعافري (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م)، فعلى الرغم من أنه كان مشهورًا في الصلاح والبر والخير والتواضع، لكنه لم يتزوج مع كونه ميسور الحال، إذ كان من أصحاب الثروات[٣]، بنى مسجدًا سمي باسمه في مدينة بلنسية ووقف عليه دارا لسكن إمام المسجد، وهو صاحب كتاب المعلم بفوائد صحيح مسلم[٤].

وشارك علماء الأندلس العازفين عن الزواج، عالم آخر من بلنسية أيضًا هو إبراهيم بن حسين بن يوسف المعروف بابن محارب (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، كان مشهورًا بعلم القراءات والتجويد واللغة العربية وبقي طوال عمره صرورة لم يتزوج أبدا[٥].

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٢.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٠، ص١٢٣.
(٣) المصدر السابق، ج٤٠، ص١٢٤.
(٤) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٣١٣-٣١٤.
(٥) المصدر السابق، ج١، ص١٣٥.

وهناك عُبَيْد اللَّه بْن عَبْد اللَّه بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن مَسْعُود بْن عيشون الْمعَافِرِي (ت ٥٧٤هـ/١١٧٨م) من أهل بلنسية وَأَصله من لَبْرِقاط عمل أبيشه من ثغورها الشرقية يكنى أَبَا مَرْوَان روى عنْ أَبِي الْوَلِيد بْن الدّباغ ورحل حَاجا فَأدى الْفَرِيضَة وَلَقي أَبَا عَليّ بْن العرجاء بِمَكَّة وَأَبا طَاهِر السلَفِي بالإسكندرية وَغَيرهمَا وَلَقي أَيْضًا أَبَا عَبْد اللَّه الْمَازرِيّ بالمهدية وَحكى عَنْهُ أَنَّهُ سَمعه يَقُولُ وَقَدْ جرى كِتَابه الْمعلم بفوائد صَحِيح مُسْلِم أَنِّي لم أقصد تأليفه، وَإِنَّمَا كَانَ السَّبَب فِيهِ أَنه قرىء عليّ كتاب مُسْلِم فِي شهر رَمَضَان فتكلمت عَلَى نقط مِنْهُ فَلَمَّا فَرغْنَا من الْقِرَاءَة عرض عَليّ الْأَصْحَاب مَا أمليته عَلَيْهِم فَنَظَرت فِيهِ وهذبته فَهَذَا كَانَ سَبَب جمعه أَوْ كلَاما مَعْنَاهُ هَذَا وَانْصَرف إِلَى بَلَده وَحدث بِيَسِير وروى عَنْهُ شَيخنَا أَبُو عَبْد اللَّه بْن نوح كتاب الخصائص لِابْنِ الدّباغ مناولة عَنْهُ وَكَانَ نِهَايَة فِي الصّلاح وَالْفضل وأعمال الْبر وَالْخَيْر وجيهًا متواضعًا صرورة لم يتَزَوَّج قطّ إخباريّا محققًا واقتنى من الدَّوَاوِين والدفاتر كثيرا وَكَانَ صَاحب ثروة ويسار وَهُوَ بني الْمَسْجِد الْمَنْسُوب إِلَيْه عَلَى مقربة من بَاب القنطرة من دَاخل بلنسية ووقف عَلَيْهِ دَارا لسكنى من يؤم بِهِ وَتُوفِّي سنة ثَلَاث أَوْ أَربع وَسبعين وَخَمْسمِائة أكثرُ خَبره عنِ ابْنِ سُفْيَان وَفِيه عنْ غَيره[١].

وهناك محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري الآبلي، أصله من الأندلس من أهل أبلة، انتقل أبوه وعمه إلى تلمسان فاستخدمهما بغمراسن صاحب تلمسان، وتزوج أبوه من ابنة القاضي بن غلبون، فولدت له محمدا، نشأ بتلمسان ومال إلى انتحال العلم، وهو من أصحاب التصوف السني، وتروي المصادر أنه كان يخدم نفسه، ولم يتزوج، ولم يملك أمة، ولباسه في داره مرقعة، يسترها إذا خرج بثوب أخضر وأبيض، له تلاميذ أخيار مباركين تصدق بعضهم حين تاب على يده بعشرة آلاف دينار ذهبا، وله تواليف الرسائل الكبرى والصغرى، وشرح الحكم ونظمهما في ثمانمائة من الرجز[٢].

(١) المصدر السابق، ج٢، ص ٣١٢.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٧، ص٢٦٣، زاهر، عبد الهادي: الحياة الأدبية في غرناطة من منتصف القرن السابع الهجري إلى نهاية القرن التاسع، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م، ص٤٥.

ثالثاً: **العلماء**:

هناك محمد بن يوسف بن خلصون يكنى أبا القاسم، روطيّ الأصل، لوشيّه، سكن لوشة وغرناطة ومالقة. كان من جلّة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلا، منقطع القرين في المعرفة بالعلوم العقلية، متبحرا في الإلهيات، إماما في طريقة الصّوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدا، كثير الحلاوة والطّلاوة، قائما على القرآن، فقيها أصوليا، عظيم التخلّق، جميل العشرة. انتقل من حصن روطة إلى الخطابة والإمامة بلوشة، كثير الدؤوب على النّظر والخلوة، مقصودا من منتحلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفة ممن شانها الغضّ من مثله، فانزعج من لوشة إلى مالقة، فتحرّف بها بصناعة الطّب، إلى حين وفاته(١).

وهناك عبد الله بن سليمان المعافري، (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) يعرف بابن المؤذن: من أهل طليطلة، يكنى: أبا محمد. روى عن أبي عمر الطلمنكي وغيره. وكان: من أهل العلم والفضل والخير، وكان الأغلب عليه الحديث والآثار والآداب والقراءات. وكان كثير الكتب جلها بخطه. وكان يلتزم بيته. وكان لا يخرج منه إلا في يوم جمعة لصلاته أو لباديته. وكان صرورة لم يتزوج قط ولا تسري. سمع الناس منه. وتوفي: سنة ستين وأربع مئة(٢).

رابعاً: **رجال الحُكم**:

وجاء في جمهرة أنساب العرب "أن عبد الله ابن المعتز (ت296 هـ/٩٠٩م)، طلب الخلافة في أيام المقتدر، فقتل دونها؛ وكان حصوراً، لم يقرب امرأة قطّ"(٣).

---

(١) ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص ١٩٤.

(٢) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عَبْدُ الْمَلِك، كتاب الصِّلَة، في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الْقَاهِرَة ١٩٦٦م، ج١، ص ٢٧٠.

(٣) ابن حزم، أبو مُحَمَّد علي بن أَحْمَدُ بن سَعِيد، جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَب، تَحْقِيق وتعليق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار المعارف، الْقَاهِرَة ، ١٩٦٢م، ج ١، ص ٢٨.

الخاتمة

رصدت الدراسة ظاهرة العزوف عن الزواج كنموذج من نماذج الأزمات الاجتماعية في الأندلس، ودراسة أسباب هذه الظاهرة ونتائجها. وتم ضرب أمثلة عبر الوجود الإسلامي في الأندلس خاصة في الفترة من ١٣٨-٤٨٣هـ/٧٥٥-١٠٩٠م، وطول الفترة الزمنية مطلوب في البحث؛ لأن طبيعة الموضوع وندرته تحتاج ذلك ليتسنى لنا تتبع الفكرة بين ثنايا المصادر عبر العصور التارخية في الأندلس؛ ولذا احتاج البحث إلى الدرس والفحص بين ثنايا المصادر منها كتب التاريخ والأدب والفتاوى والنوازل والمناقب والوَثَائِق والعقود والتصوف والكرامات والأمثال إلخ؛ نظرًا لأن العزوف عن الزواج في حد ذاته لم يتناوله مؤلف بعينه، ومن هنا جاءت أهمية البحث.

ملاحق الدراسة : ملحق رقم (١)

العزوف عن الزواج في الأندلس

الإسم	سنة الوفاة	المصدر
مساعدة الفقراء والمساكين	٣	المناقب، ص١٢٩، ١٣٥، ١٣٦،
إطلاق سراح أسرى المسلمين	٢	المناقب، ص ١٢٥، ١٢٦،
شفاء المرضى	٣	المناقب، ص ١٥١، ١٦٠، ١٦٥،
إنزال الغيث أيام الجدب	١	المناقب، ص ١٦٣
مساعدة طالبي العلم	٢	المناقب، ص ١٤٣ ١٤٤،
محاربة الرشا والمرتشين	١	المناقب، ص ١٦٤
الانتصار للمظلومين في المجتمع	٥	المناقب، ص ١١٣،١٢٩، ١٤٧، ١٢١،١٣٤،
التصدي للظلم السياسي	٢	المناقب، ص ١٣٥،١٥٣
المجموع		**١٩**

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر العربية:

– ابن الأَبَّار، أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن عَبْد الله بن أبي بَكْر الْقُضَاعِي،(ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) التكملة لكتاب الصلة، نشرة عزّت العطّار الْحُسَيني، مكتبة الخانجي الْقَاهِرَة ١٩٥٦م.

– _____: المقتضب من كتاب تحفة القادم. تحقيق: إبراهيم الأبياري، نشرد دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.

– ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد، (ت ٦٦٨ هـ /١٢٧٠م) عيون الأنباء في طبقة الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٥م.

– البِرْماوي، أبو عبد الله شمس الدين، (ت831 هـ/١٤٢٨م) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، دمشق، ٢٠١٢م.

– ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عَبْدُ الْمَلِك، (ت ٥٧٨ هـ ١١٨٣ م) كتاب الصِّلَة، في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الْقَاهِرَة، ١٩٦٦م.

– التادلي، أبو يَعْقُوب يُوسُف بن يحيى، التّشوّف إلى رجال التّصوّف (ت617هـ/١٢٢٠م) التّشوّف إلى رجال التّصوّف، تَحْقِيق: أَحْمَدُ التُوفِّيق، منشورات كلّيّة الْآدَاب والعلوم الإنسانيّة، الرِّبَاط، ١٩٨٤م.

– ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد، (ت741 هـ – ١٣٤٢ م) القوانين الفقهية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، دار الرشاد، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م.

– الجزيري، علي بن يحيى بن القاسم، (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) المقصد المحمود في تلخيص العقود، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد،١٩٩٨م.

– ابن جماعة، بدر الدين، (ت 733هـ 1241 م) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار البشائر الإسلامية، عمان، ٢٠١٧م.

– ابن الحاج: أبو عَبْد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد (ت ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م) نوازل ابن الحاج، تحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ٢٠١٨م.

– ابن حزم، أبو مُحَمَّد علي بن أَحْمَدُ بن سَعِيد، (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) جَمْهَرَة أَنْسَابِ العَرَب، تَحْقِيق وتعليق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار المعارف، الْقَاهِرَة ١٩٦٢م.

– أبو حفص الحنفي سراج الدين، عمر بن إسحق،(ت773 هـ/ 1372م) الغرة المنيفة الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م.

– ابن خلكان، شمس الدين أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر، (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وَفَيَات الأَعْيَان وأنباء أبناء الزَّمَان، تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دار صادر، بَيْرُوت ١٩٧٨م.

– الرشاطي، أبي محمد عبد الله بن علي، (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، وضع حواشيه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

– ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، مسائل ابن رشد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

– _____: فتاوي ابن رُشْد، تَحْقِيق: المُخْتَار بن الطَّاهِر التّليلي، دار الغرب الإِسْلامي، بَيْرُوت ١٩٨٧م.

– _____: ابن رشد الجد، أبو الوليد محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م.

– الزجالي: أبو يحيى عبيد الله، (ت ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥م) ري الأوام ومرعى السوام في نكث الخواص والعوام. نشره وحققه وعلق عليه محمد بن شريفة تحت عنوان: «أمثال العوام في الأندلس». طبعة فاس بوليوز ١٩٧٥م.

– ابن سعيد، علي بن مُوْسَى، (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) المُغْرِب في حلي الْمَغْرِب، تَحْقِيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الْقَاهِرَة ١٩٩٥م.

– السقطي، أبوعَبْد الله مُحَمَّد المالقي الأَنْدَلُسي (ق٦هـ/١٢م)، في آداب الحسبة، تَحْقِيق ومراجعة: حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بَيْرُوت، ١٩٨٧م.

– ابن سلمون، أبو محمد عبد الله الكناني، (ت٧٦٧هـ/ ١٣٧٤ م) العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام– موجود بهامش تبصرة الحكام لابن فرحون، المطبعة الشرفية، القاهرة، ١٨٨٤م.

– ابن سهل، أبي الأصبغ عيسى، (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) وثائق في الطب الإسلامي، مستخرجة من مخطوط الاحكام الكبرى للقاضي أبي الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسي، تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، المركز الْعَرَبِيِّ، الْقَاهِرَة، ١٩٨٣م.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/١٥٠٥م)، نزهة الجلساء من أشعار النساء، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م.

– الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، (ت520 هـ / ١١٢٦م) الحوادث والبدع، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق– بيروت، مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، ١٩٩١م.

– ابن عاصم الغرناطي، محمد بن محمد أبو بكر (ت829 هـ / ١٤٢٦م)، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تحقيق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.

– ابن عبد البر النمري القرطبي، أبي عمر يوسف، (ت463 هـ / ١٠٧٠م) جامع بيان العلم وفضله في روايته وحمله، الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

– ابن عبد الرؤوف، أَحْمَدُ بن عَبْد الله، (ق٦هـ/١٢م) رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تَحْقِيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشَرْقية، الْقَاهِرَة، ١٩٥٥م.

– ابن عبد الملك: أبو عَبْد الله بن مُحَمَّد الأنصاري، (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م) الذّيل والتَّكملة لكتابي الموصول والصِّلَة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثّقافة، بَيْرُوت، ١٩٦٤م.

– ابن عبدون، مُحَمَّد بن أَحْمَدُ التِّجِيبي، (ت ٥٢٧هـ /١١٣٣م) رِسَالَة في الْقَضَاء والْحِسْبَة، نشرها: ليفي بروفنسال، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسيّة في آداب الْحِسْبَة والمُحْتَسِب، المعَهْد العلمي الفرنسي، الْقَاهِرَة ١٩٥٥م.

– ابن عذاري، أبو الْعَبَّاس، أَحْمَدُ بن مُحَمَّد المَرَّاكُشي (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢ م)، البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والْمَغْرِب، تَحْقِيق: كولان وبروفنسال، دار الثّقافة، بَيْرُوت ١٩٨٣م.

– ابن العطار، مُحَمَّد بن أَحْمَدُ الأموي (ت ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) الوثائق والسجلات، نشر بيدرو شالمتيا وكورينطي، مدريد، ١٩٨٣م.

– الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ/ 1415م) القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.

– ابن قزمان، أبو بكر محمد بن عيسى، (ت555هـ/١١٦٠م) ديوان ابن قزمان، تحقيق كورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، طبعة مدريد ١٩٨٠م.

– مؤلف مجهول: مفاخر البربر. نشره ليفي بروفتسال، الرباط، ١٩٣٤م.

– المراكشي، عبد الواحد بن علي، (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م.

– المقري، شهاب الدين أبو العباس أَحْمَدُ بن مُحَمَّد،(ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) نَفْح الطِّيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب، تَحْقِيق: إِحْسَان عَبَّاس، دار صادر بَيْرُوت ١٩٦٨م.

– ابن منظور، جمال الدين أبو الفَضْل مُحَمَّد بن مكرم،(ت٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

– أبو منصور الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري: (ت 370هـ/ 981م) تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

– ابن هشام اللخمي، محمد بن أحمد، (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) المدخل إلي تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية، عمان، ٢٠٠٣م.

– أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت هـ / 1005م)، جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

– الونشريسي: أبو الْعَبَّاس أَحْمَدُ بن يحيى (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المِعْيَارُ المُعْرِب والجامع الْمَغْرِب عن فتاوي علماء إِفْرِيقْيَةَ والأَنْدَلُس والْمَغْرِب، أشرف على تَحْقِيقه: مُحَمَّد حجّي، دار الغرب الإِسْلامي، بَيْرُوت ٨١–١٩٨٣م.

– ياقوت الحموي، أبو عَبْد الله بن عَبْد الله الرُّوْمِي، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) مُعْجَم الْبِلْدان، دار صادر، بَيْرُوت ١٩٧٧م.

– يحي بن عمر، أحكام السوق، (ت 289 هـ / 901 م) تَحْقِيق: مَحْمُود عَلِيّ مَكي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإِسْلامية، مدريد، ١٩٥٦م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

– بروفنسال، ليفي، تاريخ اسبانيا الاسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

– بوتشيش، إبراهيم القادري، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة، مجلة دراسات أندلسية، ع ٩، ١٩٩٣م.

– الجيدي، عمر، العرف والعمل في المذهب المالكي، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٨٢م.

– خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي: التطور والتجديد، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٢م.

– العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.

– عقله، محمد، نظام الأسرة في الإسلام، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ٢٠٠٢م.

– مارية ج فيغيرا: أصلح المعالي (عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس)، (الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)، بيروت، ١٩٩٨م.

– مسعد، سامية مصطفي، صور من المجتمع الأندلسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

– أبو مصطفي، كمال، مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف "القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي" دراسة في مظاهر العمران والحياة الاجتماعية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

ثالثاً: المجلات والدوريات والندوات العلمية:

– البكر، خالد، تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس من عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف، ١٣٨ – ٤٨٣هـ / ٧٥٥ – ١٠٩٠م، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س ٤، ع ٧، ٢٠٠٣م.

– بوتشيش، إبراهيم القادري: النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق ٥ – ٦هـ/ ١٢– ١٣م) مجلة التاريخ العربي، الدار البيضاء، العدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٢م.

– سالم، سحر السيد عبد العزيز، «الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس»– في كتاب ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى–، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥م.

– زمامه، عبد القادر، الأمثال المغربية. مجلة البينة ع. ٦ سنة ١٩٦٢ م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

– بلمزيتي، نادية، صورة المرأة في المدونة التراثية للغرب الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٢١م.

– زاهر، عبد الهادي: الحياة الأدبية في غرناطة من منتصف القرن السابع الهجري إلى نهاية القرن التاسع، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٦٩م.

– عطوي، غنية، تحقيق مخطوط الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من نوازل غمارة، للزياتي، أبي فارس عبد العزيز، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، ٢٠١٣م.

النظام القضائي في الدولة السامانية
(٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م)

أ.م.د/محمد زين العابدين محمد مريكب
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
بكلية الآداب جامعة طنطا

بعد أن نجح الأمير نصر بن أحمد الساماني في السيطرة علي بلاد ما وراء النهر في سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)، عمل على اختيار العلماء والفقهاء، وأشركهم معه في أمور الإدارة والحكم من خلال الاستماع إلي آرائهم الفقهية والشرعية، كما حرص السامانيون علي اختيار قضاتهم ممن يتمتعون بسيرة طيبة بين جموع الرعية، والحافظين للكتاب والسنه النبوية المطهرة.

وقد كان للقضاة مكانة كبيرة في العصر الساماني عند الأمراء السامانيين، وعامة الناس وذلك لما تمتعوا به من نزاهة في أحكامهم العادلة، فلم تقف أمامهم مسألة فقهية وشرعية إلا كان عندهم الحل لها". وذلك من خلال حفظهم الجامع الصحيح للإمام البخاري والإمام مسلم، فضلًا عن معرفتهم بالمذاهب الفقهية الأربعة، فحدثوا طلابهم بالقضايا الخلافية بين الفقهاء. كما كانوا علي علم بعلم القراءات، وطريقة نطق ألفاظ القرآن الكريم وأصولها، يعلموها لطلابهم في جلسات العلم التي كانوا يعقدونها أسبوعيًّا، ومما يؤكد نبوغ هؤلاء الفقهاء هي كثرة مؤلفاتهم العلمية الضخمة في القراءات، وعلوم الحديث، والفقه وشرحها مبوبة بعد أن أوردوا فيها كل ما كتبه سابقيهم في القضايا الفقهية. **وتحدث الباحث عن** الإطارين الزماني والمكاني للسامانيين، **و**الشروط الواجب توافرها في القضاة، وتقليد القضاة وهيئتهم **و**اختصاصاتهم، ومجالس القضاء وزيهم ورواتبهم، ونماذج قضائية لقضاة العصر الساماني.

The judicial system in the Samanid state (261-389 AH/ 874-999AD)

After Prince Nasr bin Ahmed al-Samani succeeded in controlling the country beyond the river in the year (261 AH / 874 AD), he worked on selecting scholars and jurists, and involved them in matters of administration and governance by listening to their legal and legal opinions, as the Samanids were keen to choose their judges. Those who enjoy good conduct among the masses of the parish, and those who memorize the Book and the purified Sunnah of the Prophet.

The judges had a great position in the Samanid era with the Samanid princes, and the common people, because of the integrity they enjoyed in their just rulings, and they did not stand before them a legal and legal issue but they had a solution to it. Their knowledge of the four schools of jurisprudence, so they talked to their students about the controversial issues among the jurists, as they were aware of the science of readings, and the way of pronouncing the words of the Noble Qur'an and its origins, which they taught to their students in the knowledge sessions that they held weekly. What confirms the brilliance of these jurists is the large number of their large scientific books on readings, hadith sciences, and jurisprudence, and their explanation is classified after they included everything written by their predecessors on jurisprudential issues. The researcher talked about the temporal and spatial framework of the Samanids, the conditions that must be met by judges, the tradition of judges, their commission and specializations, the judicial councils, their families and their salaries, and judicial models for the judges of the Samanid era.

مقدمة :

بعد أن نجح السامانيون في السيطرة علي بلاد ما وراء النهر وتأسيس دولة لهم، سعوا إلى تدعيم مركزهم ونفوذهم في بلاد المشرق من خلال السياسة الحكيمة التي اتبعها الأمراء السامانيون نحو مدن الإقليم .فقد قرب الأمراء السامانيون منهم أهل العلم والفضل من الفقهاء ورجال الدين ليعاونوهم في إدارة دولتهم، وكان لهؤلاء الفقهاء والعلماء سيرة طيبة وحسنة بين الناس.، فقد نجح الأمير نصر بن أحمد الساماني في السيطرة على بلاد ما وراء النهر في سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)، وبمجرد سيطرته على تلك المناطق، عمل على اختيار العلماء والفقهاء، وأشركهم معه في أمور الإدارة والحكم من خلال الاستماع إلي آرائهم الفقهية والشرعية، كما حرص السامانيون على اختيار قضاتهم ممن يتمتعون بسيرة طيبة بين جموع الرعية، والحافظين للكتاب والسنة النبوية المطهرة.

وقد كان للقضاة مكانة كبيرة في العصر الساماني عند الأمراء السامانيين؛ وعامة الناس وذلك لما تمتعوا به من نزاهة في أحكامهم العادلة، فلم تقف أمامهم مسألة فقهية وشرعية إلا كان عندهم الحل لها". وذلك من خلال حفظهم الجامع الصحيح للإمام البخاري والإمام مسلم، فضلًا عن معرفتهم بالمذاهب الفقهية الأربعة، فحدثوا طلابهم بالقضايا الخلافية بين الفقهاء. كما كانوا على علم بعلم القراءات، وطريقة نطق ألفاظ القرآن الكريم وأصولها، يعلموها لطلابهم في جلسات العلم التي كانوا يعقدونها أسبوعيًّا، ومما يؤكد نبوغ هؤلاء الفقهاء هي كثرة مؤلفاتهم العلمية الضخمة في القراءات، وعلوم الحديث، والفقه وشرحها مبوبة بعد أن أوردوا فيها كل ما كتبه سابقيهم في القضايا الفقهية .

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع المكانة السامية التي تمتع بها هؤلاء القضاة في المجتمع الساماني، بالإضافة إلي دورهم القضائي، حيث برز لهم دورًا علميًّا مهمًّا في كافة العلوم الشرعية، كما إن هذا الموضوع لم تفرض له دراسة، فالكتب، والرسائل العلمية التي تناولت بالدراسة موضوعات شتي تخص الدولة السامانية لم تتناول

موضوع القضاء الساماني ونزاهته وعدله؛ لكون ذلك فكرًا أساسيًّا نابعًا من مؤسس الدولة السامانية الأمير نصر بن أحمد وسار علي نهجة باقي أمراء السامانيين، فكان محور حديث الدراسات السابقة عن الدولة السامانية يدور حول الأوضاع السياسية والحضارية .

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي القائم على النقد والتحليل والاستنباط والقياس والوصف من خلال ما أوردته النصوص التاريخية .

وقد قسم الباحث هذه الدراسة لعدة مباحث :

تمهيد : الإطار الزماني والمكاني للسامانيين:

المبحث الأول : الشروط الواجب توافرها في قضاة الدولة السامانية:

المبحث الثاني : تقليد القضاة وهيئتهم في العصر الساماني

المبحث الثالث : اختصاصات القضاة في العصر الساماني

المبحث الرابع : مجلس القضاء في العصر الساماني

المبحث الخامس : الزي ورواتب القضاة في العصر الساماني

المبحث السادس : نماذج قضائية من العصر الساماني.

أولا تمهيد : الإطار الزماني والمكاني للسامانيين:

يرجع بعض المؤرخين أصل السامانيين إلى أسرة فارسية قديمة، من أبناء الملك الفارسي بهرام جوبين(١)، ومن أبنائه "سامان خداه" الجد الأكبر للسامانيين(٢) وعلى هذا، يكون سامان جد السامانيين من ولد بهرام بن أرد شير بن سابور، وقد اتصل جد هذه الأسرة بالسلطة الإسلامية الحاكمة في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)(٣) واعتنق على يديه الإسلام وترك المجوسية(٤) كما التقي سامان، بوالي خراسان من قبل الأمويين أسد بن عبد الله القسري(٥). وقد

(١) بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، ط١، الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م، ص١١٥.، زاهرأذرنيوش: مقاله تاريخي/سامانيان، توسعه أمنيت، علم وفرهنك ص ٤.

(٢) المسعودي، التنبيه والإشراف، دار الصاوي للطباعة، القاهرة، د.ت، ص٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، عبد السلام تدمري، ط١، الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ج٦، ص٣٢٤.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، ص١١٥.

(٤) أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد، ١٩٩٦، ص٢٢٢.

(٥) **أسد بن عبد الله القسري:** ولد ونشأ بدمشق، وتولى إدارة خراسان في سنة (١٠٨هـ/ ٧٢٦م)، وكان عاملاً للأمويين بها وعرف عنه الشجاعة وقد حصن مدينة بلخ وأعاد بناءها وأسكنها الجند ومات سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م) للمزيد انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج٦٣، ص٨٣؛ ج٧٤، ص٦١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج٩، ص٥ .

هرب سامان إلي مدينة خراسان عند أسد بن عبد الله القسري نتيجة هجمات الدهاقاين المتتالية عليه، و ساعده أسد في هزيمة هؤلاء الدهاقين وأعاده إلى بلخ(١).

فدخل سامان الإسلام، وأطلق اسم (أسدًا) على ابنه الأكبر تيمنًا به وتقديرًا لمعروف أسد بن عبد الله القسري الذي أمنه من خطر ملوك الجبال والدهاقاين(٢) كما شارك سامان في أحداث الدعوة العباسية في خراسان بالانضمام إلي أبى مسلم الخراساني، واشترك ابنه أسد بن سامان في جند والي خراسان على بن عيسي بن ماهان في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م)(٣) وفي أثناء ولاية المأمون العباسي على خراسان، كان أسد بن سامان له من الأولاد أربعة وهم: (نوح، وأحمد، ويحيي والياس)، فالتقى هو وأولاده بالمأمون العباسي في مرو قصبة خراسان، وتقربوا منه فأحسن المِأمون إليهم(٤).

وقد أثبت السامانيون ولاءهم للخليفة العباسي المأمون، ودولة بني العباس في أثناء ثورة رافع بن الليث(٥) بخراسان سنة (١٩١هـ/٨٠٦م)، حيث عاونوا قائد

---

(١) **بلخ:** تعد قصبة خراسان ومدينتها العظمي وهي مليئة بالكور والمدن، وكانت مقر ملوك الفرس القدامى، ويتوسط مدينة بلخ إقليم خراسان ما بين فرغانه، والري، وسجستان، وتشتهر بكثرة العمارة والزروع والثمار، وكثرة أرباضها وأسواقها المتنوعة. للمزيد عنها انظر: اليعقوبي، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١١٦؛ الأصطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤، ص٦، ١٢، ١٤٣، ٢٥٤-٢٦٥؛ ابن المنجم، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص٨٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، ١٩٣٨، ص١١، ١٧، ٢٢٦، ٢٧٩، ٤٢٨، ٤٣٧ .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا وآخرون، ط١، ١٩٩٩، ج١٠، ص١٢٦، ج١٢، ص٣٣١.

(٣) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج١٢، ص٣٣١.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ج٦، ص٣٢٤..

(٥) **رافع بن الليث بن نصر بن سيار:** وقد قامت هذه الثورة نتيجة الشدة والعنف التي قام بها والي خراسان من قبل هارون الرشيد (على بن عيسي بن ماهان) الذي تعسف في جمع الأموال من أهالي خراسان وعن الثورة وأحداثها انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار=

العباسيين هرثمة بن أعين في إجبار رافع بن الليث على الصلح والإذعان بالطاعة للعباسيين[١] بعد أن سيطر رافع على سمرقند وخراسان، وفكر الرشيد في الخروج بنفسه لقتاله في سنة(١٩٢هـ/٨٠٧م). فلما أذعن رافع إلى الصلح، وافق الرشيد العباسي على الصلح وأمنه خشية من انفلات أمر خراسان وبلاد ما وراء النهر من سيطرة العباسيين[٢] .

ولم ينس المأمون العباسي لأولاد سامان هذا الموقف من حرب رافع بن الليث وتضيق الخناق عليه حتى أستسلم للعباسيين، فأحسن إلى آل سامان وأوصي بهم خيراً عامل خراسان "غسان بن عباد" [٣]. وقد قربهم الخليفة العباسي المأمون منه، قبل رحيله نحو بغداد واستعملهم، وقام برعايتهم حق رعاية، وأصى بهم عامله على

=التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، ج٨، ص٣٢٤؛ ٣٧٥؛ مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠، ج٣، ص٥٥٥، ج٤، ص٥، ٣٢.

(١) العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ج٢، ص٤٢٨؛ عبد الحميد حمودة، الدويلات الإسلامية المستقلة المشرق، ص١٤٦.

(٢) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢، ص١٣٠؛ ابن الأثير الكامل، ج٩، ص ٣٨٤.

(٣) **غسان بن عباد:** تولى إدارة خراسان بأمر من الحسن بن سهل، وكان ابن عم الفضل بن سهل، وقد عرف عنه الكرم والسخاء وكثرة العطاء، وربما يكون ذلك هو السبب الذي أقره من أجله المأمون على خراسان لتهدئة أمورها عقب ثورة رافع بن الليث وسياسة على بن عيسي بن ماهان التي أخرجت الخراسانيين ضد سياسة بني العباس. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٧، ص٣٣٤؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٣، ص٨، ١٣؛ القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص٦٢؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر، ج٥، ص٢٣٨٦؛ ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ص٢٤٠.

خراسان غسان بن عباد" الذي أحسن إليهم وولي غسان نوح بن أسد على مدينة سمرقند سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) [١]

كما أمر أن يتولى أحمد بن أسد بن سامان شئون إدارة فرغانة[٢]. ولأخيه يحيي بن أسد بن سامان بلاد الشاش وأشر وسنه[٣]، وأدار أخيهم إلياس بن سامان أمر

---

(١) **سمرقند:** من مدن بلاد فارس المنيعة فتحها القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ويوجد بها نهر كبير ضخم يدخلها قادماً من بلاد الترك، وقد عرف هذا النهر باسم "أسف" وهي من المدن المحصنة بالأسوار والأبواب وللمزيد انظر ابن خردزابة، المسالك والممالك، دار صادر، أفست، بيروت، ١٨٨٩م، ص٢٦-٤٠، ١٦٩-١٨١؛ اليعقوبي، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص١٢٤؛ ٢١٨؛ السيرافي، رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص٧٥ .

(٢) **فرغانة:** من المدن الفارسية القديمة التي كانت تعرف باسم (كاسان) وكانت مقر ملك الفرس قديمًا، وهي مدينة كبيرة الحجم جليلة القدر دخلت ضمن أعمال سمرقند، وتشتهر هذه المدينة بكثرة تجارة أهلها بالذهب والفضة فضلا عن معدن الزئبق والحديد والحجارة السوداء، وتجري بأرضها مياه عذبة رغم كثرة مجاريها ويوجد فيها الرقيق التركي والعقاقير الكثيرة وتشتهر أيضاً بالأحجار وكثرة الأسواق عنها انظر: ابن خردزابة، المسالك والممالك، ص٢٧-٤٠، ٢٠٣-٢١٢، ٢٤٣؛ اليعقوبي، البلدان، ص١١٦؛ ١٢٥-١٢٦؛ ١٢٥-١٣٤؛ ابن الفقيه، البلدان، ص١٠٩، ٢٣٤-٤٢٤، ٦٢٣-٦٤٩؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٦-١٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض،، ص١١-١٧؛ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص١٣٠؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٦، ٣٦، ٦١-٦٤؛ الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ج٤، ص٢٥٣.

(٣) **الشاش وأشر وسنة:** من أعمال سمرقند ولها مدن كثيرة حتى قيل أنه "ليس في خراسان وما وراء النهر كوره ولا إقليم علي مقدارها في المساحة" وقرى هذه المناطق عامرة وتمتد حتى تنتهي في وادي الشاش الذي يقع في بحيرة خوارزم، وتمتلئ قرى ومناطق بلاد الشاش واشر وسنه بالبساتين فضلا عن كثرة الأسواق بهم للمزيد انظر: ابن خردزابة، المسالك والممالك، ص٢٥-٣٩، ٢٠٢-٢٠٧؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٢٦؛ ابن الحائك، صفة جزيرة العرب، ص٣٨؛ ابن الفقيه، البلدان، ص٣٠، ٥٢٤، ٦١٦-٦٢١؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٢٩٥، ٣٠٤، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣٣؛ البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله ص٢٢٣؛ البكري، المساك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ص٢٣٢، ٢٦١؛ معجم ما استعجم، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص٣٦٤، ٧٧٦، القطيعي، مراصد=

هراة[١] . وقد أكرم الطاهريون بعد سيطرتهم على إقليم خراسان السامانيين، فأبقوهم على ما بأيديهم من أراضي سجستان، وهراة. بعد أن توفى ألياس بن سامان في سنة(٢٤٢هـ/٨٥٧م)، تولى مكانه ابنه أبو إسحاق محمد، وظل على فرغانة والشاش أحمد بن أسد الساماني منذ سنة (١٩٨هـ/٨١٤م).[٢]، وجاء معظم أمراء السامانيين من أبناء أحمد بن أسد الساماني الذي قيل عنه "رجل عفيف السيرة" لا يأخذ رشوة [٣]، و توفى أحمد بن أسد الساماني في سنة (٢٥٠هـ/٩٦٤م)، وكان له من الأولاد سبعة وهم (نصر، ويعقوب، ويحيي، وأسد، وإسماعيل، وإسحاق، وحميد) وبعد وفاته تولى إدارة أعمال سمرقند ابنه نصر بن أحمد بأمر من الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ –٢٣٢هـ/٨٤٢–٨٤٧م) وظل عليها حتى سقوط الدولة الطاهرية على أيدي الصفارين سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) [٤].

كما جمع نصر بن أحمد في سنة(٢٦١هـ/٨٧٤م) تحت سيطرته بلاد ما وراء النهر كلها بأمر من الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦–٢٧٩هـ/٨٧٠–٨٩٢م)،

=الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ص٤١، ٦٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٧٠.

(١) **هراة:** تعد من أشهر مدن خراسان، وتمتلئ بالبساتين والخيرات خاصة وأن الماء يدخلها بسهولة ويتميز أهلها بكثرة ثرائهم، وهي من المدن قديمة البناء، فقيل: إن مؤسسها هو الإسكندر الأكبر في رحلته إلى بلاد الشرق مرورا بأرض الصين وحصنها بسور ضخم وعدة أبراج، وأبواب، وينتمي اليها عدد من العلماء الذين أسهموا في الحضارة العربية الإسلامية منهم الحسين بن إدريس بن المبارك أبو على الأنصاري وهو من أشهر علماء أهل الحديث للمزيد انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٤، عبد الحميد حمودة، الدويلات الإسلامية المستقلة، ص١٤٧.

(٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٤، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٦، ص٢٢٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٣، ص٧٤، ج١٥، ص٢١١.

ولم يلبث أن أمر بأن يكون أخيه إسماعيل بن أحمد بن سامان على بخاري الذي تركها دون إذن أخيه ورحل نحو سمرقند[١] الأمر الذي نتج عنه سوء واضطرابات سياسية بين الأخوين انتهت بقتال دار بينهما في سنة (٢٧٥هـ/٨٨٨م) أسر على أثره أخيه نصر وانتصر إسماعيل فعفا عنه أخيه وسيطر إسماعيل على بخاري ومدن الإقليم[٢]

وكانت العلاقات بين السامانيين ودار الخلافة العباسية طيبة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ثم ساءت مع مطلع القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي؛ بسبب التنافس للسيطرة علي خراسان وبلاد ما وراء النهر بين الطرفين [٣]، وقد حرص السامانيون على الاهتمام بشتى العلوم والثقافة وخاصة الثقافة الفارسية القديمة، وقدموا في سبيل ذلك الأسس الضرورية بهدف الاهتمام بالعلم والعلماء[٤].

كما اتسم عهد السامانيين بالعدل خاصة وأن مؤسس الدولة الأمير إسماعيل بن أحمد كان يهتم بأهل العلم ويبجلهم وخاصة علماء الفقه والحديث، وهذا يفسر اهتمامه بالقضاة وعلماء الفقه فكان يحرص على اختيارهم من أهل العلم وأصحاب السيرة الحسنة[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٢٤، بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي، ص١١٧.

(٢) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٥٠.

(٣) محسن رحمتي: يروهش سامانيان واحياي شاهنشاهي إيراني، جستارهاي تاريخي، يروهشكاه علوم انساني ومطالعات فرهنكي، سال ششم، شماره أول، بهار وتابستان ١٣٩٤هـ. ش ص٦٦.

(٤) جهابنش–أكرم كرميلي :مقالة يروهشي / باستان كرابي درفرهنك وادبيات دوران ساماني ،دو فصلنامه تخصص تاريخ ايران اسلامي دانشكاه أذر اسلامي واحد شوشتر،سال ششم، شماره دوم ،ياييزوزمستان سال ١٣٧٩ هـ.ش ص ٦٧–٦٨.

(٥) العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ج٣، ص٤٠١.، أكرم كرميلي– مجتبي ذهابي– فاطمة=

المبحث الأول : الشروط الواجب توافرها في قضاة الدولة السامانية:

حرص الأمراء السامانيون عقب سيطرتهم على بلاد المشرق على إقامة العدل بين جموع الرعية وهو مبدأ غرسه مؤسس الدولة الأمير نصر بن أحمد الساماني بعد السيطرة على بلاد ما وراء النهر في سنة(٢٦١هـ/٨٧٤م)، فبمجرد سيطرته علي تلك المناطق عمل على اختيار العلماء والفقهاء، وأشركهم معه في أمور الإدارة والحكم، واستمع إلي آرائهم الفقهية والشرعية، وقد حرص السامانيون علي اختيار قضاتهم ممن يتمتعون بسيرة طيبة بين جموع الرعية، والحافظين للكتاب والسنه النبوية المطهرة، **وتتلخص الشروط التي تم على أساسها اختيار هؤلاء القضاة فيما يلي:**

١- **الإلمام بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة واختلاف السلف:** وهي صفات تمتع بها كل قضاة السامانيين الذين اشتهروا بالعدل وعدم التشدد في الأحكام الشرعية[١]، فكان القاضي السمرقندي أبو حاتم محمد بن حيان التميمي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) الذي ولد في سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) ونشأ محبا للعلوم الدينية وخاصة الحديث والفقه[٢]، وذاع صيته وزادت شهرته في علم الفقه والحديث، فولاه السامانيون قضاء سمرقند والإشراف على أماكن العبادة [٣]، كما كان لنبوغه في العلوم الدينية أن رحل إليه طلاب العلم من نواحي بلاد المشرق للأخذ منه والنقل عنه[٤]. وقد عرف

=يوسفوند– زهراجعفرنراد: مقالة يروهشي/باستان كرابي درفرهنك وادبيان دوران ساماني ،دومين كنفرانس بين المللي مديريت وعلوم اجتماعي، سال ١٣٩٥ هـ. ش ص ٦٩.

(١) ابن الأخوة القرشي، معالم القربة في طلب الحسبة، ص٣٠٣.

(٢) على بن عبد الله بن شديد المطيري، جهود المحدثين في بيان علل الحديث، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، السعودية، د.ت، ص٣٠.

(٣) بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٥٤.

(٤) بدر عبد الرحمن محمد، المرجع السابق، ص٣٥٤.

بأبي حاتم البستي نسبة إلى مسقط رأسه مدينة بست[١] وقد كان رجلًا عالمًا تنوعت فروع العلم عنده، فوصفه الذهبي بقوله ".... كان أبو حاتم البستي مؤرخًا، علامة جغرافيًا، محدثًا كثير الرحلة والتصنيف"[٢].وقام بتصنيف العديد من المصنفات أحدهما يعرف بـ "كتاب الصحيح"، "والثقات" وغيرها[٣] مثل كتاب "علل الحديث الزهري" وعلل حديث مالك بن أنس"، وتوفي بسمرقند في سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) [٤].

ويعد القاضي أبو الفضل بن محمد بن أحمد المروزي (ت ٣٧٣هـ/٩٨٣م)، المعروف بأبي العباس نقل عنه العديد من الروايات عن القبائل التركية[٥] وتلقب بـ "أبوالطيب"[٦]، وقيل إنه كان يكنى ب . "أبو النضر" ومن المعروفين بثقات أهل الحديث[٧]، ويعد المروزي من الفقهاء الذين يشهد إليهم بالثقات درس على مذهب الحنفية وعرف بالفقيه الحاكم الشهيد[٨]، وعاصر ابن الفقيه وروي عنه ".. أسطورة حجر المطر الذي لدي الترك والذي يستجلبون به المطر إذا خافوا من الأعداء"[٩]،

---

(١) النيسابوري، تلخيص تاريخ نيسابور، ترجمه عن الفارسية بهمن كريمي، كتب خان، طهران، ج١، ص١٠٤.

(٢) الذهبي، العرش، تحقيق محمد بن خليفة بن على التميمي، ط٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٥٥.

(٣) الذهبي، العرش، ج٢، ص١٥٥.

(٤) علي بن عبد الله بن شديد المطيري، جهود المحدثين في بيان علل الحديث، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، السعودية، د.ت ، ص٣٠.

(٥) ابن الفقيه البلدان، ص٢٨؛ عياض بن موسي بن عياض البستي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار المكتبة العتيقة، دار التراث، ج١، ص٩.

(٦) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر العربي، ج٩، ص٣٨٩٠.

(٧) ابن قليج، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج٢، ص١١٣.

(٨) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٢٨.

(٩) ابن الفقيه، البلدان، ص٢٨.

وكان رجل حسن السيرة عرف عنه العدل في قضائه غير متشدداً فيه ناصحًا بالعدول والرجوع للعدل "[١] ويعد محمد بن أحمد المروزي المعروف ب"أبو الفضل" التميمي أحد أكبر أئمة أهل العلم والفضل في مرو قصبة خراسان ومن كبار رؤساء أهل العلم بها ونقل عنه جل أهل العلم وممن اهتموا بعلوم الدين في خراسان في العصر الساماني وعلموها لأهلها[٢]، بعد أن نقل علم الفقه و الحديث عن ثقات الشيوخ[٣]، وعلم القراءات وأجاده [٤]

وعن مجلس قضائه، كان لا يحكم حكمًا ويشعر فيه بشبهة ،لدرجة أن شيوخ عصره عندما تقف أمامهم مسألة فقهية وشرعية يكون رأيه وحكمه فيها هو الصواب ويأخذ به لثقتهم في علمه الشرعي[٥]. فكانت أحكامه في الفتوى قائمة على نص الكتاب (القرآن الكريم)، والسنة النبوية حتى إنه كان يقلل من الاجتهاد خاصة إذا كان هناك نص صريح في الكتاب والسنة،[٦]. وكان يجلس بين طلاب علمه بعد مجلس قضائه يعلمهم،"[٧] أن القاضي يحكم بالعدل في القضايا إذا كان ملمًّا بعلوم الفقه والحديث دائم الذكر لطلابه "... إن من خيركم . أو خيركم . أحسنكم قضاء"[٨].

وقد عمل بعلم الفقه في "نيسابور"، وعمل بعلم الحديث بين أهل العراق، ورحل نحو دمشق وحدث بها ومنها انتقل نحو مكة وسمع فيها إلى كبار أهل العلم والفضل

---

(١) القضاعي، مسند الشهاب، ج٢، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص١٠٤.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وآخرون، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ، ج٤، ص١١٣.

(٣) القيسي، توضح المشتبه، ج١، ص٥٠٨.

(٤) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ١٥٣١هـ، ج١، ص٢١٨.

(٥) القضاعي، مسند الشهاب، ج١، ص٩٨.

(٦) السبكي، طبقات الشافعية ، ج٣، ص١٠٠.

(٧) القضاعي، مسند الشهاب،ج٢ ، ص٢٩٨.

(٨) القضاعي، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٤٠.

مثل الحافظ "أبو الحسن" الدار قطني، ومحمد بن أحمد المحاملي وغيرهم"[١]. كما قارن بوقائع مشابهة في مجالس قضائه بعهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين قبل الفصل في تلك القضايا "[٢].

ومن تصانيفه في علم الفقه تلخيص التهذيب البغوي في فروع الفقه الشافعي وأطلق عليه اسم لباب التهذيب، كما صنف كتاب "التعليق الكبير" فضلاً عن كتابه المعروف باسم "الفتاوى" كما صنف كتابًا آخر عرف باسم "معجم المؤلفين"[٣] .

وتعلم منه القضاء والفقه ابنه القاضي حسين بن محمد بن أحمد المروزي ت (٤٦٢هـ/ ١٠٣٤م)"[٤]. ومن مصنفات القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي ت(٤٦٢هـ/١٠٣٤م)، كتاب التعليق الكبير، ولباب التهذيب، ومختصر التهذيب للبغوي، وشرح فروع ابن الحداد في الفقه، وأسرار الفقه[٥].

وكان علي قضاء بخاري، وهو صاحب مؤلف المختصر الكافي، وكان في مجالس قضائه ينهي عن المحارم بعقوبات رادعة [٦]، وقد كني محمد بن محمد بن أحمد المروزي عند علماء الفقه وأهل العلم بـ"أبو الفضل الروحي"[٧] ويصفه اليافعي بقوله: " كان من الأئمة الأجلاء، حسن النظر، مشهورًا بالزهد، حافظاً للمذهب وله فيه

(١) الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج٤، ص٤٩٢؛ الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٢٢٨.

(٢) القضاعي، مسند الشهاب ، ج١، ص٣٣٥.

(٣) الهيثمي، المنهاج القويم، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ص١٥٠.

(٤) الصنعاني، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية، ط١، الكويت، ١٤٠٥هـ، ص٣٠.

(٥) ابن اللحام ،الأحكام ، ص١١٩.

(٦) القضاعي، مسند الشهاب، ج٢، ص١٢٨.

(٧) النيسابوري، تلخيص تاريخ نيسابور، ترجمة عن الفارسية بهمن كريمي، كتاب خانه، طهران، د.ت ص١١٠.

وجوه غريبة"[١] وتوفى الفقيه الزاهد الشيخ أبو زيد محمد بن أحمد المروزي الشافعي سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) في مدينة مرو وهو يبلغ من العمر تسعون [٢]. وقيل المروزي عاش إلى بعد سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٣] وتوفى الخضري أبو عبد الله محمد بن أحمد المروزي إمام مرو ومقدم الشافعية أحد شيوخ القفال في عشر الثمانين والثلاثمائة نحو (٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٤].

٢- **أن يتمتع بكافة حواس السمع والبصر جامعًا للعفاف،** وتوافر هذا الشرط في كل قضاة العصر الساماني، ونذكر منهم أبو الحسن محمد بن إبراهيم القاضي بنيسابور(ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، فكان فقيه ومؤذن قرية (سنجي) وهي قرية من قري مرو بنيسابور، قيل عنه أنه حاد السمع والبصر جامع للعفاف[٥] وقد عمل أبو الحسن في شهور سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) علي الإلمام بعلوم الدين التي كان يستخدمها في أحكامه القضائية[٦] وأعد من ثقات أهل الفقه والعلم يستمع جيدًا للمتخاصمين، ويقضي بينهم بالكتاب والسنة[٧]، وقد اختاره السامانيون لتولي قضاء المظالم بنيسابور ، وظل على القضاء حتى وفاته باستراباذ في سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م)[٨].

---

(١) اليافعي، مرآة الجنان وعبر اليقظان، تحقيق خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ج٢، ص٢٩٨.

(٢) اليافعي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٨.

(٣) ابن ما كولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكني، ج٤، ص٢٣٩.

(٤) السرخسي المبسوط، ج١، ص٣.

(٥) الهمذاني، كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية، تحقيق عبد الستار أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٩، ص٢٠٩.

(٦) الجورقاني، الأباطيل، والمناكير والصحاح والمشاهير، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٦٠؛ السيوطي، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق، أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٤٣.

(٧) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص٣٣٠.

(٨) الجرجاني، تاريخ جرجان ، ص٤٥٧.

٣ – **أن يكون رجلًا عاقلًا وافر الرأي يتمتع بالفطنة، والذكاء، والحلم، والعدل، والإنصاف** ومن أمثلة ذلك قاضي بخاري سعيد بن خلف البلخي الذي تولى قضاء بخارى في جمادى الأولى سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م)، وعرف عنه رجاحة العقل، والذكاء في التعامل مع المتخاصمين، والعدل في أحكامه بين جموع أهل بخارى، كما كان رحيمًا في مجلس قضائه فيما يعرض عليه من قضايا[١]، و شارك السلطة السامانية في العديد من النظم التي ساعدتهم في إدارة أمور الدولة، حيث قام بـ"..... وضع نظام عسس المياه وتقسيم الماء في بخاري بالعدل والإنصاف بين الناس حتى لا يجور القوي على الضعيف"[٢]. ولم يقف الباحث على تاريخ وفاة له، غير إنه توفي في الربع الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[٣] . كما تمتع برجاحة العقل والفطنة والذكاء والحلم قاضي سمرقند للسامانيين أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م): يضرب به المثل في التدين والعقل والحلم والحكمة، وهو أحد كبار علماء الدين في سمرقند، [٤] فلقبه أهل سمرقند وما جاورها بلقب، الحكيم السمرقندي"[٥] وعرف بينهم بالحكيم الصدوق، فلم يكن يتحدث في أمور الدين ولا يحكم بفتوى إلا عن صدق ويقين لما يروي من أمور فقهية عن ثقات شيوخ أهل

(١) عبد الحميد حمودة، الدول الإسلامية المستقلة في المشرق منذ قيام الدولة الطاهرية وحتى نهاية الغزنوية ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م ، ص١٧٩.

(٢) حمودة، المرجع السابق، ص١٧٩.

(٣) حمودة، نفسه ، ص١٧٩.

(٤) عبد الحميد حمودة، نفسه، ص١٨٠.

(٥) عبد الرحمن صالح المحمود، مواقف ابن تيمية من الأشاعرة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٥، ج٢، ص٤٨٠.

العلم[١]. وقد تتلمذ ودرس علم الفقه والكلام علي يد الماتريدي، وأعد من أشهر تلاميذه النجباء[٢].

واشتهر عنه أيضًا بين أهل سمرقند كثرة الوعظ[٣] وكانت علومه قائمة على محاربة المذاهب الخارجة عن الإسلام والتي تزايدت في بلاد ما وراء النهر بعد أن امتلأت بمختلف الطوائف والفرق[٤]، وقد قام بالرد على أصحاب الهوى والفكر الخارج عن الإسلام في كتاب بعنوان: "السواد الأعظم" وهو كتاب نقل فيه العديد من المتون الماتريدية، فضلاً عن مؤلف آخر يحمل اسم "رسالة صغيرة في الإيمان"[٥]، وقد ربط البعض من المؤرخين بصلة قرابة بين أبو القاسم إسحاق بن محمد (ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م)، بينه وبين الماتريدي من خلال مؤلفه "نقض المبتدعة عن السواد الأعظم على طريقة الإمام أبى حنيفة"، حتى قالوا ربما يكون شقيقه وتتلمذ على يديه، لكن البعض قال أن لقب إسحاق بن محمد الماتريدي ليس بالضرورة إنهما شقيقان، وذلك نسبة إلى الموطن وليست بالضرورة للعائلة أو القبيلة، فقد عرف أكثر من شخص الماتريدي مثل القاضي الحسين الماتريدي وكان رفيقًا له وانتهت إليه رئاسة أصحاب الإمام أبى حنيفة"[٦].

---

(١) ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبى القاسم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤، ج٦، ص٣٠٨.

(٢) علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنيه للنشر، ١٤٢٣هـ، ج٢، ص ٢٠٧ .

(٣) مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ، ص٩٦.

(٤) محمد بن خليفة بن على التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، ط١، أضواء السلف للطباعة، الرياض، ١٩٩٧، ص١٠٧.

(٥) علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج٢، ٢٠٧.

(٦) السقاف، المرجع السابق ، ج٢، ص٢٠٧.

وقد تولى أمر القضاء في سمرقند لسنوات طويلة اشتهر وقتها بالقاضي العادل المنصف للمظلوم والضارب بقوة على يد الظالم، فاشتهر بسيرته الطيبة والعدل في كل أحكامه [١].، ويذكر أن من كتبه أيضًا "الصحائف الإلهية" والذي فسر فيها القرآن الكريم[٢]، وذاع صيت هذا الفقيه في مشارق الأرض فيقول عنه السمعاني ".... دونت حكمته وانتشر ذكره في شرق الأرض وغربها بأبي القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه[٣] كما روي عنه أبو جعفر بن منيب السمرقندي، ومحمد بن أحمد بن قريش الحكيمي البغدادي، وهو من شيوخ الإمام الدراقطني، ومحمد بن إبراهيم بن حكيم الحكيمي المروزي وهو من شيوخ ابن منده" [٤].

ويذكر البعض أنه توفي في سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م)[٥] وقيل في سنة (٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)[٦] غير أن الثابت في معظم كتب التراجم والذين ترجموا لشخصية هذا القاضي أنه توفى يوم عاشوراً في شهر المحرم سنة(٣٤٢هـ/٩٥٣م)، ودفن بسمرقند[٧]، ويؤكد ذلك السمعاني بقوله "توفى في المحرم يوم عاشورا سنة (٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) بسمرقند ودفن بمقبرة "جاكرديزه" وزرت قبره...." [٨].

٤– **صادقا نزيها حليما ورعا تقيا زاهدا لا تأخذه في الله لومة لائم** وهي من الشروط المهمة عند السلطة السامانية لاختيار قضاتهم ويدل علي ذلك القاضي الساماني محمد بن أحمد بن موسي البركدي (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م)، نشأ في قرية من

(١) الماتريدي، تفسير الماتريدي ج١، ص٨٣؛ ابن الأثير، الكامل دار صادر، بيروت، ج١، ص٣٧٩.

(٢) الزركلي، الإعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢، ج١، ص٢٩٦.

(٣) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٢٠٧.

(٤) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الهداية، القاهرة، د.ت، ج٣١، ص٥٢٣.

(٥) علوي عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج٢، ص٢٠٧.

(٦) خير الدين الزركلي، الإعلام ، ج١، ص٢٩٦.

(٧) الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، ج١، ٨٣.

(٨) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٢٠٧.

قري مدينة بخاري تعرف باسم (بركد) وحمل لقب البركدي نسبة إلى قريته[١] وقد كان يكني بأبي جعفر نسبة إلى ابنه الأكبر، واشتهر بين أهل قريته بحبه لعلوم الدين[٢]، فقد نشأ راويًا للحديث الشريف ونقله عن أبيه، فهو من بيت علم كان أبوه أحمد بن موسي بن سلام حافظاً لصحيح الإمام البخاري، وتولى قضاء المظالم في مدينة بخاري في عهد السامانيين وبخاصة عهد الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني، واشتهر بالتقوى والورع والزهد ورد المظالم والإنصاف والعدل[٣] وكان لعدلة وزهده وتقواه أثر كبير في بقائه على قضاء المظالم في مدينة بخاري حتي وفاته في ولاية الأمير إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الساماني في شهر ذي الحجة سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)[٤].

ويعد قاضي بخاري أبو ذر محمد بن يوسف البخاري (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، من القضاة الذين تمتعوا بالورع والزهد والتقوي بين أهل بخارى، ولد سنة (٢٣١هـ/٨٤٥م) ونشأ محبًا للعلوم الدينية والشرعية، وقد عرف باسم "أبو ذر ولقب به وكان من المحدثين بهراه[٥]. وتلقي تعلمه على يد شيخ بخاري وعالمها "أبو عبد الله حاتم بن قديد البخاري " الذي سكن قرية أشيمون من أعمال بخاري وكان رجل عالمًا زاهدًا [٦]. ويذكره الأمام البخاري بقوله أنه "يستذكر الأمر ثمانية عشر مرة"[٧] ويؤكد ذلك المزي بقوله "... أن محمد بن يوسف البخاري ذكر أنه كان عند محمد بن إسماعيل البخاري

---

(١) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ص١٤١؛ السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، ص٣٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٩٩.

(٢) الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كتب خانه، كراتشي، د.ت، ج٢، ص٢٨٨.

(٣) السمعاني، الأنساب ج٢، ص١٧٥؛ حمودة، الدول الإسلامية المستقلة ، ص١٧٩.

(٤) السمعاني، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٥؛ الحنفي، الجواهر المضيه، ج٢، ص٢٦.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣، ج٢٣، ص٤٨٥.

(٦) السمعاني، الأنساب ،ص٢٧٢.

(٧) البستي، برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ج١، ص٨٢؛ الصيداوي، معجم الشيوخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، بيروت، طرابلس، ١٤٠٥هـ، ص١٧٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٣٢٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٩٩٥، ج٥٢، ص٧٠.

بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعقلها في ليلة ثماني عشرة مرة"[١]. وقد تولى قضاء خراسان للسامانيين، ويصفه الأمام الذهبي بقوله "... كان ينتحل الحديث ويذب عن الأسنة"[٢] وفي زهده وورعه وتقواه يصفه ابن العديم بقوله "... أبى ذر قاضي القضاة بخراسان كان عابدًا زاهدًا سائحًا جاء نحو طرسوس للتعبد بها"[٣]. وقد تلقب ب(بابنده) وقيل بالفارسية (ميرمقلد) بمعني شرح الأبواب لكونه فصل وشرح العديد من المصنفات في الفقه والأحكام الشرعية[٤]. ونتيجة لكونه من أصحاب الشافعي تميز بعلمه وزهده، حتى إنه كان مقدمًا على علماء بخارى في الفقه والفصل بين الخصومات، ويذكر أنه قد تم امتحانه كثيراً في عدله ونزاهته، عن طريق تقديم الرشوة له بكل الوسائل ولكنه رفضها، وعندما تقدم في السن طلب إعفائه من القضاء[٥].،وكانت له حلقات علم لطلابه بعد مجلس القضاء يروي فيها الحديث عن الإمام البخاري فروي عنه اثنين وستين حديثا[٦]. وقيل ما يقرب من سبعون ألف حديث، وقد توفى محمد بن يوسف في شوال سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م [٧]. وقيل أن وفاته كانت في شهر ذي الحجة من سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)[٨].

---

(١) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط١، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢٤، ص٤٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١٠، ص٨٥؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وآخرون، ط٢، دار هجر للطباعة، ١٤١٣هـ، ج٢، ص٢٢٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٤٨٥؛ ابن ما كولا، الإكمال في رفع الارتياب؛ ابن نقطة، اكمال الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، جامعة أم القري، مكة، ١٤١٠هـ، ج٢، ص٦٤٣.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر، ج١، ص٤٣٩٦.

(٤) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار أحياء التراث العربي، ١٩٤١م، ج٢، ص١٧٤٠.

(٥) عبد الحميد حمودة، تاريخ الدول الإسلامية المستقلة، ص١٨٠.

(٦) ابن قليج، أكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وآخرون، ط١، دار الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١، ج١٠، ص٤٠١.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٦.

(٨) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٢٨٥.

٥–**ثقة مذكوراً بالفهم موصوفًا بالحفظ،** فكان قاضي سمرقند حامد بن أحمد بن محمد بن أحمد المروزي (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) من القضاة المشهورين بالحفظ والفهم والعدل في أحكامهم، وقد ولد الإمام أبو حامد في سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥ م)[١] ونشأ متعلقًا بعلوم الحديث والفقه، وكان بين علماء عصرة من الثقات[٢] ورحل من بغداد الي طرسوس مرابطاً[٣] وعرف بالزيدي؛ وذلك لأنه كان يجمع الحديث من طريق زيد بن أبى أنيسة، وأعد ضمن الفقهاء العدول سمع الفقه والحديث من شيخ الفقهاء وقتذاك "أبى رجاء محمد بن حمدويه المروزي "وعددًا آخر، وروي عن علمه في الفقه والحديث إمام أهل العلم "الدراقطني"[٤]، وقيل إنه عرف بالزيدي؛ لأنه نسب إلى زيد بن على قيل نسبًا وقيل مذهبًا[٥]، وقد ذكره الذهبي بقوله "..... كان ثقة مذكوراً بالفهم، موصوفًا بالحفظ"[٦]، وقد أبلى بلاءً حسنًا عقب توليته أمر القضاء بسمرقند للسامانيين، حيث كان في منصب قاضي القضاة بها لعدله وتقواه وورعه، وعرف بصاحب الكتب والتواريخ[٧] وكان من القراء الحفاظ للقرآن والمحدث بالصحيح من الروايات والأحاديث[٨]. ومات شيخًا كبيرًا في شهر رمضان سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) وقيل إنه عاش رمضان سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، وتوفي في مدينة بغداد في رمضان سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)[٩].

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٨٨.

(٢) الذهبي، المصدر السابق، ج٣، ص٨٨؛ المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد ط١، دار الفرقان، ١٤٠٤هـ، ص١١٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٦٩.

(٤) القيسي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ج٤، ص١٢٥.

(٥) القيسي، توضيح المشتبه، ج٤، ص١٢٥؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج١١، ص١٦٣.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ج٣، ص٨٨.

(٧) عبد الحميد حمودة، الدويلات المستقلة، ص١٨٠.

(٨) القيسي، توضيح المشتبه، ج٤، ص١٢٥.

(٩) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٨٨، ج١١، ص٥٤٥؛ القيسي، المصدر السابق ، ج٤، ص١٢٥.

٧- **أن يتمتع بالسيرة الطيبة بين جموع أهل العلم والعامة**[١]. مثل القاضي أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م) وقد ولد سنة (٢٨٦هـ/٨٩٩م)، ونشأ محبًا لعلوم الدين متعطشًا لها حتى تولى قضاء وبخارى، وظل بها يحظى بمكانة كبيرة عند الأمراء السامانيين[٢]، فقد حرص الأمراء السامانيين على اختيار قضاتهم بعناية فائقة ممن يحملون علوم الدين ويتمتعون بمكانة مرموقة وسمعة طيبة وسيرة حسنة بين أئمة أهل العلم[٣]. وقد مثل ذلك القاضي عبد المجيد بن إبراهيم النرشخي[٤]، الذي نشأ في إحدى قري مدينة بخاري تعرف باسم (نرشخ) وتشتهر هذه القرية بكثرة علمائها في الفقه والدين كأحمد بن محمد بن إسماعيل النرشخي الفقيه الزاهد، وأبو عبد الله محمد بن حمدان النرشخي أحد كبار رواة الحديث وغيرهم[٥]، وقد كان لمدينة بخارى سبعة أبواب حديدية ضخمة منها باب الجامع، ويقع في الشرق منها أطلق عليه (النرشخي) اسم باب (غوريان)[٦]، وأبى بكر محمد بن جعفر النرشخي ت(٣٤٨هـ/ ٩٥٩م)، تمتع بالسيرة الطيبة بين عامة الناس، وكبار علماء عصر، وهو صاحب كتاب تاريخ بخاري و من الذين اهتموا بعلوم الفقه والحديث[٧]، وتوفى في شهر صفر سنة(٣٤٨هـ/٩٥٩م) [٨].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٣-٤٤.

(٢) السمعاني، الأنساب ، ج١٣، ص٧٧؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٣٠٦؛ السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٢٦٢.

(٣) عبد الحميد حمودة، الدويلات المستقلة في المشرق، ص١٧٩.

(٤) عبد الحميد حمودة، المرجع السابق ، ص١٧٩.

(٥) السمعاني، الأنساب، ج١٣، ص٧٧.

(٦) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ، ج٣، ص١٥٨.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص١٨؛ **ألف محمد بن جعفر النرشخي** كتاب تاريخ بخاري سنة(٣٢٢هـ/٩٣٣م) وترجمه إلى الفارسية سنة (٥٢٢هـ/١١٢٨م)، أبو نصر أحمد بن نصر القباوي ولخص محمد بن زفر بن عمر سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) . للمزيد انظر: ابن فندامة، تاريخ بيهق، ط١، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ؛ ج١، ص٦٦٧؛ حسين عطوان، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٩م، ص٣٢٠.

(٨) السمعاني، الأنساب، ج١٣، ص٧٨.

٨– **ذكيا وقوراً قليل الكلام** ومن أمثلة ذلك قاضي نيسابور للسامانيين محمد بن الحسين بن الهيثم البسطامي (ت ٤٠٨هـ/١٠١٧م): كان أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي من ثقات أهل الحديث بنيسابور(١)، وقد عرف بالفقيه الواعظ على مذهب الشافعي، و جاء إلى بغداد في حياة أبى حامد الأسفرايني وكان أبي حامد يجله ويعلى من قدره لمكانته وكثرة علمه(٢).ويصفه الذهبي بقوله " أنه ذكي وقور قليل الكلام"(٣)، وقد تولى قضاء نيسابور للسامانيين، وعلم أهلها علوم الدين وكان من ثقات أهل العلم(٤).

٩– **كما اشترط في القاضي أن يكون عالمًا باللغات القديمة**، ومن القضاة السامانيين بنيسابور الذين أجادوا تلك اللغات كان القاضي الساماني أحمد بن الحسن بن أحمد الحرشي أبو بكر الحيرى ت (٤٢١هـ/١٠٣٠م)، فقيه نيسابور ومحدثها، واشتهر بين أهلها بالسيرة الطيبة، وولي قضاء نيسابور للسامانيين، وعرف عنه أنه رجل غزير العلم، وكان من شيوخ الحاكم والبيهقي، واشتهر بين جموع أهل نيسابور بالقاضي العادل العالم بلغات الفرس ، وظل قاضيًا عليها حتى وفاته في سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) (٥).

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٤١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٢، ص٢٤٤.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١٣، ص٣٥٢.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٤٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الاسلام، تحقيق محمد خليفة، على التميمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٣،ج٢ ص٢٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج١١، ص١٢٠.

المبحث الثاني : تقليد القضاة وعزلهم في الدولة السامانية :

حرص السامانيون على اختيار قضاتهم بعناية فائقة، فكان يتقلد القضاء من تتوافر فيهم الشروط السابقة كالعلم بالكتاب والسنة والعقل ورجاحة الرأي وطهارة الأيد، وفي ذلك يقول الماوردي "" إن كان من غير أهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً، وصار بالطلب مجروحًا"[١]، وقد أحاط السامانيون القضاة باحترام كبير، وذلك لكون القاضي "عمود السلطان وقوام الأديان"، كما حرص السامانيون على الاحتفاظ لأنفسهم بحق تولية وعزل قضاة خراسان[٢]، وتقديرًا لمكانة القاضي في العصر الساماني، حرص الأمراء السامانيون على احترام أحكامهم القضائية وتنفيذها، وعدم مخالفة قراراتهم لكون القاضي يمثل لهم العلم والزهد في زمانه[٣].

وقد كان لكل مدينة من نواحي خراسان نظام تسلسل قضائي، فكان هناك قضاة في قرى بلخ، وقرى مرو، يمارسون مهامهم القضائية على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان[٤]. فكان القاضي محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو الحسن الحنظلي المروزي (٢٨٩هـ/٩٠١م)، الذي كان من أكبر علماء الحديث والفقه، نقل الحديث والآراء الفقهية، والفتاوي الشرعية عن ثقات أهل العلم، ولم يتفق عليه أهل خراسان، فولى القضاء لرافع بن هرثمة، الليثي، وصفه الذهبي بالإمام" بالعالم الفقيه" فعرف بفقيه مرو، ونشأ بنيسابور نشأة علمية، درس فيها علوم الدين على يد ثقات أهل العلم والفضل بها، وولى القضاء للسامانيين، وقتلته القرامطة في طريق مكة سنة (٢٩٤هـ/٩٠٦م) وقيل بمرو سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م)[٥].

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص١٢٦.

(٢) الحديثي، ارباع خراسان، ص١٤٥.

(٣) الحديثي، المصدر السابق ص١٤٧.

(٤) الحديثي، نفسه، ص١٤٦.

(٥) أبو الطيب نايف بن صلاح بن على المنصوري، إرشاد القاصي والداني، تراجم شيوخ الطبراني، تحقيق، سعد بن عبد الله الحميد، دار الكيان، الرياض، د.ت، ص٥١١.

والقاضي موسي بن إسحاق بن موسي الإمام الحافظ ت (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، والمعروف بأبي بكر الأنصاري الخطمي فقيه شافعي، تولى قضاء نيسابور فترة طويلة للسامانيين، ثم تولي بعدها قضاء الأهواز، ومعروف عنه الصدق والعدل في أحكامة، وعلمه فيما، وتميز بكثرة السماع لثقات أهل العلم، ونقل الكثير من الآراء الفقهية علي مذهب الشافعي، وقد حفظ القرآن منذ صغره، وهو يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، وقيل إن".... الخليفة المعتضد (٢٧٩هـ/٨٤٢م) أوصى وزيره بموسي وبإسماعيل القاضي وقال بهما يدفع عن أهل الأرض مات بالأهواز في سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)[١]، وقيل إن وفاته كانت في سنة (٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)[٢]

ومن القضاة العدول الذين اختارهم السامانيون أبو الحسن السنجاني المروزي (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م) نشأ بنيسابور وتعلق قلبه منذ صغره بعلوم الدين، فكان دائم الحرص على حضور مجالس الفقهاء بنيسابور، وحفظ عنهم الجامع الصحيح للإمام البخاري، فذاع صيته بين جموع أهل نيسابور، مما دفع السامانيون لتوليته أمر القضاء، فأحسن السيرة والحكم بين الناس[٣]، وكان رجلًا من ثقات أهل العلم، و ظل قاضيًا بنيسابور حتي وفاته في حياة أبيه سنة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م)[٤].

عزل القضاة السامانيين:

يذكر أبو يوسف "... أن القاضي لا ينعزل وإن علم بعزله ما لم يقلد غيره مكانه ويقدم صيانة لحقوق الناس، ونعتبره بإمام الجمعة إذا عزل، وهذا إذا حصل العزل

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق زكيا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٧٥؛ حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، الجامعة الإسلامية، المدينة، ٢٠٠٢، ج٢، ص٧٩٧.

(٢) الذهبي ، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٥، حياة بن محمد بن جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، ج٢، ص٧٩٧.

(٣) ابن ما كولا، إكمال الكمال، في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج٤، ص٣٨٢.

(٤) ابن ما كولا، المصدر السابق، ج٤، ص٣٨٢.

مطلقاً، أما إذا حصل معلقاً بشرط وصول الكتاب إليه لا ينعزل ما لم يصل إليه كتاب علم بالعزل قبل وصول الكتاب إليه أو لم يعلم"، كما إن موت السلطان "....لا يوجب عزل القاضي حتى لو مات الخليفة وله أمراء وقضاه فهم على حالهم"(١).

وكان القاضي في العصر الساماني لا يتم عزله إلا إذ وجد فيه أربع خصال وهي: "فقدان البصر، أو السمع، أو فقد عقله، أو ارتد عن الإسلام"(٢). وقد يعزل القاضي إذا ثبت في حقه الطمع في أموال المسلمين فيكون بذلك قد غرر به، وكذلك إذا لم يتحكم في عاطفته وجوارحه وسلوكه الظاهر أمام الناس"(٣)، وكانت السلطة السامانية تراقب قضاتها، فإن حادوا عن الحق وظلموا الرعية، يتم عزلهم من المنصب مثلما كان الحال مع قاضي بخاري عبد الرحمن بن محمد بن علوية أبو بكر قاضي بخاري ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م وهو من الذين تولوا القضاء في طوس، وأبيورد وقد حدث بنيسابور سنة(٢٣٤هـ/٨٥٧م)، حيث قيل "إنه حدث بأحاديث مناكير عن إسماعيل بن أحمد والى خراسان وكان متهمًا بوضعها"(٤). وقد تولى عمل قاضي المظالم بخراسان، ثم ولى قضاء بخاري(٥).

---

(١) ابن الشحنة، لسان الحكام في معرفة الأحكام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م، ج١، ص٢٢٣؛ نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية، ط٢، دار الفكر العربي، ١٣١٠هـ، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٦، ص١٩٢.

(٢) ابن الشحنة، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٣؛ البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٦، ص١٩٢.، لسان الحكام في معرفة الأحكام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م، ج١، ص٢٢٣.

(٣) عادل إبراهيم ماجد، النزاهة القضائية في مصادر الشريعة الاسلامية، المجلة الدولية في الفقه والقضاء والتشريع، المجلد الثاني، العدد (١) سنة ٢٠٢١م ص ١٢٧٩

(٤) الذهبي، المغني في الضعفاء تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٣٨٦.

(٥) ابن حجر، لسان الميزان، ج٣، ص٤٣٠.

ويذكره صاحب لسان الميزان بقولة "... أنه كان قليل المعرفة بالحديث"[١] كما قال عنه الأمام الذهبي أنه" لم يكن بصدوق تركت حديثه"[٢]. وهو الذي نقل قول عبد الله بن أحمد بن حنبل بأنه سمع أبيه يقول "... ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري"[٣].

ويؤكد صاحب الأنساب "... أن الأبهري كان يتهم بوضع أحاديث، وكان كذابا...." ولذلك تم عزلة عن القضاء من قبل السامانيين بعد مراقبة أحكامة ومناقشتها مع الفقهاء ورجال العلم [٤] وقيل إنه مات على باب الشاش في سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م) [٥].

وتقوم السلطة السامانية بعزل القاضي من منصبة إذا وجدت ضعفًا في شخصيته لكون ذلك يؤثر على مكانته وأحكامه مثل القاضي سفيان بن عامر قاضي بخارى: الذي تولى قضاء بخاري، وقال أبو حاتم عنه "ليس بالقوى"[٦] وقال عدد من أهل العلم وعلى رأسهم الأزدي "... سفيان بن عامر العقاري تركوه"، فهو رجل قليل العلم ضعيف الشخصية والمكانة، فيما ذكره ابن أحبان في الثقات "... سفيان بن عامر الترمذي يروي عن ابن طاووس وعنه صالح بن عبد الله الترمذي"[٧]. ولم يقف الباحث على تاريخ وفاة له .

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان، ج٣، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢، ص٤٣٠.

(٢) الذهبي، المغني في الضعفاء، ج٢، ص٣٨٦.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٢، ص٨١؛ ابن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، ج١، ص٣١

(٤) السمعاني، الأنساب، ص١٠٤.

(٥) السمعاني، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٦) سعدي بن مهدي الهاشمي، أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة السعودية، ط١، ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٨٠.

(٧) ابن حجر، لسان الميزان، ج٤، ص٩٠.

المبحث الثالث: اختصاصات القضاة ومهامهم في العصر السامانى :

١- كان القاضي في الاسلام له سلطة مستقلة لا يملك أحد التأثير عليها كالخليفة أو السلطان أو الأمير[١]، وقد تعددت مهام واختصاصات القضاة في العصر السامانى وذلك للمكانة السامية والسلطة المطلقة التي أعطاها لهم الأمراء السامانيون لثقتهم في علمهم وعدلهم وتدينهم الشديد ومن هذه الاختصاصات نجيز منها :

٢- استيفاء الحقوق ولا يجوز له أن يحجب إلا في أوقات الاستراحة، فقد كان القاضي دائم العمل علي إبراز الحقوق وإعادتها إلي أصحابها من خلال ما ورد من نصوص في الكتاب والسنة أو بالاجتهاد في أحكام مشابه من العصور الإسلامية السابقة، كما كان لا يقيم جلسته العلنية بحضور الخصوم والشهود ورجال العلم إلا في أوقات الاستراحة [٢].

٣- إقامة العدل في أحكامة وعدم الجور لرد المظالم. وأشهر من اهتم بذلك من قضاة خراسان في العصر السامانى :أبو عمير حجين بن المثني اليمامي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، ويعد من الفقهاء العدول الذين اهتموا بعلم الحديث والتفسير في بغداد بعد أن سكنها، ثم ولي قضاء خراسان للسامانيين وعرف عنه أنه من ثقات أهل العلم والفضل[٣]، وكان دائمًا يحدث بقول النبي (ص) في شأن القضاء " القضاة ثلاثة،: اثنان في النار وواحد في الجنة، قاضٍ علم الحق فقضي به فهو في الجنة، وقاض علم الحق فجار متعمد، فهو من أهل النار، وقاضٍ قضى بغير علم، واستحيا أن يقول لا أعلم فهو من أهل النار"[٤]، وقد وضعة صاحب التقريب للتهذيب ضمن

---

(١) أحمد غمام عمارة، أثر سرعة الفصل في الخصومة في تحقيق الأمن القضائي في الشريعة الإسلامية ،مجلة البحوث والدراسات جامعة الوادي الجديد، العدد (١٧) سنة ٢٠١٤، ص ١٠٢

(٢) الماوردي، الاحكام ، ص١٢٨.

(٣) إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ص١٥٢.

(٤) ابن عبد البر، جامع البيان العلم وفضله، تحقيق أبى الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي للطباعة، السعودية، ١٩٩٤م، ج٢، ص٨٧٩؛ ابن وكيع الضبي، أخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفي المراغي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٤٧م، ص١٥.

وفيات سنة (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م)، ثم عاد وصحح قائلاً وقيل بعد ذلك[١] وإن قيل أن وفاته كانت بعد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م)[٢].

٤- القيام في الذهب والفضة والمكاييل وكان القاضي أبو عمرو محمد بن محمد بن إسحاق السراج النيسابوري سنة (٣٤٧هـ /٩٥٨م)، والمكنى بأبي عمرو السراج قد ولى قضاء جرجان للسامانيين في سنة(٣٤٧هـ/٩٥٨م)[٣] وكان من المحدثين الثقات بجرجان في العلم[٤] ويذكر الجرجاني أنه كان على قيد الحياة في سنة(٣٤٧هـ/ ٩٥٨م) وهو من القضاة الذين اهتموا بمراقبة المكاييل والموازين والعمل على إقرار العدل في جرجان[٥].

٥- وقد امتدت مسئولية القضاة السامانيين في "الإشراف على الأماكن الدينية لكون من يتولى ذلك المنصب الجلل يكون ملمًا بعلوم الدين وأحكام الشريعة الاسلامية، فكان القاضي السمرقندي أبو حاتم محمد بن حيان التميمي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) مشهورًا بعلمه في أحكام الشريعة فولاه السامانيون قضاء سمرقند والإشراف على أماكن العبادة[٦]

٦- الإشراف على ولاية الحج ومصاحبة الجيش لحث الجند على الحماسة في القتال، فكان القاضي نعيم بن عبد الملك بن محمد بن عدي أبو الحسن الاستراباذي

---

(١) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامه، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦، ص١٥٤.

(٢) حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، الجامعة الإسلامية، السعودية، ١٤٠٦هـ، ص١٥١.

(٣) الجرجاني، تاريخ جرجان، ص٤١٤.

(٤) الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق، تحقيق محمد صادق الحامدي، ط١، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧، ج١، ص٢٨١.

(٥) الجرجاني، تاريخ جرجان، ص٤١٤.

(٦) بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٥٤.

(ت٣٥٥هـ/٩٦٥م)، من علماء الدين بجرجان[١]، وقد اتصف أبي الحسن الاستراباذي بين أهل جرجان باجتهاده في العبادة وحبه للجهاد، حتى قيل عنه "... كان يكتب عامة النهار وهو يقرأ القرآن ظاهر لا يمنعه أحد الأمرين عن الآخر، وكان إذا دخل عليه أحد، وأكثر اللغو يقول له أخرج، ولو كان من أعز الناس وكان له الدرس، والفتوى، ومجلس النظر والتوسط" [٢]، وتوفي في سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م)[٣] واختلف في سنة وفاة نعيم، فقيل أنه توفي في سنة (٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)، والبعض يرجع وفاته لسنة أربع وخمسين وثلاثمائة والبعض يرجع وفاته إلى سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م)[٤].

٧- النظر في الخصومات، وإعادة الحقوق والإشراف على الأوقاف، فقد عمل القاضي الساماني أبو جعفر محمد بن أحمد بن يحيي الفامي (ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م) علي ذلك واجتهد فيه، وكان خطيب جرجان وفقهيها، عرف عنه العدل وكانت أحكامه قائمة على الأسس الشرعية من الكتاب والسنة، روى عن ثقات أهل العلم مثل أبى زرعة الأنصاري، والحسن بن على الطوسي وغيرهم[٥]، وتوفى يوم السبت الثالث من صفر سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) ودفن في مقبرة كرمون بجرجان وصلي عليه الإمام أبو بكر الإسماعيلي[٦]

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة التوفيقية، ج٢٦، ص٧٨.

(٢) الشعراني، الطبقات الكبرى- لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة المليجي، القاهرة، ١٣١٥هـ، ج٢، ١٦٣.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، ج٢٦، ص٧٨.

(٤) الذهبي، المصدر السابق، ج٨، ص٧٧.

(٥) الجرجاني، تاريخ جرجان، ص٤٢٨.

(٦) الجرجاني، المصدر السابق، ص٤٢٨.

٨– مراقبة المسكوكات وحماية الضعيف من القوى"[١]. ومثال ذلك القاضي عبد الله بن على بن الحسين القومسي(ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، والمعروف بأبي محمد، نشأ متعلقا بالعلوم الدينية فأخذ علم الفقه عن الفقيه أبى إسحاق المروزي، وروى الحديث عن والده وكبار أئمة علم الحديث، منهم أبى محمد بن هارون الحضرمي، وأبى القاسم البغوي وغيرهم[٢]، ولي القضاء للسامانيين، وسار بين الناس بجرجان بالعدل والإنصاف بين الرعية[٣]. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة(٣٦٧هـ/٩٧٧م)، وهو يبلغ من العمر ثمان وسبعين سنة[٤] وقيل إنه توفي ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧ م .، وكان يبلغ ن العمر ثماني وتسعين سنة وصلى عليه أبو بكر الإسماعيلي[٥].

٩– النظر في جميع أمور الوقف وحفظ أصولها. وعمل على ذلك القاضي طاهر بن محمد الطاهر البكر باذي(ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، الذي عرف عنه اهتمامه بعلم الحديث والفقه، والسيرة الطيبة بين أهل جرجان، وتولى قضاء جرجان للسامانيين، وكان من الثقات في روايته لعلم الحديث والفقه، وأشتهر بالعدل بين أهل جرجان واهتم بأموال الوقف وحفظها، وتوفي بجرجان سنة (٣٦٩هـ/٩٧٩م).[٦]

١٠– العمل على حفظ أموال العالقين والمفقودين والذي كان يشرف عليها قاضي سمرقند في عهد السامانيين القاضي أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي

---

(١) قحطان الحديثي، أرباع خراسان ص١٤٨

(٢) الرشيد العطار، نزهة الناظر في ذكر من حدث عن أبى القاسم البغوي من الحفاظ والأكابر، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط١، دار ابن حزم، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٨٦.

(٣) الرشيد العطار، المصدر السابق، ص٨٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج٢٦، ص٣٧٢.

(٤) الرشيد العطار، نفسه، ص٨٦؛ الذهبي ، المصدر السابق، ج٢٦، ص٢٧٣؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٦٤.

(٥) الجرجاني، تاريخ جرجان، ص٢٧٤؛ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٣١٠.

(٦) ابن حجر العسقلاني، تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج٣، ص٣٨٨.

(ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) وهو من فقهاء سمرقند ومحدثيها الثقات ولقب ب "إمام الهدي"[١] وقد صنف العديد من المصنفات العلمية والفقهية منها ما يعرف باسم "بحر العلوم"[٢] كما كان له مصنف يعرف باسم "بستان العارفين في الأحاديث الواردة في الآداب الشرعية والخصال والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية"[٣]. كما أن له كتابًا مخطوطًا يعرف باسم " فتاوى أبى الليث"[٤] وصنف أيضًا كتابًا يعرف باسم "تنبيه الغافلين"[٥]، وقد روي معظم أحاديثه عن الإمام أبى حنيفة النعمان وكان له طلابه وحلقات علمه بسمرقند وتوفي بها في سنة(٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٦].

١١– تصفح الشهود والسماع لهم بدقة، وقد عمل على ذلك كل قضاة السامانيين، ومن يشك القاضي في شهادته كان يستبعدها وأشهر من كان يحرص على ذلك القاضي المروزي (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م).

١٢–تنفيذ الوصايا على شروط الموصي، وقد طبق ذلك الشرط كل قضاة السامانيين، فقد كان حرصهم الشديد على تطبيق العدل في أحكامهم، وتنفيذ الأصول والقواعد الفقهية والشرعية لأحكام القضاء، وطبق هذا الشرط في كل مناطق مدن المشرق التي سيطر عليها السامانيون.

---

(١) بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق، ص٣٥٤.

(٢) السمرقندي، بحر العلوم، دار صادر، بيروت، د.ت ، ص٤.

(٣) مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ط١، ص١٩٦.

(٤) مخطوطة بالمدينة المنورة بمكتبة عارف حكمت تحت رقم (٦٣/٢٥٨فتاوي) **للمزيد انظر:** العماد الحنبلي، معطية الأمان من حنث الإيمان، تحقيق عبد الكريم بن حنيتان العمري، المكتبة العصرية، جده، السعودية، ط١، ١٩٩٦، ص٣١٧.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١٢، ص٣٤٢.

(٦) محمد بن الحسن بن العربي الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥؛ ج٢، ص١٠٩؛ الزركلي، الإعلام، ج٣، ص١٣٩.

١٣– عمل القضاة على حضور مجالس الحكم والنصح والارشاد للأمراء السامانيين، فكان القاضي أبو أحمد قاضي بخاري(ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) والمشهور باسم أبي أحمد النسفي الفقيه العالم، عرف عنه أنه(مسند تلك الديار)[١] يذكره صاحب المختصر النصيح بقوله "..... لم أهتد لمعرفته إلا إنه أحد رجلين روي عنهما المستغفري صحيح البخاري"[٢] وقد اشتدت في عهده شوكة القرامطة، الشيعة وأرسل قاضي (بلخ) برسالة إلى قاضي(بخاري) يحذر فيها من اشتداد شوكة القرامطة وتحذير الأمراء السامانيين من خطرهم وشدة بأسهم[٣]. وكان القاضي (أبو أحمد) ومعه كبار أئمة بخاري على علم بأحوال القرامطة، لكنهم خافوا لأن أغلب خاصية أولي الأمر والحكم وقتذاك كانوا من القرامطة فخافوا بطشهم والوشاية بهم وذهب القاضي أبو أحمد إلى مقر الأمارة وطلب مقابلة الأمير ثم أسدي له النصح والإرشاد[٦]، و بدأ كلامه للأمير أحمد الساماني أن من واجب العلماء النصح وذكره بأبيه الأمير نوح بأنه كان يجلس مع العلماء ورجال الدين ويقبل النصح والإرشاد وأطلق على رسالة (البتكين) ورسائل أئمة أهل العلم في بخاري. وفي صباح اليوم التالي، خرج القرامطة إلي مدينة فرغانة وقتلوا عدد كبير من المسلمين واستولوا على الطالقان وسفوحها فعرض الأمير منصور بن نوح الساماني الوزارة على القاضي أبي أحمد فرفض أبى أحمد القاضي قائلا ".... النصح والإرشاد لوجه الله ثم إن ذوي الأطماع والمأرب سيقولون أن القاضي لم يفعل ذلك إلا طمعًا في الوزارة لا حبًّا في الدين"[٤].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٦٥١.

(٢) المزي، المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، تحقيق أحمد بن فارس السلام، ط١، دار التوحيد، الرياض، ٢٠٠٩، ج١، ص٣٦.

(٣) نظام الملك الطوسي، سياسة نامة سير الملوك، تحقيق يوسف حسين بكار، ط٢، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ، ص٢٧٥.

(٤) نظام الملك الطوسي، المصدر السابق، ص٢٧٥.

ثم أشار القاضي أبو أحمد على الأمير منصور بن نوح بالقاضي (أبي على البعلمي) ليتولى مهام الوزارة، وكان في سجن(قهندرز) وقد صدق القاضي أبو أحمد في النصيحة وإرشاده الي رجل حافظا للكتاب والسنة ومطبقًا لأحكام الشريعة للتصدي لخطر القرامطة الشيعة[١] خاصة وأن كبار أهل العلم قد وصفوه بالثقة مأمون الحديث، والفتوى فنقلها عنه طلاب عصره[٢]. وتوفى على قضاء بخاري سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م).[٣]

١٤- ثبوت الولاية على من كان ممنوع التصرف. مثل اليتامى الذي كان القاضي يشرف عليها وقد أشرف علي ذلك قاضي القضاة على بن عبد العزيز الحسن بن على بن إسماعيل أبو الحسن الجرجاني(ت٣٩٢هـ/٩٠٤م)، الذي نشأ بجرجان، ورحل نحو نيسابور في سنة (٣٣٧هـ/٩٤٨م) في صباه ودرس فيها علم الفقه والشعر، وقد وصفه الفقيه الكبير أبو إسحاق الشيرازي بقوله ".. كان فقيهًا شاعرًا"[٤] وقد صنف في الفقه مؤلفًا ضخمًا احتوى على أربع آلاف مسألة فقهية"[٥]، وقد تولى قضاء جرجان للسامانيين، ثم رحل عنها إلى الري وتولى بها منصب قاضي القضاة[٦] وظل قاضي قضاة الري إلى أن توفى بها في شهر ذي الحجة سنة(٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وحمل إلى جرجان فدفن فيها[٧] وصلي عليه القاضي عبد الجبار بن أحمد [٨].

---

(١) نظام الملك الطوسي، سياسة نامة، ص٢٧٥.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٤١٦.
(٣) الذهبي، المصدر السابق، ج٢٦، ص٦٥١.
(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٤٥٩.
(٥) السبكي، المصدر السابق ج٣، ص٤٥٩؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص١٦٠
(٦) السبكي، نفسه، ج٣، ص٤٥٩؛ المالكي ، طبقات المفسرين للداوودي دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ص٤١٤.
(٧) السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٤٦٠؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص١٦٠.
(٨) ابن كثير، طبقات الشافعية، تحقيق أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٣٢٢.

١٥–إقامة الحدود وتزويج اليتامى. طبقها القاضي عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج بن متويه القزويني (ت٣٩٧هـ/١٠٠٦م)، الذي اشتهر بالفقيه النسابة، فقد كان يحفظ القرآن الكريم وتفسيراته وقراءاته، ذو فن وخبرة في شتي العلوم حتى قيل عنه "... كان متفننا في العلوم"، وقد تولى قضاء خراسان للسامانيين، وعاش بضعًا وسبعين سنة، وتوفى في رجب سنة (٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م).[١].

١٦–وكان القضاة السامانيون دائمي الحرص علي متابعة منع التعدي على الطرقات، والتصدي لكل محاولات اللصوص وقطاع الطرق، وإرهاب الناس للحفاظ على الأمن وقد فوضهم الأمراء السامانيون في ذلك والتصدي لهؤلاء بأحكام رادعة .

١٧–المساواة بين الجميع والحكم بكتاب الله وسنة نبيه ونبذ الفكر الشيعي[٢]. وقد عمل بذلك كل قضاة السامانيين وعلى رأسهم قاضي بخاري في عهد السامانيين (الحسين بن الخضر بن محمد البخاري) (ت ٤٢٤هـ/١٠٣٢م) الذي يكنى بأبي علي، وعرف بين أهل العلم وأئمته (بنعمان زمانه)[٣]، واشتهر بلقب (الفشيديزجي)، وأعد من فقهاء الحنفية، وكان أمام عصره مدافعاً عن الأخطار التي أحدقت بالدولة الإسلامية، وقد عرف بين فقهاء عصره بأنه إمام أهل الرأي وتلقي العلم ببغداد، على يد كبار أئمة أهل العلم فيها مثل أبى الفضل عبيد الله الزهري، وكان رجل حسن التصرف[٤]، كما استمع ببخارى من أحد كبار أئمة أهل العلم فيها الإمام الفقيه (أبى

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢٧، ص٣٤٢؛ تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، ج٨، ص٧٧٣؛ تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦٠.

(٢) عبد الحميد حمودة، الحضارة الإسلامية وتأثيرها العالمي، ص٩٢.

(٣) أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، ط١، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ج٦، ص١١٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والإعلام، ج٢٩، ص١٢٧، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، ج٦، ص١١٣؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦ح، ص١١٩؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار، الكتبة العلمية، بيروت، ج٢، ص٢٥١.

عمرو محمد بن محمد بن صابر)[١] وقد كان مجلس علمه في بخارى قبلة القصاد لكل طلاب العلوم الدينية كالفقه والحديث [٢].

ويعد من القضاة الذين لهم موقف من الروافض الشيعة عندما ناظره أحد الشيعة ويدعى (الشريف المرتضي) في" خبر ما تركنا صدقة "، فقال الحسين للمرتضي الشيعي ".... إذا صيرت ما "نافية" خلا الحديث من فائدة، فكل أحد يرى أن الميت يرثه أقر باؤه، ولا تكون تركته صدقة، ولكن لما كان المصطفي بخلاف الأمة، وبين ذلك وقال: ما تركناه صدقة" [٣] وقد توفي في شهر شعبان سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٢م)، وأخذ عنه العديد من طلاب العلم في عصره[٤].

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٩، ص١٢٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٣، المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، ج٦، ص١١٣.

(٢) المغراوي، المصدر السابق، ج٦، ص١١٤.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٩، ص١٢٧، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٢٣.، المغراوي موسوعة مواقف السلف في العقيدة، ج٦، ص١١٤.

(٤) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٢٥١؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١١٩.

المبحث الرابع : مجلس القضاء في العصر السامانـي:

كان القاضي السامانـي يعقد جلسات حكمه في مكان يعرف باسم مجلس الحكم يحضر هذا المجلس كاتب القسط، والحاجب، وعارض الأحكام، وخازن ديوان القاضي، وأعوان التنفيذ، كما أن القضاء في خراسان في العصر السامانـي كان لا يتم إلى بالشهود العدول الذين يتمتعوا بحسن السيرة وكان بمثابة المعاونين للقضاة، انطلاقاً من المبدأ القائل أن أساس الحكم في الإسلام هو البينة – الشهادة–، كما كان إلى جانب الشهود كان شخص يعرف باسم المزكي(١).

وقد كانت الخصوم تجتمع في حضرة القاضي أو توكل من ينوب عنهم وأحياناً كانت تعقد جلسات مجلس الحكم في المسجد الجامع بالمدينة وخاصة في المساجد الكبيرة في مدن بخاري وسمرقند، وخراسان وغيرهم(٢)، ويذكر الحديثي: "أن جلوس القاضي في أول الأمر كان بسيطًا، ولكن منذ القرن الرابع الهجري أصبح يصحب برسوم كثيرة، فكان يجلس في وسط المجلس وقد تزيا بالسواد ووضع على منكبيه الطليسان زي القضاة ويكون جلوسه على مخدة وخلفه توضع الأوراق وأمامه الشهود والحجاب والشرطة"(٣).

وينعقد مجلس القضاء بحضور كل من:

١– السجل والكاتب:

السجل هو المحضر الذي يسجل فيه القاضي أحكامه(٤) حيث القول بأن "سجل القاضي لفلان ماله أي استوثق له به"(٥) ويثبت القاضي في سجله الأحكام التي

---

(١) قحطاني الحديثي، أرباع خراسان، ص١٤٩.

(٢) الحديثي، المرجع السباق، ص١٤٩–١٥٠.

(٣) نفسه، ص١٥٢.

(٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، د.ت، ص٨٣.

(٥) الهروي، تهذيب اللغة ، ج١٠، ص٣٠٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٢٥.

يصدرها وشهادة الشهود وما يقضي به من أحكام[١] ويثب القاضي في سجله المعلومات عن أحكامه خشية من الضياع ويأخذ دفتره صفة الرسمية في مجلس قضائه[٢]، كما اشتمل هذا السجل على جميع الدعاوى التي نظرها القاضي والأحكام التي صدرت فيها كالقضاء بمنع الطلاق أو حبس الشخص أو إلزامه بعدم الخروج[٣] كما حملت سجلات القضاة مثلا "..... أنه كان يوم هذا الحكم الموصوف فيه، ويوم الأشهاد عليه نافد القضاء بكورة سمرقند وأمضيت حكمه الموصوف فيه، وحكمت بصحته بمحضر من المتخاصمين في وجههما، وأطلقت للمستحق عليه"[٤].

وقد بدأت سجلات أحكام القاضي في الظهور بداية من العصر الأموي، حيث كان أول قاضي سجلت أحكامه في العصر الأموي هو " سليم بن عنتر" قاضي مصر من قبل الخليفة الأموي معاوية بن أبى سفيان، وكانت تحفظ هذه السجلات في منزل القاضي منعًا للتلاعب بها ثم أصبحت بعد ذلك تحفظ في المسجد[٥]، وكان القاضي يستخدم كاتبًا له يسجل الأحكام في حضوره من الكتاب الموثوق فيهم والمشهود لهم بالأمانة والكفاءة والسيرة الطيبة[٦].

ويذكر الحديثي: "أن لديوان القضاء في العصر الساماني سجلات مفردة كانت توكل الشهود العدول الذين يعتمد عليهم"، وقد عاونهم على تنفيذ ذلك الأمراء السمانيين فأفردوا للقضاة دارا وجعلوهم يشرفون عليها عرفت باسم دار القضاء"[٧].

ويشترط أن يكون كاتب القاضي من الذين يجيدون العربية والألفاظ اللغوية ذا فطنة وذكاء في التعامل في كتابة ما يمليه عليه القاضي من أحكام خاصة في العراق

---

(١) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ط١، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية ، ٢٠٠٠م، ج٦، ص٣٦.
(٢) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٦٩٥.
(٣) محمد رواس قلعجي وآخرون، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٤١.
(٤) نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية، ط٢، دار الفكر، ١٣١٠هـ، ج٦، ص١٩١.
(٥) عبد الحميد حمودة، الحضارة الإسلامية، ص٨٩.
(٦) أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ص٦٩٥.
(٧) أرباع خراسان، ص١٥٠.

وبلاد المشرق الإسلامي، مع ظهور اللهجات المختلفة والمتنوعة التي ملئت إقليم بلاد المشرق في العصر الساماني [١].

وقد عمل المتخاصمون على أن يتقدموا للقاضي برقاع يذكر فيها اسم المدعي وخصمه وأبيه وكان كاتب القاضي يأخذ هذه الرقعة عند باب المسجد حتى يصل القاضي، ومن كثرة رقاع المتخاصمين التي يعطيها كاتب القاضي إليه فعمل القضاة على الحكم والفصل فيما لا يزيد عن خمسين رقعة في مجلسه[٢].

٢–حاجب مجلس القضاء:

وهو الشخص الذي يقوم بتنظيم جلسة القضاء، فهو الذي ينظم دخول أصحاب الدعاوى والحاجات إلى القاضي[٣] وإذا أخل حاجب القاضي بمهام وظيفته أو خرج عنها أو قبل رشوة منها يتعرض لعقوبة رادعة من القاضي قد تصل إلى السجن وضرب السياط[٤].

٣– نقيب القاضي:

وكان يختاره القاضي ضمن مجلسه ممن يثق فيهم وفي علمهم وفقههم ويساعد القاضي على أداء جلسة الحكم بين المتخاصمين كتنبيه القاضي على الشهود، وتنبيه الشهود على القاضي[٥]. فكان قاضي بخاري أبي ذر محمد بن يوسف البخاري(ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) يحضر مجلس قضائه ابن خزيمة، والفقيه أبو العباس السراج وكان رجلاً ثقة عدلاً زاهداً في أحكامه ويثق في علم وفقه ابن خزيمة والسراج[٦].

---

(١) عبد الحميد حمودة، الحضارة الإسلامية، ص٩٣.
(٢) الحديثي، أرباع خراسان، ص١٥١.
(٣) عبد الحميد حمودة، الحضارة الإسلامية، ص٩٣.
(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص٣٥٩.
(٥) عبد الحميد حمودة، الحضارة الإسلامية، ص٩٣.
(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٤٨٥.

٤– أمناء القاضي:

وهو من الذين يشرفون على الأموال التي غاب عنها أصحابها حتى عودتهم، فضلاً عن أموال اليتامى القصر حتى يبلغوا وترد إليهم، ويتم ذلك بأمر القاضي وهذا المنصب موجود منذ عهد أبى جعفر المنصور وتوقيعه ثابت في السجلات والشهادات التي حكم بها القضاة[١]. وكان القاضي يحي بن منصور بن يحيى بن عبد الملك (ت٣٥١هـ/٩٦٢م)، وكني (أبو محمد)، وتولي أمر القضاء في نيسابور للسامانيين بضع عشر سنة ثم عزل بأبي أحمد الحنفي في سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وكان محدث نيسابور في وقته وحمد في القضاء، وكان يحضر مجلسه الحفاظ أبو عبد الله بن الأخرم وأبو على الحسين بن محمد، واشتهر بين جموع أهل نيسابور بغزارة الأحاديث التي رواها عن ثقات أهل العلم، فضلا عن آرائه الفقهية والشرعية التي رواها بالقياس عن أهل الفقه، وتوفي بنيسابور سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م). [٢].

٥– وكلاء دار القاضي:

في مجلس حكم القاضي يوكل وكيلاً مهمته هي تسوية مصالح القاضي وأيضًا الخصوم، وأن "... لا يعلم أن هذا الوكيل وكيل القاضي؛ لأنه يحتمل أن الناس يتساهلون معه في البيع والشراء لكونه قاضيًا فيبيعونه بأنقص من القيمة ويشترون ما يبيعه بزيادة عن القيمة، ومع ذلك فمباشرة القاضي في غير مجلس القضاء لعقود المعاوضة كالبيع والشراء ليس بمكروه"[٣].

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢، ص٦٢٠؛ رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٠٢.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط دار الحديث القاهرة، ج١٢، ص١٤٢.

(٣) على حيدر خواجة أمين أفندي، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ط١، دار الجيل، ١٩٩١، ج٤، ص٥٨٦.

٦- الشهود:

وهم الأساس الذي يعتمد عليه القاضي بعد التحقق من صدقهم وسؤالهم فيما يخص القضية المعروضة أمام القاضي فقيل فيهم "اعتبار الشهود عدالة الظاهر، والمعتبر فيه عدالة الباطن بعد الكشف والمسألة"[١] ومن القضاة من كان يري أن حضور الشهود للإدلاء بشهاداتهم في القضايا ليس شرطًا للفصل في القضية فقد لا يميل القاضي للأخذ برأي الشاهد.[٢]، فيما اشترط عدد آخر من القضاة حضور الشهود للفصل في الأحكام[٣]، ويؤكد ذلك ابن الأخوة القرشي بقوله "... النظر في الشهود راجع إلى القضاة"[٤] وفئة القضاة الذين يعتمدون على الشهود لإثبات الحق بعد بيانه من صدقهم يكون قائمًا على قوله تعالى "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" فالشهود هم حفظة الأموال والدماء والأعراض وحجة الأنام وبشهادتهم تنفذ الأحكام"[٥].

وقد حرص القاضي المروزي (ت ٣٧٣هـ/٩٨٣م) في مجالس قضائه على أن يستشهد بالشهود العدول أصحاب الروايات الصحيحة، وكان يذكر الشهود قبل الأخذ بشهاداتهم بقول النبي (ص) ".. من كذب في رواية حديث فليتبوأ مقعده من النار"[٦]. وحرص محمد بن أحمد المروزي في مجالس حكمه أن ينأ بنفسه عن ما هو دخيل

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص١٢٢.

(٢) الماوردي، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٣) الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق عبد العظيم الديب، ط٢، مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١هـ، ص٧٣.

(٤) معالم القربة في طلب الحسبة، ص١٠.

(٥) أبن الأخوة القرشي، المصدر السابق ، ص٢٠٩.

(٦) ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد بن عثمان، ط١، المكتبة السلفية، ١٩٦٦م، ص٨٠.

على الكتاب والسنة [١]، وكان دائم القول "حب الدنيا في القلب والذنوب قد احتوشته فمتي يصل الخير إليه." [٢]. واشتهر بمجلس قضائه الذي كان يعقد أسبوعيًّا، يتعلم فيه ومنه كبار الفقهاء الإملاء؟ والتدريس في الآراء الفقهية والشرعية، ومن الذين تتلمذوا على يديه كان الفقيه الثري "حكيم بن محمد الديموني" وغيره من كبار الذين اهتموا بالعلم وقتذاك وعلى رأسهم أبو على الدقاق"[٣]. وعن القضاء قال "أما صحة سماعه فمتي ضبط ما سمعه صح سماعه ولا خلاف في هذا، وصح الأخذ عنه بعد بلوغه، إذا لا يصح الأخذ عن الصغير، ومن لم يبلغ وقد حدد أهل الصنعة في ذلك أن أقل سن محمود ابن الربيع"[٤].

٧-الجارح والقادح :

ويقوم بترشيحه للقاضي الفقهاء الذين يحضرون جلسات القاضي، ويعين في مجلس القضاء من قبل القاضي، والهدف من وجودة تعطيل وجرح شهادة الزور، وقد يلجأ القاضي إلي تأجيل جلسة القضاء، إذا غاب الجارح عن المجلس ولم يطمئن القاضي لشهادة الشهود، فيؤجل المجلس لثلاثة أيام حتي يحضر الجارح ويطمئن القاضي لشهادة الشهود قبل الفصل والحكم . [٥].

٨- الترجمان:

بعد أن ضمت الدولة الإسلامية شعوبًا وأجناسًا مختلفة بعد اتساعها من حدود الصين شرقاً وحتى أقاصي المحيط الأطلنطي غرباً فكان أمرًا طبيعيًّا أن يلجأ القضاة

---

(١) بدر الدين الشافعي، مشيخة ابن جماعة، تحقيق موفق بن عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص١٢٥.

(٢) ابن أبى الدنيا، ذم الدنيا، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣، ص١٧٧؛ ابن أبى الدنيا، الزهد، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ١٩٩٦، ص٢٢١.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص١٠٠.

(٤) القاضي عياض ، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠، ص٦٢.

(٥) رحمن حسين علي ابراهيم ، مجلس القضاء في العصر العباسي ، مجلة الاستنباط العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢ ص ٥٥٨.

في مجالسهم لترجمة ما يقوله الأعاجم الذين لا يجيدون اللغة العربية وكان يحرص القاضي على اتخاذ من يثق فيهم لهذه المهمة منعا للظلم وتحرياً للعدل فهي أمانة لا يخونها إلا خائن؛ لأن بها يقر العدل أو يظلم مظلوم إذا استعلمت بغير أمانة ودقة(١) وكان هؤلاء المترجمون يترجمون كتب أهل الكتاب كما أنه يكتب إليهم بنفس لغتهم ولسانهم(٢).

وقد أقر الإمام مالك بجواز حكم القاضي بقول الترجمان بقوله "... إذا اختصم إلى القاضي من لا يتكلم بالعربية ولا يفهم عنه، فليترجم عنه رجل ثقة مسلم مأمون فيخبره، واثنان أحب إلينا، ولا تقبل ترجمة كافر، أو عبد أو مسخوط"(٣) ومن ذلك فإن".... شهادة الترجمان يمكن قبولها والأخذ بها عند القاضي حتى ولو كان أعمي غير عادل"(٤).

٩–**صاحب تابوت القضاء:** وهو الشخص الذي يحمل مفاتيح صندوق القاضي الذي يوجد فيه ودائع بيت المال، ويحمل سجلات القاضي وأوراقه وأحكامه (٥).

١٠– صاحب الشرطة:

كان صاحب الشرطة معاوناً للقاضي في تنظيم جلساته في مجلس قضائه، وذلك حتى يهابه الخصوم فكان اختياره ".... مهيب المنظر عبوس، جليل في العيون غير

---

(١) السرخسي، شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م، ج١، ص٤٦٩.

(٢) ابن ذي الوزارتين، تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٢٥.

(٣) ابن فرحون، تبصرة الحكم في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٦، ج١، ص٣٥٧.

(٤) على حيدر خواجة، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ج٤، ص٦٥٧.

(٥) رحمن حسين علي ابراهيم، مجلس القضاء في العصر العباسي، مجلة الاستنباط العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢ ص ٦٥١.

ذي دعابة معروفة، يأخذ بالاشتداد على أهل الريب، ويتبعهم في مكانهم، صاحب ثقة معروف بالصدق، ناصح أمين معتدل الطبائع قليل العلق في المعاملات..." [١].

فكان القاضي في العصر الساماني يوجه صاحب الشرطة للمجاهرين بفسقهم لردهم عن ظلمهم[٢] كما إن صاحب الشرطة كان يظل ملازماً للقاضي حتى انتهاء مجلس قضائه وعودته إلى بيته ومعه الحجاب[٣] وكان الناس في مجلس القضاء ينظرون لصاحب الشرطة على أنه هو المنفذ للعدل الذي يحكم به القاضي ويقره في مجلسه[٤] فرجل الشرطة يعد من السلطة التنفيذية داخل المدينة ينفذ أحكام القاضي الرادعة لإعادة الحق لأصحابه ويسعى لإقرار الأمن داخل المدينة[٥].

١١-**الجلواز** :

وهو الشخص الذي يكون قريبًا من القاضي فكان يقف قرب رأسه وبيده سوط يضرب الناس الذين يقتربون وهو من يقوم بتأديب السفهاء بضربهم بالسوط إذا أمر القاضي ويقف بين يديه الشهود والخصوم، ويعاونه رجل من الشرطة والحرس، ويساهم في المحافظة على مجلس القضاء، وهيبة القاضي، كما يقوم بفصل الناس وترتيبهم داخل المجلس النساء في جانب والرجال في جانب أخر [٦].

---

(١) الوزير المغربي، رسالة ضمن مجموع السياسة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص٥٢.

(٢) ابن الوزير، المصدر السابق، ج١، ص٥٣.

(٣) الشيرازي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق على عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، د.ت، ج١، ص٤٧٢؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام في اصول الأقضية ومناهج الأحكام، ج٢، ص٣٨ .

(٤) القلقشندي، مآثر الإنافه في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، ط٢، مطبعة حكومة دولة الكويت، ١٩٨٥م، ج٣، ص٢٣.

(٥) عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨، ص٥٧.

(٦) رحمن حسين علي إبراهيم، مجلس القضاء في العصر العباسي، مجلة الاستنباط العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢ ص ٥٥٩.

١٢–نائب القاضي :

يختار القاضي أحد فقهاء مجلس قضائه ليكون نائبًا له في أعمال القضاء عند الضرورة لانشغال القاضي بأعمال الولاية، أو عند ظروف مرضية طارئة حتي لا تتعطل قضايا الرعية، ويكون بعد موافقة الأمير، كما أن الرجل الذي ينوب عن القاضي يكون ممن يحضر جلساته دائمًا عالمًا بالأمور الفقهية والشرعية، كيسًا وفطنًا وحكيمًا في كلامه، ولا يكون حكمه نافذًا إلا في وجود القاضي، وقد يساعد نائب القاضي في النظر في أمور الأيتام، وبيت المال، وقد يختار القاضي في بعض الأحيان نائبين له بموافقة الأمير اذا اتسعت المهام المكلف بها من قبل السلطة الحاكمة، ويتم عزلة بموت القاضي(١).

(١) رحمن حسين علي ابراهيم، مجلس القضاء في العصر العباسي، مجلة الاستنباط العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢، ص ٥٥٩

المبحث الخامس: الزي ورواتب القضاة في العصر السامانى :

تعد مسألة اللباس الذي كان يرتديه القضاة في الدولة السامانية، من الأمور التي لها دلالتها ومخزاها، فاللباس في حد ذاته غير ذات أهمية، ولكن الدلالة والمغزى التي يشير اليهما تحمل كل المعنى، من حيث الانتماء إلي طبقة أو إلي فئة معينة، فالأمور البسيطة مثل الزي والأدوات المختلفة قد تحمل لنا سمات مهمة عن ملامح الحياة في العصر الساماني .

كانت السلطة القضائية في بلاد فارس مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسلطة الدينية، فكان ذي القضاة والفقهاء ذيًّا واحدًا، وزاد القضاة باشتراكهم أيضًا مع الأمراء في نفس الزي مع اختلاف بسيط وهو عدم لبسهم للعمائم مع القلنسوات الذي كان للأمراء دون غيرهم[١] كما كان الكتاب والقضاة والسلاطين يرتدون القلانس المختلفة في صناعتها، فنجد أهل مدن سجستان يقومون بصناعة العمائم مكورة تشبه التيجان [٢]، حيث إن اللباس في مدن فارس وبلاد المشرق لم يكن موحدًا في الشكل واللون والنوع، وإنما كان مختلفًا باختلاف فئات المجتمع وطبقاته والحرف والوظائف[٣] .

وقد كان القضاة والفقهاء في الدولة السامانية يرتدون نوعًا من لباس البدن الخارجي يعرف باسم "الدراعة" في إشارة للباحث أن الفقه والقضاء كانوا بقيمة واحدة عند الأمراء السامانيين[٤] وارتدى قضاة المدن الكبرى الطيلسان[٥] وهي نوع من

---

(١) صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، وزارة الثقافة والإرشاد، العراق، ١٩٨٠، ص ٦٥.

(٢) صلاح حسين العبيدي، المرجع السابق ص ٦٢

(٣) صلاح حسين، نفسه ، ص ٦١

(٤) صلاح حسين، نفسه ، ص ٥٨

(٥) صلاح حسين، نفسه ، ص ٥٨

الأكسية والزي [١]، وكان الطيلسان من ذي الخواص فلم يقتصر علي القضاة وحدهم[٢] الذي عرف في بعض المناطق باسم العطاف[٣] .

وقد فضل قضاة المالكية الطيلسان عن غيرة في الزي في مجالس قضاتهم [٤]. أما قضاة باقي أهل السواد وبلاد المشرق، فكانوا يلبسون القمص والطيالسة والدنيات، والقرافات، وتم استبدال الدنيات والقرافات بالعمائم السوداء[٥]

ومن لباس البدن الخارجي كانت الطيلسان وكان يرتديه القضاة، واشترك فيه معظم الطبقات، فكان لباسًا عامًّا، فضلًا عن الأقبية المفتوحة وسميت بالقباء لاجتماع أطرافه، التي كان يرتديها أهل مدن بلاد ما وراء النهر، مثل أهل طوس، وأبيورد، وهراه [٦]، فكان أهل هذه المدن يلبسون الطيلسان فوق العمائم، ويلبسون فوق ذلك الدراعة[٧]"

وقد قيل أن أهل فارس ".....اذا أرادوا أن يرفعوا فقيهًا أمروه بالتطليس، فكان لايتطليس الأرجل ذا شأن عظيم، وقد صنعت الطيالس من القطن بنيسابور وتراوح ثمنه من دينارين إلي ثلاثين دينارًا [٨].

---

(١) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط٢ دار الغرب ،بيروت ١٤١٩هـ ج١ ص ٤٥٣ .

(٢) محمد حميد الله الحيدر إبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٦،دار النفائس، ١٤٠٧هـ، ص ٦٢٠.

(٣) محمد حميد الله الحيدر إبادي، المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٤) ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقفية ومناهج الأحكام، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٨، ج٢، ص٢٩١ .

(٥) الحراني، رسوم دار الخلافة، تحقيق عواد ميخائيل عواد، ط٢، دار الرائد، بيروت، ١٩٨٦ ص٩١

(٦) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، ج١، ص٢٥٣. صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٦٣.

(٧) صلاح حسين، المرجع السابق ، ص ٦٣

(٨) صلاح حسين، نفسه، ص ٦٣، ٧٢

ومن ملابس القضاة وكبار الموظفين كانت الأقبية التي تميزت بكونها مغلقة من أسفل الكتف الأيسر، وكان أهل فارس لايتطليسون، وإنما كانوا يفضلون الأقبية المفتوحة والتي انتشرت في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين [١]، فكان الوزراء والفقهاء والقضاة والخطباء في المساجد يرتدون الأقبية، وكان غير مسموح لهم دخول المساجد بدونها[٢].

وقد ارتدى الوزراء والفقهاء والقضاة، وقادة الجند في سمرقند نوعًا من الثياب يعرف باسم " الثياب الوذارية "وتراوح ثمن ذلك الثوب من دينارين إلي عشرين دينار[٣].

وكان لباس القدم فكان الجورب، والخفاف، والنعال، وتميز أهل فارس بالخفاف ذي اللون الأحمر، ولبس أهل خراسان الخفاف صيفًا وشتاء، وكان خفافهم صغير عن خفاف أهل فارس من حيث الصنعة والحجم [٤] أما عن رواتب وأجور القضاة، فكان يتم صرفها من بيت مال المسلمين، وقد سنها الخليفة عمر بن الخطاب، فجعل للقاضي سليمان بن ربيعة الباهلي، خمسمائة درهم في كل شهر، ورتب لشريح مائة في كل شهر نظير عمله بالقضاء، فضلا عن المئونة من الحنطة، وبلغ مع مطلع العصر العباسي الثاني راتب القاضي أربعة آلاف درهم يعادل(٢٧٠ دينار)[٥] .

وصرفت في العصر الساماني رواتب القضاة والأئمة والفقهاء، من دخل الجزية والخراج الذي كان يدخل بيت المال [٦] كما حصل على المال ايضًا شهريًّا كل من المفسرين والحفاظ، والمعلمين، والمحتسبين [٧] .

---

(١) صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي ص ٦٤
(٢) صلاح حسين، المرجع السابق ص ٦٤
(٣) صلاح حسين، نفسه ص ٧٤
(٤) صلاح حسين، نفسه ص٦٦
(٥) محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ط٢، دار البيان،١٩٩٤م ص٤٤
(٦) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار،ط١، وزارة الإعلام، العراق، ج٢، ص٣١٣.
(٧) الخيريتي، الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفي الباز، الرياض، د ت ص ٢٩٢

وعن أجور أعوان القاضي الذين كانوا يساعدوه في مجلس قضائه، فكانوا يحصلون على أجورهم من عند القاضي وليس من بيت المال الذي هو أصل مكان الصرف، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء، ويصرف القاضي لهؤلاء الأعوان من رزقه[١]، وإذا كان لهؤلاء الأعوان أموال يجب الحصول عليها من بيت المال، فلم يكن يصرف لهم شيء على القضايا التي يبعثون فيها[٢] .

وقد حصل صاحب المجلس الذي كان يعينه القاضي لتنظيم الناس داخل مجلس القضاء واجلاسهم في أماكنهم يحصل على أجره من المدعي وحدد ذلك الأجر بدرهمين، كما حصل الوكلاء على قيمة درهمين من كل من المدعي وخصمه، وهذا الأجر قد يزيد أو ينقص إلي درهم أو نصف درهم، كما أنه كان يختلف من قاضٍ إلي قاضٍ، كما حرص السامانيون على إعطاء رواتب للفقهاء تقترب من رواتب القضاة لمكانتهم العلمية داخل المجتمع السامانى[٣]

(١) الحنفي، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، دار الفكر، د.ت ج١ ص ١٧

(٢) علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، تحقيق محمد عبد القادر شاهين، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٨ م ص ٦٣ .

(٣) الحنفي، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام. ج١ ص ١٧

المبحث السادس: نماذج قضائية من العصر السامانى:

أولا : الإرث والعقار بين بخاري وسمرقند:

كان القضاء بأحقية الإرث في العصر السامانى يتم ذلك بثبوتها للموروث، حيث كان القاضي يعمل على معرفة الشخص صاحب الحق في الإرث ليورثه عن طريق معرفة اسمه ونسبه وملكيته للعقار وأحقية ورثته جميعًا دون إقصاء أحد(١).

حيث كان القاضي لا يأخذ فقط بذكر المدعي بقوله ".....إنه لا يعلم وارثاً غيري"؛ وذلك لأنه يكون بهذه الجملة قد أدخل إلى قلب القاضي الشك في استحقاق العقار لنفسه، فضلاً عن علمه بباقي من يشاركه الإرث ولا يتحدث بهم(٢).

وكان القاضي في ذلك الموقف يأخذ بشهادة وفاة صاحب العقار أولاً بشهود عدول يسجلهم في دفتره، وعندما يطلب المدعي من القاضي أن يأمر بأحقيته دون غيره في الإرث يقوم القاضي بعدة إجراءات وهي(٣)

١–يتأكد القاضي أولاً من مكان العقار وهل هو في نفس مدينة صاحب الدعوى، أو العقار في بلد آخر(٤).

٢– يكتب القاضي للمدعي كتاباً مضمونه " أن العبرة في هذه الغيبة للمدعي بحضرة المدعي عليه وإبراً كفيل المدعي".

٣–وكان قاضي بخاري إذا قضى للمدعي يكتب كتابًا إلى قاضي سمرقند حتى يبرئ كفيل المدعي .

---

(١) ابن مازه البخاري، المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبو حنيفة، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان،٢٠٠٤، ج٨، ص١٤٥.

(٢) ابن مازه، المصدر السابق، ج٨، ص١٤٦.

(٣) ابن مازه، نفسه، ج٨، ص١٤٦.

(٤) ابن مازه، نفسه ، ج٨، ص١٤٦.

٤–وإذا أراد القاضي إرسال كتابٍ بأحقية مدعي في الإرث كان لا يرسله إلا مع رجلاً ثقة مأمونًا إذا شك في صاحب الدعوى(١).

وكان خطاب القاضي في مدينة بخاري إلى مدينة أخرى مثل سمرقند يجاز من قبل عدد كبير من القضاة، وحظي هذا الإجراء بقبول وموافقة أهل العلم والفقه لكون ذلك يعد بمنزلة الشهادة على الشهادة "....؛ لأنه بكتابه ينقل شهادة الشاهدين الذين شهدوا عنده بالحق إلى القاضي المكتوب إليه"(٢).

٥–وقبل أن يرسل قاضي بخاري كتابه إلى قاضي سمرقند يشهد على كتابه شاهدين عدول ويختمه ثم يرسله إليه إذا كان العقار في سمرقند ويفصل فيه قاضي بخاري، ويري عددًا من الفقهاء بأن قاضي بخاري لا يحكم للمدعي؛ لأن الخصم غير موجود(٣).

٦–ويطلب من قاضي سمرقند شهادة من مجلس قضائه مختومة بشاهدين ثم يرسل بالأمر كله لقاضي سمرقند حتى يقضي له بأحقيته في العقار(٤) وهناك من يرى من الفقهاء أن قاضي بخاري يقضي بأحقية المدعي في دعواه طبقًا لما ورد إليه من قاضي سمرقند ويرسل بأمر قضائه مختومًا لقاضي سمرقند(٥).

وفي قضية بيع الدار بين بخارى وسمرقند :

وإذا قام القاضي بالقضاء بعين (دارًا) في يدي رجل يسكنها ومسيطر عليها، وكان المقضي به خارج ولايته (يصح القضاء ولكنه لا يصح التسليم)؛ حيث إن، رجل

(١) ابن مازه، المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبو حنيفة، ج٨، ص١٤٦.
(٢) الباتربي، العناية بشرح الهداية، دار الفكر العربي، د.ت ج٧، ص٢٨٨.
(٣) ابن مازه، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ج٨، ص١٤٦.
(٤) الباتربي، العناية شرح الهداية، ج٧، ص٢٨٨.
(٥) ابن مازه، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ج٨، ص١٤٧ .

كان من بخارى وذهب عند قاضٍ بخارى وادعى دارًا على سمرقندي بأن الدار التي يسكنها السمرقندي ملكه(١).

وقد أقام البينة على ذلك للقاضي، فإن القاضي يقضي بأحقية المدعي في الدار ويكون قضاؤه صحيحًا، وذلك لأن كل من المقضي له والمقضي عليه حضوراً أمام القاضي إلا إن شرط التسليم لا يصح(٢).

وذلك لأن الدار محل النزاع بين الشخصين ليست في ولاية القاضي الذي حكم في القضية، وبالتالي، فإن عليه أن يكتب إلى القاضي المختص بسمرقند لاستكمال التسليم(٣).

في قضية بيع دار الغير في العصر السامانى:

من باع دار غيره بلا أمره وهو معترف بالغصب وأنكر ذلك الأمر المشتري لم يضمن البائع الدار، وذلك لأن "... إقرار البائع لا يصدق على المشتري ولابد من إقامة البينة حتى يأخذها، فإذا لم يقم المستحق وهو صاحب الدار البينة كان التلف مضافاً إلى عجزه عن إقامة البينة لا إلى عقد البائع؛ لأن الغاصب لا يجوز بيعه ..."(٤).

ومثال ذلك في مدينة مرو، جاء كتاب إلى قاضيها من قاضي بخاري في "... إثبات وكالة بالخصومة" وكان الرأي الفقهي فيها أن مستحقه الحق لوكيل وكيل فأتي موضع الخصم الغائب وأثبت الوكالة بالخصومة، وأقام البينة، فلو قال المدعي عليه أن موكلك برأني أو استوفى منه، فلا يلزمني تسليم ما أقمت البينة عليه ما لم يحلف موكلك والوكيل لا يتصور أن ينوب عن موكله بالحلف"(٥).

---

(١) نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية،ط٢ ، دار الفكر العربي، ١٣١٠ هـ ج٣، ص٣٦٨.

(٢) البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٨.

(٣) البلخي، نفسه، ج٣، ص٣٦٨.

(٤) ملاخسرو، درر الحكام شرح غرر الأحكام، دار احياء الكتب العربية ، د.ت ج٢، ص١٩٢.

(٥) الجويني، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق، عبد العليم محمود الديب، ط١، دار المنهاج، ٢٠٠٧م، ج١٨، ص٥٠٤.

ثانيًا: قضية البيع والشراء للدواب بين بخارى وسمرقند:

وكانت هذه القضية أن رجلًا كان له الحق في حمار قد قام بشرائه من يد رجل من بخاري وقبض صاحب الحمار ببخاري ماله كامل، ووجد صاحب الحمار أنه قد أخطأ في بيعته ويريد إعادته إليه مقابل أن يرد الثمن للمشتري وأثبت عملية البيع والشراء في سجلات قاضي بخارى(١).

حيث إن البائع قد أقر بالبيع غير أنه أنكر الاستحقاق وفي ذلك يقول ابن مازه "..... السجل سجل قاضي بخاري فأقام المستحق عليه بينة أن هذا السجل سجل قاضي بخارى لا يجوز لقاضي سمرقند أن يعمل به ويقضي للمستحق عليه بالرجوع بالثمن، ما لم يشهد الشهود أن قاضي بخاري قضي على المستحق عليه بالحمار الذي اشتراه من هذا البائع وأخرجه من يد المستحق عليه"(٢).

ويكون حكم القاضي هنا الاستحقاق بشهادة شاهدين عدلين "... إن زكيا رجع المشهود عليه على البائع بالثمن بمنزلة الإقرار..." (٣) فقد كانت تسجل جميع المشتريات ما بين بخارى وسمرقند في سجلات كل قاضي مختص بمدينته في العصر السامانى(٤)

ويخلص الرأي القضائي هنا بإجماع الفقهاء بالقول ".....إذا استحق دابة من يد المشتري ببخارى وقبض المستحق عليه السجل ووجد بائعه بسمرقند، وأراد الرجوع عليه بالثمن وأظهر سجل قاضي بخارى، وأقام البينة أن هذا كتاب قاضي بخاري لا يجوز لقاضي سمرقند أن يعمل به ويقضي للمستحق عليه بالرجوع بالثمن ما لم يشهد الشهود أن قاضي بخاري قضي ببخاري على المستحق عليه بالدابة التي اشتراها من هذا البائع وأخرجها من يد المستحق عليه هذا؛ لأن الخط يشبه الخط فلا يجوز

---

(١) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج٩، ص٧٣، البلخي، الفتاوى الهندية، ج٣، ص١٧٠.
(٢) المحيط البرهاني، ج٩، ص٧٣.
(٣) البابرتي، العناية شرح الهداية، ج٧، ص٢٨٨.
(٤) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج٩، ص٤٢٧، ٤٧٨.

الاعتماد الملك يثبت موقوف بتصرف مطلق[١]. كما إن البائع إذا أقر عند القاضي يبطل طلب المشتري، وذلك لأن "... التناقض لا يمنع صحة الإقرار؛ لأنه غير متهم فيه فإن من أنكر شيئاً ثم أقر يصح إقراره بخلاف الدعوى؛ لأنه متهم فيه، فالمشتري أن يساعده عليه فيتحقق الاتفاق بينهما، فلهذا شرط طلب المشتري"[٢].

وتتمثل خلاصة الرأي الشرعي في تلك القضية بأنه " .....لا يجوز لقاضي سمرقند أن يقضي للمستحق عليه بالرجوع بالثمن ما لم يشهد الشهود أن قاضي بخاري قضي للمستحق عليه بالحمار الذي اشتراه من هذا البائع وأخرجه من يد المستحق عليه، وفي ذلك قال الإمام ظهير الدين "... لا تشترط حضرة الحمار وكذا في دعوى العبد الحرية إذا رجع المشتري على البائع بالثمن لا تشترط حضرة المستحق عليه في الحمار"[٣].

ثالثا: قضية بيع العبيد بين بخارى وسمرقند:

كان هناك رجل من بخارى قام ببيع أحد العبيد إلى رجل من سمرقند، وشهد على ذلك البيع الشهود، في مدينة بخارى، وطلب مولي الرجل البخاري من قاضي بخارى أن يكتب لقاضي سمرقند بما شهده عليه شهوده[٤].

وبذلك يكون لقاضي سمرقند الحق في إرسال كتاب لقاضي بخاري مضمونه ".....أن شهد عندي فلان وفلا بأن هذا العبد محل النزاع الذي يقال له (فلان) ثم يقوم القاضي بوصف هذا العبد في كتابه، ويشهد على ذلك اثنان من كتاب القاضي، ويرسل بهم للإدلاء بالشهادة عند قاضي سمرقند"[٥].

وبعد أن يصل كتاب قاضي بخاري إلى قاضي (سمرقند) وتأكد القاضي من شهادة الشهود وثبوت عدل شهاداتهم فإن قاضي بخاري لا يحكم للمدعي بالعبد؛ وذلك

---

(١) بملا خسرو، در الحكام شرح غرر الأحكام، دار إحياء الكتب العربية د.ت، ج٢، ص١٩٢.
(٢) ملاخسرو، در الحكام شرح غرر الأحكام ، ج٢، ص١٩٢.
(٣) البلخي، الفتاوى الهندية، ج٣، ص١٧٠.
(٤) ابن مازه، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، العناية شرح الهداية، ، ج٧، ص٢٨٨؛ البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.
(٥) ابن مازه، المصدر السابق، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٨؛ البلخي، نفسه، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.

لأن الخصم غائب[١] ويرسل قاضي بخاري إلى قاضي سمرقند بالأمر ليكون هو محور الفصل الرئيسي في هذه القضية، وهناك من الفقهاء، من يجيز لقاضي بخاري الفصل في هذه القضية[٢]. فإذا كان هناك ملك موقوف للغير فإن ".... أبطله لاستمالة اجتماع الملك البات والملك الموقوف في محل واحد مثل الذي باع عبد غيره بغير أمره وبرهن المشتري على إقرار البائع أو المولي أنه لم يأمر بالبيع وأراد رد المبيع لم يقبل للتناقض في الدعوى"[٣].

والصحيح فقيهًا وشرعيًا هنا أن ".... قاضي بخاري يقضي بالعبد للمدعي ويكتب قاضي سمرقند كتابًا آخر حتى يبرأ كفيل المدعي وعلى الرواية التي جوز أبو يوسف كتاب القاضي في الإماء وصورته.." [٤].

ومن الأمور الثابتة للقضاة في العصر الساماني أن "... قاضي بخاري كان يكتب في السجل ويصدر عنه الحكم بشهود عدول وإن لم يكن ذكره بحضرة الخصم، وعسى كان عند غيبة الخصم، فلا يكون صحيحًا ولو كان كتب حكمت بثبوت السجل بشرائطه فلابد للقاضي من البيان"[٥].

ويؤكد القضايا الفقيهة السابقة صاحب لسان الحكام بقوله ".... أن القاضي إذا نصب وصياً في تركه ليست في ولايته لا يجوز وهو فتوى صاحب الفصول وفتوى مشايخ مرو وإن قال الإمام شمس الأئمة الحلواني يجوز والعبرة للخصومة"[٦].

---

(١) ابن مازه، المحيط البرهاني في الفقه النعماني، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، العناية شرح الهداية ، ج٧، ص٢٨٨؛ البلخي، الفتاوى الهندية، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.

(٢) ابن مازه ، المصدر السابق، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، المصدر السابق، ص٢٨٨؛ البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.

(٣) ملاخسرو، درر الحكام شرح غرر الأحكام، ج٢، ص١٩٢.

(٤) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، العناية شرح الهداية ، ص٢٨٨؛ البلخي، الفتاوي الهندية، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.

(٥) ابن مازه، المصدر السابق، ج٩، ص٤٨١؛ البابرتي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٨٨؛ البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠، ٣٩١؛ ج٦، ص١٩٢.

(٦) ابن الشحنة، لسان الحكام في معرفة الأحكام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٢٣؛ البلخي، نفسه، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٦، ص١٩٢

فإذا كانت القضية في مدينة (بخارى) لا يجوز نصب الوصي من قاضي (سمرقند) ولو كان الموقوف عليه بسمرقند والمدعي عليه بخارى، فيصح حكم قاضي بخاري بأنه وقف على فلان[١]؛ حيث إن ".... المتولى يكون قائمًا مقام الموقوف عليه ويكتب إلى قاضي سمرقند ليسلم إلى المتولي"[٢].

ويتوقف الاعتاق مرتباً عليه وينفذ بنفاذه ".... وصار كإعتاق المشتري من الراهن واعتاق الوارث عبدًا من تركة مستغرقه بالدين، حيث يصح وينفذ إذا قضي الدين بعده (لا يبعه) ألا يجوز بيع المشتري من الغاصب بعد ما أجازه المالك بيع الغاصب إذ بالإجازة يثبت للبائع وهو المشتري الأول ملك بات..."[٣]

رابعًا : السرقة والهروب من مدينة لأخرى :

كان هناك رجل قام بسرقة (جوز جانيات) وتم رفع أمره إلى قاضي (بلخ) وفي ذلك يروي صاحب الفتاوى الهندية ".... تقطع يده فإن غلب رجل على(جوز جانيات) من أهل البغي من غير تقليد من جهة والى خراسان لم يكن لقاضي بلخ أن يقيم، وهو نظير ما لو سرق في خوارزم فرفع إلى قاضي بخاري"[٤].

فجزاء السرقة كان قطع اليد التي سرقت وطبق هذا الأمر قضاة العصر الساماني، فإذا كان الجو بردًا شديدًا أو حرًا شديدًا لا يطبق الحد إلا في الجو المناسب ويودع الشخص الذي يقام عليه الحد في السجن حتى يكون الجو مناسبًا خوفًا عليه من الموت إذا طبق الحد[٥].وإذا مات في سجنه قبل إقامة الحد عليه، فيكون "ضمان المسروق دين في تركته"[٦] كما إن حد قطع اليد لا يكون إلا بحضور المسروق فيطالب بالسرقة"[٧].

---

(١) ابن الشحنة، لسان الحكام في معرفة الأحكام ، ج١، ص٢٢٣؛ البلخي، الفتاوى الهندية، ، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٦، ص١٩٢.

(٢) ابن الشحنة، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٣؛ البلخي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٩٠؛ ج٦، ص١٩٢.

(٣) ملاخسرو، درر الحكام شرح غرر الأحكام، ج٢، ص١٩٢.

(٤) نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية، ج٢، ص١٨٣.

(٥) البلخي، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٣.

(٦) البلخي، نفسه ج٢، ص١٨٣.

(٧) البلخي، نفسه، ج٢، ص١٨٣.

خاتمة البحث:

حاولت من خلال صفحات هذا البحث أن أعرض النظام القضائي في عصر الدولة السامانية وتوصلت لعدة نتائج نجيزها فيما يلي :

١–منذ التحاق الأمراء السامانيين بخدمة دار الخلافة في العراق في منصف العصر العباسي الأول، أثبت هؤلاء الأمراء ولاءهم لدار الخلافة العباسية من جانب، ومن جانب آخر كسبوا قلوب الرعية في المناطق التي كلفوا بإدارتها بسياستهم العادلة والحكيمة .

٢–بعد أن نجح الأمير الساماني نصر بن أحمد في السيطرة علي بلاد ما وراء النهر في سنة ٢٦١هـ /٨٧٤م، قرب منه العلماء والفقهاء، ورجال الدين، فكان دائم الطلب للنصيحة والرأي الفقهي والشرعي، منهم لمواجهة أخطار الطامعين، والخارجين وكان يحرص علي اختيارهم من أهل العلم وأصحاب السيرة الحسنة بين الرعية.

٣–اختار السامانيون قضاتهم بعناية فائقة ممن توافرت فيهم السيرة الطيبة، والعفاف والفطنة والذكاء، والعلم بالكتاب والسنة، وفي أوقات كثيرة كان الأمراء السامانيون يأخذون بمشورة القضاة والفقهاء في أمور الإدارة والحكم .

٤–حرص القضاة في العصر الساماني على إقامة مجالس القضاء بحضور الكاتب والسجلات، والحجاب، والأمناء، ووكلاء دار القضاء، والشهود، والترجمان، وذلك لضمان نزاهة القاضي والحكم بالعدل بين الناس، وينفذ هذا الحكم صاحب الشرطة الذي كان ملازمًا لمجالس القضاء في العصر الساماني.

٥–كان معظم من اختارهم الأمراء السامانيون لتولي منصب القضاء من كبار علماء العراق وبلاد المشرق الإسلامي في علوم الحديث والفقه حتي قيل فيهم "لم تقف أمامهم مسألة فقهية وشرعية إلا كان عندهم الحلول لها" .

٦–عمل القضاة السامانيون بجانب القضاء علي إقامة حلقات علمية، وفقهية لتعليم الطلاب الحديث النبوي الشريف، خاصة وأن معظم من تولوا ذلك المنصب كانوا حافظين للجامع الصحيح للإمام البخاري ومسلم، فضلا عن أنهم كانوا يجيدون

المذاهب الفقهية الأربعة، فحدثوا طلابهم بالقضايا الخلافية بين الفقهاء ، فكان الإمام المروزي من الذين فرغوا أنفسهم لتصنيف أراء الأمام أبو حنيفة النعمان وشرحها لطلابه، وقيل فيه أيضًا إنه كان من أحفظ الناس لمذهب الشافعي وأحسنهم نظرًا، وأزهدهم في الدنيا .

٧– كان قضاة السامانيين حافظين للقرآن الكريم يعلمون طلابهم في حلقات علمهم علم القراءات، وطريقة نطق ألفاظ القرآن الكريم وأصولها بجانب القضايا الفقهية والشرعية .

٨– قام العديد من القضاة السامانيين بتصنيف المؤلفات العلمية الضخمة في القراءات، وعلوم الحديث، والفقه وشرحها مبوبة بعد أن أوردوا فيها كل ما كتبه سابقيهم في القضايا الفقهية والشرعية .

٩–تصدي قضاة السامانيين لآراء الروافض وأفكارهم بكل حزم وقوة في بخارى وبلاد المشرق، مثل الفقيه الحسين بن الخضر وغيرة، والذي اشتهر بين أئمة أهل العلم بنعمان زمانه، وذلك بالنصح للأمراء بخطرهم، وتوعية الناس بأصول وقواعد وثوابت الدين .

١٠–كان القاضي في العصر الساماني يتم عزله من المنصب، إذا لم يكن قادرًا على أداء مهام منصبه، مثل فقدان البصر، أو السمع، أو فقد عقله، أو ارتد عن الإسلام وخرج عن الملة.

الملاحق

ملحق رقم (١)

جدول زمني بأمراء الدولة السامانيين

١–نصر بن أحمد السماني	(٢٦١هـ/ ٨٧٥م).
٢– إسماعيل بن أحمد السامانى	(٢٧٩هـ –٢٩٥هـ/ ٨٩٢–٩٠٧م)
٣– أحمد بن إسماعيل السامانى	(٢٩٥هـ/ ٩٠٨هـ).
٤– نصر بن أحمد	(٣٠١–٣٣١هـ/٩١٣–٩٤٣م).
٥– نوح بن نصر بن أحمد	(٣٣١–٣٤٣هـ/٩٤٢–٩٥٤م).
٦– عبد الملك بن نوح	(٣٤٣–٣٥٠هـ/٩٥٤–٩٦١م)
٧– منصور بن نوح	(٣٥٠–٣٦٦هـ/٩٦١–٩٧٦م).
٨–نوح بن نصر	(٣٦٦–٣٨٧هـ/ ٩٧٦–٩٩٧م).
٩–منصور بن نوح	(٣٨٧–٣٨٩هـ/٩٩٧–٩٩٨م).
١٠–عبد الملك بن نوح	(٣٨٩–٣٩٠هـ/٩٩٨–٩٩٩م)

ملحق رقم (٢)

أشهر القضاة السامانيين في مدينة بخارى

١– محمد بن أحمد بن موسى البركدي	(ت ٢٨٩هـ /٩٠١م)
٢– سعيد بن خلف البلخي	(ت سنة ٣١٣هـ/٩٢٥ م)
٣– أبو ذر محمد بن يوسف البخاري	(ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢ م)
٤– حامد بن أحمد بن محمد بن أحمد المروزي	(ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)
٥– عبد الرحمن بن محمد بن علويه أبو بكر قاضي بخاري	(ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣ م)
٦– أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي	(ت ٣٤٨هـ /٩٥٩م)
٧– أبو الفضل بن محمد بن أحمد المروزي	(ت ٣٧٣هـ/٩٨٣ م)
٨– أبو أحمد قاضي بخارى	(ت ٣٧٩هـ /٩٨٩ م)
٩– الحسن بن الخضر الفشيديزجي	(ت ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢ م)
١٠– سفيان بن عامر قاضي بخاري	(لم يقف الباحث على تاريخ وفاه له)

ملحق رقم (٣)

أشهر قضاة سمرقند في العصر الساماني

١– أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل	(ت ٣٤٢هـ/٩٥٣ م)
٢–أبى حاتم محمد بن حيان التميمي	(ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)
٣– أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي	(ت ٣٧٣هـ/ .٩٨٣ م)
أشهر قضاة جرجان في العصر الساماني	
١– أبو عمرو محمد بن محمد بن إسحاق السراج النيسابوري	(ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)
٢– نعيم بن عبد الملك بن محمد بن عدي أبو الحسين الاستراباذي	(ت ٣٥٥هـ/ ٩٦٥ م)
٣– أبو جعفر محمد بن أحمد بن يحيي الغامي	(ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ م)
٤– عبد الله بن على بن الحسين القومسي	(ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧ م)
٥– طاهر بن محمد الطاهر البكرباذي	(ت ٣٦٩هـ/٩٧٩ م)
٦– على بن عبد العزيز الحسن بن على بن إسماعيل أبو الحسن الجرجاني	(ت ٣٩٢هـ/١٠٠١ م)
أشهر قضاة خراسان في العصر الساماني	
١– أبو عمير حجين بن المثني اليمامي	(ت ٢٥٨هـ/ ٨٧١ م)
٢– عبد الله بن محمد بن أ؛مد بن الفرج بن متويه القزويني	(ت ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦ م)

ملحق رقم (٤)

أشهر قضاة نيسابور في العصر السامانى

١–محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو الحسن الحنظلي المروزي	(ت ٢٨٩هـ/ ٩٠١ م)
٢–موسي بن إسحاق بن موسي القاضي الإمام الحافظ	(ت ٢٩٧هـ/ ٩٠٩ م)
٣– أبو الحسن السنجاني المروزي	(ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م)
٤– يحيي بن منصور بن يحيي بن عبد الملك	(ت ٣٥١هـ/٩٦٢ م)
٥– محمد بن الحسين بن الهيثم البسطامي	(ت ٤٠٨هـ/ ١٠١٧ م)
٦– أبو الحسن محمد بن إبراهيم القاضي بنيسابور	(ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢ م)
٧– أبو بكر الحيرى (أحمد بن الحسن بن أحمد الحرشي)	(ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠ م)

ملحق رقم (٥)

نقلا عن شوقي أبو خليل، نقلًا عن شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط١٢، العربي، بيروت، دمشق، ٢٠٠٥، ص٥٣.

ملحق رقم (٦)

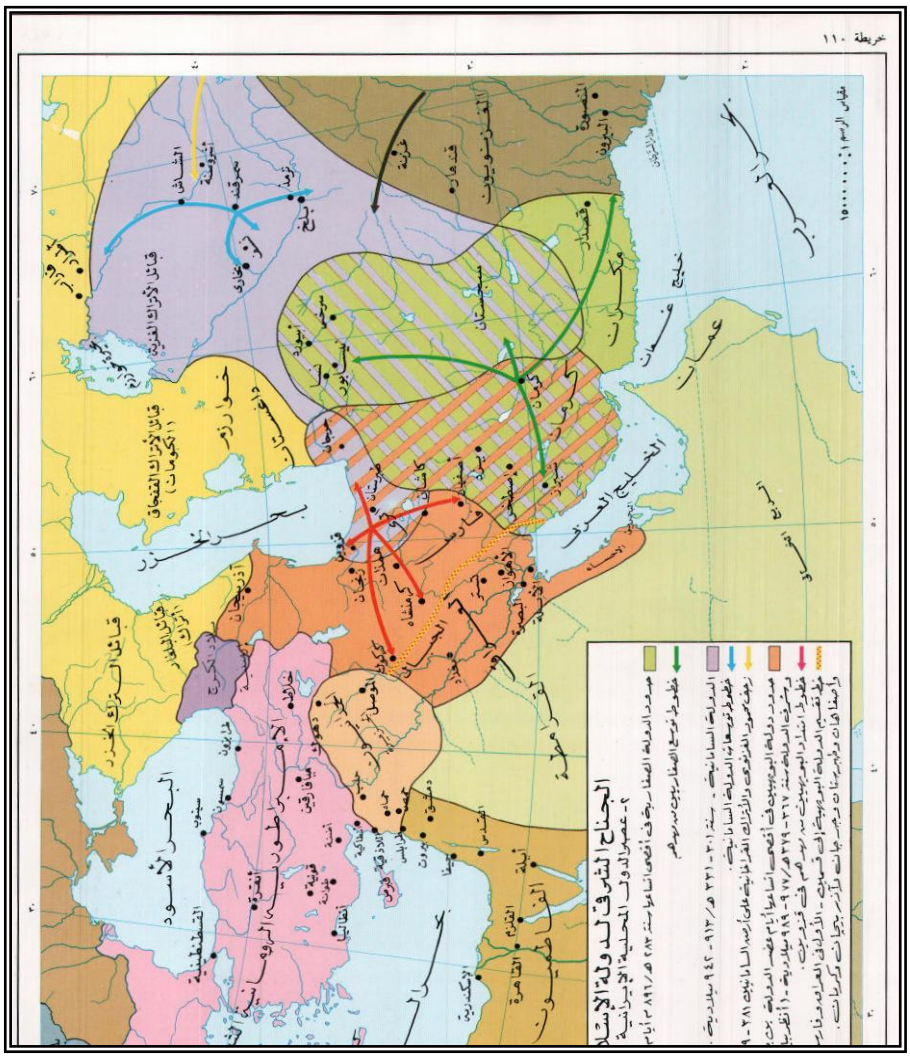

نقلًا عن، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢١٧.

ملحق رقم (٧)

نقلا عن، سامي عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العباسية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٢م، ص١٧٥

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. **ابن أبي أصيبعة** (أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس بن أبى أصيبعة ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت د.ت .

٢. **ابن أبى الدنيا** (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن قيس البغدادي ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)، ذم الدنيا، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣.

٣. _____الزهد لابن أبى الدنيا، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ١٩٩٦.

٤. **ابن الأثير** (أبو الحسن على بن أبى الكرم ابن الأثير الجزري ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

٥. _____، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٦. **ابن الوردي** (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٦.

٧. **السيوطي** (جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت د.ت

٨. **ابن الأخوة القرشي** (محمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة القرشي ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م) معالم القربة في طلب الحسبة، دار الفنون، كمبردج، د.ت

٩. **ابن الجزري** (شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩ م)، النشر في القراءات العشر، تحقيق على محمد الضباع، المطبعة التجارية، القاهرة، د.ت.

١٠. _____، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ١٥٣١هـ.

١١.**ابن الجوزي** (جمال الدين أبو العز عبد الرحمن بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢..

١٢.ـــــــــــ الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد بن عثمان، ط١، المكتبة السلفية، ١٩٦٦م.

١٣. ـــــــــــ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا وآخرون، ط١، ١٩٩٩.

١٤. **ابن الحائك** (الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤م..

١٥.**ابن السلار** (عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم ابن السلار الشافعي ت ٧٨٢هـ/١٣٨٠م)، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءتهم، تحقيق أحد محمد عزوز، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٦.**ابن الشحنة** (أحمد بن محمد بن محمد ابو الوليد لسان الدين بن الشحنة الحلبي ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، لسان الحكام في معرفة الأحكام، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م .

١٧.**ابن الطلاع** (محمد بن الفرج القرطبي المالكي ت ٤٩٧هـ/١١٠٣م)، أقضية رسول الله صلي الله عليه وسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٦هـ، .

١٨.**ابن العبري** (غريغوريوس بن هارون بن توما الملطى ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢.

١٩.**ابن العديم** (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلي كمال الدين ابن العديم ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دار الفكر العربي. د.ت.

٢٠.**ابن الفقيه** (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، البلدان تحقيق يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

٢١.**عياض بن موسي** بن عياض البستي ت (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار المكتبة العتيقة، دار التراث، .د.ت.

٢٢.**ابن اللحام** (علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عباس البعلي ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الأحكام الفرعية، المكتبة العصرية، ١٩٩٩.

٢٣.**ابن الأزرق**(محمد بن علي بن محمد الأصبحي ت ٨٩٦هـ/١٤٩٠م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، ط١، وزارة الاعلام، العراق د.ت

٢٤.**ابن المنجم** (إسحاق بن الحسين بن المنجم ت ق ٤ الهجري/ ق١٠م) أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٥.**ابن الوزير**، (محمد بن إبراهيم بن على المرتضي بن المفضل الحسني القاسمي ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبى القاسم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.

٢٦.**ابن تغر بردي** (يوسف بن تغر بردي جمال الدين الظاهري، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة، د.ت .

٢٧.**ابن حبان** (محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م .)، الثقات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيد أباد الدكن، ط١، ١٩٧٣ .

٢٨.**ابن حجر** (أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، لسان الميزان، ط٢، دائرة المعارف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١.

٢٩.ـــــــــــــ الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٠._____، لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢ .

٣١._____ فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢._____ رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق على محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨.

٣٣._____الإصابة تحقيق سعيد عبد الرحمن القذفي، ط١، المكتب الإسلامي، عمان الأردن ١٤٠٥هـ.

٣٤._____ تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامه، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦.

٣٥._____ تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد على النجار وآخرون، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان. د.ت.

٣٦._____، تهذيب التهذيب، ط١، مطبعة دار المعارف، الهند، ١٣٢٦هـ .

٣٧.**ابن حوقل** (محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار صادر، أوفست ليدن بيروت، ١٩٣٨ .

٣٨.**ابن خردزابة** (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خردزابة ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، المسالك والممالك، دار صادر، أفست، بيروت، ١٨٨٩م.

٣٩.**ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ بن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

٤٠.**ابن ذي الوزارتين** (على بن محمد بن أحمد بن موسي بن مسعود أبو الحسن الخزاعي ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ..

٤١.**ابن سعد** (أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

٤٢.**ابن سيدة**، (أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيدة المرسى ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٣.**ابن عبد البر**، (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القطبي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، جامع البيان العلم وفضله، تحقيق أبى الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي للطباعة، السعودية، ١٩٩٤م.

٤٤.**ابن عدي** (أبو أحمد بن عدي الجرجاني ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

٤٥.**ابن عساكر** (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمرو ي، دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٤٦.**ابن فرحون**، (إبراهيم بن على بن محمد أبن فرحون ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، تبصرة الحكم في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٧.**ابن فندامة** (أبو الحسن ظهير الدين على بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)، تاريخ بيهق، ط١، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ.

٤٨.**ابن قاضي شهبة** (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسد ي ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤٩.**ابن قتيبة الدينوري** (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/٨٨٩ م)، غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ.

٥٠.**ابن قليج** (مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري أبو عبد الله علاء الدين ت ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن محمد وآخرون، ط١، دار الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١ .

٥١.**ابن كثير** (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، طبقات الشافعية، تحقيق أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣م.

٥٢.**ابن ما كولا** (أبو نصر على بن هبة الله بن جعفر بن ما كولا ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٥٣.**ابن ما كولا** (محمد بن عبد الغني بن أبى بكر بن شجاع الحنبلي ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، اكمال الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القري، ط١، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

٥٤._____، أكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي للطباعة، القاهرة د .ت

٥٥.**ابن مازه البخاري** (برهان الدين محمود بن أحمد بن مازه البخاري الحنفي ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبو حنيفة، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان، ٢٠٠٤م.

٥٦.**ابن منظور** (محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٧._____، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٤.

٥٨.**ابن مهران** (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة، د.ت.

٥٩. **ابن نقطة** (محمد بن عبد الغني أبو بكر معين الدين ابن نقطة ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

٦٠. ـــــــــــ اكمال الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، جامعة أم القري، مكة، ١٤١٠هـ.

٦١. **ابن وكيع الضبي** (أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، أخبار القضاة، تحقيق عبد العزيز مصطفي المراغي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٤٧م..

٦٢. **ابن يونس**، (عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ت ٣٤٧هـ/٩٥٨م)، تاريخ أبو يونس، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

٦٣. **أبو الفداء** (عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بن شاهنشاة ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة، د.ت.

٦٤. **أبو بكر الأنباري** (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق د حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م.

٦٥. **أبو عمرو الداني** (عثمان بن سعيد بن عثمان بن عثمان أبو عمرو الداني ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، السنن الواردة في الفتنة، وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق رضا الله بن محمد إدريس المبار كفوري، ط١، العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

٦٦. **أبى حاتم** (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م) الجرح والتعديل، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م .

٦٧. **أبى سعيد الخادمي** (محمد بن محمد بن مصطفي بن عثمان ت ١١٥٦هـ/١٧٤٣م) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، مطبعة الحلبي، د.ت، ١٣٤٨هـ.

٦٨. **أحمد بن حنبل** (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله محمد عباس، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

٦٩. **الإدريسي** (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١ عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٧٠. **الأزدي** (ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ/٩٣٣م)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م .

٧١. **الأسعر دي** (تقي الدين أبو القاسم عبيد بن محمد بن عباس ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسي الترمذي، تحقيق السيد صبحي السامرائي، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩م..

٧٢. **الأصبهاني** (أبو نعيم أحمد بن عبد الله أحمد بن إسحاق بن مهران الأصبهاني ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة السعادة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٧٣. _____ معرفة الصحابة، تحقيق عادل يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٨م .

٧٤. **الأصبهاني** (صدر الدين أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، حديث السلفي عن حاكم الكوفة، تحقيق محمد زياد عمر، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ٢٠٠١م.

٧٥. _____ معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د .ت .

٧٦. **الأصطخري** (أبو إسحاق إبراهيم بن محد الفارسي الأصطخري ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٧٧. **الباتربي**(محمد بن محمد بن محمود جمال الدين الرومي الباتربي ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)، العناية بشرح الهداية، دار الفكر العربي،د.ت .

٧٨. **البخاري** (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، التاريخ الكبير، تحقيق محمد عبد المعيد خان، د.ت ..

٧٩. **بدر الدين الشافعي** (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكتاني ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، مشيخة ابن جماعة، تحقيق موفق بن عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٨٠. **البستي** (القاسم بن يوسف بن محمد بن على التجيبي البستي ت ٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

٨١. **البكري** (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ/١٠٥٥م)، المساك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

٨٢. _____، معجم ما استعجم، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٨٣. **البلخي**، نظام الدين البلخي(مجهول د.ت)، الفتاوى الهندية، ط٢،دار الفكر العربي،١٣١٠ هـ.

٨٤. **البيروني** (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذوله، ط٢، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٨٥. **البيهقي** (أحمد بن الحسين بن على بن موسي أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م.

٨٦. _____ شعب الإيمان، تحقيق مختار أحمد الندوي وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

٨٧. **الخيربيتي** (محمود بن اسماعيل بن ابراهيم بن ميكائيل ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، مكتبة نزار مصطفي الباز، الرياض د.ت

٨٨. **الجاحظ** (عمرو بن عمر بن محبوب الكناني أبو عثمان الجاحظ ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفسية والجواهر الثمينة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨٩. **الجرجاني** (أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط٤، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

٩٠. **الجورقاني** (أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمذاني الجورقاني ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، الأباطيل، والمناكير والصحاح والمشاهير، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ٢٠٠٢م.

٩١. **الجوهري** (أبو نصر إسماعيل بن أحمد الجوهري ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٩٢. **الجويني** (عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، نهاية المطلب في دراسة المذهب، تحقيق عبد العظيم محمود الديب، ط١، دار المنهاج، ٢٠٠٧م.

٩٣. _____ غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق عبد العظيم الديب، ط٢، مكتبة إمام الحرمين، ١٤٠١هـ.

٩٤. **الجياني** (أبو على الحسين بن محمد الغساني الجياني ت ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م)، تقييد المهمل وتمييز المشكل (شيوخ البخاري المهملون)، تحقيق محمد أبو الفضل، وزارة الأوقاف، المغرب ١٩٩٧م.

٩٥. **حاجي خليفة** (مصطفي عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار أحياء التراث العربي، ١٩٤١م.

٩٦. **الحميدي** (محمد بن فتوح بن حميد الأزدي ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٥م.

٩٧. **الحراني** (هلال بن الحسن الصابئ ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، رسوم دار الخلافة، تحقيق عواد ميخائيل عواد،ط٢،دار الرائد،بيروت،١٩٨٦.

٩٨. **الحنفي** (عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي محي الدين الحنفي ت ٧٧٥هـ /١٣٥٤م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كتب خانه، كراتشي، د.ت .

٩٩. **الحنفي الطرابلسي** (أبو الحسن علاء الدين علي بن خليل الطرابلسي ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، دار الفكر العربي، د.ت.

١٠٠. **الخطيب البغدادي** (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٠١. _____ المتفق والمفترق، تحقيق محمد صادق الحامدي، ط١، دار القادري للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م.

١٠٢. _____ تاريخ بغداد، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٠٣. **الخوارزمي** (محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب البلخي ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب العربي، د.ت.

١٠٤. **الخزاعي** (علي بن محمد بن أحمد أبو الحسن بن ذي الوزارتين ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية علي ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية، تحقيق احسان عباس،ط٢ دار الغرب،بيروت ١٤١٩هـ.

١٠٥. **الذهبي** (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠٦. _____ المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت .د.ت.

١٠٧. _____ المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم، ط١، دار الفرقان، ١٤٠٤هـ.

١٠٨. _____، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار، الكتبة العلمية، بيروت د.ت.

١٠٩. _____ سير أعلام النبلاء، دار الحديث للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦م .

١١٠. _____ تذكرة الحفاظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبان، ١٩٩٨م.

١١١. _____ تذكرة الحفاظ، تحقيق زكيا عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

١١٢. _____ سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٨٥م.

١١٣. _____، العرش، تحقيق محمد بن خليفة بن على التميمي، ط٢، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٣م.

١١٤. _____، تاريخ الاسلام، تحقيق محمد خليفة، على التميمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ٢٠٠٣م .

١١٥. _____ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت

١١٦. _____ تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

١١٧. **الرشيد العطار** (يحيي بن على بن عبد الله بن مفرج ت ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، نزهة الناظر في ذكر من حدث عن أبى القاسم البغوي من الحفاظ والأكابر، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط١، دار ابن حزم، القاهرة، ٢٠٠٢ م .

١١٨. **الزبيدي** (محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الهداية، القاهرة، د.ت .

١١٩. **السبكي** (تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وآخرون، ط٢، دار هجر للطباعة، ١٤١٣هـ.

١٢٠. **المالكي** (محمد بن على بن أحمد شمس الدين الداوودي المالكي ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)، طبقات المفسرين للداوودي دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت .

١٢١. **السرخسي** (محمد بن أحمد بن أبى سهل شمس الأئمة السرخسي ت ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، شرح السير الكبير، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.

١٢٢. _____ المبسوط، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢٣. **السمرقندي** (أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ت ٣٧٣هـ/٩٨٣م)، بحر العلوم، دار صادر، بيروت، د.ت .

١٢٤. **السمعاني** (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) الأنساب، تحقيق عبد الرحمن يحيي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر أباد، ١٩٦٢م .

١٢٥. _____، التحبير في المعجم الكبير، تحقق منيره ناجي سالم، ط١، رئاسة ديوان الأوقاف بغداد، ١٩٧٥م.

١٢٦. _____المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، ط١، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط١، عالم الكتب الرياض، ١٩٩٦م.

١٢٧. **السيرافي** (أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي ت ٣٣٠هـ /٩٤١ م)، رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

١٢٨. **السيوطي** (جلال الدين أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٢٩. _____ لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٣٠. **الشعراني** (عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، الطبقات الكبرى – لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة المليجي، القاهرة، ١٣١٥هـ

١٣١. **الشيرازي** (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق على عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، د.ت .

١٣٢. **الصريفيني** (تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الحنبلي ت ٦٤١هـ/١٢٤٣م)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.

١٣٣. **الصفدي** (صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣٤. **الصنعاني** (أحمد بن عبد الله بن الخير الخزرجي الأنصاري ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، ط٥، دار البشائر بيروت، ١٤١٦هـ.

١٣٥. **الصنعاني** (محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية، ط١، الكويت، ١٤٠٥هـ.

١٣٦. **الصيداوي** (أبو الحسين محمد بن أحمد الغساني الصيداوي ت ٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، معجم الشيوخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، بيروت، طرابلس، ١٤٠٥هـ..

١٣٧. **الطبري** (محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، ط٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

١٣٨. **الطوسي** (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ت ٥٠٥هـ/١١١١م) إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت د.ت .

١٣٩. **العماد الحنبلي** (عبد الحي بن أحمد بن محمد البكري الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط وآخرون، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

١٤٠. _____، معطية الأمان من حنث الإيمان، تحقيق عبد الكريم بن حنيتان العمري، المكتبة العصرية، جده، السعودية، ط١، ١٩٩٦م.

١٤١. **العمري** (أحمد بن يحيي بن فضل الله القرشي العمري ت ٧٤٩هـ /١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

١٤٢. **العيني** (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسي بن حسين الغيتابي ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

١٤٣. **الفراهيدي** (أبو عبد الرحمن الخليل بن عمرو بن تميم الفراهيدي ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وآخرون، دار مكتبة الهلال د.ت.

١٤٤. **القاضي عياض** (عياض بن موسي بن عياض بن عمرون اليحصبي البستي ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، الفية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م .

١٤٥. _____، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٤٦. **القتيبي** (أحمد بن محمد بن عبد الملك القسطلاني ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

١٤٧. **القزويني** (أبو يعلي الخليلي خليل بن أحمد بن إبراهيم ت ٤٤٦هـ/١٠٥٤م)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض١٤٠٩هـ.

١٤٨. **القزويني** (عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم الرافعي القزويني ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١٤٩. **القضاعي** (أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٥٠. **القطيعي** (عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ

١٥١. **القفطي**، (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م..

١٥٢. **القلقشندي** (أحمد بن على بن أحمد الفزاري القلقشندي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، مآثر الإنافه في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، ط٢، مطبعة حكومة دولة الكويت، ١٩٨٥م.

١٥٣. **القيسي** (محمد بن عبد الله بن أحمد بن مجاهد القيسي ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م) توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥٤. **الكسائي**، (أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الكسائي ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، دار طيبة، السعودية، ٢٠٠٣م..

١٥٥. **الكندي**، (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ت ٣٥٥هـ /٩٦٥م)، كتاب الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣ م.

١٥٦. **الماتريدي**، (محمد بن عبد الله محمود أبو منصور الماتريدي ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) تحقيق مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

١٥٧. **الماوردي** (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

١٥٨.. **مجهول** (ت بعد سنة٣٧٢هـ)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة السيد يوسف الهادي الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

١٥٩. **المرزباني** (أبى عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م).، معجم الشعراء، تحقيق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت

١٦٠. **المزي** (المهلب بن أحمد بن أبى صفرة أسيد بن عبد الله الاسدي الأندلسي ت ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)، المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، تحقيق أحمد بن فارس السلام، ط١، دار التوحيد، الرياض، ٢٠٠٩م .

١٦١. **المزي** (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٦٢. **المسعودي** (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) التنبيه والإشراف، دار الصاوي للطباعة، القاهرة، د.ت .

١٦٣. **مسكويه** (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق أبو القاسم إمامي سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٦٤. **المقدسي** (ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق عبد الملك بن عبد الله دهيش، ط٣، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٦٥. **المقدسي** (أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١م.

١٦٦. **ملاخسرو** (محمد بن مزامرز بن علي الشهير بملا خسرو ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، درر الحكام شرح غرر الأحكام، دار احياء الكتب العربية، د.ت .

١٦٧. **نظام الدين البلخي**(مجهول وفاته)، الفتاوى الهندية، ط٢، دار الفكر العربي، ١٣١٠هـ .

١٦٨. **نظام الملك الطوسي** (الحسن بن على بن إسحاق الطوسي ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، سياسة نامة سير الملوك، تحقيق يوسف حسين بكار، ط٢، دار الثقافة، قطر، ١٤٠٧هـ.

١٦٩. **النووي**، (أبو زكريا محي الدين يحيي بن شرف الدين النووي ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٧٠. **النيسابوري** (أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) تلخيص تاريخ نيسابور، ترجمه عن الفارسية بهمن كريمي، كتب خانه، طهران د.ت.

١٧١. **الهذلي** (يوسف بن على بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهذلي اليشكري ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، ط١، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ٢٠٠٧م.

١٧٢. **الهروي** (أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ذم الكلام وأهله، تحقيق عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، المدينة المنورة، ١٩٩٨.

١٧٣. **الهروي** (محمد بن أحمد الأزهري الهروي ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، القاهرة، د.ت.

١٧٤. ـــــــــ، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٧٥. **الهروي القاري** (على بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي ت ١٠١٤هـ/١٦٠٥م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

١٧٦. **الهمداني** (أبو بكر محمد بن موسي بن عثمان الحازمي الهمداني ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٣٥٩هـ.

١٧٧. ـــــــــ الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث، ١٤١٥هـ.

١٧٨. **الهمذاني**، (محمد بن محمد بن على أبو الفتوح ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية، تحقيق عبد الستار أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٩م.

١٧٩. **الهيثمي** (أحمد بن محمد بن على بن حجر السعدي الأنصاري ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م)، المنهاج القويم، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

١٨٠. **الوزير المغربي** (الحسين بن على بن الحسين أبو القاسم ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)، رسالة ضمن مجموع السياسة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

١٨١. **اليافعي** (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن سعد بن سليمان اليافعي ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبر اليقظان، تحقيق خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٨٢. **ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٨٣. ـــــــــ، معجم البلدان ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ .

١٨٤. ـــــــــ معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٩.

١٨٥. **اليعقوبي** (أحمد بن إسحاق أبى يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

ثانيا: المراجع:

١–إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.

٢–أبو الطيب نايف بن صلاح بن على المنصوري، إرشاد القاصي والداني، تراجم شيوخ الطبراني، تحقيق، سعد بن عبد الله الحميد، دار الكيان، الرياض، د.ت.

٣–أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ط١، المكتبة الإسلامية، القاهرة، د.ت..

٤–أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ط١، عالم الكتب القاهرة، ٢٠٠٨ .

٥–أحمد معمور العسيري، موجز التاريخ الإسلامي، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد، ١٩٩٦.

٦–السيد أبو المعاطي النووي، موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل، ط١، عالم الكتب، ١٩٩٧.

٧–بدر عبد الرحمن محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، ط١، الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م.

٨–حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، مرويات غزوة الحديبية، الجامعة الإسلامية، السعودية، ١٤٠٦هـ.

٩–حسين عطوان، الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٩م.

١٠–حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م

١١–حياة بن محمد بن جبريل، الأثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، الجامعة الإسلامية، المدينة، ٢٠٠٢ م.

١٢–خير الدين الزركلي، الإعلام، ط٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م

١٣–صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي، وزارة الثقافة والارشاد، العراق، ١٩٨٠.

١٤–دوزي (رينهارت بيتر دوزي)، تكملة المعاجم العربية، ط١، وزارة الثقافة الجمهورية العراقية، ٢٠٠٠م.

١٥–سامي عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العباسية، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٢م.

١٦–سعدي بن مهدي الهاشمي، أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة السعودية، ط١، ١٩٨٢م.

١٧–شوقي ابو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، ط١٢، العربي، بيروت، دمشق، ٢٠٠٥م

١٨–عبد الحميد حمودة، الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م

١٩–عبد الحميد حمودة، تاريخ الدول الإسلامية المستقلة في المشرق منذ قيام الدولة الطاهرية وحتى نهاية الدولة الغزنوية، الدار الثقافية للنشر ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢٠–عبد الرحمن صالح المحمود، مواقف ابن تيمية من الأشاعرة، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٥م .

٢١–عبد الله أحمد على الزيد، مختصر تفسير البغوي، ط١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.

٢٢–عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، دار القلم للطباعة، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٣–علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنيه للنشر،١٤٢٣ هـ .

٢٤–علي بن عبد الله بن شديد المطيري، جهود المحدثين في بيان علل الحديث، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، السعودية، د.ت .

٢٥–علي حيدر خواجة أمين أفندي، درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ط١، دار الجيل، ١٩٩١م .

٢٦–علي بن عبد السلام أبو الحسن التسولي، البهجة في شرح التحفة، تحقيق محمد عبد القادر شاهين،ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٨

٢٧–محمد بن الحسن بن العربي الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م .

٢٨–محمد بن خليفة بن علي التميمي، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، ط١، أضواء السلف للطباعة، الرياض، ١٩٩٧م .

٢٩–محمد بن عبد الكريم بن عبيد، روايات ونسخ الجامع الصحيح للإمام البخاري، ط١، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٣٠–محمد رأفت عثمان، النظام القضائي في الفقه الإسلامي، ط٢، دار البيان، ١٩٩٤م .

٣١– محمد رواس قلعجي وآخرون، معجم لغة الفقهاء، ط٢، دار النفائس، القاهرة، ١٩٨٨ م.

٣٢–محمد حميد الله الحيدر ابادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٦،دار النفائس،١٤٠٧هـ.

٣٣–مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٣٤–مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م .

٣٥–ملا خسرو، در الحكام شرح غرر الأحكام، دار إحياء الكتب العربية د.ت، .

٣٦–ناصر على عائض حسن الشيخ، عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ط٣، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ٢٠٠٠م.

ثالثا: المراجع والدوريات الفارسية :

١- فاطمة مدرسي: مقالة يروهشي/نقش سامانيان دراحياي فرهنك وأدب بارسي، نامة قرهنلستان، شماره (١٤)، زمستان سال ١٣٧٨ هـ.ش.

٢- دكتر عزت اله خدادي: يروهش/ تحليل جامعة شناختي أوضاع إجتماعي، فرهنلي، سياسي، وديني دوره سامانيان، فصلنامة، توسعه إجتماعي (توسعة أنساني سابق)، دوره (١٣)، شماره(٢) زمستان، سال ١٣٩٧ هـ.ش.

٣- أكرم كرميلي- مجتبي ذهابي-فاطمة يوسفوند- زهراجعفرنراد: مقالة يروهشي/باستان كرابي درفرهنك وادبيان دوران ساماني، دومين كنفرانس بين المللي مديريت وعلوم اجتماعي، سال ١٣٩٥ هـ.ش.

٤- جهابنش-أكرم كرميلي: مقالة يروهشي / باستان كرابي درفرهنك وادبيات دوران ساماني ،دو فصلنامه تخصص تاريخ إيران إسلامي دانشكاه أذر إسلامي واحد شوشتر، سال ششم، شماره دوم، ياييزوزمستان سال ١٣٧٩ هـ.ش

٥- زاهرأذرنيوش: مقاله تاريخي/سامانيان، توسعه أمنيت، علم وفرهنك د.ت

٦- محسن رحمتي: يروهش سامانيان واحياي شاهنشاهي إيراني، جستارهاي تاريخي، يروهشكاه علوم إنساني ومطالعات فرهنكي، سال ششم، شماره أول، بهار وتابستان ١٣٩٤ هـ.ش

رابعا الدوريات العلمية :

١-أحمد غمام عمارة، أثر سرعة الفصل في الخصومة في تحقيق الأمن القضائي في الشريعة الإسلامية، مجلة البحوث والدراسات جامعة الوادي الجديد، العدد (١٧) سنة ٢٠١٤

٢-رحمن حسين علي إبراهيم، مجلس القضاء في العصر العباسي، مجلة الاستنباط العدد ٢٠٣ لسنة ٢٠١٢.

٣-عادل إبراهيم ماجد، النزاهة القضائية في مصادر الشريعة الإسلامية، المجلة الدولية في الفقه والقضاء والتشريع، المجلد الثاني، العدد (١) سنة ٢٠٢١م

إيجارات أوقاف اليهود السَّكْنية بالفُسْطَاط في العصر الأيوبي
مع دراسة عقد إيجار سَكَن في أوقاف اليهود الرَّبانين ونشره
مؤرَّخ في ٢ شعبان سنة ٦٢٦هـ/٢٥ يونيو ١٢٢٩م

أ.م.د. عمر جمال محمد علي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب–جامعة سوهاج

المُلخَّص:

تتناول هذه الدراسة إيجارات أوقاف اليهود السكنية بالفُسْطَاط في العصر الأيوبي، مع دراسة عقد إيجار سَكَن في أوقاف اليهود الرَّبانين ونشره، المؤرَّخ في الثاني من شعبان سنة ٦٢٦هـ/٢٥ يونيو١٢٢٩م، وجاءت افتتاحية الدراسة عن التجمعات السكنية لليهود وأعدادهم، وطوائفهم الدينية في مدينة الفُسْطاط، ثم تطرقت الدراسة إلى طرق تسجيل الإيجارات العقارية السكنية واستخراج أجرتها؛ وفقًا لما ورد في كتب علم الشروط؛ وذلك لفهم نظام الإيجارات في العصر الأيوبي، ثم دراسة إيجارات أوقاف اليهود السكنية، وكيفية تحصيل إيراداتها، وسبل إنفاقها في مصارفها المختلفة في ضوء وثائق الجنيزة.

وتأسيسًا على ما سبق اقتضت طبيعة المعلومات الواردة بالقوائم الحسابية الجبائية الخاصة بإيجارات العقارات السكنية أن تشتمل على طرح للتعريف بنظام الوقف اليهودي الذي عُرف باسم: القودش أو الهقديش، والذي يماثل نظام الوقف الإسلامي، وكان يسمى في وثائق الجنيزة–في بعض الأحيان–بمصطلح الوقف أوالحبس، وكان يُمنح بشكل رسمي للمحكمة القضائية اليهودية، التي استأثرت بإدارته، وأسندت إلى البَرناس جباية المبالغ المستحقة عن إيجار العقارات، وقد وضعت بعض الضوابط والشروط للمستأجرين، وكان يُصرف من إيرادات الإيجارات جزء كبير على الفقراء والمحتاجين، وصيانة المعابد، والعقارات الموقوفة وترميمها، ودفع الضرائب الحكومية، كذلك تفاوتت في قيمة الإيجار من مكان إلى آخر، وتأثرت بالكوارث الطبيعية كالمجاعات والأوبئة، واختتمت الدراسة بفهرسة عقد الإيجار من حيث الشكل والمضمون، ودراسة محتوياته، ونشر نصّه وتحقيقه.

الكلمات المفتاحية: الإيجارات– القودش– الهقديش– أوقاف–اليهود– العقارات السكنية– الفسطاط –وثائق الجنيزة– العصر الأيوبي

Rents of Residential Jewish Awqāf (endowments) in al-Fusṭāṭ during the Ayyūbid period

A study and publication of a housing Deed of Lease in the Rabbanite Jewish Awqāf

Dated on 2 Shaban 626 AH / 25 June 1229 AD

Abstract:

This study deals with the rents of the Jewish residential endowments in al-Fusṭāṭ in the Ayyūbid period. The study is a close investigation and publication of a housing Deed of Lease in the Rabbanite Jews Awqāf; the lease is dated on 2 Shaban 626 AH / 25 June 1229 AD. The study commences with a survey on the Jewish residential communities and their numbers and their religion sects in al-Fustāt. In order to understand the rental system in the Ayyūbid period, the study reviews the methods of registering and extracting the rents of the residential real estate according to what was stated in the Shurūṭ books. Thereafter, the study appraises the rents of the residential Jewish Awqaf (endowments), the ways of collecting their revenues, and the ways of their expenditures in the light of the Geniza documents.

Based on the foregoing, the nature of the information in the rental accounts of the residential real estate required a definition of the Jewish endowment system known as: Al-Qōdesh or Al-Heqdēsh, which is similar to the Islamic wqaf system. In the Geniza documents, it was - sometimes - called by the term wqaf or ḥabs. The Jewish Judicial Court was officially granted the right to administer the jewish waqf and sometimes solely took responsibility for managing the waqf. The Jewish Judicial Court entrusted the Parnās for the jibāyat (the collection) of the amounts due for renting real estate and placed some controls and conditions on the tenants. A large part of the rental revenues was spent on serving the poor and the needy, maintaining the Synagogues, maintaining and restoring the endowed properties, and paying the Government taxes. The value of rents varied from one place to another and rents were affected by natural disasters such as famine and epidemics. The study concludes with indexing the deed of lease in terms of form and content, examining its contents, publishing and editing its text.

KeyWords: ***Leases -Qōdesh-Heqdēsh- Awqāf - real estate - al-Fusṭāṭ - Geniza documents-Ayyūbid period***

مقدمة:

عاش اليهود في معظم مدن مصر وقراها في العصر الأيوبي(٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م)، وكشفت وثائق الجنيزة[١] أن أكبر الطوائف اليهودية تجمعت في ثلاث مدن رئيسة هي: الإسكندرية والفُسْطَاط والقاهرة[٢]، وقَدّر الرَّحالة اليهودي الإسباني بنيامين التُّطَيْلي، الذي زار مصر في أواخر العصر الفاطمي سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، عددهم بالفُسْطَاط والقاهرة بألفي يهودي، وذلك وفقًا لمخطوط الرحلة

(١) **الجنيزة**: أو **الجنيزا Geniza** كلمة عبرية مشتقة من الفعل الثلاثي: جنز، وتقابل بالعربية كلمة «كنز» للدلالة على معنى الجمع والدفن في الأرض، فهي قريبة من الكلمة العربية «جنازة»، التي تعني النعش أو الموكب المشيع للميت، وهي بمثابة مستودع الأوراق البالية للكتابات اليهودية المقدسة التي لا يجوز إبادتها، حتي وإن لم تعد تستعمل، ويُطلق اسم الجنيزة على المستودع المؤقت في الكنيس(المعبد) وكذلك على المدفن الدائم في المقبرة، وقد اكتشفت جنيزة القاهرة في كنيس(كنيسة الشاميين) بقصر الشمع في الفُسْطَاط، الذي عرف بـ«كنيس عزرا»، و«كنيس ابن عزرا»، وتضم مجموعة كبيرة من المخطوطات الأدبية مثل: الصلوات والشعر الديني والدنيوي، وصفحات من العهد القديم وأجزاء من التوراة، والتعاويذ، والفلسفة وغيرها، كما تضم مجموعة ضخمة من الأوراق الوثائقية مثل: عقود الزواج، وثائق الطلاق، الوصايا، قوائم الحسابات، عمليات إعتاق العبيد، صفقات لبيع، عقود إيجار العقارات، المراسلات على اختلاف أنواعها، وقد كتبت فيما يسمى(العربية- اليهودية)، أي العربية المكتوبة بأحرف عبرية، وخاصة باللغة العامية، وكانت جنيزة القاهرة أول جنيزة يتم اكتشافها، كما إنها الأضخم من حيث مادتها، وقد توزعت مادتها بين الجامعات الأوربية والأمريكية والمؤسسات والمراكز اليهودية في العالم. إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ص١٧؛ مارك كوهن: المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى (٦٤١-١٣٨٢م)، ترجمة تسرين مرار وسمير نقاش، مكتبة لقاء، تل أبيب، ١٩٨٧م، ص٩١-٩٨؛ محمد خليفة حسن: الجنيزا:«أوراق ووثائق الجنيزا: أهميتها العلمية وقيمتها التاريخية والحضارية» في كتاب: الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد(٩)، ١٩٩٩م، ص١١-١٣.

(٢) سلام شافعي: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي (٦٤٧-٦٤٨هـ/١٠٧٤-١٢٥٠م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٠٠، ٣٠٠

الذي ترجمه عزرا حداد عن العبرية[١]، حيث ذكر أحد الباحثين أن هُناك اختلافًا في مخطوطات رحلته، التي نصّت إحداها على أن عدد اليهود بالفُسْطَاط بلغ سبعة آلاف، وحتى إن كان هذا الرقم غير دقيق، فإنه يظل أكبر الأرقام التي ذكرها عن يهود مصر، كما إنه لم يزر أماكن كثيرة تواجدت فيها الطوائف اليهودية[٢].

ويبدو أن هذه الأعداد مجرد إحصاء تقريبي، لكن في الوقت نفسه تعطينا فكرة عامة على أن يهود مصر في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي زادت أعدادهم بشكل كبير هذا من ناحية، وأن منهم جماعات كبيرة العدد سكنت المدن والموانئ المصرية الكبيرة من ناحية أخرى، خاصة مع تدفق المهاجرين من بلاد الشام نتيجة الغزو الصليبي، حتى يمكن القول أن عدد يهود مصر كان حوالي اثني عشر ألفًا في نهاية القرن السادس/ الثاني عشر الميلادي، وأن تقديرات بعض الباحثين لأعدادهم في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تراوحت بين اثني عشر ألفًا وعشرين ألفًا[٣].

على أية حال، كان اليهود يمثلون شريحة صغيرة من السكان المصريين، وكان لها دورها النشط في المجتمع، وعاشوا يتمتعون بالتسامح والأمان في العصر الأيوبي،

---

(١) ومن الأماكن الأخرى التي عاش بها اليهود مدينة حلوان وفيها حوالي ثلاثمائة، وقوص ثلاثمائة، والفيوم مائتان، وبلبيس ثلاثة آلاف، وأبو تيج مائتان، وبنها ستين، وسمناط (سمنود) مائتان، ودميرة سبعمائة، والمحلة حوالي خمسمائة يهودي، والإسكندرية ثلاثة آلاف، ودمياط مائتان، وتنيس أربعين يهوديًا. بنيامين التُّطَيْلي (الرابي بنيامين بن يونة التطيلي النباري، المُتوفّى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م): رحلة بنيامين التطيلي (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م)، ترجمها عن العبرية عزرا حداد، تحقيق منذر الحايك، الطبعة الأولى، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٤م، ص٢١١-٢١٢، ٢١٦- ٢١٨،٢٢١، ٢٢٣.

(٢) مارك كوهن: المجتمع اليهودي، ص٢٢-٢٣.

(3)Eliyahu Ashtor: «The number of the Jews in medieval Egypt», Journal of Jewish Studies, 18 (1967),pp.10-11,13.

وقاسم عبده قاسم: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٥-١٧.

وعلى الرغم من وجود أحياء سكنية عُرفت بهم، وهو أمر منطقي، أن يميل أبناء أي طائفة دينية أو عرقية إلى التجمع في حي خاص بهم، إلا إن هذه الأحياء كانت تضم المسلمين والمسيحين إلى جانبهم، وإن أقامت فيها كثافة يهودية تميزها عن غيرها(١)، فقد كانت بيوت اليهود تجاور بيوت المسلمين والمسيحيين في كل مكان، كما كان المسلمون يعيشون مع مستأجرين يهود في منازل يملكها مسلمون أو يملكها يهود، فضلا عن تركز عدد منهم حول المعابد اليهودية، وهي ظاهرة سكنية في كل أنحاء مصر(٢).

وقد سكن اليهود في عدة أماكن بالفُسْطَاط، كان من بينها منطقة قصر الشمع(٣)، حيث سكنوا في زقاق عُرف باسمهم وهو: «**زقاق اليهود**»، على يمين السالك من باب القصر بجوار الكنيسة المُعَلّقة، كما سكنوا منطقة المَصَّاصة(٤)، وخاصة في خُوخَة خَبِيصة، فيما بين كنيسة(معبد) اليهود الشاميين(٥) والمسجد

(١) زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي دراسة تاريخية في قضايا الهوية– الاندماج– القدس، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج١، ص١١٠–١١٢.

(٢) قاسم عبده: اليهود في مصر، ص٦٨.

(٣) **قصر الشَّمْع**: أو خُطُّ قصر الشَّمْع و قصر الرَّوم، أحد الأخْطاط المشهورة بالفُسْطَاط، وكان يوجد به أزِقة ودُروب، ويُسلك منه إلى جهات خَمْس: الأول يُسلك منه من سِقْل الكنيسة المُغَلَّقة إلى السوق الكبير، الثاني يُسلك منه من زقاق التِّرمس إلى سوق الصَّوافين، الثالث يُسلك منه من درب مَحَط القِرَب إلى سوق السَّماكين، والرَّابع يُسلك منه إلى خُط دار وحمَّام بُوران، والخامس يُسلك منه من درب الحَجَر إلى سُويقة مَحْرَس بَنَان. ابن دقماق(صارم الدِّين إبراهيم بن محمد بن أيدَمَّر العلائي، المُتوفَّى ٨٠٩هـ/١٤٠٦م): الانتصار لواسطة عِقد الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مركز دراسات الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ٢٠٢١م، ج١، ص٩٧.

(٤) **المَصَّاصَة**: من أخْطاط مدينة الفُسْطَاط المشهورة، وهو مجاور لخُط قصر الشمع، وبه دروب وأزقة وسقائف، وله خمسة مسالك، وكان يسكنه الوزراء. انظر: ابن دقماق: الانتصار، ج١، ص٩٧–٩٨.

(٥) كان لليهود بقصر الشمع كنيستان: كنيسة اليهود الشاميين بجوار خُوخَة خَبِيصة والدَّرْب هناك، وهي خاصة بجماعة اليهود الفلسطينيين(الشاميين)، وكنيسة اليهود العراقيّين بزُقاق اليهود=

الأرضي هُناك، وداخلها غير نافذ، إلا إن رئيس اليهود أخذ من السور بابًا فتحه من داره التي بالمَصَّاصة المقابل للمسجد الأرضي يسلك منه إلى هذا الزقاق[١].

وقد انقسم يهود مصر إلى طوائف دينية هي: الرَّبانيون[٢] والقراؤون[٣]، والسامرة[٤]، وكانت رئاسة اليهود يختص بها واحد من طائفة الرَّبانين، وهم أكبر

=بجوار الكنيسة المُعَلَّقة، والكنيستان لليهود الربانين. ابن دقماق: الانتصار، ج١، ص٤٠، ٨٤؛ المَقْريزي (تقيّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مؤسسة الفُرقان للتُّراث الإسلامي، لندن،٢٠١٣م، مج٤/٢، ص٩٤٠.

(١) ابن دقماق: الانتصار، ج١، ص٤٠، ٨٤.

(٢) **الرَّبانون:** أو «الرَّبانيون» و« الرَّبيون» أشهر الطوائف اليهودية، وشكلوا أغلبية بين يهود مصر في تلك الفترة، والاسم مشتق من كلمة: «ربي» أو«رباني»، المأخوذة من كلمة «ربانيم» العبرية، ومعناها: الإمام، أو الحبر، أو الفقيه، وقد استخدموا الحساب في معرفة تقويمهم وتواريخهم وحساب مواعيد أعيادهم، وانقسموا إلى قسمين: فلسطينيين(شاميين)، وعراقيين. قاسم عبده: اليهود في مصر، ٣٣-٣٤. وانظر ما ذكره المَقْريزي عنهم في: المواعظ والاعتبار، مج٤/٢، ص٩٤٣-٩٤٨.

(٣) **القراؤون:** تشتق من المصدر «قَرُأ» بفتح وضم ممدود والألف ساكنة، ومعناه: قرأ- دعا-نادى؛ وذلك لأنهم لم يعترفوا بغير(المُقرا)، أي ما يُقرأ فيه وهي التوراة، ولم يتقيدوا بالتلمود، ويعتمدون على الأهلة في تقويم وحساب أعيادهم ومواسمهم، مما أوجد اختلافًا بينهم وبين الرَّبانين، وكانوا يأتون بعد الربانين من حيث العدد، ولكنهم أكثر منهم ثراء. انظر: القَلْقَشَنْدي(أبو العباس أحمد بن على، المتوفَّى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م): صُبْح الأعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج١٣، ص٢٥٦-٢٦٧؛ قاسم عبده: اليهود في مصر، ص٣٥-٣٦؛ محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٢٠-٢٢١.

(٤) **السَّامرة:** وهم أتباع السامِريَّ الذي أخبر الله تعالى عنه بقوْله في سورة الأعراف (وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ)، وكان القراؤون والربَّانيُّون ينكرون السامرة من اليهود، لكن السلطات المصرية اعترفت بهم واعتبرتهم من فرق اليهود، وكانوا أقلية ضئيلة العدد بين يهود مصر. القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١١، ص٢٦٨-٢٦٩؛ قاسم عبده: اليهود في مصر، ص ٣٧-٣٩.

الطوائف، وكان له الإشراف على أبناء الطوائف الأخرى[١]، وكانت الطائفة اليهودية في مصر خلال العصر الأيوبي تقدم لأبنائها الخدمات الاجتماعية المتنوعة مثل: إعانة المحتاجين، ومساعدة عابري السبيل، ودفع الجزية عن غير القادرين، وافتداء الأسرى، وصيانة المعابد وترميمها، ودفع معاشات الحاخامات ورؤساء الطوائف، وكان لابدّ من مصدر دخل لتغطية هذه النفقات، حيث لم يكن هناك جباية للضرائب مثلما كان الأمر بالنسبة للطوائف اليهودية في أوربا، لذا كان مصدر إيرادات الطائفة يعتمد على التبرعات والأوقاف[٢].

وستتناول هذه الدراسة طرق تسجيل الإيجارات العقارية السكنية، واستخراج أجرتها؛ وفقًا لما ورد في كتب علم الشروط، وذلك لفهم نظام الإيجارات في العصر الأيوبي عامة، ثم دراسة إيجارات أوقاف اليهود السكنية في مدينة الفُسْطَاط، وكيفية تحصيل إيراداتها، وسبل إنفاقها في مصارفها المختلفة، كما تتضمن دراسة عقد إيجار سكن في أوقاف اليهود الرَّبانين ونشره، المؤرخ في الثاني من شعبان سنة ٦٢٦هـ/ يونيو ١٢٢٩م.

(١) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١١، ص٣٨٥، ٣٨٧؛ المَقْريزي: السُلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ المُلوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الطبعة الرابعة، مطبعة دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ٢٠١٤، ج١، ق٣، ص٧٢٨؛ السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن محمد، المتوفَّى سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصَّار، مطبعة دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ٢٠٠٩م، ج١، ص٤٢٨–٤٢٩.

(٢) مارك كوهن: المجتمع اليهودي، ص٤٩–٥٠.

أولاً: طرق تسجيل إيجارات العقارات السكنية واستخراج أجرتها:

تُعد إيجارات العقارات السكنية من الموارد المالية المهمة للدولة الأيوبية[١]، فهي إحدى أقسام الأموال الهلالية[٢]، التي تُجبيها مُشاهرة (شهريًّا)؛ لكي تزيد من حصيلة الإيرادات العامة، وقد وضعت عدة إجراءات خاصة بنظام التأجير وتحصيل الأجرة، وتسجيلها في دفاتر مخصصة لذلك، فكان على مباشر[٣] هذه الأموال أن يختار لكل

---

(١) تعددت الموارد المالية للدولة الأيوبية كالإقطاع الحربي؛ لأنه مصدر الإيراد الدائم اللازم للصرف على الجيش السُّلْطاني وجيوش الأمراء الإقطاعيين، فضلا عن النفقات العسكرية المهمة للجيش في زمن الحروب، والزكاة، والخراج وهو الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي الزراعية، والجوالي على أهل الذمة من اليهود والنصارى البالغين، دون النساء والصبيان والرهبان والأرقاء والمجانين، فضلا عن الشيوخ والفقراء في بعض الأحيان، والمواريث الحشرية، وحصيلة الأحباس الخاصة والعامة، والثغور المحروسة، والخُمْس، والمتجر، والمعادن كالشَّب والنطرون، والأحكار، والرباع، وغير ذلك من الموارد المالية الأخرى. للمزيد انظر: ابن مَمَّاتي(أبو المكارم الأسعد بن مُهذب الخطير أبو سعيد مينا، المُتوفّى سنة٦٠٦هـ/١٢٠٩م): قوانين الدواوين، جَمعه وحقّقه عزيز سوريال عطية، الجمعية الزراعية الملكية، مطبعة مصر،١٩٤٣م، ص٣٠٧-٣٥٥؛ حسنين محمد ربيع: النظم المالية زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م، ص٤٠-٥٧.

(٢) كانت أموال الهلالي تنقسم إلى أربعة أقسام: الجوالي، والزكاة، والرِّباع ، وما يستخرج من تجار الروم وغيرهم، وللمزيد عن كيفية استخراجها. انظر: المَخْزُومي (أبو الحسن علي بن عثمان بن يوسف، المتوفَّى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م):المنتقى من كتاب المنهَاج في علم خراج مصر، تحقيق كلود كاهن ومراجعة يوسف راغب، مُلحق حَوليات إسلامية العدد رقم ٨، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٤.

(٣) **المباشر**: هو الموظف الذي يُكلف بإدارة العمل والإشراف على تنفيذه، وإجراء عمليات البيع والشراء المتعلقة به، وقد أطلق على الموظفين بالدواوين اسم مباشرين، وشاعت هذه الوظيفة في دولة المماليك، فكان يوجد مباشرو الإصطبلات، ومباشرو خزائن السلاح، ومباشرو ديوان الجيش، ومباشرو الذخيرة، وغير ذلك، وكان يشترط فيه أن يكون أمينًا عارفًا بصناعة الكتابة وتنظيم الحسابات وضبطها. حسن الباشا: الفنون الإسلامية على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٣، ص ٩٨٢-٩٨٤.

جهةٍ من يستأجرها بقيمتها المناسبة، وأن يحتاط في اختياره، ويُلزِم المستأجر بكتابة إجارة شرعية لمدة معلومة وبأجرة معيَّنة، ويثبتها في ديوانه، وإذا انتهى المباشر من تأجير الأملاك وجمع عقود الإيجارات **«بَسَط على ذلك جريدة**[١] **يشرح فيها الجهة، واسم مستأجرها أو ضامنها، واستقبال مدة إيجاره أو ضمانه، ومبلغ الأجرة أو الضَّمان في السنة والشهر واليوم»**[٢].

وفي حالة إذا ما وضعت زيادة في جهة من الجهات في أثناء السنة قرّرها المباشر في تعليق المُيَاومة (اليومية)[٣]، ووضعها في الجريدة الخاصة به، ويحاسب

---

(١) **الجريدة:** الجمع **جرائد**، وهي عبارة عن سجل أو صحيفة تُرصد فيها الحسابات في الديوان. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٣م، ص١٤٧.

(٢) النويري (شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب الشافعي، المتوفَّى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرَب في فُنُون الأدَب، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م،ج٨، ص٢٢٨-٢٢٩؛ البيومي إسماعيل الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٧٣.

(٣) **تعليق المُياومة:** هذا السجل أو الدفتر يوجد في كل الدواوين، ويثبت فيه المباشر المختص كل ما يرد إلى الديوان مسلسلا حسب تاريخ الورود أو الصرف، فكان أول ما يحتاج إليه كل مباشر أن يضع له تعليقًا ليوميّته، يذكُر فيه تاريخ اليوم والشهر من السنة الهلالية، ويذكر فيه جميع ما يتجدّد ويقع في ذلك اليوم في ديوانه: من محضر ومستخرج ومجرى ومبتاع ومباع ومبيع ومصروف، وما يتجدّد من زيادات في الأجر والضمانات، وغير ذلك، بحيث لا يخلّ بشيء مما وقع له في مباشرته قلّ أو جلّ؛ وهذا التعليق هو أصل المباشرة، فمن ضبط اليوم انضبط ما بعده. النويري: نهاية الأرب،ج٨، ص٢٧٣؛ محمود المرسي لاشين: التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧م، ص٢٤٠-٢٤١). وعن صورة ما يُكتب في المياومة(الموايمة) انظر: الأسيوطي (شمس الدِّين محمد بن أحمد بن علي المنهاجي الشافعي، المتوفَّى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م): جواهر العقود ومُعِين القضاة والموقعين والشهود، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص٣٩٣.

المستأجر عليها، فإن وضعت زيادة ثانية على المستأجر اختار قبولها على نفسه أو رفضها، وعند انتهاء مدة المستأجر وأراد الخروج من تلك الجهة، فإن كان دفع كل ما عليه من الأجرة لا يلزمه المباشر بالاستمرار بها، وإذا كانت عليه أموال باقية ألزمه باستئناف عقد جديد نظير العقد الأول، وكل ما يستخرجه المباشر من المستأجر أورده في تعليق اليومية، وبعد انقضاء السنة يقوم المباشر بعمل محاسبة كلِّ جهة بما استخرجه من مستأجرها، فإن كان المَستخرج (المتحصل) والمُجرَى نظير مبلغ الأجرة فقد تغَلَقت، أي تم دفع وتسديد ما على هذه الجهة من الأجرة عن تلك السنة، وإن زاد المستخرج على الأجرة المقررة، أورده المباشر في حسابه مضافًا ويسميّه: **زائد مستخرج**، وأدخله في السنة المستقبلة(القادمة)[١].

وكانت الرِّباع[٢] السُّلْطانية، إحدى أقسام الأموال الهلالية، وهي عبارة عن مساكن مشتركة ضخمة، تؤجر لعدد كبير من العائلات الفقيرة بأجور شهرية زهيدة في

---

(١) النويري: نهاية الأرَب،ج٨، ص٢٣٠، ٢٣٢؛ البيومي الشربيني: النظم المالية، ص٧٥.

(٢) كانت في هذه الرباع أحوش حولها حوانيت ومخازن، ويعلوها طِباق ذات مدخل مستقل أحيانًا، وقد عُرف هذا النوع من المساكن المشتركة الضخمة في الفُسْطَاط ابتداءً من القرن الرابع الهجري، فقد أشار الرحالة ناصر خِسْرُو أن للسُّلْطان(الخليفة) في القاهرة ومصر(الفُسْطَاط) ثمانية آلاف بيت يؤجرها ويُحصِّل أجْرتها كل شهر، وقد أطلقت السجلات الرسمية على هذه البيوت التي كان يؤجرها الخليفة « الرِّباع السُّلْطانية»، ويوجد منشور أصدره الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله في رمضان سنة ٥١٧هـ/نوفمبر ١١٢٣م، بمُسامحة كافة سكان الرِّباع السُّلْطانية بالقاهرة ومصر من الآدر والحمامات والحوانيت والمعاصر والأفران والطواحين والعِرص وغيرها بأجرة شهر رمضان من كل سنة لاستقبال رمضان سنة ٥١٧هـ وما بعدها. ناصر خِسْرُو علوي(قام برحلته بين سنتي ٤٢٧–٤٤٢هـ/١٠٤٥–١٠٥٢م): سَفر نَامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٠٤؛ ابن المأمون (الأمير جمال الدِّين أبو علي موسى، المتوفَّى سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م): السيرة المأمونية أو أخبار مصر(٥٠١–٥١٩هـ)، أعاد بناءها وقدّم لها أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص١١١؛ المَقْريزي: اتعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٦م، ج٣، ص١٢٣–١٢٥، وهامش١.

الطِباق[١] المتجاورة أو التي تعلو بعضها[٢]، وكانت«**سنتها هلالية وابتداؤها من استقبال إسكانها واستخراجها مشاهرة والحول الذي ينظم به حساب عملها الجامع من المحرّم إلى آخر ذي الحجة**»[٣].

وقد ذكر المَقْريزي[٤] أن الأحباس[٥] قديمًا لم تكن تُعرف إلاّ في الرِباع وما يجري مجراها من المباني، فقد أُوقفت بعض هذه الرِباع في العصر الأيوبي على سور القاهرة، والخانقاه، والبيمارستان الصلاحي، وغير ذلك[٦]، وقد أمر السُلْطان صلاح الدِين الأيوبي في سنة ٥٧٧هـ/١٢٨٢م بفتح البيمارستان الصلاحي في القصر الفاطمي الكبير للمرضى والضعفاء، وأفرد برسمه من أجرة الرِباع الديوانية(السُلْطانية)

---

(١) **الطباق:** جمع طبقة، وحدة سكنية مستقلة، وتتكون من حجرة أو خزانة معدة للنوم أو حجرتين أحيانًا بهما طاقات تطل على الطريق، وقد يعلو إحدى الحجرتين خزانة، وبالطبقة عادة ودهليز به بيت أزيار ومرحاض، وقد تكون الطبقة أكبر من ذلك فتحوي إيوانين ودور قاعة، أو طبقة كبرى حاوية لطبقتين متداخلتين، وكانت طباق الرِباع مستقلة عن التي تجاورها، وهي عبارة عن حجرة أو حجرتين مستقلتين، بينهما دور قاعة بهما طاقات للتهوية. عبد اللطيف إبراهيم علي: دراسات تاريخية وأثرية في وثائق الغوري، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية– كلية الآداب–جامعة القاهرة،، ١٩٥٦م، التصحيحات والتحقيقات العلمية على الوثيقة رقم ٨٨٣، مج٢، ص١٥ تحقيق ١٤٣؛ محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية، ص٧٥.

(٢) عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية، التصحيحات والتحقيقات العلمية على الوثيقة رقم ٨٨٣، مج٢، ص٢٤ تحقيق رقم ٢٤٠.

(٣) المَخْزُومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٣٤.

(٤) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مؤسسة الفُرقان للتُراث الإسلامي، لندن،٢٠١٣م، مج٤/١، ص١٧٣.

(٥) كانت الأحباس مقسمة على ثلاثة أقسام: الرِزق التابعة لديوان الأحْباس، وهي الأراضي التي يُعطيها الخلفاء والسلاطين بمقتضى حجج شرعية لبعض الناس، والأوقاف الخيرية «الحُكْميَّة»، ثم الأوقاف الأهلية. المقريزي: المَواعظ والاعتِبَار، مج٤/ج١، ص١٧٥–١٧٧؛ محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص٧٢–٧٣، ١٠٨.

(٦) ابن مَمَّاتي: قوانين الدواوين، ص٣٤١.

مائتي دينار كل شهر، بالإضافة إلى غلال بلاد الفيوم[١]، وهو ما يشير إلى أن عائدات إيجارات هذه الرِّباع قد خُصص جزءٌ منها للصرف على المؤسسات الدينية والتعلمية والخدمية، فضلاً عن الإنفاق على الفقراء ووجوه البر والخير، وإلى جانب الرِّباع السُّلطانية الخاصة بالدولة كانت هُناك رِّباع خاصة امتلكها بعض الأمراء ورجال الدولة، وكبار التُّجار [٢]، وبطبيعة الحال امتلك اليهود بعض الرِّباع السكنية في مدينة الفُسْطَاط التي أوقفت على مصالحهم.

أما عن كيفية حساب الأموال المستخرجة من معاملة الرِّباع الديوانية(السُّلْطانية)، فكانت على النحو الآتي:

١- **جريدة الاستقرار:** عبارة عن دفتر أو قائمة يرفعها متولي الربع بأجرة المسكون من العقارات والخالي منها وتفصيلها، حيث يكتب في أولها:« **جريدة رفعها فلان بن فلان متولّي الربع الفلاني بمصر بما استقرّت عليه أجرة المسكون وعبرة الخال إلى آخر ذي الحجّة من السنة الفلانية_على ما يأتي بيانه وتفصيله، فيذكر الصقع ويأتي ما فيه إلى آخره فيقول: الدار الفلانية واسم الوكيل الذي يتولّى فيه الإسكان والخلوة والجباية ويعيّن جملة الأجرة المسكون منها وعبرة الخال، ويفصّل منزلا منزلا، ويذكر ما فيها من قاعات وطباق، ويذكر حلية كل منزل منها وما فيه من أخشاب وسلاح [هكذا] كالأبواب التي يُخشى ذهابها وما يجري مجراها دون السقوف التي يوثق باستقرارها وما يجري مجرى ذلك مفصلاً كلّ موضع منها بعبرته[٣] واسم ساكنه واستقبال إجارته، وهذا ممّا لم أر أحدًا يعتمده وربما وقع**

---

(١) المَقْريزي نقلاً عن القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧هـ: المواعظ والاعتبار، مج٢، ص٣٥٠.

(٢) ابن دقماق: الانتصار، ج١، ص١٠٣، ١٣٨، ١٤٥، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٣٨.

(٣) العبرة: كانت تُقدر قيمة الإقطاعات بالعبرة، التي كانت تُقدر على أساس متوسط ما يدره الإقطاع من عائد سنوي، من خلال حساب أعلى عائد للإقطاع في أنجب سنة، وأدناه في أسوأ سنة والقسمة على اثنين، وكان الدينار الجَيشي يشكل وحدة قياس العبرة، وكان مسمَّى لا=

الخلل من هذا الوجه ... لأن المعهود في جرائد الاستقرار أن لا يعرج فيها على ذكر مدة إجارة... ويقول في آخرها: فجميع ما اشتملت عليه هذه الجريدة كذا وكذا ويعيّن مبلغها ويفصّلها بأجرة المسكون وعبرة الخال ويكتب خطّه آخرها بأن ذلك نظمه ورفعه، وأن عليه الخروج منه والمحاققة عليه فيتسلّمها من استجدت خدمته ويقيم عليها جريدة يبسط فيها الأصقاع ويستوفي في ذكر ما في جريدة الاستقرار من الأسماء والأجر ومهما تجدّد له من زيادة وإسكان خالٍ ذكره في موضعه من جريدته...»(١).

٢- **المخازيم(٢) اليومية والختمات الشهرية**: وهي حساب يرفعه العامل لديوانه يكون مخازيم يومية وختمات(٣) شهرية، وذلك على النحو الآتي: **«فأما صورة الحساب الذي**

=حقيقة، استخدمه أهل ديوان الجيش كأداة لحساب عبرة الإقطاعات والمفاضلة بينها، وفي الفترة الأخيرة من العصر المملوكي، لم تعد العبرة تعبر بشكل دقيق عن العائد الحقيقي للإقطاع. القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٣، ص ٤٤٢؛ محمد فتحي الزامل: التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٥٧.

(١) المخزومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٤.

(٢) **المخازيم**: جمع **مخزومة**، وهي نوع من الدفاتر والأوراق الحسابية يُخرق. النُّوَيْري: نهاية الأرَب، ج٨، ص٢٦٠ هامش٢؛ الخفاجي (شهاب الدِّين أحمد بن محمد، المتوفَّى سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٢م، ص١١٣.

(٣) **الختمات**: جمع **ختمة**، وهي كتاب يرفعه العامل في كل شهر لديوانه بالمستخرج (المتحصل أو الإيراد)، وهو ما يصل إليه من أبواب المال، والجمل والنفقات والحاصل، كأنه يختم الشهر به، أما الختمة الجامعة: تعمل كل سنة على نفس طريقة الختمة الشهرية. الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، المتوفَّى سنة ٣٨٧هـ/٩٧٧م): مفَاتيح العُلوم، حققه وقَدَّم له إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٩م، ص٨١.

يرفعه العامل للديوان فإنه إن كان عاملا وجهبذًا[١] رفع مخازيم المستخرج مياومة وختمات مشاهرة...أن يبتدئ في المخزومة أو الختمة بذكر الصقع ثم بالأسماء والمساكن، لأن من كتاب الدواوين الذين يستوفون على الرباع من يُقيم جريدة إذا يخدمها فيحتاج إلى إيضاح ذلك في المخزومة ليسهل عليه خدمة الجريدة المذكورة. ويستحب أن يسترفع من العامل تعريف في كل يوم بما يسكن من الخال وما يبذل في المسكون ويعيّن في السكن الزيادة ومدة الإجارة، وإن قرن ذلك بنسخ الأجائر ليخلد في الديوان فحسن»[٢].

٢- **التعريف**: يرفع العامل ورقة تعريف في كل يوم بما يسكن من الخال وما يبذل في المسكون ويعيّن في السكن الزيادة ومدة الإجارة[٣].

٤- **عمل الزائد والناقص**: عند انتهاء الشهر يرفع العامل عملاً أطلق عليه: عمل الزائد والناقص، يقول فيه: **«مبلغ ما اشتمل عليه أجرة المسكون من الربع الفلاني لذي الحجة سنة كذا ويعيّن المبلغ الذي تضمّنت الجريدة وروده مسكونًا ثم يقول وأضيف إلى ذلك ما سكن من الخال وبذل من الزيادة في المحرم سنة كذا لمدّة التي يأتي تفصيلها، ويُعيّن مبلغه ثم يقول تفصيل ذلك الموضع الفلاني الجاري في الخال المستجدّ إسكانه لاستقبال النصف من محرم بمقتضى ما أخذت به الإجارة على فلان بن فلان لمدة سنة كاملة أولها وآخرها، ويعين مبلغ تاريخ ابتدائها، وتقضيها حسابًا في الشهر كذا، والنصف من الشهر المذكور كذا وكذا ما بذل من الزيادة في الحانوت المعروف بسكن فلان بن فلان المستأجر لمدة ستة أشهر أوّلها محرم من جملة سبعين درهمًا بعد ما ورد في الارتفاع عن العبرة وهو خمسون درهمًا عشرين درهمًا، ويستوفي هذا المعنى في كل موضع ثم يقول فذلك فيعقد جملة الأصل المضاف إليه ويقول وضع من ذلك عن أخلى سلخ ذي الحجة ويعيّن مبلغه**

---

(١) **الجَهْبَذ**: كاتب استخراج المال وقبضه، ويقوم بكتابة الإيصالات، وعمل المخازيم والرزنمجات والختمات. ابن مَمَّاتي: قوانين الدواوين، ص٣٠٤.

(٢) المخزومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٤.

(٣) المخزومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٤.

وتفصيله ويقول: استقرت الجملة ويعيّن مبلغه، وإذا انقضى المحرّم وعمل الزائد والناقص لصفر أورد في أوله ما استقرت عليه الجملة في المحرّم وأورد في باب المضاف تتمة أجرة ما سكن في بعض أيام المحرم؛ لأنه قد استكمل سكن صفر بكماله فاحتيج إلى إضافة تتمة المدة؛ لأنه قد تقدم القول بأن بعض المواضع سكن لاستقبال النصف منه، فإذا أوردت في أصول ارتفاع صفر مبلغ ما اشتملت عليه الأجرة في المحرم وجب أن يقال في باب المضاف تتمة أجرة الفلاني المسكون باسم فلان بن فلان الوارد منه في أصول الارتفاع الذي استقرت عليه جملة المحرم النصف منه، وهو من جملة الارتفاع لمحرم وهو خمسون درهمًا»[١].

٥- **العمل الجامع الشهري**: عند انقضاء الشهر عمل المتوليّ عملا جامعًا «**بارتفاع المسكون لذلك الشهر وأضاف إليه الحاصل إن كان قد انساق قبله حاصلا وباقيًا وأتى بالفذلكة**[٢] **واستخرج منه وصرف إن كان فيه تصريف وأنفق ما يجب إنفاقه وعيّن جهاته وساقه إلى الحاصل والباقي، وفصّل الباقي بأسماء أربابه**»[٣].

٦- **العمل الجامع السنوي**: وفي آخر السنة ينظم على ذلك عملاً جامعًا على الطريقة نفسها التي عمل بها العمل الجامع الشهري[٤].

---

(١) المخزومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٤-٤٥.

(٢) **الفذلكة**: والجمع فذالك، والمقصود بها جملة الحساب، وهو تعبير كان يستخدم في الدواوين ليعني جمع أشياء ذات علاقة على بعضها، وهو مشتق من كلمة: «فذلك» أي مجموع ذلك، أو حاصل الحساب (جملة الأصل والمضاف). ويُقال: فذلك الحاسب حسابه، إذا أنهاه وفرغ منه، وهو إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته. النُّوَيْري: نهاية الأرَب، ج٨، ص٢١٨ هامش١؛ الخفاجي: شفاء الغليل، ص٢٠٥؛ محمود المرسي لاشين: «دراسة تحليلية للنظام المحاسبي في الدواوين في عصر الخلافة العباسية بمصر (٦٥٩هـ-٩٢٣هـ/١٢٦٠-١٥١٦م) الأراضي الزراعية وما يفرض عليها»، مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى- العدد الثاني، ١٩٨٩م، ص ٢٥٥ هامش٢؛ البيومي الشربيني: النظم المالية، ص٨١، ١٠٩ هامش ٢٢٥.

(٣) المخزومي: المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٥.

(٤) المنتقى من كتاب المنهَاج، ص٤٥.

وقد أورد القَلْقَشَنْدي نسخة سجل بحماية الرِّباع السُّلْطانية لمن يتولى حمايتها بالقاهرة المعزية في العصر الفاطمي والمهام المنوطة به، ومما جاء فيه: «**واكشف أحوال هذه الرباع كشفًا يُعرف به حالها، ويُعلم منه استقامتها واختلالها، وانتصب لاستخراج مالها من السكان... أن تتعهد بالطواف فيها، وأن تحافظ على حراسة غيرها، وتناول أجرها، ورمِّ ما لعله يسترم منها ويتشعث...وحمل مال ارتفاعها إلى بيت المال المعمور بعد ما يُصرف في مصالحها...**»[(١)]، وبطبيعة الحال استمر تطبيق هذه المهام في بعض فترات العصر الأيوبي.

وفي ضوء ما سبق، يتبيَّن الخطوات التي كان يقوم بها متولي الربع في عملية حساب الأموال المستخرجة من معاملة الرِّباع، وأنها كانت تجرى وفق ضوابط محددة من حيث طريقة إحصائها وتسجيلها واستخراجها، والمهام المنوطة به.

ثانيًا: إيجارات أوقاف اليهود السكنية في مدينة الفُسْطَاط:

كان **القودش** «Qōdesh» أو **الهقديش** «Heqdēsh»، أكثر التسميات شيوعًا في وثائق الجنيزة، وهو وليد العادة اليهودية القديمة في تقديم الهدايا للكنيس أو الفقراء، ويماثل **الهقديش** نظام الوقف الإسلامي، وكان يسمى في وثائق الجنيزة في بعض الأحيان بمصطلح الوقف أو الحبس، وقد عرف اليهود الوقف العام «الخيري»، أمّا الوقف الأهلي «الذُّري» الشائع عند المسلمين فلا يوجد له مثيل عندهم، حيث كان هناك غياب تام لأي شكل حقيقي من أشكال الوقف الأهلي، وكان الوقف يُمنح بشكل رسمي للمحكمة القضائية اليهودية، وهي تستأثر بإدارته وحدها، وغالبًا ماُ يكرّس عائده

---

(١) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج١٠، ص٤٤٩–٤٥٠. وقد أشارت وثيقة إيجار فاطمية من وثائق الجنيزة إلى وظيفة «مشارف الرِّباع الجارية بديوان الجوامع والمساجد».

وثيقة رقم29 T–S Misc مؤرخة في صفر سنة ٥٠٩هـ/ يوليو١١١٥م، سطر١١، من نشر:
Geoffrey Khan :Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge University Press, 1993, pp.153-154.

للصرف على الفقراء والمحتاجين، وصيانة المعابد والعقارات الموقوفة وترميمها، ودفع الضرائب الحكومية[١]، وكان التصرف في أوقاف اليهود في مصر يتم وفقًا للشروط التي حددها الفقه الإسلامي، ومن هذه الشروط أن تكون موقوفة للأغراض الخيرية والدينية، ومصالح الطائفة اليهودية، وفقًا لتعاليم التلمود بالنسبة للرَّبانين، ووفقًا لفقهاء القرائين والسَّامرة[٢].

وقد أسندت إدارة إيجارات أوقاف اليهود السكنية من الرِّباع والدور[٣] والبيوت التي تملكوها إلى «**البَرناسيم**» أو«**البَرناس– الفرناس**»، الذي تولى الإشراف على الأملاك اليهودية العامة ورعايتها، والخدمات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن عمله كان تطوعيًا، إلا أنه بمرور الوقت تقاضى عليه أجرًا، فقد دفعت الأجور للبرناسين

---

(١) كان مصطلح «الحبس» الأكثر شيوعًا في المغرب الإسلامي، في حين كان «الوقف» منتشرًا في الشرق، ويبدو أن يهود الفُسْطَاط كانوا يفضلون مصطلح الحبس.
Shelomo Dov Goitein: A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. 2, The Community, University of California Press,1971.pp. 36,53; Moshe Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza, edited with translations, annotations and general introduction, Leiden Brill, 1976,pp.3-4. ومارك كوهن: المجتمع اليهودي، ص٤٦-٤٧، ٥١.

(٢) قاسم عبده: اليهود في مصر، ص٤٩.

(٣) **الـدور: والآدر والأَدْوُر، جمـع دار** وهـي المَحَلُّ يجمـع البنـاء، وتُطلـق علـى مبـاني مختلفـة الأغراض، وفي الغالب كان استخدامها على مباني السكنى، وقد وردت أحيانًا بمهنة حظيرة الدواب، أو بمعنى الموضع. المقريزي: المواعظ والاعتبار، مج٣، ص١٦٩؛ محمد محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٤٥.

مقابل عملهم، وهو جباية المبالغ المستحقة عن إيجار العقارات، مع قيامهم بخصم عُشر الإيرادات لأنفسهم(١).

كما تجدر الإشارة إلى أن وظيفة جباية إيجارات أوقاف اليهود السكنية لم تكن قاصرة على البَرناس، حيث أسندت إدارة الأوقاف أمر جباية الأموال لأحد النصارى، على نحو ما نصّت عليه قائمة حساب إيجارات عن عشرة أشهر آخرها في المحرم سنة ٦١٦هـ/ مارس ١٢١٩م، وذلك بما نصّه **«النصراني الجابي»**(٢)، وهو ما يمكن تفسيره بأن إدارة الوقف رأت في بعض النصارى الكفاءة والخبرة والمهارة في القيام بجباية الإيجارات.

وإذا كانت القواعد الفقهية العامة في تأجير الأوقاف أن الإجارة لا تصح في المُسقفات من المساكن والحوانيت ونحوها أكثر من سنة، إلا إذا كانت مصلحة الوقف تقتضي تأجير الوقف أكثر من ذلك، على أن يكون الإيجار في هذه الحالة بإذن القاضي، أو طبقًا لشروط الوقف، فقد وردت في وثائق الوقف الإسلامي شروطًا مختلفة خاصة بالإيجار، وفقًا للحالة الاقتصادية(٣).

أما قواعد إيجار أوقاف اليهود السكنية، فقد اتفقت مع القواعد الفقهية الإسلامية في وجوب دفع الأجرة شهرًا بشهر، كما ينبغي أن نشير إلى أن القائمين على الأوقاف اليهودية أداروها على النحو الذي يحافظ عليها، ويحقق عائدًا ماليًّا مناسبًا من ريعها،

---

(١) كانت وظيفة «البرناسيم» Parnāsīm أو«البرناس» Parnās من الوظائف الشائعة التي ورد ذكرها بشكل متكرر في وثائق الجنيزة، وقد عرفها العرب باسمها المُعرب وهو «فرناس» Firnās. للمزيد انظر:

Goitein: A Mediterranean Society, Vol. 2, p.77.

وقاسم عبده: اليهود في مصر، ص٤٥؛ مارك كوهن: المجتمع اليهودي، ص٥١.

(٢) وثيقة رقم T-S Arabic Box 54, f. 61v سطر ٧، من نشر:

Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations, pp.422-423.

(٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٨٠.

مع ضمان بقائها، وذلك عن طريق وضع ما يشبه اللائحة التي تضم بعض الشروط المفروضة على المستأجرين، وهو ما أشارت إليه إحدى وثائق الجنيزة[١]، وذلك بما نصّه:

١- يعتذر عن وزنه[٢] الأجرة في كل
٢- شهر بحالة من الأحوال. فان كما
٣- يُكدي ويتصدق ما يأكله، يتصدق
٤- ما يزنه أجرة. ثم قاطعنا
٥- باسم من يسكن في دار أو طبقة
٦- بغير القيمة التي يقولها ثلاثة
٧- يهود، في وقت أنْ عصى عن وزن
٨- ما يأمروه به المقوّمين كان تحت
٩- المقاطعة ثم قطعنا باسم
١٠- من يطلب منه كَتْب إيجاره باسم
١١- الوقف يتأبّى ويخاسر عن فعل
١٢- ذلك ثم قاطعنا باسم
١٣- يتناهى أو يتشفع بأحد
١٤- من الجُوييم (أي المسلمين) في سكن بالوقف أو
١٥- في نقص الأجرة عنه عما يُقوِّم

---

(١) أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ جهلان إسماعيل مدير عام البحث العلمي بالإدارة المركزية للآثار اليهودية سابقاً، والباحث في الجنيزة القاهرية على ترجمة وثائق الجنيزة المكتوبة بالعبرية؛ وذلك لفهم محتواها والإفادة منها في هذه الدراسة، على الرغم من ترجمة البروفيسور موشيه(موسى) جيل لها من العبرية إلى الإنجليزية، إلا أن معظم هذه الوثائق كتبت فيما يُسمى« العربية- اليهودية»، أي العربية والعامية المصرية بأحرف عبرية، باستثناء بعض التعابير اليهودية والمصطلحات الفنية العبرية، وهو ما صاحب الترجمة الإنجليزية من قصور في المعنى.

(٢) أي دفع الأجرة.

١٦- عليه وكل من يتعدى على هذه

١٧- المقاطعة يكون هو المسكين قد

١٨- خاطر بنفسه وبماله لأن هذه

١٩- المقاطعة ما تهوَّن أحد بها وكان[١]

ونستخلص من النّص السابق أن هناك خمسة شروط فُرضت على المستأجرين كان عليهم الالتزام بها وهي:

١-لا يتم قبول عذر عدم وزن(دفع) الأجرة في موعد الإيجار الشهري، فكما تتوسل للحصول على طعامك، عليك أن تستجدي الإيجار.

٢-تتم مقاطعة المستأجرين في الدور والطباق غير الملتزمين بالسعر الذي يحدده ثلاثة خبراء يهود، ومن يمتنعون عن دفع القيمة المحددة.

٣-يلتزم المستأجرون بإظهار عقود الإيجار الخاصة بهم مع إدارة الوقف، كلما طلب ذلك منهم.

٤-لا يسمح لأحد من المستأجرين استخدام تأثير معارفه من المسلمين من أجل الحصول على سكن في الوقف أو في تخفيض الأجرة المقررة من لجنة الخبراء.

٥-في حالة عدم امتثال المستأجر للنظام الأساسي، يتم تهديده ليس بالإخلاء بل بالحرمان، مما سيجلب الضرر الذي يلحق به وبممتلكاته.

وفي بعض الأحيان كانت إدارة الأوقاف اليهودية (الهقديش) تلجأ إلى أخذ الأجرة مقدمًا؛ وذلك لحاجتها لبعض الأموال التي تساعدها في عمليات الصيانة، فتشير إحدى وثائق الجنيزة إلى قيام متولي ربع اليهود بالفُسْطَاط بعقد ثلاثة عقود متتالية مع الشيخ أبو المكارم اللاوي التاجر العطار، نص العقد الأول على أن يدفع أجرة سكنه مقدمًا في الطبقة التي يؤجرها في دار البرج بالربع في منطقة قصر الشمع

---

(١) وثيقة رقم T-S 13 J 21, f. 31 V وجه الوثيقة سطر ١-١٩ من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.411-412.

الملاصق لكنيسة العراقيين؛ وذلك للقيام بصيانتها وإجراء الإصلاحات بها وقد دفع بمقتضى ذلك مبلغ ٦ ٣/٤ دنانير عن أجرة سنتين قمرية كاملتين متتاليتين، أولها مستهل صفر سنة ٥٧٦هـ/٢٦يونيو ١١٨٠م، وآخرها آخر المحرم سنة ٥٧٨هـ/٤مايو ١١٨٢م، كما أتاح له متولي الربع تصنيع ماء الورد الذي يتاجر فيه، كما تم إجراء العقد الثاني وهو مفقود، لكنه غطى بالتأكيد الفترة من أول صفر سنة ٥٧٨هـ/يونيو ١١٨٢م إلى آخر المحرم/مايو ١١٨٣م، أما العقد الثالث، فقد امتد من أول صفر ٥٧٩هـ/مايو ١١٨٣م إلى آخر المحرم سنة ٥٨٠هـ/ مايو ١١٨٤م[١].

كما اشترطت إدارة الأوقاف اليهودية على بعض المستأجرين من أرباب الحرف والصناعات عدم استخدام السكن المؤجر لهم في أي شيء يتعلق بمهنتهم، خاصة من يستخدم العقاقير والمواد التي تعتمد على النار، وهو ما يمكن أن يتسبب في خسائر بشرية ومادية، وذلك على نحو ما نصّ عليه عقد إيجار قاعة وقف الفقراء اليهود لمدة سنتين بداية من ذي القعدة سنة ٥٩٠هـ/ أكتوبر ١١٩٤م، مقابل ١٦٠ درهمًا للشيخ أبو السرور، الذي اشتُرط عليه «**أنه لا يعمل في القاعة[٢] المذكورة طول مدة إيجارته لها مُقَطِّر ماء ورد ولا زرنيخ[٣] ولا غير ذلك من سائر الصنايع التي يُحتاج**

(١) وثيقة رقم (AlO2) T-S 12.487 وجه الوثيقة سطر ٢-١٩ ، ظهر الوثيقة سطر ٢-٨ من نشر: Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,p.313.

(٢) **القاعة:** جمع قاعات، ساحة الدار، والمكان الفسيح يتسع لجمع عظيم من الناس، ولاستقبال الزوار، وكانوا قديمًا يسمون ساحة الدار أو سفل الدار قاعة الدار، ولكن في العمارة في العصر المملوكي تعرف القاعة بأنها وحدة داخل الدار إما بالدور الأرضي أو بالأدوار العلوية، وتُستخدم في الغالب للاستقبال، أما إذا كانت قاعة في المباني التجارية أو المعامل، فإنها تستخدم لوضع الأنوال في صناعة النسيج أو غير ذلك. محمد محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية، ص٩٠؛ عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٢٠.

(٣) **الزرنيخ:** والجمع **زرانيخ**، وهومن أنواع العقاقير، التي تثبت على النار، ومنه عدة أنواع منها: الأحمر والأصفر والأخضر، والاخضرار أرداها، وأجودها الصفائحي. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٢٨١.

إلى عملها إلى وقيد نار إذ على هذه أجرناه القاعة المذكورة الجارية يومئذ في ملك فقراء مصر»، ويفهم من ذلك أنه كان تاجرًا في العطور وصناعتها، وكانت إدارة الأوقاف تتخوف من أن ينتج عن استخدامه هذه العقاقير حرائق داخل مسكنه(١).

وهناك بعض الحالات التي يقوم فيها المتبرع بوقف ما يمتلكه من مسكن، ويسكن بالإيجار في الجزء الذي وقفه، وذلك على نحو ما ورد في وثيقة حساب عن خمسة أشهر من جُمادى الأولى إلى آخر رمضان سنة ٥٨٢هـ/ يوليو–ديسمبر ١١٨٦م، جاء فيها:

١– ثَبْت حساب رُبْع الدار التي بتجيب، التي أوقفتها نظر، ابنة
٢– عبد الله زوجة أبو الحسن الصباغ، أول مدة خمسة شهور، أولها
٣– مستهل جمادى الأول سنة اثنين وثمانين وخمسماية وآخرها سلخ رمضان
٤– القاعة ١٠ . الطباق ٣ ونصف وربع . وقُبض من نظر ١٠ ونصف
٥– الجملة ٢٤ وربع(٢)

ويتضح من ذلك أن الواقفة نظر ابنة عبد الله اليهودية كانت تسكن بالإيجار في الجزء الذي تبرعت به في هذه الدار، حيث لم تعد تملكه، وأصبح وقفًا خيريًّا تديره إدارة الأوقاف اليهودية.

وهُناك بعض الحالات التي ظهر فيها حدوث عمليات إيجار من الباطن، على نحو ما نصّت عليه الوثيقة المؤرخة في شهر جُمادى الأولى سنة ٥٧٦هـ/٩ أكتوبر ١١٨٠م، حيث قام الشيخ أبو الفضل بن هارون اللاوي البَرناس باستئجار طبقة بدار الزَجَّاج بدرب السلسلة(٣) من الشيخ أبو البيان بن اليعازر اللاوي الجابي بخمسة

---

(١) وثيقة رقم T-S 10 J 28, f. 13 (أ) سطر ١–١٤، نشر الوثيقة من العبرية إلى الإنجليزية:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.372–375.

(٢) وثيقة رقم Bodl. MS Heb. f 56, f. 48 من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.368–369.

(٣) **درب السِّلسلة:** يقع على يمين الداخل من درب المقادسة إلى سويقة اليهود، وهو قبالة حانوت جزارة اليهود، وكان يسكن به جماعة من كبار الأقباط. ابن دقماق: الانتصار، ج١، ٧٠.

دراهم في كل شهر، لمدة ستة أشهر كاملة متوالية، وهذه الطبقة يستأجرها في هذا الوقت مكارم بن سهلان(١)، وهو ما يمثل إيجارًا من الباطن بعلم إدارة الوقف ومشاركتها. كما أشارت وثائق جنيزة القاهرة إلى أن إيجارات الدُّور والبيوت السكنية لم تقتصر على اليهود أنفسهم، بل شملت مستأجرين من المسلمين والنصارى، فقد وردت أسماء بعض المستأجرين المسلمين(٢)، إلى جانب المستأجرين النصارى(٣).

وتشتمل وثائق الجنيزة على مجموعة كبيرة من القوائم الحسابية الجبائية، الخاصة برصد دقيق لإيرادات إيجارات العقارات السكنية التابعة لأوقاف اليهود ونفقاتها سواءً كانت عن شهر أو شهرين أو أكثر، وقد تولى جباية كثير منها أبو البيان بن اليعازر اللاوي الحلبي البَرناس، وهي على قدر كبير من الأهمية، حيث تكشف لنا عن أسماء الدور السكنية التي قطنها اليهود وأماكنها في مدينة الفُسْطَاط وقيمة الإيجار ومدته.

وكثيرًا ما كانت تبدأ هذه القوائم بعبارة: «**تصقيع الربع**»(٤)، وقد أورد الأسيوطي صورة كتابة تصقيع عند تولي جابي جديد وفيها: «**أَنه يكْتب في رأس الورقة بعد كسرهَا: عمل مبارك يشْتَمل على تصقيع الوقف الفلاني، الجاري تحت نظر فلان الفلاني لشهر كذا، أو لسنة كذا، مِمَّا حرر ذلك عند اسْتِقْرَار فلان**

---

(١) وثيقة رقم ULC Or 1080 J 10 سطر ١–٥ ، من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,p.313.

(٢) وثيقة رقم T–S Box J 2, f. 63a–b سطر ٣–٤، ٨؛ وثيقة رقم T–S Box K 15, f. 13b–c سطر ١١–١٢، وثيقة ١٠١(أ)سطر ٢٧، ٣١(ج) سطر ١٩، وثيقة ١٠٢ (ب) سطر ٩.
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.345–346, 358,382–383,387.

(٣) وثيقة رقم T–S Box J 1, f. 47 سطر ٥ من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,p.439.

(٤) **التصقيع**: عملية إحصاء البيوت والعقارات، لأجل فرض ضريبة عليها. المقريزي: السُّلُوك، ج١ق٢، ص٣٨٤ وهامش٢، ٤٢٠، ٥٠٠.

الفلاني في جباية الوقف المذكور، وتسليمه إياه فِي تاريخ كذا وكذا، ثم يكْتب تحت هذا الصَّدْر في رأس الهامش الأيسر مبلغ كَذَا وَكَذَا، ثمَّ يفصل الأخطاط بحوانيتها، وطباقها، كل خطّ على حدته بجملته وتفصيله، كَمَا فعل أَولا. وإن كان في الوقف باقِيا: فَيشْهد بِشُهُود التصقيع على من عِنْده ذَلِك. مِثَاله: إذا كتب في التصقيع: حانوت فلان في الشهر كذا يكْتب مُقَابِله فِي الهامش: والباقي عليه كذا، ثمَّ يكْتب آخر التصقيع: جملة الْبَاقِي عند أربابه كذا مِمَّا تجمد ذلك على السكان المذكورين فِيهِ من أُجْرَة سكنهم بِالْوَقْفِ الْمَذْكُور إِلَى آخر كَذَا. وَيشْهد على الجابي بتسليم الْوَقْف بِالْبَاقِي وأن عليه استخراجه، وَالْخُرُوج مِنْهُ على الْوَجْه الشَّرْعِيّ»[1].

وقد ذكرت بعض القوائم الحسابية أن جملة الإيرادات المستخرجة من هذه الإيجارات كانت تُغطي النفقات، وتحقق فائضًا تدخره إدارة الأوقاف في رصيدها عند الحاجة إليه ويُسمى بـ«**الحساب السابق**»، على نحو ما ورد في قائمة حساب إيجار ٢١ سكنًا ودارًا عن شهري ربيع الآخر وجُمادى الأولى سنة ٥٧٧هـ/أغسطس–سبتمبر ١١٨١م جباية الشيخ أبو البيان البرناس، كما هو موضح بالجدول الآتي :

اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم	اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم
دار الناجيد[2]	٣٢	سكن الرابي يعقوب	١٨
دار البرج	٧٨	دار الزيت	٣٩
دار الصباغ	٣٥	سكن ابن يونه	١٤
دار ست غزال	١٤	أسفل البرج	٦
دار الحيفي	١٠	الدار الملاصقة للكنيس	٦٠

(١) جواهر العقود، ج١، ص٢٩٢.

(٢) **الناجيد**: أو الناجد والناغيد، وهو اللقب العبري لزعيم الجماعة اليهودية المصرية، والمقصود رئيس اليهود، وكانت له الإشراف على أبناء الطوائف اليهودية الثلاث. انظر: مارك كوهين: المجتمع اليهودي، ص٣٦–٣٧؛ قاسم عبده: اليهود، ص٤٢–٤٣؛ زبيدة عطا: اليهود في العالم العربي، ج١، ص٢٩٨–٢٩٩.

نصف دار ابن هبة	٤٠	سكن بيان البرناس	٢٠
دار ابن بنحاس	٥٤	شركة[١] ابن سالم اللاوي	١٦
الفندق الصغير	٧٩	نصف دار الشريف	١٤
شركة ابن نتان	٣	دار عبلة	١٣
شركة ابن علم الدولة	١٣ ١/٢	شركة ابن المقانعية	١٣ ٣/٤
شركة ابن ثابت	٢٨		

ومن الجدول السابق وما تضمنته قائمة الحساب من معلومات يتضح أن جملة الإيرادات بلغت ١/٤ ٦٠٦ درهم بالإضافة إلى ٢٦ درهمًا من حساب سابق ليصبح جملة الإيرادات ١/٤ ٦٣٢ درهم، أنفق منها مبلغ ١/٤ ٣٩٥ درهم، وقد خُصصت لشراء زيت لمعبدي الشاميين والعراقيين، وأجرة حراسة لهما، ورواتب لبعض رجال الدين، ونفقات للأيتام، وإجراء بعض الإصلاحات، إضافة إلى مبلغ ٣/٤ ١٦ درهم في ثمن خشب، ونجار، ومُكاري، وبعض المستلزمات الأخرى، ليُصبح مجموع النفقات٤١٢ درهمًا، إلى جانب ٦٠درهمًا لأبي البيان البرناس أجرة جبايته لهذه الإيجارات؛ ليصل مجموع النفقات إلى ٤٧٢ درهمًا، ويصبح الفائض ١/٤١٣٤درهم إلى جانب ٢٦ درهمًا المتبقية من الحساب السابق[٢].

وتشتمل قائمة حساب أخرى على إيجارات ٢٢سكنًا ودارًا من المجموعة السابقة، تمثل إيرادات شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة ٥٧٧هـ/مارس–أبريل١١٨٢م، كما هو موضح بالجدول الآتي:

---

(١) **الشركة:** أي أن نصف الدار أو السكن يخضع لإدارة الوقف اليهودية(القودش). وعن الشركة انظر: الأسيوطي: جواهر العقود، ج١، ص١٨٥.

(٢) وثيقة رقم Bodl. MS Heb. f 56, f. 43a–c أسطر الوثيقة كاملة، من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,p.313.

اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم	اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم
دار الناجيد	٣٦	سكن ابن الحزان	١٨
البرج	٥٨	دار الصباغ	٣٨
سكن ابن يونه	١٤	دار ست غزال	١٤
دار الحيفي	١٠	جوار كنيسة الشاميين	٤٠
دار ابن هبة	٤٠	سكن بيان البرناس	٢٠
دار ابن بنحاس	٤٦	عُلو الفندق الصغير	٦٦
سفل الفندق الصغير	٢٩	شركة ابن نتان	٣
دار شركة الشريف	١٤	دار عبلة	٥
شركة ابن علم الدولة	١٤ ١/٢	دار ابن ثابت	٢٨ و ٩ ١/٢
أبو ماضي	٦	دار الزيت	٤
العدني	٣٠		

ويُلاحظ من القائمة السابقة، أن جملة إيرادات الدور والمساكن بلغت ٥٤٣ درهمًا، في حين كانت النفقات العادية ٣٨٥ ١/٤ درهم، والباقي ١٥٧ ١/٤، وكان لدى الجابي ٥٣٣ درهمًا عن تصقيع محرم وصفر سنة ٥٧٨هـ/مايو– يونيو١١٨٢م، بالإضافة إلى ٩٩ ١/٤ درهم باقية من شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة ٥٧٧هـ/مارس وأبريل ١١٨٢م، إلى جانب إيراد ٩ دراهم أخرى، فبلغ جملة ما لديه في أربعة أشهر ٦٤١ ١/٤درهم، انفق منها ٤٤٠ ٣/٤ درهم، إضافة إلى ٦٠ درهمًا أجرته عن جباية هذه الأموال، فكان الباقي لديه حتى آخر صفر ١٤٠ ١/٢ درهم (١)، وهو ما يمثل فائضًا من ريع الوقف.

(١) وثيقة رقم T-S Box J 2, f. 63c-d أسطر الوثيقة كاملة، من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.334-337.

وتُشير قائمة حساب أخرى عن شهري ذي القعدة وذي الحجة سنة ٥٧٧هـ/مارس– أبريل ١١٨٢م، إلى إيجارات ١٢ دارًا وسكنًا، تختلف أماكنها وأسماؤها عن المجموعة السابقة، كما هو موضح في الجدول الآتي:

اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم	اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم
دار الزجّاج القاعة والعلو	٧١+٧٩	دار ابن طيبان	٢٢
يوسف الجزار	١٨	الفقيه	١٠
الباب	٤ ١/٤	البنهاوي	٢٢
معالي	١٦	مُنَجّا	١٦
رضا	١٢	ابن الوجيه	١٤
سكن ابن المرجاني	٣٠	سكن الكاهن	٥٨

ويتبين من الجدول السابق، أن جملة الإيرادات قد بلغت ٣٥٢ ١/٢ درهم من ١٢ دارًا وسكنًا، وقد انفق منها مبلغ ٢٣٥ درهمًا على كنيس العراقيين[١]، كما توجد قائمة حساب إيجارات١١سكنًا ودارًا من المجموعة نفسها عن شهري ذي الحجة والمحرم سنة ٥٧٩هـ/مارس–أبريل ١١٨٣م، وذلك على النحو الآتي:

اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم	اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم
دار الزجّاج القاعة والعلو (في شهرذي الحجة)	١٥٦ ١/٢	سكن ابن المرجاني	٣٠
دار ابن طيبان	٢٢	دار الشيخ أبو نص	٤٤
ابن الوجيه	٧	أبو الرضا	٦
ابن جلاب	٨	ابن الرّقي	٨
البقال	٨	حميد	٥
الجزار	٨		

(١) وثيقة رقم T-S 8 J 11, f. 7d(أ) سطر ١-٧ ، (ب) سطر ١ من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.332-333.

ويتضح أن جملة الإيرادات بلغت ٣٥٢ ١/٢ درهم إضافة إلى ٥١ درهمًا باقي تصقيع قديم، فبلغ الإجمالي ٤٠٣ ١/٢ درهم، أخذ أبو البيان الجابي مبلغ ٣٥ درهمًا نظير جبايته، وصارت جملة النفقات ١٢٥ ٣/٤درهم، وزعت على الضعفاء، وزيت لمعبد العراقيين، وغير ذلك(١)، وفي أوقات أخرى كان يحدث عجز في فائض الإيرادات نتيجة حجم النفقات الكبير، على نحو ما توضحه قائمة حساب إيجارات ٢٢ دارًا وسكنًا عن شهر جمادى الآخرة سنة ٥٧٧هـ/أكتوبر ١١٨١م، وذلك على النحو الآتي:

اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم	اسم السكن/الدار	الأجرة بالدرهم
دار الناجيد	١٦	سكن الرابي يعقوب	٩
دار النديف	٣٩	دار الزيت	١٩
دار الصباغ	١٧ ١/٢	سكن ابن يونه	٧ ١/٢
دار ست غزال	٧	أسفل دار نتان الحيفي	٥
أسفل البرج	٣	سكن أبو الخير	٣٠
نصف دار ابن هبة	٢٠	سكن بيان البرناس	١٠
دار ابن بنحاس	٢٦	شركة ابن سالم اللاوي	٨
الفندق الصغير عُلوه	٣٩	الفندق الصغير سفله	١٥ ١/٢
نصف دار الشريف	٧	شركة ابن نتان	١ ١/٢
دار عبلة	٦ ١/٢	شركة ابن علم الدولة	٧
دار ابن ثابت	١٤		

(١) وثيقة رقم T-S 8 J 11, f. 4 (أ) سطر ١-١٣ من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.337-339.

ومن الجدول السابق يتضح أن جملة إيرادات العقارات بلغت ٣٠٨ دراهم، أي أكثر بقليل من متوسط الشهرين السابقين، في حين بلغت النفقات ٢٢٣ درهمًا بالإضافة إلى نفقات أخرى بلغ مجموعها حوالي ١٩٠ درهمًا، من دفع مرتبات، وحراسة، وزيت للكنيستين، ورمي أتربة، وتنظيف بعض الدور، وغير ذلك، بحيث يكون هناك إجمالي إنفاق إجمالي قدره نحو ٤١٢ درهمًا، أي عجز قدره حوالي ١٠٥ دراهم(١).

ونخلص مما سبق، أن هناك متغيرات في جباية إيجارات الدور والمساكن كانت تحدث من شهر إلى آخر؛ مما أوجد تفاوتًا في جملة إيراداتها، ويبدو أن ذلك جاء نتيجة تأخر بعض المستأجرين عن سداد الأجرة كاملة، أو في غير المواعيد المحددة، وفي بعض الأوقات يكون ذلك ناجمًا عن خلو بعض الطباق والقاعات من مستأجريها؛ نتيجة لانتهاء عقود الإيجار، كما اختلف حجم النفقات المُرصدة من شهر لآخر، سواءً كانت خاصة بأعمال الصيانة والإصلاحات لبعض الدور السكنية والمعابد، أو دفع رواتب بعض رجال الدين والضعفاء والأيتام.

كذلك كان هناك تفاوت في قيمة الإيجار من مكان إلى آخر؛ ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها: هو اختلاف نوع المسكن، فأجرة الدار الكاملة تختلف عن الدار المشتركة، وكذلك الحال بالنسبة لأجرة القاعة و الطبقة، بالإضافة إلى مساحة المسكن، التي تتفاوت من مكان لآخر، وإن كانت الوثائق لم تمدنا بمقدار مساحة كل مسكن مؤجر، إلى جانب موقع المسكن من حيث قربه من المعابد اليهودية، فالدار الملاصقة للمعابد أو المجاورة لها تختلف عن تلك التي تبعد عنها، وكذلك الأمر بالنسبة للأسواق وغيرها، إضافة إلى موقع المسكن سواء كان في أعلى الدار أو وسطها أو أسفلها.

---

(١) وثيقة رقم Bodl. MS Heb. f 56, f. 43c– الوثيقة كاملة، من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.330-331.

كما تأثرت إيجارات العقارات السكنية بشدة بسبب المجاعة والوباء التي ضربت مصر في عهد السَّلطان العادل الأيوبي (٥٩٦-٦١٤هـ/١٢٠٠-١٢١٤م) في الفترة من شهر شوال سنة ٥٩٦ /١١٩٩م إلى شهر ذو القعدة سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م؛ وذلك نتيجة انخفاض منسوب نهر النيل عن المقدار المناسب لري الأرض الزراعية، وما صحبه ذلك من هجرات سكان القرى إلى القاهرة من الجوع(١)، حيث تركت أثرها على عمران المدن المصرية، وخاصة مدينتي القاهرة والفُسْطَاط(٢)، حتى أن « **الأزقة كلّها بالقاهرة ومصر لا يرى فيها من الدور المسكونة إلا القليل**»(٣).

وقد تأثرت مدينة الفُسْطَاط بشكل أكبر مقارنة بمدينة القاهرة، التي وصفها عبد اللطيف البغدادي بأنها «**في غاية العمارة وأهلها في غاية الكثرة**»، في حين وصف الفُسْطَاط بعد دخوله إليها بقوله: «**فرأينا منها دروبًا وأسواقًا عظيمة كانت مغتصة بالزحام، والجميع خال ليس فيه حيوان إلا عابر سبيل في بعض الأحايين، وأن المار فيها ليستوحش...**»(٤)، وأشار إلى تأثر إيجارات العقارات السكنية بهذه المجاعة، وذلك في سياق حديثه عنها في سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١-١٢٠٢م، بأن

---

(١)عبد اللطيف البغدادي(موفق الدِّين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي، المُتوفَّى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م): الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر (رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر)، تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٢٦-١٢٧، ١٣٢-١٥٢؛ المَقْريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدِّين الشيال، الطبعة الثالثة مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٩-٣١؛ المَواعظ والاعتِبَار، مج٢، ص١٤٦، مج٣، ص٧٦٠.

(٢) سيد محمود عبد العال: المجاعة والوباء وأثرهما على المجتمع المصري (٥٩٦-٥٩٩هـ/١١٩٩-١٢٠٢م)، مجلة سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، العدد الأول، يناير ٢٠٢١م، ص ٩٤، ٩٧، ١٢٠-١٢١.

(٣) المَقْريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٣٠، كما أشار أيضًا إلى أن مدينة الفُسْطَاط لم يبقى فيها عامر إلا شط النيل. انظر: السُّلُوك ، ج١ق١، ص١٥٨.

(٤) الإفادة والاعتبار، ص١٤٤، ١٥٠-١٥١.

«الأملاك ذوات الأجر المعتبرة، فإن معظمها خلا أو لم يبق دأب أهلها حراستها بسد أبوابها وتحصين مسالكها أو إسكانها من يحرسها بأجرة، اللهم إلا ما كان من المِلك في قصبة المدينة، فإن بعضه مسكون بأخف أجرة، وأعرف ربعًا في أعمر موضع بالمدينة كانت أجرته في الشهر مائة وخمسين دينارًا فعادت في هذه السنة إلى نحو عشرين دينارًا، وآخر في مثل موضعه كانت أجرته في الشهر ستة عشر دينارًا، فعادت إلى فويق الدينار، وجميع ما لم نذكره على هذا القياس افهمه»(١).

ويتضح من ذلك، أن هذه المجاعة أدت إلى خلو كثير من الدور والبيوت والرِّباع من مستأجريها، وانخفضت قيمة الإيجارات انخفاضًا كبيرًا، مقارنة عمّا كانت عليه قبل هذه المجاعة، وهو الأمر نفسه الذي أشارت إليه بعض وثائق الجنيزة، بأن إيجارات أوقاف اليهودية السكنية تأثرت بهذه الأزمة، على نحو ما ورد في قائمة حساب تعود إلى رمضان سنة ٥٩٧هـ/يونيو ١٢٠١م، تضم إيرادات ١٧ دارًا سكنيًا تحوي ٥٤ سكنًا مختلفًا، حيث أحصيت ١٠ مساكن خالية من مستأجريها ما بين قاعات وطباق وغير ذلك(٢)، وفي المحرم سنة ٥٩٨هـ/أكتوبر ١٢٠١م، بلغت جملة تصقيع المسكون والخالي لعدد من الدور والقاعات والمساكن المؤجرة نحو ٥٥٥ ½ درهم، في حين كان تصقيع المسكون ٢٦٩ درهمًا؛ مما يشير إلى خسارة في الإيرادات عن الأماكن الخالية بلغت ٢٨٦ درهمًا، أي أكثر من نصف الإيرادات المحصلة(٣).

ونخلص مما سبق، أن إيجارات العقارات السكنية تمثل أهم طرق استثمار الوقف، وقد وضعت إدارة الأوقاف اليهودية اهتمامًا كبيرًا بإيجار أوقافها السكنية، وفق ضوابط وشروط مكنتها من المحافظة عليها، وتحقق عائدًا ماليًا من ريعها، يغطي

---

(١) الإفادة والاعتبار، ص١٤٤-١٤٥.

(٢) وثيقة رقم T-S Box K 15, f. 54 ، (أ) سطر١٢-١٣، ١٨-١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٤، (ب) سطر ٤، ٦ من نشر: Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.378-383.

(٣) وثيقة رقم T-S Arabic Box 51, f. 144 ، (ج) سطر ١-٤ من نشر:
Gil: Documents of the Jewish Pious Foundations,pp.388-390.

نفقاتها المالية، الذي يُصرف جزءً كبيرًا منها على الفقراء والمحتاجين، وصيانة المعابد، والعقارات الموقوفة وترميمها، ودفع الضرائب الحكومية، كما تفاوتت قيمة الإيجارات من مكان لآخر، وتأثرت بالكوارث الطبيعية كالمجاعات والأوبئة.

ثالثًا: عقد إيجار سَكَن من أوقاف اليهود الرَّبانين في مدينة الفُسْطَاط:

تحتفظ مكتبة البودليان **Library Bodleian** في جامعة أكسفورد ضمن مجموعة المخطوطات والخرائط العربية بمجموع بمخطوط تحت رقم حفظ **MS. Arab. c. 58(P)**، تضم أوراقه عددًا من الوثائق المؤرخة وغير المؤرخة، وخاصة عقود البيع، وأجزاء متفرقة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وبعض شذرات من مخطوطات عربية في علم التنجيم، وبعض الوصفات الطبية، والسجلات، واللاهوت، وتفسير الأحلام، والسندات، والقصاصات، والمراسلات، ونصوص من الكتاب المقدس بالعبرية بحروف عربية للقرائين، والشريعة الإسلامية، وغير ذلك.

ومن بين أوراق هذا المجموع عقد إيجار سكن بإحدى الدور الموقوفة على اليهود الربانين في مدينة الفُسْطَاط، ومؤرَّخ في شهر شعبان سنة ٦٢٦هـ/ يونيو١٢٢٩م، وهذا العقد لم يسبق نشره أو دراسة ما به من معلومات مهمة على حدّ علمي، وتكمن أهميته في أنه من عقود الإيجار النادرة التي يكون فيها المتصرفان: المؤجر والمستأجر من اليهود، خاصة أنه ليس من مجموعة وثائق جنيزة القاهرة، التي كُتب أغلبها بالعبرية.

وقد كُتب هذا العقد وفق الشروط الشرعية الإسلامية، حيث كانت التصرفات القانونية لأهل الذمة من النصارى واليهود توثق في كثير من الأحيان أمام القضاة والشهود المسلمين، وروعي في توثيقها جميع الشروط الشرعية الواجب مراعاتها وتوافرها في التصرفات القانونية للمسلمين، وهو ما يشير إلى رضاهم بعدالة القضاء الإسلامي والأخذ بأحكامه في معاملاتهم القضائية، ومدى التسامح الذي كان يلقوه في المجتمع الإسلامي وتعايشهم معه.

كما يُعد الإيجار من التصرفات القانونية المهمة في حياة الناس اليومية، إذ كثيرًا ما نجد شخصًا يؤجر أو يستأجر عقارًا سكنيًا أو أرضًا زراعية، فالإيجار من

أكثر العقود المتداولة كالبيع، فمن الناحية الاقتصادية يعُد وسيلة تعاون بين المالك والمستأجر، ومن الناحية القانونية ينظم عقد الإيجار العلاقة بين المالك والمستأجر ويرسم حدود العلاقة بينهما التي تكفل التعاون والتضامن فيما بينهما(١).

أما أركان الإجارة فاثنان هما: الإيجاب والقبول، وليس لهما ألفاظ مخصوصة بل كل لفظين يدلان على تمليك المنفعة في الحال بعوض(٢)، وصيغة العقد أن يقول: «**أجرتك هذه الدار، أو أكريتك، أو مَلكتك مَنَافِعهَا مدَّة كذا بكذا، فيقول الْمُسْتَأْجر: اسْتَأْجَرت، أو اكتريت، أَو تملكت، أَو قبلت**»(٣).

كما أن هُناك عددًا من الشروط الشرعية، التي ينبغي الالتزام بها عند صياغة عقد الإيجار منها: «**ذكر المُسْتَأجر، والمؤجر، وأسمائهما، وأنسابهما، وما يعرفان به، والمأجور، وموضعه، ووصفه، وتحديده، والمدة مبتدأها ومنتهاها، والأُجْرة، وذكر تأجيلها إن كانت مؤجّلَة، أو تنجيمها إن كانت منجمة، أَو قبضها إن كانت معجلة، وأن لا تتأخر الإجارة عن وقت العقد مدَّة طويلة ولا قصيرة، وذكر المعاقدة، والتسلم وَالتَّسْلِيم، وأن يكون المأْجُور مفرغًا عند الإِجَارة غير مشغول، وإقرار المتؤاجرين عنْد الشُّهُود بما نسب إلى كل واحد منْهُما من ذلك، ومعرفة الشُّهُود بهما، وصحة العقل والبدن، وجواز الأمر، والتاريخ**»(٤).

وفي ضوء الشروط الشرعية السابقة الخاصة بعقود الإيجار يتضح أن عقد الإيجار– موضوع الدراسة– مستوفي الشروط الشرعية، مكتمل الأركان الخاصة بصحة وثائق الإيجار، من صيغة دالة على الإجارة وهي:«**استاجر**»(٥)، وكذلك ذكر

---

(١) مصطفى أبو شعيشع: وثيقتان شرعيتان دراسة ونشر وتحقيق، مجلة المكتبات والمعلومات، دار المريخ لندن، س١١، ع٤، أكتوبر ١٩٩١م، ص٧١.

(٢) أحمد أبو الفتح: المعاملات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية، مطبعة البوسفور، القاهرة، ١٩١٣–١٩١٤م، ج٢، ص٣٩٧.

(٣) الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص٢٦٠.

(٤) الأسيوطي: جواهر العقود، ج١، ص٢٧٣–٢٧٤.

(٥) وثيقة الإيجار: سطر٢.

اسم المتصرفان وهما: المؤجر والمستأجر، فقد ورد اسم المستأجر كاملاً مع التعريف بديانته ومهنته وهو: «**مكارم بن ابي الفرج بن طاهر اليهودي العطار**»(١)، مع ذكر أوصافه وما يميزه في صِفَتُه وخِلْقَتُهُ(٢)، ثم ذكر اسم المؤجر وديانته ووظيفته وهو: «**ابن سعيد بن مكارم بن ابن سعيد اليهودي متولي اوقاف اليهود الربانين**»(٣).

وفيما يتعلق بالعين المؤجرة فقد ورد تحديدها وذلك بما نصّه: «**جميع المنزل**(٤) **من جنوب الدار التي بفسطاط مصر بقصر الشمع بزقاق خبيصه الذي ذكر الاجرا من ذلك جار في الوقف المذكور**»(٥)، فضلاً عن وصف مرافقها وحقوقها، وفي موضع آخر حدد بدقة موضع السكن في الدار، حيث نصّت الوثيقة أن الإجارة وقعت على «**المنزل في الطبقه الأولى بغرف البيت**(٦) **المستاجر دون باقي الدار**»(٧)، مع مع ذكر ملكية العين وحق التصرف فيها بما نصّه: «**الذي ذكر الاجرا من ذلك جار في الوقف المذكور**»(٨).

---

(١) وثيقة الإيجار: سطر٣.

(٢) يُعرف ذلك في كتب علم الشروط باسم: «**الحُلَى**»، وهي الباب الموصل إلى يقين الشهادة، وعليها تُبنى أحكام المعرفة، وهي أحد أركانها الثلاثة، فأول ما يُذكر في الإنسان: سنه، ثم قدّه، ثم لونه، ثم جبينه، ثم حاجباه، ثم عيناه، ثم خداه، ثم شفتاه، وجميع ما في وجهه من حَسنة، أو شامة، أو جُرح، أو غير ذلك والمُراد من الحلية: أن يذكر أشهر ما في الإنسان مما لا يزول بطول الزمان. انظر: الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص٥٧٢-٥٧٣.

(٣) وثيقة الإيجار: سطر٤-٥.

(٤) **المَنْزِل**: وهو موضع النزول، والمَنْزِل المَنْهَل والدَّار. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت)، ج٤٩، ص٤٤٠٠.

(٥) وثيقة الإيجار: سطر٥-٦.

(٦) **الغرفة**: وتجمع على غُرف، وهي البيت الصغير غالبًا العلوي، ويقصد بها في الوثائق حجرة صغيرة بالأدوار العلوية. محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية، ص٨٢.

(٧) وثيقة الإيجار: سطر ٧.

(٨) وثيقة الإيجار: سطر٥-٦.

كذلك ذُكرت الحدود الأربعة للسكن، التي لا بد من ذكرها، كما درجت على ذلك معظم الوثائق الشرعية؛ وذلك حتى يكون التعريف واضحًا وكاملاً احترازًا وإزالة الالتباس(١)، واللافت للنظر أن الحدّ القبلي لهذه الدار الموقوفة ينتهي إلى دار جارية في وقف اليهود الربانين، وكذلك الأمر بالنسبة للحدّ الغربي، الذي ينتهي إلى دار تابعة لوقف ضعفاء اليهود الربانين(٢)، وهو ما يشير إلى أن زقاق خَبِيصة أقامت فيه كثافة يهودية، فقد ضم تجمعًا لعدد من أوقاف اليهود الربانين السكنية، القريبة من معبد اليهود الشاميين، ناهيك عن أن هذه الدار تنتهي إلى دير الرهبان النصارى، وهو ما يمكن أن نعده تواجدًا مألوفًا لأهل الذمة في منطقة قصر الشمع عامة(٣).

أما مدة الإجارة وقيمتها وطريقة استيفائها، فقد حددت بشكل واضح، باعتبارها من الشروط الشرعية الأخرى الخاصة باكتمال صحة عقد الإجار، وكانت «**لمده سنه كامله أولها يوم تاريخه باجره مبلغها عن ذلك من الوَرِق(٤) الجيد نقد مصر اثنين وسبعين درهما حسابا للشهر سته دراهم يقوم بقسط كل شهر سلخه**»(٥)، كما وردت وردت إحدى الصيغ الفقهية الصريحة والقاطعة والدالة على صحة التعاقد، وهي تؤكد على صحة التصرف، حيث لا يعتبر المتصرف «المؤجر» راضيًا رضًا صحيحًا، إلا إذا كان عالمًا بالمتصرف فيه علمًا كافيًا(٦)، وهو ما ورد في عقد الإجار بما نصّه: «**بعد النظر والرضا والافتراق**»(٧).

---

(١) الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص٢٦٠.

(٢) وثيقة الإيجار: سطر ٩، ١١.

(٣) زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، ج١، ص١١٠-١١٢.

(٤) **الوَرِق**: الدراهم المضروبة، والوَرِق الفضة سواء كانت مضروبة أم لا.(ابن منظور: لسان العرب، ج٥٣، ص٤٨١٦).

(٥) وثيقة الإيجار: سطر١٢-١٣.

(٦) عبد اللطيف إبراهيم: من الوثائق العربية في العصور الوسطى «خمس وثائق شرعية»، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني،١٩٦٩م، ص١٧٦.

(٧) وثيقة الإيجار: سطر ١٤.

وقد اختتم عقد الإيجار بالشهادة على المتصرفين «**واشهدا عليهما**»(١)، وهي من إجراءات التوثيق الختامي في الوثائق، حتى تصبح الوثيقة كاملة من الناحية القانونية، وصحيحة نافذة لها قوة إثباتية لا يمكن الطعن عليها، كما كان التاريخ جزءًا أساسيًّا وعنصرًا أصيلاً ولازمًا في البروتوكول الختامي في الوثائق العربية فهو يدلنا على الزمن الذي انتهى فيه تدوين الوثيقة وشهادة الشهود على ما ورد فيها من تصرف، ويكسبها الصحة القانونية من الناحية الزمنية. وقد جاء موضوع التاريخ في موضعه الطبيعي في آخر الوثيقة وبخط كاتبها(٢)، وذلك بما نصّه «**في الثاني من شعبان سنه ست وعشرين وستمايه**»(٣)، وأخيرًا تأتي صيغة الشهادة، وهما اثنان من الشهود العدول المسلمين، وكانت بلفظ «**اشهداني بذلك**»(٤).

رابعًا: فهرسة الوثيقة ونشرها:

١-الفهرسة الشكلية:

- **مصدر الوثيقة:** صورة عن الأصل المحفوظ بمكتبة البودليان **Bodleian Library** في جامعة أكسفورد ضمن مجموعة المخطوطات والخرائط العربية.
- **رقم الوثيقة:** ورقة ١٧ ضمن مجموع مخطوط تحت رقم حفظ MS. Arab. c. 58(P)
- **المادة المكتوب عليها:** ورق
- **المادة المكتوب بها:** حبر أسود

---

(١) وثيقة الإيجار: سطر ١٤.

(٢) القَلْقَشَنْدي: صُبْح الأعْشَى، ج٦، ص٢٦١؛ عبد اللطيف إبراهيم علي: «التوثيقات الشرعية والإشهادات في ظهر وثيقة الغوري»، دراسة ونشر وتحقيق، مجلة كلية الآداب– جامعة القاهرة، المجلد التاسع عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٥٧م، ص٣٨٢ تحقيق رقم ٥٠؛ من الوثائق العربية في العصور الوسطى «خمس وثائق شرعية»، ص١٨٦-١٨٧.

(٣) وثيقة الإيجار: سطر ١٤-١٥.

(٤) وثيقة الإيجار: سطر ١٥-١٦.

- **نوع الخط:** خط الرقاع
- **عدد الأسطر: النص الرئيس:** خمسة عشر سطرًا
- **شهادة الشهود:** سطران
- **الشكل:** لا تختلف طريقة إخراج الوثيقة عما كان متبعًا في مثل هذا النوع من الوثائق، فقد أهمل الكاتب الشكل إهمالا تامًّا، ووردت كثير من الكلمات والألفاظ دون نقط، أما عن أسلوب الكتابة، فقد أهمل الكاتب إثبات بعض الهمزات إهمالاً بارزًا، كما دمج الكاتب بعض الحروف بأسلوب الكتابة الديوانية، وقد حافظت على النص محافظة تامة، وأبقيت عليه دون تصحيح أو تعديل، لكي يدل على أسلوب وثائق ذلك العصر، وجعلت كل سطر من سطور الوثيقة مستقلا عن غيره.
- **حالة الوثيقة:** الوثيقة بحالة جيدة

٢-الفهرسة الموضوعية:

- **موضوع الوثيقة:** عقد إيجار
- **التاريخ:** شعبان سنة ٦٢٦هـ/ يونيو١٢٢٩م

١- **المتصـــرف فيـــه:** جميـع المنـزل مـن جنـوب الـدار التـي بفسـطاط مصـر بقصر الشمع بزقاق خَبِيصة.

- **المتصرف (الفاعل القانوني):**
  - **المستأجر:** مكارم بن أبي الفرج بن طاهر اليهودي العطار.
  - **المؤجر:** أبي سعيد بن مكارم بن أبي سعيد اليهودي متولي أوقاف اليهود الربانين بمصر.
- **مدة الإيجار:** سنة كاملة من ثاني شعبان سنة ٦٢٦هـ.
- **قيمة الإيجار:** ٧٢ درهمًا في السنة، تدفع في آخر كل شهر ٦ دراهم.
- **تاريخ العقد:** الثاني من شعبان سنة ٦٢٦هـ.

نصّ الوثيقة

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- استاجر مكارم بن ابي الفرج بن طاهر اليهودي العطار وهو رجل شاب معتدل القامه

٣- رقيق السمره[١] مقرون[٢] خفي اشهل[٣] العين اقنا[٤] الانف خفيف شعر العارضين[٥] من ابي سعيد بن مكارم بن

٤- ابي سعيد اليهودي متولي اوقاف اليهود الربانين بمصر جميع المنزل من جنوب الدار

٥- التي بفسطاط مصر بقصر الشمع بزقاق خبيصه الذي ذكر الاجر ان ذلك جار في الوقف

٦- المذكور وله اجاره وله ملك وقبض أجرته[٦] حسبما فرض ذلك اليه وهي ذات الباب المربع[٧] والدهليز[٨]

---

(١) **رقيق السمرة:** أي أسمر صافي من الحمرة. الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص ٥٧٤.

(٢) **مقرون:** متصل الحاجبين، حيث يتصل مقدم الحاجب بمقدم الآخر. الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص ٥٧٦.

(٣) **أشهل:** الشُّهْلة فِي العَينِ: أَن يخالط سوادها زُرْقةٌ أو خضرة يسيرة . ابن منظور: لسان العرب، ج٢٦، ص٢٣٥٣؛ الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص ٥٧٦.

(٤) هكذا والصواب: «أقنى». **وأقنى:** من **القنا**، مصدر الأقنى من الأنوف، وَالْجَمْعُ قُنْوٌ، وهو ارتفاع في أعلى قصبة الأنف، واحْديداب في وسطه وَسَطِهِ وسبُوغ في طرَفه. ابن منظور: لسان العرب، ج٤٢، ص٣٧٦١؛ الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص ٥٧٧.

(٥) **العارضين:** العارض من اللحية ما ينْبُت على جانبي اللحية فوق الذقن، وخفيف العارضين: خفيف شعر اللحية. ابن منظور: لسان العرب، ج٤٢، ص٢٨٩٣؛ الأسيوطي: جواهر العقود، ج٢، ص ٥٧٨.

(٦) انظر: الأسيوطي: جواهر العقود، ج١، ص ٢٨٠.

(٧) **الباب المربع:** الباب بمعنى المدخل أو الطاق الذي يدخل منه، وأيضًا بمعنى ما يغلق به ذلك المدخل من درف خشب وغيره، والباب المربع قمته العليا ذات عتب مستقيم، أي أنه بلا عقد وليس مقنطرًا، فهذا الباب ليس مربعًا كما يُفهم من اللفظ، والأعتاب العلوية لتلك الأبواب مستقيمة من قطعة واحدة. محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية، ص٤٩.

(٨) **الدهليز:** فارسي معرب، ويُقصد به ما بين الباب والدار، وفي العمارة ممر داخلي، أو مدخل يؤدي إلى قاعة أو وحدة سكنية. محمد أمين وليلى عبد اللطيف: المصطلحات المعمارية، ص٤٩.

٧- والقاعه السفلى والسلم يتوصل عليه الى علوها وهو مثبت[١] الان ووقعت الاجاره

٨- على المنزل في الطبقه الأولى بغرف البيت المستاجر دون باقي الدار ويحيط بها

٩- حدود اربعه الحد القبلي ينتهي الى دار جاريه في وقف اليهود الربانين والبحري

١٠- الى الزقاق المسلوك والى دار ابن الزما[٢] والحد الشرقي الى دير الرهبان

١١- والى الزقاق المسلوك والحد الغربي الى دار جاريه في وقف ضعفا اليهود الربانين

١٢- لمده سنه كامله أولها يوم تاريخه باجره مبلغها عن ذلك من الورق الجيد نقد مصر

١٣- اثنين وسبعين درهما حسابا للشهر سته دراهم يقوم بقسط كل شهر سلخه وتسلم ما

١٤- استاجره بعد النظر والرضا والافتراق واشهدا عليهما في الثاني من

١٥- شعبان سنه ست وعشرين وستمايه اشهداني بذلك اشهداني بذلك

١٦- كتبه احمد بن اسمعيل[٣] كتبه محمد بن علي بن عثمان

١٧- (...)[٤]

---

(١) هذه القراءة الأقرب للكلمة، وكانت القراءة الأولى: «مبني».

(٢) هذه القراءة الأقرب للكلمة.

(٣) هذه القراءة الأقرب لاسم الشاهد.

(٤) كلمة تعذر قراءتها، ويبدو أنها نسبة الشاهد أو لقبه.

النتائج:

وفي ضوء ما سبق نخلص إلى بعض النتائج من أهمها:

١- سكن اليهود في عدة أماكن بالفُسْطَاط: كمنطقة قصر الشمع، ومنطقة المَصَّاصة، وتجاورت بيوتهم مع بيوت المسلمين والمسيحيين في غالبية الأماكن، وتركز عدد منهم حول المعابد اليهودية، وهي ظاهرة سكنية في كل أنحاء مصر.

٢- تُعد إيجارات العقارات السكنية من الموارد المالية المهمة للدولة الأيوبية، التي تجبيها مُشاهرة (شهريًّا)؛ لزيادة حصيلة الإيرادات العامة، وقد وُضعت عدة إجراءات خاصة بنظام التأجير وتحصيل الأجرة، وتسجيلها في دفاتر مخصصة لذلك.

٣- كانت الرِّباع السُّلْطانية إحدى أقسام الأموال الهلالية، وهي عبارة عن مساكن مشتركة ضخمة، تؤجر لعدد كبير من العائلات الفقيرة بأجور شهرية زهيدة في الطِباق المتجاورة أو التي تعلو بعضها بعضًا، وتستخرج أجرتها شهريًّا.

٤- تعددت الإجراءات الخاصة بحساب الأموال المستخرجة من معاملة الرِّباع السُّلْطانية؛ وفقًا لما ورد في كتب علم الشروط، هي: جريدة الاستقرار، والمخازيم اليومية والختمات الشهرية، وورقة التعريف، وعمل الزائد والناقص، والعمل الجامع الشهري، والعمل الجامع السنوي.

٥- كشفت وثائق الجنيزة أن تسجيل إيرادات إيجارات أوقاف اليهود السكنية ونفقاتها كان يتم من خلال قوائم الحسابات الجبائية التي أعدها البرناسيون.

٦- كان القودش أوالهقديش، أكثر المسميات شيوعًا في وثائق الجنيزة، ويماثل الهقديش نظام الوقف الإسلامي، وكان يسمى في وثائق الجنيزة أحيانًا بمصطلح الوقف أو الحبس، ولقد عرف اليهود الوقف العام «الخيري»، أمّا الوقف الأهلي «الذُّري» الشائع عند المسلمين فلا يوجد له مثيل عندهم.

٧- استأثرت المحكمة القضائية اليهودية بإدارة الوقف، الذي غالبًا ما خُصص عائده للصرف على الفقراء والمحتاجين، وصيانة المعابد والعقارات الموقوفة وترميمها،

ودفع الضرائب الحكومية، وكان التصرف في أوقاف اليهود في مصر يسير وفقًا للشروط التي حددها الفقه الإسلامي.

٨- اتفقت قواعد إيجار أوقاف اليهود السكنية مع القواعد الفقهية الإسلامية في وجوب دفع الأجرة شهرًا بشهر، وأن القائمين على الأوقاف اليهودية أداروها على النحو الذي يحافظ عليها، وذلك عن طريق وضع ما يشبه اللائحة التي تضم بعض الشروط المفروضة على المستأجرين.

٩- هناك متغيرات في جباية إيجارات الدور والمساكن كانت تحدث من شهر إلى آخر؛ مما أوجد تفاوتًا في جملة إيراداتها، كذلك كان هناك تفاوت في قيمة الإيجار من مكان إلى آخر؛ ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من أهمها: اختلاف نوع المسكن، ومساحته، وموقعه من حيث قربه من المعابد اليهودية، والأسواق، وغير ذلك، إضافة إلى موقع المسكن إن كان في أعلى الدار أو وسطها أو أسفلها، كما تأثرت إيجارات العقارات السكنية بالأوبئة والمجاعات.

١٠-وُثقت التصرفات القانونية لليهود في كثير من الأحيان أمام القضاة والشهود المسلمين، وروعي في توثيقها جميع الشروط الشرعية الواجب توافرها في التصرفات القانونية للمسلمين.

اللوحات

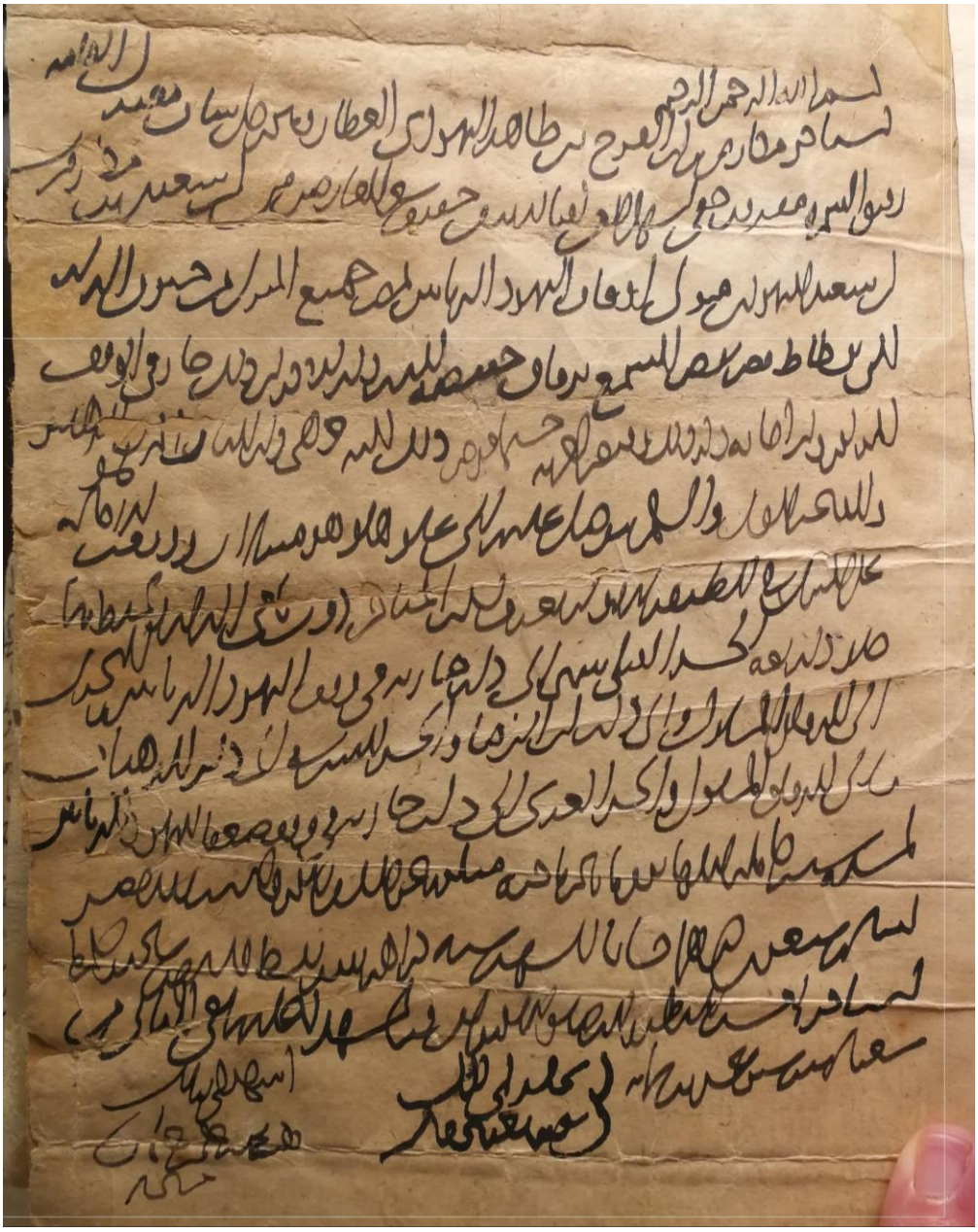

عقد الإيجار

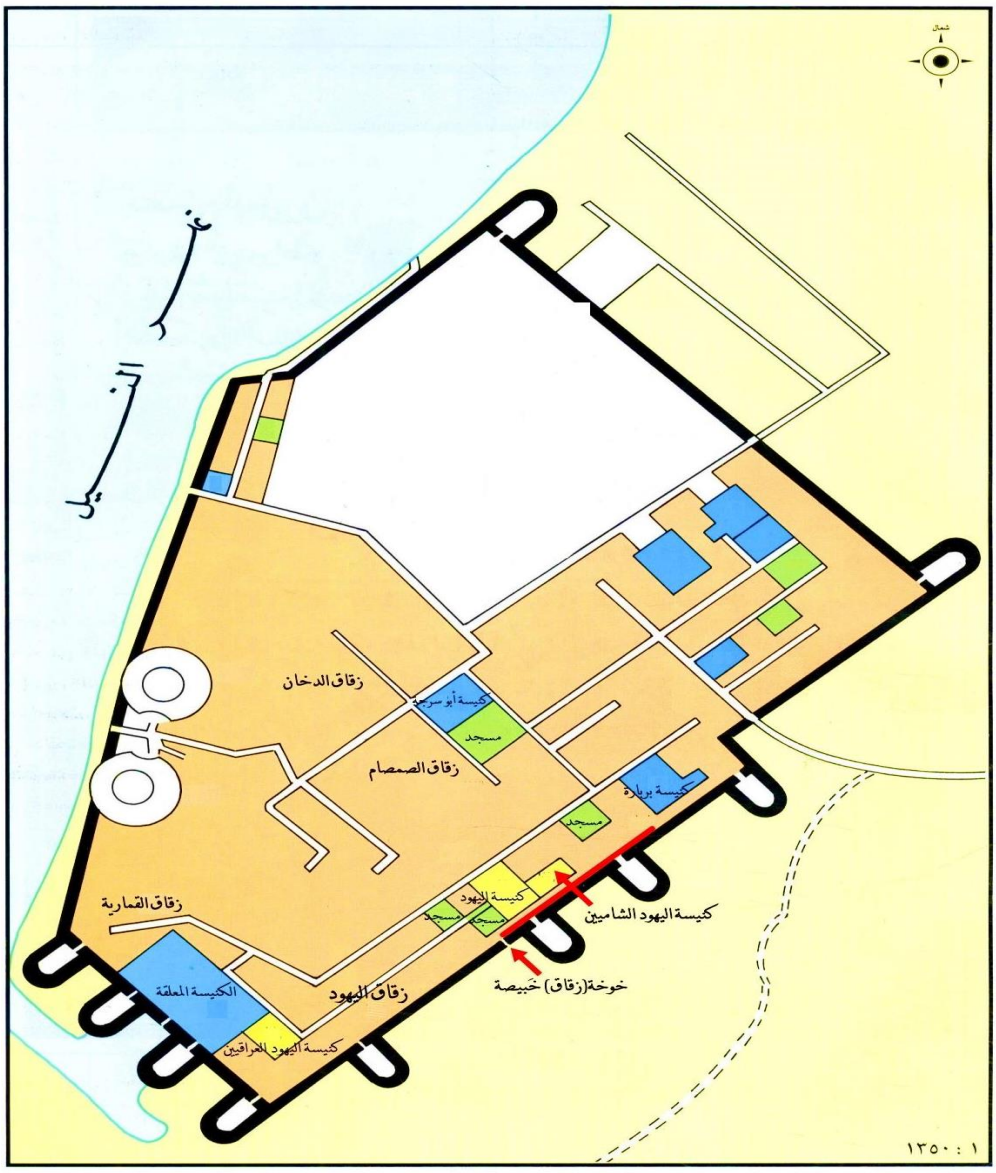

خريطة قصر الشمع نقلاً عن: أحمد عادل كمال: أطلس تاريخ القاهرة، ص٢٣. وقد حدد الباحث مكان زقاق(خوخة) خَبيصة وفقًا لما أورده ابن دقماق في كتابه: الانتصار

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

- **عقد إيجار محفوظ ضمن مجموع مخطوط بمكتبة البودليان Bodleian Library في جامعة أكسفورد، مجموعة المخطوطات والخرائط العربية تحت رقم MS. Arab. c. 58(P) ورقة ١٧.**

ثانيًا: المصادر العربية والمعربة:

- **الأسيوطي(شمس الدِّين محمد بن أحمد بن علي المنهاجي الشافعي، المتوفَّى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م):**

– جواهر العقود ومُعِين القضاة والموقعين والشهود، جزأين مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.

- **بنيامين التُّطَيْلي(الرابي بنيامين بن يونة التطيلي النباري، المُتوفّى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م):**

– رحلة بنيامين التطيلي(٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م)، ترجمها عن العبرية عزرا حداد، تحقيق منذر الحايك، الطبعة الأولى، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٤م.

- **الخفاجي(شهاب الدِّين أحمد بن محمد، المتوفَّى سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م):**

– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق ومراجعة محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٢م.

- **الخوارزمي(محمد بن أحمد بن يوسف، المتوفَّى سنة ٣٨٧هـ/٩٧٧م):**

– مفَاتيح العُلوم، حققه وقَدَّم له إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٨٩م.

- **ابن دقماق(صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدَمَّر العلائي، المُتوفَّى ٨٠٩هـ/١٤٠٦م):**

– الانتصار لواسطة عِقد الأمصار، جزأين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مركز دراسات الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ٢٠٢١م.

- **السَّخْمَاوي(شمس الدِّين محمد بن محمد، المتوفَّى سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م):**

– الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، جزأين، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصَّار، مطبعة دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ٢٠٠٩م.

- **عبد اللطيف البغدادي(موفق الدِّين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي، المُتوفَّى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م):**

– الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر (رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر)، تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- **القَلْقَشَنْدي(أبو العباس أحمد بن على، المتوفَّى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م):**

– صُبْح الأَعْشَى في صِنَاعة الإنْشا، ١٤ جزء، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.

- **ابن المأمون(جمال الدين أبو علي موسى، المتوفَّى سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م):**

– السيرة المأمونية أو أخبار مصر(٥٠١-٥١٩هـ)، أعاد بناءها وقدّم لها أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.

- **المَخْزُومي(أبي الحسن علي بن عثمان بن يوسف، المتوفَّى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م):**

– المُنتقى من كتاب المنهَاج في علم خراج مصر، تحقيق كلود كاهن ومراجعة يوسف راغب، مُلحق حَوليات إسلامية العدد رقم ٨، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، القاهرة، ١٩٨٦م.

- **المَقْريزي(تقيّ الدِّين أحمد بن علي بن عبد القادر، المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):**

– اتعاظ الحُنَفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلَفَا،٤أجزاء، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٦م.

– إغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدِّين الشيال، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

– السُّلُوك لمَعْرِفَة دُوَلِ المُلوك، ج١-٢(٦ أقسام)، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الطبعة الرابعة، مركز تحقيق التراث، دَار الكُتب وَالوَثَائِق القَوميَّة، القَاهرة، ٢٠١٤م.

– المَواعظ والاعتِبَار في ذكر الخِطَط والآثار،٤مجلدات، تحقيق أَيمَن فُؤاد سَيِّد، الطبعة الثانية، مُؤَسَّسَة الفُرقَان للتُّراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م.

- **ابن مَمَّاتي(أبو المكارم الأسعد بن مُهذب الخطير أبو سعيد مينا، المُتوفّى سنة٦٠٦هـ/١٢٠٩م):**

– قوانين الدواوين، جَمعه وحقّقه عزيز سوريال عطية، الجمعية الزراعية الملكية،

مطبعة مصر،١٩٤٣م.

- **ابن منظور(جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مَكْرَم بن علي الأنْصاري، المتوفَّى سنة ٧١١هـ/١٣١١م):**

– لسان العرب، دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

- **ناصر خِسْرُو علوي(قام برحلته بين سنتي ٤٢٧–٤٤٢هـ/١٠٤٥–١٠٥٢م):**

– سَفر نَامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

- **النُّوَيْري(شهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب الشافعي، المتوفَّى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):**

– نهاية الأرَب في فُنُون الأدَب، الجزء الثامن، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة:

- **إسرائيل ولفنسون:** موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.
- **أحمد أبو الفتح:** المعاملات في الشريعة الإسلامية والقوانين المصرية، جزأين، مطبعة البوسفور، القاهرة، ١٩١٣–١٩١٤م.
- **أحمد عادل كمال:** أطلس تاريخ القاهرة، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **البيومي إسماعيل الشربيني:** النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- **حسن الباشا:** الفنون الإسلامية على الآثار العربية، ٣ أجزاء، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥–١٩٦٦م.
- **حسنين محمد ربيع:**النظم المالية زمن الأيوبيين، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م.
- **زبيدة محمد عطا:** اليهود في العالم العربي دراسة تاريخية في قضايا الهوية– الاندماج– القدس، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- **سلام شافعي:** أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي(٤٦٧–٦٤٨هـ/١٠٧٤–١٢٥٠م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- **سيد محمود عبد العال:** المجاعة والوباء وأثرهما على المجتمع المصري(٥٩٦– ٥٩٩هـ/١١٩٩–١٢٠٢م)، مجلة سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، العدد

الأول، يناير ٢٠٢١م.
- **عاصم محمد رزق:** معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- **عبد اللطيف إبراهيم علي:** دراسات تاريخية وأثرية في وثائق الغوري، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية–كلية الآداب–جامعة القاهرة،، ١٩٥٦م.
- ـــــــــ:«التوثيقات الشرعية والإشهادات في ظهر وثيقة الغوري»، دراسة ونشر وتحقيق، مجلة كلية الآداب– جامعة القاهرة، المجلد التاسع عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٥٧م.
- ـــــــــ: من الوثائق العربية في العصور الوسطى «خمس وثائق شرعية»، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثاني،١٩٦٩م.
- **قاسم عبده قاسم:** اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
- **مارك كوهن:** المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى (٦٤١–١٣٨٢م)، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش، مكتبة لقاء، تل أبيب، ١٩٨٧م.
- **محاسن محمد الوقاد:** اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- **محمد خليفة حسن:** الجنيزا:«أوراق ووثائق الجنيزا: أهميتها العلمية وقيمتها التاريخية والحضارية» في كتاب: الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد(٩)، ١٩٩٩م.
- **محمد عمارة:** قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٣م.
- **محمد فتحي الزامل:** التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **محمد محمد أمين:** الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر(٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م.
- **محمد محمد أمين وليلى عبد اللطيف:** المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية(٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م) دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م.

- **محمود المرسي لاشين:** التنظيم المحاسبي للأموال العامة في الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧م.
- ـــــــــ:«دراسة تحليلية للنظام المحاسبي في الدواوين في عصر الخلافة العباسية بمصر(٦٥٩هـ-٩٢٣هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)الأراضي الزراعية وما يفرض عليها»، مجلة جامعة أم القرى، السنة الأولى– العدد الثاني،١٩٨٩م.
- **مصطفى أبو شعيشع:** وثيقتان شرعيتان دراسة ونشر وتحقيق، مجلة المكتبات والمعلومات، دار المريخ لندن، س١١، ع٤، أكتوبر ١٩٩١م.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

- **Eliyahu Ashtor:**
- «The number of the Jews in medieval Egypt»,Journal of Jewish Studies, 18,(1967).
- **Geoffrey Khan :**
- Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections, Cambridge University Press, 1993.
- **Moshe Gil:**
- Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza, edited with translations, annotations and general introduction,Leiden Brill, 1976.
- **Shelomo Dov Goitein:**
- A Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, Vol. 2, The Community, University of California Press,1971.

جبال المدينة المنورة وحرَّاتُها في كتب الرحلة العربية خلال العصر العثماني ٩٢٣- ١٢١٣هـ / ١٥١٧- ١٨٠١م - (دراسة تاريخية)

أ.د/ سامح إبراهيم عبدالفتاح
أستاذ بقسم التاريخ – كلية الدعوة
الجامعة الإسلامية

الكلمات المفتاحية:
جبال المدينة المنورة – حرات المدينة المنورة – الرحلات العربية – المعالم والآثار

مستخلص عربي:

فقد نجح الرحالة العرب خلال العصر العثماني في قراءة الواقع الحضاري والاجتماعي، وتصوير الطبيعة الجغرافية في بلاد الحجاز بشكل واقعي إلى درجة كبيرة، بخلاف الرحالة الأوربيين الذين رسمت مدوناتهم صورة مشوهة لكل مظاهر الحياة، فالعرب المسلمون تتبعوا ملامح النهضة العلمية والعمرانية والحياة الاجتماعية، وتركوا ثروة معرفية عن الظواهر الطبيعية وأخبارها بأسلوب أدبي مشوق مما شاهدته عيونهم، وتفاعلت معه نفوسهم بوعي ينم عن إدراك للأشياء ومراقبة للتطور.

وقد تناولت كتاباتهم وصفًا لكل مظاهر سطح الأرض، لكن عنايتهم بالجبال والحرَّات في المدينة المنورة خاصة كانت أوضح، فقدموا دراسة تفصيلية عن موقعها، وطبيعتها الجيولوجية، وأهميتها لما حولها، وما اشتملت عليه من آثار ومعالم، كما تكلموا عن مضامينها وخلفياتها التاريخية، متحققين مما يكتبون ناقدين ما ينقلون من أخبار يعود أغلبها إلى زمن النبوة، فما الدافع لهم في ذلك، وما منهجهم في وصفها، وماذا قدموا من معلومات عنها، وعمَّا تشتمل عليه من معالم أثرية، هذه التساؤلات وغيرها يجيب عنها هذا البحث.

The mountains of Medina and its volcanic lands in the books of the Arab journey during the Ottoman era. 923- 1213 AH / 1517 - 1801 AD

(historical study)

key words

Al-Madinah Al-Munawwarah Mountains - The volcanic lands of Al - Madinah Al-Monawwarah - Arab Tours - Landmarks and MonumentsEnglish.

language extract

The Arab travelers during the Ottoman era succeeded in reading the cultural and social reality and portraying the geographical nature in the Hijaz in a realistic way to a large degree.

Unlike European travelers whose blogs painted a distorted picture of all aspects of life, The Muslim Arabs followed the features of the scientific and urban renaissance and social life, and they left a wealth of knowledge about natural phenomena and their news in an interesting literary style from what their eyes witnessed, and their souls interacted with awareness that indicates an awareness of things and an observation of development.

Their writings dealt with a description of all aspects of the earth's surface, but their concern for the mountains and harrats in Madinah in particular was clearer. Criticizing the news they report, most of which date back to the time of prophecy.

What motivated them in this, and what is their approach to describing it, and what information they provided about it, and what it contains of archaeological features. These and other questions are answered by this research.

مقدمة:

تقع المدينة المنورة في وادٍ رحب تحيط به الجبال والحِرار ذات الصلة بالأحداث التاريخية المهمة في عصر النبوة والخلافة الراشدة وما تلاهما من عصور تاريخية، وقد نجحت كتب الرحلات العربية خلال العصر العثماني في تصوير الطبيعة الجغرافية وقراءة الواقع الحضاري والاجتماعي لبلاد الحجاز بشكل واقعي إلى درجة كبيرة، بخلاف مدونات الرحالة الغربيين التي رسمت صورة مشوهة لكل مظاهر الحياة، فالعرب المسلمون تتبعوا الملامح الطبيعية والعمرانية والنهضة العلمية والحياة الاجتماعية، وخلفوا لنا مرآة عكست جل مظاهر الحياة، وشكلت مدوناتهم ثروة معرفية ومخزنًا للمعلومات كتبت بأيدي علماء متميزين بأسلوبهم المشوق وهم مسافرون إلى بلاد الحرمين ينقلون الطرائف مما التقطته أعينهم وتفاعلت معه نفوسهم بوعي ينم عن إدراك للأشياء مع مراقبة لتطور الظواهر[١].

ولم تكن كتابات هؤلاء على مستوى واحد من الأهمية، بمعنى أنهم جميعًا لم يتفقوا على نص واحد اشتركوا في تقديمه عن أحوال البلاد والمجتمعات التي مروا بها؛ فكل واحد منهم كانت له ملاحظات تختلف عما دون غيره، ناهيك عن تفاوت مستوياتهم الفكرية واختلاف الفترات والظروف التي دونوا فيها مؤلفاتهم، فالرحلة تخبر عن ثقافة صاحبها وعن المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ومع ذلك، اكتفى بعضهم بنقل المعلومات عن غيره، وعلى الباحث أن يميز بين الغث والسمين وما يستحق أن يكتب وما لا يستحق.

وقد تناول هؤلاء الكتاب أخبار أسفارهم وتنقلاتهم ووصفوا البلاد التي زاروها والمسافات التي اجتازوها والصعوبات التي واجهوها وقيدوا مشاهد الطبيعة بكل ما فيها من جبال، وحرَّات، وهضاب، وشعاب، ومنحدرات، وأودية، وسهول، ورمال، وصخور

---

(١) عبد القادر بكاري: الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري، رحلة أبو راس الناصري نموذجاً، بحث منشور في مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد ١٩ – ٢٠ صيف، خريف (أكتوبر) ٢٠١٥م، ١٤٣٦، ١٤٣٧هـ، ص ٢٢٧.

حتى غدت مدوناتهم وكأنها دراسات في الجغرافيا الطبيعية؛ لكن عنايتهم بالجبال والحرات في الحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة كانت أوضح، ولذلك فكتاباتهم تعد مصدرًا من أهم مصادر التأريخ لهذه المظاهر وما يقع عليها من نشاط بشري في الفترة التي عاصروها، بحكم أنها رصد لشهود عيان اتسم أسلوبهم بالواقعية والبعد عن الخيال إلى حد كبير.

فما الدافع لهم في الكتابة عن جبال المدينة المنورة وحراتها؟ وما منهجهم في وصفها؟

المبحث الأول: اهتمام الرحالة بجبال وحرات المدينة المنورة، ومنهجهم في وصفها.

رأي الباحث أن من الواجب عليه قبل الشروع في كتابة موضوعات هذه الدراسة أن يتناول الأسباب التي دفعت الرحالة العرب لوصف **جبال المدينة المنورة وحراتها** لدرجة جعلتهم يفردون لها مساحة من مدوناتهم ويجعلونها في مقدمة اهتماماتهم، كما ينبغي أن نتعرف أيضًا على منهجهم في وصفها ومن خلال هذا المبحث التمهيدي سنتناول هاتين النقطتين.

أولاً: أسباب اهتمام الرحالة بجبال المدينة المنورة وحراتها:

يرجع اهتمام الرحالة العرب بوصف جبال المدينة المنورة وحراتها إلى **الأسباب التالية:**

أ – غلب على هؤلاء التخصص في الجغرافيا، لذا اشتملت مدوناتهم على الكثير من المعلومات عن الطبيعة ومظاهر السطح لا في المدينة المنورة وحدها بل عن الطريق والبلاد التي مر الركبان عليها منذ خروجهم وحتى عودتهم، وعين الجغرافي الغريب عن المكان ثاقبة تلتفت إلي كل مثير فتصفه وصفاً قد تخلو منه الكتابات التاريخية التقليدية أو مدونات أهل المكان[١].

ب – جاء اهتمامهم بجبال وحرات المدينة المنورة ضمن ما قدموه من وصف شامل للطبيعة التي مروا بها في أسفارهم وما بها من مصادر للمياه كالأمطار والآبار والعيون، وكذلك وصف الجبال ووُعُورتها والهضاب والحرات وصخورها، والأشجار وأنواعها، والصحراء ورمالها، والطرق والمفازات وصعوبة سلوكها، وكذلك المناخ، من حيث الحرارة، والبرودة، والرياح [٢].

---

(١) ابن عبد القادر الفاسي: رحلة ابن عبد القادر الفاسي من مدينة فاس (سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦ – ١٧٩٧م)، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٥٤ جغرافيا، ميكروفيلم ٧٥٢٦، لوحة ٢٣.

(٢) أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي: (١٠٣٧– ١٠٩٠هـ / ١٦٢٨– ١٦٧٩م): الرحلة العياشية (١٦٦١ – ١٦٦٣م)، تحقيق: د / سعيد الفاضلي، د/ سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط١، أبو ظبي الإمارات، ٢٠٠٦م، ١/ ١٨١، الحسن بن مسعود=

جـ – نظرة الاحترام لمكة المكرمة والمدينة المنورة بكل ما فيهما من مظاهر الطبيعة والعمران، فهي مواطئ أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم، وهي المسرح الذي دارت عليه أحداث السيرة النبوية، وعليها أريقت الدماء الزكية وفي ترابها قبرت أجسادهم الطاهرة، فدفعهم هذا إلى وصفها وصفًا يتسق مع الحالة الوجدانية التي سيطرت عليهم(١).

د – لعل اهتمامهم بوصف جيولوجية جبال وحرات المدينة المنورة نابع من عنايتهم بوصف طبيعة الأرض التي تمر منها الطرق البرية والمقارنة بين هذه الطبيعة في مختلف المراحل، فعند العقبة السوداء أول بلاد الحجاز قال عنها العياشي(٢): «وهي عقبة سوداء ذات أحجار وأشجار، ويقال إنها أول أرض الحجاز، ولا يبتعد ذلك، فإن من هنالك تخالف الأرض ما قبلها وتباين الجبال ما سواها، ويشتد شبهها بجبال الحجاز السود، ويتقوى الحر وتسترمل الأرض»(٣).

كما اعتنى الرحالة المذكور بجيولوجية تربة المدينة المنورة، فوصف طبيعة أرض البقيع بملوحتها ونداوتها تعليلاً واجتهاداً منه لظاهرة سرعة فناء أجساد المقبورين فيها(٤).

=اليوسي: الرحلة، (سنة ١١٠١هـ/ ١٦٨٩– ١٦٩٠م)، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، المغرب، تحت رقم ٢٣٤٣، لوحة ٧.

(١) الحسن اليوسي: المصدر السابق، لوحة ٤١؛ حبيب بو زوادة: سيميائية الفضاء المقدس في الرحلات الحجازية الجزائرية، (رحلة الحسين الورثيلاني نموذجاً)، بحث منشور ضمن مجلة دراسات أدبية، العدد السادس / يونيو ٢٠١٨م، جامعة معسكر الجزائرية، ص ص ١٥، ١٦.

(٢) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي رحالة مغربي، وصل المدينة المنورة ليلة الخميس ٢ محرم ١٠٧٣هـ وخرج منها ١٧ شعبان من السنة المذكورة وهي مدة كافية أتاحت له أن يكتب عن المدينة المنورة وأهلها مالم يتح لغيره ممن لم تطل إقامتهم، العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٥٤، ٣٤٠، ٣٧٣؛ حمد الجاسر: في رحاب الحرمين، مجلة العرب، ج ٣، ٤، عدد ١٢، رمضان وشوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٧م، ص ٢٣٧.
العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٢٩٤.

(٤) العياشي: الرحلة...، مصدر سابق، ١/ ٤٧٧، ٤٧٨.

هـ – ومن أسباب عنايتهم بالجبال أنهم كانوا دائمًا يصعدون عليها ويستغلون ارتفاعها في متعة النظر لما دونها من معالم مثل: جبل «مفرِّح» يصعدونه عند دخولهم المدينة المنورة وشوقهم يسبقهم لمشاهدة أنوار عمرانها وقبابها وأسوارها، حيث يسارع الناس عند الدنو منه لصعوده، ويستبشرون برؤية منزل الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يتخلف عن الصعود إليه إلا من لا قدرة له عليه[١]، وجبل «أُحد» المشرف على محيط عمران المدينة المنورة ومن فوقه يطالعون جمالها وحسن منظر الحرم النبوي والقبة الشريفة وجميع بقاع طيبة التي ينشرح لها الصدر ويصفو عندها القلب[٢]، وكذلك في «شِعب هارون»[٣] الذي بقمة الجبل المذكور، فموضعه عالٍ مُشرف على المدينة المنورة وما حولها من البقاع وفيه نزهة للناظرين [٤].

وبذلك قدموا وصفًا دقيقًا ورسموا خريطة لهذه الجبال وتلك الوهاد وحددوا أماكنها الأمر الذي يجعل هذه الكتابات مصدرًا هامًا من مصادر دراسة الظواهر الجغرافية في بلاد الحجاز بوجه عام وفي المدينة المنورة خاصة.

ثانيًا: منهجهم في وصف جبال المدينة المنورة وحراتها.

١– العناية بضبط أسماء الجبال والحرَّات وتحديد أسباب تسميتها وتعيين مواضعها في أي الجهات من مركز المدينة المنورة تحديدًا جهويًا «شمال – جنوب – شرق – غرب» وكان بعضهم يفرق بين ما يجري على ألسنة الناس وبين أسمائها الفصيحة كما وردت في معاجم اللغة ومصادر التاريخ.

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٣٦٩/١.

(٢) وكان الرحالة لا يبالون تجشم الصعاب في صعود الجبال ليشرفوا منها على محيطها الذي هي فيه ويطلعوا على ما فيها من معالم. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٠١؛ ٣٢٨.

(٣) يزعمون أن هذا الشعب ينسب إلى النبي هارون أخي موسى عليهما السلام وأنهما مرا بالجبل حاجين أو معتمرين، فمات هارون وقبره موسى في هذا الموضع. مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩– ٨١٧هـ/١٣٢٩– ١٤١٥م): المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م، ص ١١.

(٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

٢– تقدير المسافة التي تفصلها عن عمران المدينة والمسجد النبوي، وغالباً ما يعتمدون على المتاح من المقاييس كالفرسخ[١] والشبر والذراع والخطوة[٢] ونحوها من أدوات قياس المسافات المستخدمة في تلك الفترة إن لم تكن محددة من قبل وأما إن كانت معلومة اكتفي الرحالة العرب بنقل كلام الثقات [٣].

٣– تحديد مواقع الجبال وأطوالها ووعورتها، وتحديد أبعادها ومحيط قطرها، وطريقة الصعود إليها إن كانت مما يغشاها الزوار لغرض التنزه أو غير ذلك[٤].

٤– وصف التكوين الطبيعي المتمثل في نوع التربة، ولونها، وتركيباتها الجيولوجية، وتحديد المسافات بينها بمقاييس الوقت.

٥– توضيح أهمية الجبال والحرات التاريخية، وإبراز ما فيها وما حولها من المعالم والآثار ووصفها والتحدث بطرف عما وقع عندها من أحداث في عصور تاريخية

---

(١) الفرسخ: أصله من الفارسية ويستخدم للمسافة التي إذا قطعها الماشي أتعبته واحتاج إلى الراحة، وهي ما بين ثلاثة وستة أميال. ابن منظور الافريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د – ت، مادة: فرسخ؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٣٧.

(٢) الشبر هو المسافة ما بين طرفي أصبعي الخنصر والإبهام، ومتوسطة تقريباً ٢٤ سنتيمتراً، وأما الذراع المستخدم في تلك الفترة، فهو أحد ذراعين: إما الذراع الحديد المعتمد للقياس ومقداره ٥٦ سنتيمتراً وسُبع، وإما ذراع اليد وهو ٤٩ سنتيمترًا تقريبًا، وأما الخطوة فهي مسافة ما بين القدمين بالمشي المعتاد وتقدر بحوالي ٦٥ سنتيمتراً. محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ٢، طبعة جديدة بإشراف: أ د/ عبد الملك بن عبد الله دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ط ٣، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م، ص ١٠٢.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت ١١٨٩هـ): الرحلة، (سنة ١١٥٢هـ)، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ٤٠٥، لوحة ١٦.

(٤) وصف العياشي شدة وعورة جبل أحد وعناء من يروم صعوده بقوله: فحصل لنا من التعب مالم نر مثله قبله ولا بعده. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

مختلفة، ومتابعة ما طرأ على بعضها من تطور حتى فترة الدراسة، ونقد ما لم تثبت نسبته من هذه المعالم وتلك الأحداث[١].

٦- بيان الأهمية الأمنية للجبال والحرات في المدينة المنورة[٢]، فمن ذلك ما ذكره العياشي عن جبلي «أحد وعير» وأنَّ كلاً منهما سدٌّ يمنع المدينة من جهته[٣] .

٧- تحري الدقة في نقل المعلومات عنها وتدوينها من عدة مصادر أهمها المشاهدات الشخصية لهم أثناء زيارتهم والتعليق عليها مما دفع بعضهم للمقارنة بينها وبين الجبال والحرات خارج المدينة، وبمطالعة كتاباتهم يمكن أن نتتبع هذا المنهج في الجمع والعرض من خلال النقاط التالية: -

أ – التوثيق من المصادر السابقة:

اعتمد الرحالة على كتابات من سبقهم من الرحالة والمؤرخين دون التقيد بالقريب منهم زمنيًّا وربما يرجع ذلك إلى ثبات المعلومات عن الظواهر الطبيعية وعدم تأثرها بعامل الزمن سريعًا، فالعياشي يكثر النقل من البكري[٤]، والإسحاقي ينقل عن رحلة العبدري[٥]، و ابن عبد القادر الفاسي يستأنس برحلة عبد المجيد المنالي[٦] .

وفيما يتعلق بالمعلومات التاريخية وثقوا من المصادر الأصيلة، من ذلك اعتماد الإسحاقي كلام المؤرخين ممن لم يصرح بأسمائهم في وصف جبل أحد وما حوله من

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥، الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تصحيح: محمد بن أبي شنب، مطبعة بير فونتانا الشرقية، الجزائر، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ص ٤٧٤.

(٢) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢.

(٤) ينسب إلى قبيلة بكر بن وائل وهو أحد الجغرافيين عاش في الفترة بين (٤٠٤ – ٤٨٧هـ)، العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٢٨٩/١.

(٥) كانت رحلة العبدري من حاحة إلى الحج سنة ٦٨٨هـ-١٢٨٩م. محمد الشرقي بن محمد الإسحاقي: رحلة الإسحاقي صحبة الأميرة خناثة بنت بكار زوجة مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى (سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١-١٧٣٢م) مخطوط بخزانة القصر الملكي في مدينة الرباط، المملكة المغربية، رقم ١١٨٦٧، ص ١٧٢.

(٦) عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي المتوفى ١١٦٣هـ – ١٧٤٩م وهو صاحب الرحلة المعروفة بـ بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام. ابن عبد القادر الفاسي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٥٣.

معالم أثرية[١]، وفي بيان أسماء الأماكن والمواضع القديمة اعتمد على معاجم اللغة كالقاموس المحيط للفيروز آبادي وغيره[٢].

ومما يجب التنبيه عليه، أنهم تحروا الدقة والأمانة في جمع هذه المعلومات وتوثيقها وبذلوا جهدًا مشكورًا لتسطير ما تطمئن إليه قلوبهم، وأما ما يساورهم فيه الشك أو يحوم حوله الريب، فكانوا ينبهون القارئ عليه بعبارات أكثروا من تكرارها مثل: «ويزعمون» أو عبارة «والله أعلم بحقيقة ذلك» أو «فانظر»[٣]، ونحوها من العبارات[٤] ولم يستنكف أحدهم أن يكتب «لا أعلم» إذا لم يتحقق من المعلومة[٥].

ب – التحليل والنقد:

لم يقف الرحالة أمام الأخبار والأحداث موقفاً سلبيًا، يسجلون ما وصلهم عن جبال المدينة وحراتها فقط بل يرفضون بعض المعلومات وينقدون بعضها ويعللون الأسباب ويجتهدون في الوصول إلى النتائج، من ذلك رفض العياشي قول من يتحدث عن غار بأصل جبل أُحد اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم خلال الغزوة[٦]، وتفسيره عادة أهل المدينة في زيارة الجبل المذكور يوم الخميس من كل أسبوع[٧]، ونقده من حاول استجلاء وجه محبة النبي صلى الله عليه وسلم لجبل أحد في مقابل بغضه جبل عير، وغير ذلك من الشواهد [٨].

---

(١) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ص ٢٠٩، ٣٨٨.
(٢) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ص ٢٢٩، ٢٣٠.
(٣) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٢٣٠.
(٤) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٢١٨.
(٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦.
(٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.
(٧) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦.
(٨) حيث ذكر أن أحداً يقع جهة طريق خيبر وبلاد الشام، وهي مساكن أعدائه من اليهود فيحول بينه وبينهم ولا أحب مما يحول بينك وبين عدوك، بينما جبل عير في جهة مكة أحب البلاد إليه وبها البيت الحرام، وعير يحول بينه وبينها لذلك أحب أحداً وأبغضه. فعقب العياشي بأن كلا الجبلين مشترك في الحيلولة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه فقد سوى الله بين اليهود والمشركين في العداوة كما أن مضرة المشركين لأهل المدينة كانت أشد من مضرة=

والحقيقة أنهم كانوا يتثبتون من أقوال أهل العلم في تفسير هذه الظواهر ولا يأبهون كثيراً بأقوال العوام التي وصفها الإسحاقي بقوله: «مختلفة غير مؤتلفة»[١].

ج– تعيين الطبيعة الجيولوجية للجبال والحرات:

فطن الرحالة العرب إلى أهمية وصف طبيعة الحرات والجبال في أرض الحجاز وذكروا أنها ذات طبيعة خاصة تختلف عما قبلها من الجبال التي مروا بها في الطريق مذ خروجهم من بلادهم، فابن ناصر[٢] يقول: «ولما بلغنا العقبة السوداء وهي عقبة صغيرة في حرَّة سوداء ذات أشجار وأحجار يقال إنها أول أرض الحجاز، ولا يبعد ذلك، فإن من هناك تخالف الأرض ما قبلها وتباين الجبال ما سواها ويشتد شبهها بجبال الحجاز السود ويتقوى الحر»[٣]، فهو يؤكد الفرق بين طبيعة الجبال والحرات وألوانها المختلفة، بخلاف الجبال المحيطة ببدر والتي وصف الإسحاقي أحدها بأنه «جبل كبير أبيض الرمل»[٤].

د– التفصيل بعد الإجمال:

قدم أغلب الرحالة حديثه بملخص عن المدينة المنورة يجمع فيه أهم المعالم التاريخية والظواهر الطبيعية بشكل مجمل سواء في منظومة شعرية كما فعل العياشي[٥]، أو ملخص نثري مثل الإسحاقي[٦]، ولا شك أنهم في هذه المقدمة يسردون أسماء الجبال والحرات، ثم يفصلون بعد هذا الإجمال كلامهم عن كل مَعْلَم على حِدة.

=اليهود في زمن النبوة مع الاشتراك في العداة لضعف اليهود وقلتهم وذلهم... إلخ. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢.

(١) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٦٩.

(٢) أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس سنة ١٣٢٠هـ، ٢٣٦/١.

(٣) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ١٧١– ١٧٣.

(٤) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٢١٨.

(٥) أجمل العياشي معالم المدينة المنورة «الجبال والحرات والأودية» في قصدية عند دخول طيبة في رحلته. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٦٩ – ٣٧١.

(٦) الشرقي الإسحاقي: مصدر سابق، ص ص ٣٧٤ – ٣٧٥.

المبحث الثاني: جبال المدينة المنورة في كتابات الرحالة العرب:

ترك الرحالة العرب وصفًا موسعًا لمظاهر سطح بلاد الحرمين عامة والمدينة المنورة خاصة، وقدموا دراسة تفصيلية لما عليه جبالها وحراتها وما تضم من آثار قديمة ذات خلفية تاريخية، متحققين قدر الوسع مما يكتبون من أخبار، وقد دفعتهم العناية بالجبال والحرات إلى قيام بعضهم بعمل مسح لأبعادها ومقاساتها وآثارها بنفسه، متجشمين في سبيل ذلك الكثير من المتاعب خدمة للعلم، وتيسرًا على أهله وفيما يلي عرض لوصفهم جبال المدينة المنورة.

بدأ كلام هؤلاء عن الجبال الحجازية مع بداية وجودها على الطريق كلما مروا بجبل وصفوه فعند ينبع تحدث العياشي عن جبل رضوى وذكر أنه: «أكبر جبال تلك البلاد... المشرف على بلاد الينبوع»[١].

ثم أزال ابن ناصر اللبس الذي يحدث عند المارة في تحديده بقوله: «وليس هو الجبل الصغير الذي بجانب الينبوع بل هو الجبل الكبير»[٢].

وعند بدر، وصفوا جيولوجية «الأبرقين»: فأحدهما رملي تسوخ فيه أقدام الخيول ويصعب عليها عبوره، والآخر قريب منه يتميز عن سابقه بأنه صلد وعر جلامد[٣].

وأما الإسحاقي، فوصف المنطقة التي وقعت فيها الغزوة بأنها: «واد به ماء تحفه الجبال من جميع جهاته»[٤].

وأما عن جبال المدينة المنورة وحراتها؛ فقد أولاها الرحالة اهتماماً بالغاً إما لما لها من شرف في نفسها أو لاشتمالها على أماكن تسن زيارتها أو أثار ومساجد نبوية حث بعضهم بعضاً على الوقوف عليها لإشباع نهم المعرفة بكل ما يتعلق بالماضي، خاصة الجبال المشهورة التي ارتبطت بأحداث السيرة النبوية كأُحد وسلع وذباب وغيرها

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٢٩٧.
(٢) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ١٧٣.
(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٠٠، ٣٠٥.
(٤) الاسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٢١٦.

من الجبال، أو الجبال التي تتميز بموقع متفرد يمكن مشاهدة عمران المدينة النبوية من فوقها والاستمتاع بمنظرها البديع.

وعلى الرغم من أن الزوار لا يمكث بعضهم في المدينة المنورة أكثر من ثلاث ليالٍ إلا أن بعضهم ممن فضل المجاورة تمكن من زيارة هذه الأماكن عدة مرات ووصفها وصفاً دقيقًا كالعياشي الذي أقام في المدينة سبعة أشهر ونصف[١]، وأما من لم يطل مقامه فيها، فقد اجتهد واستعمل النظر والفكر في تأمل طبيعتها وتسطير مشاهداته الشخصية أو ما نقله عنها «مما أدركه العيان، أو نقله الأئمة الأعيان من صفتها وأخبارها وهي زادها الله شرفاً مدينة مليحة...، موضوعة في مستوى من الأرض على وادٍ به غابة من النخل، وأرضها سبخة، وبظاهره حرة سوداء ووعر...، وجبل أحد شماليها، وهو جبل مال إلى الحمرة، وليس بمفرط في العلو» [٢].

وفيما يلي تقديم للجبال التي وصفوها: –

١ – جبل مفرِّح.

وهو أول جبال المدينة المنورة من جهة الجنوب يصل إليه القادم من جهة مكة فيسارع بالصعود عليه ليرى المدينة المنورة بأسوارها وقباب ومآذن مساجدها، ذكره الرحالة وحددوا موضعه والمسافة بينه وبين المسجد النبوي من جهة والبيداء التي تفصله عن ذي الحليفة[٣]، يستبشر الزوار عند الوصول إليه ويسارعون في الصعود عليه لارتفاعه فيناظرون المدينة من فوق قمته، وتكتحل عيونهم برؤيتها وبالرغم من وعورته وصعوبة ارتقائه إلا إنهم حرصوا على ذلك ليبردوا نار الشوق لمنازل الحبيب صلى الله عليه وسلم[٤]، يقول العياشي: «وأول مكان ترى منه قبابها وأسوارها، وتشاهد منه بالبصر

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٧، ٤٢٣.

(٢) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ص ٣٧٤ – ٣٧٥.

(٣) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٦، أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي ت ٨٩١ هـ: رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج، تونس، ١٩٧٨م، ص ١٤٤.

(٤) لاحظ بعض الرحالة الأجانب هذا الشعور الذي يسيطر على أحاسيس المسلم عند رؤية المدينة المنورة لأول وهلة من فوق هذا الجبل بعد عناء رحلته البرية الطويلة من مكة المكرمة يقول الرحالة البريطاني جون فراير كين: يا له من منظر للحاج القادم من مكة المنهك تعباً وإعياءً=

والبصيرة أنوارها، الجبل المسمى بمفرِّح إذ لا يبقى بعد الصعود إليه همٌّ مبرح، فتسارع الناس عند الدنو منه وصعوده، وتباشروا برؤية منزل الرسول وشهوده، فلم يتخلف عن الصعود إليه إلا من لا قدرة له عليه».

ثم أورد فيه قصيدة طويلة كان مما قال فيها:

هــذا مُـفَرِّح كاسمه وكــأنــه ... ياقــوتة رُشَّــتْ بذائـــب عــبير
وأمامه البيـــداء يسطع نورُها ... لبــصائرِ الــزوَّار هــل من مـبصر؟
وعلى يميــنك قد بدا (عِيْرٌ) يُرَى ... بالقُرْبِ كالثورِ العقير الأعْفَرِ
وأنخْ رِكــابَك بـ (المُقَدَّس) إنه ... لَمُبـــارِكٌ، وبمائـــه فـتـطـهَّرِ
واحْدُ الركابِ مع (العقيق) [1] مُنَعِّمًا ... عينيك في ذاك المكان النَّير
يا حَـبَّذا (أُحُـدٌ) نــرَاهُ يُحِبُّنَا ... ونُـحِـبُّهُ، جـبلٌ جـمــيلُ المنْظَرِ
فكأنَّما هُوَ حُلَّةٌ من عَسْجَدٍ ... صُبِغَت جــوانبُها بمِسك أَذْفَر»[2].

=بأن يرى تلك الجوهرة المشرقة في وسط الصحراء الواسعة القاحلة، لقد كان ذلك المشهد بمثابة تناغم رائع لقطعة نادرة من لآلئ وأحجار كريمة... إلخ. جون فراير كين (الحاج محمد أمين): ستة أشهر في الحجاز، رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام ١٨٧٧ – ١٨٧٨م، ترجمة: إنعام أيبش، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٢١٥.

(١) العقيق: بفتح أوله وكسر ثانيه وقافين بينهما مثناة تحتية وادي عظيم بناحية المدينة المنورة يبلغ طوله حوالي ١٥٠كم يسمى أعلاه النقيع، وأوسطه الحساء، وآخره عند ذي الحليفة عقيق المدينة، فيه عيون وتنتشر البساتين والقصور والمنازل على جانبيه وله شهرة في التاريخ كما حظي بمكانة خاصة عند الشعراء، وقيل هما عقيقان: الأكبر منهما مما يلي الحرة والأصغر ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العرصة، وسمي العقيق عقيقاً لأن ماءه عق في الحرة أي شق وقطع. محمد بن إبراهيم الجندي اليمني ت ٣٠٨هـ: فضائل المدينة، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٣٦؛ العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٧، ٤١٨؛ محمد صالح البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٦٩ – ٣٧١؛ الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٢٧/١٢.

ووصف النابلسي زحام الناس عند صعوده في منافسة محمودة للوصول إلى نقطة ترى فيها أعينهم أنوار المدينة المنورة بقوله: «وكانت ساعة مهولة بازدحام الجمال والأحمال الثقال»[١].

٢- جبل سَلْع.

وأما جبل سَلْع[٢] فهو جبل كبير شامخ يقع في الشمال الغربي للمدينة المنورة وصف الرحالة لون أحجاره بالسواد، وتكلموا عما به من آثار ومساجد أولها مسجد الفتح[٣] الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، ودعا فيه على الأحزاب فاستجيب له وهو المرتفع على قطعة من الجبل في المغرب يصعد إليه بدرجتين، ويقال له مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى[٤]، واجتهدوا في تحديد الموضع الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الجبل، كما يشتمل جبل سلع على ثلاثة مساجد أخري أحدها منسوب لسلمان الفارسي والثاني إلى علي بن أبي طالب،

---

(١) النابلسي: عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ): الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م، ٤٧٨.

(٢) سلع: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة وفي لغة بكسر أوله، جبل كان متصلاً بالمدينة المنورة من جهة بلاد الشام لكنه اليوم دخل في عمرانها وفي الجنوب الغربي من تقع المساجد السبع ومها مسجد الفتح. محمد بن محمد حسن شُرَّاب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، دمشق– بيروت، ١٤١١ هـ /١٩٩١م، ص ١٤٣.

(٣) مسجد الفتح ويسمى مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى وسبب تسميته بمسجد الفتح لأن الله قد استجاب لدعاء نبيه ﷺ بهزيمة الأحزاب التي تعتبر فتحاً مبيناً؛ ومجموع المساجد الموجودة الآن في تلك الساحة تعرف بمساجد الفتح، أو السبع مساجد. علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ، ٣/ ٤٢٣٩؛ عبد الغني: محمد إلياس، المساجد الأثرية في المدينة النبوية، ط:٢، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٣١.

(٤) الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٣١/١٢.

والأخير مسجد أبي بكر وهو أصغرها ويقع في أسفل الجبل وقد تم تجديده أكثر من مرة، وعند باب مسجد علي المذكور توجد بركة ماء ينزل إليها بدرج [١].

وتبدو أهمية سَلْع لقربه من المدينة المنورة واتصاله بها[٢]، وكان القادمون ينزلون بسفحه وينصبون خيامهم ثم يتطهرون استعدادًا للزيارة[٣]، وأما انتفاع أهل المدينة وزوارها بموقعه وشموخه، فقد كانوا يخرجون إليه ويصعدون فوق درجاته في الكثير من المناسبات لا لزيارة المساجد والآثار التي يضمها فحسب؛ بل بقصد التنزه والتفرج ومشاهدة المسجد النبوي وما حوله من البيوت، وتزداد الاحتفالات بسفح الجبل في ليلة النصف من شعبان يخرج الناس إليه بالخيام والأطعمة فيبيتون عنده في زحام شديد على عادتهم في الخروج [٤].

ومن مصادر الماء الموجودة في جبل سَلْع ماجل ماء ينزل إليه بدرج عند باب مسجد علي رضي الله عنه، ومنها مجرى سائلة تسيل من موضع قريب من شعب بني حرام إلى بطحان[٥].

كما اكتسب الجبل أهميته لما فيه من الآثار النبوية مثل: «كهف سَلْع، أو غار بني حرام أو مسجد النبي الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت فيه ليالي الخندق؛ وفي فترة الدراسة بنيت عليه قبة يحملها أربع أعمدة بالحجر ترتفع كقدر

---

(١) محمد أمحزون: المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١١٧، النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٤٠٢.

(٢) جار الله، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق. د/ أحمد عبد التواب عوض، منشورات دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٧٨.

(٣) محمد بن عبد الوهاب المكناسي: إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م)، تحقيق: محمد بوكبوط، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٨.

(٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩١ – ٣٩٣.

(٥) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٣، ٢٤.

قامة الإنسان المعتدل، وفي جهته الغربية فتحة في أسفل البناء مساوية لسطح الأرض، لكن بناء المسجد تهدم ولم يبق منه إلا أساسه وبعض آثار من أساطينه وأعمدته، وموضعه على يمين المتجه من المدينة المنورة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية في مقابل الحديقة الكائنة على يمين الصاعد عليه بقرب شعب بني حرام وهو شعب متسع فيه آثار مساكنهم ومسجدهم الكبير» [١] .

٣- جبل ذباب:

يقع جبل ذباب[٢] أو **ذي باب** على بعد كيلين شمال المسجد النبوي جهة بلاد الشام، يفصل بينه وبين جبل سَلْع ثنية الوداع الشامية قال عنه العياشي: «وهو جبل صغير قريب من سَلْع يقع شرقيه مجاور لثنية الوداع على يسار الداخل للمدينة من جهة بلاد الشام وفيه مسجد الراية»[٣]، فحدد بذلك حجمه، وموقعه، وأهميته بما اشتمل عليه من معالم تاريخية أهمها مسجد الراية، وهذه المعلومات بجملتها نقلها العياشي عن السمهودي[٤]، ثم نقلها نصاً من جاء بعده[٥].

---

(١) أكد كل من العياشي والنابلسي أن أثر مسجد بني حرام في جبل سلع لم يزل باقياً في أسفل الوادي حتى زمانهما إلا أنه لا سقف عليه. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٣٩٣/١؛ النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٤٠٢؛ محمد كبريت: الجواهر الثمينة...، مصدر سابق، ص ١٣٣؛ خالد بن علي بن حسين صباغ: الإصابة في معرفة مساجد طابة، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، ص١٧١، إبراهيم عباس المدني (ت ١٣٠٠هـ): المناهل الصافية العذبة في بيان ما خفي من مساجد طيبة، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٥٩.

(٢) ذُبَاب بالضم أو ذِباب بالكسر لغتان عند أهل المدينة، وهو جبل صغير على يمين الطالع من طريق سلطانة أسفل الثنية خلف محطة الزغيبي. الزمخشري: الجبال والأمكنة...، مصدر سابق، ص١٣٦؛ الفيروز آبادي: المغانم المطابة...، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة...، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٥.

(٤) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مصدر سابق، ٣/ ٤٩.

(٥) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٤٩١؛ الفاسي: أبو عبد الله محمد بن الطيب، رحله الفاسي ١١٣٩هـ "مخطوطة" بقسم المخطوطات في المكتبة المركزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، وهو نسخة عن الأصل الموجود في دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة، تحت رقم ١٤٠٣ تاريخ تيمور، لوحة ١١٠/ أ.

٤- جبل عير:

جبل أسود كبير يقع جنوب المدينة على بعد خمسة أكيال قرب ميقات ذي الحليفة[١] حدد الرحالة مكانه في ناحية مكة المكرمة على يسار الخارج من الميقات وعلى اليمين الداخل، وهو حصن للمدينة المنورة من هذه الجهة، كما إن جبل أحد حصنها من جهة بلاد الشام [٢].

٥- جبل أُحد:

ويعد جبل أُحد أهم الجبال التي تكلم عنها هؤلاء الرحالة ووقفوا عندها كثيرًا وأسهبوا في تفصيلاتها، فهو أهم المعالم الطبيعية في المدينة المنورة، يقع في الجهة الشمالية منها ويبعد عن الحرم النبوي بحوالي سبعة أميال تقريباً على حسب تحديد العياشي[٣] ويمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، ويبلغ طوله حوالي ٧ كم وعرضه ٣ كم وأما ارتفاعه فيصل إلى ٣٥٠ متراً ، وفي شماله الغربي يقع جبل ثور حد حرم المدينة من جهة الشمال، وفي جنوبه جبل الرماة، وعند سفحه الجنوبي تقع مقبرة الشهداء التي دفن فيه شهداء غزوة أحد ومعهم سيدهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه[٤].

---

(١) محمد أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١٣٥.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢.

(٣) بينما حدد الحضيكي المسافة بين شهداء أحد وجوف المدينة بميلين فقط، ويجب هنا أن يلاحظ القارء الكريم أن الأول حدد المسافة من المسجد النبوي وهو ثابت في مكانه بينما حدد الأخير من عمران المدينة المنورة وهو في تمدد مستمر لا سيما من الجهة الشمالية التي يقع فيها الجبل المذكور فكلما امتد العمران قلت المسافة بين المدينة والجبل يبدو ذلك واضحاً إذا علمنا أن كلام الحضيكي كان في عام (١١٥٢هـ - ١٧٣٩م)، بينما سبقه العياشي بحوالي سبعين سنة حيث كانت رحلته في عام (١٠٧٣هـ - ١٦٦١م). العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٣.

(٤) السيد محمد بيرم الخامس التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار، المكتبة الإعلامية، بمصر، ١٣٠٣هـ، ٤/١٤٤؛ عبد الرحيم بن فرغلي بن سعيد فرغلي: النباتات البرية في جبل أحد، مطبوعات مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ، ص ١٦.

وهو مرتفع شامخ يراه الناس من أي مكان في المدينة إذا نظر إلى جهة الشمال[١]، حاز النصيب الأكبر من عناية الرحالة والمؤرخين فوصفوه، وجعلوه في مقدمة المعالم التي ينبغي أن يزورها الحاج بنفسه ورغبوا القارئ في هذه الزيارة وعقد أغلبهم فصلاً كاملاً عنه بجمع ما صح من الأحاديث النبوية في فضله[٢] وفي وجوب حبه على كل مؤمن ومؤمنة[٣].

ثم وصفوا طبيعته الجيولوجية بأنه: «جبل جرانيت أحمر دكك ليس له شناخب»[٤] مكسو بقليل من السواد يشكل في عمومه سلسلة جبلية متصلة ذات قمم متعددة متلاصقة فيحسبه الناظر واحدًا قائمًا بذاته غير متصل بغيره ، قال العياشي: «سمي أحد لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك»[٥] وهو محاط بالسهول والأودية من كل جهاته، تشتمل تربته على منفرجات ونقر، طبيعية صخرية صمَّة تحتفظ بماء المطر المنحدرة من مجموع أعالي الجبل قل ما تخلو منها المياة، وجد بها الرحالة ماءً كثيرًا في فصل الربيع شربوا منه وتوضأوا[٦].

وأكدوا على ارتفاعه وإن لم يحدد بعضهم مقاسًا رقميًا لذلك إلا إن الإشارات الواردة في مدوناتهم تؤكد على وعورته وارتفاعه بصورة يستحيل معها ارتقاؤه على

---

(١) سعود بن عبد المحيي الصاعدي، يوسف بن مطر المحمدي: أُحُد، الآثار – المعركة – التحقيقات، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ١١.

(٢) كتب العياشي عن فضله وعنون الإسحاقي فصلاً في ذكر فضل جبل أحد في الصحيحين وغيرهما. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠١؛ الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٣٨٩.

(٣) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٣٧٤.

(٤) دكدك يعني أن قمته غير صخرية، بل كأنه كثيب رمل، والشناخب هي قمم الجبال ورؤوسها الصلبة. الزمخشري: الجبال والأمكنة...، مصدر سابق، ص ص٢٨، ٢٩.

(٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٢.

(٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥؛ عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ص ١٩٧.

السقيم ويصعب جدًّا على الصحيح: «فحصل لنا من التعب ما لم نر مثله قبله ولا بعده، لكن حلاوة منظر المدينة البهي وجمالها السمي ينسي الزائرين هذه المشقة»[١].

ومن بين المعلومات الجيولوجية كلامهم عن الكهوف والتجاويف أو الشعاب التي تنتشر في أماكن مختلفة منه وهي تتفاوت من حيث سعتها وأحجامها، من ذلك وصفهم لغار بأصل الجبل شمال المسجد الذي استراح فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء المعركة، يدعي البعض أنه الغار الذي احتمى فيه النبي صلى الله عليه وسلم خلال الغزوة، إلا إن العياشي أنكر ذلك ونفاه[٢].

ويتوافق كلامه مع ما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقال الناس الغار، إنما كان تحت المُهراس»[٣].

كما يؤيد كلامه الكشف الأثري الذي أثبت أن مساحة الغار صغيرة لا تتجاوز المتر في المترين فقط وأرضه صخرية غير مستوية لا تسمح لمن يدخله أن يستقر فيه[٤].

وعلى الرغم من ندرة النبات على جبل أحد إلا إنه لم يخل منه تمامًا لا سيما في أوقات نزول المطر الذي ينبت فيه النبت حول المُهاريس، حيث ذكر العياشي أنه أخذ من نبات الجبل وأزهاره – فما ليس داخلاً في حد الحرم الذي لا يقطع نباته – فأكل منها هو وأصحابه وحملوا معهم إلى بلادهم[٥].

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(٣) الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٣٣/١٢، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ٤/ ٢٦٩.

(٤) سعود الصاعدي، يوسف المحمدي: أُحُد، مرجع سابق، ص١٨.

(٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦.

ومن معالم أُحد «**المهاريس**» وهي عبارة عن تجاويف أرضها صخرية تمسك مياه المطر وتحفظه أغلب شهور السنة وذلك في مواسم اعتدال الأمطار؛ لأنها مستورة من أشعة الشمس تحميها حواف الجبل المرتفعة التي تحصرها بين شقوقها وتكون عند هطول الأمطار عميقة ونقية وتكثر النباتات من حولها وتكسو المواضع القريبة منها في الجبل بالخضرة فتعطيها بهجة ونضارة[١]، وقد وصف العياشي أَحد هذه المهاريس التي شاهدها في إحدى زياراته للجبل المذكور بقوله: «**المُهراس**، وهو موضع في أعلى شعب هارون عند مضيقه من حيث يشرع الناس في الصعود، وهو عبارة عن خزانات منقورة في الجبل بين صخور عظيمة يجتمع فيها المطر وينتفع بها الزائرون في الشراب والوضوء»[٢].

ومن مصادر الماء في منطقة جبل أحد سبيل عمَّره الوزير سنان باشا[٣] وهو سبيل كبير مسقوف وعليه صُفَّة كبيرة واسعة يجتمع فيه الماء ويشرب منه الناس خارج قبور الشهداء، وهو قريب من مصاطب لأكابر أهل المدينة وعلمائها وأعيانها يجلسون عليها في المناسبات كل واحد له مصطبة معلومة[٤].

ولا يظهر فارق كبير بين ما ذكره الرحالة في فترة الدراسة وبين ما هو موجود في كتابات المتأخرين الأمر الذي يؤكد على دقتهم وبراعتهم في وصف دقائق الطبيعة.

---

(١) عبد الرحيم فرغلي: النباتات البرية في جبل أحد، مرجع سابق، ص ص ٢٠، ٢١؛ سعود الصاعدي، يوسف المحمدي: أُحُد، مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٥.

(٣) سنان باشا وزير عثماني من أصل ألباني تولى منصب الصدر الأعظم مرتين عهد السلطان مراد الثالث عزل في الأولى سنة ٩٩٠هـ وفي الثانية ٩٩٩هـ. وتولى حكم مصر سنة ١٥٦٩م وله كثير من الأعمال الخيرية في مصر وبلاد الحجاز، توفي سنة ١٠٠٤هـ. الشيخ عبد الله الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٨٥.

(٤) النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ص ٤٠٠، ٤٠١.

ثم تكلموا عن الآثار والمعالم القديمة التي يشتمل عليها جبل أحد ومنها شِعْب فيه قبر عليه قُبَّة عبارة عن غرفة لها أربعة جدران مكشوفة من غير سقف وبجانبها الغربي صهريج ماء يزعمون أن هارون عليه السلام مات دفن فيها[١]، وفي شِعْب هارون المذكور بناء مسجد قديم بجواره موضع لتجميع ماء المطر يأوي إليه الفقراء وقد شاهده العياشي بنفسه ووصف موضعه في قمة الجبل في مكان عالٍ مشرف على المدينة وما حولها من البقاع، خاصة في فصل الربيع، حيث مناسبة الأجواء، وهناك من يستثمر وجوده في هذا الموضع، فيقوم للصلاة ويتلذذ بالعبادة، حيث يجتمع له هناك ما لا يوجد في غيره فمستقبل القبلة من شعب هارون يكون الحرم النبوي بين يدية والقبة الشريفة أمام عينيه، وبقاع المدينة المشرفة كلها تلقاءه ومكة تجاهه، حتى إنه ليخيل له أنه مشرف على الحرمين الشريفين وما بينهما وما فيهما من الأماكن المشرفة[٢].

ووصفوا بعض المعالم الباقية من غزوة أحد لا سيما مقبرة الشهداء وما فيها من قبور مثل: مقبرة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وهو مع بقية الشهداء في ساحة واحدة متقاربون، وحاول الرحالة أن يحددوا مكان هذا القبر مستأنسين بما نقلوه عن المؤرخ ابن شبة عن الأعرج من أن حمزة «لما قتل أقام في موضعه تحت الجبل الصغير الأحمر الكائن ببطن الوادي إلى الربوة التي هو بها اليوم»[٣].

ومن معالم السيرة النبوية تحت المُهراس قليلاً موضع الصخرة التي نهض النبي صلى الله عليه وسلم ليعلوها وجلس طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه تحته [٤].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (ت ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م): الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للنشر والطبع، الطبعة الأولى، الرباط، المملكة المغربية، ٢٠١٣م، ٦١١/٢؛ أحمد ياسين الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ط:٤، دار العلم، جدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٢٢.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٣– ٤٠٥.

(٣) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص ٣٨٨.

(٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦.

ومنها موضع منقور على قدر رأس إنسان في أسفل الجبل من جهة القبلة يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحت الصخرة التي تحته[١].

وهناك آثار باقية لبعض المساجد النبوية منها المسجد الذي يسميه الناس «**الفَسْح**»[٢]، ويقولون: إن فيه نزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ»[٣]، ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعدما انتهى القتال، وهو مسجد متهدم صغير ملاصق لأحد من أسفله على يمين الذاهب في طرف الشعب المؤدي **للمُهراس**[٤]، وفي البيداء بين مسجد الفَسْح ومقبرة الشهداء آثار مسجد آخر صغير مبني بالحجارة المنحوتة من صخور الجبل مرتفع عن الأرض أقل من قامة الإنسان غير مسقوف ولا مرتفع الحيطان يعرف بمسجد «**الثنيَّة**»، يقال إن فيه كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم[٥]، ومن المساجد التي تزار في محيط جبل أحد «مسجد سورة البقرة»[٦]، ومسجد

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت ١١٨٩هـ): الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، سلسلة كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات ٣، الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط، الطبعة الأولى، المملكة المغربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ١٦٨.

(٢) يسمى مسجد أُحد والفسح والفسيح يبعد عن الجبل بحوالي ١٠٠ متر، وكان بناؤه عثمانيًّا مرتفعًا على طرف الجبل وغير مسقوف، مجصص على شكل مربع. عبد الغني: المساجد الأثرية، مرجع سابق، ص ١٥٢؛ أحمد الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة...، مر جع سابق، ص ص١٣٧، ١٣٨.

(٣) سورة المجادلة: أية ١١.

(٤) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٨٨.

(٥) الرحلة العياشية:١، /٤٠٦، ابن الطيب الفاسي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ١٠٩/ب.

(٦) نزلت فيه سورة البقرة على ما نقله البعض، ابن عبد القادر الفاسي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٨٢/أ.

في ركن جبل «عينين» الشرقي[١]، على قطعة من الجبل يقال هو المكان الذي طعن فيه حمزة رضي الله عنه[٢]، ومسجد «**رومة**» القريب من أُحُد[٣].

وآخر هذه المساجد مسجد «**الوادي**» على شفير الجبل[٤] جهة الشام من جبل عينين على الطرف الشرقي منه، قريب من المسجد السابق، يقال إنه مصرع حمزة رضي الله عنه وأنه مشى بطعنته من الموضع الأول إلى هذا المكان فصرع عنده[٥].

كما وصف الرحالة جبل «الرماة» أو «عينين» كما سماه بعضهم، حيث حدد العياشي موضعه في جهة القبلة للواقف عند شهداء أحد يعني في الجهة الجنوبية منها ومن جبل أحد وذكر أنه الجبل الذي وقف عليه الرماة يوم المعركة[٦]، وذكر الإسحاقي حجمه الذي عبر عنه بالجبل الصغير[٧]، وطبيعة تربته ذات اللون الأحمر ومحله في الجنوب من أحد فهو يقع ببطن الوادي[٨].

والعياشي يضيف بعدًا جديدًا في تاريخ منطقة أحد وما حوله من مقبرة الشهداء خلال تلك الفترة إذ يذكر عادة أهل المدينة بإقامة بعض الاحتفالات الأسبوعية أو السنوية حول ساحته فأما الزيارة الأسبوعية فتكون كل يوم خميس وربما

---

(١) يقع في جهته الجنوبية من أحد يفصل بينهما الوادي وهو الذي وقف عله الرماة أثناء المعركة. الزمخشري: الجبال والأمكنة...، ص٢٣٩.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٤.

(٣) ابن عبد القادر الفاسي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ١١٠/أ.

(٤) يقصد وادي قناة وهو في الموضع الذي طعن فيه حمزة رضي الله عنه ثم مشى بطعنته حتى موضع قبره الأول. أحمد الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة...، مر جع سابق، ص ١٣٥.

(٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٧.

(٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٠٦.

(٧) يتبين صغر حجم هذا الجبل إذا قيس بجبل أحد المجاور له، لكنه كان كبير الحجم وقتها ثم تصاغر حجمه في العصر الحديث بسبب عوامل التعرية وبسبب الارتفاع المستمر في الساحات من حوله لتستوعب عدد السيارات والحافلات التي تنقل الزائرين الأمر الذي جعل الجبل يبدو أصغر من حجمه الطبيعي. سعود الصاعدي، يوسف المحمدي: أُحُد، مرجع سابق، ص٣٢.

(٨) الإسحاقي: الرحلة، مصدر سابق، ص٣٨٨.

باتوا هناك ليلته حيث يأتي القيِّم على المكان ويفتح لهم باب المشهد بهذه المناسبة ثم يغلقه بقية الأيام[١].

ولأهل المدينة المنورة موسم كبير في شهر رجب[٢] من كل عام يحتفلون فيه عند أحد، بل يأتي الناس إليه من كل الحجاز ومن اليمن، ويخرج أهل المدينة بأولادهم ونسائهم معهم الخيام والمضارب، ويخرج الأمراء العساكر، وينصبون الأسواق من بداية الشهر ويتلاحق الناس كل على قدر حاله حتى يكتملون في الثاني عشر من الشهر، وهو اليوم المشهود عندهم فلا يبقى بالمدينة إلا أهل الأعذار ويحصل في هذه الليلة من مظاهر الاحتفال الشيء العظيم[٣].

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦؛ الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٧.

(٢) ولا شك أن هذه الاحتفالات من البدع المذمومة فضلاً عما تشتمل عليه من المخالفات، الأمر الذي أنكره فقهاء المدينة في تلك الفترة كما ذكر الرحالة نفسه لما يحصل اللهو والترف مع مداومة الناس عليها وتشبيههم لها بالحج في الهيئة واعتقاد القربة واعتياد وقت محدد في السنة، وغير ذلك من الأمور التي لا توافق ظاهر النصوص الشرعية. العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٨.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٦.

المبحث الثالث: حرات المدينة المنورة في كتابات الرحالة:

تكتنف المدينة المنورة الحرار[١] من كل جهاتها ما عدا الجهة الشمالية، وهي بمثابة حصون طبيعية لها وأشهرها حرتان أو لابتان هما الحرة الشرقية وتسمى حرة واقم[٢]، والحرة الغربية وتسمى حرة الوبرة[٣].

وعلى كلٍ فقد تكلم الرحالة عنهما وبينوا أن المدينة تميزت بهما فمن أسمائها ذات الحرار وهي أرض ذات حجارة نخرة سوداء[٤]، لكن وصف الحرات في كتب الرحلات العربية كان مقتضبًا فلم يفردها واحد منهم بوصف طبيعي كامل مثل الجبال على اعتبار عدم جدوى ذلك بالنسبة للحجاج والزائرين إلا إن تكون في طريقهم أو تشتمل واحدة منهما على معلم تاريخي أو أثر يزورونه ضمن الزيارات.

أ- الحرة الشرقية (واقم):

تبعد الحرة الشرقية عن المسجد النبوي بحولي كيلين، وقد وصف الرحالة طبيعة أحجارها البركانية السوداء على خلاف الحرة الغربية[٥]، ثم صرفوا اهتمامهم لبيان ما بها من معالم وآثار ومساجد مثل: «مسجد بني قريظة» الذي حدد العياشي موضعه ووصف ما يشتمل عليه من معالم وآثار بقوله: «قرب حرتهم الشرقية على

---

(١) الحرار أو الحرات جمع حرة وهي أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار. الزمخشري: الجبال والأمكنة...، مصدر سابق، ص ٩٦؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة...، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٢) إحدى حرتي المدينة المنورة وهي الشرقية منهما، سميت برجل نزلها من العماليق اسمه واقم كان نزلها في الزمن الأول. الزمخشري: الجبال والأمكنة...، مصدر سابق، ص ٩٦؛ الفيروز آبادي: المغانم المطابة...، مصدر سابق، ص ١١٢.

(٣) محمد صالح البلهيشي: المدينة.. اليوم، المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر الهجري، غرة المحرم ١٤٠١هـ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط ١، ١٤٠٢هـ، ص ٣٣.

(٣) حرة الوَبَرَة: بالتحريك وجوّز بعضهم سكون الباء. الفيروز آبادي: المغانم المطابة...، مصدر سابق، ص ١١٤؛ البلهيشي: المدينة..، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٤) النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٣٣٩.

(٥) محمد أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١٢٥، صالح بن مده الجدعاني: المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٥/ ٢٠١٤م، ص ٤٤٧.

باب حديقة هناك، وعنده خراب أبيات شمالي الحديقة من دور بني قريظة...، وهذا المسجد كبير عليه حظيرة من حجارة قريب من القامة، وفي زاويته الغربية دكة كبيرة هي في موضع منار المسجد قبل انهدامه»[١]، وآثاره باقية في منطقة العوالي قريب من «مشربة إم إبراهيم»[٢] شمالي المسجد المذكور وكانت في بستان للنبي ﷺ أسكن فيه «مارية القبطية» وكان يختلف إليها ويصلي عندها حتى ولدت له ابنه إبراهيم في هذا المكان من الحرة الشرقة[٣]، بموضع يعرف «المدشت»[٤] أو الدشت بين نخيل لبعض الأشراف القواسم، ثم تحول هذا الموضع الذي كان يصلى فيه إلى مسجد يحمل اسم هذه المشربة[٥].

ومن مساجد الحرة الشرقية «مسجد بني ظفر» شرقي البقيع بطرف الحرة المذكورة من جهة المسجد النبوي، وعنده آثار ومعالم من جهة القبلة يقال إنها أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم ولذا يعرف هذا المسجد باسم «مسجد البغلة» وهو لبني ظفر من الأوس، وهناك أيضاً أثرٌ على حجر كأنه أثر مرفق ذرعه إحدى

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٨٩.

(٢) المشربة بفتح الميم هي الغرفة المرتفعة وقيل هي البستان أو الأرض اللينة الصالحة للزراعة، والظاهر أنها عُليَّة في بستان، وأم إبراهيم هي مارية القبطية كان النبي ﷺ أنزلها هناك في بستان له وكان يختلف إليها ويصلي عندها حتى ولدت له ابنه إبراهيم فيه وهي اليوم محاطة بسور من الإسمنت وحولها مقبرة معروفة في العوالي. أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي: معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٨٣/١؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة...، مرجع سابق، ص ٢٧٦؛ أحمد الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) الزبير بن بكار: الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، تحقيق: سكينة الشهابي، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٥٨؛ العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٠؛ الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٠؛ حمد الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٣٠/١٢.

(٤) الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٢.

(٥) إبراهيم المدني: المناهل الصافية العذبة، مصدر سابق، ص ص ٦٣، ٦٦؛ خالد صباغ: الإصابة في معرفة مساجد طابة، مرجع سابق، ١٤٢١هـ، ص ١٠٧.

وعشرين ذراعاً طولاً في مثلها عرضاً، يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ ووضع مرفقه الشريف عليه فلان له الحجر، وعلى حجر آخر أثر موضع أصابع نسبوها للنبي صلى الله عليه وسلم(١).

وعند كلامه عن جبل أحد وفي طريقهم إليه لزيارة الشهداء ذكر مرورهم بالحرَّة وأنها متاخمة مباشرة للساحة التي ضمت قبورهم: «فإذا تدلينا منها فإذا قبور الشهداء»(٢).

وكذلك وصف ما بها من مصادر ماء الشرب، فعند حديثه عن العين الزرقاء ومناهلها(٣) ذكر العياشي: «أنها بئر كبيرة ... لها بناء متقن يهبط إليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء متقنة الوصف واسعة الممشى، منها يستقي أهل المدينة كلهم لشربهم، وماؤها موزع على الأحياء من خلال أسراب وجداول تحت الأرض، من جداولها منهل في الحرة الشرقية شرقي المسجد ومنها تملأ كل الأسبلة الموقوفة بالمدينة والدوارق التي توضع في الحرم الشريف، وهي موضع عناية السلطنة عليها أوقاف وتأتيها جرايات، وعليها أمير وله خدام يتفقد أحوالها»(٤).

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٠؛ الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٠؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٧١؛ محمد كبريت: الجواهر الثمينة...، مصدر سابق، ص ٢٠٥.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٦٩.

(٣) تنسب إلى الأزرق مروان بن الحكم الذي أجراها في ولايته على المدينة من قبل معاوية رضي الله عنه، أصل منبعها بئر كبير في حديقة قريبة من بئر أريس غربي مسجد قباء تجرى حتى المصلى وعليها قبة كبيرة يخرج منها الماء في جهتين قبلي وشمالي، ثم أوصلوها إلى منافذ أخرى عبر جداول كانت تعرف بالمناهل منها واحد عند باب السلام وثاني قبالة القلعة وثالث عند البقيع وغيرها. محمد بن عبد الله الموسوي (الشهير بكبريت ١٠١٢ – ١٠٧٠هـ): رحلة الشتاء والصيف، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، بيروت ١٣٨٥هـ، ص ص ١٠٤، ١٠٥، النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٣٣٣؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة...، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٤) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٧.

كما تحدث ابن الطيب الفاسي عن هذا المنهل مع تحديد أكثر لموقعه شرقي المسجد النبوي بينه وبين باب البقيع في المكان المسمَّى الآن بالحرَّة يقصد الشرقية[١]. وفي خضم كلامه عن الركب العراقي ذكر أنهم يمكثون في المدينة قليلاً ولا يتأتى من ورائهم نفع بل يسأم الناس منهم بسبب ما تفسده أبلهم من بساتين ونخيل عندما تسرح لترعى بناحية الحرة الشرقية إلى قريب من أُحد وإلى «الغابة»، فيفسدون صغار النخيل وضعيف الشجر[٢].

ومن الحرة الشرقية يأتي «وادي بطحان» أحد أودية المدينة الكبرى الرئيسة، فيشقها من وسطها متجهاً من الجنوب إلى الشمال مروراً بمنطقة «العوالي»[٣] إلى قرب المسجد النبوي، حتى يلتقي مع «العقيق»[٤].

قال عنه العياشي: «وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة، وبيوت الأنصار على حافتيه شرقاً وغرباً وهو يمر من شرقي قباء ويصل إلى غربي سور المدينة[٥] إلى طريق المُصَلَّى حتى يخرج غربي جبل سَلْع قرب مساجد الفتح ثم يرم إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجتمع الأسيال»[٦].

---

(١) ابن الطيب الفاسي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ١١٠/ أ.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤٣٤.

(٣) العوالي: هي مجموعة الحدائق الكبيرة المعروفة تاريخيًّا بالعالية وسميت بذلك لعلو موقعها بالنسبة للمدينة وتقابلها السافلة. الأنصاري: آثار المدينة...، مصدر سابق، ص ٢٣٦.

(٤) شُرَّاب: المعالم الأثيرة...، مرجع سابق، ص ١٤٩.

(٥) كانت المدينة المنورة محاطة بسور عليه أربعة أبواب، جدده السلطان سليمان بن سليم الأول سنة ٩٤٦هـ وعمل القلعة، وأبوابه تحمل أسماء البلاد والأماكن المواجهة لكل منها، فالباب الغربي يسمى باب المصري وينفذ منه إلى المناخة التي تتيخ فيها إبل القوافل القادمة من مصر وجهتها، والباب الشمالي يسمى الباب الشامي الكبير ينفذ منه لطريق الجرف المؤدي إلى جهة بلاد الشام، والباب الشرقي يسمى باب البقيع أو باب الجمعة وينفذ منه إلى البقيع، والباب القبلي ويسمى باب الشامي الصغير وينفذ إلى المناخة أيضاً، وأما القلعة المذكورة فكانت في طرف السور الغربي الشمالي بين بابي الشامي الكبير والصغير. النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٣٤٣؛ جعفر بن إسماعيل البرزنجي المدني: تاريخ المسجد النبوي المسمى، نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، مطبعة الجمالية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م، ص ص٨٠-٨١؛ البلهيشي: المدينة..، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٩.

كما وصف بعض الحدائق الموجودة في الحرة الشرقية مثل حديقة «**بئر العهن**»[١]، التي عرفت باسم البئر التي يرويها وهي موجود شرقي مسجد قباء قرب الحرة الشرقية[٢] والحديقة المذكورة حديقة كبيرة منظمة تشتمل على نخيل وأشجار السدر وغير ذلك من الزراعات التي تسقى بماء البئر ولا تزال بقايا خرائب دور بني قريظة وآطامهم باقية شمالي الحديقة [٣].

ب– الحرة الغربية (الوبرة):

تقع حرة الوبرة بضاحية المدينة الغربية وتطل على وادي العقيق، وهي أقرب إلى المدينة من حرة واقم وتتميز بكثرة ما بها من هضاب ومستنقعات ومرتفعات ومنخفضات[٤]، كتب عنها الرحالة –وإن لم يكن بشكل مباشر– وحددوا مكان نهايتها مع بداية وداي العقيق على بعد ميلين من جهة الغرب[٥].

وأثناء دخول العياشي المدينة المنورة من جهة مكة المكرمة وبعدما تجاوز ذا الحليفة عند العصر انطلق مسرعًا في وادي العقيق حتى وصل ومن معه الحرَّة الغربية مع الغروب، ولم ينزلوا بركابهم رغبة في دخول المدينة المنورة فدخلوها من باب البقيع[٦].

---

(١) العِهْن بكسر فسكون ومعناه الصوف الملون، وسماها النبي صلى الله عليه وسلم اليسيرة من اليسر ضد العسر الذي كان يطلق عليها أولاً، وهي بئر مليحة منقورة في الجبل ومكانها مشهور في منطقة العوالي. الدرعي: الرحلة الناصرية،٢/٣٩.

(٢) الفاسي: محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢/٤٤٥؛ ابن الضياء: محمد بن أحمد، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٣٠١؛ أحمد الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص١٤٦.

(٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز...، مصدر سابق، ص ٣٦٥، العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٨٩، ٣٩٠؛ أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٤) الأنصاري: آثار المدينة...، مصدر سابق، ص ٢١٢؛ شُرَّاب: المعالم الأثيرة.، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٥) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٤١٧، ٤١٨.

(٦) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٧١.

وبهذه الحرة الغربية «المدرج» أو «ثنية الوداع» التي دخل منها ابن ناصر المدينة المنورة وتلقاه أصدقاؤه عندها، ومنها انطلق الركب جهة المسجد النبوي في ظلال حدائق النخيل الوارفة حيث يمتاز طرف الحرَّة المذكورة الغربي الجنوبي بالبساتين النضرة، ومنها دخل الحضيكي حتى نزل عند باب المدينة الغربي[١].

وعند خروج العياشي إلى مكة أيضاً ودعه مشيعوه إلى الحرة الغربية أيضاً الأمر الذي يؤكد أن طريق مكة المكرمة كان من جهتها في الذهاب والإياب[٢].

وعند كلامه عن زيارة مسجد قباء ذكر مسجد الجمعة الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم أول جمعة بعد الهجرة وحدد موقعه في بني سالم بن عوف ببطن الوادي على يسار الذاهب من المدينة إلى قباء من طريق الحرة الغربية قد أحاطت به حدائق النخيل من أكثر جهاته ومنازل قومه غربي الوادي على طرف الحرَّة المذكورة فإذا سال الوادي من المطر يحول بينهم وبين المسجد[٣].

ومن مساجد الحرَّة الغربية التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وزارها الرحالة وحددوا أماكنها مسجد «القبلتين» الواقع غربي بُطحان وسَلْع «وهو قريب من وادي العقيق في مكان مرتفع، والطريق إليه في آكام سود وشعاب من الحرة»[٤]، ومنها مسجد «السقيا»[٥] على يسار الذاهب إلى المدينة من العقيق في الحرة الغربية على طريق الحاج عندما يقترب من المساكن ويشرف على المدينة، وهو من معالم

---

(١) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٨؛ الحضيكي: الرحلة، مصدر سابق، لوحة ٢٢.

(٢) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ١٣٧.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٨٨؛ الجاسر: في رحاب الحرمين، مرجع سابق، ٢٣٠/١٢.

(٤) الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٧٦.

(٥) يقع هذا المسجد حالياً داخل سور محطة سكة حديد الحجاز التي مدها السلطان عبد الحميد الثاني بجوار بئر السقيا التي يمحل المسجد اسمها، ويبعد عن الحرم النبوي بحوالي اثنين كيلو متراً تقريباً. محمد أمحزون: المدينة المنورة...، مرجع سابق، ص ١٢١.

الحرة المذكورة التي لم تزل باقية ببناء وثيق حتى فترة الدراسة يأوي إليه الغرباء من الحجاج والزوار في أيام الموسم ويقيمون عنده[١].

كما عدَّد الرحالة ما في الحرة الغربية من آبار عريقة منها بئرًا تعرف باسم «زمزم» تشبيهًا لها بزمزم المكية وهي من الآبار النبوية[٢] وحددوا موضعها في الجهة الغربية للمدينة مما يلي الحرَّة، وماؤها طيب وحولها بركة وحديقة نخيل وأشجار مثمرة[٣].

وذكر ابن ناصر بعض حدائها مثل: حديقة «المفتي» –مفتي المدينة سنة ١١٢١هـ–، التي أخذه أحد أصدقائه إليها ليغتسل استعداداً لزيارة المسجد النبوي، وهذه الحديقة كانت تشبه الاستراحات الحديثة حيث تشتمل على منزل وبستان فيه نخيل وأشجار ومجلس مُجهَّز بالمفارش والوسائد يأخذ الشكل الدائري بالإضافة إلى الحمَّام وغيره من المرافق الخدمية الأخرى[٤].

وبعد،،، فقد كان نصيب الحرات من الوصف قليلاً، ينصب في معظمه على تحديد مكان كل حرة منهما وجهتها من المدينة المنورة والمسافات بينها وبين المعالم القريبة منا إما بالوحدة القياسية أو بالمدة الزمنية التي يقطعها الركب في سيره وهناك شيء من التفصيل عند البعض فيما يتعلق بما تشمله كل واحدة من معالم وآثار تعود لأزمنة تاريخية مختلفة.

---

(١) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ١/ ٣٩٥؛ الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٢٥.

(٢) كانت تعرف قديماً باسم بئر فاطمة نسبة إلى فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. عبد الرحمن مرديس المرديس: المدينة المنورة في العصر المملوكي (٦٤٨–٩٢٣هـ/١٢٥٠– ١٥١٧م)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ص ٩٣، ٩٤.

(٣) العياشي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩؛ الورثيلاني: نزهة الأنظار...، مصدر سابق، ص ٤٩٧.

(٤) الدرعي: الرحلة، مصدر سابق، ٢/ ٨.

الخاتمة:

اتجهت طبيعة كتابة الرحلات العربية خلال العصر العثماني اتجاهات مختلفة تبعًا لاهتمام الدارس، فجعلها المؤرخ نصًا تاريخيًا يستقي منه كثيراً من المعلومات المتصلة بالبلدان، وجعلها الجغرافي مصدرًا للمعلومات الجغرافية عن مواقع وطبيعة تكوين الأماكن في مراحل الرحلة، كما يجد فيها الباحث في علم الاجتماع كثيراً مما يود معرفته عن الشعوب التي مر بها الرحالة وسجل أحوالهم وعاداتهم وثقافتهم، ويجد فيها الأدبي أنماطاً أسلوبية، وأنواعًا أدبية أفرزتها ظروف اجتماعية وثقافية عاش الرحالة في أحضانها.

لا شك، إن الرحالة كما كانت لهم اهتماماهم وملاحظاهم المختلفة، كانت لهم أدواتهم ومناهجهم المعرفية، وحظوظهم من مختلف العلوم متباينة أيضا، مما أضفى على كل واحدة من رحلاتهم قيمة علمية ونكهة معرفية خاصة.

لكنهم في عموم ما خلفوه من مدونات مخطوطة أو مطبوعة قدموا وصفًا جيدًا لجبال المدينة المنورة وحراتها فوصفوا طبيعتها الجيولوجية وما بها من آثار عمرانية ترتبط بأحداث تاريخية تعود إلى السيرة النبوية والخلافة الراشدة، لا يمكن لمتخصص في التاريخ أو الجغرافيا الاستغناء عنها لا سيما ما ترتبط به من فترة تاريخية، اعتمدوا فيما قدموه على المشاهدة الشخصية واتسمت كتاباتهم بالدقة والتحري.

ومن خلال هذه الورقة البحثة المتواضعة قدمت وصفاً لهذه الجبال وتلك الحرات من خلال كتب الرحلات العربية خلال العصر العثماني بدأتها بذكر الأسباب والدوافع التي دفعتهم لتسجيل ملحوظاتهم على جبال وحرات المدينة المنورة خاصة والظواهر الطبيعية والآثار العمرانية عامة، واستنتجت منهجهم الذي استخدموه في وصفها ثم نقلت وصفهم للجبال وما بها من مرافقة وآثار لمساجد وآبار ومنازل، بالإضافة إلى الحرات التي كان نصيبها من الوصف أقل لكن مع هذه القلة جاءت معلومات الرحالة ومشاهداتهم ذات قيمة بارزة وأهمية علمية فائقة.

ومن المهم أن أؤكد على أهمية هذا النوع من المصادر التاريخية لكتابة أحداث التاريخ ورصد المظاهر الحضارية، فإن كنت وفقت فلله الحمد والمنة وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد أفرغت الجهد والوسع والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

(قائمة المصادر والمراجع)

أولاً: المصادر العربية المخطوطة.

(١) الإسحاقي، محمد الشرقي بن محمد. **رحلة الإسحاقي صحبة الأميرة خناثة بنت بكار زوجة مولاي إسماعيل سلطان المغرب الأقصى (سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١-١٧٣٢م)**، مخطوط بالخزانة الملكية، الرباط، المغرب، رقم ١١٨٦٧.

(٢) الحضيكي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. **الرحلة، (سنة ١١٥٢هـ / ١٧٤٠ – ١٧٤١م)**، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، المغرب، تحت رقم ٤٠٥.

(٣) الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر. **الرحلة الناصرية، (سنة ١١٢١هـ/ ١٧٠٩ – ١٧١٠م)**، ج١، صورة مخطوط من طبعة حجرية ١٣٢٠هـ، بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨١٨ جغرافيا.

(٤) العياشي، أبو سالم سيدي عبد الله. **الرحلة "ماء الموائد " (سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢م)**، مخطوط، بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٩ جغرافيا.

(٥) الفاسي، أبو العباس محمد بن أحمد بن محمد. **رحلة من مدينة فاس إلى مكة والمدينة (سنة ١٢١١هـ /١٧٩٦– ١٧٩٧م)**، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٥٤ جغرافيا، ميكروفيلم ٧٥٢٦.

(٦) ابن الطيب الفاسي: أبو عبد الله محمد بن الطيب، **رحله الفاسي ١١٣٩هـ** " مخطوطة بدار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة، تحت رقم ١٤٠٣ تاريخ تيمور.

(٧) اليوسي، الحسن بن مسعود. **الرحلة (سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م)**، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، المملكة المغربية، تحت رقم ٢٣٤٣.

(ثانياً) المصادر المطبوعة.

(٨) البرزنجي المدني: جعفر بن إسماعيل، **تاريخ المسجد النبوي المسمى، نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين**، مطبعة الجمالية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤م.

(٩) البلهيشي: محمد صالح، **المدينة.. اليوم، المدينة المنورة في بداية القرن الخامس عشر الهجري، غرة المحرم ١٤٠١هـ**، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط ١، ١٤٠٢هـ.

(١٠) بيرم التونسي: السيد محمد بيرم الخامس، **صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار**، المكتبة الإعلامية، بمصر، ١٣٠٣هـ.

(١١) الحضيكي السوسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ١١٨٩هـ)، **الرحلة الحجازية**، ضبط وتعليق: عبد العالي لمدبر، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، سلسلة كتب التراجم والفهارس والبرامج والرحلات٣، الرابطة المحمدية للعلماء بالرباط، الطبعة الأولى، المملكة المغربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

(١٢) ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ): **المسند**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(١٣) الزبير بن بكار: ابن عبد الله القرشي، المنتخب **من كتاب أزواج النبي** ﷺ، تحقيق: سكينة الشهابي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(١٤) الزمخشري: جار الله، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق. د/ أحمد عبد التواب عوض، منشورات دار الفضيلة للنشر، دار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(١٥) السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.

(١٦) الشرقاوي، الشيخ عبد الله، **تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الملوك والسلاطين**، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(١٧) ابن الضياء، محمد بن أحمد، **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، ط:٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

(١٨) العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر (١٠٣٧– ١٠٩٠هـ / ١٦٢٨– ١٦٧٩م): **الرحلة العياشية (١٦٦١ – ١٦٦٣م)**، تحقيق: د / سعيد الفاضلي، د/ سليمان القرشي، دار السويدي، ط١، أبو ظبي الإمارات، ٢٠٠٦م.

(١٩) الفاسي، محمد بن أحمد (تقي الدين). **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢٠) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢١) كبريت، محمد بن عبد الله الموسوي (١٠١٢ – ١٠٧٠هـ)، **رحلة الشتاء والصيف**، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٢، دمشق، بيروت ١٣٨٥هـ.

(٢٢) الكردي، محمد طاهر، **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم**، ج٢، إشراف: أد/ عبد الملك دهيش، مكتبة الأسدي للنشر، ط٣، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ .

(٢٣) المدني، إبراهيم عباس (ت ١٣٠٠هـ)، **المناهل الصافية العذبة في بيان ما خفي من مساجد طيبة**، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، ط ١، ١٤١٣هـ.

(٢٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ – ٨١٧هـ / ١٣٢٩ – ١٤١٥م): **المغانم المطابة في معالم طابة**، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، ط١، الرياض، السعودية، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

(٢٥) محمد بن إبراهيم الجندي اليمني ت ٨٠٣هـ: **فضائل المدينة**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢٦) المكناسي، محمد بن عبد الوهاب. رحلة المكناسي. **إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م)**. تحقيق: محمد بوكبوط. ط١. أبو ظبي: دار السويدي، ٢٠٠٣م.

(٢٧) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ). **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز**، تقديم وإعداد: د/ أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة: مركز تحقيق التراث. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

(٢٨) الناصري: أبو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م)، **الرحلة الناصرية الكبرى**، تحقيق: المهدي الغالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للنشر والطبع، ط١، الرباط، المغرب، ٢٠١٣م.

(٢٩) الورثيلاني، الحسين بن محمد. نز**هة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار، المشهورة بالرحلة الورثيلانية**. تصحيح: محمد بن أبي شنب، الجزائر: مطبعة بير فونتانا الشرقية، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

(ثالثاً) المراجع العربية والمترجمة.

(٣٠) أمحزون: محمد، **المدينة المنورة في رحلة العياشي**، دراسة وتحقيق، دار الأرقم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣١) الأنصاري: عبد القدوس، **آثار المدينة المنورة**، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٣٢) الجدعاني: صالح بن مده، **المدينة المنورة وشمال الحجاز في كتب الرحلات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٥ / ٢٠١٤م.

(٣٣) جون: فراير كين (الحاج محمد أمين)، **ستة أشهر في الحجاز، رحلتان إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في عام ١٨٧٧ – ١٨٧٨م**، ترجمة: إنعام أيبش، منشورات هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، ط١، ٢٠١٢م.

(٣٤) الخطيب: مصطفى عبد الكريم، **معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

(٣٥) الخياري: أحمد ياسين، **تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا**، ط:٤، دار العلم، جدة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣٦)شُرَّاب، محمد بن محمد حسن. **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**. ط١. دمشق – بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١١هـ /١٩٩١م.

(٣٧)الصاعدي: سعود بن عبد المحيي، المحمدي: يوسف بن مطر: **أُحُد، الآثار – المعركة – التحقيقات**، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، المملكة العربية السعودية،١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٣٨)صباغ، خالد بن علي بن حسين، **الإصابة في معرفة مساجد طابة**، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

(٣٩)عبد الغني: محمد إلياس، **المساجد الأثرية في المدينة النبوية**، ط:٢، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٤٠)فرغلي: عبد الرحيم بن فرغلي بن سعيد، **النباتات البرية في جبل أحد**، مطبوعات مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٨هـ .

(رابعاً) بحوث الدوريات والندوات.

(٤١)حبيب بو زوادة: **سيميائية الفضاء المقدس في الرحلات الحجازية الجزائرية، (رحلة الحسين الورثيلاني نموذجاً)**، بحث منشور ضمن مجلة دراسات أدبية، العدد السادس / يونيو ٢٠١٨م، جامعة معسكر الجزائرية.

(٤٢)حمد الجاسر: **في رحاب الحرمين**، مجلة العرب، ج ٣، ٤، عدد ١٢، رمضان وشوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر واكتوبر ١٩٧٧م.

(٤٣)عبد القادر بكاري: **الرحلة ودورها في التدوين التاريخي الجزائري، رحلة أبو راس الناصري نموذجاً**، بحث منشور في مجلة عصور الجديدة، مجلة فصلية محكمة يصدرها مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، الجزائر، العدد ١٩ – ٢٠ صيف، خريف (أكتوبر) ٢٠١٥م، ١٤٣٦، ١٤٣٧هـ.

البحر المتوسط في الصراع البريطاني الفرنسي
إبان الحملة الفرنسية على مصر

أ.د أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
ومدير مركز بحوث الشرق الأوسط
جامعة عين شمس

ملخص :

اكتسب البحر المتوسط أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية عبر العصور من خلال موقعه الجغرافي المتميز؛ حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية، ونقطة التقاء بين أوروبا وأفريقيا.

وتُعد الحملة الفرنسية على مصر واحدة من أهم المحطات المهمة في تاريخ البحر المتوسط؛ وذلك لأنها قلبت الموازين الدولية والاستراتيجية في المنطقة، هذا البحر الذي يُعد همزة وصل بين الشرق والغرب والالتقاء بين الشمال والجنوب .

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر (حوالي ثلاث سنوات وشهرين ويوم واحد) غير أن هذه المدة شهدت الكثير من الأحداث والاستراتيجيات التي تبنتها كل من فرنسا وبريطانيا.

وقسم هذا البحث إلى ثلاث مراحل: الأولى: أطلق عليها اسم "مرحلة التفكير" أي تفكير السلطات الفرنسية في كيفية توجيه ضربة قاضية لبريطانيا، في إطار الصراع الفرنسي البريطاني، وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٥م إلى عام ١٧٩٨م، أما المرحلة الثانية: فأطلق عليها اسم "مرحلة التنفيذ"، وتقع خلال الفترة من أبريل إلى يوليو عام ١٧٩٨م، وعلى الرغم من قصر الفترة الزمنية لهذه المرحلة، إلا إن فرنسا تبنت فيها كثيراً من السياسات والاستراتيجيات. أما المرحلة الثالثة: فقد أطلق عليها اسم "مرحلة رد الفعل"، أي رد الفعل البريطاني لمواجهة الاستراتيجيات الفرنسية، وتمتد

هذه المرحلة منذ وطئت قدم الحملة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية وحتى جلاء الحملة عن المنطقة .

وقد توصل البحث إلى نتائج جديدة :منها أن الاستراتيجية الفرنسية قد اتخذت من عام ١٧٩٥م عامًا حاسمًا ومفصليًا في سياستها تجاه ضرب بريطانيا في مستعمراتها عن طريق السيطرة على مصر، ولذا بدأ التفكير بجدية في غزو مصر .

كما بين البحث أن السياسة الفرنسية قد لجأت إلى عدد من الاستراتيجيات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية من أجل احتواء مصر والسيطرة عليها، غير إن هذه الاستراتيجيات لم تنجح، بسبب الإجراءات المضادة التي اتخذتها بريطانيا عن طريق استخدام نفس الأسلوب الاستراتيجي في المواجهة.

كما أوضح البحث أن إرسال قوات عسكرية بريطانية من الهند للاشتراك مع القوات العسكرية البريطانية الآتية من أوروبا أمر له دلالته في التنسيق والارتباط بين الهند ولندن، ويحدث هذا لأول مرة في الاستراتيجية البريطانية، وأصبح سمة واضحة – فيما بعد – طوال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

Abstract:

The Mediterranean Sea in the British – French Conflict during the French Expedition on Egypt.

The Mediterranean Sea has gained strategic importance in international politics through the ages through its privileged geographical location, with its in-middle position between the world's seas being the link between the Eastern and Western seas, and a meeting point between Europe and Africa.

The French Expedition against Egypt is one of the most important points in the history of the Mediterranean Sea, because it has reversed the international and strategic balances in the region, a sea that is considered a link between the east, the west and the north-south crossing.

Despite the short duration of the French Expedition in Egypt (about three years, two months and one day), this period has witnessed many occurrences and strategies adopted by France and Britain.

This research was divided into three stages, the first called the "thinking phase" i.e. the thinking of the French authorities on how to deal a fatal hit to Britain, in the context of the French-British conflict, this phase extends from 1795 to 1798, and the

second phase is called the "implementation phase" which falls from April to July 1798, and despite the short time period for this phase, France adopted a lot of policies and strategies. The third phase was called the "reaction phase", i.e. the British reaction to face the French strategies, and this phase extends from the moment the French Expedition stepped a foot on the Egyptian shores until the evacuation of the campaign from the region.

The research had reached new results, including that the French strategy had taken the year 1795 AD a decisive year in its policy towards striking Britain in its colonies by controlling Egypt, so they started thinking seriously about the invasion of Egypt.

The research also showed that French policy has resorted to a number of diplomatic, political and military strategies in order to contain and control Egypt, but these strategies did not succeed because of the countermeasures taken by Britain by using the same strategic method of confrontation.

The research also showed that the dispatch of British military forces from India to join the British military forces from Europe is significant in the coordination and engagement between India and London, and this happens for the first time in British strategy, and became a clear feature - later - throughout the nineteenth and early 20th centuries.

مقدمة :

بدأ التنافس بين فرنسا وبريطانيا على المستعمرات في الشرق في القرن السابع عشر الميلادي، واستمر طوال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ بعدًا جديدًا بعد قيام الثورة الفرنسية في يوليو ١٧٨٩م، وكان البحث عن المستعمرات خارج أوروبا أحد خصوصيات العصر الحديث في تاريخ أوروبا بعد انتهاء الإقطاع، وقيام الدولة القومية، ووجود الرأسمالية التجارية . وبعد قيام الثورة الصناعية، أصبحت الحاجة إلى الأسواق والمستعمرات أمرًا أكثر حيوية للدول الرأسمالية الأوروبية في فرض النفوذ والسيادة على مناطق مختلفة في العالم الجديد والشرق، للحصول منها على موارد طبيعية رخيصة، ثم بيع المنتجات الأوروبية في أسواقها.

يُعد البحر المتوسط من أهم المناطق التي تستقطب الأنظار في عالمنا المعاصر؛ ليس بسبب موقعه كهمزة وصل بين الشرق والغرب فحسب؛ وإنما بسبب قربه من مواقع الأحداث السياسية في الوقت الحاضر، لقد اكتسب البحر المتوسط أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية من موقعه الجغرافي المتميز، حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية بصفة عامة، والبحر الأحمر والمحيط الأطلسي بصفة خاصة، كما إن موقعه في قلب العالم جعله نقطة التقاء بين قارات العالم قديمًا وحديثًا، ومن ثم، أصبح البحر المتوسط شريانًا حيويًا للمواصلات بين الشرق والغرب، ومن يتحكم في هذا البحر، يصبح له اليد العليا في السياسة الدولية، والبحر المتوسط هو الطريق الذي سلكته الحملة الفرنسية إلى مصر .

وتُعد الحملة الفرنسية على مصر واحدة من أهم الأحداث المهمة والرئيسة في تاريخ مصر والبحر المتوسط؛ وذلك لأنها قلبت الموازين الدولية والاستراتيجية في المنطقة، ونبهت الدول الأوروبية إلى أهمية ذلك البحر الذي فقد أهميته لفترة من

الزمن، وصارت تلك الدول تنظر إليه باهتمام شديد، كمعبر مهم بين الشرق والغرب، يمكن لأي قوة تستطيع أن تسيطر على بعض مراكزه أن تنشئ لها نفوذًا ومصالح واسعة حول البحر المتوسط وخارجه.

لقد أعادت الحملة الفرنسية اكتشاف منطقة البحر المتوسط كمنطقة ذات أهمية استراتيجية للقوى الكبرى، وألقت الضوء على هذه المنطقة، بل يمكن القول إن هذه الحملة قد ابتدأت حقبة من الصراع الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا في مصر والبحرين المتوسط والأحمر، وشجعت كلا الطرفين على تبني سياسات معينة إزاء تدعيم نفوذها في المنطقة واستمرت هذه السياسات – تقريبًا – طوال القرن التاسع عشر الميلادي .

وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر ومنطقة البحر المتوسط – حوالي ثلاث سنوات وشهرين ويومًا واحدًا – غير إن هذه المدة شهدت الكثير من الأحداث والاستراتيجيات التي تبنتها كل من فرنسا وبريطانيا، ويمكن تقسيم هذه الفترة الزمنية إلى ثلاث مراحل رئيسة مترابطة متتابعة غير منفصلة:

الأولى : مرحلة التفكير Thinking Stage، أي تفكير السلطات الفرنسية في كيفية توجيه ضربة قاضية لبريطانيا، وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٥م إلى عام ١٧٩٨م، وشهدت هذه المرحلة التطلعات الفرنسية إلى مصر وبلاد الشام ومنطقة البحر المتوسط .

الثانية : مرحلة التنفيذ Implementation Stage؛ وتقع هذه المرحلة إبان عام ١٧٩٨م خلال الفترة من ١٢ أبريل إلى ٢ يوليو، أي منذ اتخاذ الحكومة الفرنسية قرارًا بوضع جيش الشرق تحت قيادة الجنرال بونابرت، وحتى وصول الحملة الفرنسية إلى الشواطئ المصرية من العام المذكور أعلاه. وعلى الرغم

من قصر الفترة الزمنية لهذه المرحلة إلا إن فرنسا تبنت فيها كثيرًا من السياسات والاستراتيجيات.

الثالثة : مرحلة رد الفعل Reaction Stage؛ وتمتد هذه المرحلة من عام ١٧٩٨م إلى عام ١٨٠١م، أي منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر المتوسط، وحتى جلاء الحملة، وشهد ت هذه المرحلة ردود الفعل البريطانية والإجراءات التي اتخذتها لمواجهة الخطر الفرنسي.

ومن الجدير بالذكر، إن عرض تفصيلات الحملة الفرنسية على مصر ليست الهدف من هذا البحث، فإن الذي يعنينا منها هو استعراض الصراع البريطاني الفرنسي في منطقة البحر المتوسط والآثار التي ترتبت عليه.

أولاً : **مرحلة التفكير** :

أكدت الوثائق الفرنسية أنه لم يكن هناك صراع وتنافس بريطاني فرنسي واضح المعالم حول منطقة البحر المتوسط قبل مجيء الحملة الفرنسية على مصر، وإنما الصراع بين الدولتين كان حول طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي، وكذلك بعض المناطق المهمة في الخليج العربي[١]. على الرغم من ذلك، كانت هناك

---

(١) تقرير المبعوث الفرنسي الكونت دي رو سلي De Rosily عن الجولة التي قام بها في مناطق الخليج العربي والبحر الأحمر عام ١٧٨٥ م، والذي قدمه للحكومة الفرنسية يؤكد على زيادة حدة الصراع البريطاني في تلك المناطق في ذلك الوقت، كما قدم التقرير أفضل الوسائل التي ينبغي على فرنسا اتباعها لعرقلة المصالح البريطانية في المحيط الهندي وتوثيق العلاقات الفرنسية مع الأمراء الهنود الأمر الذي يساعد على ضرب بريطانيا في الهند وتدعيم مكانة المستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي . انظر:

E.Auzoux: La Fraince at Mascate, eut, XVIII, TXI X Siecles in Ravaed, histoirediplomatique,Vol. 3/24, 1909– 1910, Paris,pp.8–11. =

تطلعات فرنسية حول مصر ومنطقة البحر المتوسط قُبيل مجيء الحملة الفرنسية على مصر ببضع سنوات قليلة.

ففي عام ١٧٩٥م، حدثت عدة دلائل ومؤشرات تؤكد ذلك، ففي أكتوبر من العام المذكور، أوفدت فرنسا إلى القاهرة ديبيوس –ثانفيل Dubois–Thanville في بعثة تجارية؛ ليسعيا لدى الأمراء المماليك للإذن بقيام تجارة فرنسية منظمة بين الهند والسويس والإسكندرية(١). وعقد معاهدات تجارية بين مصر وفرنسا(٢).

=كما إنه في عام ١٧٩٥م، أقامت فرنسا قنصلية لها في مسقط، وعينت بوشام Beauchamp في٣ مارس عام ١٧٩٥م قنصلاً فيها للتعرف على تحركات البريطانيين في الهند، ودراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد، ومعرفة الطرق التي يمكن للفرنسيين استخدامها في حالة قيامهم بأي غزو للشرق . انظر:

Skeet, I,: Muscat and Oman, the end of an Era, London, 1974, p42

وانظر : صلاح العقاد (الدكتور) : التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ص ٦٢–٦٣.

(١) أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور) : سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر على عهد الحملة الفرنسية ومحمد علي، مقال منشور ضمن " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة " سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٣٣٦ .

(٢) جمال الدين الشيال (الدكتور) : مصر وطريق الهند في القرن الثامن عشر، مقال منشور في "جريدة المقتطف المصرية "، ج٣، مجلد ٩٩، رجب ١٣٦٠هـ /١٩٤١م، ص ص ٢٥٤–٢٥٩.

وكانت فرنسا قد نجحت في عقد اتفاقية مع مراد بك في أوائل عام ١٧٨٥م تسمح للسفن الفرنسية الآتية من الهند بالوصول حتى السويس، واتفقت كذلك مع كبير ملتزمي الجمارك وبعض مشايخ العرب لنقل هذه المتاجر بين السويس والقاهرة . انظر : جلال يحيى (الدكتور): البحر الأحمر والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ص ١٩–٢١.

وهذه البعثة وإن كانت أهدافها تجارية، إلا إنها فيما يبدو كانت تعمل لأغراض أبعد من ذلك، تمثلت في دراسة الوسائل التي يمكن أن تحقق غزو الفرنسيين لمصر، وتحكمهم في إعادة الاتصال القديم بين البحرين الأحمر والمتوسط(١).

وهذه البعثة كانت شديدة الاهتمام بمنطقة البحر المتوسط بما فيها مصر، وعن طريق هذه البعثة التجارية أعلنت فرنسا أن أهدافها القيام بدراسات وبحوث طبيعية، ولكن في الحقيقة، كان المقصود منها تغطية الأهداف السياسية، ورصد التحركات البريطانية، وتنظيم المؤسسات الفرنسية في الشرق، وتحري الإمكانيات التي بواسطتها تتمكن التجارة الفرنسية من منافسة البريطانيين في المنطقة، ومحاولة تنظيم خطوط تجارية بين الهند والسويس والإسكندرية(٢).

وفي أوائل أكتوبر ١٧٩٥م، كتب شارل مجالون(٣) de Charles Magailon القنصل الفرنسي في مصر آنذاك تقريرًا إلى حكومته قال فيه: " إذا أصبحنا سادة البحرين المتوسط والأحمر، فإننا نستطيع أن نهدد مصالح البريطانيين، وأن نطردهم من الهند، فعن طريق السويس خلال الفترة المناسبة من العام يمكن إرسال عدد من القوات الفرنسية للهند بواسطة عدد قليل من البواخر، ولا يحتاج جنودنا في ذلك

---

(١) محمد عبد الحسين الحلي: عدن والصراعات الدولية في البحر الأحمر ١٧٩٨–١٨٣٩م، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٨٨م، ص ٥٧، ص ص٥٩– ٦٠ .

(٢) شوقي الجمل (الدكتور) : سياسة مصر في البحر الأحمر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ص ١٩–٢٠.

(٣) تولي شارل مجالون عمله كقنصل لفرنسا في مصر منذ عام ١٧٩٣م، وكان من أشد المناوئين لسياسة بريطانيا التوسعية في الشرق، وقد استدعي بعد ذلك من مصر ليشترك في وضع الخطة لغزو مصر وغزو الهند عبر البحر الأحمر . انظر: جمال الدين الشيال : المقال السابق، ص ٢٥٤، ص ص ٢٦٠–٢٦١.

الطريق لأن يبقوا في البحر أكثر من ستين يومًا بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح[١] الذي يستغرق ستة شهور، وعن طريق السويس لن نكون معرضين لخسارة أكثر من ١% من رجالنا، بينما خسائرنا في الطريق الآخر لن تقل عن ١٠% بأي حال من الأحوال "[٢] .

وتأكيدًا للتقرير السابق، كتب مجالون لحكومته في عشرين أكتوبر من العام نفسه أيضًا تقريراً قال فيه : " إنه إذا غادرت القوات الفرنسية ميناء طولون Toulonفي ٢٠ يونيو، فإنها يمكن أن تصل الإسكندرية في ١٠ يوليو، و القاهرة في ٢٠ يوليو تقريبًا، والسويس في ٢٥يوليو، ويمكن أن تكون في الهند بعد ذلك بنحو ٤٥ يومًا قبل أن تكون لدى بريطانيا فسحة من الوقت لتتخذ أي إجراء مضاد، على الرغم أننا لا نحتاج إلا إلى عشرة آلاف جندي فرنسي فقط لطرد البريطانيين من الهند[٣] .

ويقول مجالون في تقرير آخر: " إن أجمل هدية تقدمها فرنسا للشعب الفرنسي (بعد الثورة) هي احتلال مصر[٤].

يتضح من التقارير السابقة أن القنصل الفرنسي في مصر كان يشجع حكومته ويحرضها على السيطرة على مصر وطريق البحرين المتوسط والأحمر، وبالتالي تهديد المصالح البريطانية في الهند، وفي إطار ذلك، اقترح على حكومته ميعاد الخروج

---

(١) رأس الرجاء الصالح كان اسمه قبل هذه التسمية " رأس العواصف" وذلك لكثرة ما به من عواصف، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه "رأس الرجاء الصالح " وذلك بعد أن نجح البرتغاليون في اجتيازه؛ لأنه فتح باب الرجاء والأمل أمامهم في الوصول إلى الهند . انظر: يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القسم الثاني، ص ٦٣٠، حاشية٤.

(٢) وليد محمد جرادات : الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص١١٢.

(٣) شوقي الجمل : المرجع السابق، ص ٢١ .

(4) Sheet,I:opcit.pp.80–81; see also :https ://t.co/9m92cm5 ouf

لتنفيذ ذلك والمدة التي سوف تستغرقها، وعدد الجنود المناسب لذلك، وتقدير نسبة الخسائر الممكنة .

وفي اعتقادي، إن فكرة غزو مصر بدأت منذ ذلك التاريخ (أكتوبر ١٧٩٥م)، ولهذا يمكن أن نطلق على هذه المرحلة (مرحلة التفكير) وأصبح واضحًا أن هذا الغزو يراد به أن يكون وسيلة لتحقيق هدف آخر أبعد، وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند، وهو طريق الإسكندرية السويس البحر الأحمر مرورًا بالقاهرة، ومنع بريطانيا من استخدامه، حتى يمكن ضربها في مستعمرتها قبل أن تتخذ أي إجراء لصد هذا العدوان[١].

ومن العوامل التي دفعت فرنسا أن تفكر بجدية في السيطرة على مصر ومنطقة البحرين المتوسط و الأحمر، تمكن بريطانيا في عام ١٧٩٥م من السيطرة على مستعمرة رأس الرجاء الصالح، وبذلك أصبح طريق رأس الرجاء الصالح متعذرًا على السفن الفرنسية، ولذلك سيطرت على الفرنسيين رغبة قوية في الانتقام من بريطانيا بضربها في مصادر قوتها في الشرق، وانتزاع التجارة الشرقية منها[٢] . بل إن طريق الإسكندرية السويس البحر الأحمر له من المزايا ما يتفوق به على طريق رأس الرجاء الصالح، خاصةً بالنسبة لفرنسا، فمن خلاله، تستطيع فرنسا أن تنفذ إلى الهند، فتنال من البريطانيين و تبسط نفوذها في الشرق .

وفي هذا الصدد، أكد مجالون القنصل الفرنسي في مصر في تقاريره لحكومته في باريس على وجوب قيام فرنسا باحتلال مصر والتحكم في ميناء السويس على

---

(١) عبد العزيز محمد الشناوي (الدكتور) : قناة السويس والتيارات السياسية التي أحاطت بإنشائها، ج١، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،١٩٧١م، ص ١٧.

(2) Paul Strathern Napoleon in Egypt (Random House publishing Group, 2008) Chaptr1,p.1.

وجه الخصوص لحماية المصالح السياسية والاقتصادية الفرنسية، والقضاء على أهمية طريق رأس الرجاء الصالح، وأكد على أهمية استيلاء الفرنسيين على الإسكندرية السويس والبحر الأحمر لطرد البريطانيين من الهند، وسيطرة فرنسا على هذه المناطق والتجارة فيها، وإيجاد طريق للمواصلات العالمية خلال أراضي مصر، وقد قوبل هذا التحرك من قبل القنصل الفرنسي في مصر، بمراقبة نظيره البريطاني جورج بولدوين George Baldwin القنصل البريطاني في مصر، الذي أظهر تحركًا ملحوظًا لانتعاش التجارة البريطانية مع حكام مصر، وحاول إحباط المشروعات الفرنسية فيها، وهكذا بدأ احتدام الصراع بين الدولتين بريطانيا وفرنسا، وأخذت كل منهما ترقب تحرك الأخرى، خوفاً من أن تستأثر بامتيازات تؤثر على مصالح الدولة الأخرى(١).

ويلاحظ أنه في جميع المشروعات التي قدمت إلى الحكومة الفرنسية حكومة المديرين أو(حكومة الإدارة Direct ire) والتي تشجع على غزو مصر .

أظهرت بجلاء أهمية البحرين المتوسط والأحمر، ولهذا بحثت الحكومة الفرنسية بشكل جدي كل التقارير والمقترحات التي تحثها على غزو مصر .

وظهرت لدى الدوائر السياسية الفرنسية آنذاك وجهتا نظر بصدد ضرب المصالح البريطانية، الأولى: تؤيد أفضلية غزو بريطانيا في عقر دارها بدلاً من محاولة ضربها ضربة غير مباشرة في مستعمراتها الشرقية، والثانية: توجيه ضربة قوية للمصالح البريطانية في الشرق عمومًا باحتلال مصر واتخاذها قاعدة متقدمة للنفوذ الفرنسي في الشرق، وقد وجدت وجهة النظر الثانية تأييدًا لدى بعض الساسة والقادة العسكريين الفرنسيين، ومنهم الجنرال بونابرت Bonaparte الذي كان شديد الحماس والإدراك لأهمية موقع مصر الاستراتيجي المطل على البحرين المتوسط والأحمر، أسرع طريق

(1) Paris, 1902, p.234. Napoleon De Histoire De Sire, La Croix:

للوثوب على النفوذ البريطاني في المنطقة، وغزو الهند عن طريقه[١]. وقد ذُكر عن بونا برت أنه قال صراحة: " لكي نحطم بريطانيا يجب أن نضع أيدينا على مصر"[٢].

وأكد هذا القول عندما قال لجنوده قبل وصوله إلى مصر وهو على متن السفينة "لوريان" Lorient في ٤ مسيدور Messidor سنة ٦: أيها الجنود: " أنتم مباشرون غزوًا لا يجد تأثيره بالمدنية و التجارة في المعمورة، وستضربون بريطانيا ضربة مؤلمة ريثما يتسنى لكم أن تضربوها الضربة القاضية ... "[٣] .

وإلى جانب ذلك، فإن تاليران Talleyrand الذي أُختير وزيرًا للخارجية الفرنسية عام ١٧٩٧م، كان يؤمن بحاجة فرنسا إلى التوسع والاستعمار؛ والحقيقة أن فرنسا في ذلك الوقت كانت آخذة في التوسع والامتداد، وكان الشرق هو المكان المناسب أمام فرنسا لتحقيق تلك المصالح والأطماع، وهذا ما أكده مرة أخرى أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن هدفًا أساسيًا وحيدًا لها؛ لأنه في الواقع يخدم أهدافًا أكثر طموحًا لفرنسا التي تسعى– عن طريق احتلال مصر – إلى تحويل التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر؛ الأمر الذي يتيح لفرنسا– من خلاله الانقضاض على الوجود البريطاني في الهند؛ لأنها تعتقد في أهمية التجارة في بناء المستعمرات البريطانية في الشرق، مستعينة في ذلك على البحر الأحمر وجزر موريشيس في المحيط الهندي في الحصول على السفن اللازمة لهذه الخطة [٤]. هكذا كان الاثنان "بونا برت "و"تاليران" يؤيدان الحملة الفرنسية على مصر كل التأييد .

---

(١) شوقي الجمل (الدكتور): تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤م، ص٦٢٥.

(٢) جون كيلي : بريطانيا والخليج العربي ١٧٩٥.١٨٧٠م، ج١، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان، ١٩٨٦م، ص٩٥.

(٣) محمد فؤاد شكري (الدكتور): عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٢م، ص٦٨.

(٤) جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص ص ٩٥ – ٩٦ .

كما أوضح" مجالون "القنصل الفرنسي في مصر في تقرير له لحكومته في ٩فبراير ١٧٩٨م أي قبيل مجيء الحملة إلى مصر بأربعة أشهر عن مقدار الفوائد التي ستجنيها فرنسا من غزو الشرق، وتتلخص فيما يلي : "إما أن يعمل الفرنسيون مباشرة من مصر على طرد البريطانيين من الهند قسرًا، وإما أن يكتفوا بتهديد التجارة مع الشرق على الأقل"[١] .

وبهذه الصورة وضحت نوايا فرنسا للسيطرة على مصر والبحرين المتوسط والأحمر، وبذلك خرجت الفكرة من حيز النظر والتفكير إلى حيز العمل والتنفيذ .

وبهذا يمكن القول: إن فكرة غزو فرنسا لمصر، ووضع يدها على الطريق البحري الموصل للهند، هي فكرة قديمة حقًا، غير أن إخراجها إلى حيز التنفيذ في ذلك الوقت،يرجع لظروف فرنسا الداخلية، وعلاقاتها بالدول الأوروبية الأخرى، فقد نجحت فرنسا في تسوية موقفها من الدول الأوروبية (الحلف الأوروبي الأول) [٢] ضدها ولعل معاهدتها مع النمسا في عام ١٧٩٧م (معاهدة كمبيو فرميو) Campo–Formio تعد نهاية هذه التسويات، بقيت بريطانيا العدو اللدود لفرنسا وكان التفكير في الانتقام من بريطانيا يسير جنبًا إلى جنب مع التفكير في إحياء الإمبراطورية الفرنسية[٣] .

---

(١) فاروق عثمان أباظة (الدكتور): عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩. ١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٨٠

وانظر كذلك: De Sire,La Croix: op.cit,pp.234–236.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الحلف الأوروبي الأول . انظر: محمود حسن صالح منسي (الدكتور): تاريخ القرن التاسع عشر (د.ن)، القاهرة، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، ص ص ٥٠–٦٠.

(3) G.S.:Great Britain in the Indian Ocean 1810 Sheet, op.cit, pp 90–91,La Croix.: op.cit,p.236 Graham.

ثانياً: **مرحلة التنفيذ** :

انتقلت الاستراتيجية الفرنسية إلى مرحلة أبعد من مرحلة التفكير، إلى مرحلة التنفيذ، واتضح ذلك من خلال قرار الحكومة الفرنسية بوضع جيش الشرق تحت قيادة "نابليون بونابرت" في ١٢ أبريل عام ١٧٩٨م، ويتضح ذلك من القرار، كيف كانت الحملة الفرنسية على مصر بالغة الأثر في الصراع البريطاني الفرنسي حول البحرين المتوسط والأحمر؟ وكيف أدت إلى إشعال الصراع بينهما بصورة أكثر ضراوة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ؟[١] .

وقد نص قرار الحكومة الفرنسية على المواد التالية :

أولاً: احتلال مصر، بإنشاء مستعمرة فرنسية فيها.

ثانيًا: السيطرة على البحر الأحمر، وطرد الإنجليز من مراكزهم فيه، ومن ممتلكاتهم في الشرق، وفي الجهات التي يمكن لنابليون أن يصل إليها .

ثالثًا: أن يعمل نابليون على شق قناة بين البحرين الأحمر والمتوسط خلال برزخ السويس

رابعًا: أن يبذل نابليون جهوده لبسط نفوذ فرنسا على البحرين المتوسط والأحمر[٢].

ولهذا، يتبين لنا أن احتلال فرنسا لمصر لم يكن الغاية، وإنما كان مرحلة في الصراع البريطاني الفرنسي حول السيطرة على البحرين المتوسط والأحمر، ثم التدخل في الهند لطرد الإنجليز منها، والقضاء على مصالحهم وتجارتهم كليًا في الشرق[٣].

وكانت الخطوة الأولى لنابليون اعداد حملة أطلق عليها " حملة البحر المتوسط " Mediterranean Sea Expedition؛ بتجميع حوالي (٤٠.٠٠٠) أربعين ألف

([1]) De Sire 1850,Oxford,1976,p.73,p.282.

([٢]) عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ص١٨.

([3]) De Sire, La Croix.: op.cit.pp.257-258.

جندي و(١٠.٠٠٠) عشرة آلاف بحار في موانئ فرنسا المطلة على البحر المتوسط، وتجميع أسطول كبير في طولون مكون من ١٣ سفينة خط، و١٤ فرقاطة و٤٠٠ ناقلة، وكان اتجاه الحملة سرًا لم يعرفه إلا بونابرت نفسه، وبيرثييه، وكافاريللي وغاسبار مونج عالم الرياضيات، والأدميرال " فرانسوا بول برويز" قائد الأسطول الفرنسي .

وفي ١٩ مايو ١٧٩٨م، وجه نابليون خطاب إلى قواته، وهو على ظهر السفينة لوريان في ميناء طولون قائلاً لهم: "أيها الجنود، أنتم أحد أجنحة الجيش الفرنسي، لقد حاربتم فوق الجبال وعلى السهول، وفي المدن؛ ولم يبق إلا الحرب في البحر[١]، وكان يقصد البحر المتوسط .

وعندما وصل أسطول نابليون إلى جزيرة مالطه Malt، طلب من فرسان مالطه السماح لأسطوله بدخول الميناء والحصول على الماء والطعام. فلم يسمح حاكمها إلا لبعض السفن، فأمر نابليون جنوده باحتلال الجزيرة في ١١ يونيو وتم له ذلك، ثم اتجهت الحملة بعد ذلك إلى جزيرة كريت Crete لتضليل الأسطول البريطاني . وبعد ثلاثة عشر يومًا، أصبح الأسطول الفرنسي على مقربة من الإسكندرية .

وعلى الرغم من السرية التامة التي أحاطت بتحركات الحملة الفرنسية وبوجهتها، فإن أخبارها تسربت إلى بريطانيا العدو اللدود لفرنسا، وبدأ الأسطول البريطاني يراقب الملاحة في البحر المتوسط، واستطاع نيلسون Nelson قائد الأسطول البريطاني الوصول إلى ميناء الإسكندرية قبل وصول الحملة الفرنسية بثلاثة أيام، وأرسل بعثة صغيرة للتفاهم مع السيد محمد كريم حاكم المدينة وإخباره أنهم حضروا للتفتيش عن

---

(١) محمد فؤاد شكري (الدكتور) : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، دار الفكر العربي(د . ت)، ص٩٠–٩١ ؛ وانظر: وليد جرادات: المرجع السابق، ص١٢١.

الفرنسيين الذين خرجوا بحملة كبيرة وقد يهاجمون الإسكندرية، لكن محمد كريم ظن أن الأمر خدعة من جانب الإنجليز لاحتلال المدينة تحت دعوى مساعدة المصريين لصد الفرنسيين، فأغلظ القول للبعثة، فاتجه الأسطول البريطاني ناحية بلاد الشام، وبعد ثلاثة أيام، وصلت الحملة الفرنسية إلى الإسكندرية ونجحت في احتلالها في ٢ يوليو ١٧٩٨م بعد مقاومة بسيطة، ثم وجه نابليون منشورًا إلى أهالي مصر تحدث فيه عن سبب قدومه لغزو بلادهم .

ثم أمر ببناء أسطول فرنسي في البحر الأحمر، لتوجيه ضربة قاصمة للبريطانيين في الهند؛ كما أمر بتشكيل لجنة من المهندسين والعلماء لدراسة مشروع حفر قناة خلال برزخ السويس لتوصيل مياه البحر الأحمر بالمتوسط(١).

غير أن الظروف السيئة التي وجد الفرنسيون أنفسهم فيها حينذاك لم تمكنهم من استكمال مخططاتهم تجاه البحر الأحمر، خاصة بعد تحطم الأسطول الفرنسي على يد الأسطول البريطاني بقيادة نيلسون في موقعة أبي قير البحرية يومي ١،٢ أغسطس ١٧٩٨م(٢) .

ولم يكن الأسطول الفرنسي الذي أقيم في البحر الأحمر سوى مجموعة من السفن الصغيرة، غير القادرة على أكثر من ربط موانئ مصر ببعض الموانئ القريبة في البحر الأحمر(٣)، في حين أن لجنة قناة السويس توصلت إلى نتائج غير دقيقة فيما يتعلق بالخطأ الحسابي لمستوى المياه في البحرين المتوسط والأحمر(٤).

---

(١) وليد جرادات: المرجع السابق، ص١٢٤.

(2) De Sire,Le Croix:op cit.pp.257-258.

(٣) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية ؛ ص٩١؛ عمر عبد العزيز عمر (الدكتور): دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ص١٠٩-١١٠.

(٤) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق، ص٣٣٧.

كما وضع تحطيم الأسطول الفرنسي في أبي قير حداً لمطامع بونابرت في توغله في مياه البحر الأحمر والوصول إلى الهند [١]، و على الرغم من هذا الفشل، زاد اهتمام نابليون والفرنسيين بالبحر الأحمر، وخاصة بعد أن فرض عليهم الإنجليز حصارًا من جهة البحر المتوسط ؛ ليحولوا بينهم وبين الاتصال بالوطن الأم فرنسا، فلم يكن أمامهم بذلك لمحاولة الانطلاق من مصر سوى طريقين: أحدهما :طريق الشام في اتجاه استانبول، وثانيهما : طريق البحر الأحمر في اتجاه الهند .

أما الطريق الأول، فقد بدأ في ٧ مارس ١٧٩٩م بقيام نابليون بحصار يافا والانتصار فيها ودخولها، ثم اتجه شمالاً في اتجاه عكا، وفي ١٨مارس حاول حصار عكا، إلا إن حامية عكا والعثمانيين نجحوا بمعاونة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط في هزيمة الجيش الفرنسي.

وكان السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٨-١٨٠٧م) قرر شن حرب ضد فرنسا، وأرسل جيشين إلى مصر: انطلق الأول تحت قيادة أحمد باشا الجزار، مع (١٢.٠٠٠) اثنى عشر ألف جندي وتم تعزيزه بقوات من دمشق وحلب والعراق بـ (١٠.٠٠٠) عشرة آلاف رجل، والقدس بـ (٨.٠٠٠) ثمانية آلاف رجل .

وكان الجيش الثاني تحت قيادة مصطفى باشا، في جزيرة رودس Rhodes مع حوالي ثمانية آلاف جندي، كما عرف مصطفى باشا أنه سيحصل على حوالي ٤٢ ألف جندي من ألبانيا واستانبول والأناضول واليونان، خطط العثمانيون هجومين ضد القاهرة من سوريا عبر الصالحية – بلبيس – الخانكة، ومن رودس عن طريق الهبوط البحري في منطقة أبو قير أو ميناء مدينة دمياط . وإذا كان الجيش الفرنسي

([1]) Coupland, R.: East Africa and its Invaders, London,1938,p.88

وانظر كذلك : جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص١٠٣.

الزاحف إلى بلاد الشام قد استعصى عليه دخول عكا ثم ارتد إلى مصر، فلم يكن أمامه سوى الطريق الثاني طريق البحر الأحمر(١).

وفي إطار السيطرة على طريق البحر الأحمر والوصول إلى الهند، لجأ نابليون إلى إستراتيجية جديدة تعتمد على عقد صلات ودية مع بعض أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية وجنوب البحر الأحمر، فأرسل عدة رسائل إلى بعض أمراء العرب في الحجاز ومسقط واليمن وغيرها للإعلام بنفوذ فرنسا، والتمهيد لما قيل عن استعداد حملة فرنسية كبيرة للخروج لغزو الهند(٢).

وقد حققت فرنسا في هذا الطريق (طريق البحر الأحمر) نجاحًا لم تحققه في حملتها على بلاد الشام كما سبق أن رأينا، وإزاء ذلك، كان لبريطانيا رد فعل مهم، فما هو هذا الموقف ؟ .

ثالثًا : **مرحلة رد الفعل** :

لقد كان للموقف البريطاني ردود أفعال سريعة لمواجهة التحرك الفرنسي في مصر، منذ وطئت قدم الحملة الفرنسية الأراضي المصرية، واتخذت بريطانيا الكثير من الإجراءات لمواجهة الخطر الفرنسي. فقد أثار مجيء الحملة الفرنسية على مصر انتباه الحكومة البريطانية، فالحملة كانت بمثابة ناقوس الخطر الذي نبهها إلى ما يحيق بمصالحها الحيوية في الشرق من أخطار، بل لمست بريطانيا عمليًا مدى التهديد الذي يمكن أن توجهه فرنسا لمناطق نفوذها ومصالحها، إذا وقعت مصر

---

(1) Letter du general Bonaparte au Cherif de La Mecque Ghalib ibn Moussaid en date Caire Le 25aout 1798 (13rebiul– ewe 11213)

(2) Letter du general Bonaparte au Cherif De La Mecque,en date du quartier – general du Caire,Le 30 juin 1799 (26 Moharrem1214)

وطريق البحر الأحمر تحت قبضة فرنسا، وهى الدولة المنافسة لبريطانيا بصورة رئيسة[١].

ومن ثم، تغير موقف الحكومة البريطانية ونظرتها لمصر والبحر الأحمر إلى اهتمام زائد وتمسك شديد بأهم طريق حيوي في مواصلاتها الإمبراطورية، فقبل عام ١٧٩٧م، لم تكن بريطانيا تهتم بمنطقة البحر الأحمر وحدها، إنما كان لديها ثلاثة طرق توصلها بمستعمراتها في الهند؛ وهى: الخليج العربي، وطريق البحر الأحمر، وطريق رأس الرجاء الصالح .

وفي أغسطس عام ١٧٩٧م تشكلت لجنة لدراسة أفضل الأساليب الممكنة لتأمين مراسلات الهند مع بريطانيا عن طريق الخليج العربي والبحر الأحمر فقط، أما طريق رأس الرجاء الصالح، فكان أطولها فاستبعد من الدراسة، وأوصت اللجنة آنذاك بأفضلية الخليج العربي على طريق البحر الأحمر لقلة تكاليف المراسلات من خلاله، وخلوه من العواصف[٢].

غير أن الأوضاع كلها تغيرت بعد قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر، وأصبح محور السياسة البريطانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي يدور حول السيطرة على المراكز الإستراتيجية المهمة في طرق المواصلات إلى الهند، وخاصة طريق البحر الأحمر الذي يعد أقصر هذه الطرق، الذي يمكن لفرنسا من خلاله الانطلاق إلى الشرق بسرعة وتهديد الممتلكات البريطانية هناك[٣].

---

(١) جون كيلي : المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) أحمد السباعي : تاريخ مكة، ج٢، ط٢، مطابع دار قريش، ١٣٨٢هـ، ص ص ١٢٥– ١٢٦؛وانظر : سعد بدير الحلواني (الدكتور) : العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن التاسع عشر الميلادي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٨، ص ص ٢٦–٢٧.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٣، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٨م،ص ص ٥٩–٦٠.

وعلى أية حال، فسواء أكان هناك خلاف حول ما إذا كان لدى فرنسا خطة محددة استهدفت احتلال الهند أم لم يكن، فإن الحملة الفرنسية على مصر ووصول القوات الفرنسية إلى شواطئ الإسكندرية ثم البحر الأحمر، أشعر السلطات البريطانية بالخطر، وجعل من الضرورة اتخاذ الإجراءات المضادة السريعة للحيلولة دون إمكانية وصول القوات الفرنسية إلى الهند(١).

وبناءً على ذلك، وضعت بريطانيا سياستها على أساس وضع الفرنسيين في مصر بين فكي الكماشة وتحاصرها من ناحية البحر المتوسط ومن ناحية البحر الأحمر(٢)، على النحو الذي يأتي ذكره.

أولًا : بعد أن وصلت الأنباء إلى لندن بتوجه الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت، صدرت الأوامر للقوات البريطانية بقيادة نيلسون في مايو عام ١٧٩٨م بالتوجه إلى الإسكندرية، ثم إلى الأناضول لتنسيق التعاون مع السلطات العثمانية لمواجهة الغزو الفرنسي(٣)، على أساس أن الدولة العثمانية صاحبت السيادة على مصر آنذاك .

ثانيًا : وفي واحد أغسطس عام ١٧٩٨م، دخل الأسطول البريطاني بقيادة الأدميرال سير "هوراثيو نيلسون" في مواجهة عسكرية مع الأسطول الفرنسي بقيادة الأدميرال "فرانسوا بول بروييز" في موقعة أبي قير البحرية، وسماها الإنجليز "معركة النيل"، واستمرت هذه المعركة يومي (١،٢ أغسطس)، وكان التكتيك العسكري الفرنسي أن يقابل الهجوم البريطاني من جانب واحد وهو المواجه

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٣ ؛ وانظر كذلك: محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية، ص ص ٢٥٥–٢٥٦.

(2) Letter du general Bonaparte a limam de Mascate, du quartier general du Caire Le 25 janvier 1799 (28Chaban1213).

(٣) وليد جرادات : المرجع السابق، ص ص ١٢٥–١٢٦.

للبحر، بينما الجانب الآخر محمي من قبل الشاطىء، إلا إن نيلسون قائد الأسطول البريطاني وضع خطة التفاف حول الأسطول الفرنسي، بحيث وضع نصف سفنه بين البر والأسطول الفرنسي، وبالتالي القدرة على المهاجمة من كلا الجانبين. ودارت الدائرة على الأسطول الفرنسي وتحطم في هذه الموقعة[١]، وهو ما جعل مهمة إنجاز المخططات الرئيسة للحملة الفرنسية أمرًا بالغ الصعوبة [٢]، وأحبط هذا هدف نابليون في تعزيز الموقف الفرنسي في البحر المتوسط .

زاد من حرج الموقف الفرنسي قيام الأسطول البريطاني بمحاصرة الشواطئ المصرية، ومن ثم عزل الحملة الفرنسية في مصر عن الوطن الأم فرنسا .

ثالثًا : استطاعت الحكومة البريطانية – بعد هزيمة الفرنسيين في موقعة أبي قير البحرية– أن تستصدر من السلطان العثماني[٣] في أغسطس من العام نفسه أيضاً، فرماناً يمنح السفن الحربية البريطانية حرية الملاحة في البحر الأحمر، وأصدر السلطان العثماني أوامره إلى حكام الثغور في البحر الأحمر لتقديم المساعدة للقوات البريطانية التي ستزور تلك الموانئ. ومن ثم تلاقت وجهات

([1]) op.cit, p.88; Coupland,

وانظر كذلك: جون كيلي: المرجع السابق، ج ١،ص١٣٠.

([٢]) جون كيلي: المرجع السابق، ص ص ١٠٣–١٠٤؛ وانظر كذلك: صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٦٩.

([3]) Public Records Office, (P.R.O.) admirals in Letters, (ADM I)/ 169, PP.270–279, PP.396–398, PP.402–405.

نظر كل من العثمانيين والبريطانيين في ضرورة التحالف معاً لإخراج الفرنسيين من مصر[١].

واستكمالاً لسياسة التحالف البريطاني العثماني، حرصت بريطانيا على المبالغة في إظهار صداقتها للدولة العثمانية، وإن كان المحرك الأول للموقف البريطاني هو المحافظة على مصالحها ونفوذها في المنطقة، وقد عبرت الحكومة البريطانية في مراسلاتها مع السلطان العثماني عن رغبتها في حماية ممالك السلطان، واستعدادها لتقديم المساعدة العسكرية لمواجهة الخطر الفرنسي، حتى إذا تطلب الأمر الاشتراك معها في حرب ضد الفرنسيين[٢].

شملت هذه المراسلات أيضاً إمكانية انضمام دولة ثالثة للتحالف البريطاني العثماني، وقد تكون هذه الدولة روسيا [٣].

سارت المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا من جانب، وروسيا وبريطانيا من جانب آخر، وأسفرت المفاوضات عن عقد تحالف دفاعي هجومي لمدة ثمانٍ سنوات بين روسيا والدولة العثمانية في ديسمبر ١٧٩٨م، وقد دعت الدولتان الدول الأوروبية الأخرى كبريطانيا والنمسا وبروسيا وغيرها للانضمام إلى هذه المعاهدة لحفظ التوازن الدولي[٤].

وفي يناير ١٧٩٩م، نجحت بريطانيا في عقد معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية، جاء فيها: "انضمام بريطانيا إلى التحالف العثماني الروسي، للعمل معاً

---

(١) كمال الدين حسين عبد الرحيم : بونابرت والقصير والمعارك الرئيسة في جنوب الصعيد، القاهرة، ١٩٩٦م ص١١.

(٢) نفسه، ص ص١١-١٢

(٣) نفسه، ص ص٤٦-٥٥، ص ص ٦٠-٦٢.

(4) Graham, G.S.: op.cit,PP.73-74

لطرد الفرنسيين من المنطقة، في مقابل تعهد بريطانيا بضمان استقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها دون استثناء" [١] .

وتنفيذاً لهذه المعاهدة، قامت بريطانيا بإرسال قواتها إلى مصر، والحقيقة، إن الحكومة البريطانية أدركت مدى أهمية الاشتراك العسكري مع الدولة العثمانية لإخراج الفرنسيين من مصر للمحافظة على المصالح البريطانية في الهند .

وقد مهد عقد هاتين المعاهدتين تكوين المحالفة الدولية ضد فرنسا . وهى ما تعرف بالتحالف الدولي الثاني ضد فرنسا [٢]. إذ سرعان ما انضمت مملكة نابولي وحكومة النمسا إلى الحلفاء بمقتضى معاهدة ١٧٩٩م وأعلنتا الحرب على فرنسا[٣].

رابعًا : في إطار الإجراءات البريطانية لمواجهة الخطر الفرنسي في منطقة البحر الأحمر، أرسلت بريطانيا قوة عسكرية مكونة من أربعة آلاف جندي إلى الهند لتعزيز القوات البريطانية المرابطة هناك[٤].

كما أرسلت دوريات استطلاعية من الأسطول البريطاني فيما بين منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر، وطُلب من حكومة الهند البريطانية الاتصال

([1]) Bombay Archives (B.A) Secret and Political Departments, (S.P.D.),Diary No.57/ 1797, PP.1618-1644.

سنشير إلى وثائق أرشيف بومباي فيما بعد بالاختصار : B.A

([٢]) فاروق عثمان أباظة: المرجع السابق، ص ٨١.

([٣]) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق، ص ٧٧.

([٤]) شوقي الجمل (الدكتور): سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دراسة منشورة ضمن " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة "، مرجع سابق، ص ٣٩٠.

بحكام الولايات الشمالية الغربية من الهند لإقناعهم بصد أي هجوم قد يقوم به الفرنسيون على الهند[١].

خامسًا : طُلب من حكومة الهند البريطانية أيضاً، كسب ود والي بغداد، وتعيين ممثل سياسي بريطاني فيها[٢]، جاء في مقدمة قرار تعيينه التصدي للخطط الفرنسية في المنطقة بكل السبل المتاحة [٣] .

سادسًا : استكمالاً للإجراءات البريطانية في منطقة البحر الأحمر، حرصت حكومة الهند البريطانية على توثيق اتصالاتها بحكام المنطقة، لضمان عدم اتصالهم بالفرنسيين، ولتدعيم الوجود البريطاني في البحر الأحمر، فقامت بإرسال رسائل إلى حكام الثغور في البحر الأحمر تحذرهم من قدوم الفرنسيين وخطر تواجدهم في بلدان البحر الأحمر، وطلبت منهم عدم تقديم أية تسهيلات لهم[٤].

سابعًا: وكان ضمن سلسلة الإجراءات البريطانية الوقائية للوقوف ضد الزحف الفرنسي أن قامت حكومة الهند البريطانية بالتشاور مع الحكومة البريطانية في لندن حول احتلال جزيرة "بريم" أو "ميون" كما كان يسميها العرب، عند مدخل

([1]) pp. 4237–4239. B.A., (S.P.D.), Diary No. 66 / 1798,

([2]) De Sire, La Creix: op . cit.,pp.257–258.

وانظر كذلك : وليد جرادات : المرجع السابق، ص١٢١

([٣]) محمد عبد الحسين الحلي : المرجع السابق، ص٧٧

([٤]) مجموعة الوثائق التركية : دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وثيقة بدون رقم، ترقيم ٢٢/٤/١ (د.ن) ويرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة هو ١٧٩٨م، لأن الاستعدادات العثمانية الفعلية قد بدأت في هذا العام؛ ولمزيد من التفاصيل، انظر أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : سياسة فرنسا واستراتيجيتها في البحر الأحمر إبان الحملة الفرنسية على مصر، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٢، يوليو . سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ص ١٣٥، ١٦٢.

البحر الأحمر، بناءً على ذلك، قام حاكم بومباي " كابتن جي دنكان "Cap.J.Duncan" باتصالات دبلوماسية مع بعض حكام البحر الأحمر، فبعث برسائل إلى كل من إمام اليمن، وسلطان لحج وعدن، وشريف مكة، وحاكم جدة، وحاكم المخا وذلك في فبراير ١٧٩٩م [١]. تضمنت هذه الرسائل جميعها موضوعًا واحدًا هو أن الفرنسيين اتخذوا من جزيرة بريم مقرًا لهم للسلب والنهب، وأن حاكم بومباي قد أرسل إلى تلك الجزيرة المذكورة عددًا من المدافع مصحوبة بالسفن الحربية البريطانية للحماية ولوضع رقابة على مدخل البحر الأحمر [٢]

وصدرت الأوامر بأن تكون الحملة تحت قيادة العميد البحري "جون بلانكيت" John Blanket قائد السفن البريطانية في البحر الأحمر والمدن المجاورة، كما تم تكليف الكولونيل "جون موراى " Col. John Murray بقيادة الجيش المعني باحتلال جزيرة بريم[٣]. ولهذا تحركت من بومباي قوة بحرية في أبريل ١٧٩٩م قوامها ثلاثمائة أوروبي وهندي واتجهت نحو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، تمكنت هذه القوة من احتلال جزيرة بريم الواقعة في أضيق نقطة بمضيق باب المندب[٤]، الذي يصل البحر الأحمر بخليج عدن وذلك في اليوم الثالث من شهر مايو عام ١٧٩٩م وظلت تحتلها حتى أوائل شهر سبتمبر من العام نفسه .

---

(١) محمد عبد الحميد على عثمان: المطامع البريطانية في جنوب شبه الجزيرة العربية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص٤٦.

(2) B.A.,(S.P.D),DiaryNo.75/1799,pp.2235-2236.

(3) P.R.O.,(ADMI) 178:op. cit,pp.324-325, the also: .B.A., (S.P.D), Diary No. 75/ 1799, pp.2137-2145

(4) P.R.O.(ADMI)/169,op.cit,pp.580-585;the also: B.A.(S.P.D.), Diary No 75 / 1799,pp. 2235-2236

غير أن البريطانيين تبينوا أن المضايق في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر لا يمكن السيطرة عليها من جزيرة بريم بواسطة المدفعية الساحلية، كما أن مناخ الجزيرة رديء للغاية، وليست بها مياه للشرب ولهذا سحب " مورای " قواته من جزيرة بريم[١].

بعد إخلاء جزيرة بريم، صدرت موافقة مجلس حكومة بومباي على تأسيس قاعدة بريطانية في عدن خاصة بعد أن اطمأن " مورای " لحسن نوايا سلطان لحج وعدن الذي أبدى موافقته المبدئية على بقاء البريطانيين مؤقتاً في عدن خلال الفترة التي يحتاجونها. وقد اتجه " مورای " بقواته إلى عدن، حيث استقبله سلطانها استقبالًا طيبًا. وبذل "مورای " محاولاته للتحالف مع سلطان عدن لضمان اتخاذ عدن محطة دائمة للسفن البريطانية، غير أن هذا الموضوع تأجل الاتفاق عليه[٢] واضطرت هذه القوة البحرية البريطانية أن تنتظر في عدن حتى شهر مارس عام ١٨٠٠م لتستعين بالرياح الموسمية للتوجه عائدة إلى الهند.

وإبان وجود القوات البريطانية في عدن، حدث شجار بين جنود القوات البريطانية وبين بعض العرب، وخشية من تورط المصالح البريطانية في نزاعات داخلية مع الأمراء العرب الذين من مصلحة بريطانيا إبقاء العلاقات الودية معهم، صدرت تعليمات حاكم بومباي " دنكان " إلى الكولونيل " مورای " بالرحيل من عدن، إما إلى جزيرة بريم، أو العودة إلى الهند [٣].

([1]) George, H.B: Historical Geography of the British Empire,p124

انظر كذلك : فاروق عثمان أباظة (الدكتور): التنافس الدولي في جنوب البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دراسة ضمن كتاب " ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، مرجع سابق، ص٣٦١.

([٢]) صلاح الدين البكري اليافعي : في جنوب الجزيرة العربية، (د.ت) ص٥١.

([3]) Aitcheson, C.U.: A collection of Treaties, Engagements, and Sands relating to India and the Neighboring Countries, vol. XI, p 123

وعلى الرغم من التعليمات الصادرة إلى الكولونيل " موراى " غير أنه اتجه على رأس قواته إلى شمال البحر الأحمر(١)، لزيارة الجيش العثماني هناك، ثم اتجه إلى خليج السويس لمواجهة النشاط الفرنسي هناك .

وفي إطار الإجراءات العسكرية لحكومة الهند، أُرسلت حملة من بومباي في شهر مارس عام ١٨٠٠م بقيادة العميد " بلانكيت " متجهة أيضاً إلى البحر الأحمر "حملة البحر الأحمر " Red Sea Expedition، وفي ميناء المخا اليمني، تلقي قائد الحملة أنباءً عن اتفاقية جلاء الفرنسيين عن مصر " اتفاقية العريش "، وأن الفرنسيين على وشك سحب قواتهم من السويس، فسار فورًا إلى السويس للمساعدة في تطبيق شروط المعاهدة إذا لزم الأمر، ولكنه عندما وصل إلى السويس تعرض لإطلاق النار من قبل القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في السويس حينئذ، فتراجع العميد بلانكيت الذي تأكد له أن المعاهدة مع الفرنسيين قد أُبطلت بسبب رفض البريطانيين لبعض بنودها(٢).

فاتجه إلى ميناء جدة لرسو السفن، خاصة أنه تبين له أن ميناء القصير لا يصلح لرسو السفن ويمثل خطراً على السفن البريطانية، وفي جدة اجتمع العميد " بلانكيت " مع شريف مكة غالب بن مساعد للحصول على مساعدة لطرد الفرنسيين من مصر والبحر الأحمر(٣).

---

(1) B.A.(S.P.D.),Diary No.88/1800, pp. 926-928 .

(2) 4B.A.(S.P.D.),Diary No.90/1800, pp.1143-1145

(3) P.R.O, (ADMI) / 170, pp. 164- 166.

وكان الشريف غالب بن مساعد قد اتفق مع الفرنسيين من قبل على عدم فتح موانيه أمام السفن البريطانية، ولهذا فقد لمس العميد "بلانكيت" تغيراً في موقف الشريف وتصرفاته تجاه البريطانيين(١).

وجاءت التعليمات إلى العميد "بلانكيت" أن يبذل كل جهوده لتجريد الفرنسيين من وسائل الاستقرار في البحر الأحمر، والعمل على اعتراض التجارة الفرنسية، وفصلها عن مصالح شريف مكة التجارية(٢).

ومما هو جدير بالذكر، أن الحكومة البريطانية لم تكتف بتجهيز حملة العميد "بلانكيت" إلى البحر الأحمر لمساندة حملة البحر المتوسط والمشتركة مع القوات العثمانية في الشمال، بل عملت على تجهيز حملة ثالثة بقيادة "سير هوم بوفهام" Sir H. Popham عام ١٨٠١م، حيث عهدت إليه بالخروج في أسطول حربي عبر رأس الرجاء الصالح يتجه إلى بومباي، ويستعين هناك بقوات إضافية ثم يتوجه إلى البحر الأحمر، ويعمل على الاتصال ببقية وحدات الأسطول البريطاني بقيادة العميد "بلانكيت"(٣). للعمل معاً على إجلاء الفرنسيين عن مصر. ومع أن بعثة بوفهام تأخر وصولها ولم تشارك فعليًا في تحركات العميد بلانكيت العسكرية، وإنما دخل في إبرام علاقات ودية مع حكام منطقة البحر الأحمر(٤) فقد حملته حكومته رسائل عديدة إلى كل من شريف مكة، وإمام اليمن، وسلطان لحج وعدن تطلب منهم الدخول في معاهدات حلف وصداقة(٥).

---

(1) 187. P.R.O., (ADMI) / pp.176-170,

(2) P.R.O., (ADMI) /170, pp.190-191

(3) P.R.O., ADMI /170 pp.206-207.

(٤) محمد فؤاد شكري: الحملة الفرنسية، ص ص ٤٠١-٤٠٢.

(5) Playfair, R. L.: A history of Arabia Felix or Yemen, Bombay Government Central Press. 1859.pp.124-126

وفي إطار تدعيم حملة البحر الأحمر، صدرت تعليمات حاكم الهند بتجهيز كل ما يلزم من جنود وسفن ومدافع لمساندتها، وبالفعل وصلت قوة بحرية بريطانية من بومباي إلى ميناء القصير في مايو ١٨٠١م واحتلت الميناء واتجهت صوب صعيد مصر للمساهمة في القتال ضد الفرنسيين.

غير أن حملة البحر الأحمر التي وصلت القصير وتوغلت في أراضي مصر، كانت قد وصلت إلى القاهرة في أغسطس من عام ١٨٠١م، وبذا لم تشارك في قتال الفرنسيين، ولم يكن لها أثر في العمليات العسكرية التي انتهت بجلاء الفرنسيين من مصر، ووقع العبء كله على حملة البحر المتوسط [١]. التي تابعت انسحاب آخر جندي فرنسي من مصر في سبتمبر ١٨٠١م، كما أنهم استولوا على جزيرة مالطة حتى لايقوم الفرنسيون باحتلالها مرة أخرى .

ولاشك أن هدف المسؤولين في الحكومة البريطانية من اشتراك حملة البحر الأحمر مع حملة البحر المتوسط والقوات العثمانية المتحالفة معها في شمال مصر، تطويق القوات الفرنسية من الشمال والجنوب و من ثم الإجهاز عليها .

وعلى الرغم من أن حملة البحر الأحمر تأخرت ولم تشارك في العمليات العسكرية إلا إنه يرجع الفضل لها في السيطرة على موانئ السويس والقصير، وتأمين المنطقة عسكرياً أمام أية محاولة فرنسية مباغته [٢].

كما إن إرسال قوات بريطانية من الهند خلال البحر الأحمر أمر له دلالته، إذ يظهر مدى الارتباط الذي بدأ يوجد بين مصر والممتلكات البريطانية في الشرق عن طريق البحر الأحمر، وظل هذا الارتباط من القواعد الجوهرية في سياسة بريطانيا في

---

(١) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية، ص ص ٣٩٥–٣٩٧.

(٢) جون كيلى : المرجع السابق، ج ١، ص ١١٤.

الشرق طوال القرن التاسع عشر الميلادي[١]، كما إن التعاون بين القوات البريطانية في الشمال الآتية من أوروبا وبين القوات البريطانية الآتية من الجنوب في الهند سمة واضحة في استراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ ذلك الحين، كما كانت هذه الحادثة دلالة على أول استخدام للبحرين المتوسط والأحمر في الأغراض العسكرية الحديثة [٢].

وهكذا، تبين لنا أن البريطانيين قد اتخذوا عدداً من الإجراءات السياسية والعسكرية في منطقة البحر الأحمر والبحر المتوسط والبحار المتصلة بهما مثل الخليج العربي والمحيط الهندي، فضلاً عن اتصالاتهم مع أمراء وحكام منطقة البحر الأحمر، وتحالفهم مع الدولة العثمانية واستمرت تلك الإجراءات الأمنية الوقائية حتى بعد خروج الفرنسيين من مصر .

وبذلك نستطيع أن نقول أن الإجراءات التي اتخذتها بريطانيا لمواجهة الخطر الفرنسي نجحت إلى حد كبير في احتواء الاستراتيجية الفرنسية والتغلب عليها في المنطقة كحلقة من حلقات الصراع الاستعماري الفرنسي البريطاني .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٧.

(2) Marston, Thomas, E.:Britain's Imperia Role in Sea area, 1800–1878, Copyright 1961, pp.31–32. The Red

الخاتمة :

لقد أوضحت هذه الدراسة أن الإستراتيجية الفرنسية قد اتخذت من عام ١٧٩٥م عامًا حاسمًا ومفصليًا في سياستها تجاه ضرب بريطانيا في مستعمرتها عن طريق السيطرة على منطقة البحر الأحمر، وبدأ التفكير بجدية في غزو مصر.

كما اتضح من هذه الدراسة أن الخارجية الفرنسية ممثلة في "تاليران" و"ماجلون"، كانت تعمل بالتنسيق مع القوات العسكرية الفرنسية ممثلة في " نابليون بونابرت "، للعمل على السيطرة على منطقة البحر الأحمر، والخطوة الأولى لتحقيق ذلك هي السيطرة على مصر كموطئ قدم للوثوب منها للسيطرة على بقية مناطق البحر الأحمر .

ولهذا، يتضح أن الغزو الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨م، لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هدف أبعد وهو استغلال الطريق القصير المؤدي إلى الهند وهو طريق البحر الأحمر، وبالتالي منع بريطانيا من الوصول إليها .

كما بينت هذه الدراسة أن السياسة الفرنسية، قد لجأت إلى عددًا من الإستراتيجيات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية من أجل احتواء منطقة البحر الأحمر والسيطرة عليها. غير إن هذه الإستراتيجيات لم تنجح بسبب الإجراءات المضادة التي اتخذتها بريطانيا عن طريق استخدام نفس الأسلوب الاستراتيجي في المواجهة .

غير أن الذي ساعد بريطانيا في التغلب في النهاية وجود أكثر من قاعدة عسكرية انطلقت منها القوات البريطانية، هذا بالإضافة إلى التحالف البريطاني العثماني، فضلاً عن قيادة بريطانيا لعقد التحالف الأوروبي الأول والثاني ضد فرنسا .

كما أوضحت هذه الدراسة أن إرسال قوات عسكرية بريطانية من الهند "حملة البحر الأحمر" للاشتراك مع القوات العسكرية البريطانية الآتية من أوروبا "حملة البحر المتوسط"، أمر له دلالته في التنسيق والارتباط بين الهند ولندن، ويحدث هذا لأول مرة في الاستراتيجية البريطانية، وأصبح ذلك سمة واضحة في إستراتيجية الدفاع البريطاني عن مصالح بريطانيا العظمى منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ومنطقة البحر الأحمر وحتى طوال القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين الميلاديين .

خط سير الحملة الفرنسية على مصر

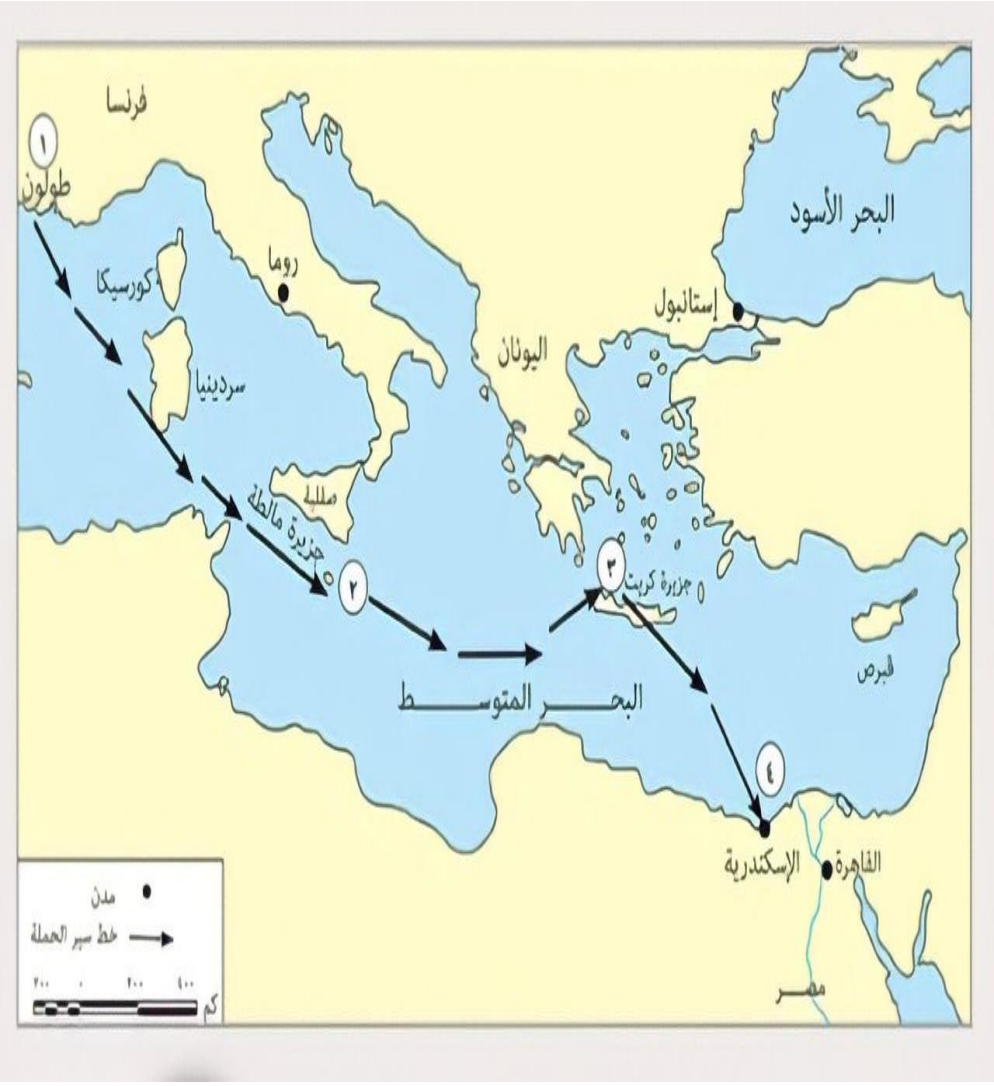

انتحار هربرت نورمان عام ١٩٥٧م وأثره على العلاقات الكندية- الأمريكية

أ.م. د. شريف محمد أحمد عبد الجواد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب– جامعة المنيا

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث قضية مهمة وشائكة في العلاقات الدولية، وهي قضية انتحار هربرت نورمان السفير الكندي بالقاهرة عام ١٩٥٧م، حيث دفعت الاتهامات الموجهة للسفير نورمان بالشيوعية من قِبل اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي إلى التخلص من حياته، والتي ترتب عليها توتر كبير في العلاقات بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية، هدد بوقف التعاون الأمني وتبادل المعلومات بين الطرفين خلال تلك الفترة، مما حدا بالحكومة الأمريكية لتهدئة الموقف في محاولة لإنهاء الأزمة في العلاقات مع كندا.

الكلمات المفتاحية:

هربرت نورمان، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية، الحرب الباردة.

Abstract

Herbert Norman's suicide in 1957 and its effect on Canadian-American Relations.

Dr. Sherif Mohamed Ahmed Abdel Gawad

Assistant Professor of Modern and Contemporary History

Faculty of Arts - Minia University

This study deals with an important and thorny issue in international relations, This is the case of the suicide of Herbert Norman, the Canadian ambassador in Cairo, in 1957. The accusations against Ambassador Norman of communism were pushed by the US Senate Homeland Security Subcommittee to dispose of his life, which resulted in great tension in the relations between Canada and the United States of America and threatening to stop security cooperation and exchange of information between the two countries during that period. This prompted the US government to calm the situation in an attempt to end the crisis in relations with Canada.

key words:

Herbert Norman, Canada, USA, Cold War.

مقدمة:

يتناول هذا البحث موضوعًا في غاية الأهمية؛ وذلك لتأثيره على العلاقات الكندية الأمريكية، وهو قضية انتحار هربرت نورمان (Egerton Herbert Norman)[١] السفير الكندي في مصر عام ١٩٥٧، بعد توجيه الاتهامات له من قِبل اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي عدة مرات اتهمته فيها بالشيوعية، مما دفعه في النهاية للانتحار، والذي كان له خلفياته وأسبابه المتداخلة والمتعددة، حيث أنهى نورمان حياته بإرادته منتحرًا من أعلى إحدى عمارات حي الدقي بمدينة القاهرة في ٤ أبريل ١٩٥٧، مما كان له وقع سيء في توتر العلاقات الكندية الأمريكية؛ بسبب التهديد الكندي للولايات

(١) إجيرتون هربرت نورمان: مؤرخ، ودبلوماسي كندي، ولد في الأول من سبتمبر ١٩٠٩ في كارويزاوا (Karuizawa) باليابان، لأبوين كنديين، حيث غادر والداه للعمل التنصيري هناك، درس في جامعة تورنتو (Toronto)، وذهب في عام ١٩٣٣ إلى جامعة كامبريدج بمنحة دراسية، في أغسطس ١٩٣٥، تزوج هربرت نورمان من لورا إيرين كلارك (Laura Irene Clark)، وحصل بعد ذلك على درجتي الماجستير والدكتوراه. عِمل نورمان بالسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية الكندية منذ عام ١٩٣٩، وشغل العديد من المناصب، كان آخرها تعيينه سفيرًا في مصر عام ١٩٥٦. وصل نورمان إلى القاهرة في ١٩ أغسطس من نفس العام، وخلال أزمة السويس عمل بشكل كبير لإقناع الرئيس عبد الناصر بالسماح لقوات حفظ السلام الكندية بدخول سيناء تحت إشراف الأمم المتحدة. للمزيد راجع:

- Bowen (Roger W.), E.H. Norman: His Life and Scholarship, University of Toronto Press, Canada, 1984, PP.ix-xi. **أنظر شكل رقم (١)**

المتحدة الأمريكية بوقف التعاون الأمني وتبادل المعلومات بين الطرفين خلال تلك الفترة من الحرب الباردة.

ويعتمد هذا البحث على العديد من المصادر الوثائقية غير المنشورة، أهمها وثائق وزارة الخارجية الكندية، ووثائق وزارة الخارجية المصرية، وكذلك وثائق وزارة الخارجية الأمريكية، ووثائق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وأوراق بعض رؤساء الولايات المتحدة، بالإضافة إلى مضابط مجلس الشيوخ الأمريكي، ومجلس العموم الكندي، والمذكرات الشخصية، والعديد من الصحف الكندية والأمريكية والمصرية، بالإضافة إلى العديد من الدوريات والمراجع الأخرى.

يرجع اتهام السفير هربرت نورمان بالشيوعية لعام ١٩٥٠، عندما كان نائبًا لرئيس الوفد الكندي في الأمم المتحدة، حيث اتهمته اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي بميوله الشيوعية، وذلك على أساس اعتماد اللجنة في هذا الاتهام على شهادة كارل ويتفوجل (Dr. Karl Wittfogel)[١] أحد العلماء الألمان الذي كان شيوعيًّا، وكان

(١) كارل ويتفوجل (١٨٩٦–١٩٨٨): ولد في ألمانيا، مؤرخ وعالم اجتماع وشيوعي سابق، له العديد من المؤلفات، كتب كتابًا مرموقًا باللغة الألمانية في عام ١٩٣١ عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الصيني. كان أستاذًا زائرًا في جامعة واشنطن في سياتل، وترأس مشروع التاريخ الصيني في جامعة كولومبيا في الأربعينيات. للمزيد راجع:

- The New York Times, May 26, 1988, P.14.

يعمل أستاذًا للتاريخ بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك، حيث أكد أن نورمان كان يحضر اجتماعات الطلبة الشيوعيين، وأنه يعرفه كشيوعي[١].

ولقد أوضح وزير الدولة للشؤون الخارجية الكندية ليستر بيرسون (Lester Pearson)[٢] أن هربرت نورمان كان يجيد اللغة اليابانية بطلاقة، وأن بيرسون عندما كان في طوكيو عام ١٩٥٠ قال الجنرال دوجلاس ماك آرثر (Douglas MacArthur)[٣] القائد

---

(١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، رول رقم ٣٣٩، محفظة رقم ٦٧٧، كود أرشيفي (0078-041046)، سفارة جمهورية مصر بمدينة أوتاوا، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: انتحار السفير الكندي بالقاهرة، بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧، سري. وكذلك:

- United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Subcommittee to Investigate the Administration of the Internal Security Act and Other Internal Security Laws, Eighty-fifth Congress, first session, Section I, December 31, 1957, Government Printing Office, Washington, 1958, P.103.

(٢) ليستر بيرسون (١٨٩٧–١٩٧٢): سياسي كندي، شغل مناصب دبلوماسية قبل تولية وزارة الخارجية في الفترة ١٩٤٨–١٩٥٧، ورئاسة الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٥٢–١٩٥٣. حاز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٧، نظرًا لعمله في الأمم المتحدة ولجانها لحفظ السلام. للمزيد راجع: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة،ج١، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص٦٣٨.

(٣) دوجلاس ماك آرثر(١٨٨٠–١٩٦٤): تخرج عام ١٩٠٠ من كلية ويست بوينت الحربية، في عام ١٩٤١ عين قائدًا للقوات الأمريكية في الشرق الأقصى، وفي عام ١٩٤٣ أصبح قائدًا أعلى في جنوب غرب المحيط الهادي، وعقب استسلام اليابان عام ١٩٤٥ تم تعيينه قائدًا أعلى لقوات الحلفاء =

الأعلى لقوات الحلفاء في المحيط الهادي عن نورمان، الذي كان حينها مسؤولاً عن مهمة الاتصال الخاصة بكندا: "إنه أثمن رجل لدينا، نريد أن نشكرك على السماح له بمساعدتنا"(١).

وعلى الرغم من ذلك، أوضح بيرسون أنه كان من واجبه متابعة الاتهام، لأن الأدلة تضمنت بعض التهم المحددة، وعلى هذا الأساس، أمر باستدعاء هربرت نورمان للوزارة. وبالفعل فحصت شرطة الخيالة الملكية الكندية (The Royal Canadian Mounted Police) الاتهام بتفصيل كبير، لفترة استمر التحقيق فيها قرابة سبعة أسابيع مع نورمان، حيث كانت التهمة الرئيسة الموجهة إليه أنه عندما كان طالبًا في كامبريدج وهارفارد التحق بمجموعات الدراسة الشيوعية الماركسية، وعلى الرغم من عدم إخفاءه لذلك، لم تجد شرطة الخيالة الكندية الملكية أي شيء يشكك في ولاء نورمان لبلاده(٢).

وفي ٩ أغسطس ١٩٥١ أصدرت وزارة الشؤون الخارجية الكندية بيانًا صحفيًّا، أعلنت فيه الحكومة الكندية بشأن نورمان أنه قد خضع لتحقيق أمني، وفقًا للقواعد الموضوعة التي تنطبق على جميع أعضاء وزارة الشؤون الخارجية، ولكن عندما وصلت تقارير للوزارة عكست ولاءه وارتباطه السابق المزعوم بالحزب الشيوعي، فقد أجرت

=

فيها. للمزيد راجع: بسام العسلي: مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية، ماك آرثر، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٩، ص ص٥-٦.

(1) Pearson (Lester B.), Mike; the memoirs of the Right Honourable Lester B. Pearson, 1957-1968, Vol. 3, edited by: John A. Munro and Alex I. Inglis, University of Toronto Press, Canada, 1975, PP.168-169.

(2) Ibid., P.169.

السلطات الأمنية التابعة للحكومة التحقيقات بعناية شديدة، والتي أكَّدت أنه لا يزال مسؤولاً موثوقًا به، وذا قيمة في الخارجية الكندية[١].

وفي هذا الاتجاه، أدلى وزير الدولة للشؤون الخارجية الكندية في أوتاوا في ١٦ أغسطس ١٩٥١ ببيان صحفي، أعلن فيه الثقة الكاملة تجاه نورمان، كما أوضح رغبة حكومته أنه حال ظهور أسماء مسؤولين كنديين في التحقيقات التي تجريها لجان من هذا النوع في واشنطن، فإنه ينبغي عدم الإعلان عن الأسماء، ولكن يجب إرسال تلك التحقيقات إلى الحكومة الكندية من خلال القنوات الدبلوماسية العادية، وبذلك يمكن اتخاذ الإجراءات والتحقق من صحة تلك الادعاءات المقدمة من عدمها. حيث قال: " أنه تم إرسال رسالة عاجلة إلى سفارتنا في واشنطن تطلب منهم إبلاغ وزارة الخارجية الأمريكية بدهشتنا من أن اسم مسؤول كبير محترم وموثوق به في الحكومة الكندية قد تم ذكره بطريقة لا يمكن أن تؤدي للإضرار بمنصبه. أكدنا ثقتنا الكاملة بالسيد نورمان وطلبنا أن تكون اللجنة الفرعية للكونجرس على علم بهذه الحقيقة"[٢].

وعلى الرغم من أن وزارة الشؤون الخارجية الكندية برأَّت نورمان، لكنها أعادت فتح القضية في عام ١٩٥٢ بعد أن أبلغت وكالة الاستخبارات والأمن في المملكة

(1) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVI, No.931, (April 29, 1957), Government Printing Office, Washington, text of press release issued by the Department of External Affairs on August 9, 1951, P.695.

(2) Ibid., text of a statement made in Ottawa on August 16, 1951 by the Secretary of State for External Affairs, Mr. Pearson, P.695.

المتحدة، السلطات الكندية أن لديها دليلًا على أنه كان شيوعيًّا نشطًا عندما كان طالبًا في جامعة كامبريدج في الثلاثينيات، إلا إن الوزارة برأت نورمان مرة أخرى(١).

- **تكرار الاتهامات الأمريكية للسفير الكندي بالقاهرة مارس ١٩٥٧:**

لقد نشرت اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي في ١٤ مارس ١٩٥٧، محضر جلسات الاستماع الخاصة بها للصحافة(٢)، والتي ادعت بأن السفير الكندي في القاهرة هربرت نورمان كان شيوعيًّا(٣).

---

(1) Barry (Donald), Cleared or covered up? The Department of External Affairs investigations of Herbert Norman, 1950-52, International Journal, Vol. 66, No. 1, The other transatlantic relationship: Canada, the EU, and 21st century challenges, (Winter 2010-11), P.148.

(٢) في إطار بحث اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي في ١٢ مارس ١٩٥٧، عن النشاط السوفيتي في الولايات المتحدة جاءت شهادة جون ك. إيمرسون (John K. Emmerson)، الذي عرّف عن نفسه بأنه نائب رئيس البعثة ومستشار سفارة الولايات المتحدة في بيروت– لبنان. وقد تناول الاستجواب الفترة في عام ١٩٤٥ عندما كان السيد إيمرسون متمركزًا في طوكيو، وفي ذلك الوقت كان هربرت نورمان دبلوماسيًّا كنديًّا، وكان يعمل في فيلق مكافحة التجسس. وقد سأل السيد موريس مستشار اللجنة الفرعية إيمرسون: هل لديك أي علم بأن السيد نورمان الرجل الذي تحدثت عنه كان شيوعيًّا؟ فكان جوابه: لم يكن لدي أي علم على الإطلاق. لمزيد من التفاصيل عن نص شهادة إيمرسون، راجع:

https://www.canadianmysteries.ca/sites/norman/inpursuitofnorman/normanunderscrutiny/5469en.html

(3) Foreign Relations of the United States (F.R.U.S.), 1955-1957, Western Europe and Canada, Vol. XXVII, United States Government Printing Office, =

وفي اليوم التالي لنشر اتهامات اللجنة الأمريكية، اجتمع مجلس العموم الكندي في ١٥ مارس ١٩٥٧، وتم مناقشة مسألة السفير هربرت نورمان، حيث وجه زعيم المعارضة جون ديفينباكر (John G. Diefenbaker)(١) سؤالاً إلى وزير الدولة للشؤون الخارجية، حول ورود رسالة إخبارية من واشنطن مفادها أن لجنة تحقيق أمريكية أصدرت أدلة تتهم دبلوماسيًّا كنديًّا بأنه شيوعي، وتسعى إلى ربط اسمه بقضية التجسس الكندية لعام ١٩٤٦، هذا في الوقت الذي طالب فيه زعيم المعارضة بتقديم أقوى احتجاج ممكن للولايات المتحدة الأمريكية ضد هذا الهجوم الضار ليس فقط بالدبلوماسي الكندي، ولكن بعلاقات كندا الدولية أيضًا. وعلى الرغم من تكرار الاتهامات الأمريكية للسفير نورمان، وإجراء الحكومة الكندية فحص أمني خاص له وشامل، تم الإعلان عن نتائجه في بيانين

=

Washington, 1992, Memorandum of a Conversation, Department of State, Canadian Reaction to Norman Case, Washington, April 9, 1957, P.886.

- Documents on Canadian External Relations (DCER), Vol.23, 1956-1957, Part.2, department of foreign affairs and international trade, Ottawa, 2002, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in Egypt, Ottawa, March 15, 1957, Confidential, Immediate, P.83.

(١) جون ديفينباكر: سياسي كندي، ولد عام ١٨٩٥، زعيم الحزب التقدمي المحافظ في الفترة من ١٩٥٦–١٩٦٧، تولى رئاسة الوزراء على أثر اكتساح حزبه للانتخابات عام ١٩٥٧. أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة،ج٢، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٧٤٧.

صحفيين من قبل الخارجية الكندية في ٩، ١٦ أغسطس ١٩٥١[١]، لذلك نفي وزير الخارجية الكندي هذه الاتهامات نفيًا قاطعًا، كما أشاد بأمانه نورمان وإخلاصه لحكومته[٢].

كما قال وزير الخارجية في هذا الشأن: " بعد إجراء الفحص، لم تضعف ثقتنا في ولاء السيد نورمان بأي شكل من الأشكال... فهو مسؤول حكومي كُفء ومخلص، يقوم بعمل بالغ الأهمية في منصب صعب للغاية بطريقة نالت إعجابي وتستحق دعمي الكامل. هذه الافتراءات والتلميحات غير المدعومة ضده الواردة في تقرير اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ بالولايات المتحدة يمكننا التعامل معها بالازدراء الذي تستحقه"[٣].

ولقد جاء رد وزارة الخارجية الأمريكية في بيانها الصحفي بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٧، أن التحقيق الذي أجرته اللجنة خضع بالكامل لسيطرة اللجنة، حيث إن الادعاءات التي قد تكون قدمت بشأن هربرت نورمان أثناء جلسة الاستماع لا تمثل آراء

---

(1) Canada, House of Commons, Debates, Official Report, 22nd Parliament, 5th Session, 1957, Vol. II, Edmond Cloutier, C.M.G., O.A., D.S.P., Queen's Printer and Controller of Stationery, Ottawa, 1957, PP. 2349-2350.

(٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، رول رقم ٣٣٩، محفظة رقم ٦٧٧، كود أرشيفي (0078-041046)، سفارة جمهورية مصر بمدينة أوتاوا، من السفير إلى وكيل وزارة الخارجية، بشأن: البيان الذي أدلى به ليستر بيرسون وزير خارجية كندا بمجلس العموم، بتاريخ ١٨ مارس ١٩٥٧، سري. **انظر ملحق رقم (١)**

(3) Canada, House of Commons, Debates, Official Report, 22nd Parliament, 5th Session, 1957, Vol. II, P.2350.

حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تسعى للمحافظة على العلاقات الودية مع كندا، وكذلك تبدي ثقتها الكاملة للحكومة الكندية في اختيار ممثليها الرسميين(١).

وتجدر الإشارة إلى أن مسألة نشر تقرير اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي الصادر في ١٤ مارس ١٩٥٧، قد تم الموافقة عليه في ظل مخاوف جدية من رئيس اللجنة، والذي أوضح أن تردده تم التغلب عليه إلى حد كبير في ظل موافقة وزارة الخارجية الأمريكية على النشر، والمصادقة عليه من الوزارة، وبغض النظر عن ذلك التوجه، فإن العديد من كبار المسؤولين في الخارجية الأمريكية قد أكدوا على أن الفرع التنفيذي لا يمكنه السيطرة على إجراءات اللجنة الفرعية(٢).

وطبقًا لتقرير اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي بشأن نورمان، كان هناك أدلة على أنه شارك في نشاط مؤيد للشيوعية على الأراضي الأمريكية، واستخدم المفوضية الكندية في طوكيو كمركز اتصال لمجموعة أمريكية مؤيدة للشيوعية. إضافةً لهذا، فإنه كان ممثلاً لكندا في شؤون الاستخبارات في مقر الجنرال ماك آرثر، كما خدم في السفارة الكندية بواشنطن، وفي المكتب الأمريكي في وزارة الخارجية

(1) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVI, No.927, (April 1, 1957), Government Printing Office, Washington, Department Announcement Regarding Canadian Ambassador to Egypt, Press release 152 dated March 16, P.539.

- DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Ambassador in United States to Secretary of State for External Affairs, Washington, March 29, 1957, Secret, Important, PP.87-88.

(2) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Ambassador in United States to Secretary of State for External Affairs, Washington, April 6, 1957, Confidential, OpImmediate, PP.89-90.

الكندية، وبذلك كان في مناسبات عديدة وعلى مدى سنوات في وضع يمكنه من الوصول إلى المعلومات الأمنية الأمريكية المهمة للأمن الداخلي والدفاع للولايات المتحدة الأمريكية[١].

وتجدر الإشارة إلى أن فهم نورمان لطبيعة السياسة في اليابان[٢] بعد الحرب العالمية الثانية قد ساهم في إدراكه لموقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه هذا البلد، حيث قام جورج كينان (George Kennan)[٣] أحد مهندسي الدبلوماسية الأمريكية للحرب على الشيوعية، بزيارة اليابان في مارس ١٩٤٨ لتأكيد سياسته المفضلة المتمثلة في إبقاء اليابان تحت السيطرة الأمريكية، وأثناء وجوده في طوكيو، التقى كينان مرتين مع هربرت نورمان. وعند عودته إلى واشنطن، كتب كينان إلى وزير الخارجية الأمريكي جورج

(1) United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Loc, Cit., P.108.

(٢) واصل هربرت نورمان بحثه وكتابته طوال مسيرته الدبلوماسية، أثبتت كتبه الأربعة وعدد كبير من المقالات والأوراق أنه أحد العلماء الأجانب المتخصصين في تاريخ اليابان الرائدين في الغرب، ولا تزال مؤلفاته تحظى بتقدير كبير في اليابان نفسها. تم نشر ثلاث مجموعات من أعماله، أحدثها في أربعة مجلدات رائعة باللغة اليابانية في عام ١٩٨٨. ولمزيد من التفاصيل راجع:

- Lyon (Peyton V.), The Loyalties of E. Herbert Norman, Labour / Le Travail, Canadian Committee on Labour History, Vol. 28 (Fall, 1991), P.222.

(٣) جورج فروست كينان: دبلوماسي أمريكي، وضع في عام ١٩٤٧ سياسة مواجهة الاتحاد السوفيتي في ميادين نشاطه بنشاط مضاد له، تم تعيينه سفيرًا في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٢، وعندما طلبت الحكومة السوفيتية استدعاءه اعتزل منصبه ١٩٥٣. انظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول (أ. س)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥، ص١٥٣١. ولمزيد من التفاصيل عن كيفية مواجهة سياسة الاتحاد السوفيتي التي وضعها جورج كينان راجع:

- (X) , The Sources of Soviet conduct, Foreign Affairs, Vol. 25, July 1947, PP.566-582.

مارشال (George C. Marshall)[١]: "نعتقد أن هناك اختلافًا خطيرًا في وجهات النظر بيننا وبين الكنديين حول هذا الموضوع، والذي يجب تصحيحه في أسرع وقت ممكن"[٢].

وانطلاقًا من هذا، طلب كينان الإذن بالسفر سرًّا إلى أوتاوا لجعل الشؤون الخارجية على نفس الخط، وبالفعل فعل ذلك في أواخر مايو ١٩٤٨، وعلى الرغم من الشكوك من جانب مسؤوليه ومن جانب الحكومة البريطانية، قام ليستر بيرسون مرة أخرى بمواءمة الحكومة الكندية مع سياسة الولايات المتحدة الامريكية في آسيا. ربما تكون تقارير كينان عن نورمان قد أثارت التحقيقات التي أدت إلى اضطهاد نورمان بعد أن درس الأفكار الماركسية واعتنقها، وقد كشفت مصادر دبلوماسية أمريكية أنه في نفس الوقت بالتحديد كان كينان يكتب عن نورمان، حيث كان الأخير من بين الذين رفضوا أن يصبحوا حاملي رمح للإمبراطورية الأمريكية[٣].

---

(١) جورج مارشال (١٨٨٠–١٩٥٩): ضابط وسياسي أمريكي، ولد في ولاية بنسلفانيا، اختاره الرئيس روزفلت عام ١٩٣٩ لتولي منصب رئيس أركان الجيش الأمريكي، ثم تولي وزارة الخارجية في يناير ١٩٤٧، وفي يونيه من نفس العام، أعلن عن مشروع مارشال لإنعاش أوروبا. للمزيد راجع: مايكل لي لانج: 100 قائد عسكري، تصنيف لأكثر القادة العسكريين تأثيرًا في العالم عبر التاريخ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٩، ص ص٩٦–٩٨.

(2) Times – Colonist, Apr. 4, 2007, P. A13.

(3) Ibid.

على كل حال، فإنه طبقًا لتقرير اللجنة الفرعية–القسم السابع ١٩٥٧– قد تم الاستنتاج الذي لا مفر منه من هذا السجل " وهو أن السيد نورمان كان شيوعيًا، وأنه عمل في الولايات المتحدة، وأن هذا النشاط غطى فترة طويلة من الزمن"[١].

- **مذكرة الحكومة الكندية في ١٨ مارس ١٩٥٧:**

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد تقدم السفير الكندي بواشنطن أرنولـــــد هيني (Arnold Heeney)[٢] في ١٨ مارس ١٩٥٧، بمذكرة للخارجية الأمريكية؛ بسبب الادعاءات التي صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية ضد هربرت نورمان السفير الكندي في مصر، والذي يُعد بمثابة ممثل رفيع وموثوق للحكومة الكندية، وقد ابلغ السفير هيني للحكومة الأمريكية ما يلي:

١– الاحتجاج الشديد على الإجراء الذي اتخذته هيئة رسمية تابعة للفرع التشريعي لحكومة الولايات المتحدة في إصدار ادعاءات بشأن مسؤول كندي ونشرها.

---

(1) Central Intelligence Agency, Memorandum for DCI From Stanley J. Grogan Assistant to the Director, 19 August 1958. **انظر ملحق رقم (٢)**

(٢) أرنولد هيني (١٩٠٢–١٩٧٠): دبلوماسي كندي ولد في مونتريال، تلقى تعليمه في جامعتي مانيتوبا وأكسفورد (Manitoba and Oxford). تمت دعوته في عام ١٩٣٨ ليصبح السكرتير الأول لرئيس الوزراء ماكنزي كينج (Mackenzie King)، وفي عام ١٩٤٩، أصبح وكيل الوزارة للشؤون الخارجية، ثم عمل سفيرًا لدى الناتو في واشنطن. للمزيد راجع:
https://www.thecanadianencyclopedia.ca/en/article/arnold-heeney

٢- أن هذا الإجراء مثير للدهشة والقلق؛ لأنه تم بدون استشارة الحكومة الأمريكية، أو حتى إبلاغ الحكومة الكندية، ودون مراعاة البيانات العامة ذات الصلة التي أصدرتها الحكومة الكندية قبل ذلك.

٣- أعلنت الحكومة الكندية ثقتها الكاملة في ولاء نورمان وسلامته من جميع النواحي في ادعاءات مماثلة منذ عام ١٩٥١، وقد تم الإعلان عن استنتاجات الحكومة الكندية في ذلك الوقت، والتي يجب أن تكون معروفة للجنة الفرعية، خاصة وأن وزارة الخارجية الكندية طلبت مرة أخرى في ١١ ديسمبر ١٩٥٢ لفت انتباههم إليها.

٤- إن تكرار مثل هذه الادعاءات غير المسؤولة في اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي[١]، ونشر سجل يحتوي على هذه المزاعم على سلطة هذه الهيئة الرسمية هو نوع من الإجراءات التي لا تتفق مع التعاون الودي طويل الأمد الذي يميز العلاقات بين البلدين[٢].

---

(١) ورد عن آرثر كليجور (Arthur Kilgour) السكرتير الأول- والرجل الثاني- بالسفارة الكندية بالقاهرة قوله " سمعنا أن الرئيس جمال عبد الناصر علَّق بقوله إذا هاجمت اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي شخصًا مثل السيد نورمان فلا بد أنهم سيئون جدًّا". انظر:

- Bowen (Roger W.), Op. Cit., P.76.

(2) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in United States, Ottawa, March 18, 1957, Confidential, Most Immediate, PP.84-85.

- United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVI, No.931, (April 29, 1957), Text of Canadian Note, March 18, 1957, The Canadian =

لقد أظهر هربرت نورمان في ٢٥ مارس ١٩٥٧ خلال حديثه مع القائم بأعمال السفارة الكندية في القاهرة آرثر كيلجور (Arthur Kilgour)[١]، قلقه من أنشطة اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس الشيوخ الأمريكي، حيث اشتكى من الاستمرار والتصميم على ملاحقته، وذلك في ظل إعلان مستشار اللجنة الفرعية في بيانه المضي قدمًا في التحقيقات من خلال الشهود والوثائق لكشف الحقائق الأساسية التي تمس أمن الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا الإطار حاول كيلجور طمأنه نورمان بأن البيان كان يتماشى مع موقف مستشار اللجنة، وأنه لا يرى أي سبب للاعتقاد بأن اسمه سيعود إلى الظهور[٢].

ومع ذلك، واصلت اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ الأمريكي إجراء التحقيقات في هذا الشأن، حيث أصدرت في ٢٨ مارس ١٩٥٧، المزيد من الشهادات، معظمها يتعلق بالسفير نورمان، وبناءً على ذلك أوضح نورمان للسكرتير الأول بالسفارة الكندية في

=

Ambassador A. D. P. Heeney to the Secretary of State of the United States, Washington, D. C., PP.694-695.

(١) آرثر كيلجور: دبلوماسي كندي، تخرج من جامعة تورنتو، التحق بإدارة الشؤون الخارجية في عام ١٩٤٧. تم تعيينه في السفارة الكندية بالقاهرة عام ١٩٥٧، وترك الشئون الخارجية في عام ١٩٦٠. انظر: – Bowen (Roger W.), Op. Cit., P.203.

(2) Barros (James), No sense of evil: the espionage case of E. Herbert Norman, KGB Target; North America, Ivy Books, New York, 1987, P.171.

القاهرة آرثر كليجور أن " هناك أشخاصًا مصممون على تدميره. مؤكدًا على أن تجديد التهم له أثناء وجوده في القاهرة، بهدف تشويه سمعته"(١).

- والسؤال هنا لماذا لم تقم اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي بكتم الأدلة المتعلقة بالسيد نورمان، وتقديمها عبر القنوات الدبلوماسية إلى الحكومة الكندية؟

يرجع ذلك بالدرجة الأولى لعدم اهتمام اللجنة بالتأثير على عمل الحكومة الكندية فيما يتعلق بالسفير نورمان، أو السعي لتقديم توصيات لكندا، أو المسائل التي تؤثر على أمنها الداخلي. ولكن كان للجنة الفرعية مسؤوليات أمنية خاصة بها، فيما يتعلق بالمسائل التي لها تأثير على أمن الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه في اضطلاعها بمسؤولياتها تكون اللجنة الفرعية مسؤولة أمام مجلس الشيوخ والرأي العام الأمريكي، وانطلاقًا من هذا ركزت اللجنة عملها على معرفة ما يفعله الشيوعيون في الولايات المتحدة، كما أن هناك اعتبارًا ثانويًا، وإن كان أقل أهمية بكثير، هو معرفة اللجنة الفرعية بأن جزءًا كبيرًا من معلوماتها فيما يتعلق بهربرت نورمان كان متاحًا بالفعل للحكومة الكندية لسنوات، كما في حالة شهادة د. ويتفوجل، والذي لم تتحقق منه الحكومة الكندية، وبذلك لم تبال اللجنة في هذا الشأن(٢).

وعلى الرغم من أن وجهة النظر الكندية اعتبرت ما حدث بشأن نورمان هو تدخل من قِبل اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي في الشئون الكندية

(1) Bowen (Roger W.), Op. Cit., PP.76-77.
(2) United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Loc, Cit., PP.107-108.

الداخلية، إلا إن اللجنة نفسها كانت ترى العكس من ذلك؛ لأنها لم تحقق في أي شيء حدث في كندا، كما أخذت اللجنة شهادة من ضباط في حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بأنشطتهم الخاصة، وتم تسجيل المعلومات المتعلقة بهربرت نورمان، خاصةً وأن تلك المعلومات كانت تتعلق بأنشطته في الوقت الذي كان يعيش فيه في الولايات المتحدة، ويشارك في شؤون الحزب الشيوعي للولايات المتحدة، كما كان هناك دليل على ارتباط نورمان بأجنبي آخر[١]، كان أيضًا مقيمًا في ذلك الوقت في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي ثبت من خلال أوراقه الخاصة أنه كان مروجًا ومنظمًا للشيوعية في

(١) تم القبض على شيجيتو تسورو (Shigeto Tsuru)، مدرس ياباني في جامعة هارفارد، بغرض إعادته إلى الوطن في عام ١٩٤٢، اتصل نورمان بمكتب التحقيقات الفيدرالي، حيث قدم نفسه على أنه مسؤول عن الأعمال الرسمية والسرية للغاية للحكومة الكندية في محاولة لأخذ ممتلكات تسورو. فقد كان أحد العناصر الرئيسة لهذه المتعلقات هو السجل الكامل للتحقيقات، ولكن اعترف نورمان في وقت لاحق لعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي المسؤولين أن ذلك كان لمصلحته الشخصية فقط، وأنه لا يمثل الحكومة الكندية كما هو مذكور، وأكدت الشهادة المأخوذة من السيد تسورو هذه الإشارة إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي، حيث شهد بأن نورمان اعترف له بأنه "ضغط" للحصول على هذه الأوراق التي تحتوي على العديد من الأسرار الشيوعية. انظر:

- United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Loc. Cit., P.103. & Pincher (Chapman), Too Secret Too Long, The great betrayal of Britain's crucial secrets and the cover-up, Sidgwick & Jackson, London, 1984, P.538.& Takashima (Sachiyo), Return to Christianity: Herbert Norman's Letter to his Brother Before his Suicide, Historical Papers, Canadian Society of Church History, 2006, P.95.

الولايات المتحدة. وبذلك جاءت تلك الشهادة حول كيفية قيام هربرت نورمان في سعيه للحصول على هذه الأوراق، من خلال مكتب التحقيقات الفيدرالي (The Federal Bureau of Investigation) في الولايات المتحدة، وأن نورمان كان يتصرف نيابة عن الحكومة الكندية، رغم أنه اعترف لاحقًا بأنه كان يكذب، وكان في الواقع يبحث عن الأوراق بصفته الشخصية فقط. مما يُدل على نشاط نورمان منذ تاريخ سابق، باعتباره جزءًا واضحًا من المؤامرة التي نجحت من خلال معهد علاقات المحيط الهادئ (Institute of Pacific Relations) بشكل كبير في التأثير على تيار الفكر الأمريكي فيما يتعلق بالصين، وبالتالي يمهد الطريق للغزو الشيوعي للأمة الأمريكية. وبناءً على كل هذه الاتهامات كان للجنة الحق الكامل في التحقيق فيها، كما فعلت أيضًا فيما يتعلق بمسألة مشاركة نورمان مع دبلوماسي أمريكي في مشروع قيل للجنة إنه ساعد ماديًّا الشيوعيين في اليابان[1].

- **انتحار السفير الكندي بالقاهرة في ٤ أبريل ١٩٥٧:**

في صباح يوم ٢ أبريل ١٩٥٧، قبل يومين من انتحار هربرت نورمان غادر منزله مبكرًا متجهًا إلى شقة صديقه وطبيبه الشخصي، الدكتور حليم دوس (Dr. Halim Doss). وفي هذا الصباح ألغى دوس محاضراته في كلية الطب بجامعة القاهرة، وأمضى ساعتين في محادثة مع نورمان، والذى تحدث عن أشياء كثيرة: حول ادعاءات اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس الشيوخ الأمريكي، والتحقيق في شرطة الخيالة الملكية الكندية عام ١٩٥٠، وعن علاقته مع وزير الشؤون الخارجية ليستر بيرسون، وعن طفولته، وعن علاقته بالشيوعية. وقد سأل الدكتور دوس السفير هربرت نورمان عن سبب

(1) United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Loc, Cit., P.109.

خوفه لدرجة التفكير في الانتحار، فكان رد نورمان أن ذلك يرجع للاتهامات التي وجهها روبرت موريس (Robert Morris)[١] وأعضاء اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس الشيوخ الأمريكي، بأنه كان شيوعيًّا. وعلى حد تعبير دوس، ادعى نورمان أنه " كان قريبًا من أن يكون شيوعيًّا دون أن يكون شيوعيًّا"[٢].

لقد دفعت الادعاءات الجديدة للجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي السفير هربرت نورمان من خلال وصفه بأنه عميل شيوعي إلى الانتحار[٣] في ٤ أبريل ١٩٥٧[٤] حيث ألقى السفير نورمان نفسه من أعلى طابق بعمارة وادي النيل في

---

(١) روبرت موريس(١٩١٤-١٩٩٦): سياسي أمريكي، تخرج من كلية فوردهام (Fordham) للحقوق، عمل مستشارًا للجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي في فترة الحرب الباردة، وقد شغل كبير المستشارين للجنة من عام ١٩٥١-١٩٥٣، ومرة أخرى من عام ١٩٥٦-١٩٥٨. للمزيد راجع: - The New York Times, Jan. 2, 1997, P.5.

(2) Bowen (Roger), Innocence Is Not Enough: Life and Death of Herbert Norman, M.E. Sharpe, New York, 1988, PP.307-308.

(٣) تم نقل جسد السفير هربرت نورمان إلى روما في ٧ أبريل ١٩٥٧، على متن طائرة نقل تابعة للأمم المتحدة، إلى مقبرة فيرانو (Verano Cemetery) في روما. للمزيد راجع:

- The Washington Post, Apr. 8, 1957, P. A2.

(4) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, department of foreign affairs and international trade, Ottawa, Extract from Cabinet Conclusions, Death of Canadian ambassador to Egypt, No.56, Ottawa, April 4, 1957, Secret, PP. 88-89.

- Central Intelligence Agency, Letter from Roger W. Bowen to CIA, Washington, 11 June 1980.& Los Angeles Times, Apr. 4, 1957, P.1.

الدقي بالقاهرة[١]، وقد ترك خطابين أحدهما لزوجته قال فيه "اغفري لي"، وآخر لصديقه وزيـــر السويد المفوض بالقاهرة قال فيه "أنني اعتزمت أن أقتل نفسي، فقد فكرت كثيرًا، ووجدت أنني أعيش بلا أمل، وحياتي لا معني لها في دنيا مليئة بالشرور"[٢].

(١) في مساء يوم ٣ أبريل ١٩٥٧، انضم هربرت نورمان إلى أعضاء السلك الدبلوماسي بمسرح أوديون بالقاهرة لحضور عرض خاص للفيلم الياباني قناع المصير أو القدر (Mask of Destiny)، برعاية السفارة اليابانية. ومن المرجح بشكل عام أن قرار نورمان بالانتحار كان سببه هذا الفيلم، حيث إن رسالته القاتلة قد أثرت بعمق على تفكيره. تم التوصل إلى استنتاج مماثل من قبل الكولونيل ألفريد أشمان (Alfred Ashman) الملحق العسكري في السفارة الأمريكية بالقاهرة، حيث كان يعرف نورمان جيدًا في اليابان بين عامي ١٩٤٥–١٩٤٨، والذي حضر الفيلم في تلك الليلة. قبل العرض، تناول نورمان العشاء مع رجل الأعمال المصري داود فودة (Daoud Foda) وزوجته الأمريكية، وآرثر كيلجور في فندق سميراميس. وخلال ذلك كان نورمان كئيبًا وصامتًا بشكل غير معهود. ووفقًا للسيد منير عبد الملك (Mounir Abdul Malik) من وزارة الخارجية المصرية، وهو شاهد عيان جلس أمام نورمان في المسرح، والذي كان يعرفه جيدًا، رسميًّا وغير رسمي، وعلى حد تعبير عبد الملك أن نورمان كان "غافلاً تمامًا عن محيطه ومنغمسًا تمامًا في نفسه، وخلال الفيلم كان هربرت نورمان كثيرًا ما يصدر تصريحات عفوية تتفق مع تصريحات أدلت بها الشخصيات الرئيسة في الفيلم". للمزيد راجع:

- Bowen (Roger), Innocence Is Not Enough, Op. Cit., PP.316-317.

(٢) جريدة الجمهورية، العدد ١٢٠١، الجمعة ٥ أبريل ١٩٥٧، ص ص١، ٣. وكذلك: الأخبار: العدد ١٤٨٥، الجمعة ٥ أبريل ١٩٥٧، ص ص١، ٤. & Barros (James), Op. Cit., P.1. -

وعقب ذلك أذاعت السفارة الكندية بالقاهرة بلاغًا رسميًّا جاء فيه " أن هربرت نورمان السفير المنتحر كان هدفه دائمًا خدمة المجتمع الذي يعيش فيه، ولكنه كان خلال المدة الأخيرة عرضة لاتهامات أثرت عليه تأثيرًا بالغًا، وكان من نتيجتها أنه أنهى حياته صباح الخميس ٤ أبريل ١٩٥٧"(١).

وفي الخامس من أبريل ١٩٥٧، نشرت صحيفة الأهرام المصرية خبر انتحار السفير الكندي في مصر؛ وارجعت ذلك بسبب انهيار اعصابه بعد حملة صهيونية رمته بالشيوعية لتأييده قضايا العرب، حيث كانت له مواقف واضحة في نصرة قضية قناة السويس، وبذلك تم اتهامه من قِبل الدوائر الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه يدين بالمبادئ الشيوعية، مما أدى به إلى حالة عصبية انتهت بانتحاره(٢).

وعلى الجانب الرسمي، فقد ذكر المتحدث باسم مكتب رئيس الوزراء الكندي في ٥ أبريل ١٩٥٧، إن الحكومة الكندية لا تعتزم "إرسال أي مذكرات من أي نوع" إلى واشنطن فيما يتعلق بانتحار السفير هربرت نورمان. كما أكد مسؤول في وزارة الشؤون الخارجية نفس الشيء، وأشار إلى أن ليستر بيرسون لخص الموقف الرسمي لكندا يوم ٤ أبريل قائلًا: "ليست هناك حاجة لجعل انتحار نورمان حادثًا دوليًا"(٣).

ولقد ألقى المجلس الكنسي بكندا بالمسئولية على انتحار هربرت نورمان على عاتق لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي، وقد أصدر بيانًا أعلن فيه" أن من واجب رئيس

---

(١) جريدة الأخبار: العدد ١٤٨٥، الجمعة ٥ أبريل ١٩٥٧، ص٤.

(٢) جريدة الأهرام، العدد ٢٥٦٨٩، الجمعة ٥ أبريل ١٩٥٧، ص١.

(3) The Ottawa Journal, Apr. 5, 1957, P.1.

جمهورية الولايات المتحدة والكونجرس، أن يوقفا مثل هؤلاء الساسة الذين يساهمون في اغتيال الأبرياء"[١].

كما أصدرت جمعية الحريات المدنية بيانًا في تورنتو أدانت فيه اللجنة الفرعية الأمريكية، وقالت: "إن انتحار السفير نورمان كان بمثابة وفاة في الخطوط الأمامية للنضال في أمريكا للدفاع عن الحريات المدنية والحفاظ عليها. استهزاء بالحقيقة للحصول على الدعاية، والاهتمام القليل بالحقوق والحريات المدنية للآخرين، باستخدام اغتيال الشخصية و "التشويه الكبير" لتحقيق غاياتهم، لقد أضاف المكارثيون[٢] ضحية أخرى إلى قائمتهم"[٣].

وعلى الجانب الآخر كان تعليق اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس الشيوخ الأمريكي، هو أنها مستمرة في التحقيق في الأنشطة الشيوعية من قبل المواطنين

---

(١) جريدة الأهرام، العدد ٢٥٦٩٠، السبت ٦ أبريل ١٩٥٧، ص١.

(٢) عقب إعادة انتخاب الرئيس الأمريكي هاري ترومان عام ١٩٤٩، نشط الاهتمام العام بمقاومة الشيوعية في الداخل الأمريكي، وانطلاقًا من هذا قام السيناتور الأمريكي جوزيف مكارثي بحملات واسعة النطاق، وكانت بعض تصريحاته من القسوة والبشاعة، حيث كانت أولى فضائحه المدوية اتهام وزارة الخارجية الأمريكية بأنها كانت تأوي في عهد اتشيسون أكثر من مائتي شيوعي معروف، ولكن لم يتسنَ العثور على شيوعي واحد في الوزارة. ولقد هاجم مكارثي سفراء ورؤساء تحرير، بل وزملاء له في مجلس الشيوخ ذوى نزاهة رفيعة، ولكن كان كل هذا افتراء وخداع. للمزيد راجع: ألان نيفينز، هنري ستيل كوماجر: موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: محمد بدر الدين خليل، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص٥٧٨–٥٨٠.

(3) The Manchester Guardian, Apr. 6, 1957, P.7.

الأجانب[١]، وطبقًا لملف وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بشأن هربرت نورمان فقد حوى رسالة من القاهرة مؤرخة في أبريل ١٩٥٧، تقول " أنه في الليلة التي سبقت انتحار نورمان تناول العشاء مع طبيب. أخبر الطبيب أنه يخشى ألا يقف رئيس الوزراء لويس لوران (Louis St. Laurent)[٢] خلفه، وأنه يخشى أن يكون هناك تحقيق من اللجنة الملكية، وأنه إذا تم استدعاؤه فسيتعين عليه توريط ٦٠ أو ٧٠ أمريكيًّا وكنديًّا، وأنه لا يستطيع مواجهة ذلك، وسوف يدمر نفسه"[٣].

ووفقًا لأنتوني بلنت (Anthony Blunt)[٤] الذي أكد أن هربرت نورمان كان من بين الطلاب الأجانب الذين جندتهم المخابرات السوفيتية، وأنه أثناء عمله سفيرًا في

---

(1) The Ottawa Journal, Apr. 5, 1957, P.1.

(٢) لـويس سـانت لـوران (١٨٨٢–١٩٧٣): محـامي وأسـتاذ القـانون، ولـد فـي كومبتـون، كيبيـك (Compton, Québec)، تـم تعيينـه وزيـراً للعـدل فـي حكومـة مـاكنزي كينـج (Mackenzie King's) عـام ١٩٤١. ثـم أصـبح وزيـراً للخارجيـة فـي عـام ١٩٤٦. تـولي رئاسـة الـوزراء فـي ١٥ نوفمبر ١٩٤٨، وقد فاز بأغلبيـة كبيرة فـي انتخابـات عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٣. هُزمت حكومتـه من قبل حزب المحافظين التقدمي لجون ديفينباكر فـي انتخابـات يونيو ١٩٥٧. تقاعد من السياسـة فـي عام ١٩٥٨. للمزيد راجع:

- Gough (Barry M.), Historical Dictionary of Canada, The Scarecrow Press, Inc., U.S.A., 2011, Second Edition, PP.361-362.

(3) Central Intelligence Agency, Letter to those who answered my previous Letter and others from J. Edward Johnston, JR., 8 August, 1958.

(٤) أنتوني بلنت: ضابط في القسم الخامس في هيئة المخابرات العسكرية في المملكة المتحدة (MI5) فترة الحرب العالمية الثانية، وكان عميلًا سوفيتيًّا نشطًا منذ تجنيده في عام ١٩٣٦. وعضوًا في =

القاهرة، تم استدعاؤه إلى أوتاوا لمناقشة ماضيه الشيوعي. ولكن قبل مغادرته مباشرة، كان رجل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في القاهرة غير حكيم بما يكفي لمحاولة تشجيع نورمان على التحدث معه حول صلاته بالسوفييت، ولكن في وقت لاحق نقل رجل وكالة المخابرات المركزية عن هربرت نورمان قوله له "لا يمكنني العودة إلى أوتاوا لأنني إذا فعلت ذلك، فسوف اضطر إلى خيانة أكثر من مائة شخص، ولكن عندما سئل بلنت عن نورمان للحصول على أدلة مؤيدة، قال:" كان هيربرت واحدًا منا"(١).

=

خماسي كامبريدج (Cambridge Five) وهو اسم أطلقه السوفييت على الجواسيس الخمسة الكبار الذين عملوا لصالحه. خلال السنوات الخمسة التي عمل فيها بلنت داخل جهاز الأمن، خان بشكل منهجي كل سر يمر فوق مكتبه ونهب السجل الشهير للحصول على أي معلومات قد تكون مفيدة للسوفييت. وقد نسخ مئات الوثائق السرية وحصل على قائمة عملاء MI5 في السفارات والمفوضيات في لندن. توفي بلنت في مارس ١٩٨٣، بعد أن أدلى بعدد قليل جدًا من التصريحات العلنية حول حياته المهنية السرية. للمزيد راجع:

- West (Nigel), Historical Dictionary of British Intelligence, The Scarecrow Press, Inc., U.S.A., 2005, PP.59-60.

(1) Pincher (Chapman), Their Trade is Treachery, The full, unexpurgated truth about the Russian penetration of the free world's secret defences, Sidgwick & Jackson, London, 1981, P.139. & Pincher (Chapman), Too Secret Too Long, Op. Cit., P.499.

وخلال اجتماع مجلس العموم الكندي في ٤ أبريل ١٩٥٧، جاء رد وزير الشؤون الخارجية على استفسارات النواب بشان انتحار السفير الكندي بالقاهرة[١]، أنه خلال عمل – هربرت نورمان –كمسئول دبلوماسي في وزارة الشؤون الخارجية كان يتميز بالولاء والتفاني، حيث أبدي وزير الخارجية أعجابه به، وبجهوده التي بذلها في خدمة بلاده، وفي ظل تجديد الاتهامات له فقد أثرت عليه، وأدت به إلى حدوث انهيار عصبي انتهي بانتحاره، ومما يؤكد ذلك برقية نورمان لوزير الخارجية في ١٥ مارس ١٩٥٧، والتي جاء فيها" لقد تأثرت بشدة بالمصطلحات السخية والصريحة لبيانكم في مجلس العموم بشأن المزاعم الأخيرة الموجهة إليَّ، ولكن من ناحية أخرى فإن التجديد المستمر لهذه الادعاءات له تأثير مزعج ومثبط للعزيمة"[٢].

لقد صرح وزير الخارجية الكندي بأن اتهام السفير نورمان بالشيوعية يقوم على تقرير خاطئ، ومرد ذلك أن أحد رجال البوليس السري الكندي كتب عام ١٩٥٠ تقريرًا أوضح فيه أنه كان للسفير نورمان اتصالات بالشيوعيين، ولكن تبين بعد إجراء التحقيق أن هذا التقرير غير صحيح، ولكن بيرسون أوضح أنه كان لهربرت نورمان ميول يسارية

---

(١) جاء في تقرير الطبيب الشرعي الرسمي: " المتوفى، السيد هربرت نورمان سفير كندا بالقاهرة، مات من كسور مفتتة متعددة في عظام الجمجمة مع تمزق في الدماغ، وكسور في الاضلاع وعظام الحوض والذراعين والساقين مع نزيف داخلي". انظر:

- Bowen (Roger), Innocence Is Not Enough, Op. Cit., PP.319-320.

(2) Canada, House of Commons, Debates, Official Report, 22nd Parliament, 5th Session, 1957, Vol. III, Edmond Cloutier, C.M.G., O.A., D.S.P., Queen's Printer and Controller of Stationery, Ottawa, 1957, PP.3058-3059.

أيام الدراسة، ولكنه لم يرتبط بأي منظمة شيوعية، مما حدا بزعماء المعارضة بتوجيه اللوم لوزير الخارجية الكندي لعدم توضيح كل ما يتعلق بنورمان في هذا الشأن(١).

وتجدر الإشارة إلى أن النقاش حول السياسة الخارجية الكندية قد امتد إلى ما هو أبعد من القضايا التي أثيرت في أزمة السويس، فقد أدى انتحار هربرت نورمان إلى وضع العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية تحت المجهر، كان هناك الكثير ممن اعتبروا تصريح بيرسون حول هذا الموضوع في البرلمان معتدلاً للغاية، لكن آخرين كانوا أكثر قلقًا بشأن ماضي نورمان الشيوعي. فقد كتب بيرسون إلى شقيق نورمان " يوجد بعض الحقيقة في خوفك من مهاجمتي من قبل أعدائي السياسيين بسبب دفاعي عنه، ومع ذلك، هذه مسألة صغيرة مقابل فداحة هذه المأساة"(٢).

وخلال مقابلة السفير الأمريكي بالقاهرة ريموند هير (Raymond Hare)(٣) مع زوجة نورمان لمناقشة الظروف المحيطة بوفاة زوجها بعد ثلاثة أيام من انتحاره، أشارت إلى أن نورمان كان "غير قادر على النوم لأيام إلا باستخدام المهدئات، وأن حالته

---

(١) جريدة الجمهورية، العدد ١٢١٥، الجمعة ١٩ أبريل ١٩٥٧، ص٤.

(2) Hilliker (John) & Barry (Donald), Canada's Department of External Affairs, Coming of Age, 1946-1968, Vol. 2, The Institute of Public Administration of Canada, McGill-Queen's University Press, Montreal, 1990, P.129.

(٣) ريموند هير (١٩٠١–١٩٩٤): دبلوماسي أمريكي، عمل سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية في المملكة العربية السعودية من ١٩٥٠– ١٩٥٣، وإلى لبنان من ١٩٥٣–١٩٥٤، ومن بين المهام التي تولاها في واشنطن المدير العام للسلك الدبلوماسي من ١٩٥٤–١٩٥٦، ثم جاء سفيرًا إلي مصر في عام ١٩٥٦. للمزيد راجع: The New York Times, Feb. 10, 1994, P.10. –

الجسدية والعقلية أصبحت مزعجة بشكل متزايد، وفي ضوء حالة زوجها العصبية المتوترة، حاولت تشتيت انتباهه بتشجيعه على الخروج قدر المستطاع، وكذلك بقضاء ساعات طويلة معه، لاسيما في الليل، وتركه وشأنه بأقل قدر ممكن، وبذلك كانت هذه خطتها في آخر مساء لهم معًا"(١).

ولقد أظهرت مذكرة مكتوبة بخط اليد –كُشف عنها بعد انتحار نورمان– والتي تم استردادها من مقر إقامته كسفير في القاهرة: "أنا بريء من القضية المركزية، أي أنني لم أتآمر قط أو أرتكب أي عمل ضد أمن دولتنا أو دولة أخرى..... لكنني سئمت من كل شيء، القوى ضدي هائلة للغاية"(٢).

- **ردود أفعال انتحار هربرت نورمان:**

على أي حال، فقد كان لحادث انتحار نورمان وقع سيئ في جميع الأوساط الكندية، حيث شنت الصحف حملة على الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مجلس العموم الكندي تناوبت أحزاب المعارضة الهجوم على أعضاء اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، واتهموها بأنها تسببت في دفع السفير للانتحار، وذلك بنشر معلومات حصلت عليها عام ١٩٥١ عن ميوله الشيوعية، برأته حكومته في ذلك الوقت من تلك التهم، وعلى هذا الأساس وصف رؤساء الأحزاب تصرفات اللجنة "بجريمة قتل أعصاب". كما أدلى وزير الخارجية الكندي بتصريح وصف فيه تصرفات اللجنة بأنها

(1) Bowen (Roger), Innocence Is Not Enough, Op. Cit., PP.315-316.
(2) Toronto Star, Sep. 10, 1986, P. A1.

مشينة، وقال " أنه يجب الا يعكر هذا الحادث العلاقات الطيبة القائمة بين الولايات المتحدة وكندا، كما أنه لا يجب أن نجعل منه مشكلة دولية"(١).

لقد مثَّل انتحار نورمان أزمة في العلاقات الكندية– الأمريكية، وقد بدا ذلك واضحًا في برقية سرية أرسلها السفير الأمريكي في كندا إلى وزارة الخارجية بعد أسبوعين من انتحار نورمان، وصف فيها التهم وردود الفعل التي وجهتها الصحف الكندية ضد الحكومة الأمريكية، بدءًا من "الجرم بالتبعية"، و"اغتيال الشخصية" إلى "المحاكمة عن طريق التشهير". وفي هذا الاطار أظهرت مقال صحيفة تورنتو جلوب آند ميل (Toronto Globe and Mail) أن "تشويه نورمان كان مجرد مثال واحد آخر لسلسلة طويلة من الإهانات والإصابات التي تسبب بها الأمريكيون في كندا(٢).

وفي ضوء رد الفعل في مجلس العموم الكندي وفي الصحافة على وفاة هربرت نورمان، اتجهت الحكومة الكندية لإبلاغ الولايات المتحدة الأمريكية، عن طريق سفيرها في واشنطن بأن الحكومة الكندية لن تكون قادرة بعد ذلك على توفير أي معلومات أمنية تتعلق بأي مواطن كندي، إلى أي وكالة حكومية أمريكية دون تأكيد من حكومة الولايات

---

(١) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، مصدر سابق، بشأن: انتحار السفير الكندي بالقاهرة، بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧، سري. وكذلك:

- Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., P.46.

(2) Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., P.47. وانظر كلك:

– جريدة الجمهورية، ١٢٠٢، السبت ٦ أبريل ١٩٥٧، ص٤.

المتحدة بأنه لن تقوم أي وكالة من تلك الحكومة بنقل هذه المعلومات إلى الفرع التشريعي لحكومة الولايات المتحدة دون موافقة صريحة من الحكومة الكندية(١).

وفي إطار رد الفعل الكندي على انتحار هربرت نورمان، أبلغ أرنولد هيني سفيرها في واشنطن الخارجية الأمريكية برد فعل حكومته الرسمي على أنشطة اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، حيث أوضح إنه نتيجة لنشر مداولات تلك اللجنة للصحافة، والتي أشارت إلى أن سفيرها بالقاهرة كان شيوعيًا، فقد أصبح الرأي العام في كندا ملتهبًا، وشعرت الحكومة أنه يتعين عليها اتخاذ بعض الاجراءات استجابة للنداء الشعبي، حيث أظهرت الحكومة الكندية قلقها بشأن توقيت تلك الأزمة، وذلك لاتخاذها إجراءات حل البرلمان في ١٣ أبريل ١٩٥٧ استعدادًا للانتخابات العامة في يونيو من نفس العام، وبذلك فأن الجدل الناجم عن أنشطة لجنة مجلس الشيوخ قد مثَّل قضية شعبية، ومن هذا المنطلق أكد السفير هيني على خطورة الوضع، موضحًا إنه إذا واصلت اللجنة "هجماتها الوحشية" على المسئولين الكنديين، فإن ذلك سيؤدي بلا شك إلى انفجار، وهذا يؤثر على العلاقات بين البلدين بشكل كبير(٢).

وفي هذا الاتجاه خشيت الحكومة الكندية من ازدياد التوتر في العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك في ظل اقتراح عضو البرلمان الكندي البارز أليستير

(1) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in United States, Ottawa, April 8, 1957, Confidential, P.93.
– انظر نص الخطاب المرسل من وزير الخارجية الكندي إلى السفير في واشنطن. **ملحق رقم (٣)**.

(2) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXVII, Memorandum of a Conversation, Department of State, Canadian Reaction to Norman Case, Washington, April 9, 1957, P.886.

ستيوارت (Alistair Stewart)[١] بسحب السفير الكندي من واشنطن، ومحاولة ليستر بيرسون كبح جماحه وتجنب أي قضية من هذا القبيل. وكذلك في ظل انزعاج السفير الكندي بواشنطن، بعد أن علم من مراسل كندي أن مستشار اللجنة الفرعية بمجلس الشيوخ أخبره أن الضحية الكندية التالية للجنة بعد ذلك روبرت بريس (Robert Bryce)[٢] أمين مجلس الوزراء الكندي، الذي يُزعم أنه كان عضوًا في خلية شيوعية مع هربرت نورمان منذ سنوات. وفي ظل هذا الوضع أراد بيرسون أن يوضح لوزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومة الكندية لا تطلب بذل أي جهد لحجب المعلومات أو القصص التي قد تتبع من أنشطة اللجنة، كما إن الحكومة الكندية لا ترغب في إعطاء الانطباع بأن هناك ما تخفيه، حيث بلغ العداء لأمريكا في كندا أعلى مستوياته على الإطلاق نتيجة لهذه القضية[٣].

وعلى أثر توجيه النقد للجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي عقب انتحار نورمان، وظهور حملة من المشاعر المعادية للولايات المتحدة الأمريكية في

---

(١) أليستير ماكليود ستيوارت (١٩٠٥–١٩٧٠): سياسي كندي، محاسب قانوني، ولد في بكهافن، إسكتلندا (Buckhaven, Scotland)، تم انتخابه في مجلس العموم خلال الفترة من ١٩٤٥–١٩٥٨. انظر:

https://lop.parl.ca/sites/ParlInfo/default/en_CA/People/Profile?personId=2023

(٢) روبرت بريس(١٩١٠–١٩٩٧): سياسي كندي، ولد في تورنتو، ثم تخرج من كلية الهندسة جامعة تورنتو، كما درس الاقتصاد في كامبردج وهارفارد. تم تعيينه عام ١٩٥٤ أمين مجلس الوزراء الكندي. للمزيد راجع https://www.thecanadianencyclopedia.ca/en/article/robert-bryce-

(3) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXVII, Memorandum of a Conversation, Department of State, Canadian Reaction to Norman Case, Washington, April 9, 1957, PP.886-887.

كندا، اتجهت اللجنة لكشف الحقائق المتعلقة بالموضوع، وذلك على اعتبار أن الهجوم الكبير لم يقتصر عليها أو على موظفيها، بل اعتبرته موجهًا أيضا على حق مجلس الشيوخ في ممارسة سلطاته التحقيقية فيما يتعلق بالأنشطة الشيوعية داخل حدود الولايات المتحدة. ومن هذا المنطلق اتجهت اللجنة لتوضيح أربع نقاط رئيسة بشكل لا لبس فيه:

أولاً: كانت اللجنة الفرعية مهتمة بـ هربرت نورمان، ليس بسبب منصبه الدبلوماسي في كندا؛ ولكن لأن لديها دليلًا على أنه كان عضوًا نشطًا في الوحدات الشيوعية في مدينة نيويورك وكامبريدج، ماساتشوستس (Massachusetts)، بالولايات المتحدة الأمريكية وشارك في أنشطة شيوعية ومؤيدة للشيوعية في الولايات المتحدة، ومع الشيوعيين الأمريكيين على مدى أكثر من ١٥ عامًا.

ثانيًا: لم يكن الدليل على ذلك إشاعات أو تلميحات أو افتراءات لا أساس لها، لكن الوثائق الأصلية وشهادة شهود العيان تؤكد الاتهامات الموجه إليه.

ثالثًا: على الرغم من التأكيد المتكرر بأن كندا "برأت" نورمان منذ فترة طويلة من هذه التهم عن طريق "فحص أمني مزدوج"، لم يتم الطعن على أي عنصر من عناصر المعلومات في سجل اللجنة على وجه التحديد، وفي الواقع لم يتحدث أي ممثل للحكومة الكندية مع شاهد عيان أدلى بشهادته أمام اللجنة بأنه يعرف السيد نورمان باعتباره شيوعيًا.

رابعًا: بشكل منفصل بالإضافة إلى ما سبق، اعترف هربرت نورمان وفقًا لتقرير مكتب التحقيقات الفيدرالي، بأنه كذب على مكتب التحقيقات الفيدرالي في كامبريدج، ماساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٢[١].

وفي إطار تسييس وفاة نورمان وتأثيرها علي السياسة الخارجية الكندية، تم التشكيك في سياسة الحكومة الكندية التي سعت لمعالجة الموقف في الشرق الأوسط خلال أزمة السويس، وذلك من خلال مقترحها للتطوع بالقوات العسكرية الكندية لأغراض حفظ السلام في تلك المنطقة، حيث كان هربرت نورمان سفيرًا لكندا في القاهرة آنذاك، ومن هذا المنطلق تم الإشارة اليه بوصفه شيوعيًّا يتفاوض مع الرئيس المصري –جمال عبد الناصر[٢]– المؤيد من قِبل الاتحاد السوفيتي، في محاولة لتفكيك الأهداف الإنجليزية لمنع تأميم قناة السويس. علاوة على ذلك، فبعد أن تضررت مصداقية وزير الخارجية بيرسون بشأن قضية نورمان، تم توجيه النقد له أيضًا باعتباره متعاطفًا مع القومية

(1) United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Loc, Cit., PP.101-102.

(٢) جمال عبد الناصر: عسكري وسياسي مصري، ولد عام ١٩١٨، والتحق بالكلية الحربية عام ١٩٣٧. شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨، وكان عضوًا نشطًا في تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بالثورة في يوليو ١٩٥٢. عين وزيرًا للداخلية ونائبًا لرئيس مجلس الوزراء في يونيو ١٩٥٣. بعد استقالة اللواء نجيب في ٢٥ فبراير ١٩٥٤، كان رئيسًا للوزراء حتى ٨ مارس، عندما أعيد الرئيس نجيب إلى منصبه. حل مرة أخرى محل اللواء نجيب كرئيس للوزراء في ١٨ أبريل من العام نفسه. انتخب رئيسًا للجمهورية في ٢٣ يونيو ١٩٥٦. للمزيد راجع:

- FO 407/ 236; Appendix, biographical notes, Leading personalities in Egypt, Foreign Office, Apr.25, 1957, P.31.

المصرية ومتحيزًا ضد إسرائيل[١]، خاصة وأن بيرسون نفسه كان يتعرض للهجوم[٢] من قِبل تلميحات مكارثية[٣].

(١) أزمة السويس جلبت العديد من الصحفيين إلى القاهرة، ونورمان باعتباره أحد السفراء الثلاث الأكثر إعجابًا وتأثيرًا كان مطلوبًا. والاثنان الآخران: سفيرا الهند والولايات المتحدة الامريكية كانا صديقين مقربين له. قال دبلوماسي بريطاني إن نورمان تعلم عن الشرق الأوسط في بضعة أشهر أكثر مما تعلمه في عشر سنوات. وسرعان ما فاز بثقة ناصر وسهولة الوصول إليه نسبيًا. وقد ثبت أن هذا أمر بالغ الأهمية، لأن عبد الناصر الشاب ذا الشخصية الجذابة كان معروفًا بالشك والاندفاع. استغرق الأمر كل براعة ومعرفة نورمان لإقناعه بالتعاون مع قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة، وعلى وجه الخصوص الموافقة على مساهمة كندية كبيرة–لارتباطهم بالكومنولث– كان التغلب على هذه ذروة مسيرة نورمان الدبلوماسية. انظر:

- Lyon (Peyton V.), Op. Cit., PP.227-228.

(٢) في عام ١٩٥١، قدمت امرأة تدعى إليزابيث بنتلي (Elizabeth Bentley)، أدلة غير رسمية في جلسة تنفيذية إلى اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، وفي سياق شهادتها أعطت أسماء بعض الكنديين الذين عملوا مع مجموعة دراسة شيوعية في واشنطن خلال الحرب العالمية الثانية. وقد ذكر بيرسون في مذكراته " أعطت اسمًا واحدًا تمكنت من منعه من الظهور علنًا. أصبح الرجل مواطنًا بارزًا في كيبيك، وله ولاء لا يرقى إليه الشك وإنجاز كبير. خلال الحرب كان شابًا متطرفًا إلى حد ما وذهب إلى بعض هذه المناقشات الدراسية. لكنه على الأرجح لم يكن يعرف الكثير عما كان يحدث، وبالتأكيد لم يكن عميلاً من أي نوع. ليس لدي شك في أنه تحدث عني، قائلاً إنه رآني في السفارة وأنني قلت إن السوفييت سوف يخترقون أوكرانيا، أو شيء من هذا القبيل. وهكذا ظهر اسمي في سجلات مجلس الشيوخ، بالاشتراك مع هذا الرجل الذي كان من المفترض أن أقوم بتزويده بالمعلومات، كان هذا ما ألمحت إليه الآنسة بنتلي". للمزيد راجع:

- Pearson (Lester B.), Op. Cit., PP.167-168.

(3) Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., PP.48-49.

لقد تفاوض نورمان مباشرةً مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وبذلك أظهرت واشنطن الدهشة من أن الحكومة الكندية جعلت من هذا الرجل سفيراً في منطقة جيوسياسية حساسة، وانطلاقًا من هذا تم شن هجوم آخر على ماضي نورمان، الذي كان مكتئبًا لاحتمال المزيد من الاضطهاد والإحراج لكندا(١)، ولكن ظهر دور نورمان البارز عندما أقنع الرئيس جمال عبد الناصر بقبول قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة على الأراضي المصرية خلال أزمة السويس، وبالتالي كان نورمان مسؤولاً جزئيًّا عن الانتصار الدبلوماسي الذي حققه لرئيسه ليستر بيرسون، من خلال فوزه بجائزة نوبل للسلام لعام ١٩٥٧(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن آخر مقابلة دبلوماسية للسفير نورمان كانت في ٢ أبريل ١٩٥٧، مع الأمين العام للجامعة العربية عبد الخالق حسونه، وقد صرح نورمان عقب تلك المقابلة للصحفيين أن بلاده تؤيد القضايا العربية، وأنها تؤمن ايمانا عادلاً بحقوقها(٣).

ربما يتوافق هذا التوجه من نورمان تجاه القضايا العربية مع تجديد الاتهامات له مرة أخري من قِبل لجنة الأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي دون وجود أي جديد في هذا الشأن، وذلك على اعتبار أنه مؤرخ ويؤمن بحق الشعوب في تقرير المصير، وهو ما لا يتوافق مع الرؤية الغربية للقضايا العربية، خاصة في ظل وجود نورمان كممثل

(1) McSorley (Tom), Seeing &believing: The Man Who Might Have Been &the politics of Canadian innocence, Take 1; Toronto, Vol. 8, Iss. 25, (Fall 1999), PP. 31-33.& Lyon (Peyton V.), Op. Cit., P.227.

(2) Toronto Star, Dec. 10, 2000, P.11.

(٣) جريدة الأهرام، العدد ٢٥٦٨٩، الجمعة ٥ أبريل ١٩٥٧، ص١.

للحكومة الكندية في القاهرة، وهو ما يمثل مصدر ازعاج للمسئولين في الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، وذلك بعد نجاحة في التفاوض مع عبد الرئيس عبد الناصر والتقرب منه.

على أي حال، فقد أبدت الحكومة الكندية رغبتها في خفض التوتر في العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كرر السفير الكندي بواشنطن قلقه بشأن الحالة الحرجة للعلاقات بين البلدين، وتأثيرها على الأعضاء الآخرين في حلف شمال الأطلنطي (NATO)، وذلك على الرغم من إظهار الصحافة الكندية بعد انتحار نورمان أن وزير الخارجية بيرسون نفسه هو الهدف الحقيقي للجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي[١]، على الرغم من إدلاء وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس (John Foster Dulles)[٢] عام ١٩٥٣ ببيان عبر فيه

(١) في ٢٣ نوفمبر ١٩٥٣، ذكرت صحيفة تورنتو ستار (Toronto Star) أن السيد بيرسون كان على وشك أن يتم تسميته من قبل لجنة الأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي كمشتبه به في حلقة تجسس شيوعية خلال الحرب العالمية الثانية. للمزيد راجع:

- The Ottawa Citizen, Oct. 3, 1998, P. A1.

(٢) جون فوستر دالاس(١٨٨٨–١٩٥٩): سياسي أمريكي، ولد في واشنطن، اختار مهنة المحاماة، وتخصص بالقانون بالدولي، في عام ١٩٤٥ كان أحد أعضاء وفد الولايات المتحدة في أول اجتماع للأمم المتحدة في سان فرانسيسكو، اختاره الرئيس أيزنهاور وزيرًا الخارجية، وشغل المنصب من ١٩٥٣–١٩٥٩. للمزيد انظر: دوايت ايزنهاور: مذكرات ايزنهاور، ترجمة: هيوبرت يونغمان، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص ص١٩٥–١٩٦.

عن الثقة في بيرسون[١] عندما تم الكشف عن معلومات مماثلة متاحة للجنة[٢].

- **مذكرة الحكومة الكندية في ١٠ أبريل ١٩٥٧:**

راحت الدبلوماسية الكندية تبحث عن الوسائل لتنفيذ سياسة الحلول بالطرق السلمية مع الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تقدمت الحكومة الكندية بمذكرة في ١٠ أبريل ١٩٥٧ عن طريق سفيرها في واشنطن، والتي أظهرت –المذكرة شديدة اللهجة– رفض كندا للأساليب التي استخدمتها اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، بشأن الافراج عن أسماء الكنديين، وأنه كان يتوجب على الحكومة الأمريكية حال ظهور أسماء المسئولين الكنديين كدليل أمام لجان التحقيق في واشنطن، فيجب إرسال هذه

(١) عندما طُلب من فوستر دالاس في مؤتمر صحفي التعليق على بيان في خطاب ألقاه أحد أعضاء الحزب الليبرالي الكندي مفاده أن وزير الخارجية الكندي ليستر بيرسون هدف "لبعض الأشخاص الذين يحاولون إلقاء الوحل عبر الحدود"، أجاب الوزير: " لست على علم بأن وزير الخارجية بيرسون كان هدفًا لأي شخص أو جماعة مسؤولة على الإطلاق. وزير الخارجية معروف جيداً لدى كثير من الناس منذ سنوات عديدة كمعارض قوي للشيوعية. لقد عملنا معه في الأمم المتحدة وفي أماكن أخرى، وهو معروف جيدًا للشعب الأمريكي، وكذلك لدى الشعب الكندي". انظر:

- United States, The Department of State bulletin, Vol. XXIX, No.754, (December 7, 1953), Government Printing Office, Washington, Press Conference Statement by Secretary Dulles, Press release 633 dated November 24, 1953, PP.790-791.

(2) F.R.U.S., 1955-1957, Vol. XXVII, Memorandum of a Conversation, Department of State, Canadian Reaction to Norman Case, Washington, April 9, 1957, PP.887-888.

الأسماء سرًّا إلى الحكومة الكندية، حتى يمكن التحقيق في الادعاءات والتعامل معها في كندا، وفي هذا الإطار طالبت الحكومة الكندية بالاتي:

١- ضرورة اتباع هذا الإجراء الذي طلبته الحكومة الكندية، وأن تكون الإشارات الواردة في إجراءات اللجنة الفرعية للأفراد الكنديين معروفة للحكومة الكندية أولاً، وليس من خلال الصحافة.

٢- أن الإجراءات التي اعتمدتها اللجنة الفرعية بالفعل فيما يتعلق بالكنديين صعبة الفهم وغير عادلة، لذلك تطلب الحكومة الكندية مرة أخرى تغيير هذه الإجراءات فيما يتعلق بالكنديين بعد ذلك.

٣- يقع على عاتق الحكومة الكندية واجب حماية المواطنين الكنديين بجميع الوسائل القانونية المتاحة لها من التدخل غير المبرر من قِبل أي حكومة أجنبية[١].

لقد أظهرت الحكومة الكندية رغبتها في إجراء التعاون الأمني مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بالطريقة التي تحفظ سرية تلك المعلومات، وفي ضوء إجراء تحقيقات الكونجرس الأمريكي التي تؤثر على الكنديين، وبسبب مسؤوليتها عن اتخاذ كل الاحتياطات لحماية المواطنين الكنديين، طالبت الحكومة الكندية في إطار التبادل من كلا الطرفين للمعلومات الأمنية، بأن تقدم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تأكيداتها بأن لن

(1)United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVII, No.949, (September 2, 1957), Government Printing Office, Washington, Text of Canadian Note, No. 195, The Canadian Ambassador A. D. P. Heeney to the Acting Secretary of State, Washington, D. C., April 10, 1957, PP.385-386.

- DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in United States, Draft text of Letter to USA Secretary of State, Ottawa, April 9, 1957, Confidential, OpImmediate, PP.94-95.

تقوم أي من وكالاتها أو إداراتها بنقل مثل هذه المعلومات إلى أي لجنة أو هيئة أو منظمة في الولايات المتحدة، والتي لا يمتلك الفرع التنفيذي لحكومة الولايات المتحدة أي سيطرة عليها، دون موافقة صريحة من الحكومة الكندية في كل حالة. وبالمثل تؤكد الحكومة الكندية من جانبها لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن أي معلومات أمنية عن مواطني الولايات المتحدة تقدمها وكالات الولايات المتحدة إلى وكالة الأمن التابعة للحكومة الكندية سُتمنح حماية مماثلة في كندا، مقابل ما تطلبه كندا في ذلك الوقت فيما يتعلق بالمعلومات الأمنية عن الكنديين من حكومة الولايات المتحدة. إذًا كانت السياسة الكندية واضحة في تعاملها مع الولايات المتحدة، وأنه ما لم يتم تقديم الأخيرة للتأكيدات المطلوبة فإن الحكومة الكندية تحتفظ بعد ذلك بعدم تقديم معلومات أمنية تتعلق بالمواطنين الكنديين إلى أي وكالة حكومية أمريكية(١).

إذًا كان هدف المذكرة الكندية التهديد بقطع تبادل المعلومات الأمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية، مع المطالبة بتأكيدات من الفرع التنفيذي للحكومة الأمريكية بأنه من الممكن السيطرة إلى حد ما على ما كان يحدث في الفرع التشريعي. وعلى الرغم من إدراك كلا الحكومتين واحتياجهما للتدفق الحر للمعلومات السرية بهدف الحفاظ على

(1) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVII, No.949, (September 2, 1957), Government Printing Office, Washington, Text of Canadian Note, No. 195, The Canadian Ambassador A. D. P. Heeney to the Acting Secretary of State, Washington, D. C., April 10, 1957, P.386.

الأمن الداخلي بينهما، إلا أن الحكومة الكندية كانت مستعدة لتنفيذ تهديدها باتخاذ إجراءات صارمة لحماية مواطنيها قدر الإمكان من هجمات لجان الكونجرس[١].

وتجدر الإشارة إلى أن الطلب الكندي أساسه يرجع لفترة بداية الحرب الباردة، حيث اتفقت الحكومتان الكندية والأمريكية على تبادل المعلومات الأمنية بين الطرفين، وقد تم انشاء فرع لمكتب التحقيقات الفيدرالي في أوتاوا، كما أنشئ مثيله لمكتب التحقيقات الكندي في واشنطن، وذلك بهدف تبادل المعلومات والحفاظ على أمن شمال القارة الأمريكية[٢].

وقد أوضح الرئيس الأمريكي أيزنهاور(Dwight .D. Eisenhower)[٣] في مؤتمره الصحفي في ١٠ أبريل ١٩٥٧، ردًا على سؤال أحد الصحفيين بشأن انتحار نورمان، أن السلطة التشريعية تتمتع بامتيازات وحقوق في اجراء التحقيقات ونشر نتائجها، ولا تخضع للسلطات الأخرى، وبذلك يجب عدم إلقاء اللوم على الحكومة الأمريكية كثيرًا عند حدوث

(1) The New York Times, Apr. 12, 1957, P.5. & Los Angeles Times, Apr. 12, 1957, P.6.

(٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، مصدر سابق، بشأن: انتحار السفير الكندي بالقاهرة، بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧، سري.

(٣) داويت ديفيد أيزنهاور: جنرال أمريكي، ولد ١٨٩٠ بولاية تكساس، تولي قيادة أكبر قوة عسكرية متعددة الجنسيات في التاريخ، فقد قاد هجوم الحلفاء الذي أدي لهزيمة قوات المحور في الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب حل أيزنهاور محل جورج مارشال كرئيس لهيئة الأركان، ومن أهم المناصب التي تولاها قيادة حلف شمال الأطلنطي، كما تولي منصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٣. لمزيد من التفاصيل راجع: مايكل لي لاننج: مرجع سابق، ص ١٠٠.

مثل هذه الأشياء، ولكن في إطار الارتباط الشديد مع كندا في كافة النواحي، فإنه من المؤسف بشكل خاص حدوث أي ضرر في العلاقات بين البلدين، وذلك مع حرص الحكومة الأمريكية على الاحتفاظ باحترام الكنديين وصداقتهم(١).

على أي حال، فقد أعرب الرئيس أيزنهاور خلال محادثته للسفير الكندي(٢) في ١١ أبريل ١٩٥٧، عن انزعاجه من التدهور في العلاقات مع كندا، وأبدى عدم الرغبة في السماح بأي شيء يتعارض مع الثقة المتبادلة بين البلدين، هذا في الوقت الذي أعرب فيه عن أمله أن يساعد ما قاله للصحافة في استعادة الشعور الطبيعي والجيد للعلاقات. وفي هذا الإطار، أوضح السفير هيني للرئيس أيزنهاور أن الرأي العام الكندي قد تأثر بشدة بانتحار هربرت نورمان، وبالطبع أدي ذلك إلى تكثيف ردود أفعال الكنديين، وأظهر غضبهم مما اعتبروه تدخلاً غير مبرر من قِبل اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي في الشؤون الكندية، وعلى الرغم من تفهم الرئيس الأمريكي للاستياء الكندي من تصرفات اللجنة، إلا إنه في ظل نظام الحكم الأمريكي لم يكن للسلطة

(1) Public Papers of the Presidents of United States, Dwight D. Eisenhower: 1957, Containing the Public Messages, Speeches, and Statements of the President, January 1 to December 31, 1957, United States Government Printing Office, Washington, 1958, PP.279-280.

(٢) كان من المقرر أن يترك السفير أرنولد هيني مهامه في واشنطن في ٢٥ أبريل ١٩٥٧، ويعود إلى أوتاوا ليصبح رئيس لجنة الخدمة المدنية في كندا، وقد تم استبداله بـ نورمان روبرتسون الذي قدم أوراق اعتماده إلى أيزنهاور في ١٧ مايو ١٩٥٧. أنظر:

- DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Ambassador in United States to Secretary of State for External Affairs, Washington, April 11, 1957, Confidential, OpImmediate, P.102.

التنفيذية أي سيطرة على الكونجرس، ولكن أيزنهاور أعرب عن أمله أن يتفهم رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكندي ذلك(١).

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد عاد وزير الخارجية الكندي في ١٢ أبريل ١٩٥٧، واعترف بأن السفير نورمان وهو طالب بالجامعة كانت له علاقة بأشخاص معروفين بميولهم الشيوعية، وأن هذه الاتصالات كانت معروفة للحكومة الكندية عندما عُين بوزارة الخارجية، والتي تأكدت من أن نورمان مواطن أمين تستطيع الحكومة الكندية الاستفادة من خدماته. وبناءً على هذا الاعتراف هاجمت المعارضة ليستر بيرسون، وأوضحت أنه كان من الواجب حسم هذا الموضوع عام ١٩٥١، عندما بدأت اللجنة باتهام نورمان بالشيوعية.

وفي تحليل لما سبق، يتضح أن احتجاج كندا على الولايات المتحدة الأمريكية ما هو إلا إظهار لشعور الاستياء، ومظهر من مظاهر الكبرياء يهدف إلى ارضاء الرأي العام الكندي؛ وذلك لأن النظام الدستوري بالولايات المتحدة الأمريكية لا يعطي السلطة التنفيذية أي سلطة على السلطة التشريعية(٢).

وعلى الرغم من ذلك، فقد عكس انتحار نورمان الاختلافات في استراتيجية واشنطن وأوتاوا بشأن التعامل مع التهديد الشيوعي الداخلي، وكذلك اندلاع موجة من

(1) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Ambassador in United States to Secretary of State for External Affairs, Washington, April 11, 1957, Confidential, OpImmediate, PP.102-103.

(٢) دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، مصدر سابق، بشأن: انتحار السفير الكندي بالقاهرة، بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٥٧، سري.

العداء ضد أمريكا في كندا. فقد كان بيرسون الذي دافع بشدة عن براءة نورمان، غاضبًا من المحنة بأكملها، حيث عزز وفاة صديقه غضبه من كونه هدفًا لـ "الشكوك" الأمريكية نفسها؛ لأن اسمه أيضًا تم طرحه على أنه "شيوعي" في جلسات استماع اللجنة الفرعية الأمريكية(١).

- **ردود الولايات المتحدة الأمريكية على المذكرة الكندية:**

لقد أبدى المسئولون في الخارجية الأمريكية انزعاجهم بشدة من المذكرة الكندية، خاصةً الفقرة التي كانت ترمي إلى تعليق التعاون الأمني بين الطرفين، ومن هذا المنطلق أظهر السفير الكندي بواشنطن عدم الرغبة في تعكير صفو العلاقات بين الطرفين، موضحًا مدي أهمية استمرار التعاون الذي يصب في مصلحة البلدين(٢).

وقد جاء رد كريستيان هرتر (Christian A. Herter) ممثل وزير الخارجية الأمريكية في ١٠ أبريل ١٩٥٧، موضحًا أن أي معلومات تم تداولها أثناء جلسات استماع اللجنة الفرعية تقع على مسئوليتها الخاصة؛ وذلك لأنه في ظل النظام الأمريكي ليس للسلطة التنفيذية أي سلطة قضائية على الآراء التي يعبر عنها أعضاء أو لجان الكونجرس الأمريكي، حيث إن التحقيق الذي تقوم به اللجنة الفرعية يقع بالكامل تحت سيطرتها، ولكن في إطار رغبة الحكومة الأمريكية في الحفاظ على العلاقات الودية مع

(1) Glazov (Jamie), Canadian Policy Toward Nikita Khrushchev's Soviet Union, PhD Thesis, Faculty of Graduate Studies, York University, Ontario, 1997, PP.198-199.

(2) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Ambassador in United States to Secretary of State for External Affairs, Washington, April 10, 1957, Confidential, OpImmediate, PP.99-100.

الحكومة الكندية، فإنها تستنكر أي تطور من أي مصادر سواء أمريكية أو كندية، حتي لا تؤثر سلبًا على العلاقات بين البلدين(١).

وعقب تقديم المذكرة الكندية في ١٠ أبريل ١٩٥٧، جاء الرد الأمريكي المؤقت عليها في ١٨ أبريل، حيث أظهرت الخارجية الأمريكية مدى الاهتمام الجدي بآراء الحكومة الكندية بشأن التعامل مع المعلومات الأمنية المتعلقة بالمواطنين الكنديين، واتجهت الخارجية إلى لفت نظر الوكالات التنفيذية إلى موقف الحكومة الكندية في تبادل المعلومات، والذي ساعد بشكل كبير في الحفاظ على أمن البلدين، وعند النظر بدقة لهذا الرد يتضح أنه لم يقدم أية ضمانات أو وعود للجانب الكندي، سوى إظهار الاهتمام ومتابعة الموقف(٢).

على كل حال، فقد أظهرت الحكومة الكندية في مذكرة أبريل ١٩٥٧ اهتمامها بالمعلومات الأمنية المتعلقة بالكنديين، وذلك من خلال الحصول على تأكيد عام من الولايات المتحدة الأمريكية بأنه لن يقوم أي فرع تنفيذي للحكومة بنقل المعلومات إلى الجمهور أو إلى السلطة التشريعية دون الموافقة الكندية. هذا في الوقت الذي أبدت فيه الخارجية الكندية – عن طريق سفيرها في واشنطن– عن عدم وجود رغبة في تغيير

(1) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVI, No.931, (April 29, 1957), Text of U.S. Note, From Christian A., Herter Acting Secretary of State of the United States of America to the A. D. P. Heeney Canadian Ambassador, April 10, 1957, P.694.

(2) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVII, No.949, (September 2, 1957), Text of Interim Reply, April 18, 1957, From Ropert Murphy Deputy under Secretary to the A. D. P. Heeney Canadian Ambassador, P.385.

علاقات العمل الوثيقة بين الوكالات الأمنية للحكومتين، أو بمعني تقييد التدفق المشروع للمعلومات الأمنية التي تصب في مصلحة الطرفين، والعمل على منع تسرب أي معلومات أو إعطائها للسلطة التشريعية في الولايات المتحدة الأمريكية[١].

وخلال الاجتماع المنعقد في أوتاوا في ٢٨ يوليو ١٩٥٧، والذي جمع كل من: رئيس وزراء كندا جون ديفينباكر، ووزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس، والسفير الأمريكي ليفينجستون ت. ميرشانت (Livingston T. Merchant)[٢]، أثار رئيس الوزراء مسألة رد الولايات المتحدة الأمريكية على المذكرة الكندية في ١٠ أبريل ١٩٥٧ بشأن قضية نورمان، والتعامل مع مسألة تبادل المعلومات الأمنية، موضحًا انتظار الحكومة الكندية للرد الأمريكي. وعلى الرغم من تساؤل وزير الخارجية الأمريكي عن محاولة الحكومة الكندية الجديدة ترك الأمر برمته وعدم إعطاء رد، وكان هذا التوجه يتوافق مع رغبة الخارجية الأمريكية، على اعتبار أن الحكومة الكندية الجديدة لا ترغب في الرد، إلا

(1) DCER, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in United States, Ottawa, April 29, 1957, Secret, PP.112-113.

(٢) ليفينجستون ميرشانت(١٩٠٣-١٩٧٦): دبلوماسي أمريكي، وُلد في نيويورك، تخرج من جامعة برينستون (Princeton) عام ١٩٢٦، بعد مسيرة مهنية ناجحة كمستشار استثماري رائد، انضم ميرشانت إلى الحكومة في عام ١٩٤٢ عن عمر يناهز ٣٩ عامًا، وفي عام ١٩٤٧ التحق بالعمل في السلك الدبلوماسي. عُين ميرشانت في عام ١٩٥٣مساعدًا لوزير الخارجية للشؤون الأوروبية، تم تعيينه لأول مرة كسفير في كندا في عام ١٩٥٦. للمزيد راجع:

- The York Times, May 17, 1976, P.32.

أن رئيس الوزراء أكد أنه هو وحكومته مهتمان بالرد في أقرب وقت، وعلى هذا الأساس وعد دالاس بالنظر في مسألة الرد، وذلك خلال فترة قصيرة[١].

وجدير بالذكر أن رئيس الوزراء خلال اجتماعه قد أوضح إنه لم يكن هناك شك في أنه في عام ١٩٣٥ أو ١٩٣٦ أو ما يقارب من ذلك، كان نورمان شيوعيًّا. ولكن بعد قراءة ملف نورمان كان الوصف الأكثر سخاءً الذي يمكن أن يقدمه لبيان الحكومة السابقة بشأن القضية، والردود على الأسئلة في مجلس النواب هو أن مثل هذه التصريحات كانت مراوغة ومضللة وغير دقيقة. على أي حال، راحت الدبلوماسية الأمريكية تبحث عن الوسائل لتنفيذ الحلول بالطرق السلمية، حتى لا تعطي فرصة لانهيار العلاقات مع كندا، وانطلاقًا من هذا، سأل فوستر دالاس رئيس الوزراء الكندي عما إذا كانت مسودة مذكرة الرد الموجودة معه تبدو مرضية، فكان رده أنها تبدو كذلك، ولكن بعد مغادرة مقر إقامة رئيس الوزراء الكندي نظر دالاس في إمكانية توقيع المذكرة وإرسالها في ذلك الوقت، ولكن جاء رد جون ديفينباكر " اعتقدت أن هذا قد يكون غير حكيم من الناحية التكتيكية، واقترحت عليه الانتظار بضعة أيام لإرسالها حتى يعود إلى واشنطن"[٢].

(1) F.R.U.S., 1955-1957, Western Europe and Canada, Vol. XXVII, Memorandum of a Conversation, Prime Minister Diefenbaker's Residence, Ottawa, July 28, 1957, PP.904-905.
(2) Ibid., P.905.

وبالفعل فقد سلَّم روبرت مورفي (Robert Murphy) نائب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية في ١٣ أغسطس ١٩٥٧، مذكرة إلى السفير الكندي نورمان روبرتسون (Norman Robertson)[١]، كإجابة على المذكرة الكندية المؤرخة ١٠ أبريل ١٩٥٧، والتي تعبَّر عن قلق الحكومة الكندية فيما يتعلق بالتعامل مع المعلومات الأمنية المتعلقة بالمواطنين الكنديين. وفي هذا الإطار أكدت وزارة الخارجية الأمريكية على الأهمية الكبيرة التي توليها الولايات المتحدة للحفاظ على العلاقات الودية مع حكومة كندا، وقد أكد مورفي كذلك على رغبة الكونجرس الأمريكي على هذا الاتجاه والشعور بقوة وصدق في العلاقات مع كندا.

كما أكدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تبادل المعلومات الأمنية بين وكالات الحكومتين، بأن أيًّا من وكالاتها أو إداراتها لن تمرر مثل هذه المعلومات المتعلقة بالمواطنين الكنديين، والتي يتم تلقيها من مصادر كندية، إلى أي لجنة أو هيئة أو منظمة في الولايات المتحدة الأمريكية لا يسيطر عليها الفرع التنفيذي، دون موافقة صريحة من الحكومة الكندية في كل حالة. كما أكد مورفي إلى أن هذه الوكالات تعمل بموجب توجيه

(١) نورمان روبرتسون (١٩٠٤–١٩٦٨): دبلوماسي كندي، ولد في فانكوفر (Vancouver)، انضم إلى وزارة الشؤون الخارجية في عام ١٩٢٩، وفي عام ١٩٤١ أصبح وكيل الوزارة. شهدت خدمته بعد الحرب فترتين كمفوض سام في لندن من ١٩٤٦–١٩٤٩، ومن عام ١٩٥٢–١٩٥٧، حيث تعامل مع المشاكل المالية وأزمة السويس، ولمدة سنة واحدة ١٩٥٧–١٩٥٨ في واشنطن كسفير. للمزيد راجع:

– https://www.thecanadianencyclopedia.ca/en/article/norman-alexander-robertson

ينص على أن أي وكالة تتلقى معلومات من أخرى لا يجوز لها نقل هذه المعلومات خارج مؤسساتها دون موافقة الوكالة الأصلية. وبالإضافة إلى التوجيه الذي يحكم نشر المعلومات من قبل الوكالات التنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الوكالات الأمنية في كندا والولايات المتحدة التي تتبادل المعلومات تلتزم بالقيود التي يفرضها المرسل على المستخدم فيما يتعلق لمزيد من النشر، ومن هذا المنطلق، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تؤكد على مواصلتها للتشاور مع الحكومة الكندية بشأن الترتيبات المرضية للطرفين التي تغطي تبادل المعلومات بينهما(١).

وعند النظر بدقة للرد الأمريكي، يتضح مدي نجاح الدبلوماسية الأمريكية في معالجة الموقف مع كندا، ويظهر ذلك من خلال اجتماع الوزير دالاس مع رئيس الوزراء الكندي في أوتاوا، ومناقشة موضوع الرد وكيفيته، هذا في الوقت الذي أعرب فيه روبرت مورفي عن أمله " في ألا يكون هناك تعليق رسمي آخر على هذا الموضوع وأن يُسمح بتهدئة الأمر "(٢).

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يجب ربط انتحار هربرت نورمان مباشرةً بتقرير اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، وذلك على الرغم من سلسلة الهجمات الطويلة والمستمرة من قِبل مكارثي وفريقه، والذي أضر بسمعة نورمان بشكل خطير،

(1) United States, The Department of State bulletin, Vol. XXXVII, No.949, (September 2, 1957), Text of U.S. Note, August 13, 1957, From Ropert Murphy Deputy under Secretary to the Norman Robertson Canadian Ambassador, PP.384-385.

(2) F.R.U.S., 1955-1957, Western Europe and Canada, Vol. XXVII, Memorandum of a Conversation, Prime Minister Diefenbaker's Residence, Ottawa, July 28, 1957, P.905.

وترك فيه جروح شخصية عميقة من خلال وصفه بالشيوعية، وذلك بقصد إظهار إنه رجل غير قادر على ممارسة السلوك الطبيعي للبشر، فالشيوعي من وجهة نظرهم– روبرت موريس وغيره من أعضاء اللجنة – يساوي الخارج على القانون أو المجرم، وكذلك يقصدون أنه كان جاسوسًا للاتحاد السوفيتي، ولكن عند النظر بدقة لخصوم نورمان يتضح مدي الافتراء في الاتهام لشخص يقدر الآداب الطبيعية للسلوك البشري، ناهيك عن الشخص الذي يمثل بلاده كدبلوماسي، ولكن على حد تعبير بيرسون " لا يمكن معاملتهم إلا بالازدراء الذي يستحقونه... الذي لن ينحني المرء لتحديه"(١).

على كل حال، فقد أوضح المؤرخ الأمريكي روجر بوين (Roger W. Bowen) أنه منذ انضمام نورمان إلى وزارة الشؤون الخارجية في أواخر عام ١٩٣٩ وحتى وفاته في ١٩٥٧، لم يفعل شيئًا بصفته الرسمية أو الشخصية كشخص يشير إلى ولائه للشيوعية، كما بدت أنشطة نورمان وسلوكه مدفوعين بالكامل باعتبارات مهنية، مؤهلة فقط من خلال الشعور الراسخ بالولاء لحكومته(٢).

وعند النظر بدقة لتقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي ألقى "بريبة معقولة" على ولاء نورمان، أو على الأقل الجزء الذي استشهدت به–الرسالة الواردة من القاهرة في أبريل ١٩٥٧– اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ في معالجة قضية نورمان، نجد أن التقرير به أخطاء؛ لأنه من الواضح أن الطبيب هو حليم دوس، ووفقًا لمقابلة روجر بوين للطبيب دوس في عام ١٩٨٤، وفي مقابلة الأخير مع السفير

(1) Maruyama (Masao), An Affection for the Lesser Names: An Appreciation of E. Herbert Norman, Pacific Affairs, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1957), P.253.
(2) Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., P.46.

الأمريكي في عام ١٩٥٧، لم يتم ذكر أي شيء–نفي سماع أي شيء– على الإطلاق عن رئيس الوزراء الكندي لوران، أو تحقيق اللجنة الملكية، ولا أي شيء يتعلق بتورط "٦٠ أو ٧٠ أميركيًّا وكنديًّا". ولكن نورمان كان يأمل أن يتم إجراء نوع من التحقيق الرسمي لتبرئته، وبذلك يظهر أن ما هو دقيق في تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هو أنه ناقش محنته مع الطبيب، وأنه أعلن عن نيته الانتحار. ولكن الأمر المثير للجدل حول تقرير وكالة المخابرات المركزية هو دافعه المزعوم للانتحار، سواء كان خوفه من انكشافه أو أصدقائه كذلك قد دفعه إلى تدمير الذات، أو ما إذا كان كما يُقال لأسباب عديدة، هو المصلحة الذاتية بالإضافة إلى الاهتمامات الأخرى، لقد اختار أن يضع نهاية حاسمة لعذابه الشخصي بطريقة "لا يمكن التغاضي عنها"[١].

ومن هذا المنطلق، تم طرح العديد من الأسئلة في هذا الشأن: هل كان نورمان "الرجل الخامس" الذي طال انتظاره في حلقة تجسس سوفيتية؟ هل كان ببساطة خائنًا وليس ضحية؟ هل تم تصنيفه بدقة من قبل اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ وكانت حمايته ضعيفة من قبل بيرسون؟ وبالأحرى من منظور مختلف تمامًا مؤيد لحكم بيرسون لعام ١٩٥١، أليست هذه الأسئلة الاتهامية، كما هي مطروحة خلال فترة تزايد النزعة السياسية المحافظة والخوف من الشيوعية، هي ببساطة مجرد مادة قديمة لمطاحن مكارثية جديدة؟

وفي إطار الرد على تلك التساؤلات أكد روجر بوين على براءة نورمان، وبالنسبة لبعض الناس سيظل الإيمان بالماركسية جريمة، وإن كانت أقل مرتبة من العضوية في الحزب الشيوعي، لقد كان نورمان "مذنبًا" بكليهما قبل انضمامه إلى وزارة الشؤون

(1) Bowen (Roger), Innocence Is Not Enough, Op. Cit., PP.356-357.

الخارجية في عام ١٩٣٩، وربما لفترة طويلة بعد ذلك الوقت لا يزال يؤيد الرؤية الماركسية الإنسانية للتغيير التاريخي. وأضاف بوين أيضًا: " أنه بعد مسح أكثر من ثمانمائة صفحة من وثائق مكتب التحقيقات الفيدرالي، وأكثر من مائة صفحة من مواد وزارة الخارجية الأمريكية، ومئات الصفحات من ملفات الشؤون الخارجية، وجميع المواد التي بحوزة استخبارات الجيش الأمريكي واستخبارات البحرية الأمريكية، يمكنني التأكيد بثقة تامة أنه لا يوجد دليل واحد يشير إلى أن نورمان خدم السوفييت أو أي دولة أجنبية أخرى كجاسوس"(١).

إضافة لهذا، وفي ضوء التساؤلات بشأن قضية نورمان: هل تعرض لجريمة تشهير كما يزعم البعض، وأنه غير مذنب من تهم الشيوعية؟ وهل تم الافتراء عليه؟.

وفي إطار الرد على تلك التساؤلات، فإنه وفقًا للوثائق الكندية الرسمية هي "نعم"، وبحسب الوثائق الأمريكية الرسمية، فإن الجواب هو "لا" بدون تحفظ، وهناك دعم لكلا الموقفين. لقد كان نورمان بلا شك شيوعيًّا خلال سنواته الأولى، لكن لا يوجد دليل يشير إلى أنه ظل شيوعيًّا خلال فترة عمله في السلك الدبلوماسي. ومع ذلك هناك أدلة تشير إلى أنه كان ليبراليًّا راديكاليًّا يؤمن من بين أمور أخرى: بعدم التدخل، وتقرير المصير لجميع الشعوب، والديموقراطية الشعبية، وقيمة حركات التحرر الوطني. فقد أيد على سبيل المثال، ما أسماه القومية العربية الناشئة كنضال شعبي من أجل الاستقلال، وأيد صعود الحزب الشيوعي الياباني والحركة العمالية؛ لأنه رآهم قوى موازنة إيجابية للميول الفاشية الدائمة في الجسم السياسي الياباني، وباعتبارهم حاملين لتيار ديموقراطي تاريخي يمكن

(1) Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., PP.50-51.

التحقق منه في ماضي اليابان. ولأسباب مماثلة، انجذب في وقت سابق من حياته إلى دعم القوى الديموقراطية في الحرب الأهلية الإسبانية، والقوى الشيوعية في نضال الصين. كان يعتقد أن التاريخ كان إلى جانب قوى التحرير، وبصفته مؤرخًا ذا خلفية عابرة للحدود، شعر بأنه مضطر لدعم أولئك الذين اعتقد أنهم ناضلوا من أجل المبادئ التي تتجاوز القومية الصغيرة. أن مفهومه للحرية تعارض مع ما هو غير تاريخي، والمفهوم المكارثي المتطرف لا يمكن أن يكون مفاجئًا لأي شخص، كما أن نورمان بصفته دبلوماسيًّا كنديًّا عايش فترة مهمة في عالم تهيمن عليه القوة الأمريكية والانقسامات القائمة على الأيديولوجية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وبذلك كان نورمان عرضة بشكل خاص للمكارثية، كما أن الكنديين الآخرين كانوا مستهدفين بالمثل من قبل المكارثية في هذا الوقت، وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن الغضب الدولي الذي أثاره انتحار نورمان قد أدى في الواقع إلى حماية هؤلاء الكنديين المتميزين الآخرين من المكارثية[١].

على كل حال، فقد طلبت وزارة الشؤون الخارجية الكندية من بيتون ليون (Peyton Lyon)[٢] الدبلوماسي السابق وأستاذ العلوم السياسية المتقاعد بجامعة كارلتون، الإجابة

(1) Bowen (Roger W.), E.H. Norman, Op. Cit., PP.66-67.

(٢) بيتون ليون (١٩٢١–٢٠١١): دبلوماسي، أستاذ جامعي كندي، عمل ملازمًا بسلاح الطيران، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التحق بجامعة مانيتوبا (Manitoba)، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد، وبعد ذلك انضم إلي السلك الدبلوماسي، ولكن في عام ١٩٥٩ أصبح أستاذًا للعلوم السياسية في جامعة ويسترن أونتاريو(Western Ontario)، ثم لاحقًا في جامعة كارلتون (Carleton). للمزيد راجع:

=

على هذا السؤال، هل كان نورمان عميلاً مزدوجًا ذكيًّا للشيوعيين في الاتحاد السوفيتي؟ أم أنه كان مجرد شاب رومانسي، ساذج إلى حد ما، وقع في الحركات المؤيدة للشيوعية، والمناهضة للفاشية التي نشأت من كامبريدج–أثناء دراسته في المملكة المتحدة– في الثلاثينيات؟[١].

وبالفعل فقد صدر تقرير ليون في هذا الشأن في شهر مارس ١٩٩٠[٢]، وصادق عليه وزير الشؤون الخارجية جو كلارك (Joe Clark)[٣] على وجه السرعة، والذي خلص إلى الآتي:

=

- Anglin (Douglas G.), " Life and times of a great Canadian: Peyton V. Lyon, 1921-2011", Carleton University, 23 April 2011.

(1) The Ottawa Citizen, Mar. 31, 1990, P.6. & The Gazette; Montreal, Apr. 1, 1990, P. A8.

(٢) أعد بيتون ليون تقريرًا للشؤون الخارجية والتجارة الدولية الكندية في ١٨ مارس ١٩٩٠، تحت اسم "ولاء هربرت نورمان". فقد ذكر ليون أنه " في ١٤ ديسمبر ١٩٨٩، وقعت عقدًا مدته ٦٠ يومًا مع وزارة الشؤون الخارجية لمراجعة جميع ملفات نورمان، وكذلك جميع الملفات التي تحتوي على مذكرات ورسائل وبرقيات من تأليفه". للمزيد حول النص الكامل للتقرير راجع:

- Lyon (Peyton V.), Op. Cit., P.219.

(٣) تشارلز جوزيف كلارك: سياسي وصحفي ومحاضر جامعي كندي. ولد في هاي ريفر، ألبرتا (High River, Alberta) عام ١٩٣٩. انتخب عضوًا في البرلمان الكندي عام ١٩٧٢، ثم أصبح زعيم حزب المحافظين التقدمي في عام ١٩٧٦، وكان زعيمًا للمعارضة في ١٩٨٠–١٩٨٣. في عام ١٩٧٩ شكل حكومة قصيرة العمر وأصبح أصغر رئيس وزراء في كندا. وفي عام ١٩٨٤ أصبح وزيرًا للشؤون الخارجية. للمزيد راجع: - Gough (Barry M.), Op. Cit. P.133.

١- أن نورمان لم يكن جاسوسًا، وأنه بينما كان يتعاطف مع الشيوعيين، خاصة خلال أيام دراسته في كامبريدج، فمن المحتمل أنه لم ينضم أبدًا إلى الحزب الشيوعي.
٢- أن الظروف الاجتماعية المروعة التي واجهت نورمان في كامبريدج، حيث أن الفاشية كانت في تصاعد، وهذا المقت للفاشية جعل الحزب الشيوعي، بوعوده بالمدينة الفاضلة، جذابًا لرعاية الناس مثل نورمان.
٣- أن نورمان حضر اجتماعات جمعية كامبريدج الاشتراكية، التي كانت تحت السيطرة الشيوعية بشكل متزايد، وجماعة شيوعية في كليته على الأقل خلال السنة الأولى.
٤- في يوم الهدنة عام ١٩٣٣، خرج نورمان في مظاهرة ضد الحرب والفاشية من تنظيم جاي بورجيس (Guy Burgess)[١]، الذي أصبح لاحقًا عميلًا سوفيتيًا.

---

(١) جاي بورجيس: دبلوماسي بريطاني، تلقى تعليمه في كلية إيتون ودارتماوث (Eton and Dartmouth) البحرية الملكية، بعد تخرجه التحق "بي بي سي" كمنتج إذاعي مما أتاح له دخول عالم السياسة والصحافة. بحلول الوقت الذي تم فيه تجنيده في القسم " د – D " التابع لجهاز المخابرات السرية البريطانية كخبير في البث اللاسلكي مع تكليفه بنقل الدعاية المعادية للنازية من راديو لوكسمبورج، كان أيضًا عميلًا سوفيتيًا. انتقل بورجيس من هيئة الإذاعة البريطانية إلى وزارة الخارجية، وفي عام ١٩٤٥ عُين السكرتير الخاص لوزير الدولة الجديد لحكومة حزب العمال هيكتور ماكنيل. عضو في خماسي كامبريدج (Cambridge Five)، إلى جانب دونالد ماكلين (Donald Maclean)، وجون كيرنكروس (John Cairncross)، وكيم فيلبي (Kim Philby)، وأنتوني بلنت (Anthony Blunt)، وهو اسم أطلقه السوفييت على الجواسيس الخمس الكبار الذين عملوا لصالحه. للمزيد راجع: - West (Nigel), Op. Cit., PP.79-80.

٥- ارتبط نورمان مرارًا وتكرارًا بتجنيد الطلاب الكنديين والهنود في كامبريدج في الحزب الشيوعي، ولكن أفاد روبرت بريس أن نورمان سأله عما إذا كان ينوي الانضمام إلى "الحزب"، والذي فسره بريس على أنه دعوة من أحد الأعضاء، لكن تصريح بريس غامض، كما هو الحال مع معظم "الأدلة" من هذا الوقت.

٦- قام نورمان بتدريس الكلاسيكيات لفترة وجيزة في كلية كندا العليا، والتحق بجامعة هارفارد وكولومبيا في الولايات المتحدة. وتُظهر الأدلة المستمدة من الرسائل والمشاركين أن نورمان استمر في الاهتمام بالماركسية كأيديولوجية في سنواته التي تلت كامبردج مباشرة، لكن اهتمامه كان يتضاءل.

٧- أن التحقيقات التي جرت منذ عام ١٩٥٠ عن طريق أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بشأن نورمان، من خلال جمع شهادات من شهود مشكوك فيهم، وأدلة إدانة ولكن غير موثوقة على مئات الأشخاص في الولايات المتحدة وحلفائها. وبالنسبة للأمريكيين في ذلك الوقت، كان على الدبلوماسي الذي يتعاطف مع الشيوعيين أو حتى تناول الشاي معهم أن يكون عميلاً مزدوجًا، على الرغم من أي نقص في الأدلة الملموسة.

٨- عندما تم تعيين نورمان في مصر في عام ١٩٥٦ كسفير، لفت ذلك انتباه اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي، وشعر أعضاء مجلس الشيوخ بالرعب. وبعد تجديد الاتهامات له في عام ١٩٥٧، فقد كان نورمان يخشى تكرار الاستجوابات التي تمت قبل بضع سنوات. وفي ذلك الوقت، كان يعاني من إجهاد وإرهاق لا يصدق بسبب دور كندا المهم في التوسط في إنهاء أزمة السويس،

ولذلك قرر الانتحار. وخلص ليون إلى أنه "لا توجد ذرة واحدة من الأدلة" تشير إلى أن نورمان كان جاسوسًا(١).

إذًا كان المسئولون الكنديون محقين في إلقاء اللوم على وفاة نورمان بسبب يأسه من أنه استُهدف للتحقيق من قِبل لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي. وفي هذا الإطار قال وزير الشؤون الخارجية الكندي جو كلارك، الذي قدم التقرير في مجلس العموم، إن النتائج التي توصل إليها بيتون ليون "لا لبس فيها، ويجب أن تبدد أي شكوك باقية".

هذا في الوقت الذي أكد فيه ليون في مؤتمر صحفي لاحق أنه من غير المرجح أن ينهي التقرير الجدل الذي ثار منذ انتحار نورمان، وذلك على الرغم من تمكنه من الوصول إلى جميع السجلات الحكومية ذات الصلة، بما في ذلك المواد السرية من الشؤون الخارجية ووزارة الدفاع، والتقارير التي جمعتها في الأصل شرطة الخيالة الكندية الملكية وتحتفظ بها في دائرة المخابرات الأمنية الكندية. إضافةً لهذا لم يكن هناك دليل في التقارير الدبلوماسية التي قدمها نورمان من اليابان أو الشرق الأوسط أو أي مكان آخر، بأنه كان يوصي بسياسات تتعارض مع مصالح كندا(٢).

وبصفة عامة فإن التحقيق الذي أجرته شرطة الخيالة الملكية الكندية مع نورمان، الذي كان محل شك كماركسي، كان جزءًا من مؤامرة ضد المجموعة التي تعاونت مع دبلوماسية بيرسون، ومحاولة لتقويض "سياسة الدبلوماسية الوسطى" بقيادة كندا والسويد وأستراليا. كان نورمان الأضعف والأكثر أهمية في مجموعة بيرسون، وعليه فقد استهدفه أنصار الحرب الباردة، وانتحر في النهاية(٣).

(1) The Ottawa Citizen, Mar. 31, 1990, P.6.
(2) The Windsor Star, 31 Mar. 1990, P.A10.
(3) Takashima (Sachiyo), Op. Cit., P.96.

الخاتمة:

على كل حال، فإن اسم هربرت نورمان قد مثَّل شخصية مثيرة للجدل في الدبلوماسية الكندية، بالنسبة لمنتقديه كان يمثل في أحسن الأحوال خطرًا أمنيًّا وفي أسوأ الأحوال عميلًا سوفيتيًّا. أما بالنسبة للمدافعين عنه، كان ضحية لمطاردة قادها مسؤولون أمريكيون عديمو الضمير وحلفاؤهم في الكونجرس(١).

وجدير بالذكر أن هربرت نورمان بالفعل كان متعاطفًا–منجذبًا– للشيوعية وأفكارها خلال فترة دراسته، وقبل دخوله السلك الدبلوماسي. وهذا سلوك واعتناق فكر يرى أنه مثالي، وهذا لا يصل بالاتهام أنه منحرف فكريًّا أو سلوكيًّا من قِبل من كانوا أعداء للشيوعية عند الأمريكيين، ومن وافقهم من أصحاب الفكر الرأسمالي في هذه القضية، وبلغت حساسية هذا الأمر عندهم أن من يشرب الشاي مع شيوعي أو يجالسه فهو منحرف وشيوعي مثله تمامًا، وهذا قول مبالغ فيه وافتراء ممن يقول ذلك، فهم يرون أن الشيوعية وقتها كانت كاسحة ومدمرة لواقعهم الاقتصادي ومجمل حياتهم.

وبذلك يظهر من سياق الأحداث أن السفير الكندي المنتحر في القاهرة كان ضحية لكثير من الأسباب المتشابكة والمتداخلة، وذلك في ظل تمسك كندا باستمرار العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية على أسس متفق عليها، وبعدم التشهير بهربرت نورمان والقول بجاسوسيته، وإبعاد المجالس المنتخبة من الشيوخ والنواب عن تكرار طرح هذا الموضوع لمصلحة العلاقات بين دولتين جارتين: أولهما كندا في أقصى شمال أمريكا الشمالية وثانيهما الولايات المتحدة في جنوبها، ولكن تكرار الاتهامات لنورمان قد ساهم

(1) Barry (Donald), Op. Cit., P.147.

في دفعه إلى الانتحار من خلال التشهير المستمر بتلك الشخصية، من خلال زيادة الاتهام الأمريكي بأنه بالفعل جاسوس، مع نفي كندا لهذا الاتهام. والحاقًا بذلك في فهم حقيقة الأمر أن هربرت نورمان نفسه كان في حالة ذعر وخوف شديد من الاتهام المتكرر، واحساسه بالمطاردة والطعن في وطنيته، واستقامة سلوكه الوظيفي في أرقى مناصب السياسة والدبلوماسية، والذي أدى في النهاية إلى انتحاره، مما ترتب عليه توتر شديد في العلاقات بين كندا الولايات المتحدة الأمريكية.

إضافةً لهذا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم يكن لها الرغبة في رؤية سياسة استقلالية لكندا –يرسمها بيرسون– بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك من خلال كندي مجتهد مثل هربرت نورمان في اللعبة الأيديولوجية للحرب الباردة، وإلا ما الفائدة أو المبرر من إعادة تجديد تهم قديمة من قِبل اللجنة الفرعية للأمن الداخلي بمجلس الشيوخ الأمريكي تجاه نورمان، دون أن يجد جديد بشأنه، وبذلك يتضح أن الانتحار كان نتيجة للاضطهاد السياسي.

شكل رقم (١)

صورة "هربرت نورمان– الأرشيف الكندي"

Source: Documents on Canadian External Relations, Vol.23, 1956-1957, Part.2.

ملحق رقم (١)

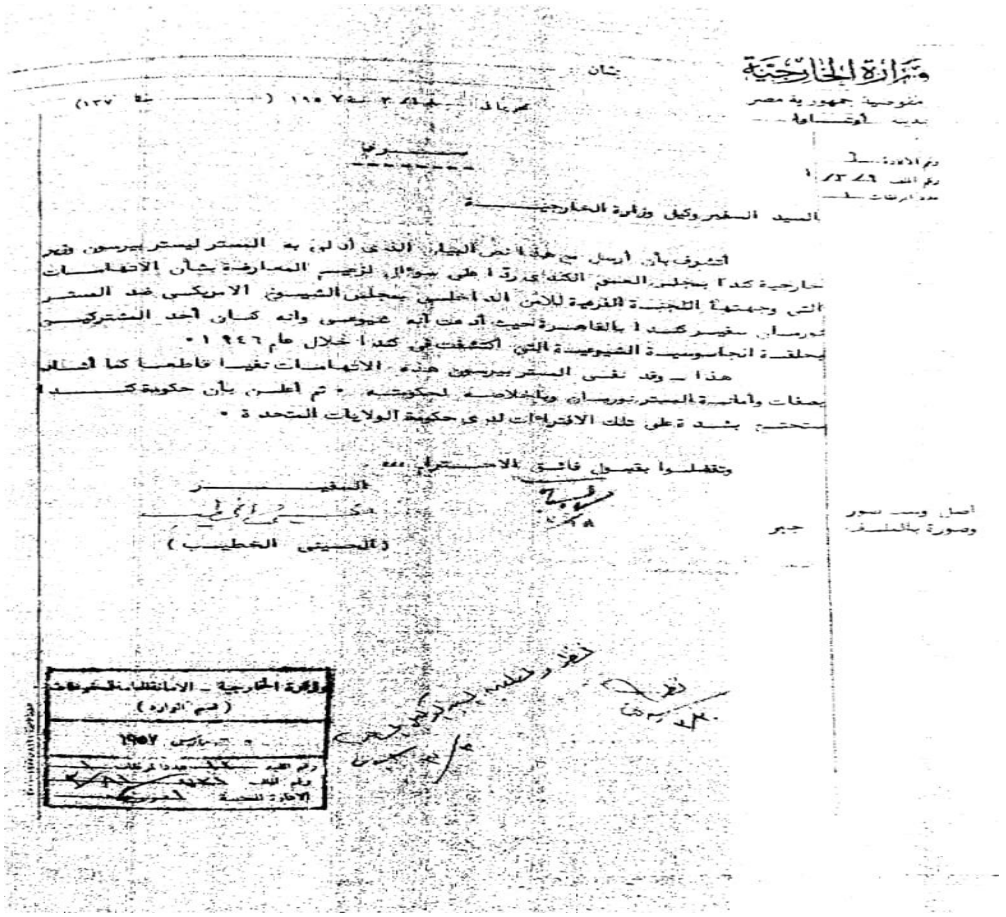

وزارة الخارجية

المصدر: دار الوثائق القومية: وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف الخارجي السري الجديد، رول رقم ٣٣٩، محفظة رقم ٦٧٧، كود أرشيفي (٠٤١٠٤٦–٠٠٧٨).

ملحق رقم (٢)

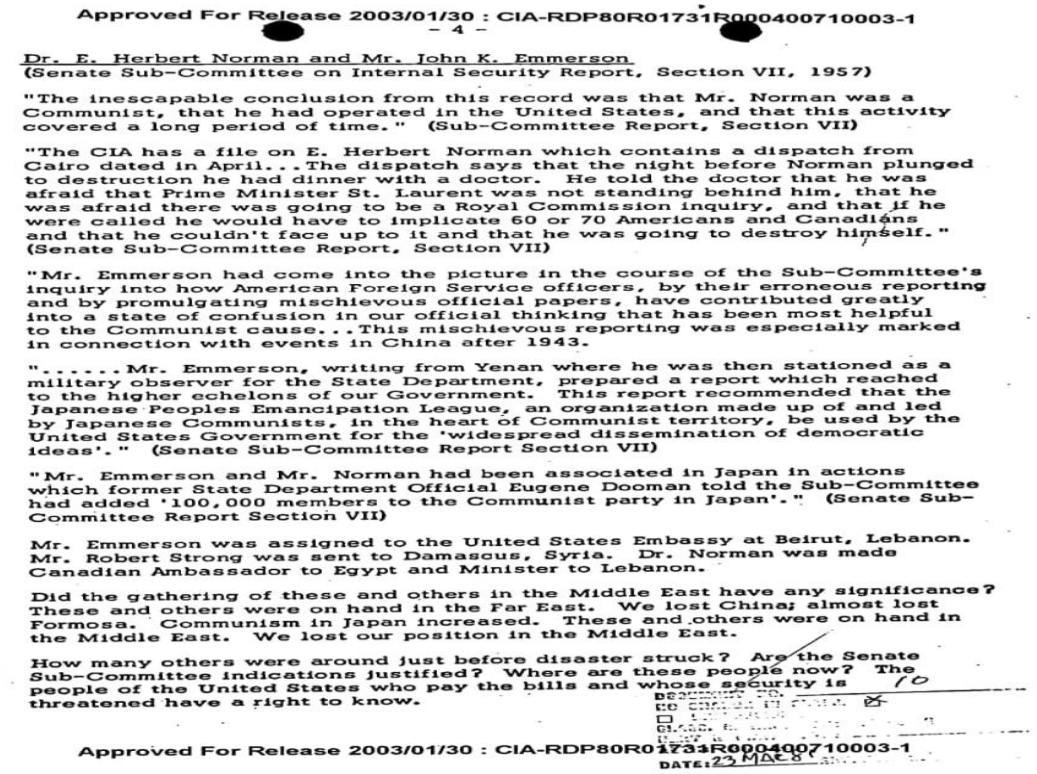

Approved For Release 2003/01/30 : CIA-RDP80R01731R000400710003-1

– 4 –

Dr. E. Herbert Norman and Mr. John K. Emmerson
(Senate Sub-Committee on Internal Security Report, Section VII, 1957)

"The inescapable conclusion from this record was that Mr. Norman was a Communist, that he had operated in the United States, and that this activity covered a long period of time." (Sub-Committee Report, Section VII)

"The CIA has a file on E. Herbert Norman which contains a dispatch from Cairo dated in April...The dispatch says that the night before Norman plunged to destruction he had dinner with a doctor. He told the doctor that he was afraid that Prime Minister St. Laurent was not standing behind him, that he was afraid there was going to be a Royal Commission inquiry, and that if he were called he would have to implicate 60 or 70 Americans and Canadians and that he couldn't face up to it and that he was going to destroy himself." (Senate Sub-Committee Report, Section VII)

"Mr. Emmerson had come into the picture in the course of the Sub-Committee's inquiry into how American Foreign Service officers, by their erroneous reporting and by promulgating mischievous official papers, have contributed greatly into a state of confusion in our official thinking that has been most helpful to the Communist cause...This mischievous reporting was especially marked in connection with events in China after 1943.

".....Mr. Emmerson, writing from Yenan where he was then stationed as a military observer for the State Department, prepared a report which reached to the higher echelons of our Government. This report recommended that the Japanese Peoples Emancipation League, an organization made up of and led by Japanese Communists, in the heart of Communist territory, be used by the United States Government for the 'widespread dissemination of democratic ideas'." (Senate Sub-Committee Report Section VII)

"Mr. Emmerson and Mr. Norman had been associated in Japan in actions which former State Department Official Eugene Dooman told the Sub-Committee had added '100,000 members to the Communist party in Japan'." (Senate Sub-Committee Report Section VII)

Mr. Emmerson was assigned to the United States Embassy at Beirut, Lebanon. Mr. Robert Strong was sent to Damascus, Syria. Dr. Norman was made Canadian Ambassador to Egypt and Minister to Lebanon.

Did the gathering of these and others in the Middle East have any significance? These and others were on hand in the Far East. We lost China; almost lost Formosa. Communism in Japan increased. These and others were on hand in the Middle East. We lost our position in the Middle East.

How many others were around just before disaster struck? Are the Senate Sub-Committee indications justified? Where are these people now? The people of the United States who pay the bills and whose security is threatened have a right to know.

Approved For Release 2003/01/30 : CIA-RDP80R01731R000400710003-1

وثيقة بشأن: تقرير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والذي تم فيه الاستنتاج بأن هربرت نورمان شيوعي.

Source: Central Intelligence Agency, Memorandum for DCI From Stanley J. Grogan Assistant to the Director, 19 August 1958.

ملحق رقم (٣)

60. DFAIT/29-7-2-USA-NORMAN

Le secrétaire d'État aux Affaires extérieures
à l'ambassadeur aux États-Unis

Secretary of State for External Affairs
to Ambassador in United States

TELEGRAM DS-86 Ottawa, April 8, 1957

CONFIDENTIAL

In view of the reaction in the House and in the press to Herbert Norman's death we have decided that it would be desirable to deliver a letter to the United States Secretary of State in the following terms. Text begins:

"In the light of the actions taken by the Internal Security Sub-Committee of the Committee on the Judiciary of the US Senate in publishing testimony taken in executive session concerning the late Mr. E.H. Norman, I am instructed by my Government to inform you with regret that the Canadian Government will be unable in future to supply any security information concerning a Canadian citizen to any US Government agency without an assurance from the US Government that no agency of that government will pass such information to the legislative branch of the US Government without the express consent of the Canadian Government. I am requested to express the hope that the US Government will be able without delay to give such an assurance to the Canadian Government." Text ends.

2. Although I realize that most of the information which has been gathered by the Sub-Committee has come from witnesses called by the Committee who have no doubt repeated evidence already given to the FBI, nonetheless I believe it is desirable to have this on record. In passing this letter to the State Department will you please inform them that we have no desire to upset in any way the long standing and friendly relations between the FBI and the RCM Police. Nor do we wish to upset the new and satisfactory relations between the US Immigration and Naturalization Service and the RCM Police. I do feel however under compulsion to ensure that the maximum protection is given to any information on any Canadian which may be passed to the US Government for the mutual protection of our two countries.

3. Would you please inform me of the time that you will deliver the letter to the State Department to enable Commissioner Nicholson to inform in advance both the FBI and the US Immigration Service of our intention of doing this and give them an assurance that we have no desire to upset the present good relations.

4. Would you also inform the State Department at the same time that I intend to inform the House of Commons of the text of the letter before the House prorogues at the end of the week.[59]

[L.B.] PEARSON

وثيقة بشأن: خطاب وزير الخارجية الكندي إلى السفير في واشنطن لإبلاغ الحكومة الأمريكية بأن الحكومة الكندية لن تكون قادرة على توفير أي معلومات أمنية تتعلق بأي مواطن كندي، إلى أي وكالة حكومية أمريكية دون تأكيد من حكومة الولايات المتحدة بأنه لن تقوم أي وكالة من تلك الحكومة بنقل هذه المعلومات إلى الفرع التشريعي لحكومة الولايات المتحدة دون موافقة صريحة من الحكومة الكندية.

Source: Documents on Canadian External Relations, Vol.23, 1956-1957, Part.2, Secretary of State for External Affairs to Ambassador in United States, Ottawa, April 8, 1957, Confidential, P.93.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

- **وثائق غير منشورة:**

أ- **الأرشيف الكندي**(National Archives of Canada (Ottawa :

وثائق وزارة الخارجية الكندية:

1- Documents on Canadian External Relations, Vol.23, 1956-1957, Part.2, department of foreign affairs and international trade, Ottawa, 2002.

ب- وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office**:**

1- FO 407/ 236; Appendix, biographical notes, Leading personalities in Egypt, Foreign Office, Apr.25, 1957.

ت- وثائق وزارة الخارجية المصرية– دار الوثائق القومية :

الأرشيف السري الجديد–رول رقم (٣٣٩):

– محفظة رقم (677)–كود أرشيفي (0078-041046):

الملف رقم ٣/٨١/٧٣١ التقارير السياسية للسفارة المصرية في كندا.

- **وثائق منشورة:**

*** الوثائق الأمريكية:**

أ- وثائق وزارة الخارجية الأمريكية (FRUS):

1- Foreign Relations of the United States, 1955-1957, Western Europe and Canada, Vol. XXVII, United States Government Printing Office, Washington, 1992.

ب– وثائق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) :

1- Central Intelligence Agency, Letter to those who answered my previous Letter and others from J. Edward Johnston, JR., 8 August, 1958.

2- _____, Memorandum for DCI From Stanley J. Grogan Assistant to the Director, 19 August 1958.

3- _____, Letter from Roger W. Bowen to CIA, Washington, 11 June 1980.

ت– الأوراق العامة لرؤساء الولايات المتحدة الأمريكية:

1- Public Papers of the Presidents of United States, Dwight D. Eisenhower: 1957, Containing the Public Messages, Speeches, and Statements of the President, January 1 to December 31, 1957, United States Government Printing Office, Washington, 1958.

ث– وثائق الكونجرس الأمريكي– مجلس الشيوخ:

1- United States, Congress, Senate, Committee on the Judiciary, Subcommittee to Investigate the Administration of the Internal Security Act and Other Internal Security Laws, Eighty-fifth Congress, first session, Section I, December 31, 1957, Government Printing Office, Washington, 1958.

ج- نشرة وزارة الخارجية الأمريكية (Department of State Bulletin) :

1- United States, The Department of State bulletin, Vol. XXIX, No.754, (December 7, 1953), Government Printing Office, Washington,

2- _____, Vol. XXXVI, No.927, (April 1, 1957), Government Printing Office, Washington.

3- _____, Vol. XXXVI, No.931, (April 29, 1957), Government Printing Office, Washington,

4- _____, Vol. XXXVII, No.949, (September 2, 1957), Government Printing Office, Washington.

* مضابط مجلس العموم الكندي:

1- Canada, House of Commons, Debates, Official Report, 22nd Parliament, 5th Session, 1957, Vol. II, Edmond Cloutier, C.M.G., O.A., D.S.P., Queen's Printer and Controller of Stationery, Ottawa, 1957.

2- _____, Official Report, 22nd Parliament, 5th Session, 1957, Vol. III, Edmond Cloutier, C.M.G., O.A., D.S.P., Queen's Printer and Controller of Stationery, Ottawa, 1957.

ثانيًا: المذكرات الشخصية:

١- دوايت ايزنهاور: مذكرات ايزنهاور، ترجمة: هيوبرت يونغمان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩.

2- Lester B. Pearson, Mike; the memoirs of the Right Honourable Lester B. Pearson, 1957-1968, Vol. 3, edited by: John A. Munro and Alex I. Inglis, University of Toronto Press, Canada, 1975.

ثالثًا: المراجع العربية:

١- بسام العسلي: مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية، ماك آرثر، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٩.

رابعًا: المراجع المترجمة:

١- ألان نيفينز، هنري ستيل كوماجر: موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: محمد بدر الدين خليل، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠.

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1- Chapman Pincher, Their Trade is Treachery, The full, unexpurgated truth about the Russian penetration of the free world's secret defences, Sidgwick & Jackson, London, 1981.

2- _____, Too Secret Too Long, The great betrayal of Britain’s crucial secrets and the cover-up, Sidgwick & Jackson, London, 1984.

3- James Barros, No sense of evil: the espionage case of E. Herbert Norman, KGB Target; North America, Ivy Books, New York, 1987.

4- John Hilliker & Donald Barry, Canada's Department of External Affairs, Coming of Age, 1946-1968, Vol. 2, The Institute of Public Administration of Canada, McGill-Queen’s University Press, Montreal, 1990.

5- Roger W. Bowen, E.H. Norman: His Life and Scholarship, University of Toronto Press, Canada, 1984.

6- _____, Innocence Is Not Enough: Life and Death of Herbert Norman, M.E. Sharpe, New York, 1988.

سادسًا: أبحاث منشورة في الدوريات الأجنبية:

1- Donald Barry, Cleared or covered up? The Department of External Affairs investigations of Herbert Norman, 1950-52, International Journal, Vol. 66, No. 1, The other transatlantic relationship: Canada, the EU, and 21st century challenges, (Winter 2010-11).

2- Douglas G. Anglin, " Life and times of a great Canadian: Peyton V. Lyon, 1921-2011", Carleton University, (23 April 2011).

3- Masao Maruyama, An Affection for the Lesser Names: An Appreciation of E. Herbert Norman, Pacific Affairs, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1957).

4- Peyton V. Lyon, The Loyalties of E. Herbert Norman, Labour / Le Travail, Canadian Committee on Labour History, Vol. 28 (Fall, 1991).

5- Sachiyo Takashima, Return to Christianity: Herbert Norman's Letter to his Brother Before his Suicide, Historical Papers, Canadian Society of Church History, 2006.

6- Tom McSorley, Seeing &believing: The Man Who Might Have Been &the politics of Canadian innocence, Take 1; Toronto, Vol. 8, Iss. 25, (Fall 1999).

7- (X) , The Sources of Soviet conduct, Foreign Affairs, Vol. 25, (July 1947).

سابعًا: الرسائل العلمية:

1- Jamie Glazov, Canadian Policy Toward Nikita Khrushchev's Soviet Union, PhD Thesis, Faculty of Graduate Studies, York University, Ontario, 1997.

ثامنًا: الأرشيفات الصحفية:

١- جريدة الجمهورية. (مصر)
٢- جريدة الأخبار. (مصر)
٣- جريدة الأهرام. (مصر)

4- Los Angeles Times. (U.S.A)
5- The Gazette; Montreal. (Canada)
6- The Manchester Guardian (UK)
7- The New York Times. (U.S.A)
8- The Ottawa Citizen. (Canada)
9- The Ottawa Journal. (Canada)
10- The Washington Post. (U.S.A)
11- The Windsor Star. (Canada)
12- Times – Colonist. (Canada)
13- Toronto Star. (Canada)

تاسعًا: الموسوعات:

١–عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة،ج١، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥.

٢–_____: موسوعة السياسة،ج٢، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٣–مايكل لي لانج: 100 قائد عسكري، تصنيف لأكثر القادة العسكريين تأثيرًا في العالم عبر التاريخ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٩.

٤–محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول (أ. س)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥.

5– Barry M. Gough, Historical Dictionary of Canada, The Scarecrow Press, Inc., U.S.A., 2011, Second Edition.

6- Nigel West, Historical Dictionary of British Intelligence, The Scarecrow Press, Inc., U.S.A., 2005.

عاشرًا: المواقع الإلكترونية:

- https://www.canadianmysteries.ca
- https://www.thecanadianencyclopedia.ca
- https://lop.parl.ca

موقف غانا من سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا (أكتوبر ١٩٦٩- يناير ١٩٧٢م)

د. أحمد محمد عبد المعز محمد
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب– جامعة المنيا.

ملخص البحث:

اتخذت غانا سياسة نشطة تجاه التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا إبان تولي "كوفي بوسيا" لرئاسة وزراء غانا (أكتوبر ١٩٦٩: يناير ١٩٧٢)، وظهر ذلك في هجومها وإدانتها المتكررة للتفرقة العنصرية، وكذلك حاولت غانا إثبات أهمية إجراء حوار مع حكومة الأقلية العنصرية كوسيلة للقضاء على التفرقة العنصرية، بدعوى أن المواجهة المسلحة غير مجدية، كما عارضت بشكل واضح توريد الأسلحة الغربية لحكومة الأقلية العنصرية، ورأت أن الأسلحة أحد أهم أدوات تعزيز التفرقة العنصرية، وقد تأثر موقف غانا بمواقف منظمة الوحدة الأفريقية، والرأي العام الغاني، وبعلاقاتها مع الغرب وضغط أوضاعها الاقتصادية، لتتراجع قضية التفرقة العنصرية أمام تلك الضغوط عن أخذ مساحة واضحة في سياسة "كوفي بوسيا" الخارجية منذ يونيو ١٩٧١، حتى تمت الإطاحة بحكومته في ١٣ يناير ١٩٧٢.

الكلمات المفتاحية:

غانا، جنوب أفريقيا، التفرقة العنصرية، بوسيا، منظمة الوحدة الأفريقية، الحوار.

Ghana's position on apartheid in South Africa (October 1969 - January 1972 AD)

Dr. Ahmed Mohamed Abd El-Moez Mohamed

Lecturer of Modern and Contemporary History,

Faculty of Arts, Minia University.

Abstract:

Ghana took an active policy towards apartheid in South Africa during Kofi Busia's tenure as Prime Minister of Ghana (October 1969: January 1972), This was evident in her repeated attack and condemnation of Apartheid. Ghana also tried to prove the importance of dialogue with the racist minority government as a means of eliminating racial discrimination, claiming that armed confrontation is futile, It also clearly opposed the supply of Western arms to the South African government, and considered that arms are one of the most important tools for strengthening racial segregation, The position of the government was affected by the positions of the Organization of African Unity, Ghanaian public opinion, its relations with the West and the pressure on its economic conditions, so that the issue of racial discrimination declined in front of these pressures from taking a clear space in the foreign policy of "Kofi Busia" since June 1971, until his government was overthrown on January 13, 1972 .

Keywords: Ghana, South Africa, Apartheid, Kofi Busia, Organization of African Unity, Dialogue.

جاء ذلك البحث "موقف غانا من سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا (أكتوبر ١٩٦٩ – يناير ١٩٧٢م)، في عدد من العناصر الرئيسة التي سوف يتم تناولها وهي؛

أولًا–إدانة كوفي بوسيا للتفرقة العنصرية، ودعوته للحوار لمعالجتها (أكتوبر– نوفمبر ١٩٦٩).

ثانيًا– انشاء اللجنة الوطنية الغانية للتفرقة العنصرية يناير ١٩٧٠.

ثالثًا– المساعي الغانية لوقف تسليح حكومة الأقلية العنصرية في جنوب أفريقيا (يونيو – أكتوبر ١٩٧٠).

رابعاً– أثر تسليح حكومة الأقلية العنصرية على العلاقات الغانية البريطانية (أغسطس– أكتوبر ١٩٧٠).

خامسًا– عودة كوفي بوسيا لمقترح الحوار مع حكومة الأقلية العنصرية (نوفمبر– ديسمبر ١٩٧٠).

سادسًا– فشل غانا في ايقاف تسليح النظام العنصري، والعودة لدعوة الحوار (يناير– مارس ١٩٧١).

سابعًا– أثر الضغط الأفريقي في تراجع غانا عن دعوة الحوار (أبريل ١٩٧١– يناير ١٩٧٢).

حصلت غانا على استقلالها في مارس ١٩٥٧ تحت قيادة رئيس الوزراء "كوامي نكروما Kwame Nkrumah"[١]، إلا أن معارضيه ادعوا بأنه كان ديكتاتوريًا، وأن اقتصاد غانا تدهور في عهده، إلى أن أطيح به في ٢٤ فبراير ١٩٦٦، حيث أعلن "مجلس التحرير الوطني The National Liberation Council N.L.C" بقيادة الفريق "جوزيف أنكراه Joseph Arthur

(١) كوامي نكروما (١٩٠٠– ١٩٧٢): أول رئيس وزراء ورئيس لغانا (١٩٥٧– ١٩٦٦)، حضر المؤتمر الأفريقي الخامس في مانشستر عام ١٩٤٥، وقاد كفاح غانا نحو الاستقلال ما أدى لسجنه مرتين في عام ١٩٤٨ و ١٩٥٠، الى أن استقلت في مارس ١٩٥٧، ليقود نكروما بعدها حركة التحرر الأفريقية، حتى أطيح به في ٢٤ فبراير ١٩٦٦، ثم توفى في أبريل ١٩٧٢، للمزيد انظر:

_ Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Historical Dictionary of Ghana, Scarecrow Press, Metuchen, 1995, P.168.

Ankrah"[١]، تنحية نكروما عن الحكم[٢]، وأن مجلس التحرير سيسلم السلطة إلى حكومة مدنية منتخبة[٣].

وفي أبريل ١٩٦٩ استقال أنكراه من رئاسة المجلس، وحل محله العميد "أكواسي أفريفا Akwasi Afrifa"[٤]، وتم إعداد دستور جديد في أغسطس ١٩٦٩ جعل السلطة

---

(١) رأس الجنرال "جوزيف أنكرا" مجلس التحرير الوطني المكون من ثمانية أفراد من ضباط الجيش والشرطة، والذي تم تشكيله في ٢٦ فبراير ١٩٦٦ لإدارة غانا بعد يومين من الإطاحة بكوامي نكروما، أعلن أن غانا ستعود إلى الحكم المدني في غضون ١٨ شهرًا، انظر،

_ ***Chicago Tribune "USA"***; Apr.7, 1966, P.6.

(٢) استقبل الشعب الغاني الإطاحة بنكروما بسعادة ملحوظة، نتيجة التدهور الاقتصادي الذي تسبب في جزء كبير منه انخفاض سعر الكاكاو، وهو المحصول الأساسي الذي اعتمد عليه الاقتصاد الغاني من ٤٠٠ جنيه إسترليني للطن في وقت استقلال غانا ١٩٥٧ إلى ١٠٠ جنيه للطن وقت الاطاحة بنكرما في ١٩٦٦، انظر،

_ Simon Baynham: The Military and Politics in Nkrumah's Ghana, Westview, London, 1988, Pp.5, 7.

(3) ***Current Notes on International Affairs***, October 1969, Department of External Affairs, Canberra, Australia, The Return of Constitutional Government in Ghana, P.561 & Kwame Frimpong, Kwaku Agyeman-Budu: The rule of law and democracy in Ghana since independence: Uneasy bedfellows?, ***African Human Rights Law Journal***, Vol.18, No.1, 2018, P.252.

(٤) أكواسي أفريفا (١٩٣٦– ١٩٧٩): انضم للجيش الغاني عام ١٩٥٦، وتلقى تدريبه العسكري في أكاديمية ساندهيرست العسكرية الملكية البريطانية، وكان أحد الضباط المشاركين في الإطاحة بنكروما في عام ١٩٦٦، وعضوًا في مجلس التحرير الوطني الحاكم لغانا في الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩، وقد اعتقله نظام أتشيمبونج في بداية عام ١٩٧٢ لمدة عام، وفي عام ١٩٧٩ انتخب لعضوية البرلمان الغاني في ١٨ يونيو، وبعد أسبوع فقط تم إعدامه بأمر من المجلس الثوري للقوات المسلحة الذي وصل للسلطة آنذاك، للمزيد انظر،

=

التنفيذية في يد رئيس الوزراء، مع برلمان (الجمعية الوطنية) كان له سلطة كبيرة في توجيه السياسة، وأجريت الانتخابات في أغسطس ١٩٦٩، وحصل "حزب التقدم Progress Party"[(١)]، بقيادة الدكتور "كوفي أبريفا بوسيا Kofi Abrefa Busia"[(٢)]، على الأغلبية مقابل أربعة من الأحزاب المنافسة[(٣)]، ليصبح "كوفي بوسيا" رئيسًا للوزراء، وشكل حكومته في ١ أكتوبر١٩٦٩، ثم عينت الهيئة الانتخابية في ١٣ أغسطس ١٩٧٠ "إدوارد أكوفو أدو Edward Akufo-Addo"[(٤)]، رئيسًا لغانا بدون سلطات تنفيذية،

=

_ Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Op. Cit., P.20.

(١) حزب التقدم الغاني حصل على الأغلبية في انتخابات البرلمان الغاني المكون من ١٤٠ عضو عام ١٩٦٩، حيث حصل على ٨٢ مقعدًا، انظر،

_ ***New York Times*** "***USA***"; Aug 31, 1969, p.1.

(٢) كوفي أبريفا بوسيا: رئيس وزراء غانا في الفترة من١٩٦٩ إلى ١٩٧٢، كان زعيمًا للمعارضة البرلمانية في عهد كوامي نكروما، وأسس عام ١٩٦٩ حزب التقدم، الذي تسلم السلطة من مجلس التحرير الوطني في أكتوبر ١٩٦٩، وعلى الرغم من أنه تقلد السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية، إلا أنه حاول استخدام أساليب استبدادية في الحكم، وتدخل في إجراء تعديلات على القوات المسلحة الغانية، وفشل في التعامل مع مشكلة البطالة والوضع الاقتصادي المنهار، إلى أن تمت الاطاحة به في ١٣ يناير عام ١٩٧٢، إلى أن توفى في منفاه بلندن في ١ سبتمبر عام ١٩٧٨، للمزيد راجع،

_ Kwasi Dartey-Baah: Political Leadership in Ghana: 1957 to 2010, ***African Journal of Political Science and International Relations***, Vol.9, Issue.2, 2015, p.55.

(3) ***Current Notes on International Affairs***, September 1969, Department of External Affairs, Canberra, Australia, Elections in Ghana, 512.

(٤) إدوارد أكوفو-أدو: تلقى تعليم القانون في جامعة أوكسفورد، هو أحد القضاء الذين عارضوا نكروما وعزلهم في عام ١٩٦٤، عُين رئيسًا لغانا في ١٩٧٠، بلا صلاحيات تنفيذية، وهو أول رئيس لغانا منذ الإطاحة =

وظلت كل الصلاحيات في يد رئيس الوزراء وحكومته[١].

أما عن وضع التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا؛ فقد هيمنت سياسات التفرقة على الوضع الداخلي، حيث كانت التفرقة العنصرية هي السياسة الرسمية للدولة، بحرمان أغلبية السكان وهم السود من كافة الحقوق الإنسانية[٢]، وطبقت سياسة الفصل الإقليمي للأجناس، وتم صبغها بالصبغة القانونية في عام ١٩٥٩. وسعت الحكومة لنقل الأفارقة إلى مناطق معزولة على الأطراف سميت "بانتوستانات"، وعملت على صنع كيانات سياسية منفصلة للهنود والملونين من أصل آسيوي أيضًا[٣]. كما فرضت التفرقة على التعليم بين الطلاب البيض والسود، وحظرت في عام ١٩٦٣ على الفرق الرياضية الجنوب أفريقية مشاركة السود فيها وقصرتها على البيض، ما أعاقها عن المشاركة في دورتي الألعاب الأولمبية عامي ١٩٦٤ و١٩٦٨ [٤]، وفي المقابل واصلت الحكومة

=

بنكروما في فبراير ١٩٦٦، وقد عانى من مرض في المخ جعله يخضع لعملية استئصال بداية توليه منصبه، مما أعاقه عن ممارسة صلاحياته، راجع،

_ ***The Washington Post "USA"***; Sep.30,1970, p.A3 & ***New Nation "Singapore"***; Jan.30, 1971, P.3.

([1]) LaVerle Berry "Ed": Ghana a country study, Federal Research Division Library of Congress, Washington, 1994, P.37-39.

([٢]) عبدالملك عودة، حورية مجاهد، جويندلين كارتر: ندوة السياسة الدولية، التمييز العنصري وحركات التحرير في أفريقيا الجنوبية، ***مجلة السياسة الدولية***، عدد ٢٠، أبريل ١٩٧٠، ص٢٤٤.

([3]) Amry Vandenbosch: South Africa's outward policy, ***The Virginia Quarterly Review***, Vol.47, Issue 4, Fall 1971, p.518

([4]) From the UNESCO report on Apartheid, ***Negro History Bulletin***, Vol.32, No.8, December, 1969, Pp.22-23

الترويج لما اعتبرته تهديدًا شيوعيًا على حدودها الشمالية وعلى سواحلها الجنوبية، ولإقناع العالم الغربي بالأهمية الاستراتيجية لطريق كيب البحري(١).

وقد أحدثت تلك التفرقة العنصرية إدانة دولية، خاصة من الدول الأفريقية والأسيوية في الأمم المتحدة، وتبني مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٦٣، قرارًا طالبت فيه جميع الدول بفرض حظر على بيع الأسلحة والذخيرة إلى جنوب أفريقيا للقضاء على التفرقة العنصرية(٢)، ثم في ديسمبر ١٩٦٣، تبنى مجلس الأمن قرارًا جديدًا دعا إلى تمديد الحظر المفروض على بيع الأسلحة إلى جنوب أفريقيا وأن يشمل مواد تصنيع الأسلحة وصيانتها(٣).

وقد عارضت غانا سياسة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا طوال عهد كوامي نكروما ١٩٥٧– ١٩٦٦، وأكد أن الاستعمار الأوروبي هو الذي أوجد علاقة السيد والخادم، والتي أنتجت التفرقة العنصرية(٤). كما واصل مجلس التحرير الوطني خلال الفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩ إدانة التفرقة العنصرية في المنظمات الدولية، وقام بدعم

---

(1) ***Foreign and Commonwealth Office "FCO" 45/ 616***; Diplomatic Report No.158/70, General Distribution, South Africa 23 January, 1970, South Africa: Annual Review For 1969

(2) Security Council resolution 181 (1963) [Policies of apartheid of the Government of the Republic of South Africa], Aug.7, 1963, S/RES/181 (1963), [S/5386], Aug.9, 1963.

(3) ***FCO 45/ 698***, Statement in the national assembly by hon. Mr. Victor Owusu minister for foreign affairs on the British intention to resume the sale of arms to South Africa.

(4) Ama Barbara Biney: Kwame Nkrumah: An Intellectual Biography, PhD, University of London, 2007, P.313.

الحركات القومية الأفريقية والطلاب من جنوب أفريقيا، وكانت غانا إبان تسلم "كوفي بوسيا" لسلطاته في أكتوبر ١٩٦٩ واحدة من بين دول أفريقية قليلة قامت بسداد حصتها المالية كاملة للجنة التحرير الأفريقية[١]، التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية[٢].

أولًا- إدانة كوفي بوسيا للتفرقة العنصرية، ودعوته للحوار لمعالجتها (أكتوبر-نوفمبر ١٩٦٩):

لقى وصول كوفي بوسيا لرئاسة وزراء غانا إعجابًا كبيرًا في الأوساط الغربية، كدليل على إمكانية تطبيق الديمقراطية في أفريقيا[٣]، كما اعتمدت حكومة بوسيا على الغرب بشكل شبه كامل لتلبية احتياجاتها الاقتصادية والعسكرية[٤]، على الرغم من أن وزير الخارجية الغاني الجديد "فيكتور أووسو Victor Owusu"[٥] أكد أن بلاده تلتزم بسياسة

---

(١) حددت منظمة الوحدة الأفريقية في سنة ١٩٦٣ للجنة التحرير هدفين محددين؛ أولهما، وضع ميزانية تمويل الكفاح من أجل تحرير أفريقيا، وثانيهما، تنسيق ذلك الكفاح على أساس اقليمي بين الأقاليم المختلفة، ولجنة التحرير تعد جناح الكفاح المسلح لمنظمة الوحدة الأفريقية، انظر،

_ ريتشارد جيبسون: حركات التحرر الأفريقية، النضال المعاصر ضد الأقلية البيضاء، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، ٢٠٠٢، ص٢٨ & محمود حسن فرغل: منظمة الوحدة الأفريقية وحرب التحرير، ***مجلة السياسية الدولية***، عدد ١٨، أكتوبر ١٩٦٩، ص١٠٤.

(2) Etsiah Akyinba Kofi: Foreign Policy Under Military Rule In Ghana, 1966-1982, University of the Witwatersrand, Johannesburg, 1985, P.109.

(3) ***Congressional Record***, United States of America, Proceedings and debates of the 91st Congress, First Session Senate-Wednesday, October 1, 1969, a salute to Ghana, Mr. McGEE, P.27887.

(4) Olajide Aluko: After Nkrumah: Continuity and Change in Ghana's Foreign Policy, ***A Journal of Opinion***, Vol.5, No.1, Spring. 1975, P.57.

(٥) فيكتور أووسو: محام وسياسي غاني، كان رئيسًا لنقابة المحامين في غانا من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٦٧، وعين بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٦٩ نائبًا عامًا، شارك في تأسيس حزب التقدم، خلال عهد =

عدم الانحياز، كما أعلن أن غانا ستعمل على تحقيق التحرر الكامل للقارة الافريقية من الاستعمار والانظمة العنصرية[١]. كما كانت غانا أحد أعضاء اللجنة الخاصة بمتابعة سياسة التفرقة العنصرية لحكومة الأقلية العنصرية، وهي اللجنة المشكلة عام ١٩٦٣ من قبل الأمم المتحدة، وفي أوائل أكتوبر ١٩٦٩ أعلن المندوب الغاني في اللجنة "أجري أورليانز Aggrey Orleans" أن استمرار تعزيز القوة العسكرية لجنوب أفريقيا بدعم دول أوروبا الغربية أمرًا معززًا لسياسات التفرقة العنصرية[٢].

وفي أول رحلة خارجية لكوفي بوسيا، أكد في خطابه بالأمم المتحدة في ١٧ أكتوبر ١٩٦٩ رفضه لسياسات حكومة الأقلية العنصرية القائمة على التفرقة العنصرية، وأنها سياسات خاطئة وتهدد السلام العالمي، واعتقد أن الدول الأفريقية أخطأت في اعتقادها بأن الحل يكمن في تطبيق عقوبات مؤثرة على حكومة الأقلية العنصرية، لأن تلك

=

كوفي بوسيا عُين وزيرًا للشؤون الخارجية ثم وزيرًا للعدل ونائبًا عامًا لغانا، تم اعتقاله عام ١٩٧٢، ثم أفرج عنه، وفي عام ١٩٧٨ شارك في تأسيس جبهة مناهضة للحكومة فتم اعتقاله مرة أخرى، وتم الافراج عنه في يوليو ١٩٧٨ بعد الإطاحة بحكومة أتشيمبونج، وخاض انتخابات الرئاسة لكنه حل ثانيًا، ثم ألقي القبض عليه عدة مرات لنشاطه السياسي؛ انظر،

_,Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Op. Cit., P.186.

(1) Boni Yao Gebe: Ghana's Foreign Policy at Independence and Implications for the 1966 Coup D'état, ***The Journal of Pan African Studies***, Vol.2, No.3, Mar.2008, P.178.

(2)***FCO 45/ 230***, United Nations "UN", General Assembly "GA", A/AC.115/SR.117, 17 July 1969, Special Committee on the policies of apartheid of the government of the Republic of South Africa & ***International Herald Tribune*** "France", Oct.14, 1969, P.19.

العقوبات فشلت في إحداث التأثير المطلوب أمام استهزاء بعض الدول بقرارات ومبادئ وميثاق الأمم المتحدة، ما أوجد الشك في فعالية تلك المنظمة الدولية وأفقدها مبرر وجودها، وأشار إلى اعتقاده ضرورة وجود لغة أخلاقية مشتركة لمبادئ الصواب والخطأ يشترك فيها الجميع بما فيهم حكومة الأقلية العنصرية، اعتمادًا على الحجج المنطقية، مهما اختلف الجنس أو اللون أو اللغة(١).

وبمجرد عودة بوسيا لأكرا تمت إثارة قضية التفرقة العنصرية في مؤتمر صحفي عقده في ٧ نوفمبر ١٩٦٩، حينما ذَكره أحد الصحفيين بتصريح سابق له – أي كوفي بوسيا– في سنة ١٩٥٨ حينما كان زعيمًا للمعارضة في البرلمان الغاني، قال فيه: "**إن بإمكان غانا بناء جسور مع جنوب أفريقيا**"، ليسأله الصحفي عن إمكانية بناء تلك الجسور بعد وصوله لقمة السلطة في غانا، وقد أجابه بوسيا بضرورة إلقاء نظرة جديدة على مشكلة جنوب أفريقيا، وبداية حوار عقلاني مع حكومتها، لتتأكد أن إيمانها بدونية الرجل الأسود لا يقوم على الحقيقة، وضرب مثالًا بنفسه، بأنه استطاع في احدى المرات الحديث على قدم المساواة مع أحد الوزراء من جنوب أفريقيا في زيارته لجامعة ليدن Leiden بهولندا، حيث كان بوسيا رئيسًا لقسم الدراسات الأفريقية هناك قبل توليه الحكم، وأن الوزير الجنوب أفريقي اندهش من وجود مسئول أفريقي أسود في جامعة أوروبية(٢).

---

(1) ***UN.*** GA, A/PV.1786, Official Records, Oct.17, 1969, Address by Mr. Kofi Abrefa Busia.

(2) ***FCO 45/233***, Letter from **British High Commission** "**BHC**", Accra David (D.W.R. Lewis), to J. McQuiggan, **West African Department** "**WAD**", FCO, SW1., Nov.10, 1969, " Dr. Busia's Press Conference and its aftermath", Attached; The Prime minister's Press Conference, Nov.7, 1969.

ولم يرجح بوسيا في مؤتمره الصحفي إمكانية إقامة غانا لعلاقات دبلوماسية مع جنوب أفريقيا، وأرجع ذلك أن تلك الفكرة لم تناقش في مجلس الوزراء الغاني، وطالب بعدم المبالغة في الافتراضات دون أن يحدث ذلك الحوار، وأشار إلى أنه غير مقتنع بجدوى موقف منظمة الوحدة الأفريقية الرافض لأي اتصال مع حكومة الأقلية العنصرية، لأن جنوب أفريقيا كانت الدولة الأكثر تصنيعًا في أفريقيا، "**كما عاش بعض أسلاف سكانها البيض هناك منذ فترة أطول بكثير من أسلاف العديد من الأفارقة السود في بلدانهم**"، ولم يكتف بوسيا بذلك، بل طالب المستوطنين البيض أن يزورا غانا ليروا بأنفسهم "**كيف أمكن للأفارقة ممارسة السلطة بطريقة ديمقراطية، ويروا إذا كان الغانيون متخلفين كما اعتقدوا**"، وأن لديه اعتقاد بأنه من الضروري أن تعيش جميع دول العالم الحديث معًا مترابطة[١].

وقد دعمت الصحف الغانية وعلى رأسها صحيفتا ديلي جرافيك Daily Graphic – المملوكة للحكومة والتي كانت تنشر سياستها–، وبايونير Paioneer تصريحات بوسيا بشأن انتهاج سياسة جديدة للتواصل مع جنوب أفريقيا، وكانت آراء المسؤولين الغانيين – بحسب ادعاء المفوض البريطاني في أكرا– متجاوبة بشكل عام[٢].

وعلى الجانب الآخر، تم تغطية دعوة بوسيا على نطاق واسع في الإعلام الجنوب أفريقي –الذي كانت توجهه الحكومة–، حيث تجاوبت هيئة الإذاعة الجنوب أفريقية مع دعوته وعدتها تطوراً مبشرًا بتحسن العلاقات مع غانا، ورأت أن غانا هي "أداة تحديد الاتجاه في أفريقيا"، كما رأت صحيفة "دي برجر Die Burger" أن بوسيا أراد أن يبدأ قادة

---

(1) ***FCO 45/233***, Letter from **BHC**, Accra, to **WAD**, FCO, SW1., Nov.10, 1969, " Dr. Busia's Press Conference …, Nov.7, 1969.

(2) ***Ibid.***

أفريقيا باستعمال العقل بدلاً من العاطفة، وإنهم عاجلاً أم آجلاً سوف يتوصلون إلى استنتاجات تتعارض مع ما انتهجوه من مواقف تجاه حكومة الأقلية العنصرية، وأنه سيتعين على الدول الأفريقية من أجل مصلحتها أن يكون لديها المزيد من التعاملات مع جنوب أفريقيا، إلا أن صحيفة ستار The Star الجنوب أفريقية رأت أنه من السابق لأوانه إعطاء أهمية كبيرة لحديث بوسيا، وأن عرضه بالسماح لمواطني جنوب أفريقيا بزيارة غانا ورؤية تطور الأفارقة لن يحدث أدنى فرق في تفكير حكومة الأقلية العنصرية على المدى القصير، وإنما يمكن ذلك أن يتم عن طريق إقامة علاقات تجارية مشتركة(١).

واستبعدت صحيفة ترانسفالر Transvaler الجنوب أفريقية أن يكون لدى غانا القدرة على تغيير عقلية حكومة جنوب أفريقيا وسياساتها بالحوار، واعتقدت أن حكومة الأقلية العنصرية ربما هي من تطور من تفكير غانا إذا تم ذلك الحوار، لكنها أكدت في الوقت نفسه أن تصريحات بوسيا جعلت جميع أنحاء أفريقيا تتساءل، هل تغير موقف غانا من جنوب أفريقيا؟(٢). كما تمت مقارنة دعوة بوسيا للحوار مع جنوب أفريقيا والثناء عليها، بعلاقة جنوب أفريقيا مع بريطانيا التي أصابها بعض الفتور نهاية عام ١٩٦٩، بعد إلقاء الوفد البريطاني في الأمم المتحدة بعض الكلمات المنتقدة للتفرقة العنصرية، مع دخول

---

(1) ***FCO 45/ 233***, Letter from British Embassy in Pretoria, to J.E.C. Macrae, Esq, **Central and Southern African Department** "**CSAD**", FCO, SW1., D.W.R. Lewis, Esq, Accra, Nov.24,1969, "South Africa/Ghana Relations".

(2) ***FCO 45/ 314***, British embassy – Pretoria, editorial comment from the Afrikaans press, Nov.27, 1969.

الرياضة كقضية رئيسية في العلاقات المشتركة[١]، لزيادة الضغط الدولي لاستبعادها من جميع الأحداث الرياضية الدولية[٢].

أما بالنسبة لحكومة الأقلية العنصرية، فقد بدأت التفكير على الفور في رد فعل مناسب على دعوة بوسيا، وكان مما تم طرحه أن يقدم أحد الوزراء في الحكومة تجاوبًا وديًا تجاه تلك الدعوة، أو أن يتم عرض نوع من المساعدة الفنية على غانا لإبقاء مساحة للتقارب، إلا أنها تراجعت بعد صدور بيان "تصحيحي" لوزير الخارجية الغاني "فيكتور أووسو" في ١٠ نوفمبر بشأن دعوة بوسيا[٣]، أكد فيه أن موقف غانا من التفرقة العنصرية لن يتغير، بل أنها ستدعم اقتراحًا بطرد جنوب أفريقيا من الأمم المتحدة "مؤقتًا" إذا رأت منظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة أن ذلك مرغوب فيه، وأكد أن غانا لن تقوم باستيراد أية منتجات جنوب أفريقية مثل آلات التعدين، وأن كل ما أشار له بوسيا ما هو إلا تفكير بصوت عالٍ، واستبعد القيام بعمل عسكري ضد جنوب أفريقيا، إلا إذا قامت به جميع القوى الكبرى، وكان سبب التراجع عن بيان بوسيا هو التخوف من أن تؤثر تصريحات

---

(١) قامت مظاهرات لمواطنين بريطانيين للمطالبة بمنع مشاركة فريق الرجبي الجنوب أفريقي في بطولة دولية للعبة، لتطبيقها التفرقة العنصرية، وعلى الرغم من أن المباراة أقيمت في النهاية، وكانت حكومة جنوب أفريقيا قد رفضت استقبال فريقًا بريطانيًا ملونًا، وقد حظى المتظاهرون بتعاطف وتأييد وزراء في الحكومة البريطانية ، مع العلم أن بوسيا رفض التعليق على تلك الأزمة، نقلًا عن،

_ ***The Guardian "UK"***; Nov.6, 1969, p.10.

(2) ***FCO 45/ 616***, Diplomatic Report No.158/70, General Distribution, South Africa 23 January, 1970, South Africa: Annual Review For 1969

(3) ***FCO 45/ 233***, Letter from British Embassy "S.J. Gross", Pretoria, to FCO, London, Nov.26, 1969, "South Africa/ Ghana Relations".

بوسيا على العلاقات الغانية الأفريقية[١]، بعد أن أحدثت دعوة بوسيا شعورًا كبيرًا بخيبة الأمل في معظم الدول الأفريقية[٢].

وعلى الرغم من صدور بيان أووسو التصحيحي، إلا أن الحكومة العنصرية سعت من جانبها إلى استيضاح تطورات دعوة بوسيا للحوار، فقام السكرتير الأول في سفارة جنوب أفريقيا في لندن ب. فيلجوين P.H. Viljoen بدعوة مدير قسم غرب أفريقيا بالخارجية البريطانية في بداية ديسمبر ١٩٦٩، وطلب منه تفسير دعوة بوسيا للحوار وتراجع وزير الخارجية الغاني عنها، إلا أن المسؤول البريطاني استبعد حدوث تغيير في موقف غانا[٣].

وتجنب كوفي بوسيا في أول خطاب له أمام البرلمان في ٥ ديسمبر ١٩٦٩ تكرار دعوته للحوار، وأكد رفضه لسياسات جنوب أفريقيا، لكنه أكد أن "البيض" في جنوب أفريقيا هم أفارقة بحكم مولدهم ومولد أباءهم في أفريقيا، وأنه يرفض عدم الاعتراف بأفريقيتهم بسبب لونهم، وأعاد دعوته لهؤلاء البيض بزيارة غانا، ورؤية ما أنتجه العقل الغاني من تقدم حتى لو كانت حكومتهم ترفض زيارة الرجال السود لجنوب أفريقيا[٤]، وأكد

---

(1) ***FCO 45/ 233***, Letter BHC, Accra David (D.W.R. Lewis),to J. McQuiggan, WAD, FCO, SW1., Nov.10, 1969, " Dr. Busia's Press Conference and its aftermath".

(2) Dingar Suna: American policy towards the Non-Aligned black Africa: A case study of Ghana (1957-1972), PhD, Sambalpur University, India, 1986, P.268.

(3) ***FCO 45/ 233***, Letter from WAD (J. Mcquiggan), to British Embassy, Pretoria, Dec.5, 1969, "South Africa and Ghana".

(4) ***FCO 45/ 233***, Statements, Dr. Busia, Dec.5, 1969, Pp.399-404.

أنه لم يطرأ أي تغيير على موقف غانا من التفرقة العنصرية، مع قناعته أن "الأساليب" التي تم اتباعها لم تحقق النتائج المرجوة، وأن السبيل لتحقيق تحريك لتلك القضية قد يكون في التفكير في أساليب جديدة من التقارب، وأشار أن بيان أووسو التصحيحي إنما جاء لأن البعض فسر تصريحاته بشكل خاطئ[١].

ودعمًا لحديث بوسيا، أوضح مسؤول بالخارجية الغانية أن من الخطأ تفسير تصريحات بوسيا كسياسة جديدة لغانا تجاه التفرقة العنصرية، وأنها لازالت تعارضها، لكن بوسيا فضل التفاوض والحوار بدلًا من القتال، من أجل إقناع حكومة الأقلية بأن الرجل غير الأبيض ليس أقل شأنًا من الأبيض، بعد أن فشلت أساليب المواجهة مع تلك الحكومة، لذا كان من الضروري التفكير في أساليب أخرى، ويبدو أن الحكومة الغانية قد تخوفت من استعدائها لمنظمة الوحدة الأفريقية، لذا فضلت دعم سياستها في المواجهة حتى لو لم يكن كوفي بوسيا مقتنعًا بفاعليتها[٢].

ثانيا- انشاء اللجنة الوطنية الغانية للتفرقة العنصرية يناير ١٩٧٠:

على كل حال، أوضحت الأحداث السابقة أن هناك انشقاقًا داخل الحكومة الغانية في الموقف من سبل القضاء على التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، فخلافًا لدعوة بوسيا للحوار، كان وزير خارجيته "فيكتور أووسو" على النقيض؛ حيث فضل أسلوب منظمة الوحدة الأفريقية الداعم للكفاح المسلح، ووضح ذلك حينما أنشأ في يناير ١٩٧٠

([1]) ***FCO 45/ 233***, Letter 1/ 55, from BHC, Accra "C.W. Wainwright", to FCO, London, Dec.8, 1969, "Dr. Busia's address to the National Assembly",

_ لمراجعة تأكيد بوسيا على عدم تغير الموقف الغاني في خطابة أمام البرلمان الغاني في ٥ ديسمبر ١٩٦٩، راجع ملحق رقم (١)

([2]) ***FCO 45/ 233***, Letter from BHC Accra, to FCO, London, Dec.13, 1969, "Ghana's Policy on South Africa".

"اللجنة الوطنية بشأن التفرقة العنصرية"، لتثقيف الشعب الغاني حول شرور التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، وتقديم المشورة للحكومة الغانية بشأن التدابير التي يجب اتخاذها، والتي من شأنها أن تسهم في القضاء على تلك التفرقة[١].

وجاء بيان إنشاء اللجنة: "**إن اللجنة ستكون مراقبة على سياسة التمييز العنصري لدى حكومة الأقلية العنصرية، وستحاول ضمان الامتثال لقرارات الأمم المتحدة بشأن جنوب أفريقيا، وجمع الأموال لضحايا التفرقة العنصرية**". وافتتح أووسو أولى اجتماعات تلك اللجنة في ٩ يناير ١٩٧٠ في أكرا، في وجود أمين عام الأمم المتحدة "يو ثانت U Thant[٢]" الذي تصادفت زيارته لغانا آنذاك، واختير "ديفيد أكوا David Acquah" رئيسا للجنة، و"هارولد كواشي Harold Quashey" سكرتيرًا لها. وقد أدان أووسو في خطابه سياسة التفرقة معددًا شرورها، وأكد أن تلك السياسة جعلت من حكومة الأقلية العنصرية مؤسسة لا إنسانية وسيئة السمعة[٣]، وفي المقابل أثنى يو ثانت على الجهود الغانية

([1]) Adom Humphrey: The role of Ghana in African liberation and unity, 1957—1977, Ph.D., Temple University, 1991, Pp.156- 157.

([٢]) يو ثانت: دبلوماسي بورمي، وأمين عام للأمم المتحدة في الفترة بين عامي ١٩٦١ و ١٩٧١، وعُين سفيرًا لبلاده في الولايات المتحدة الامريكية علم ١٩٥٧، وكان رئيسًا للجنة الأفرو–آسيوية التي ساعدت الجزائر للحصول على استقلالها، توفي عام ١٩٧٤، انظر،

_ ***Chicago Tribune***, Nov 26, 1974, p.A12

([3]) ***FCO 45/ 627***, Tel. from BHC, Accra "Wainwright", to West Africa Department, FCO, London "J. Mcquiggan", Jan.12, 1970, "National Committee on Apartheid" & ***FCO 65/ 645***, letter from BHC, Accra, to West Africa Department, FCO, SW1.,Jan.12, 1970, "National Committee on Apartheid".

لمكافحة التفرقة، وأشار إلى أن إنشاء اللجنة الغانية تعد دليلًا على تلك الجهود وتطبيقًا لقرارات الأمم المتحدة المناهضة للتفرقة العنصرية[١].

وعلى الرغم من الاهتمام الغاني الواضح بقضية التفرقة العنصرية، إلا أن ذلك الاهتمام تراجع قليلًا منذ إنشاء تلك اللجنة، حيث أخذت مشاكل الديون قدرًا كبيرًا من تفكير حكومة بوسيا[٢]. كما تم تقليص عدد البعثات الدبلوماسية الغانية في الخارج من ٤٤ بعثة إلى ٣٧ في فبراير ١٩٧١ توفيرًا للنفقات[٣]، وتم تحديد مؤتمر لدائني غانا في لندن في يوليو عام ١٩٧٠[٤]، حيث رغبت غانا في الاعفاء من جزء من ديونها، أو

([1]) ***United Nations***, Archives and Records Management Section, Item S-0889-0003-01-00001, Press Services, Office of Public Information, Daily Press Briefings, United Nations, N.Y., Press Release.SG/T/272, Jan.9, 1970.

([2]) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.644, from Accra to FCO, London, Jul.15, 1970.

([3]) ***New York Times***; Feb 27, 1970, p.6.

([٤]) جرت محادثات في لندن بين أبريل ويونيو ١٩٧٠ بشأن إعادة جدولة تلك الديون، حيث إن بريطانيا كانت الدائن الأكبر لغانا بقرابة ١٠٥ مليون جنيه استرليني من ٤٠٠ مليون جملة الديون سنة ١٩٦٩، وكانت غانا مدينة بالنسبة المتبقية لفرنسا، هولندا، إيطاليا، إسرائيل، اليابان، النرويج، يوغوسلافيا، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية، وقد استمر مؤتمر الدول الدائنة طوال الأسبوع الثاني من يوليو ١٩٧٠ في لندن، وانتهى بإعفاء غانا من فوائد ديونها على مدى عامين ١٩٧١ و ١٩٧٢، مع اعادة جدولة سداد تلك الديون.

_ ***The Guardian***; Jul.8, 1970, p.2 & ***The Observer "UK"***; Jul.12, 1970, P.2 & ***The Guardian***; Jul.14, 1970; p.4 & ***New York Times***; Jul 17, 1970, p.26 & ***The Guardian***; Apr.17, 1970, p.3 & ***The Guardian***; May.30, 1970, p.2 & ***New York Times***; Jun 3, 1970, p.4.

فوائدها[١]، ولإنقاذ الوضع الداخلي قامت الحكومة الغانية بإخراج جزء كبير من الأجانب الأفارقة من أراضيها، توفيرًا لفرص العمل للغانيين طوال النصف الأول من عام ١٩٧٠[٢].

ثالثًا- المساعي الغانية لوقف تسليح حكومة الأقلية العنصرية في جنوب أفريقيا (يونيو - أكتوبر ١٩٧٠):

وعلى الرغم من الصعوبات الاقتصادية الغانية، إلا أن قضية التفرقة العنصرية سرعان ما عادت لتأخذ مساحتها في سياسة غانا، بمجرد صدور عدة تقارير صحفية بريطانية في مايو ١٩٧٠ أشارت إلى أن حكومة المحافظين البريطانية الجديدة برئاسة "إدوارد هيث Edward Heath"[٣]، تنوي استئناف بيع الأسلحة لحكومة

---

(1) ***FCO 45/ 677***, Note by (B.L. Barder), WAD, Jul.16, 1970, "The U.S.S.R. and Ghana" & ***New York Times*** ; Jan 30, 1970, p.50.

(2) Osman Al-Hassan: Politicized soldiers, military intervention in the politics of Ghana, 1966-1993, PhD, Washington State University, Department of Political Science, May 2004, P.182 & ***The Times of India "India"***; Jun 26, 1970, p.17 & ***Canberra Times "Australia"***; Mar.16 1970, p 2 & ***The Observer***, Feb 1,1970, P.5.

(٣) إدوارد هيث (١٩١٦ – ٢٠٠٥): تم انتخابه نائبًا عن حزب المحافظين في ١٩٥٩، وعين وزيرًا للعمل في يوليو ١٩٦٥، ثم انتخب زعيمًا لحزب المحافظين، في يونيو ١٩٧٠ تم اختياره رئيسًا للوزراء واستمر حتى فبراير ١٩٧٥ حينما انتخبت مارجريت تاتشر زعيمة لحزب المحافظين، وتوفى في يوليو ٢٠٠٥، انظر،

_ ***New York Times;*** Jul.18, 2005, p.A.17

الأقلية العنصرية[١]، وعلى الرغم من نفي المفوض السامي البريطاني في أكرا تلك التقارير[٢]، إلا أن اللجنة الغانية للتفرقة العنصرية أصدرت بيانًا في ٢٥ يونيو دعت فيه جميع الدول الأفريقية وبقية أعضاء الأمم المتحدة إلى النظر في موقفها تجاه بريطانيا، إذا وافقت على استئناف تسليح جنوب أفريقيا[٣]، لأن ذلك يُعد انتهاكًا لقرارات الأمم المتحدة "لأن أي أسلحة يتم توريدها إلى جنوب أفريقيا كانت ستستخدم لقمع المزيد من الغالبية السكانية المضطهدة هناك"[٤]، وأكد رئيس اللجنة "ديفيد أكوا" أن تصريحات لجنته عبارة عن "رصاصة تحذيرية"، لأي استئناف محتمل لتسليح جنوب أفريقيا[٥].

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1., Jun.27, 1970, " British Government's Policies Affecting Africa ", Annex; the Daily Graphic, Jun.26, 1970, "What a Tory victory means to Africa".

(٢) في غضون أيام من تولي حكومة المحافظين، استقبل وزير الخارجية البريطاني نظيره الجنوب أفريقي، وناقشا إمكانية استئناف بيع الأسلحة البريطانية لجنوب أفريقيا، انظر،

_ ***UN. SC***, S/PV.1546, Official Records, Jul.20, 1970, Address by Mr. Akwei, Para.31.

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1, Jun.27, 1970,"British Government's Policies Affecting Africa".

(4) ***FCO 45/ 698***, Annex; the Daily Graphic, Jun.26, 1970, "What a Tory victory means to Africa".

(5) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1, Jun.27, 1970, "British Government's Policies Affecting Africa".

وقد لقى بيان اللجنة الغانية صدى كبيرًا في الإعلام الرسمي الغاني بشكل أغضب المفوضية البريطانية في أكرا، حيث نشرت صحيفة الديلي جرافيك الغانية مقالًا لاذعًا في ٢٦ يونيو، هاجمت فيه "النوايا" البريطانية لبيع الأسلحة لجنوب أفريقيا، وقارنت تلك النوايا مع موقف حكومة حزب العمال البريطانية السابقة، بقيادة هارولد ويلسن Harold Wilson[١]، التي رفضت قبول تسليح الأقلية العنصرية[٢]، وطالبت الصحيفة بانسحاب الدول الأفريقية من الكومنولث، إذا انتهكت بريطانيا حظر التسليح[٣].

والحال كذلك، قدمت الحكومة الغانية في ٣٠ يونيو مذكرة للحكومة البريطانية ترفض فيها تقارير استئناف تسليح جنوب أفريقيا، ورفضت كذلك التبريرات البريطانية بأن تلك الأسلحة ستكون أسلحة هجومية للدفاع ضد الأخطار الخارجية، مظهرة عدم قناعتها بفكرة تقسيم الأسلحة إلى أسلحة للدفاع وأخرى للهجوم[٤]، وأكدت غانا أنها ستعد حدوث

---

(١) هارولد ويلسن: كان زعيما لحزب العمل، ورئيس وزراء بريطانيا لفترتين من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٠ ومن ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦، توفي في عام ١٩٩٥، راجع،

_ ***The Washington Post***, May 25,1995, p.7.

(٢) أحمد يوسف أحمد: السياسة البريطانية بعد هزيمة حزب العمال، ***مجلة السياسة الدولية***، عدد ٢٢، أكتوبر ١٩٧٠، ص٥٤،

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1., Jun.27, 1970, " British Government's Policies Affecting Africa ", Annex; the Daily Graphic, Jun.26, 1970, "What a Tory victory means to Africa".

(4) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.674, from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mcquiggan WAD, FCO, SW1, Jul.22, 1970, "Ghana press release no.339/70, the Ghana government's statement on the British government's decision to resume the sale of arms to south Africa".

مثل ذلك الإجراء بمثابة تأييد من الحكومة البريطانية لسياسة التفرقة العنصرية، وتجاهل لحساسيات الدول الأفريقية، وحذرت من أن الإقدام على تلك الخطوة من شأنه أن يؤثر على العلاقات الغانية البريطانية، وأنه مهما كانت المزايا المالية قصيرة المدى من بيع الأسلحة، فلا يمكن مقارنتها مع الفوائد طويلة الأجل التي قد يجنيها الشعب البريطاني في علاقاته مع الدول الأفريقية الأخرى، وطالبت بريطانيا عوضًا عن ذلك أن تجد الطرق والوسائل لتعزيز العقوبات ضد النظم العنصرية في الجنوب الأفريقي(١).

وقد ردت الحكومة البريطانية سريعًا على المذكرة الغانية، وادعت في ردها أنها تنوي إخبار غانا بأي نوايا لتوريد الأسلحة مسبقًا، وأنها لا تعتزم توريد أسلحة للاستخدام في القمع الداخلي أو ضد دول الجوار لجنوب أفريقيا(٢). ومن الملاحظ أن تلك المذكرة تركت الباب مفتوحًا للتفكير فيما تعتبره بريطانيا "**أسلحة لا تستخدم في القمع الداخلي**"، وتأكد ذلك الشك في تأكيد الخارجية البريطانية السريع لنظيرتها الغانية برغبتها في تفهم الدول الأفريقية لحاجة بريطانيا لضمان مصالحها الدفاعية، وأن تفهم الدول الأفريقية لذلك من شأنه أن يحافظ على استمرار المساعدات البريطانية لها(٣).

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Statement in the national assembly by hon. Mr. Victor Owusu minister for foreign affairs on the British intention to resume the sale of arms to South Africa.

(2) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.518, from FCO to Accra, Jul.9, 1970, "Arms sales to South Africa".

(3) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.521, from FCO to Accra, Jul.10, 1970," Arms sales to South Africa".

إلا أن النفي البريطاني لغانا تبدد سريعًا مع إعلان كل من وزير الخارجية البريطاني، "أليك دوجلاس–هوم Alec Douglas-Home"[١] في ٦ يوليو، وإدوارد هيث في ٧ يوليو أمام مجلس العموم البريطاني، بأن حكومتهم ستتخذ قرارًا باستئناف تسليح جنوب أفريقيا –بطائرات وفرقاطات–، ولكن بعد التشاور مع بقية دول الكومنولث[٢]، وحرص هيث على ابلاغ بوسيا بقراره، وبعث له رسالة في ١١ يوليو، أكد فيها أن بريطانيا قررت في ضوء "مصالحها الدفاعية" الاستعداد للنظر في طلبات بيع أسلحة للدفاع البحري في جنوب أفريقيا، والمنصوص عليها في اتفاقيات سيمونزتاون Simonstown الموقعة عام ١٩٥٥ بين بريطانيا وجنوب أفريقيا[٣]، وأن بريطانيا تضمن عدم تصدير أي أسلحة إلى

---

(١) أليك دوجلاس–هوم: تولى رئاسة وزراء بريطانيا لمدة ١٢ شهر بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤، ووزارة الخارجية بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٧٤، وتوفى عام ١٩٩٥، انظر،

_ ***New York Times***; Oct 10, 1995, p.A20

(2) ***UK. Parliamentary Papers document***: Hansard Commons, Vol.803, Column 493, Oral Answers To Questions, 7 July 1970, "Supply Of Arms To South Africa" & UK Parliament: Hansard Commons, Vol.803, Column 324, Oral Answers To, Questions, 6 July 1970, "Supply Of Arms To South Africa".

(٣) في ٣٠ يونيو ١٩٥٥، وقعت بريطانيا وجنوب أفريقيا ثلاث اتفاقيات، نصت على نقل القاعدة البحرية الملكية في سيمونزتاون إلى سلطة الاتحاد في موعد أقصاه ١٥ مارس ١٩٥٧، وفق بعض القواعد ومنها "أن البحرية الملكية ستستمر في طلب استخدام المرافق الموجودة في القاعدة في السلام والحرب، وتوافق حكومة الاتحاد على أن مرافق القاعدة ستكون متاحة للاستخدام من قبل البحرية الملكية وبحرية حلفاء بريطانيا في أي حرب تشارك فيها بريطانيا، حتى لو لم يشارك اتحاد جنوب أفريقيا في تلك الحرب"، ووعدت الحكومة البريطانية ببيع ست فرقاطات مضادة للغواصات، وعشرة كاسحات ألغام، وأربعة زوارق دفاعية، حيث تشتري جنوب أفريقيا معدات بحرية بقيمة ١٨ مليون جنيه إسترليني من أحواض بناء السفن البريطانية، واشترطت بريطانيا بمنع تطبيق سياسات التفرقة العنصرية في داخل تلك =

جنوب أفريقيا تساعدها في تطبيق سياسة التفرقة العنصرية(١).

وشعرت غانا بعدم صدق "إدوارد هيث" فيما أعلنه بأنه سيتم التشاور مع دول الكومنولث، وبأن قرار استئناف التسليح قد اتخذ بالفعل(٢)، لكنها فضلت عدم اتخاذ أي رد فعل بمفردها، وأن تتحرك في إطار الأمم المتحدة(٣). وبالفعل كانت غانا أحد الموقعين على الرسالة (المذكرة) رقم S/9867 إلى مجلس الأمن في ١٥ يوليو ١٩٧٠، والتي

=

القاعدة البحرية، ومع ذلك، أكدت الاتفاقات أنه يجب أن يظل الأمن الداخلي لبلدان الجنوب الأفريقي مسألة داخلية غير ذات صلة بالاتفاقيات، راجع كلًا من:

_ Norman L. Dodd: The Simonstown Agreement and the Cape Sea Route, ***The RUSI Journal***, Vol.120, Issue 3, 1975, P.50 & Geoff Berridge: Economic power in Anglo-South African diplomacy, Simonstown, Sharpeville and after, the Macmillan Press Ltd, London, 1981, Pp.76: 94 & J.E. Spence & G.R. Berridge: Simonstown, ***Contemporary Record***, Vol.2, Issue 3, 1988, P.35 & Peter James Henshaw: The transfer of Simonstown: Afrikaner nationalism, South African strategic dependence, and British global power, ***The Journal of Imperial and Commonwealth History,*** Vol.20, Issue 3, 1992, Pp.419, 420 & The Simonstown Agreements, ***World Today***, Jan 1, 1975; 31, 1; p.4.

(1) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.674, from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mcquiggan WAD, FCO, SW1, Jul.22, 1970, "Ghana press release no.339/70, the Ghana government's statement on the British government's decision to resume the sale of arms to south Africa".

(2) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC, Accra, to FCO, London, Mar.18, 1971, "Arms sales to South Africa".

(3) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.644, from Accra to FCO, London, Jul.15, 1970.

طالبت بضرورة عقد جلسة طارئة للمجلس للنظر في قضية الصراع العنصري في جنوب أفريقيا الناجم عن سياسات التفرقة العنصرية، ولإيجاد السبل لتعزيز حظر الأسلحة المنصوص عليها في قرارات مجلس الأمن، لمواصلة بعض الدول تزويد جنوب أفريقيا بجميع أنواع الطائرات والمروحيات والأسلحة الثقيلة وغيرها من المعدات التي تُستخدم لفرض سياستها العنصرية(١).

وطبقًا لذلك الطلب اجتمع مجلس الأمن في ٢٠ يوليو، وقد انضم ممثل غانا "أكوي Akwei" إلى الجلسة لإلقاء بيان بشأن موقف حكومته دون أن يكون له حق التصويت، ومن الملاحظ أن البعثة البريطانية في نيويورك قد فشلت في التقرب من الممثل الغاني قبيل بدء الجلسة لتلطيف بيانه، حيث تجاهل "أكوي" مساعيهم، وقال للوفد البريطاني –بشكل شخصي– "**أنه لا ينبغي إهمال أي وسائل للضغط على الحكومة البريطانية**"(٢). وقد كان بيان "أكوي" حماسيًا في معظم أجزائه، واتهم كلا من فرنسا، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، بلجيكا، كندا، إيطاليا، اليابان، سويسرا، وألمانيا الغربية بكسر الحظر، مطالبًا مجلس الأمن بإنشاء الآليات الدولية الضرورية لجعل قرارات حظر الأسلحة قابلة للتطبيق(٣).

وأرجع "أكوي" سبب اجتماع مجلس الأمن إلى أن سياسات التفرقة العنصرية بغيضة وتتعارض مع التزامات الدول الأعضاء بموجب ميثاق الأمم المتحدة، وأن الوضع الناتج عن تلك السياسات شكل خطرًا جسيمًا على السلم والأمن الدوليين، وأشار لقراري مجلس

---

(1) ***UN. SC***, S/9867, Jul.15, 1970, Letter dated Jul. 15, 1970, from the Representatives of Algeria, Burundi.., Ghana..

(2) ***FCO 45/ 695***, Tel. No.1571 from UK mission, New York, to FCO, London, Jul.20, 1970, " Arms For South Africa".

(3) ***FCO 45/ 695***, Tel. No.1570 from UK mission, New York, to FCO, London, Jul.20, 1970, "Arms for South Africa".

الأمن قرر في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ بحظر بيع الأسلحة والمعدات العسكرية والمواد اللازمة لتصنيعها وصيانتها إلى جنوب أفريقيا، وعد "أكوي" قرار الحظر كأحد أسلحة المجتمع الدولي للقضاء على التفرقة العنصرية، لإضعاف سيطرة حكومة الأقلية على شعبها المضطهد، وأن أي دولة تخرق ذلك تصبح عدوة لشعوب أفريقيا ولضحايا التفرقة، لاسيما وأنه منذ عام ١٩٦٤ لم يناقش المجلس هذه القضية مرة أخرى ما حفز على استمرار انتهاك الحظر على نطاق واسع، لتتضاعف القدرة العسكرية لحكومة الأقلية بين عامي ١٩٦٤و ١٩٧٠ بفضل أصدقائها الغربيين، ليتحتم على مجلس الأمن التحرك لمنع انتهاك قراراته[١].

وأعلن "أكوي" أنه حتى عام ١٩٦١ كانت بريطانيا هي المورد الأول للأسلحة لحكومة الأقلية العنصرية، وأنه بحلول أغسطس ١٩٦٣، انضمت فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعة الموردين، وقدمتا مع بلجيكا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا براءات الاختراع والتراخيص لتنتج حكومة الأقلية أسلحتها وذخائرها محليًا، ما جعل جنوب أفريقيا تصنع ٣٠٠ طائرة تدريب عسكرية نفاثة، وواصلت فرنسا توريد كم كبير من المعدات العسكرية على رأسها طائرات الميراج والغواصات والصواريخ، وأن فرنسا التي ادعت صداقة أفريقيا أصبحت المورد العسكري الأول لحكومة الأقلية، وتلقى طلاب البحرية الجنوب أفريقية تدريباتهم في الموانئ الفرنسية، بالإضافة لما قدمته إيطاليا من معدات وطائرات عسكرية، وما قدمته اليابان من مواد تساعد في سياسة التفرقة العنصرية، وما قدمته سويسرا من المدافع المضادة للطائرات والمتفجرات، أما ألمانيا الغربية فقد وردت

([1]) ***UN. SC***, S/PV.1546, Official Records, Jul.20, 1970, Para.30- 38.

ناقلات البضائع والجنود، وأن بريطانيا زودت جنوب أفريقيا منذ عام ١٩٦٤ بست عشرة طائرة هجومية من طراز Buccaneer وقطع غيار وأنواع أخرى المعدات العسكرية[١].

كما أعلن "أكوي" أن الولايات المتحدة الأمريكية –حتى وإن حاولت الامتثال لحظر الأسلحة– زودت جنوب أفريقيا بقطع غيار عسكرية من جميع الأنواع، بلغت قيمتها ٤٠ مليون دولار في الفترة من ١٩٦٢إلى ١٩٦٩، وعد ذلك التعاون امتدادًا لإهمال الولايات المتحدة لحقوق مواطنيها السود، وأن المشكلتين مرتبطتان ارتباطًا وثيقًا، لعدم احتياج الولايات المتحدة – من وجهة نظر غانا– للتعاون مع حكومة الأقلية العنصرية اقتصاديًا ولا دفاعيًا، وطالبها بعدم إجبار الأفارقة للارتماء في أحضان السوفييت، واستبعد ما ادعته جنوب أفريقيا بمحاربة الشيوعية، ورأى أن النفوذ الشيوعي يتمركز فقط داخل عقول البيض في جنوب أفريقيا، وعقل وزير الخارجية البريطاني دوجلاس–هوم، وأن الأمر لا يحتاج إلا لعلاج نفسي[٢].

ورأى "أكوي" أن التمييز بين الأسلحة الدفاعية وأسلحة القمع الداخلي أمر خطير لأنه جاء لتبرير انتهاكات حظر الأسلحة ما دعم إطالة أمد معركة القضاء على التفرقة العنصرية، وأن تنفيذ ذلك الحظر كان بمثابة مقاومة للتفرقة العنصرية وللجرائم التي ارتكبتها حكومة الأقلية العنصرية ضد الإنسانية، لاسيما وأن الدول التي دعمت تلك الحكومة هي نفسها أعضاء في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهي التي اختارت المكاسب المادية على مبادئ الأخلاق الدولية. وأشار الممثل الغاني أن دول منظمة الوحدة الأفريقية اختارت مبادئ العقل والاخلاق في معالجة تلك القضية، وهو ما جاء في

---

(1) ***UU. SC, S/PV.1546, Para.59- 61., Para. 59-61.***

(2) ***Ibid***, Para.59- 61.

بيان لوساكا أبريل ١٩٦٩[١]، لأن الأفارقة آمنوا أن بتلك المبادئ السامية يمكن أن تحل المشاكل المزمنة للاستعمار والعنصرية في جنوب أفريقيا[٢].

وجدير بالذكر أنه في نفس يوم جلسة مجلس الأمن ٢٠ يوليو ١٩٧٠ صرح "دوجلاس–هوم" بأن بريطانيا مستعدة للنظر في تصدير فئات معينة من الأسلحة إلى جنوب أفريقيا للدفاع عن الطرق البحرية تطبيقًا لاتفاقيات سيمونزتاون، وأن تلك الأسلحة

---

(١) أعلن بيان لوساكا حول الجنوب الأفريقي في مؤتمر القمة الخامس لدول شرق ووسط أفريقيا (١٤–١٦ أبريل ١٩٦٩)، أن جميع البشر متساوون، ولهم حقوق متساوية، بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين أو الجنس، ورفض البيان أن تحكم فئة أي مجتمع دون موافقة مستمرة من جميع المواطنين، مع ادراك أنه قد تكون هناك ترتيبات انتقالية للتحول من عدم المساواة إلى المساواة، وأن معاداتهم لتلك الأنظمة في الجنوب الأفريقي ليس لأنها أنظمة تسيطر عليها أقلية، وإنما لأنها أنظمة يسيطر عليها أقلية، وبناء عليه فموقفهم تجاه الجنوب الأفريقي نابع من رفض العنصرية، وأنهم يؤمنون أن جميع الشعوب التي اختارت الجنوب الأفريقي موطنًا لها هي شعوب أفريقية بغض النظر عن لونهم. وأضاف البيان أنهم يفضلون تحرير الجنوب الأفريقي من تلك السيطرة دون استخدام للعنف، بالتفاوض والحوار المشترك، وقام البيان بدعوة المناضلين في الجنوب الأفريقي –إذا كان التقدم السلمي نحو التحرر ممكنًا في المستقبل– إلى استخدام الأساليب السلمية للنضال حتى على حساب بعض التنازلات حول توقيت التغيير، ولكن إذا كان التقدم السلمي يعوقه تصرفات من هم في السلطة فلا خيار سوى منح شعوب تلك الأراضي كل الدعم في كفاحهم ضد مضطهديهم، للمزيد راجع،

_ ***The Ghana Public Relations Department*** "GPRD", Apartheid And Its Elimination, Ministry of Foreign Affairs, Accra, Jun.1971, P.53, Appendix The Lusaka Manifesto on Southern Africa declared at Fifth Summit Conference of East and Central African States, 14th–16th April, 1969 &

_ مؤتمر دول شرق ووسط أفريقيا، ***مجلة السياسة الدولية***، عدد ٢٠، أبريل ١٩٧٠، ص١٧١.

(2) ***UN. SC***, S/PV.1546, Official Records, Jul.20, 1970, Para.49, 74– 77.

لن تساعد في تطبيق سياسات التفرقة العنصرية[١]، إلا أن تصريحات دوجلاس–هوم دفعت الممثل الغاني ليفرد لبريطانيا جزءًا خاصًا من بيانه، حيث وجه لها تحذيرًا رسميًا بعدم التقليل من العواقب التي قد تحدث نتيجة قرار متسرع بانتهاك حظر بيع الأسلحة، وقام بتفنيد الحجج التي ادعتها بريطانيا للقرار؛ على النحو التالي:

أولاً: رفض الادعاء بأن تلك الأسلحة لن تستخدم في القمع الداخلي وأنها للدفاع الخارجي، ورأى أن ذلك مغالطة واضحة، لأنه كان من المستبعد أن تكون حكومة الأقلية معرضة لخطر الهجوم من داخل أفريقيا أو خارجها، بل على العكس شكلت القوة العسكرية لحكومة الأقلية آنذاك تهديدًا خطيرًا للدول الأفريقية المجاورة الضعيفة، خلافًا لحقيقة أن قوات الأمن في جنوب أفريقيا استخدمت بعض المعدات العسكرية ضد معارضي التفرقة العنصرية، كما رفض قبول ارجاع بيع الأسلحة البريطانية للمنافع المالية، وتساءل: **"لو كانت المنفعة المالية هي المبرر، فلماذا لا يتم تشجيع انتاج وبيع المخدرات، لأنها أيضًا تجارة جيدة؟"**، وطالب بريطانيا باستخدام السبل الشريفة لتنمية تجارتها والاستثمار في أدوات السلام.

ثانيًا: رفض الادعاء بأن تعزيز القوة العسكرية للنظام العنصري يحقق المصالح الاستراتيجية للغرب، ورأى أنه في حال اندلاع حرب كبرى سيكون الوزن الاستراتيجي للممرات البحرية في جنوب أفريقيا ضعيفًا جدًا بعد ظهور السلاح النووي، وسخر الممثل الغاني من ادعاءات بريطانية أشارت إلى أن هناك نفوذ سوفيتي في مصر استدعى تسليح جنوب أفريقيا، لأن ذلك الادعاء –إن وجد– فطريق السويس أبعد ما يكون عن طريق كيب تاون الجنوب أفريقي، وسخر من تكرار حديث وزير الخارجية البريطاني "دوجلاس–هوم" عن الوجود السوفيتي في مصر، متسائلا: "**ما علاقة الوجود السوفيتي في مصر**

---

(1) ***UU. SC, S/PV.1546,***, Address by Mr. Warner, Para.17– 19.

بأمن جنوب أفريقيا؟ وإذا كان السوفييت موجودون بالفعل في مصر!، فهل هم هناك للمساعدة في الدفاع عن بلد أم مهاجمته؟، وإذا تسبب الوجود السوفيتي في مصر في قلق بريطانيا، فسيكون المسار المنطقي هو إزالة الأسباب التي دفعت السوفييت إلى هناك بدلاً من تعريض الحركة المناهضة للتفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا للخطر".

ثالثًا: رفض الادعاء بأن اتفاقيات سيمونزتاون تلزم بريطانيا قانونيًا ببيع الأسلحة للنظام العنصري، حيث إن الحكومة البريطانية السابقة لم تلتزم بتطبيق ذلك، وأعلنت أنها أوفت بالالتزامات الأساسية للاتفاقية دون الحاجة إلى بيع الأسلحة، وأشار إلى أنه إذا كان هناك التزام على بريطانيا ببيع الأسلحة، فعليها التزام مماثل بقرارات الأمم المتحدة[١].

وبناء على تلك الجهود تم اعتماد قرار في ٢٣ يوليو بأغلبية اثني عشر صوتًا مقابل لا شيء مع امتناع ثلاثة أعضاء عن التصويت (فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا)، أكد أن السياسة الجديدة للحكومة البريطانية من شأنها أن تخفف من عزلة حكومة جنوب أفريقيا وتشجعها على اتباع سياسة التفرقة العنصرية، وأن قرار استئناف التسليح من شأنه أن يزيد من إضعاف سلطة الأمم المتحدة[٢].

إلا أن الحكومة البريطانية تجاهلت ما حدث في الأمم المتحدة، وأرسلت "لكوفي بوسيا" لإبلاغه بنيتها تنفيذ اتفاقيات سيمونزتاون باستئناف بيع الأسلحة إلى جنوب أفريقيا[٣]، ونصحت الخارجية البريطانية ممثليها في غانا بالهروب من مناقشة ذلك

---

(1) ***UN. SC***, S/PV.1546, Address by Mr. Akwei, Para.63- 68, 70-74, 78.

(2) ***FCO 45/ 695***, United Kingdom mission to the UN, New York, Memorandum, SC Meetings Nos.1545-1549 on South Africa Friday, 17 July - Thursday, 23 July, 1970

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from David E.Awotwi The Castle, Osu, Accra, to Office the Prime Minister, Jul.21, 1970.

القرار[١]، إلا أن الحكومة الغانية أصدرت بيانًا صحفيًا في ٢١ يوليو ١٩٧٠، أعلنت فيه؛ **"إن قضية استئناف تسليح حكومة الأقلية قضية بالغة الأهمية لغالبية دول الكومنولث، إن غانا كانت تأمل ألا يتم التوصل إلى أي قرار دون اكتمال التشاور مع بقية دول الكومنولث، وتتعهد غانا بمواصلة جهودها بالتنسيق مع أعضاء منظمة الوحدة الأفريقية، لضمان عدم ترك مواطني جنوب أفريقيا في مرمى نظام التفرقة العنصرية**[٢]. وقد ردت بريطانيا على البيان سريعًا مؤكدة لغانا أنها بالفعل تبذل جهودها للتشاور مع بقية دول الكومنولث قبل التوصل إلى قرار نهائي[٣].

ولشرح تطورات الموقف الغاني ألقي "فيكتور أووسو" بيانًا أمام البرلمان الغاني في ٦ أغسطس ١٩٧٠[٤]، أكد فيه أن القوى الغربية لم تكتف بتوجيه قرارات مجلس الأمن

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.671, from Accra, to FCO, London, Jul.21, 1970, "Arms for South Africa".

(2) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.674, from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mcquiggan WAD, FCO, SW1, Jul.22, 1970, "Ghana press release no.339/70, the Ghana government's statement on the British government's decision to resume the sale of arms to south Africa".

(3) ***FCO 45/ 698***, Statement in the national assembly by hon. Mr. Victor Owusu minister for foreign affairs on the British intention to resume the sale of arms to South Africa.

[٤] لقد اتضح من الوثائق البريطانية اختراق الدبلوماسية البريطانية للحكومة الغانية، فقد أبلغت الخارجية البريطانية مفوضها في أكرا، في ٥ أغسطس ١٩٧٠، أن وزير فيكتور أووسو قرر الإدلاء ببيان بشأن احتمالية استئناف مبيعات الأسلحة، وبعد إدلاء أووسو بالبيان، أخبر المفوض البريطاني وزارته أنه استطاع الحصول على نسخة البيان الوحيدة في وزارة الخارجية الغانية من السكرتير الأول لوزير الخارجية الغاني، انظر:

=

فحسب، بل إنها ساعدت في الأنشطة الإجرامية ضد السكان الأفارقة في جنوب أفريقيا، وأن قلق غانا على سلامة الوطنيين في جنوب أفريقيا نابع من اللامبالاة التي أظهرتها بعض الدول الغربية، وجعلها استقلال الدول الأفريقية مرهونًا بالأسلحة المقدمة للنظام العنصري، وأن بريطانيا تحاول بسط سيطرتها على القارة من جديد بعد استقلالها، وأن غانا لم تتفاجأ من قرار حكومة المحافظين لأنهم أعلنوا قبل عام ١٩٧٠ أنهم سوف يكسرون حظر التسليح عندما يصلوا إلى السلطة[١].

ونفى أووسو أن يكون قد تم إجراء مشاورات مع حكومته كما ادعت الحكومة البريطانية، وأن ذلك تهديدًا لاستمرارية الكومنولث نفسه، لأن جميع الدول الأفريقية رأت أن السياسة البريطانية تشكل تهديدًا لاستقلالها وأمنها وليس غانا وحدها، وأن قرار التسليح جاء لرغبة بريطانيا في إنهاء عزلة حكومة الأقلية وتثبيت تفوقها في ساحل أفريقيا الجنوبي وليس لمناهضة ما تم وصفه "بالتهديد الشيوعي"، ودعا دول مجموعة الكومنولث –وفي مقدمتها الأفريقية منها– إلى طرد بريطانيا من منظمتهم في حال قررت اختيار

=

_ ***FCO 45/ 698***, Letter from J.E.A. Miles, BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1., Aug.6, 1970, "Arms for South Africa"

([1]) ***FCO 45/ 698***, Statement in the national assembly by hon. Mr. Victor Owusu minister for foreign affairs on the British intention to resume the sale of arms to South Africa.

صف الحكومة العنصرية[١]. وقد تخطى تهديد أووسو ما هددت به تنزانيا بأنها سوف تغادر الكومنولث، إذا تم توريد الأسلحة للنظام العنصري[٢].

إلا أن بريطانيا لم تأخذ تهديدات "فيكتور أووسو" على محمل الخطورة، لعلمها باختلافه مع "كوفي بوسيا" في سبل تسيير سياسة غانا الخارجية، واستبعدت أن يكون "أووسو" قد استشار رئيس وزرائه قبل الإدلاء ببيانه، واستبعدت أيضًا أن تتعرض غانا للتهديد من جراء استئناف مبيعات الأسلحة، وأن كل ما في الأمر أن "فيكتور أووسو" أراد إظهار حكومة غانا بوجه "الأفريقي الصالح" الذي يدافع عن مصالح أفريقيا، لتقوية علاقات غانا مع البلدان الأفريقية الأخرى، ولصرف انتباه الشعب الغاني عن المشاكل المحلية، كما لم تر أن غانا جادة في قيادة جبهة لطرد بريطانيا من الكومنولث، أو حتى انسحاب غانا نفسها من تلك المنظمة، وأن أي قرار غاني سيأتي بعد التشاور مع الدول الأفريقية الأخرى، وبشكل خاص دول شرق أفريقيا كتنزانيا، وكانت متأكدة أن غانا لن تقطع علاقاتها الدبلوماسية معها، لاسيما وأن قطع العلاقات في عام ١٩٦٥ مع بريطانيا بسبب اعلان استقلال روديسيا من جانب واحد كان إجراءً غير فعال، وكانت بريطانيا مطمئنة من عدم قيام غانا بالتمييز ضد المصالح الاقتصادية البريطانية، نظرًا لوضعها الاقتصادي الهش آنذاك[٣].

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.703, from Miles, BHC, Accra, to FCO, London, SW1, Aug.6, 1970, " Unclassified".

(2) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.544, from FCO, to Accra, Jul.19, 1970, "Arms for South Africa".

(3) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.708 from Accra to FCO, London, Aug.10, 1970, "Arms for South Africa".

وقد حاول معظم مسؤولي الحكومة الغانية تلطيف الموقف الغاني الذي أعلنه "أووسو"؛ فأكدوا للمفوضية البريطانية في أكرا قناعتهم بأن بريطانيا لم تبدأ بالفعل في تنفيذ بيع الأسلحة، وأن تصريحات أووسو بشكل خاص، واحتجاجات حكومة غانا بشكل عام، كانت **محاولات وقائية** للتراجع عن بيع الأسلحة، كما أن هجوم الصحافة الغانية على مسألة تسليح بريطانيا للنظام العنصري هدأ بشكل ملحوظ وفجائي، وبدأت صحيفة "**ديلي جرافيك**" تتساءل عن أنشطة موردي الأسلحة الآخرين غير بريطانيا، وأشارت إلى تناقض المجتمع الدولي، لاسيما الدول الناطقة بالفرنسية في أفريقيا، في تجاهل التدخل الفرنسي ببيع أسلحته للنظام العنصري، كما هاجم بعض أعضاء البرلمان الغاني "فيكتور أووسو" لتركيزه على "النية" البريطانية وتركه للأفعال الفرنسية[١]. وقد أجابهم "أووسو" بأن غانا انتقدت فرنسا في الأمم المتحدة، واعترف بأن البلدان التي تحررت من الاستعمار الفرنسي ليست مستعدة لمقاومة السياسات الفرنسية[٢].

وفي السياق نفسه، سلمت اللجنة الغانية للتفرقة العنصرية مذكرة احتجاج إلى السفارة الفرنسية في ١٩ أغسطس ١٩٧٠، أدانت فيها مبيعات الأسلحة الفرنسية الهائلة

---

(١) من الضروري هنا ملاحظة أن هناك اختلافات أخرى بين الموقف البريطاني والفرنسي من حكومة الأقلية العنصرية، خلافًا لنفوذ فرنسا في مستعمراتها السابقة، ومنها أن فرنسا لم تدافع عن حكومة الأقلية العنصرية في المحافل الدولية مثل بريطانيا، وإنما اكتفت بالتحفظ وبتعليقات قصيرة جدًا، وبالامتناع عن التصويت بشأن التفرقة العنصرية، أما بريطانيا كانت تستخدم حق النقض في تلك القضايا، ودافعت عن بعض المواقف الاستعمارية، وتركت روديسيا تستقل من جانب واحد عام ١٩٦٥، وقد أحدث ذلك فرقًا كبيرًا لدى الأفارقة، انظر،

_ ***FCO 45/ 677***; Letter from United Kingdom Mission to the UN, 845 Third Avenue, New York, N.Y. 10022 (10/22/97), to FCO, London Jul.17, 1970.

(2) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1, Aug.19, 1970, "Arms for South Africa".

والمتواصلة التي قدمت للنظام العنصري، وساهمت في اضطهاد الأغلبية الأفريقية، ودعت اللجنة جميع الدول الأفريقية إلى دفع الحكومة الفرنسية على إيلاء المبادئ في علاقاتها الأفريقية مكانة أعلى من الأرباح، والتوقف عن بيع الأسلحة وفقًا لقرارات مجلس الأمن(١). كما نُشرت تقارير صحفية غانية موسعة عن التسليح الفرنسي السري للنظام العنصري، وأنه جعل فرنسا أهم موردي الأسلحة لحكومة الأقلية، خلافًا للتراخيص الفرنسية بصناعة الدبابات في جنوب أفريقيا، وأكدت أن المستعمرات الفرنسية السابقة كانت غير قادرة على انتقاد فرنسا، لأن فرنسا ربطت ميزانيات تلك الدول بها، وأن قادة تلك الدول رأوا أنفسهم نصف فرنسيين، وكانت دولهم ضعيفة نسبيًا وتابعة لفرنسا(٢)، وتساءلت تلك التقارير **"هل القضاء على التفرقة العنصرية يتحقق إذا تم ايقاف توريد الأسلحة البريطانية والأمريكية مع التغاضي عن توريد الأسلحة الفرنسية؟"**، مطالبة بتطبيق قانون أخلاقي واحد على فرنسا أو بريطانيا أو الولايات المتحدة(٣).

رابعاً_ أثر تسليح حكومة الأقلية العنصرية على العلاقات الغانية البريطانية (أغسطس- أكتوبر ١٩٧٠):

ولمناقشة قضية تسليح حكومة الأقلية؛ طلب وزير الخارجية الغاني "فيكتور أووسو" في أواخر أغسطس ١٩٧٠ عقد لقاء مع نظيره البريطاني "دوجلاس–هوم" أثناء توقفه في لندن في أحد يومي ٢١ و ٢٢ سبتمبر، وهو في طريقه لنيويورك لحضور اجتماع الأمم

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1, Aug.20, 1970, "Arms for South Africa".

(2) ***FCO 45/ 698***, Daily Graphic, Aug.20, 1970, The arms France sells to S. Africa, Graphic view French arms sales to South Africa.

(3) ***FCO 45/ 698***, Enclosed, For apartheid should be condemned, Aug.8, 1970.

المتحدة[١]، إلا أن "دوجلاس–هوم" كان خارج لندن في الموعد المحدد، فاقترحت المفوضية البريطانية في أكرا أن يعقد لقاء بين "أووسو" ورئيس الوزراء بدلًا من ذلك [٢]، لكن حدة أراء "أووسو" دفعت الخارجية البريطانية للرفض، على أن يلتقي إدوارد هيث بكوفي بوسيا في وقت لاحق[٣]، وتقرر أن يلتقي أووسو بدوجلاس–هوم في نيويورك[٤]، على الرغم من أن رئيس الوزراء البريطاني كان أميل للقاء أووسو[٥]، لولا تصريح سكرتير وزارة الخارجية الغانية كوفور J. A. Kufuor[٦] في ١٧ سبتمبر بضرورة الضغط على

([1]) ***FCO 45/ 698***, Tel. No.729 from Accra to FCO, London, Aug.25, 1970, " Arms for South Africa".

([2]) ***FCO 45/ 698***, Letter from Private Secretary to Peter Moon Esq., No.10 Downing Street, "Arms for South Africa: Ghana", Sep.1, 1970.

([3]) ***FCO 45/ 698***, Letter (B.L. Barder) WAD to Mr. W. Wilson, Sep.3, 1970 "Arms for South Africa".

([4]) ***FCO 45/ 698***, Letter from William Wilson, CSAD, to Private Secretary, Sep.4, 1970,

([5]) ***FCO 45/ 698***, Letter from Alan Simrock, FCO., Downing Street Whitehall to Ian McCluney, Esq., FCO, Sep.11, 1970.

([٦]) جون كوفور: كان أحد مستشاري كوفي بوسيا، كما عينه نائبًا لوزير الخارجية فيكتور أووسو، وبعد الاطاحة بحكومة كوفي بوسيا تم سجن كوفور، وعندما خرج من السجن مارس المحاماة، وانضم للبرلمان الغاني عام ١٩٧٩ في صفوف المعارضة، ثم انتخب رئيسًا لغانا في الفترة من يناير ٢٠٠١ حتى يناير ٢٠٠٩، انظر،

_ Boateng, Osei: Ghana, The real Kufuor, ***New African***, Issue.426, Feb 2004, p.44.

بريطانيا لتتوقف عن تسليح حكومة الأقلية العنصرية، ليدلل على عدم جدوى عقد اللقاء[١].

وبناء على ذلك اجتمع فيكتور أووسو مع دوجلاس–هوم في نيويورك يوم ٢٥ سبتمبر[٢]. وأشار دوجلاس–هوم أن المحافظين باعوا الأسلحة لجنوب أفريقيا عندما كانوا في السلطة حتى عام ١٩٦٤، وأصروا على عزمهم القيام بذلك مرة أخرى خلال ست سنوات وهم في المعارضة حتى النصف الأول من عام ١٩٧٠، وأن الأمر سياسي صرف، إلا أن المحافظين وضعوا لعملية البيع قيود جديدة في عام ١٩٧٠، وعلى رأسها الأخذ في الاعتبار وجهات نظر دول الكومنولث، مع قصر المبيعات على الأسلحة والمعدات البحرية، والسعي للحصول على تأكيدات بعدم استخدام تلك الأسلحة ضد دول أفريقية أخرى، وأوضح أنه تفهم أن المشكلة عاطفية بالنسبة للأفارقة، الذين اختاروا اعتبار قضية بيع الأسلحة بمثابة مواءمة بين بريطانيا وبين الأقلية البيضاء، إلا أن أووسو رأى إن هذا "الجانب العاطفي" مهمًا للغاية، وأن على بريطانيا أن تنظر إليه بجدية بالغة[٣].

وتساءل أووسو: **"ألا تستطيع بريطانيا أن ترفض بيع الأسلحة كليًا، أو تؤجل اتخاذ القرار حتى وقت أكثر ملاءمة من الناحية النفسية؟"**، ما جعل دوجلاس–هوم يؤكد

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Letter from J.E.A. Miles, BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1., Sep.17, 1970, "Sale of arms to South Africa".

(2) ***FCO 45/ 483***, Accra home Service in English, ME/3494/B/2, Sep.26, 1970".

(3) ***FCO 45/ 698***, Record of a conversation between the Foreign and Commonwealth Secretary and the Foreign Minister of Ghana' in New York at 5.00p.m.on 25 September, 1970.

للوزير الغاني، أنه في حال أجلت بريطانيا بيع الأسلحة، فإنه سيكون على غانا أن تستخدم نفوذها لإقناع الدول التي هددت بترك الكومنولث بإيقاف ذلك، وأنه بدون اشتراك تلك الدول في الكومنولث لن تقدم لها بريطانيا مساعدات اقتصادية، وقد وجه ذلك الحديث فيكتور أووسو ليطلب مساعدة بريطانيا لغانا في معالجة مشاكل ديونها، وهو ما استغله دوجلاس–هوم بالإشارة إلى أن بريطانيا مستعدة لدعم غانا بشرط دعم غانا لبريطانيا(١). كما اجتمع "دوجلاس–هوم" بوزير خارجية جنوب أفريقيا "هيلجارد مولر Hilgard Muller " في ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠، وقد أشاد مولر بموقف كوفي بوسيا –وليس فيكتور أووسو–، لعدم مهاجمته دعوة رئيس جنوب أفريقيا "جون فورستر Johannes Vorster"(٢) لعقد ميثاق عدم اعتداء بين حكومته والحكومات الأفريقية –التي أصدرها في سبتمبر ١٩٧٠

(١) ***FCO 45/ 698***, Record of a conversation… 25 September, 1970.

(٢) جون فورستر: رئيس وزراء جنوب أفريقيا بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٨، كان من أشد المدافعين عن التفرقة العنصرية منذ أن كان وزيرًا للعدل في عام ١٩٦١، وبعد أن تقلد رئاسة الوزراء مضى قدمًا في ما عرف "بسياسة التنمية المنفصلة" للأغلبية السوداء في جنوب أفريقيا، وقد عمل مع بداية السبعينيات على اقناع العالم بالتعايش السلمي والانفتاح على الخارج مع حكومته، لاعتقاده أن البيض لا يستطيعون على الدوام حكم جنوب أفريقيا بمعزل عن العالم الخارجي، ولاسيما الدول الأفريقية المجاورة المستقلة، بغرض الحيلولة دون تكوين جبهة موحدة من الدول الأفريقية المجاورة له ضد حكومته، إلى أن توفى عام ١٩٨٣، للمزيد انظر،

_ إبراهيم أحمد نصر الدين: دراسات في العلاقات الدولية الأفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١، ص٢٥٦ & أحمد يوسف أحمد: ***معركة الانتخابات في جنوب أفريقيا***، مجلة السياسة الدولية، عدد ٢١، يوليو ١٩٧٠، ص١٣٦ & ***The Washington Post***, Sep.11, 1983, p.A1

وهاجمتها عدد من الدول الأفريقية[١]–، مدعيًا بأن بوسيا آمن بأن المشاكل الاقتصادية لأفريقيا لا يمكن التعامل معها بدون مشاركة جنوب أفريقيا[٢].

وطبقًا للترتيبات السابقة، طلب "كوفي بوسيا" لقاء "إدوارد هيث" في طريقه لحضور اجتماع الأمم المتحدة بنيويورك في أكتوبر ١٩٧٠، وقد أعدت الخارجية البريطانية لإدوارد هيث موجزات توجيهيه لمساعدته على إدارة اللقاء، وطالبته بأن يكون الحديث بعبارات عامة إلى حد ما، بعد أن قرر التحدث بصراحة حول تراجع العلاقات الأنجلو–غانية، بشرط حدوث اللقاء بأقل عدد من المرافقين حول بوسيا لضمان عدم تسريبه للإعلام[٣]، على أن يطلب هيث من بوسيا استخدام نفوذ غانا لوقف معارضة الدول الأفريقية لتسليح بريطانيا للنظام العنصري[٤].

وأن يقوم هيث بتحذير بوسيا من أنه ما لم تتوقف الحكومة والصحافة الغانية عن انتقاد الحكومة البريطانية فإن الأخيرة ستوقف مساعداتها لغانا، والتأكيد بأن استخدام القوة والمقاطعة أقل احتمالًا لتحقيق النتائج المرجوة من "**الحوار والإقناع**" مع حكومة الأقلية،

---

(1) Yashpal Tandon: South Africa and the O.A.U., the dialogue on the dialogue issue, ***Instant Research on Peace and Violence***, Vol.2, Issue.2, 1972, p.56

(2) ***FCO 45/ 641***, Record of a conversation between the Foreign and Commonwealth Secretary and the South African Foreign Minister in the Waldorf Towers Hotel, New York, at 10 a.m. on Saturday, Sep.26, 1970.

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from the Private Secretary I. McCluney, to the Private Secretary P.J.S. Moon, Esq., 10 Downing Street, Oct.9, 1970.

(4) ***FCO 45/ 698***, Letter from John Wilson to J. Johnston, Dr. Busia's call on the Prime Minister: 16 October, Oct.9, 1970.

وأنه من الأفضل ترك الأوضاع الداخلية هناك تتطور وتتحول تدريجيًا، ومحاولة ضمان حدوث التغييرات المرغوبة لصالح الوطنيين الأفريقيين بمنحهم مساحة للعب دور في التغيير، بتوجيه زعماء الأقلية الحاكمة إلى تقديم تنازلات بشأن التفرقة العنصرية، بدعوى أن تغيير الحكومات من قوى خارجية أمرًا نادرًا(١)، وكان هيث يرى أن الخلاف مع الدول الأفريقية ليس في رفض سياسة التفرقة العنصرية كسياسة بغيضة للجميع، وإنما حول "**أفضل السبل لمكافحة تلك التفرقة**"(٢). ومن الملاحظ أن تلك الرؤية هي ما سار عليه الموقف الغاني منذ نوفمبر ١٩٧٠.

وبالعودة لما كان معدًا، اجتمع إدوارد هيث بكوفي بوسيا في لندن في ١٦ أكتوبر ١٩٧٠، بحضور فيكتور أووسو ومفوض غانا السامي في لندن "بونسو أتافوا Asrifi Bonsu Attafua" وسكرتير وزارة الخارجية الغانية كوفور، وتحدث بوسيا عن قضية التسليح، واصفًا إياها بالقضية الأخلاقية، وأن غانا كدولة عضو في منظمة متعددة الأعراق كالكومنولث تنظر إلى بريطانيا من أجل القيادة الأخلاقية لتلك المنظمة، وأنها لا تتهم بريطانيا بالعنصرية، إلا أنها إذا قامت ببيع الأسلحة إلى جنوب أفريقيا، فلن ترى ذلك إلا بمثابة تخفيض لقيادة بريطانيا الأخلاقية!، وطالما كانت بريطانيا تتمتع بهذه القيادة، فعليها أن تأخذ بعين الاعتبار آراء الآخرين. وأضاف بوسيا مازحاً: "**إن دول الكومنولث ستحاول طرد بريطانيا من الكومنولث**"(٣).

---

(1) ***FCO 45/ 698***, visit of Dr. K.A. Busia, Prime Minister of Ghana, 16 October, 1970, steering Brief, WAD, FCO, Oct.8, 1970.

(2) Edward Heath: The Course of My Life, My Autobiography, Hodder & Stoughton, London, 1998, P.478.

(3) ***FCO 45/ 698***, Record of the Prime minister's meeting with Dr. Busia, the Prime Minister of Ghana, at 2.45 on Friday, October 16.1970.

إلا أن "إدوارد هيث" رفض اعتبار تجارة الأسلحة مع جنوب أفريقيا أو عقد اتفاقية دفاعية معها أمورًا خاطئة، بدعوى أن بلاده كان عليها صون مصالحها الدفاعية والأمنية، لاعتمادها على الطرق البحرية حول جنوب أفريقيا، واستبعد أن تكون المقاطعة الاقتصادية قد أثرت في حكومة الأقلية، أو في ممارستها للتفرقة العنصرية، كما أنه في عام ١٩٦٣ لم يكن هناك نفس موجة الغضب الأفريقية ضد حكومة المحافظين عندما قامت بتسليح حكومة جنوب أفريقيا، وطالبه باحترام الدول الأفريقية حقيقة أن بريطانيا دولة منحازة، كما احترمت بريطانيا حقيقة أن الدول الأفريقية دولًا غير منحازة، وأن الحكومة البريطانية لم تتوقع أن تكون قضية التسليح هي القضية الأساسية في العلاقات البريطانية الأفريقية، إلا أن بوسيا أوضح أن الرأي العام العالمي تجاه حكومة الأقلية العنصرية قد تطور بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٧٠[١].

ومن الملاحظ أن بريطانيا لم تفشل فقط في استمالة "كوفي بوسيا"، بل فشلت أيضًا في الحفاظ على سرية أحداث اللقاء، حيث خرج "بوسيا" بعد اجتماعه مع رئيس الوزراء البريطاني مباشرة وأعلن في مؤتمر صحفي بأنه تيقن من أن بريطانيا مصممة على بيع الأسلحة إلى جنوب أفريقيا، وأن الأمر أكبر من مجرد "نية معلنة"، وأن القرار قد يتخذ قبل مؤتمر قادة دول الكومنولث في سنغافورة في يناير ١٩٧١، وأعلن صراحة رغبته في طرد بريطانيا من الكومنولث إذا قامت بتسليح حكومة الأقلية العنصرية ولم تلتزم بمعايير السلوك الدولي وقيم الكومنولث، مستبعدًا إمكانية انسحاب غانا نفسها، وإن لم يستبعد إمكانية تفكك تلك المنظمة، وظهور منظمة جديدة على أنقاضها، ورفض الادعاء بان الأسلحة البريطانية لن تستخدم في تعزيز التفرقة العنصرية[٢].

([1]) ***FCO 45/ 698***, Record of the Prime minister's..., October 16.1970..

([2]) ***FCO 45/ 698***, Enclosed, Daily Graphic, Ghana, Oct.17, 1970.

وقد أثار حديث بوسيا عن احتمالية طرد بريطانيا من الكومنولث غضب الحكومة البريطانية التي رأت أنه –أي بوسيا– قد تخلى عن نهجه "المعتدل"، وسار خلف الأسلوب المتشدد الذي امتاز به وزير خارجيته "فيكتور أووسو"، كما ضاعف ذلك الغضب، أن صحيفة الديلي جرافيك الغانية شككت في ١٧ أكتوبر ١٩٧٠ في "عقلانية" بريطانيا في التضحية بصداقة أكثر من مائتي مليون أفريقي" من أجل الحصول على القليل من الأموال من بيع الأسلحة لقتل الأشخاص العزل(١)، وأشارت إلى أنه من الجيد سماع "إدوارد هيث" لآراء "كوفي بوسيا"، لاسيما وأن الدبلوماسية البريطانية كانت تصفه بأنه "معتدل"، وأنه نجح في إبلاغ بريطانيا بالعواقب المتوقعة لسياستها(٢).

وقد تجاوب مواطنو بريطانيا المقيمون في غانا بدلًا من حكومتهم مع موقف "كوفي بوسيا"، فقام ثلاثون منهم في ٢٤ أكتوبر بمظاهرة أمام المفوضية البريطانية في أكرا(٣)، وقدموا لها مذكرة احتجاج أبدوا فيها انزعاجهم من البيع المقترح للأسلحة لجنوب أفريقيا(٤). وقد استخدم "كوفي بوسيا" ذلك الموقف كدليل على صحة توجهاته في حوار أجراه في ٢٦

(1) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1., Oct.17, 1970, "Arms for South Africa".

(2) ***FCO 45/ 698***, Enclosed, Daily Graphic, Ghana, Oct.17, 1970, " Graphic view, the Commonwealth crunch".

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1., Oct.26, 1970, "Arms to South Africa".

(4) ***FCO 45/ 698***, Note of protest from Citizens of the United Kingdom resident in Ghana to The Rt Hon the Secretary of State for Foreign Affairs, The foreign Office, London, Oct.24, 1970 & ***FCO 45/ 698***, Enclosed, Arms for S. Africa –Britans protest.

أكتوبر مع هيئة الإذاعة البريطانية، إلا أنه تراجع عن نية قيامه بأي مبادرة لعزل بريطانيا عن الكومنولث(١).

كما أرسل وزير غاني سابق يدعى "كوامي جانتواه Kwame Sanaa-Poku Jantuah"، مذكرة احتجاجية إلى رئيس الوزراء البريطاني، أكد فيها رفض شعب غانا لبيع الأسلحة(٢)، وبشكل شبه منظم، قُدمت مذكرات احتجاجية أخرى للمفوضية البريطانية في أكرا، من أساتذة جامعيين بريطانيين في غانا(٣)، اعتبرت كل تلك المذكرات تسليح جنوب أفريقيا أمرًا يعزز التفرقة العنصرية، ويمنح فرصة للتسلل السوفيتي في أفريقيا(٤).

(1) ***FCO 45/ 698***, Mr. Peter Stewart of B.B.C.'s interview with Prime Minister Busia of Ghana, Oct.26, 1970.

(2) ***FCO 45/ 698***, Note of protest in Solidarity, by Kwame Sanaa-Poku Jantuah, barrister-at-law solicitor of the supreme court of Ghana, to the Right Honorable Edward Heath Prime Minister of the United Kingdom, 10, Dawning Street, London, through the BHC in Ghana, Nov.11, 1970 & ***FCO 45/ 698***, Letter from David W.R. Lewis, BHC, Accra, to John McQuiggan WAD, FCO, Nov.12, 1970, "Arms to South Africa ".

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from Prempeh College, Kumasi, to The BHC, Accra, Oct.26, 1970, "Possible Resumption of Arms Sales to South Africa" & ***FCO 45/ 698***, Letter from University of Ghana, Legon, Accra, to The BHC in Ghana, Accra, Oct.26, 1970.

(4) ***FCO 45/ 698***, Letter from University of Science and Technology, Kumasi, to The BHC, Accra, Oct.26, 1970.

إلا أن تلك الاحتجاجات لم تحرك ساكنًا للحكومة البريطانية، بل أعلن "إدوارد هيث" في ٢٧ أكتوبر أن حكومته لن تتأثر بعواطف دول الكومنولث(١)، ما قدم الفرصة لكوفي بوسيا ليتناول ذلك في مؤتمره الصحفي في اليوم نفسه(٢)، حيث لم يستبعد أن يكون للاعتبارات الاقتصادية دور في السياسة البريطانية، وأرجع ذلك إلى أن بريطانيا كانت تتاجر بقرابة ٣٠٠ مليون جنيه إسترليني سنويًا مع حكومة الأقلية العنصرية، وأوضح أن لدى الدول الأفريقية والأسيوية أعضاء الكومنولث القدرة على إخراج بريطانيا من المنظمة، وأنه سيناقش أثر تسليح جنوب أفريقيا على مستقبل الكومنولث مع الحكومة الكندية في زيارته لها في نوفمبر ١٩٧٠(٣).

وعلى خلاف الموقف الغاني المعلن، أوضح مدير المكتب الخاص لكوفي بوسيا، "أوفوسو آماه George Ofosu-Amaah"، في لقاء "شخصي" مع دبلوماسي بريطاني، أن ٩٠٪ من الغانيين لا يهتمون بقضية بيع بريطانيا للأسلحة(٤)، لكن ١٠% – تضمنوا معظم الصحفيين والأساتذة– قسمهم إلى "ثوريين" معارضين تمامًا للتسليح، و"معتدلين" اعتقدوا أن بريطانيا لم تناقش القضية بشكل فعال، وأنه كان على بريطانيا أن تظهر بأن

(1) ***FCO 45/ 698***, Ghana press release No.516/70, transcript of the press conference given by the right honorable Dr. K.A. Busia, prime minister at the executive lounge on Tuesday, 27th October, 1970, on his return from the 25th anniversary celebrations of the UN in new york.

(2) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1, Oct.31, 1970, " Dr. Busia's meeting with Mr. Heath".

(3) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1, Oct.28, 1970, "Dr. Busia's Meeting with Mr. Heath".

(4) ***FCO 45/ 698***, Letter from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan, West Africa Department, FCO, SW1., Nov.27, 1970, " Arms Sales to South Africa".

اتفاقيات سيمونزتاون كانت الأساس الوحيد لاستئناف التسليح وليس التهديد السوفيتي، ثم حشد دعم دول الكومنولث غير الأفريقية للتأثير على الدول الأفريقية المعتدلة(١).

وطبقًا لما كان مخططًا، بدأ "كوفي بوسيا" رحلته الخارجية التي بدأها بكندا في ٤ نوفمبر ١٩٧٠، للقاء رئيس الوزراء الكندي "بيير ترودو Pierre Trudeau"(٢)، حيث سعى بوسيا إلى إيجاد معارضة دولية لقضية التسليح(٣). وقد ناقش بوسيا وترودو بالفعل تلك القضية والمشاكل التي قد تنشأ عنها(٤)، وكان بوسيا قد كشف لترودو الحوار الذي أجراه مع رئيس الوزراء البريطاني، وبعد لقائهما عقد بوسيا مؤتمرًا صحفيًا أعاد فيه التأكيد أن الأمر بالنسبة لغانا قضية أخلاقية، وأنه من غير الأخلاقي إنكار مجموعة من الناس حقوق المواطنة لمجموعة أخرى لاختلاف لونهم، وطالب أن يُمنح رؤساء وزراء الكومنولث فرصة لمناقشة قضية التسليح في اجتماعهم في سنغافورة قبل أن تتخذ بريطانيا قرارًا نهائيًا(٥). كما ظل على رأيه بإمكانية خروج بريطانيا من الكومنولث، في حال شعرت أنها لا تستطيع الامتثال للمعايير المتفق عليها في المنظمة، ورأى بوسيا أن هناك ثلاث نقاط يتعين على بريطانيا أخذها في الاعتبار:

---

(1) ***FCO 45/ 698***, Note From John Lawrence, Record of Conversation between John Lawrence with George Ofosu-Amaah, Nov.17, 1970,"Arms Sales to South Africa".

(٢) بيير ترودو (١٩١٩– ٢٠٠٠): كان رئيسًا لوزراء كندا لفترتين في الفترة الممتدة من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٤، كما عمل أستاذًا للقانون في جامعة مونتريال بكندا، وانضم إلى الحزب الليبرالي الكندي وفاز في انتخابات مجلس العموم، ثم اختاره رئيس الوزراء الكندي ليستر بيرسون وزيرًا في حكومته عام ١٩٦٧ وزيرًا للعدل، وعندما أعلن بيرسون استقالته، اختير ترودو زعيمًا للحزب، ثم انتخب رئيسًا للوزراء في أبريل ١٩٦٨، انظر،

_ ***New York Times***; Sep 29, 2000, p.1&

(3) ***Ottawa Citizen*** "***Canada***", Nov.4, 1970, P.46.

(4) ***The Ottawa Journal*** "***Canada***", Nov.10, 1970, P.34.

(5) ***Toronto Globe & Mail*** "***Canada***"; Nov.10, 1970, P.3.

الأولى: هي موقف ورغبات الشعب البريطاني، وهذا يعود تقييمه لإدوارد هيث، وإن كانت غانا رأت أن هناك معارضة داخلية متزايدة لقرار بيع الأسلحة إلى حكومة الأقلية العنصرية.

الثانيـة: على بريطانيا أن تتذكر حقيقة أنها عضو في الكومنولث، وأن تلك العضوية تلزمها بأخذ أراء ومواقف بقية الأعضاء الآخرين ووضعها في الاعتبار، والتأثير المحتمل لقراراتها عليهم.

الثالثـة: أن على بريطانيا طرح وجهة نظرها أمام أعضاء الكومنولث بشأن التهديد السوفيتي، والاستماع لرؤساء الحكومات التي قد تكون أقرب إلى المشهد من غانا نفسها[١].

واستبعد بوسيا حدوث انهيار للكومنولث حال انسحبت منه بريطانيا، بل رأى أن بقية الأعضاء سيواصلون الارتباط والتفاعل فيما بينهم في "الكومنولث الجديد"، وأن الأمر لن يكون سابقة في تاريخ الكومنولث، لأن جنوب أفريقيا نفسها انسحبت من الكومنولث سنة ١٩٦١[٢] بسبب عدم قدرتها على تطبيق قيم الكومنولث[٣].

([1]) ***GPRD***, Excerpts from a Press Conference held by the Rt. Hon. Dr. K.A. Busia in Ottawa, Canada, P.9.

([٢]) انسحبت جنوب أفريقيا من الكومنولث وتحولت لجمهورية في (٣١ مايو ١٩٦١)، وألغت السلطة الاسمية للملكة البريطانية، وكان ذلك القرار نتيجة للضغط المتزايد من أعضاء الكومنولث غير الأوربيين على سياستها العنصرية، حيث هددوا بالانسحاب من المنظمة ما لم تغير جنوب أفريقيا سياستها العنصري، انظر،

_ جديون س. وير: تاريخ جنوب أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦، ص٢٣٢.

([3]) ***FCO 45/ 390***, Canadian Broadcasting Corporation "Encounter", November 12, 1970, 10:30 – 11:00 p.m.; Interview with: the right honorable Kofi Busia, prime minister of Ghana.

ولم يساوِ بوسيا بين تجارة الأسلحة وتجارة أي شيء آخر مع حكومة جنوب أفريقيا، فمع اعترافه أن التجارة معها بشكل عام تشجعها على السير في سياسة التفرقة العنصرية، إلا أنه رأى أن المطالبة بإيقاف كل أشكال التجارة لن يجد أذان صاغية من كثير من الدول التي لها معها تبادلات تجارية[١]، مثل بريطانيا، وكندا وعدد من الدول الأفريقية، وأن الطريق المناسب هو البحث عن وسائل مختلفة للقضاء على التفرقة في جنوب أفريقيا، دون السير في طريق إراقة الدماء، وأن الهدف يمكن الوصول إليه عن طريق **تشجيع تعديل بعض الإجراءات الدستورية** للإطاحة بحكومة الأقلية، لاسيما وأن في داخل جنوب أفريقيا نفسها كان هناك عدد من مواطنيها بيض اللون لم يقبلوا بالسياسة العنصرية لحكومتهم[٢].

خامساً- عودة بوسيا لمقترح الحوار مع حكومة الأقلية العنصرية (نوفمبر- ديسمبر ١٩٧٠):

أتت زيارة بوسيا لكندا بالتزامن مع دعوة رئيس ساحل العاج "فيليكس أوفوي بوانيي Félix Houphouët-Boigny"[٣]، إلى البدء في حوار مشترك بين قادة منظمة الوحدة

---

(1) ***UN.*** Archives and Records Management Section, Item S-0884-0018-09-00001, Republic of South Africa – note on the Question of Dialogue between South Africa and the rest of Africa, Apr.6, 1971- Aug.5, 1971.

(2) ***FCO 45/ 390***, Transcript of a press conference given in Ottawa, by the right honorable Kofi Busia, prime minister of Ghana, on 9 November 1970.

(٣) فيليكس أوفويي بوانيي (١٩٠٥- ١٩٩٣): كان عضوًا في الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٥٦، وكانت علاقاته مع الحكومة الفرنسية ودية ليتم تعيينه وزيرًا فيها، ليكون أول أفريقي في الحكومة الفرنسية، وأول رئيس لساحل العاج، منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٩٣، وقد سعى للتعاون الوثيق مع باريس، ففي حقل العلاقات الدولية غالبًا ما كان يتحرك عكس التيار الأفريقي العام، سواء بتأييده لانفصال بيافرا عن نيجيريا، أو سعيه لإجراء حوار مع حكومة الأقلية في جنوب أفريقيا، انظر،

_ ***New York Times***; Dec 8,1993, P.9.

الأفريقية وحكومة الأقلية العنصرية لمعالجة مشكلة التفرقة العنصرية[١]، وسريعًا أعلنت الجابون وداهومي وتوجو ومدغشقر وملاوي وليسوتو دعم تلك الدعوة[٢]. كما ألقت هذه الدعوة بظلالها على وجود بوسيا في كندا، لاسيما وأنه كان قد دعا للأمر نفسه في بداية رئاسته لحكومة غانا في ١٩٦٩[٣].

ولم ينكر بوسيا في المؤتمر الصحفي أن آراءه مماثلة لآراء الرئيس العاجي، وأعلن استعداد بلاده للمشاركة في اجتماع الحوار هذا في حال دعوتها له، وأكد أن الرئيس العاجي سيحظى بدعم كبير مِن الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية[٤]، وبرر بوسيا تأييده لمقترح الحوار مع حكومة جنوب أفريقيا إلى أن الهدف الأسمى لغانا هو إنشاء مجتمع متعدد الأعراق في جنوب أفريقيا، يمنح جميع المواطنين بغض النظر عن لونهم، الحق في المواطنة، مطالبًا بتحديث الأساليب التي تعاملت بها منظمة الوحدة الأفريقية مع حكومة الأقلية العنصرية[٥]، وأن القضية تدور في اختيار "أنسب سلاح" للقضاء على

---

(1) ***FCO 45/ 632***, Tel. No. 776, from FCO "Douglas-Home", to Accra, Nov.9, 1970 & ***FCO 45/ 632***, Letter from FCO to Accra, Nov.9, 1970.

(2) Yashpal Tandon: Op. Cit., Pp.54, 56.

(3) ***FCO 45/ 233***, Letter "BHC", Accra David (D.W.R. Lewis),to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1., Nov.10, 1969, " Dr. Busia's Press Conference and its aftermath", Attached; The Prime minister's Press Conference 7 November, 1969.

(4) ***FCO 45/ 390***, Transcript of a press conference given in Ottawa, by the right honorable Kofi Busia, prime minister of Ghana, Nov.9, 1970.

(5) George Douglas Perry: African strategies of liberation toward Southern Africa, the Degree of Master, Dalhousie University, 1972, P.17.

التفرقة، قائلا: "**إن الحوار هو سلاح آخر في ترسانة استراتيجية القضاء على التفرقة العنصرية**"(١).

ورأى بوسيا أن تفضيل المنظمة الأفريقية لسياسة المواجهة لم يأت بنتيجة ايجابية، وأشار صراحة إلى أن ما فعلته الدول الأفريقية كان عكس ما نادت به، مستدلًا بسداد ستة دول أفريقية فقط بينها غانا لمساهماتها في لجنة التحرير التابعة للمنظمة من أصل ٤١ دولة، –وبلغت مساهمة غانا ٢٥٠ ألف جنيه إسترليني(٢)–، وأكد أن دعم حركات التحرير جعل حكومة الأقلية العنصرية تعظم من أسلحتها، مما أوجد تكدسًا للأسلحة في جنوب أفريقيا أكثر من البلدان الأفريقية مجتمعة، وشكك في أن تكون لدى الدول الأفريقية نية للقتال ضد جنوب أفريقيا، وأن الأفضل لها القبول باستخدام الحوار كسلاح حضاري، ولا يكون هدفها تسليح عدد من الوطنيين وإرسالهم إلى جنوب أفريقيا ليتم قتلهم في النهاية(٣)، مؤكدًا أن حكومته لن تكرر ما فعله "كوامي نكروما" بالسماح باستخدام بلاده كقاعدة عمليات لحركات التحرير، التي تحول أعضاؤها –من وجهة نظر بوسيا– إلى مخربين للإطاحة بالحكومات الأخرى(٤).

وبعد انتهاء زيارته لكندا، توجه كوفي بوسيا لألمانيا الغربية، وأعاد التأكيد في ١٧ نوفمبر على قناعته بأهمية الحوار كوسيلة للقضاء على التفرقة، وإيجاد مجتمع متعدد

---

(1) Muriel Horrell: A Survey of race relations in South Africa, 1970, South African Institute of Race Relations, Johannesburg, 1971, P.78.

(2) ***FCO 65/ 645***, Tel. No 1016, from Accra to FCO, London, Dec.10, 1970, "Summary of Statement made By Dr. Busia in Parliament on 10 December".

(3) ***FCO 45/ 390***, Tel. No.1352, from Ottawa, to FCO, London, Nov.13, 1970, "Repeated for information to Accra Pretoria and Abidjan"

(4) ***Toronto Globe & Mail***, Nov.10, 1970, P.3.

الأعراق يتمتع فيه كل مواطن بحقوق والتزامات وفرص متساوية[١]، وقام بتفنيد رؤيته للحوار في عدة نقاط:

أولًا: أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت، لاختلاف مواقف الدول الأفريقية عن بعضها البعض، ولأنه قبل حدوث ذلك الحوار من الضروري معرفة عدد الدول الأفريقية التي لديها قبول لتلك الدعوة، والتي من الممكن أن تفكر فيها، لمحاولة إحداث توافق في الآراء، وأشار إلى اطمئنانه بإمكانية قيام ساحل العاج بذلك، مع محاولة إقناع بقية قادة أفريقيا بتلك الرؤية.

ثانيًا: ضرورة تمكين الرؤساء الأفارقة للقاء الوطنيين من جنوب أفريقيا للاستماع لرؤيتهم قبل التحدث باسمهم، والاستماع أيضًا للبيض في جنوب أفريقيا الذين يعارضون التفرقة العنصرية، وتشجيعهم على محاربتها بالطرق الدستورية، حتى لا يشعرون أنهم مرفوضين لخوفهم من سياسات العنف والعزلة، أو أنهم يقفون مع حكومة الأقلية في خندق واحد.

ثالثًا: استبعد فكرة عقد غانا لميثاق عدم اعتداء مع حكومة الأقلية للبعد الجغرافي بين الدولتين، أو أن تكون غانا قد فكرت في اقامة علاقات دبلوماسية معها ما لم يتم إحداث تغيير على تطبيق التفرقة العنصرية[٢].

وكعادته؛ تدخل فيكتور أووسو وطالب عدم تفسير دعوة كوفي بوسيا بأن يكون الحوار بديلًا للكفاح المسلح ضد حكومة جنوب أفريقيا، أو أنها دعوة لإطالة أمد التفرقة العنصرية، أو أن حكومته قد تخلت عن السود هناك في قضيتهم، وأكد أن ما أرادته

---

(1) ***The Times*** "***UK***", Nov.18, 1970, P.6.

(2) ***GPRD***, Excerpts from a Press Conference held by the Rt. Hon. Dr. K.A. Busia in Bonn, Federal Republic of Germany, Pp.13- 16.

حكومته حوارًا ينتج عنه القضاء على التفرقة العنصرية، وأن يُقنع الأقلية الحاكمة بأنهم لن يكونوا في خطر كما اعتقدوا إذا قاموا بمنح الحقوق المدنية للسود، وأصبح هناك مجتمع متعدد الأعراق(١).

ومن الملاحظ أن الصحف الغانية قد شنت حملة شرسة ضد دعوة كوفي بوسيا، فقد أعلنت "ديلي جرافيك" أن توقيت الدعوة خاطئ بعد أن تجاهلت الحكومة العنصرية بيان لوساكا في أبريل ١٩٦٩ (٢)، وأعلنت تمسكها بالفصل العنصري(٣). كما رأت أن بوسيا وضع ايمانه في عقلانية نظام عنصري، وحذرت الشعب الغاني من احترام قرار بوسيا(٤)، وأوضحت أن تلك الدعوة أشعرت القوى المناهضة للتفرقة في الغرب بخيبة أمل، وأن نية بوسيا الحقيقية هي البحث عن مصدر جديد للمساعدات الاقتصادية، حتى أن صحيفة "ستار The Star" المملوكة لحزب التقدم الحاكم حذرت من تلك الدعوة(٥)، وكذلك صحيفة "سبوكسمان الغانية The Spokesman" أكدت أن تلك الدعوة ما هي إلا مؤامرة أعدتها فرنسا ووجهت الرئيس العاجي لتنفيذها، والذي قام بدوره باختيار كوفي بوسيا

---

(1) ***GPRD***, Excerpts from a Press Conference held by the Rt. Hon. Dr. K.A. Busia in Bonn, Federal Republic of Germany, P.17.

(2) ***FCO 45/ 632***, Daily Graphic: Graphic View, Nov.10, 1970, "Dialogue' with South Africa".

(3) ***New York Times***; Jun 2, 1970, p.49 & ***FCO 45/ 927***, Daily Graphic, Nov.11, 1970.

(4) ***FCO 45/ 632***, Letter from BHC, Accra., 2/ 35, Nov.16, 1970, "Ghana and South Africa, Graphic view, Dialogue With South Africa".

(5) ***FCO 45/ 632***, Letter from BHC, Accra., 2/ 35, Nov.16, 1970, "Ghana and South Africa".

لمشاركته فيها _إبان زيارة قام بها بوسيا لساحل العاج في أبريل ١٩٧٠ [١]_، ودعت الصحيفة لمقاومة محاولة لاستخدام غانا للإقرار باستمرار التفرقة العنصرية[٢].

وبنفس الشكل، اتخذت المعارضة البرلمانية الغانية موقفًا رافضًا لدعوة الحوار مع جنوب أفريقيا، وأصدرت بيانًا في ١٢ نوفمبر، أكدت فيه ازدواجية المعايير في موقف بوسيا؛ حيث إنه رفض بيع الأسلحة لحكومة جنوب أفريقيا من جهة، ودعا للحوار معها من جهة أخرى[٣]، إلا أن الحكومة الغانية بررت ذلك بأن بوسيا كان مقتنعًا بأن استخدام القوة سواء من الحكومة أو الوطنيين لن يغير شيئًا، وكان لزامًا البحث عن أساليب جديدة[٤].

لكن المعارضة الغانية عدت الأمر بمثابة إضفاء احترام على نظام عنصري، وأن بوسيا قد خرج بدعوته عن الإجماع الوطني في غانا الذي اتضح في اجتماعات البرلمان، ورأت أن تلك المبادرة كان يجب أن تأتي من جنوب أفريقيا، على أن تتم تحت مظلة مؤسسة دولية مثل الأمم المتحدة[٥]، وأعلن بيان للمعارضة؛ "**أن المسئولين في الخارجية الغانية شعروا بالحرج الشديد من سياسة بوسيا، لأنه ووزارة خارجيته كانا منفصلين تمامًا عن بعضهما البعض**

([1]) Alex Kwaku Danso-Boafo: The political biography of Dr. Kofi Abrefa Busia, Ph.D. Howard University, 1981, P.224.

([2]) ***FCO 45/ 632, The Spokesman*** "Ghana", Nov.13, 1970, P.5.

([3]) ***FCO 45/ 632***, Letter from BHC, Accra, to FCO, London, Nov.14, 1970, "Ghana and South Africa".

([4]) ***FCO 45/ 632***, Note from (J. Mcquiggan) WAD, Nov.13, 1970, to Mr. John Wilson.

([5]) ***FCO 45/ 632***, Press release from Office of Parliamentary Opposition, "Ghana and South Africa".

بشأن هذه القضية، وأن الوفد الغاني في الأمم المتحدة لم يتلق أي توجيه مسبق بتلك الدعوة، وأن بوسيا بدعوته تلك قد قسم منظمة الوحدة الأفريقية، لرغبته في أموال حكومة الأقلية العنصرية الملطخة بدماء شعب جنوب أفريقيا"[١].

إلا أن "كوفي بوسيا" بدا أنه مصر على موقفه، ففي خطابه أمام البرلمان الغاني في ١٠ ديسمبر ١٩٧٠، دافع عن دعوته، وأكد أن الحوار ليس إعلان سلام، ولا قبول لوضع راهن، وإنما دعوة لمعالجة مشكلة التفرقة العنصرية ببدء محادثات مشتركة مع حكومة الأقلية دون الاعتراف بها، عن طريق مناقشة جميع رؤساء الدول الأفريقية في اجتماع لتلك الدعوة، مع الإدراك بأن قارة أفريقيا بحاجة إلى فترة من السلام، وعلى قادتها عدم التقليل من قوة جنوب أفريقيا، وعدم تهديدها بالقتال عندما لا تملك دولهم الوسائل للمضي قدماً في المواجهة العسكرية[٢].

وأشار بوسيا إلى أن حكومة جنوب أفريقيا معرضة لدحض أفكارها العنصرية بعرض تلك الأفكار للتحليل الموضوعي ولتأثير الرأي العام الدولي، مستدلًا بما كانت تشهده مسيرات للطلاب هناك والتي خرجت احتجاجًا على إعادة اعتقال الأشخاص الذين تمت تبرأتهم في محاكمات الخيانة، مما دل على أن الكثيرين، وخاصة الشباب، لم يدعموا سياسة حكومتهم العنصرية، وأن هؤلاء هم حلفاء محتملون لقادة الدول الأفريقية في مسعاهم المقترح، وأنه من خلال الحوار يمكن التأثير على آراء البيض المعتدلة هناك، والسعي إلى إحداث اتفاق بينهم وبين الأغلبية السوداء، لتغيير سياسات حكومة الأقلية العنصرية، أو تغيير النظام نفسه بأساليب

---

(1) ***FCO 45/ 632***, Letter from BHC, Accra., 2/ 35, Nov.16, 1970, "Ghana and South Africa".

(2) ***GPRD***, Statement on South Africa by the Rt. Hon. The Prime Minister at the National Assembly on Thursday, 10th December, 1970, P.23.

يستخدمها أولئك الذين يعيشون هناك بشكل شرعي، للوصول إلى مرحلة يتم فيها الإلغاء التام لممارسات التفرقة برضى ومراقبة منظمة الوحدة الأفريقية(١).

وأكد بوسيا أن مجلس وزرائه أجمع على دعم آرائه، وأن غانا لا تريد تقسيم المنظمة، وأنه إذا كانت المواجهة العسكرية هي الطريق الوحيد، فعلى الدول الأفريقية إجراء حساب واقعي للتكلفة المادية والبشرية، وأن تكون مستعدة للتضحية بنسب متناسبة من دخلها الوطني لبناء قوات مسلحة قوية قادرة على تدمير حكومة الأقلية العنصرية، على أن تتأكد أن الأمم المتحدة ليس لديها أية وسيلة لفرض الامتثال لقراراتها، مضيفًا أن دعوته تتوقف على مدى استعداد حكومة الأقلية العنصرية لإجراء حوار وفق ما جاء في بيان لوساكا عام ١٩٦٩(٢).

وبالفعل أعلن وزيران في حكومة بوسيا بعد خطابه مباشرة دعمهم لتوجهاته، وعلق وزير الإعلام الغاني والقائم بأعمال وزير الخارجية، "برودي ميندز T.D.Brodie-Mends" –في غياب فيكتور أووسو لحضور اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية في لاجوس– أن حكومته مستعدة لاستضافة اجتماع للدول الأفريقية لمناقشة استراتيجية مكافحة التفرقة العنصرية، كما بدا اختيار

---

(1) ***FCO 65/ 645***, Tel. No.1016 from BHC Accra, to J. Mcquiggan, WAD, FCO, SW1., Dec.10, 1970, " statement on south Africa by the Rt. Hon, the prime minister at the national assembly on Thursday, 10th December 1970".

(2) John Barratt: Dialogue in Africa, Private Paper, The South African Institute of International Affairs, Johannesburg, June 1971, P.5 & ***FCO 65/ 645***, Tel. No 1016, from Accra to FCO, London, Dec.10, 1970, "Summary of Statement made By Dr. Busia in Parliament on 10 December".

بوسيا لتوقيت خطابه في غياب وزير خارجيته مقصودًا، لأن فيكتور أووسو كان معارضًا قويًا لدعوة الحوار(١)، خلافًا لبرودي ميندز الذي ساند الدعوة منذ يومها الأول(٢).

وقد لقى خطاب بوسيا استحسان الخارجية البريطانية، ولم تستبعد أن يكون قد رغب من تلك الدعوة أن تساعده في علاقاته مع بريطانيا، وأن يثير رضاها بمنطقيته أملًا لاختياره ليقوم بدور الوسيط بين بريطانيا والدول الأخرى في قمة الكومنولث، شريطة أن تكون بريطانيا على استعداد لمساعدته في أزمة الديون(٣).

وبخلاف الموقف الحكومي، أعلن زعيم المعارضة البرلمانية في غانا، "مادجيتي E.R.T. Madjitey"(٤)، أن هناك خلافًا خطيرًا للغاية بين الحكومة والمعارضة بشأن قضية التفرقة العنصرية(٥)، وأنه "شعر بالاشمئزاز" من تعامل حكومته مع القضية، وأن

---

(1) ***FCO 65/ 645***, Letter from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1., Dec.12, 1970, " Ghana and South Africa".

(2) ***FCO 45/ 632***, Tel. No, 965 from Accra to FCO, London, Nov.12 1970, Ivory Coast's proposal for talks with South Africa

(3) ***FCO 65/ 645***, Letter from A.D.S. Goodall, to Mr. J. Wilson "WAD", Mr. J.E.C. Macrae, Dec.17, 1970, " Ghana and the dialogue with South Africa".

(٤) مادجيتي: كان مفوضًا للشرطة في عهد نكروما بين عامي ١٩٥٨و ١٩٦٤، لكنه احتجز بالسجن بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٦ بعد محاولة أحد رجال الشرطة اغتيال نكروما، ثم أصبح المفوض السامي لغانا في باكستان بين عامي ١٩٦٦ و١٩٦٩، ثم كان أحد قادة التحالف الوطني لليبراليين وانتُخب في الجمعية الوطنية وأصبح زعيم المعارضة البرلمانية ضد كوفي بوسيا، انظر،

_ Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Op. Cit., P.149.

(5) ***FCO 45/ 632***, ME/3558/B/1, B. Non - Arab Africa, Dr. Busia's Advocacy of a Dialogue with South Africa, Accra in English for abroad 14.45 GMT Dec.10, 1970

دعوتها للحوار أفقدتها مكانتها تمامًا في أعين الدول الأفريقية الأخرى، وأكد أن نواب المعارضة تعرضوا للمضايقة أثناء إلقاء بوسيا لخطابه، كما تم منعه هو من الإدلاء ببيان للرد على تلك الدعوة[١]، ولم يتوقف الأمر على ذلك؛ بل أن حكومة بوسيا قامت بعزل أحد قادة المعارضة من البرلمان ويدعى "كوميا جبيديما Komia A. Gbedemah"[٢]، لرفضه دعوة الحوار[٣]، لتبدأ مرحلة من تآكل الدعم الشعبي الذي حظى به بوسيا في انتخابات عام ١٩٦٩، حيث شعر الغانيون أنهم استبدلوا صورة غانا القوية على المسرح العالمي في عهد نكروما بغياب تام للشخصية الغانية في عهد بوسيا[٤].

سادسا- فشل غانا في ايقاف تسليح النظام العنصري، والعودة لدعوة الحوار (يناير- مارس ١٩٧١):

مع اقتراب موعد قمة الكومنولث في سنغافورة في يناير ١٩٧١، نَحّت غانا مسألة الحوار مع النظام العنصري جانبًا بشكل مؤقت، واهتمت بمعارضة مسألة التسليح، فبحلول ٢ ديسمبر ١٩٧٠ اجتمع "ديفيد أكوا" رئيس اللجنة الغانية للتفرقة العنصرية، مع وفدٍ بريطانيٍ برئاسة الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية البريطانية "اللورد لوثيان Lord Lothian"

---

(1) ***FCO 65/ 645***, Letter from D.W.R. Lewis, BHC, Accra, to Mr. Mcquiggan WAD, FCO, SW1., Dec.12, 1970, " Ghana and South Africa".

(٢) كوميا جبيديما: شغل منصب وزير المالية في عهد نكروما قبل الذهاب إلى المنفى الاختياري لمعارضته لنكروما، وعاد من المنفى في يونيو ١٩٦٦، انظر،

_ ***New York Times***; Aug 31, 1969, p.1

(3) Kwame A Ninsin & F.K. Drah "Ed": Political parties and democracy in Ghana's fourth republic, Woeli Publishing Services, Accra, 1993, P.94.

(4) B Martin Tsamenyi: Regime failure and the political legitimacy of governments in Ghana: the case of the Acheampong regime, 1972 – 1979, PhD, Australian National University, 1983, P.87.

والمفوض البريطاني "هـ.ستانلي H.S.H. Stanley" في مقر المفوضية في أكرا، وكرر "ديفيد أكوا" رفض غانا لاستئناف تسليح حكومة الأقلية، وطالب بريطانيا بتحسين صورتها الدولية بأن تكون أكثر صراحة في دعمها لأفريقيا السوداء، وسلم "ديفيد أكوا" للوفد البريطاني مذكرة حوت آراء اللجنة الغانية بشأن التسليح(١).

وقد كان القصد من المذكرة الغانية "**أن تكون أساسًا لمناقشة المسؤولية الأخلاقية لبريطانيا تجاه الأغلبية الأفريقية في وجنوب أفريقيا**"، كما تم تسليم نسخًا من تلك المذكرة إلى الصحافة الغانية(٢)، وأكدت تلك المذكرة أن احتمالية تسليح بريطانيا لحكومة الأقلية جعل بريطانيا تقف في وجه الكومنولث والرأي العام العالمي(٣)، وهو نفس الموقف الذي أظهره حزب الشعب الاشتراكي الغاني Socialist People's Popular Party في مذكرة احتجاجية لرئيس الوزراء البريطاني، باعتبار التسليح البريطاني موجه لتدعيم

(1) ***FCO 65/ 645***, Record of a Meeting between the Marquess of Lothian and Representatives of the Ghana National Committee on Apartheid, held at the BHC on Dec.2, 1970.

(2) ***FCO 65/ 645***, Letter from BHC, Accra, to WAD, FCO, SW1., Dec.4, 1970,"Ghana National Committee on Apartheid".

(3) ***FCO 65/ 645***, A note delivered by the Ghana National committee on apartheid to the most honorable the Marquess of Lothian parliamentary undersecretary to the FCO London at the united kingdom high commission Accra, Ghana as a basis for discussion on Britain's moral responsibility to the African majority in Rhodesia and South Africa, Dec.2, 1970.

ممارسات التفرقة العنصرية، وتحدي قيم الكومنولث[١]، وأعلن "فيكتور أووسو" أيضًا أن غانا ستسعى لطرد بريطانيا من المنظمة[٢].

وخلافًا لتلك التصريحات الحادة؛ لم يكن بوسيا راغبًا في أخذ موقف عدائي صريح من بريطانيا، فبمجرد وصوله إلى سنغافورة في ١٤ يناير ١٩٧١، أراد الظهور بمظهر الوسيط المعتدل بين بريطانيا وبين الدول التي أرادت اتخاذ خطوات عقابية في حال سُلحت حكومة الأقلية في جنوب أفريقيا، وعلى رأسها تنزانيا وزامبيا وأوغندا، وزادت احتمالية تلك الوساطة في لقاء بين بوسيا وإدوارد هيث تم على انفراد مساء يوم ١٨ يناير على هامش القمة، وبعد اللقاء عدل بوسيا من موقفه وتمسك بعدم فرض مقاطعة اقتصادية على بريطانيا، حتى لو قامت بتسليح حكومة جنوب أفريقيا، وإن لم يغير رأيه بأن بريطانيا ستفقد حينها هيبتها الدولية[٣].

وفي السياق نفسه، ألقى بوسيا خطابًا حماسيًا في ٢٠ يناير، لكنه كان أقل عدائية، رافضًا معالجة مشكلة التفرقة العنصرية بالعنف مما قد يجبر الطرف الآخر على اللجوء إلى السلاح كوسيلة وحيدة للدفاع عن أنفسهم، وأن بلاده تفضل استعمال الوسائل السلمية وتتمسك بمبادئ بيان لوساكا، لمعالجة مشاكل الجنوب الأفريقي دون اللجوء إلى العنف،

([1]) ***FCO 45/ 1000***, Protest Note, People's Popular party (P.P.P.), Jan.17, 1971 & ***FCO 45/ 1000***, Letter from D W R Lewis, BHC Accra, to J MoQuiggan Esq MBE WAD, FCO London sw1, Jan.21, 1971, "Arms sales to South Africa: P.P.P. Protest Note".

([2]) ***The Straits Times*** "***Singapore***", Jan.10, 1971, P.6.

([3]) ***Ibid***, (Jan.15, 1971, P.11 & Jan.19, 1971, P.1 & Jan.19, 1971, P.3).

وأنه إذا لم يتم التوصل للحل السلمي، فقد تدخل الدول الأفريقية في صراع عنيف ضد حكومة الأقلية العنصرية[١] التي قامت ببعض الإجراءات العنصرية، وكان منها:

١- طرد أكثر من مليون أفريقي و٣٥ ألف ملون و٢٢ ألف هندي و٦٥ ألف صيني من المناطق "البيضاء".

٢- محاكمة ما يزيد عن ٣٠٠٠ أفريقي في المتوسط كل يوم على ما اعتبر جرائم مقننة دارت حول تنقلهم.

٣- إخضاع ما يقرب من ١٠٠٠ شخص لعقوبات دون محاكمة، تطبيقا لتشريعات أمنية تمنعهم من التجمعات، ونفيهم إلى أماكن بعيدة، أو وضعهم قيد الإقامة الجبرية.

٤- إدانة قرابة ٥٠٠٠ أفريقي كل عام لممارستهم الجنسية مع أشخاص بلون مختلف.

٥- الاعتقال القسري لعدد غير معلوم من الأشخاص لفترات غير محددة في السجون[٢].

وأشار بوسيا إلى أن أساس قيام الكومنولث هو قبول مبدأ المساواة العرقية، وما ترتب على ذلك من أن أولئك الذين مارسوا التمييز العنصري على أعلى مستوى في الدولة هم أعداء لكل ما تم العمل من أجله[٣]، وبناءً عليه كان على دول الكومنولث ألا تفعل شيئًا من شأنه أن دعم حكومةً تعارض نظامها السياسي مع مبادئ الكومنولث، وأكد أن على بريطانيا مسؤولية أكبر من بقية دول الكومنولث؛ لأن التأثير الذي يمكنها ممارسته كبيرًا، لاسيما وأن ثلثي الاستثمارات الأجنبية في جنوب أفريقيا بريطانية، وأكد أن القوة البحرية للاتحاد السوفيتي آنذاك لم تصل إلى مستوى التهديد الحقيقي لبريطانيا الذي يدفعها إلى

---

(1) ***GPRD***, Statement on Southern Africa by the Rt.Hon. Dr. K.A. Busia at the Commonwealth Prime Ministers' Conference in Singapore, Jan.20, P.30.

(2) Ibid, P.31.

(3) ***The Straits Times***, Jan.21, 1971, P.1.

تسليح جنوب أفريقيا بأية أسلحة جديدة[١]، وهو نفس رأي بقية الوفود الأفريقية في المؤتمر[٢].

وقد قررت القمة تشكيل لجنة دراسة للنظر في أمن طرق التجارة البحرية في جنوب المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، وشكلت اللجنة من أستراليا وبريطانيا وكندا والهند وكينيا وجامايكا وماليزيا ونيجيريا، على أن تقوم بعملها في غضون ستة أشهر[٣]. وقد اعتبرها بوسيا أحد أهم نجاحات المؤتمر[٤]، إلا أن إدوارد هيث استبعد أن يكون للجنة أي صلة بالتزامات بريطانيا القانونية التي تحركها لبيع الأسلحة[٥]، لينتهي المؤتمر دون الوصول إلى اتفاق، وإن كان قد أسفر عن صدور إعلان بعبارات عامة لمبادئ الكومنولث في ٢٢ يناير ١٩٧١، لتنظيم العلاقات بين أعضائه، وأكد ذلك الإعلان بأن الكومنولث عبارة عن رابطة بين الدول المستقلة ذات السيادة، كل منها مسؤولة عن سياساتها الخاصة، مع ادراك أن التفرقة العنصرية مرضًا خطيرًا وجب مقاومته وعدم تقديم أي مساعدة لتعزيزها[٦].

---

(1) ***GPRD***, Statement on Southern Africa … Jan.20, 1971, Op. Cit., Pp.37-40.

(2) ***FCO 45/ 1000***, Ghanaian Times, Feb.25, 1971, "Salvation Lies within".

(3) ***FCO 45/ 1000***, Ghana press release no.65/70, Statement on the British government's decision to resume the sale of arms to South Africa, Feb.24, 1971.

(4) ***The Straits Times***, Jan.23, 1971, P.3.

(5) ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.148, From FCO to Accra, Feb.24, 1971, "Sale of WASP helicopters to South Africa.".

(6) ***Commonwealth Secretariat***: Commonwealth Declarations, London, 2019, p.8, "The Declaration of Commonwealth Principles, Singapore, 1971".

ومباشرة بدأت الحكومة البريطانية طوال شهر فبراير ١٩٧١ تجهز لإعلان قراراها باستئناف بيع مروحيات وقطع غيار بحرية لحكومة الأقلية العنصرية[١]، إلى أن أعلنت في ٢٣ فبراير عن قرارها باستئناف بيع الأسلحة إلى حكومة جنوب أفريقيا، على أن يبدأ ذلك البيع بسبع طائرات هليكوبتر من طراز WASP مقابل ٢.٤ مليون دولار أمريكي[٢]، وأشارت بأن قائمة التسليح تتضمن أسلحة أخرى سيتم النظر فيها بشكل إيجابي[٣].

إلا أن الحكومة الغانية أعلنت بشكل عاجل في اليوم نفسه ٢٣ فبراير إدانتها للقرار، كما استدعت مفوضها في لندن "بونسو أتافوا" للتشاور، موضحة أنها ستتشاور مع الدول الأفريقية أعضاء الكومنولث "لأخذ أي إجراء قد يُعد ضروريًا"، بعد أن تجاهلت بريطانيا عدم اجتماع مجموعة الدراسة التي أنشأتها قمة سنغافورة[٤]، وأن ذلك أظهر ازدراء الحكومة البريطانية لآراء دول الكومنولث وللمعاناة التي عانى منها الأفارقة في جنوب أفريقيا[٥].

---

(1) ***CAB 128/ 49I 10***, Conclusions of a Meeting of the Cabinet held at 10 Downing Street, SW1.on Tuesday.16 February.1971 & ***New York Times***; Feb.24, 1971, p.40

(2) ***New York Times***; Feb 24, 1971, p.40

(3) ***FCO 45/ 1000***, Ghanaian Times, Feb.25, 1971, "Salvation Lies within".

(4) ***FCO 45/ 1000***, Note, Arms- Commissioner, Feb.23, 1971 & ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.35, from Monrovia to FCO, London, Feb.27, 1971, " Sale of wasp helicopters to South Africa".

(5) ***FCO 45/ 1000***, Ghana press release No.65/ 70, Statement on the British government's decision to resume the sale of arms to South Africa, (issued by the ministry of information) 24th February, 1971.

وتطبيقا للبيان، طالبت غانا مفوضها في لندن بونسو أتافوا بمغادرتها يوم ٢٥ فبراير ١٩٧١ على أن يعقد مقابلة مع وزير الخارجية البريطاني أليك دوجلاس– هوم قبل مغادرته[١]، لاستيضاح دوافع القرار البريطاني، وقد أجابه دوجلاس–هوم بأن أي أسلحة بحرية تقدمها بريطانيا إلى جنوب أفريقيا تقع ضمن سياق الدفاع عن الطرق البحرية بموجب اتفاقيات سيمونزتاون، وأشار إلى أن هناك شيئًا واحدًا أثار قلق حكومته، وهو أن الرئيس الفرنسي "جورج بومبيدو Georges Jean Raymond Pompidou"[٢]، قام بجولة في غرب أفريقيا لم يذكر أمامه إطلاقا أي نقد لبيع الأسلحة الفرنسية لحكومة جنوب أفريقيا، وأن بريطانيا كان يصَعُب عليها رؤية التناقض في موقف الدول الأفريقية، مؤكدا أن بريطانيا كانت تأمل ألا يكون رد فعل غانا على قرارها بهذا العنف[٣].

ويبدو أن رد الفعل الغاني على القرار كان طبيعيًا على الرغم من السعي البريطاني لمنعه، لأن بوسيا لم يكن يريد أن يظهر سواء في غانا أو أفريقيا بمظهر الزعيم الضعيف إذا لم يعترض على القرار، حتى لو كان مجبرًا على استمرار العلاقات الودية مع بريطانيا

---

(1) ***FCO 45/ 1000***, Letter From John Wilson to Mr. McCluney, Feb.24, 1971, "Recall of Ghana High Commissioner".

(٢) جورج بومبيدو (١٩١١– ١٩٧٤): كان رئيسًا لفرنسا منذ يونيو ١٩٦٩ حتى أبريل ١٩٧٤، وقد عمل ملازم في سلاح المشاة في الحرب العالمية الثانية، واستدعاه الجنرال ديجول سنة ١٩٥٨ ليكون رئيسًا للأركان، وقد اختير رئيسًا للوزراء عام ١٩٦٢، ثم تم انتخابه رئيسًا في ١٥ يونيو ١٩٦٩، انظر، _ ***Los Angeles Times "USA"***; Apr 3,1974, p.3.

(3) ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.148, From FCO to Accra, Feb.24, 1971, "Sale of WASP helicopters to South Africa".

وعدم السعي لمقاطعتها حتى لو لم تكترث بحقوق الأغلبية الأفريقية في جنوب أفريقيا[١]، فلم تصدر غانا –كعادتها– أي إجراء عقابي أحادي ضد بريطانيا، انتظارًا لوضوح الموقف الأفريقي العام من القرار، لتتبع المجموعة الأفريقية بدلاً من أن تقودها[٢]، نظرًا للصعوبات الداخلية التي كان يواجهها بوسيا، كما أن اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا كان قد اقترب[٣].

إلا أن الصحف الغانية حافظت على خطها المعتاد وأدانت بشدة القرار البريطاني، وتساءلت عن السبب الذي جعل بريطانيا تسمح بمناقشة مسألة بيع الأسلحة في مؤتمر سنغافورة إذا كانت تعتقد أن الدفاع عن طرق التجارة هي مسؤوليتها وحدها؟[٤]، ووصفت القرار بأنه "**صفعة متعمدة لا تغتفر على وجه أعضاء الكومنولث**"[٥]، وحثت القادة الأفارقة على عقد اجتماع طارئ لاتخاذ قرار فعال للانتقام من بريطانيا[٦]، حتى لو وصل

---

(1) ***FCO 45/ 1000***, Attached, Extract from Personal and Confidential Letter from BHCer in Ghana, of 11 March to Mr. Smedley.

(2) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra, to WAD, FCO, London SWI, Mar.1, 1971, "Sale of WASP Helicopters to South Africa".

(3) ***FCO 45/ 1000***, Letter from H Smedley, to Mr. Fingland, Mar.16, 1971, "Arms for South Africa".

(4) ***FCO 45/ 1000***, The Pioneer (Kumasi, Ghana), Feb.25, 1971, "Britain's Image Suffers".

(5) ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.103, from Accra to FCO, London, Feb.25, 1971,"WASPs for South Africa".

(6) ***FCO 45/ 1000***, Ghanaian Times, Feb.25, 1971, "Salvation Lies within".

الأمر لانسحاب غانا وحدها أو الدول الأفريقية مجتمعة من الكومنولث[١]، أو طرد بريطانيا نفسها[٢]،كما اقترحت منع السفن البريطانية من زيارة الشواطئ الغانية[٣].

ونتيجة لذلك توقعت بريطانيا أن تتأثر مصالحها في غانا[٤]، أو ينتج عن القرار مظاهرات ضد مفوضيتها في أكرا[٥]، وهو ما تم في ٢٧ فبراير ١٩٧١ بخروج مظاهرات احتجاجية أمام المفوضية البريطانية، وسلموا مذكرات تدين ما رأوا أنه دعمًا بريطانيًا للتفرقة العنصرية[٦]. كما أن المعارضة الغانية استجوبت وزير الخارجية في ١١ مارس

---

(1) ***FCO 45/ 1000***, Echo (Ghana); Feb.28, 1971, "Ghana must pull out of Commonwealth".

(2) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra, to FCO, London, Mar.13, 1971, "the Commonwealth Prime Ministers conference".

(3) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra, DW R Lewis, to J McQuiggan Esq MBE WAD, FCO, London SW1, Mar.11, 1971, " Arms Sales to South Africa"

(4) ***CAB 129/ 154/ 22***, Sale of arms to South Africa, Note by the Prime Minister, Dec.31, 1970, Annex 3 Arms sales to South Africa (contingency studies) possible effect on United Kingdom Missions and communities in certain posts & ***CAB 129/ 154/ 13***, Memorandum, the Simonstown agreement and arms for South Africa, Nov.30, 1970.

(5) ***FCO 45/ 671***, Cabinet, Working Party on arms sales to South Africa (Contingency Planning), Arms Sales to South Africa, Report by the Working Party, Dec.30, 1970.

(6) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra, to WAD, FCO, London swl, Mar.1, Mar.1, 1971, "Sale of WASP Helicopters to South Africa" & ***FCO 45/ 1000***, Annex; By Hand, Feb.29, 1971, P.37 & ***FCO 45/ 1000***, Letter from U.N. =

١٩٧١، حول الموقف المتخذ من تسليح النظام العنصري، وقد أجابهم بأن المشاورات مع الدول الأفريقية ودول الكومنولث كانت مستمرة، وأنه تم استدعاء سفير غانا في أديس أبابا، ومفوضيها في نيروبي وكمبالا للتشاور في تلك القضية، مستبعدًا تحرك غانا بشكل منفرد، أو أن تتخذ أي قرار من جانب واحد(١).

ولم ترجح الحكومة الغانية فرض أي عقوبات على المصالح البريطانية، واستبعدت أن ينتج اتفاق على نهج موحد في منظمة الوحدة الأفريقية، كما أن مدير إدارة المنظمات الدولية في الخارجية الغانية "تاركسون Y B Tarkson" أوضح أن حكومته لم ترغب في اعطاء قضية التسليح أهمية أكبر من اللازم(٢)، إلا أن سكرتير وزارة الخارجية الغانية "كوفور" قال: "إن بريطانيا قد انضمت لمن يساعد في إدامة التفوق الأبيض في أفريقيا"(٣). وقد تناقش مجلس الوزراء الغاني بالفعل حول تقييم لجدوى وجود غانا في الكومنولث وعلاقاتها مع بريطانيا بعد تسليحها لحكومة جنوب أفريقيا، وقرر تكليف عدد من الوزارات المعنية بإجراء الدراسات اللازمة لذلك، وتوقع تاركسون أن تطول فترة تلك الدراسات(٤).

=

Students Association (Ghana Branch), "Remember Sharpeville", Mar.17, 1971.

(1) ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.131, from Accra to FCO, London, Mar.11, 1971, "Arms Sales".

(2) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC, Accra, to FCO, London, Mar.18, 1971, "Arms sales to South Africa"

(3) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra, DW R Lewis, to J McQuiggan Esq MBE WAD, FCO, London SW, Mar.11, 1971, " Arms Sales to South Africa"

(4) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC, Accra, DPR Mackilligin, to WAD, FCO, J McQuiggan Esq MBE, Jul.16, 1971,"No Name".

أما ذروة رد الفعل الغاني أتت من ممثل غانا في الأمم المتحدة، الذي هدد بطرد جنوب أفريقيا من تلك المنظمة[١]، وأشار إلى أنه ستخرج مظاهرات ضد المفوضية البريطانية في أكرا –مما أوحى أن المظاهرات السابقة كانت برضى الحكومة، إن لم تكن بإيعاز منها–[٢]. كما اجتمع ممثلو جمعية غانية سميت "جمعية غانا للأمم المتحدة" بحضور وفد من المفوضية البريطانية في أكرا، مع تجاهل السفارة الفرنسية للاجتماع[٣]، لمناقشة تسليح جنوب أفريقيا، وقد أرسل المجتمعون في ١٩ مارس إلى الأمين العام للأمم المتحدة رسالة بشأن بيع الأسلحة للحكومة العنصرية[٤]، أكدوا فيها أن القرار البريطاني ما هو إلا استعداد لإعادة احتلال أفريقيا وتحريض على قتل الأفارقة[٥].

([1]) Alex Kwaku Danso-Boafo: Op. Cit., Pp.224, 225.

([2]) ***FCO 45/ 1000***, Note from H Smedley to BHC Accra, DWR Lewis, Mar.18, 1971.

([3]) ***FCO 45/ 1000***, Letter from BHC Accra "D W R Lewis", to WAD, FCO, J McQuiggan, Esq. MBE, London SW1, Mar.22, 1971, "Ghana United Nations Association Protest".

([4]) ***FCO 45/ 1000***, Letter The National Secretariat, Ghana United Nations Association, Member: World federation of United Nations Association, Accra. Ghana, Mar.19, 1971 & ***FCO 45/ 1000***, Letter (D.M. Read) UN (Pol), to Mr. Cooke, Apr.1, 1971, "Apartheid and Arms Sales".

([5]) ***FCO 45/ 1000***, Ghana United Nations Association, Protest Note presented to the British Commission by the U.N. Association and the Ghana U.N. Students Association on 19th March & ***FCO 45/ 1000***, Communication No.2080, The National Secretariat Ghana United Nations Association, Accra, Mar. 19, 1971.

أعد كوفي بوسيا نفسه جيدًا لعدم النجاح في إثناء بريطانيا عن تسليح حكومة جنوب أفريقيا، بالتركيز على الجانب الأخر من سياسته تجاه التفرقة العنصرية، ألا وهو الحوار، فعلى الرغم أنه لم يتعرض لدعوته للحوار بشكل مباشر في خطابه في قمة الكومنولث، إلا أنه أعلن قبل مغادرته ٢٤ يناير ١٩٧١[١]، في مقابلة مع تلفزيون سنغافورة إصراره على النظر في إمكانية إجراء حوار مع حكومة الأقلية والوطنيين السود هناك على السواء، وفقًا لأربعة شروط كالتالي:

الأول: التحدث حول مسألة حكم الأغلبية.

الثاني: التحدث مع حكومة الأقلية العنصرية على قدم المساواة.

الثالث: مشاركة الأفارقة في جنوب أفريقيا في هذا الحوار.

الرابع: أن يتم بحث ذلك من قبل منظمة الوحدة الأفريقية بتحرك جمعي من أعضائها[٢].

وقد أعاد التأكيد أن غانا لن تمضي قدمًا في تلك السياسة بمفردها، وإنما ستتشاور مع الدول الأفريقية الأخرى وتحاول إقناعها بقبول الفكرة، ثم تطبقها إذا تمكنت من التوصل إلى تفاهم[٣]، وأوضح أن شكل الحوار الذي دعا إليه يختلف عن شكل دعوة رئيس ساحل العاج، حيث إن الأخير اعتقد أن الحوار يجب أن يكون بديلًا لحرب العصابات وتطبيق العقوبات، أما بوسيا فرأى أن الحوار ما هو إلا سلاحًا إضافيًا مع حرب العصابات وتطبيق العقوبات، من أجل مساعدة المناضلين من أجل التحرر[٤]،

---

(1) ***The Straits Tim***es, Jan.25, 1971, P.6.

(2) ***GPRD***, Excerpts of Television and Radio interview in Singapore, P.21.

(3) ***FCO 45/ 927***, Daily Graphic (Accra), Jan.20, 1971.

(4) ***The Straits Times***, Jan.22, 1971, P.2.

لإحداث تغيير في تطبيق التفرقة العنصرية كخطوة أولى ينتج عنها تخفيف القيود التجارية والدبلوماسية[١].

ويبدو أن بريطانيا أرادت من بوسيا أن يركز سياسته تجاه جنوب أفريقيا في مسألة الحوار ويترك مسألة بيع الأسلحة، التي أعدت العدة لاستئنافها، فقامت ببادرتين كالتالي؛

البادرة الأولى: أرسل إدوارد هيث في ٢٦ يناير ١٩٧١ رسالة إلى كوفي بوسيا أثنى فيها على دعوة بوسيا لضرورة الحوار مع حكومة الأقلية، ما استتبع رد بوسيا بخطاب شكر لإدوارد هيث في ٢ فبراير، أكد فيه أنه حاول إقناع بقية زعماء أفريقيا "بحكمة" الخط الذي دعا إليه، وأنه سيستمر في المناداة به، لاقتناعه بأنه أفضل مسار يجب اتباعه آنذاك[٢].

البادرة الثانية: فقد أرسلت بريطانيا وفدًا في ١٨ فبراير للالتقاء مع كوفي بوسيا ووزير خارجيته الجديد "ويليام أوفوري William Ofori Atta"[٣] لدعم العلاقات المشتركة، بعدما أطاح بفيكتور أووسو في أول تغيير وزاري بعد العودة من مؤتمر الكومنولث مباشرة

([1]) ***Quarterly Economic Review***, Southern Africa: Republic of South Africa, South West Africa, Botswana, Lesotho, Swaziland, No.2, 1971, the economist intelligence unit, London, 1971, P.3.

([2]) ***FCO 45/ 1000***, Letter from The Castle, OSU, Accra, K.A. Busia , Prime Minister of Ghana, to Edward Heath, Prime Minister, London, Feb.2, 1971 & ***FCO 45/ 1000***, Letter from John Wilson to Mr. McCluney, Private Office, Feb.22, 1971.

([٣]) ويليام أوفوري آتا (١٩١٠– ١٩٨٨): أحد قادة النضال من أجل استقلال غانا، تم انتخابه في الجمعية الوطنية في عام ١٩٥١، وعين في ١٩٦٦ عضوًا في اللجنة السياسية، وكان أحد قادة حزب التقدم، وعينه كوفي بوسيا وزيرًا للتعليم والثقافة والرياضة ثم وزير للخارجية، و توفي عام ١٩٨٨، راجع، _ Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Op. Cit., P.177

في ٢٨ يناير ١٩٧١[١] الذي كانت بريطانيا ترى موقفه أكثر تشددًا تجاهها، وربما أتت إقالة أووسو لخلافه مع بوسيا حول دعوة الحوار[٢]، وسريعًا أتى التعديل الوزاري بنتائجه عندما أعلن "ويليام أوفوري" أن المصالح الوطنية لكل دولة كانت دائمًا متنوعة[٣]. وقد دفع أوفوري لهذا الخط التصالحي رغبته في تيسير عملية سداد الديون الغانية، حيث كانت اجتماعات مفاوضات هذه الديون جارية وتترأسها بريطانيا[٤]، صاحبة القدر الأكبر من الديون[٥].

إلا أن المعارضة الغانية اتهمت بوسيا بأن دعوته للحوار أتت لرغبته في الحصول على دعم مالي من حكومة الأقلية العنصرية، ليرفض بوسيا ذلك الاتهام في بيان ألقاه أمام البرلمان الغاني في ١٩ مارس١٩٧١، أعاد فيه التأكيد بأن دعوته للحوار قامت على بيان لوساكا ١٩٦٩، واشتكى بوسيا من محاولة تشويه مواقف حكومته وإظهارها وكأنها تدعم التفرقة العنصرية بمناصرتها للحوار، وطالب بوضع مشكلة التفرقة العنصرية في سياقها التاريخي العالمي لأنها واحدة من مشكلات العلاقات الإنسانية، مثل أسطورة الشعب المختار، ومحاولة تقسيم الجنس البشري إلى طبقة عليا وأخرى دنيا، وأن التاريخ

---

(1) ***The Guardian***, Jan.29, 1971, P.3.

(2) ***Quarterly Economic Review***, Ghana, Sierra Leone, Gambia, Liberia, No.2-1971, the economist intelligence unit, London, 1971, P.3.

(3) ***FCO 45/1000***, Attached, H S H Stanley, Feb.19, 1971, "The Commonwealth".

(4) Alex Kwaku Danso-Boafo: Op. Cit., P.221.

(5) ***FCO 45/402***, Letter from British Embassy in Moscow, to Eastern European and Soviet Department, FCO, SW1., May.11, 1970, “Soviet Comment on U.S. Policy in Africa”.

أكد أنه في داخل التفرقة العنصرية أسس تدميرها، لأن السود هم الأغلبية، وأكد أن دعوته قد نجحت بدليل أن رئيس وزراء جنوب أفريقيا "جون فورستر" أعلن في صباح يوم اجتماع البرلمان الغاني –١٩ مارس– أن بلاده مستعدة للدخول في حوار مع الدول الأفريقية، لإقامة علاقات وثيقة مع جميع الدول غير الشيوعية مهما كان لونها –دون التدخل في الشئون الداخلية–، ودعا القادة الأفارقة للقائه على أساس المساواة المطلقة حتى يناقشوا بحرية خلافاتهم ومصالحهم المشتركة، وعلق بوسيا بنبرة المنتصر: "**الآن هم مستعدون للتحدث، عليك أن تحدد ماذا تريد التحدث عنه**"(١).

إلا أن بيان بوسيا لقى استهجانًا كبيرًا في مختلف العواصم الأفريقية، لدرجة جعلت البعض يتهم رئيس الوزراء الغاني بأنه سعى لمقايضة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا في علاقاته الخارجية لإرضاء الدول الغربية، لكنه كان مصممًا على نهجه لدرجة جعلته يقوم بعزل رئيس تحرير صحيفة ديلي جرافيك الغانية حينما نشر مقالًا هاجم فيه دعوة بوسيا للحوار في البرلمان الغاني(٢). كما أعلن "وليام أوفوري" أمام البرلمان الغاني صراحة في ٢٢ مارس إنه مستعد لزيارة جنوب أفريقيا لعقد مناقشة مع حكومتها حول سياستها العنصرية وجهًا لوجه، وقد استجابت حكومة الأقلية العنصرية على الفور لعرض الوزير الغاني، وأعلنت في اليوم التالي ترحيبها بزيارة الوزير الغاني(٣)، لاسيما وأن البرلمان

(1) ***GPRD***, Statement by the Rt. Hon. Dr. K.A. Busia, during the tabling of an amendment to a motion by the Opposition on the Government's Policy on Dialogue Friday, March 19, 1971 at the Ghana National Assembly, P.41.

(2) Osman Al-Hassan: Op. Cit., P.183.

(3) ***FCO 45/ 925***, Letter from British Embassy Cape Town, to JEO Macrae, Esq Central and Southern African, Department FCO, Mar, 23, 1971

الغاني في اليوم نفسه –٢٢ مارس– صوت على تبني دعوة الحوار كسياسة وطنية لغانا، وتمت موافقة الأغلبية على القرار(١).

وقد أبدى كذلك "جون فورستر" استعداداه التام للقاء "وليام أوفوري" حتى لو كان اللقاء في داخل جنوب أفريقيا، ومن الملاحظ أن السفارة البريطانية في بريتوريا حاولت تشجيع "فورستر" على لقاء الوزير الغاني(٢)، وأكدت أنه شخص عاقل وشجاع ومعتدل، واقترحت على فورستر ألا يستبعد مناقشة السياسة الداخلية لجنوب أفريقيا في أي جانب منها –في إشارة لقضية التفرقة– من أي نقاشات يمكن أن تبدأ مع أوفوري، والغريب أن فورستر رغم إعلانه في ١٩ مارس رفضه ذلك، إلا أنه أبدى للسفارة البريطانية أنه مستعد تماما لقبول ذلك(٣).

---

(1) Ebenezer Ofosu Asiedu: the role of the media in Ghana's foreign policy, the Master degree, the legon Centre for international affairs, the University of Ghana, legon, 2000, P.58.

(٢) كان سبب الضغط البريطاني لأملها أن تساهم غانا في الضغط على نيجيريا حتى لا تفرض عقوبات على بريطانيا في حال أعلنت الأخيرة عن تصدير أسلحة جديدة خلاف طائرات الهليكوبتر لجنوب أفريقيا، نظرا لأن ١٠% من الامدادات النفطية البريطانية كانت تأتي من نيجيريا حيث كانت نيجيريا أكثر المعارضين لتسليح جنوب أفريقيا سواء من بريطانيا أو فرنسا أو غيرهما، انظر،

_ ***FCO 45/ 1000***, Tel. No.148, from Abidjan "Murray" to Accra, Apr.7, 1971, "Arms sales to South Africa" & ***FCO 45/ 936***, Record of conversation between the foreign and commonwealth secretary and the South African ambassador in the House of Commons at 4 pm on Monday 29 march 1971.

(3) ***FCO 45/ 936***, Note of talk with Mr. Vorster, Mar.25, 1971,

_ لمراجعة تعليق فورستر على مقترح ويليام أوفوري أتا في لقاءه مع السفير البريطاني في جنوب أفريقيا، راجع ملحق رقم (٢)

سابعاً_ أثر الضغط الأفريقي في تراجع غانا عن دعوة الحوار (أبريل ١٩٧١-يناير ١٩٧٢):

مع اقتراب غانا من تنفيذ دعوتها للحوار مع حكومة الأقلية العنصرية في جنوب أفريقيا؛ بدأت الدول الأفريقية تنتقد السلوك الغاني، وعلى رأسها زامبيا، فقد نشرت الصحيفة الزامبية الحكومية "Zambia Daily Mail" نقدًا حادًا لعرض وزير الخارجية الغاني "ويليام أوفوري" بزيارة جنوب أفريقيا، واتهمت غانا بأنها تدعي الحكمة بين دول أفريقيا الناطقة بالإنجليزية وتدعو لحوار مع حكومة الأقلية أملًا في الحصول على بعض المساعدات المالية والقروض(١)، ما حدا "بوكالة الأنباء الغانية The Ghana News Agency" أن تصدر تقريرًا رسميًا رافضًا لذلك الاتهام، بل واتهمت زامبيا بالازدواجية في المعايير، حيث إنها في الوقت الذي قبلت فيه أن تتاجر مع حكومة الأقلية، رفضت دعوة غانا للحوار، وتساءل التقرير عن حقيقة أن تكون التجارة أحد عناصر الحوار، وعن مدى تطبيق زامبيا للحظر التجاري الذي فرضته الأمم المتحدة(٢).

ومما زاد الأمر اشتعالًا؛ أن "جون فورستر" أفصح أمام برلمان جنوب أفريقيا في ٢١ أبريل ١٩٧١ عن اتصالات سرية أجراها مع الرئيس الزامبي "كينيث كاوندا Kenneth Kaunda"(٣) أواخر الستينيات(١)، وهو ما تلقفته الصحافة الغانية للرد على الاتهام الزامبي،

---

(1) ***FCO 45/ 925***, BHC, Lusaka, White, to Central & Southern African Dept FCO, Mar.26, 1971, "Dialogue with South Africa" & ***FCO 45/ 925***, Note from Me Cook CSAD, to Mr. Wilson (CSAD), Apr.7, 1971, ***Zambia Daily Mail***, Mar.25, 1971.

(2) ***FCO 45/ 925***, Note CSAD, to Mr. McQuiggan (WAD), Apr.8, 1971.

(٣) كينيث كاوندا: أول رئيس لروديسيا الشمالية بعد استقلالها عن بريطانيا وتحول اسم الدولة لجمهورية زامبيا عام ١٩٦٤، للمزيد، انظر:

=

ورأت ما حدث بمثابة فضيحة للحكومة الزامبية، التي هاجمت موقف غانا، لارتدائها قناع المعارض اللدود للحوار وفي نفس الوقت أجرت حوارًا سريًا مع حكومة الأقلية العنصرية لعدة سنوات، وعرقلت طوال تلك السنوات منظمة الوحدة الأفريقية عن تبني نهج معقول وواقعي تجاه جنوب أفريقيا.

وعلى الرغم من أن الحكومة الغانية لم تصدر رد فعل رسمي على تلك الأزمة في علاقاتها مع زامبيا، إلا أن كوفي بوسيا أعلن –في أثناء زيارة قام بها للندن– أنه سئم من تكرار سؤاله عن دعوته للحوار، وكأنه الزعيم الوحيد الذي دعى لذلك، وأكد أن الحوار مع حكومة الأقلية العنصرية لا يشكل أولوية في سياسة غانا الوطنية، وأن غانا لن تتخذ أي خطوة بمفردها دون التشاور مع الدول الأفريقية الأخرى، وإذا وافقت، ستتعامل مع الأمر في إطار منظمة الوحدة الأفريقية، وأكد أن إفصاح "جون فورستر" عن اتصالاته السرية مع الرئيس الزامبي ليست إلا محاولة لتقسيم الدول الأفريقية، وأن غانا لن تسمح بذلك[٢].

ويبدو أن تراجع الحكومة الغانية عن موقفها جاء لما لقيته من معارضة شديدة في الدول الأفريقية القيادية أيضًا، كنيجيريا والكاميرون وتنزانيا وأوغندا[٣]، بالإضافة لمعارضة الحوار في داخل غانا نفسها، كما أن تأكيد "جون فورستر" أنه يقبل التحدث مع القادة

=

– شوقي عطا الله الجمل: قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، صص ١٣٧: ١٣٩.

(١) *الأهرام*: ٢٥ يونيو ١٩٧١، عدد ٣٠٨٧٧، ص٤.

(2) ***FCO 45/ 925***, Letter from BHC Accra to WAD, FCO, May.6, 1971, South Africa/Zambia relations on Dialogue.

(3) David C. Preiss: the bridge and the laager, South Africa's Relations with Africa, with Specific Reference to Malawi, the South African Institute of international affairs, Johannesburg, 1973, P.9.

الأفارقة بشرط عدم تدخلهم في شئون جنوب أفريقيا الداخلية وعلى رأسها سياسة التفرقة زاد الوضع صعوبة[١]، وتأكدت غانا من ضرورة تغيير موقفها الداعم للحوار حينما نفت الحكومة الزامبية في ٢٢ أبريل حدوث أي اتصال مع جنوب أفريقيا، وبالتالي فإن الاتهام بأن الرئيس "كاوندا" كان يتعامل بسياستين هو محض افتراء للوقيعة بين زامبيا والدول الأفريقية الأخرى[٢].

إلا أن رئيس وزراء حكومة الأقلية العنصرية "جون فورستر" استمر في نهجة لتفريق قادة منظمة الوحدة الأفريقية قبيل اجتماعهم في أديس أبابا في يونيو ١٩٧١، فأعلن في ٣٠ مايو أن حكومته على استعداد لصداقة الدول الأفريقية –السوداء– وتوقيع مواثيق لعدم الاعتداء، وأشار إلى أن جنوب أفريقيا إذا كانت قد أرادت السلام، فهي في الوقت نفسه مستعدة للدفاع عن نفسها وصد الوجود السوفيتي في بعض الدول مثل تنزانيا وزامبيا، وفي ١٤ يونيو أكدت "نيويورك تايمز الأمريكية New York Times" أن هدف فورستر قد أصبح واضحًا في إحداث انشقاق داخل منظمة الوحدة الأفريقية في سبل مواجهة سياسة التفرقة العنصرية[٣].

وأمام ذلك الوضع، دافع وزير الخارجية الغاني "وليام أوفوري" عن موقف رئيس وزرائه "كوفي بوسيا"، وأكد أن غانا لن تساهم في أي حوار لا تقبله المنظمة وتؤيده، وأن دعوة بوسيا للحوار فُسرت خطأ في الدوائر الدولية، لأن الحوار في حد ذاته ليس القضية المهمة التي تضحي غانا لأجلها بوحدة المنظمة الأفريقية، لأن هدف غانا النهائي هو

---

(1) ***FCO 45/ 925***, Zambia Daily Mail, Mar.25, 1971.

(2) ***FCO 45/ 927***, Office of the High Commissioner for Canada, London, to Mr. W. Wilson, CSAD, London, Jun.16, 1971, "Reactions to proposals for Dialogue ".

(3) ***New York Times***; (Jun 1, 1971, p.13 & Jun 14, 1971, p.36).

تحقيق تحرير أفريقيا من العنصرية والأنظمة القمعية في جنوب أفريقيا[١]. كما قامت إدارة العلاقات العامة بوزارة الخارجية الغانية بطباعة نسخ من بيانات كوفي بوسيا التي أدان فيها التفرقة العنصرية، ووزعتها على الوفود المشاركة في اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا يونيو ١٩٧١[٢]، للرد على اتهام غانا بتقسيم المنظمة الأفريقية[٣].

وفي الوقت نفسه، خرج وزير الإعلام الغاني "برودي ميندز" ليؤكد أن حكومته ترحب بأي مبادرة يمكنها أن تساهم في إيجاد طريقة لإنهاء التفرقة العنصرية، وكما كان متوقعًا؛ تمت مناقشة مسألة الحوار في اجتماع وزراء خارجية منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا، في الفترة من ١٥ إلى ١٩ يونيو ١٩٧١، بناء على دعوة من ساحل العاج بمناقشة القمة الأفريقية لمسألة الحوار، لكن الوزراء فضلوا أن تقتصر المناقشة عليهم، وتم التصويت على ذلك المقترح وجاءت النتيجة ٢٨ لصالح إعلان رفض الحوار وكان من بينهم غانا، مقابل ٦ دول أيدت الحوار وهي: (ساحل العاج[٤] وليسوتو وملاوي ومدغشقر وموريشيوس وسوازيلاند) وامتناع خمسة دول أخرى عن التصويت هي (داهومي والجابون والنيجر، توجو وفولتا العليا)، كما قُدم مشروع بجدول أعمال القمة من قبل لجنة من ثماني

([1]) ***The Guardian***, Apr.30, 1971, P.4.

([2]) Nadine Gordimer: The Life of Accra, The Flowers of Abidjan: A West African Diary, ***The Atlantic Monthly***, Vol.228, Issue.5, Nov. 1971, P.86 & ***FCO 45/ 927***, Letter from BHC, Accra, to FCO, London, Jun.23, 1971.

([3]) ***GPRD***, Introductions, Pp.5: 8.

(٤) نتج عن ذلك الموقف انسحاب وفد ساحل العاج مباشرة من المؤتمر، بعدما كان قد طالب عدم مناقشة مسألة الحوار على مستوى وزراء الخارجية الأفارقة، وأن تترك المناقشة لقمة الرؤساء، انظر، _ ***الأهرام***: ١٩ يونيو ١٩٧١، عدد ٣٠٨٧١، ص٢.

دول تتألف من ممثلين عن غانا والجزائر وتنزانيا ونيجيريا وليبيريا ومصر وبوروندي والسنغال، لرفض إجراء أي حوار مع حكومة الأقلية العنصرية[١].

وقد كان ضم غانا لتلك اللجنة أثر كبير في تخوفها من الخروج عن الإجماع الأفريقي الرافض للحوار، بالإضافة إلى ما طالبت به تنزانيا بإلغاء عضوية الدول التي تتعامل مع حكومة الأقلية العنصرية من منظمة الوحدة الأفريقية، ليكون التراجع الغاني سببًا مباشرًا في إحجام الدول الناطقة بالإنجليزية عن تأييد الحوار[٢]، ليؤيد إعلان مجلس الوزراء الكفاح المسلح ضد حكومة الأقلية العنصرية، ورفض قيام أي دولة من الدول أعضاء المنظمة بأي عمل انفرادي خارج إطار المنظمة لمعالجة مشاكل التمييز العنصري مما يساهم في انقسام أعضاء المنظمة، وأن الحوار يجب أن يتم أولًا بين حكومة الأقلية العنصرية وشعب جنوب أفريقيا الذي تضطهده[٣].

وبمجرد العودة من اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية، أعن وزير خارجية غانا، "ويليام أوفوري" أمام البرلمان أن الحوار ما هو إلا "سلاح إضافي"، وأن المنظمة الأفريقية طالما رفضته فإن غانا لا تنوي المشاركة فيه دون موافقتها، وأضاف: "إن الحكومة الغانية ملتزمة بالعمل مع منظمة الوحدة الأفريقية من أجل التحرير الكامل لأفريقيا...، في أديس

---

(1) ***FCO 45/ 927,*** Office of the High Commissioner for Canada, London, to Mr. W. Wilson, CSAD, London, Jun.16, 1971, "Reactions to proposals for Dialogue ".

(2) Yashpal Tandon: Op. Cit., Pp.58: 60

(٣) ***قرارات وتوصيات وبيانات منظمة الوحدة الأفريقية ١٩٦٣– ١٩٨٣***، ع ٥: إعلان عن مسألة الحوار؛ الدورة العادية السابعة عشرة لمجلس وزراء منظمة الوحدة الأفريقية، أديس أبابا، ١٥– ١٩ يونيو ١٩٧١، جمهورية مصر العربية، وزارة الخارجية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٠٧.

أبابا، كان حكم المنظمة أن الوقت غير مناسب للحديث عن الحوار، وقد قبلناه"[١]. كما أشار "كوفي بوسيا" إلى درايته بالعقبات التي اندرجت تحت موضوع التفرقة، وأنه كان قد تحلى بالشجاعة اللازمة لتحمل الدعوة لحوار قائم على إعلان لوساكا كالتزام أخلاقي[٢].

ومن الملاحظ أن الموقف الغاني منذ النصف الثاني من عام ١٩٧١ قد ترك دعوة الحوار وتحول إلى عبارات الرفض العامة للتفرقة العنصرية، حيث ركزت غانا على محاولة الإفلات من الانهيار الاقتصادي[٣]، وإصدار تشريعات بنقل بعض الأعمال التجارية للأجانب في غانا للغانيين، ومواجهة اضطرابات العمال التي انتشرت بكثرة، والحصول على قروض جديدة[٤]، حتى خرجت مطالبات للدول الدائنة بتأجيل سداد الديون[٥]، بعد انهيار سعر الكاكاو العالمي، المصدر الأساسي لاقتصاد غانا، مع تخفيض قيمة العملة الغانية بنسبة ٤٤%[٦].

وعلى الرغم من تلك الظروف، إلا أن وزير الخارجية "وليام أوفوري" أشار في بيانه في الأمم المتحدة في ٨ أكتوبر ١٩٧١ إلى ضعف قدرة تلك المنظمة الأممية على معالجة قضية التفرقة، مما شكل تحديًا لمصداقيتها في أعين الملايين في أفريقيا من

---

(1) Out of Africa, ***Africa Report***, Vol.16, Issue.8, Nov.1, 1971, P.7.

(2) ***FCO 45/ 927***, The Times, Jul.12, 1971.

(3) ***FCO 45/ 928***, Letter from John Wilson, to W Wilson, Sep.30, 1971, "Dialogue on South Africa".

(4) ***The Times of India***, Jun.26, 1970, p.17 & ***The Guardian***, Aug 30, 1971, P.3 & ***New York Times***, Sep 5, 1971, p.29.

(5) Etsiah Akyinba Kofi: Op. Cit., Pp.144: 146.

(6) M. M. Huq: The Economy of Ghana, The First 25 Years since Independence, Palgrave Macmillan, New York, 1989, P.15.

جهة، وفتح الباب للشعوب المضطهدة في أفريقيا للكفاح المسلح لنيل حقوقها من جهة أخرى، وأن المشكلة التي طرحتها التفرقة العنصرية قد شكلت أهم عقبة أمام تواصل حكومة الأقلية العنصرية مع بقية الدول الأفريقية[١].

وبالتزامن مع اجتماع الأمم المتحدة قامت "هيلين سوزمان Helen Suzman"[٢] زعيمة الحزب التقدمي في جنوب أفريقيا Progressive Party، بمحاولة يائسة للمساهمة في تعزيز دعوة الحوار التي أصدرها زعيما غانا وساحل العاج، فزارت غانا من ٧ إلى ٩ أكتوبر ١٩٧١، ضمن رحلة زارت خلالها عددًا من الدول الأفريقية الأخرى؛ بوتسوانا، السنغال، جامبيا، كينيا، تنزانيا ومالاوي، وقد وصفت تلك الرحلة بأنها أكبر اتصال على مستوى سياسي بين البيض والسود داخل أفريقيا منذ استقلال الدول الأفريقية[٣].

وقد حظيت تلك الزيارة بدعم سري من الخارجية البريطانية، وعملت على الحصول على موافقة الحكومة الغانية عليها، وأخبرت سوزمان أن حكومة غانا تواجه الكثير من المشاكل الداخلية، ما جعل تجاهلها لدعوة الحوار أمرًا متوقعًا، وعليه نصحتها بعدم ترك أي انطباع بأن الزيارة لتعزيز ذلك الحوار فقط، وإنما لإزالة جهل واسع في داخل جنوب أفريقيا ببقية القارة، وللاستماع والتعلم من الحكومة الغانية، ثم لشرح أهداف ومقاصد

---

(1) ***UN. GA***, A/PV.1958, Official Records, Oct.8, 1971, Speech by Mr. Ofori-Atta, Paras.109: 115.

(٢) هيلين سوزمان: كانت ناشطة جنوب أفريقية من البيض مناهضة للتفرقة العنصرية، نالت استحسانًا دوليًا، رُشحت مرتين لجائزة نوبل للسلام، وخاضت معركة طويلة بمفردها في برلمان جنوب أفريقيا ضد القمع الحكومي للأغلبية السوداء في البلاد، انظر،

_ ***The Hamilton Spectator*** "***Canada***"; Apr. 1994, P.4.

(3) ***Los Angeles Times***; Oct.15, l97l, p.16.

الحزب التقدمي، مع التأكيد على أنه الحزب الوحيد المعارض للتفرقة العنصرية الممثل في برلمان جنوب أفريقيا(١).

والتقت سوزمان بعدد من قادة المعارضة الغانية الذين وقفوا ضد دعوة الحوار، وقد نجحت في ترك انطباعٍ جيدٍ، لاسيما وأنهم فوجئوا بإشارة سوزمان بأن حركة التحرر الجنوب أفريقية لم يكن لها أي تأثير فعلي على قوة الحكومة، وقد أهملت الصحافة الغانية إظهار أي قدر من الاهتمام بالزيارة في مقالاتها، وظهر أن الأمر بتوجيه حكومي، واكتفت الديلي جرافيك بنقل تصريح سوزمان بأن هدفها التوصل إلى حل سلمي للتفرقة العنصرية، كما عقدت لقاءً مطولًا مع مسئولي وزارة الخارجية الغانية، وقد تجنبت الحديث عن مسألة الحوار، وعقدت سوزمان ندوة مصغرة حول وضع التفرقة العنصرية، ثم استقبلها رئيس الوزراء كوفي بوسيا وكان اللقاء معه رسميًا بشكل كبير، ودار معظمه حول إمكانية قيام الحوار مع حكومة الأقلية، واشترط بوسيا لحدوث ذلك الحوار أن تقبل به منظمة الوحدة الأفريقية والقوميين السود وحكومة الأقلية العنصرية لمناقشة قضية التفرقة العنصرية(٢).

وقد تخوف بوسيا من إعطاء أي انطباع لعودته لدعوة الحوار نظرًا لأنه كان قد بدأ توجيه كل طاقاته نحو معالجة الصعوبات الاقتصادية الداخلية في الربع الأخير من عام ١٩٧١(٣)، وأشار فقط إلى تخوفه من البدء في إجراء حوار ثم يعبث به جون فورستر، هنا

---

(1) ***FCO 45/ 929***, Letter from BHC, Accra, H S H Stanley, to C M Le Quesne Esq, FCO, Oct.2, 1971.

(2) ***FCO 45/ 929***, Letter from BHC, Accra, to J MCQuiggan, WAD, FCO, Oct.15, 1971, "visit to Accra by Mrs. Helen Suzman and Mr. Colin Eglin.

(3) ***FCO 45/ 929***, Letter from J E C Macrae CSAD, to Mr. Fingland, Oct.20, 1971, "Dialogue WITH South Africa: Discussions with the French".

نصحته سوزمان أن يخبر فورستر بأن هدفه النهائي هو قيام حكومة متعددة الأعراق، لا يسيطر عليها عرق واحد، دون الإشارة إلى قضية "حكم الأغلبية"، حيث إن كلمة "حكم الأغلبية" كانت مرفوضة من حكومة الأقلية العنصرية[١]، وفي نهاية اللقاء أكدت سوزمان أنها لم تلاحظ وجود أي عداء تجاه البيض[٢].

وفي محاولة لإدخال غانا مرة أخرى في دعوة الحوار؛ ثمن أعضاء مجلس العموم البريطاني المساعي الغانية لمعالجة قضية التفرقة العنصرية بالحوار في ٤ نوفمبر ١٩٧١[٣]، إلا أن الحكومة الغانية تجاهلت ذلك، بل وتجاهلت دفاع الدبلوماسي البريطاني السابق مالكولم ماكدونالد Malcolm Macdonald[٤] عن دعوة الحوار، أثناء زيارته لأكرا في منتصف ديسمبر، ولم تصدر أي تعليق على تلك الزيارة على الرغم من اجتماعه مع وزير الخارجية الغاني، وعدد من المهتمين بمشاكل الجنوب الأفريقي[٥].

---

(1) ***FCO 45/ 929***, Letter from BHC, Accra, to J MCQuiggan, WAD, FCO, Oct.15, 1971.

(2) Muriel Horrell, Dudley Horner, John Kane-Berman: A survey of race relations in South Africa, 1971, South African Institute of Race Relations, Johannesburg, 1972, P.5.

(3) ***UK. Parliamentary***, Hansard Commons, Vol.825, Column.420, 428, Commons sitting of Thursday, 4th November, 1971, Fifth Series.

(٤) مالكولم ماكدونالد: دبلوماسي بريطاني، عمل كمفوض سام في عدد من الدول منها كندا والهند وكينيا من ١٩٤١ إلى تقاعده في ١٩٦٩، وتوفى في يناير ١٩٨١، انظر،

_ ***New York Times***, Jan.12, 1981, p.D.11.

(5) ***FCO 45/ 930***, Letter from BHC Accra, MoQuiggan Esq MBE WAD FCO, Dec.17, 1971, "Visit of Mr. Malcolm Macdonald".

ولإنهاء الارتباط بين غانا ودعوة الحوار؛ أعلن الوفد الغاني في الأمم المتحدة رفض الحكومة الغانية لإجراء أي حوار مع حكومة الأقلية العنصرية لأنها لم تعط أي إشارة بأنه حتى لو تم ذلك الحوار يمكنها التخلي عن نهجها في التفرقة العنصرية[١]. ومن الملاحظ تراجع الحكومة الغانية عن القيام بدور لمعالجة التفرقة العنصرية مع نهاية عام ١٩٧١، جاء نتيجة الرفض الشعبي لدعوة كوفي بوسيا للحوار[٢]، التي رأى فيها الشعب الغاني محاولة من كوفي بوسيا لدعم ما يدعمه حلفاؤه في الغرب، بغض النظر عن تاريخ غانا المناهض للنظام العنصري[٣].

وضاعف من تدهور الأمور مواجهة بوسيا لذلك بتكميم أفواه الصحافة، وفشله في معالجة الأزمة الاقتصادية، وكان ذلك من أهم أسباب تآكل الدعم الشعبي لحكومة

---

(1) ***UN. GA***, A/PV.1997, Official Records, Nov.29, 1971, Address by Mr. Jaisey, Para. 48: 60.

(2) B. Martin Tsamenyi: Op. Cit., 1983, P.87.

(3) Opoku Agyeman: Nkrumah's Ghana and East Africa Pan–Africanism and African Interstate Relations, Fairleigh Dickinson University Press, London, P.165.

بوسيا[١]، وقيام العقيد "أتشيمبونج Acheampong"[٢] بالإطاحة به من رئاسة الوزراء في ١٣ يناير ١٩٧٢، أثناء قيامه برحلة خارجية إلى لندن للعلاج من مرض في عينيه[٣].

وقد أعلن مباشرة النظام الجديد أن غانا ستعود إلى تطبيق عدم انحياز حقيقي بين الكتلة الشرقية والغربية[٤]، والتخلي التام عن فكرة الحوار[٥]، وتعهد العقيد أتشيمبونج بدعم إعلان منظمة الوحدة الأفريقية الرافض للحوار، وأن غانا ستعود لدعم حركات تحرير الجنوب الأفريقي[٦]. كما أحدثت الإطاحة بكوفي بوسيا تجاوبًا ملحوظًا في صفوف

---

(1) ***Foreign Relations of the United States***, 1969–1976, Vol. E–5, Part 1, Documents on Sub–Saharan Africa, 1969–1972, D.21, Memorandum of Conversation, Paris, May.2, 1972, "US–French Bilateral Exchanges on Africa"

(٢) أتشيمبونج أجناتيوس (١٩٣٣: ١٩٧٩): التحق بالجيش الغاني عام ١٩٥٩، وتلقى تدريبه العسكري في بريطانيا، قاد الانقلاب الغاني عام ١٩٧٢، وأصبح رئيس غانا ورئيس مجلس الإنقاذ الوطني منذ عام ١٩٧٢ حتى تمت الاطاحة به عام ١٩٧٨، وفي يونيو ١٩٧٩ أعدم رميًا بالرصاص، انظر،

_ Owusu–Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Op. Cit., P.12.

(3) ***The Comptroller General of the United States***: Report to the Congress, United States Programs in Ghana, United States, General Accounting Office, Washington, D.C., Feb.1974, P.5,

_ ***The San Francisco Examiner*** "***USA***"; Jan.23, 1972, P.14.

(4) ***FCO 45/ 1065***, SWB, ME / 3939/B/9, Mar.14, 1972, Ghana: "Defence of Co–operation with the USSR".

(5) Dennis Austin, Robin Luckham "Ed": Politicians and soldiers in Ghana 1966—1972, Routledge, London, 1975, P.309.

(6) Muriel Horrell, Dudley Horner, John Kane–Berman, Robin Margo: A Survey of race relations in South Africa, 1972, South African institute of race relations, Johannesburg, 1973, P.125.

الشعب الغاني، الرافض لسياساته، والتي أهمها رؤيته في معالجة قضية التفرقة العنصرية[١].

([1]) Kwame Nkrumah: A Letter of Consolation To Dr. Kofi A. Busia: on the coup in Ghana, ***The Black Scholar***, Vol.3, No.9, May, 1972, P.24.

الخاتمة...

يمكن من خلال البحث "موقف غانا من التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا أكتوبر ١٩٦٩– يناير ١٩٧٢" الوصول إلى بعض الاستنتاجات المهمة، وهي كالتالي:

- أن الحكومة الغانية بقيادة "كوفي أبريفا بوسيا" قد اتخذت موقفًا نشطًا تجاه معالجة التفرقة العنصرية، فخلاف عبارات الإدانة العامة التي التزمتها غانا، حاولت غانا أن يكون لها دور مؤثر في معالجة القضية، سواء برفض التسليح الغربي لحكومة جنوب أفريقيا، واعتبار ذلك التسليح من أسباب استمرار التفرقة العنصرية، أو بالدعوة للحوار مع حكومة جنوب أفريقيا أملًا في العدول عن سياستها العنصرية.
- وضح من خلال البحث أن القرارات التي اتخذها كوفي بوسيا لمعالجة قضية التفرقة العنصرية أدت لنتائج أثرت على استمرارية نظامه السياسي وعلاقاته الخارجية، فقد ضحى بوزير خارجيته "فيكتور أووسو" لمعارضته دعوته للحوار، وجاء بدلًا منه "بوليام أوفوري أتا"، كما أن بوسيا عرض العلاقات الغانية البريطانية للخطر حينما عارض التسليح البريطاني لحكومة جنوب أفريقيا، ولم يعط وزنًا لتهديدات رئيس الوزراء البريطاني بقطع المساعدات عن غانا، حينما كانت بريطانيا هي الدائن الأول لغانا.
- لوحظ من خلال البحث عدم نجاح أي من السياسات الغانية لمواجهة التفرقة العنصرية، فلم تمنع بريطانيا من توريد الأسلحة للحكومة العنصرية، ولم تنجح في تطبيق دعوة الحوار أو تساهم في تغيير عقلية حكومة الاقلية العنصرية تجاه الأغلبية الأفريقية في جنوب أفريقيا.
- على الرغم من كل ذلك؛ فقد ظُلم الموقف الغاني من التفرقة العنصرية في عهد كوفي بوسيا، من أخذ التقدير الكافي آنذاك، فغانا لم تكن الوحيدة في دعوة الحوار، فقد كانت معها ساحل العاج، وإن كان النقد وجه لغانا أكثر من غيرها لتاريخها في دعم حركة التحرر، كما أن بوسيا لم يثبت عليه الاتهام بحصوله على أية أموال مقابل دعوته للحوار، في وقت كانت غانا في عهده أحوج ما تكون للمساعدات الاقتصادية لإنقاذ الوضع الاقتصادي المتدهور، والذي راح ضحيته نظام بوسيا نفسه في ١٣ يناير ١٩٧٢.

الملاحق: ملحق رقم (١)

تأكيد بوسيا على عدم تغير الموقف الغاني من جنوب أفريقيا، وأن الأساليب المتبعة غير مجدية في خطابة أمام البرلمان الغاني في ٥ ديسمبر ١٩٦٩

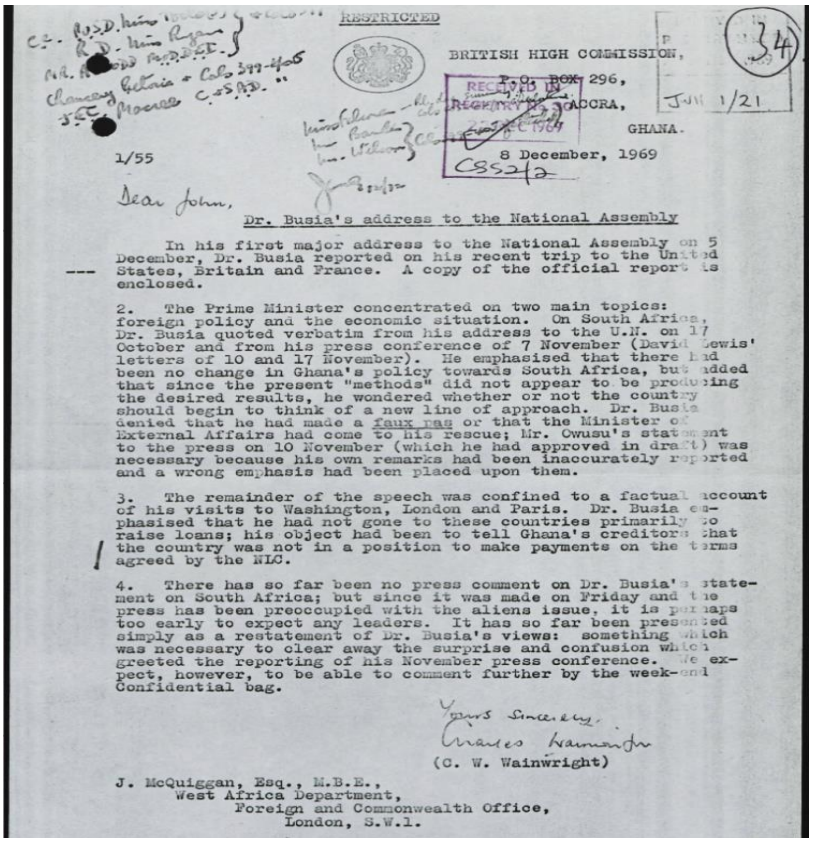

RESTRICTED

BRITISH HIGH COMMISSION,
P.O. BOX 296,
ACCRA,
GHANA.

1/55

8 December, 1969

Dear John,

Dr. Busia's address to the National Assembly

In his first major address to the National Assembly on 5 December, Dr. Busia reported on his recent trip to the United States, Britain and France. A copy of the official report is enclosed.

2. The Prime Minister concentrated on two main topics: foreign policy and the economic situation. On South Africa, Dr. Busia quoted verbatim from his address to the U.N. on 17 October and from his press conference of 7 November (David Lewis' letters of 10 and 17 November). He emphasised that there had been no change in Ghana's policy towards South Africa, but added that since the present "methods" did not appear to be producing the desired results, he wondered whether or not the country should begin to think of a new line of approach. Dr. Busia denied that he had made a faux pas or that the Minister of External Affairs had come to his rescue; Mr. Owusu's statement to the press on 10 November (which he had approved in draft) was necessary because his own remarks had been inaccurately reported and a wrong emphasis had been placed upon them.

3. The remainder of the speech was confined to a factual account of his visits to Washington, London and Paris. Dr. Busia emphasised that he had not gone to these countries primarily to raise loans; his object had been to tell Ghana's creditors that the country was not in a position to make payments on the terms agreed by the NLC.

4. There has so far been no press comment on Dr. Busia's statement on South Africa; but since it was made on Friday and the press has been preoccupied with the aliens issue, it is perhaps too early to expect any leaders. It has so far been presented simply as a restatement of Dr. Busia's views: something which was necessary to clear away the surprise and confusion which greeted the reporting of his November press conference. We expect, however, to be able to comment further by the week-end Confidential bag.

Yours sincerely,
Charles Wainwright
(C. W. Wainwright)

J. McQuiggan, Esq., M.B.E.,
West Africa Department,
Foreign and Commonwealth Office,
London, S.W.1.

FCO 45/ 233, Letter 1/ 55, from BHC, Accra "C.W. Wainwright", to FCO, London, Dec.8, 1969, "Dr. Busia's address to the National Assembly".

ملحق رقم (٢)

تعليق فورستر على مقترح ويليام أوفوري أتا في لقاءه مع السفير البريطاني في جنوب أفريقيا في ٢٥ مارس ١٩٧١ (الفترة ٧ من المحادثة)

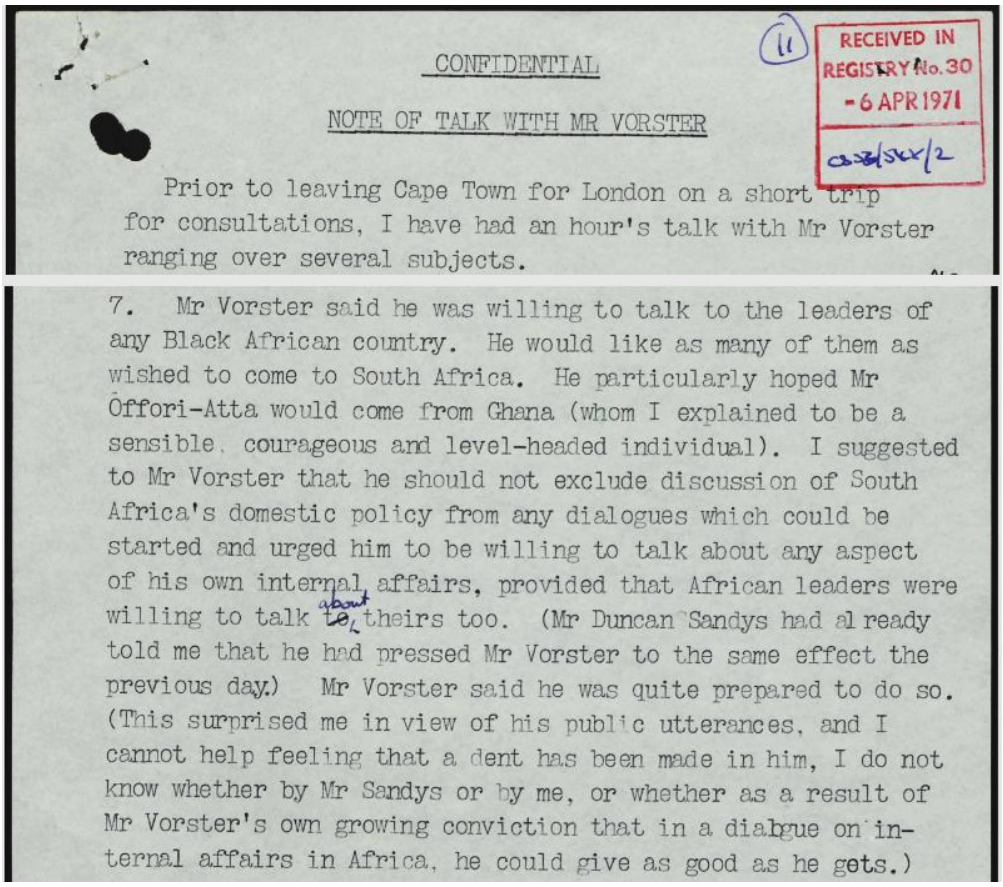

CONFIDENTIAL

NOTE OF TALK WITH MR VORSTER

RECEIVED IN REGISTRY No. 30 - 6 APR 1971

Prior to leaving Cape Town for London on a short trip for consultations, I have had an hour's talk with Mr Vorster ranging over several subjects.

7. Mr Vorster said he was willing to talk to the leaders of any Black African country. He would like as many of them as wished to come to South Africa. He particularly hoped Mr Offori-Atta would come from Ghana (whom I explained to be a sensible, courageous and level-headed individual). I suggested to Mr Vorster that he should not exclude discussion of South Africa's domestic policy from any dialogues which could be started and urged him to be willing to talk about any aspect of his own internal affairs, provided that African leaders were willing to talk about theirs too. (Mr Duncan Sandys had already told me that he had pressed Mr Vorster to the same effect the previous day.) Mr Vorster said he was quite prepared to do so. (This surprised me in view of his public utterances, and I cannot help feeling that a dent has been made in him, I do not know whether by Mr Sandys or by me, or whether as a result of Mr Vorster's own growing conviction that in a diabgue on internal affairs in Africa, he could give as good as he gets.)

FCO 45/ 936, Note of talk with Mr. Vorster, Mar.25, 1971.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الوثائق غير المنشورة:

وثائق وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث البريطانية Foreign and Commonwealth Office

1) FCO 45/ 230, United Nations involvement with apartheid, 1969.
2) FCO 45/ 233, Relations with Black Africa, 1969.
3) FCO 45/ 314, Repercussions of apartheid policy on sport, 1969.
4) FCO 45/ 390, Liberation movements in Southern Africa, 1970.
5) FCO 45/ 402, Political relations between USA and Southern Africa, 1970.
6) FCO 45/ 483, Political relations between Lesotho and South Africa, 19770.
7) FCO 45/ 616, Annual review of South Africa for 1969, 1970.
8) FCO 45/ 627, Attitude of black Africa to policy of apartheid in South Africa, 1970.
9) FCO 45/ 632, Proposal by President of Ivory Coast for talks on apartheid between South Africa and other countries in Africa, 1970.
10) FCO 45/ 633, Political relations between South Africa and Soviet Union, 1970.
11) FCO 45/ 641, Visits by ministers of South Africa to United Kingdom, 1970.
12) FCO 45/ 671, Policy of Her Majesty's Government on sale of arms to South Africa from United Kingdom, 1970.
13) FCO 45/ 677, Policy on supply of arms to South Africa from France, 1970.
14) FCO 45/ 695, Discussion of Her Majesty's Government policy on arms embargo to South Africa at United Nations assembly, 1970.
15) FCO 45/ 698, Comment by Ghana on Her Majesty's Government policy on arms embargo to South Africa, 1970.

16) FCO 45/ 925, Proposal by President Houphouet-Boigny of Ivory Coast to hold talks on apartheid between South Africa and other African countries, 1971.
17) FCO 45/ 927, Proposal by President Houphouet-Boigny of Ivory Coast to hold talks on apartheid between South Africa and other African countries, 1971.
18) FCO 45/ 928, Proposal by President Houphouet-Boigny of Ivory Coast to hold talks on apartheid between South Africa and other African countries, 1971.
19) FCO 45/ 930, Proposal by President Houphouet-Boigny of Ivory Coast to hold talks on apartheid between South Africa and other African countries, 1971.
20) FCO 45/ 936, Political relations between UK and South Africa, 1971.
21) FCO 45/ 1000, Attitude of Ghana to UK Policy on arms embargo against South Africa: recall of the Ghana High Commissioner following UK's decision to sell Wasp helicopters to South Africa, 1971.
22) FCO 45/ 1065, Financial contributions from various organisations to National Liberation Movements in Africa, 1972.
23) FCO 65/ 645, Ghana's attitude to apartheid in South Africa, 1970.

Records of the Cabinet Office "CAB" **سجلات مكتب مجلس الوزراء البريطاني**

1) CAB 129/ 154/ 13, Memorandum Former Reference, The Simonstown Agreement and Arms for South Africa, 30 November 1970.
2) CAB 129/ 154/ 22, Memorandum Former Reference, Sale of Arms to South Africa, 31 December 1970.
3) CAB 128/ 49/ 10, Conclusion Former Reference, 16 February 1971.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

أ: وثائق قسم العلاقات العامة في غانا، وزارة الشئون الخارجية الغانية:

_ **The Ghana Public Relations Department** "GPRD", Apartheid And Its Elimination, Ghana's Ministry of Foreign Affairs, Accra, Jun.1971.

ب: وثائق وزارة الخارجية الامريكية:

_ **Foreign Relations of the United States**, 1969–1976, Vol.E–5, Part 1, Documents on Sub-Saharan Africa, 1969–1972.

جـ: مضابط البرلمان البريطاني **UK. Parliamentary Papers document**

_ **UK Parliament**: Hansard Commons, Vol.803, & Vol.825, 1971,.

د: وثائق الأمم المتحدة:

١ _ الأمم المتحدة، قسم إدارة المحفوظات والسجلات:

_ **United Nation,** Archives and Records Management Section, Item S-0889-0003-01-00001.

_ UN, Archives and Records Management Section, Item S-0884-0018-09-00001.

٢ _ الأمم المتحدة، أوراق الجمعية العامة ومجلس الأمن:

1) **UN. GA**, A/PV.1786, Official Records, Oct.17, 1969.
2) **UN. GA**, A/PV.1997, Official Records, Nov.29, 1971.
3) **UN. GA**, A/PV.1958, Official Records, Oct.8, 1971.
4) **UN. SC**, S/PV.1546, Official Records, Jul.20, 1970.
5) **UN. SC**, S/PV.1546, Official Records, Jul.20, 1970.
6) **UN. SC**, S/9867, Jul.15, 1970, Letter dated Jul. 15, 1970.

هـ: سجلات الكونجرس الأمريكي:

_ Congressional Record, United States of America, Proceedings and debates of the 91st Congress, First Session Senate-Wednesday, October 1, 1969.

_ The Comptroller General of the United States: Report to the Congress, United States Programs in Ghana, United States, General Accounting Office, Washington, D.C., Feb.1974.

و: وثائق منظمة الوحدة الأفريقية:

_ **قرارات وتوصيات وبيانات منظمة الوحدة الأفريقية ١٩٦٣- ١٩٨٣**، جمهورية مصر العربية، وزارة الخارجية، القاهرة، ١٩٨٥.

ز: وثائق منظمة الكومنولث:

_ Commonwealth Secretariat: Commonwealth Declarations, London, 2019.

ثالثاً: المذكرات الشخصية:

_ Edward Heath: The Course of My Life, My Autobiography, Hodder & Stoughton, London, 1998.

رابعاً: التقارير الدولية:

1) **Quarterly Economic Review**, Ghana, Sierra Leone, Gambia, Liberia, No.2-1971, the economist intelligence unit, London, 1971.
2) **Quarterly Economic Review**, Southern Africa: Republic of South Africa, South West Africa, Botswana, Lesotho, Swaziland, No.2, 1971, the economist intelligence unit, London, 1971.

خامساً: المراجع العربية:

١) إبراهيم أحمد نصر الدين: دراسات في العلاقات الدولية الأفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١١.

٢) شوقي عطا الله الجمل: قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

سادساً: المراجع المعربة:

١) جديون س. وير: تاريخ جنوب أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٦.

٢) رينشارد جيبسون: حركات التحرر الأفريقية. النضال المعاصر ضد الأقلية البيضاء، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، ٢٠٠٢.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

1) David C. Preiss: the bridge and the laager, South Africa's Relations with Africa, with Specific Reference to Malawi, the South African Institute of international affairs, Johannesburg, 1973.
2) Dennis Austin, Robin Luckham "Ed": Politicians and soldiers in Ghana 1966—1972, Routledge, London, 1975.
3) Etsiah Akyinba Kofi: Foreign Policy Under Military Rule In Ghana, 1966-1982, University of the Witwatersrand, Johannesburg.
4) Geoff Berridge: Economic power in Anglo-South African diplomacy, Simonstown, Sharpeville and after, the Macmillan Press Ltd, London, 1981.
5) John Barratt: Dialogue in Africa, Private Paper, The South African Institute of International Affairs, Johannesburg, June 1971.
6) Kwame A Ninsin & F.K. Drah "Ed": Political parties and democracy in Ghana's fourth republic, Woeli Publishing Services, Accra, 1993.

7) LaVerle Berry "Ed": Ghana a country study, Federal Research Division Library of Congress, Washington, 1994.
8) M. M. Huq: The Economy of Ghana, The First 25 Years since Independence, Palgrave Macmillan, New York, 1989.
9) Muriel Horrell, Dudley Horner, John Kane-Berman, Robin Margo: A Survey of race relations in South Africa, 1972, South African institute of race relations, Johannesburg, 1973.
10) Muriel Horrell, Dudley Horner, John Kane-Berman: A survey of race relations in South Africa, 1971, South African Institute of Race Relations, Johannesburg, 1972.
11) Muriel Horrell: A Survey of race relations in South Africa, 1970, South African Institute of Race Relations, Johannesburg, 1971.
12) Owusu-Ansah, David, McFarland, Daniel Miles: Historical Dictionary of Ghana, Scarecrow Press, Metuchen, 1995.
13) Simon Baynham: The Military and Politics in Nkrumah's Ghana, Westview, London, 1988.

ثامناً: المقالات والبحوث العلمية:

أ- المقالات العربية:

١) أحمد يوسف أحمد: السياسة البريطانية بعد هزيمة حزب العمال، **مجلة السياسة الدولية**، عدد ٢٢، أكتوبر ١٩٧٠.
٢) أحمد يوسف أحمد: **معركة الانتخابات في جنوب أفريقيا**، مجلة السياسة الدولية، عدد ٢١، يوليو ١٩٧٠.

٣) عبدالملك عودة، حورية مجاهد، جويندلين كارتر: ندوة السياسة الدولية، التمييز العنصري وحركات التحرير في أفريقيا الجنوبية، **مجلة السياسة الدولية**، عدد ٢٠، أبريل ١٩٧٠.

٤) محمود حسن فرغل: منظمة الوحدة الأفريقية وحرب التحرير، **مجلة السياسية الدولية**، عدد ١٨، أكتوبر ١٩٦٩.

٥) مؤتمر دول شرق ووسط أفريقيا، **مجلة السياسة الدولية**، عدد ٢٠، أبريل ١٩٧٠.

ب- المقالات الأجنبية:

1) Amry Vandenbosch: South Africa's outward policy, **The Virginia Quarterly Review**; Vol.47, Issue 4, Fall 1971.
2) Boateng, Osei: Ghana, The real Kufuor, **New African**, Issue.426, Feb 2004.
3) Boni Yao Gebe: Ghana's Foreign Policy at Independence and Implications for the 1966 Coup D'état, **The Journal of Pan African Studies**, Vol.2, No.3, Mar.2008.
4) **Current Notes on International Affairs**, October 1969, Department of External Affairs, Canberra, Australia, The Return of Constitutional Government in Ghana.
5) **Current Notes on International Affairs**, September 1969, Department Of External Affairs, Canberra, Australia, Elections in Ghana
6) From the Unesco report on Apartheid, **Negro History Bulletin**, Vol.32, No.8, December, 1969.
7) J.E. Spence & G.R. Berridge: Simonstown, **Contemporary Record**, Vol.2, Issue 3, 1988.

8) Kwame Frimpong, Kwaku Agyeman-Budu: The rule of law and democracy in Ghana since independence: Uneasy bedfellows?, **African Human Rights Law Journal**, Vol.18, No.1, 2018.

9) Kwame Nkrumah: A Letter of Consolation To Dr. Kofi A. Busia: on the coup in Ghana, **The Black Scholar**, Vol.3, No.9, May, 1972.

10) Kwasi Dartey-Baah: Political Leadership in Ghana: 1957 to 2010, **African Journal of Political Science and International Relations**, Vol.9, Issue.2, 2015.

11) Nadine Gordimer: The Life of Accra, The Flowers of Abidjan: A West African Diary, **The Atlantic Monthly**, Vol.228, Issue.5, Nov. 1971.

12) Norman L. Dodd: The Simonstown Agreement and the Cape Sea Route, **The RUSI Journal**, Vol.120, Issue 3, 1975.

13) Olajide Aluko: After Nkrumah: Continuity and Change in Ghana's Foreign Policy, **A Journal of Opinion**, Vol.5, No.1, Spring. 1975.

14) Out of Africa, **Africa Report**, Vol.16, Issue.8, Nov.1, 1971.

15) Peter James Henshaw: The transfer of Simonstown: Afrikaner nationalism, South African strategic dependence, and British global power, **The Journal of Imperial and Commonwealth History,** Vol.20, Issue 3, 1992.

16) The Simonstown Agreements, **World Today**; Jan 1, 1975.

17) Yashpal Tandon: South Africa and the O.A.U., the dialogue on the dialogue issue, **Instant Research on Peace and Violence**, Vol.2, Issue.2, 1972.

تاسعاً: الرسائل العلمية الأجنبية:

1) Adom Humphrey: The role of Ghana in African liberation and unity, 1957—1977, Ph.D., Temple University, 1991.
2) Alex Kwaku Danso-Boafo: The political biography of Dr. Kofi Abrefa Busia, Ph.D. Howard University, 1981.
3) Ama Barbara Biney: Kwame Nkrumah: An Intellectual Biography, PhD, University of London, 2007.
4) B Martin Tsamenyi: Regime failure and the political legitimacy of governments in Ghana: the case of the Acheampong regime, 1972 – 1979, PhD, Australian National University, 1983.
5) Dingar Suna: American policy towards the Non-Aligned black Africa: A case study of Ghana (1957-1972), PhD, Sambalpur University, India, 1986.
6) Ebenezer Ofosu Asiedu: the role of the media in Ghana's foreign policy, the Master degree, the legon Centre for international affairs, the University of Ghana, legon, 2000.
7) George Douglas Perry: African strategies of liberation toward Southern Africa, the Degree of Master, Dalhousie University, 1972.
8) Osman Al-Hassan: Politicized soldiers, military intervention in the politics of Ghana, 1966-1993, PhD, Washington State University, Department of Political Science, May 2004.

عاشراً: الأرشيفات الصحفية:

أ. الأرشيفات الصحفية العربية:

- الأهرام "مصر"

ب. الأرشيفات الصحفية الأجنبية:

1) **Canberra Times "Australia".**
2) **Chicago Tribune "USA".**
3) **Los Angeles Times "USA".**
4) **New Nation "Singapore".**
5) **New York Times "USA".**
6) **Ottawa Citizen "Canada".**
7) **The Guardian "UK".**
8) **The Hamilton Spectator "Canada".**
9) **The Observer "UK".**
10) **The Ottawa Journal "Canada".**
11) **The San Francisco Examiner "USA".**
12) **The Straits Times "Singapore".**
13) **The Times "UK".**
14) **The Times of India "India".**
15) **The Washington Post "USA".**
16) **Toronto Globe & Mail "Canada".**